دراســـــة
في
تاريخ سوريا السياسي المعاصر

د. أمل مخائيل بشور



توزيع
جروس برس

دراسة في تاريخ سوريا السياسي المعاصر

دراســـــة
في
تاريخ سوريا السياسي المعاصر

د. أمل مخائيل بشور

توزيع
جروس برس

طرابلس
الطبعة الأولى
٢٠٠٣



Ou le caractere n'est pas grand, il n'ya pas de grand homme , il n'y a meme pas de grand artiste ni de grand homme d'action ... peu nous importe le succes . Il s'agit d'etre grand , et non de le paraitre .

Vie ee Beethoven , Preface .

Romain Roland , 1866-1944
" Vie de Beethoven , preface"

لا رجلٌ عظيم ولا حتى هناك فنانٌ عظيم أو رجلُ فعلٍ عظيم بدون خلقٍ عظيم .

لا يهمنا النجاح ، إنما العبرة للعظمة لا للتظاهر بها .

رومان رولان . ١٨٦٦ - ١٩٤٤ .

مقدمة كتاب " حياة بتهوفن " .

المقدمـــــة

الموضوع

هذه دراسة لتاريخ الدولة السورية [1] منذ أن خطت خطواتها الأولى كدولة مستقلة تتفتح على عالم الحداثة حتى وصول حزب البعث العربي الإشتراكي إلى السلطة ١٩٤٦ - ١٩٦٣ .

انبثقت هذه الدراسة من اهتمامي الكبير بما جرى ويجري على أرض بلادي . فضلاً عن اعتقادي بأنني أستطيع أن أقيّم أحداث هذه الحقبة التي عايشتُ بعض فصولها بأفضل مما يُكتب عنها من بعيد ، وفوق هذا ، فإن وقائع هذا التاريخ متصلة بالواقع القائم ولا يزال تأثيرها وتفاعل أحداثها مستمراً ومتواصلاً في الوضع الراهن ، كما يرجع الاهتمام بهذه الدراسة إلى أهمية الأحداث التي تغطيها نظراً للتحولات الجذرية والشديدة التسارع التي أحدثتها في جميع مقومات حياة سورية السياسية والإجتماعية والفكرية ، ولابدّ من القول ، أن من الدوافع التي حملتني على اختيار دراسة هذه الحقبة المعاصرة كونها إمتحاناً لموضوعية المؤرخ ، قررت أن أخوضه ، وأن أرصد الظواهر المتعددة والمتباينة الإتجاهات دون الإلتزام بأي موقف قد يحجب عني الحقائق ، وأتمنى لو توصلتُ إلى نتائج حسنة ولو جزئياً .

شغل تاريخ سورية المعاصر حيّزاً واسعاً من اهتمام وجهود العديد من المؤرخين الأساتذة وعلماء الإجتماع والسياسة . وكان موضوعاً لدراسات منهجية اعتمدت مادةً

---

[1] - إن لفظ سورية أوسع جغرافياً من الكيان السوري الحديث إذ إنه يشمل سورية ولبنان والأردن وفلسطين ومنطقة الإسكندرونة . وهذه دراسة للجمهورية السورية التي تشكلت كوحدة سياسية مستقلة في ٢٨ أيلول ١٩٤١ تمتد على مساحة ١٨٥ ألف كلم٢ ، وطول حدودها ٢٠٠٠ كم منها٥٩٦ كم شمالاً مع تركيا و ٦٠٠ كم شرقاً مع العراق و٢٨٨ كم غرباً مع لبنان و٣٥٣ كم جنوباً مع الأردن وفلسطين ولها واجهة غربية على المتوسط بطول ١٧٣ كم .

تاريخيةً متنوعة الآفاق وصاغتها برؤية عميقة وتحليل نافذ . من هذه الأعمال نذكر على سبيل المثال لا الحصر دراسات ,(Kerr), (Rondot) , (Petran) , (Torrey) (Jargy), (Colombe), (Seal) (Rabinovich), (Ma'oz) الذين وضعنا عناوين مؤلفاتهم في قائمة المراجع الملحقة بهذه الدراسة . وبما أنه لا تزال حقائق أهملت وأسئلة تحتاج إلى أجوبة ، وبما أنه لم يتم مسح شامل للموضوع فإن من أهداف هذه الدراسة تكملة تلك الأعمال ورفدها بمادة تاريخية جديدة توضّحُ تلك الحقائق وتجيب عن هذه الأسئلة ونأمل أن يحتل عملنا هذا مكانه المجدي بين تلك المؤلفات التي عالجت تاريخ بلادي .

تركز هذه الدراسة على شؤون السياسة الداخلية والقوى الأساسية التي حركت العملية السياسية ، وتلقي الضوء على القضايا الإجتماعية والأوضاع الإقتصادية من حيث دورها في إحداث التغييرات السياسية ، كما تتتبع سياسة سورية الخارجية وبخاصة علاقاتها مع المحيط العربي، التي شكلت محوراً بارزاً في التاريخ السوري كما تعرض هذه الدراسة لانعكاسات السياسة السورية على المحيطين العربي والدولي . فهي إذن دراسة لهذا الماضي القريب كما أنها صدىً لرواسب ماضٍ بعيد بقيت حية وفاعلة .

إن سورية هي أرض تاريخ حضاري منفتح ، بلاد عاشت عصر التحول بسرعة فائقة وعبرت خلال هذه السنوات التي هي موضوع دراستنا من النظام القديم إلى الجديد بكل تعقيداته ومن التبعية للأجنبي إلى الإستقلال والحرية ، وراحت خلال هذه السنوات تبحث عن هوية ، وخاضت تجارب متنوعة وخطرة بحثاً عن حلول لأزماتها .. عن مستقبل أكيد وثابت . هل كان تاريخ سورية نموذجاً لتاريخ البلدان الحديثة التكون التي اتجهت فيها الحياة السياسية نحو الإنقسام والتقلب ؟ أم كان مسيرة نحو توحيد المجتمع ودمجه واستقراره ؟ وهل كان من عمل الطبقات الجديدة في صراعها مع القوى التقليدية المسيطرة ؟ وما كان دور تلك الشخصيات والفئات التي حركت هذا التاريخ ؟ وهل كان تحركها انعكاساً للمميزات الخاصة لتلك المجموعات الفاعلة في المجتمع ؟ أم أنه جرى بمعزل عنها وبتخطيط من الخارج ... إن طرح هذه المسائل والإجابة عنها كان أيضاً هدف هذه الدراسة بأقسامها وفصولها .

وهذه الدراسة هي دراسة وثائقية نتيجة عمل واسع أعدّ لنيل شهادة دكتوراه في الآداب من جامعة القديس يوسف في بيروت أقدّمه الآن للجمهور .

× × ×

دراسة المصادر

أ – باللغة العربية

– الوثائق غير المنشورة

أولاً – وثائق الدولة السورية الموجودة في متحف دمشق ، أرشيف مديرية الوثائق التاريخية هي مصنفة تحت إسم " وثائق دولة " في عدة مجموعات ، وكل قسم يحمل رقم حافظتـه وعدد وثائقه وأمدها التاريخي ، ولكل وثيقة رقمها وتاريخها ضمن القسم والمجموعة . وقسم من هذه الوثائق كتب باليد وقسم مطبوع ... ومن الجدير بالملاحظة أن عدداً لا بأس به من هذه الوثائق المذكور أنها موجودة داخل الحافظة هي ليست كذلك وما هو باقٍ يكاد يبلى وتتفتت أوراقه في أيدي القارئ .

– إن مجموعة وزارة الداخلية هي أضخم المجموعات وتغطي وثائقها السنوات من ١٩٢٧ حتى ١٩٦٣ وقد صنفت حسب مضمونها إلى الأقسام التالية :

" قسم سليمان المرشد " وهو يتضمن ٣٩ وثيقة مصنفة حسب تاريخها من عام ١٩٣٩ حتى ١٩٥٣ . وهي عبارة عن تقارير موجهة من السلطات التنفيذية والقوى الأمنية في محافظة اللاذقية إلى وزارة الداخلية حول أحداث هذه القضية وملابساتها ونتائجها . قسم " مشروع سورية الكبرى " . وتغطي وثائقه الأعوام من ١٩٤٧ حتى ١٩٥١ وهي تقارير صادرة عن مديرية العشائر في شمال وشمال شرق سورية وعن

السلطات الأمنية في منطقة الجولان وجبل الدروز . وتقارير تكشف عن ردود فعل السلطة المركزية تجاه هذه المسألة . " قسم الطوائف " وقد أشير فيه إلى أن وثائقه الـ ٨٤ تغطي السنوات من ١٩٢٧ حتى ١٩٦٠ وأما هو موجود فعلاً فهو ١٨ وثيقة هي تقارير سرّية حول أوضاع الأقليات من العلويين والدروز والإسماعليين وآراء السلطات المحلية في هذا الشأن . قسم " تقارير تتعلق بالأمن والشرطة " تغطي الأعوام من ١٩٣٤ حتى ١٩٥٥ . ومن بين ٩٠ وثيقة يوجد ٤٠ فقط وهي تقارير اسبوعية سرية موجهة من السلطات المحلية الأمنية والتنفيذية إلى وزارة الداخلية حول الأوضاع السياسية والأمنية في المناطق وهي في : نشاط الأحزاب ، حوادث الإشتباكات ، التحركات ذات الطابع العنصري ، كما تتضمن التقارير معلومات حول الحياة الإقتصادية والأوضاع الصحية والتعليمية ، وهي تصحح المعلومات العلنية حول بعض المسائل وتقدم صورة عن المجريات اليومية في مراكز المحافظات والأقضية والقرى ومن ضمنها تقارير المخابرات التي يجب أن تدرس بحذر لأنها تهدف إلى خلق انطباع خاص قد يكون أحياناً ناتجاً عن تحامل ، ويضم هذا القسم أيضاً تقارير صادرة عن السلطات المركزية : من أوامر أو توجيهات أو قرارات . قسم تحت عنوان " نشاط الإرساليات الأمريكية " . ويتضمن عشرة وثائق تغطي المدة من ١٩٥٠/١/١٦ حتى ١٩٥٥/١١/١٩ وهي تقارير حول الأعمال التبشرية والإنسانية لهذه الإرساليات .

هذه المجموعة موردٌ ثري للتعرف على الأوضاع الإدارية والإجتماعية والأمنية والإقتصادية في المناطق السورية كما تُفيد في إطلاعنا على سياسة السلطة المركزية ومواقفها من هذه الأوضاع .

- مجموعة وثائق وزارة الخارجية في أربعة أقسام :

" قسم الصحافة " ويحتوي فعلياً على ٥٠ وثيقة تغطي الأعوام من ١٩٤٧ حتى ١٩٦٣ وهي مقالات مأخوذة عن الصحف السورية والعربية حول الشؤون الخارجية بالإضافة إلى المراسيم الحكومية الصادرة بشأن تعطيل نشر بعض الصحف أو إلغاء ترخيص صحف أخرى. قسم تحت عنوان " قضايا تتعلق بالخارجية " ويوجد من الوثائق الـ ٨٠ المذكورة ٢٠ وثيقة فقط تغطي الأعوام من ١٩٥١ ، حتى ١٩٥٦ وهي تقارير أمنية حول النشاط السياسي للبعثات الأجنبية في سورية موجهة إلى الأمين العام لوزارة

الخارجية كما يتضمن القسم تقارير صادرة عن السفارات السورية في عواصم الدول الأجنبية حول موقف هذه الدول من الأحداث الجارية في سورية . قسم تحت عنوان "تقارير الصحف والمجلات الأجنبية " منقولة إلى العربية عن مقالات كبريات الصحف العالمية حول الأوضاع السورية خلال أمدٍ يغطي عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ ويتضمن القسم أيضاً البيانات الصادرة عن الخارجية الأمريكية والبريطانية بشأن المسألة السورية وبيانات صادرة عن كبار المسؤولين السوريين ابان هذه المرحلة المتعددة الأزمات . قسم " التقارير الشهرية الإدارية " ويغطي الأعوام من ١٩٢٤ حتى ١٩٥٥ ، ومن وثائقه الـ ٢٥٧ لم نجد سوى ٣٢ وثيقة هي تقارير حول مواقف بعض الفئات السورية من القضايا الخارجية .

صنفت مجموعة وثائق القوات المسلحة في قسمين :

الأول عنوانه " مكتب المعلومات السرّية " والوثائق الموجودة هي تسعٌ فقط تغطي أحداث شهر آب من عام ١٩٦٠ وتتضمن النشرات اليومية الصادرة عن أجهزة إعلام تل أبيب وأنقرة وبغداد . والثاني تحت عنوان " قرارات وقضايا مختلفة لدفاع السنين " ولم يبق من وثائقه الـ ١٥٦ سوى ٢٧ تغطي السنوات من ١٩٤٧ حتى ١٩٥٣ ، وهي عبارة عن أوامر وقرارات صادرة عن وزارة الدفاع حول قضايا التسلح وجمع التبرعات للجيش ومراسيم تشريعية حول حل الأحزاب ونشرات إخبارية صادرة عن المكتب الصحفي لرئاسة الأركان .

أما مجموعة وثائق الجامعة العربية فهي في قسم واحد هو أحداث "مؤتمر شتورة " وتغطي وثائقه هذه الأحداث من ١٩٦٢/٨/٢٢ حتى ١٩٦٢/٨/٢٨ .

والمجموعة الأخيرة المصنفة تحت عنوان جبل العرب هي في قسمين : .

قسم " الأحزاب السياسية " وتغطي وثائقه الـ ٢٥ الأعوام من ١٩٣٩ حتى ١٩٦١ وتتضمن تقارير أمنية حول نشاط الأحزاب والصراعات داخل مناطق الدروز . والقسم الثاني " المخابرات " ويغطي الفترة من ١٩٤٢ حتى ١٩٥٩ ويتضمن ٣٦ تقريراً صادراً عن أجهزة الإستخبارات العاملة في الجبل تكشف عن حرص السلطات المركزية على المراقبة الدقيقة للأوضاع في هذه المنطقة الحساسة .

تعد وثائق الدولة ، مصدراً أولياً للكشف عن بعض سمات أعمال الدولة إلا أن فيها قصوراً وعجزاً ناجمين عن النقص الهائل في عدد الوثائق المحفوظة مما يحول دون تنظيم جدول كرونولوجي للأحداث فضلاً عن سوء تصنيفها . إلا أنه وجدت مصادر أخرى مكنتنا من تأمين تغطية لهذا النقص .

ثانياً – القسم البصري : وهو مجموعة صور فوتوغرافية مصنفة في أرشيف مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ضمن مجموعتين الأولى : " الشخصيات السياسية " والثانية " المسيرات " . وكل صورة تحمل رقماً خاصاً وسنة التصوير (دون الإشارة إلى الشهر أو اليوم أو الساعة) وأسماء الشخصيات المصورة ومناسبة المسيرة ونوعيتها ، (طلابية ، أو عمالية أو جماهرية) .

ثالثاً – وثائق محكمة أمن الدولة العليا في دمشق، ملفات المحامي الأستاذ هاني البيطار في القضايا السياسية – الأمنية التالية :" قضية اغتيال عدنان المالكي"، قضية تمرد ضباط حلب " قضية " المؤامرة الأمريكية على سورية" ، وقضية " محاكمة قادة الإنفصال " .

إن هذه الوثائق تساعد على تصحيح المعلومات المعلنة حول هذه القضايا حيث وجدنا فيها : إفادات رجال الأمن ، مطالعات الإدعاء العام ، أقوال الشهود ، مرافعات محامي المتهمين، استجوابات المتهمين . الأحكام الأولية ثم النهائية . وهي تفيد في التعرف على وجهة نظر الادعاء العام والمتهمين ونجد في سطورها الإجابة عن أسئلة لا تزال عالقة منذ أكثر من ٤٠ عاماً وهي تمثل توثيقاً جزئياً لعمل جهاز القضاء العسكري السوري .

× × ×

الوثائق المنشورة

أولاً – مذكرات المجلس النيابي : الجمهورية السورية ، وزارة المعارف ، مديرية الآثار العامة . القسم الثالث من الجريدة الرسمية .

يجد الباحث هذا الأصل في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ضمن عدد من الأجزاء الضخمة تصل صفحات الجزء الواحد أحياناً إلى ١٣٠٠ صفحة . ولقد استخدمنا في هذه الدراسة المجلدات التي تغطي أمداً زمنياً يمتد من كانون الأول ١٩٤٨ حتى شباط ١٩٥٨ وبعد انقطاع في زمن الوحدة مع مصر عادت المذكرات إلى الصدور تحت إسم الجمهورية العربية السورية ، مذكرات المجلس التأسيسي والنيابي في مجلد واحد يغطي الأحداث من ١٩٦٢/١٢/١٢ حتى ١٩٦٢/٩/١٣ . وقد أدرجت أحداث العام الواحد في مجلد أو مجلدين أو ثلاثة وذلك تبعاً لكثافة الجلسات التي يفرضها تسارع الأحداث وتعقدها .

يشكل هذا الأصل مستنداً وثائقياً ذا قيمة كبيرة للباحث في تاريخ سورية في هذه الحقبة إذ يجد فيه مادة خصبة حول : طبيعة تركيب المجلس . أسماء الوزارات ، البيانات الوزارية وأسلوب المناقشات ، الصراعات العقائدية والإقليمية بين أعضائه . ويتضمن أيضاً مادة واسعة حول القوانين وأسلوب إقرارها ، الميزانيات ومناقشاتها . عرائض المواطنين وشكاويهم ، عمل اللجان الإقتصادية .. وبشكل عام يتضمن المعلومات الوثائقية عن مجمل عمل السلطة التشريعية والتنفيذية . ومن الجدير ذكره أن الباحث في هذا الأصل يتلمس الفرق الشاسع بين دور المجلس النيابي في الحياة السياسية في العهد الديمقراطي وبين دوره في ظل السيطرة العسكرية كما كان الحال في عهد الشيشكلي .

ثانياً – الجريدة الرسمية للجمهورية السورية الصادرة يوم الخميس من كل أسبوع في دمشق . وهي مدرجة ضمن مجلدات ضخمة يجدها الباحث في أرشيف مديرية الوثائق التاريخية . استخدمنا الأجزاء التي تغطي أمداً يمتد من تشرين الأول عام ١٩٤٧ حتى أيلول عام ١٩٦٢ بما فيها الأجزاء المنشورة في عهد الجمهورية العربية المتحدة (الإقليم الشمالي)

يجد الباحث في هذا الاصل ، القوانين والمراسيم التشريعية والتنظيمية ، والقرارات والبلاغات والنصوص التفسيرية الصادرة عن الدوائر الاختصاصية من (مالية ، اقتصادية ، قضائية ، عسكرية ، تربوية وصحية واجتماعية) .

ثالثاً – المنشورات الصادرة عن وزارات الدولة ودوائرها : يجد الباحث هذه المنشورات في مكتبة مديرية الوثائق التاريخية ، متحف دمشق . وهي تتضمن بيانات حول الأوضاع الإقتصادية : (الزراعية والتجارية والصناعية) تخص بالذكر منشورات المكتب المركزي للإحصاء التي تغطي أمداً يمتد من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٦٣ ، وتقدم بيانات إحصائية حول : دخل الفرد ، الأسعار ، الإنتاج الإجمالي والمحلي لقطاعات الصناعة والتجارة والبناء والإستيراد والتصدير ووسائل النقل .. الخ ومع أنها ليست دقيقة بسبب النقص في خبرات الإحصاء إلا أنها مصدر واسع الميدان للتعرف على الأوضاع الإقتصادية والديموغرافية ولتتبع العمل الإصلاحي للحكومات التي تعاقبت على سورية خلال هذه الحقبة [١] .

رابعاً – الصحافة السورية والعربية هي مصدر أساسي ساهم في تحديد الجدول الكرونولوجي الذي يبيّن التواريخ الدقيقة للأحداث حسب تسلسلها الزمني . ارتبط دور الصحافة السورية في الحياة السياسية بالنظام القائم ففي ظل الأنظمة العسكرية ودولة الوحدة فُرضت رقابة محكمة على الحريات الصحفية وتم إيقاف إصدار عدد لا بأس به من الصحف ، الدمشقية خاصة ، في حين أتيح للصحافة في ظل الديمقراطية حريّة نسبية .

يجد الباحث في الصحف السورية عرضاً للأحداث اليومية: افتتاحيات ، مقالات، خطابات عامة ، نشرات ومراسيم وقوانين وأحكاماً قضائية ، فضلاً عن تفصيلات حول أحداث الإنقلابات العسكرية ، وتقارير تلقي الضوء على القضايا الأمنية الساخنة .. الخ .

كان لغالبية الأحزاب والفئات السياسية السورية صحيفة تعبّر عن أهدافها السياسيّة ، ولما كانت الصحافة السورية بشكل عام لا تستطيع الإعتماد على تمويل ذاتي اعتمدت على معونات من الدولة وحتى من السفارات العربية والأجنبية وهذا ما جعلها بعيدة عن

---

١ – راجع عناوين هذه المنشورات في قائمة المصادر العربية ، ص ٥٩٧ – ٥٩٩ .

الفكر الحيادي للعمل السياسي ، واتسمت غالباً بالمحازبة العقائدية والإقليمية وحتى المذهبية ، ونادراً ما نشرت تقارير موضوعية مثل تلك التي يجدها الباحث في الصحف ووسائل الإعلام الأجنبية .

قدمت الصحافة اللبنانية مادة إعلامية غنية سلطت الأضواء على الشؤون السورية كما عكست في مقالاتها حرب الدعاية بين الأنظمة العربية ، والتزمت غالباً خطاً سياسياً معيناً ونادراً ما أوردت في تقاريرها آراء متنوعة المصادر . هذا وقد التجأ السياسيون السوريون المعارضون إلى الصحافة اللبنانية لتوضيح مواقفهم ووجهات نظرهم أو قدموا معلومات سرية للصحف الموصوفة بالمستقلة نسبياً كصحيفتي (الجريدة) و (النهار) اللتين التزمتا نشر تقارير حول الشؤون السورية على نحو مقبول .

وقد اختصت الصحافة المصرية وبصورة خاصة (الأهرام) بعرض وجهة نظر السياسة الخارجية والأعمال الداخلية للنظام المصري .

استخدمنا في هذه الدراسة الصحف الموجودة في أرشيف مديرية الوثائق التاريخية بدمشق المصنفة تحت عنوان " صحف سورية وعربية " ولسد الثغرات راجعنا أرشيف الصحف والمجلات اللبنانية في الجامعة الأمريكية في بيروت ، ومجموعات صحف سورية ولبنانية محفوظة في مكتبات خاصة [1] والملخص اليومي لما تنشره الصحافة العربية الصادر في بيروت تحت عنوان "the Arab World"

خامساً : المؤلفات المعاصرة للأحداث : منها المذكرات والسيَر الذاتية لأقطاب السياسة السوريين أو العرب ، ومنشورات الأحزاب ، وأعمال المنظرين الحزبيين والصحفيين المعاصرين ، وكل ما دوّن حول الموضوع من غثٍ وثمين شرط أن يكون الكاتب ممن شاركوا في صنع الحدث أو عاينوه وكتبوا عنه ، ولابد من الإشارة إلى أن معظم هذه الأعمال عبّرت عن مواقع أصحابها وانتماءاتهم السياسية والحزبية والفكرية وانتهاءً بالإقليمية والمذهبية . وعليه استخدمت كرديف للمصادر الأصلية ليس أكثر .

---

(1) – راجع قائمة بأسماء الصحف وأعدادها المستخدمة في هذه الدراسة في قائمة المصادر العربية ص ٥٩٩ – ٦٠٠ .

ب – بلغـــات أخـــرى

– الوثائق غير المنشورة

– وثائق السجلات العامة لوزارة الخارجية البريطانية :

United Kingdom , public record office, London, Foreign office, Syria 371 .

هي مجموعة مـن الرسـائل والتقـارير والبرقيـات المتبادلـة بيـن وزارة الخارجيـة البريطانية وبعثاتها الدبلوماسية في دمشق [1] أو في بيروت وعمان إبان انقطـاع العلاقـات الدبلوماسية بين لندن ودمشق ثم بين لندن والقاهرة : (من آب ١٩٥٦ حتى تشـرين الأول ١٩٦١) .

صنفت هذه الوثائق حسب السنوات إلى مجموعات لكل مجموعة رقمهـا الخـاص وتتضمن وثائق السنة ولكل وثيقة داخل المجموعة رقمها وتاريخها محـدداً بـاليوم والشـهر وأحيانـاً بالسـاعة . استخدمنا فـي هـذه الدراسـة المجموعـات الشـاملة للأعـوام (١٩٤٨- ١٩٦٤) . هذا وإن الجزء الممتد من شـباط ١٩٤٩ حتـى أيلـول ١٩٥٦ ذو أهميـة متميـزة نظراً للدور الفاعل والمؤثر الـذي لعبتـه المملكـة المتحـدة فـي هـذه السنوات فـي سـورية والشرق العربي .

قدمت لنا هذه الوثائق المادة الأكثر فائدة لتحضير هـذه الرسـالة حيـث كشـفت لنـا عن مظـاهر السياسة السورية المعتّم عليها بفعل المعلومات غير الوافيـة عـن الشـخصيات السياسية الرئيسة وواقع المؤسسات السورية وعملها . وكشفت لنا هذه الوثائق بما تضمنته من تقارير سرية متبادلة بين وزارتي الخارجية البريطانية والأمريكية وتلك المتبادلـة بيـن وزارة الخارجية البريطـانية وبعثاتها الدبلوماسية في عواصـم الـدول الأخـرى النقـاب عـن الأوضاع السورية من وجهـة نظـر هـاتين الدولتيـن . وتضمنـت هـذه الوثـائق ثـروة من المعلومات عن الأوضاع السورية بجوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعيـة

---

[1] – كانت البعثة البريطانية مفوضية تحت رئاسة وزير مفـوض . وفـي بدايـة عـام ١٩٥٣ أصبحت سفارة تحت رئاسة السفير البريطاني .

وعن علاقات سورية العربية والأجنبية ومؤسسات الأمم المتحدة والبنك الدولي . ويبقى التقرير السنوي المعدّ من قبل السفير والملحقين العسكري والثقافي أكثرها فائدة إذ يتضمن مسحاً شاملاً وتحليلاً عميقاً لأحداث العام مرفقاً بجدول كرونولوجي لتلك الأحداث .

الوثائق المنشورة في الدوريات التاريخية التالية :

Periodiques historiques	**Abreviation**
- Cahiers de l'orient contemporain, Paris 1946 .	(C.O.C)

استخدمنا الأعداد من ١٩٤٦ إلى ١٩٦٣ .

- Etude mensuelle sur l'economie et les Finances de la Syrie et des pays Arabes. Beyrouth et Damas (1958). (E.F.S.P.A)

استخدمنا الأعداد من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٢ .

- Middle eastern affairs, Newyork (1950) , (M.E.A)

استخدمنا الأعداد من ١٩٥٣ – ١٩٦٣ .

- Middle east economic Papers, Beirut 1954 (M.E.E.P)

استخدمنا الأعداد من ١٩٥٧ – ١٩٦٢ .

- Middle east forum, Beirut (1916) , (M.E.F) .

استخدمنا الأعداد من ١٩٥٠ – ١٩٥٨ .

- Middle east Journal , Washington (1947) (M.E.J) .

استخدمنا الأعداد من ١٩٤٩ حتى ١٩٧٤ .

- Middle eastern studies. Washington (1970) (M.E.S)

استخدمنا أعداد ١٩٧٠ – ١٩٧٧ .

- Orient, Paris, 1957 .

استخدمنا الأعداد من تاريخ صدورها حتى ١٩٦٦ .

– وفّرت لنا هذه المنشورات معلومات قيمة جداً فعدا عن المقالات المعاصرة للأحداث وتلك التي كتبت فيما بعد استناداً إلى مادة وثائقية ، هناك الملاحق الوثائقية المنقولة عن أصول عربية مثل نشرات الإذاعات أقوال الصحف ، البيانات الرسمية ،

وإحصائيات سكانية واقتصادية ، ووثائق خاصة بالأحداث اليومية . هذه المادة التاريخية أتاحت لنا تصحيح وتغطية الثغرات الموجودة في المصادر السورية .

هذه المصادر أسهمت في جعل هذه الأطروحة مدعمة وثائقياً بصورة مقبولة ، وما تزال بعض سمات هذه المرحلة من تاريخ سورية مبهمة لعدم توافر وثائق أساسية لم تفهرس بعد كما في الأرشيف السوري ، أو لا تزال مغلقة أمام الباحث كما في أرشيفات الدول الأجنبية ذات الصلة بتلك الأحداث .

× × ×

أنهي هذه المقدمة بتوجيه جزيل الشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل إما باقتراحه مصادر جديدة ، أو بإبدائه الرأي السديد أو بمراجعة النص بدقة ، وتقديم الملاحظات القيمة . وأخص بالذكر الأساتذة المشرفين على هذه الرسالة : الأب الدكتور لويس بوزيه ، والأب الدكتور جون دونهيو والدكتور أنطوان حكيم والدكتور أفرام البعلبكي . الذين قدموا لي النصح والتوجيه بكل دقة وموضوعية .

كما أتوجه بالشكر إلى الأشخاص الذين قدّموا لي ما في حوزتهم من معلومات تاريخية جاءت من كونهم شاركوا في صنع الأحداث أو عايشوها عن كثب ، أذكر بخاصة اللواء بديع بشور، الأستاذ المحامي هاني البيطار، والعقيد توفيق بشور، وثمة آخرون لم أشر إلى أسمائهم في الهوامش بناءً على رغبتهم ، وأخيراً إلى العاملين في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق والعاملين في المعهد الإفرنسي للدراسات العربية بدمشق (I.F.E.A.D) والعاملين في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت كل شكري وامتناني لما قدموه من عونٍ مهد لي طريق البحث والتنقيب . ولا يسعني أخيراً إلا أن أذكر بتقدير وإجلال القيمين على شؤون أرشيف وزارة الخارجية البريطانية الذين ساعدوني في الحصول على الوثائق الخاصة بهذه الدراسة . وتحية إكبار أخص بها جهود المؤرخين العرب والأجانب الذين ساهموا في إضاءة جوانب عدة من تاريخ بلادي .

مدخل تاريخي :

الإستقلال السوري بمواجهة التحديات الخارجية

مع جلاء آخر جندي أجنبي (١٥ نيسان ١٩٤٦) استكملت سورية استقلالها ، وتحررت من ذلك الإحباط الذي نما وتعاظم إثر سلسلة من الأحداث ،كان أهمها سقوط المملكة العربية السورية وخضوعها للإنتذاب الإفرنسي مدة ربع قرن .

بدت هذه الدولة الفتية واحة من الحرية وسط صحراء غارقة تحت النفوذ المباشر وغير المباشر للدول الغربية ، وذلك بعدما رفض قادة الحركة الوطنية الارتباط بأية معاهدة مع الدولة المنتدبة أو مع بريطانيا [١] .

كانت سورية من بين كل دول الشرق العربي تملك الإمكانيات لتحقيق الإزدهار والتقدم: ثلاثة ملايين موزعة على ١٨٥ ألف كلم٢ . أراضي واسعة خصبة وسهلة الإستثمار ، موقع متميز على مفترق طرق الحضارات القديمة ، جسر يربط العالم العربي الداخلي بالمتوسط ، ازدادت أهميته بفعل الإزدياد الهائل لإنتاج النفط مما جعل من سورية دولة عبور لنفط العراق والسعودية والخليج نحو مرافئ المتوسط [٢] . ومع ذلك كان هذا الكيان السياسي السوري ، كياناً مهتز الأسس يقف على أرضية من الرمال المتحركة ، وكان لابد له كي يصمد ويثبت أن يحقق اللحمة بين فئات الشعب وأن يتحدى الطبيعة

---

(١) - United Kingdom, Public Record office, London, Foreign office, Syria – 371/82742/Report From G. W. Jantange to Furlonge Damascus , June 14, 1950 .
سنشير إلى هذا المرجع اختصاراً بـ : (F. O/371/+reference)

(٢) – F. o/371/82844/ "oil pipelines in Syria" Report From A.M.Williams , 15/3 th /3/1950 .

– وحول هذه النقطة مقال تحت عنوان : " استراتيجية الشرق الأوسط " دراسة بقلم هسنون بولدرين في مجلة الشؤون الخارجية الأميركية " وهو يبحث أهمية المنطقة بالنسبة للموقع الجغرافي والإقتصادي والسياسي والعسكري ، وخاصة بالنسبة للتغلغل الشيوعي عن ، متحف دمشق . مديرية الوثائق التاريخية، وثائق دولة ، مجموعة خارجية ، " قسم تقارير الصحف والمجلات الأجنبية" حافظة رقم /٢/ وثيقة رقم خ/١٠/١٨ ب ص١ – ١٤ .

السياسية للسوريين ذات التوجهات القومية العربية . وقد اصطدم إنجاز تلك المهام بعوامل خارجية ، هي صراع القوى العظمى على النفوذ في منطقة الشرق الأوسط ومطامع الدول العربية في سورية التي ساعدت عليها البنية الهشة للدولة والتوجه التقليدي لبعض المناطق السورية نحو الدول المجاورة .

سنتتبع فيما يلي التحديات الخارجية التي واجهتها الجمهورية كمدخل لدراسة وقائع التاريخ السوري ما بين عامي ١٩٤٦-١٩٦٣ .

النظام العالمي الجديد :

قبل أن تستكمل سورية وحدتها الداخلية كان عليها أن تواجه النظام العالمي الجديد الذي أخذت تتشكل ملامحه في غمار الحرب العالمية الثانية وتمثل في ضعف الإستعمار القديم وصعود الولايات المتحدة إلى مركز قيادة العالم الغربي .

منذ عام ١٩٤١ ، برزت بريطانيا دولة متفوقة النفوذ في منطقة الشرق الأوسط ، وقد تمكنت بسهولة من إبعاد فرنسا المستضعفة عسكرياً عن سورية ولبنان ، وكان على فرنسا أن تحارب متراجعة دفاعاً عن امتيازاتها ووجودها في هاتين الدولتين اللتين خضعتا حتى وقت قريب لسلطتها [١] ، بيد أنه كان على بريطانيا أن تواجه القادم الجديد إلى الشرق العربي ، الولايات المتحدة ، والمنافس الجدي على سيادة النفط والأسواق أولاً ثم النفوذ السياسي [٢] .

---

[١] – كتبت الوزير المفوض البريطاني في دمشق " لقد حققت فرنسا نجاحاً في الحفاظ على وضعها المميز في سورية ، وإن نفوذها بارز وكبير داخل الجيش ، لأنها تقدم السلاح بأية كمية مطلوبة ولأن القادة الضباط قد تم إعدادهم زمن الإنتداب ، ولفرنسا أيضاً نفوذ في البنك السوري وفي حقل التعليم ، ومع أن الإفرنسيين لا يحظون بشعبية إلا أنهم تمكنوا من مد جذورهم ، وهم يصارعون بشراسة أمام أية محاولة من قبلنا أو من قبل الولايات المتحدة لتحلول مكانهم " .

F.O/371/98913,From Montagu-Pollock to A Eden Confidential No3 , 29 th Feb 1952 .

[٢] – إن المعطيات التاريخية حول الصراع على النفوذ مستقاة من المصادر التالية :

- J.C. Hurewitz , the Middle East and the great powers , Cambridge 1951 . cf. his bock the Middle-East dilemmas, the Background of united states policy , Newyork 1953, cf G. Kirk. the Middle-East , 1940 - 1950 , London 1954 . cf. p. Rondot , “Les Etats unis devant l’orient d’aujourd’hui” dans orient No2, 1957 premiere partie 1944-1954, p.19 - -30 cf . M. Colombe , “Essais sur la politique Britannique" dans l’orient arabe (1950

سجلت مناسبة الحرب العالمية الثانية ونتائجها نقطة البدء لتوجهات أمريكية جديدة في الشرق الأوسط الذي لم تهتم به سابقاً إلاّ على صعيد ثقافي وتبشيري ثم إقتصادي من خلال شركات النفط Gulfoil [١] التي كانت تحاول توطيد أقدامها مقابل المصالح البريطانية الموطدة سابقاً ، وفي عام ١٩٤٣ أحكمت واشنطن إشرافها على المصالح النفطية الأمريكية حيث قضت ضرورات الحرب تمركزها في تنظيم عُرف باسم Petroleum reserves corporation [٢] وما إن انتهت الحرب حتى اشتدت المنافسة الأنكلو-ساكسونية في ميدان النفط . أما بما يخص القضايا الخارجية ، فقد كانت واشنطن مهتمة بمستقبل آسيا الشرقية ومهملة لقضايا الشرق الأوسط المعقدة ، وجاء تحرك السوفيات نحو إيران وتركيا ليُخلف آثاراً عميقة إذ كشف عن إرادة الكرملن بالا تترك الشرق الأوسط خاضعاً للنفوذ المطلق الذي مارسه الغرب الأوروبي بعد الحرب العالمية الأولى [٣] وسجل هذا التحرك بداية مرحلة الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي والغربي في منطقة الشرق الأوسط ، وقاد بالتدريج الولايات المتحدة إلى إيلاء هذه المنطقة أهمية سياسية ، ومن ثم دفع الصراع العربي الإسرائيلي حكومة واشنطن إلى تركيز اهتمامها في شؤون العالم العربي .

في عام ١٩٤٥ إبان الحرب مع اليابان منح الملك السعودي الولايات المتحدة حق إقامة قاعدة عسكرية في الظهران ومن ثم دخل الأمريكان في مفاوضات مع الرياض لتسوية النزاع العربي – الصهيوني وأحست واشنطن بمدى صعوبة معالجة مشكلة فلسطين بسبب الضغوط الناجمة عن تعارض مصالح الموالين والمعادين للصهيونية وقد حولت هذه الضغوط مشكلة فلسطين إلى قضية داخلية في سياسة حكومة الولايات

1951)dans orient No24, (1962) p.55-83 .

(١) – الأرامكو شركة مساهمة تضم عدة شركات نفط أمريكية لاستثمار نفط المملكة العربية السعودية وشركة نفط الخليج فكانت تشارك مع الشركة البريطانية نفط الكويت والإمارات الخليجية .

(٢) – هو تنظيم حكومي تشرف عليه وزرات الحربية والداخلية والاقتصادية والخارجية ويتعامل مع الشركات الأمريكية الخاصة . وقد تولى احتكار العمليات النفطية

P.Rondot , Les Etats unis , p.21-22

(٣) – حول السياسة السوفياتية في الشرق في حقبة ما بعد الحرب راجع :

F. Laurent, "l'U.R.S.S. et le Moyen - Orient", dans Orient , No2,195, p.53 - 69 - p.55 - 59

المتحدة[1] ، التي بدأت ما بين عامي ١٩٢٦ و ١٩٤٩ تسير في إتجاه ارتباط أوثق مع قطاعات من العالم الشرق أوسطي ، وقد تطلبت تلك السياسة تحمّل مسؤوليات عسكرية وسياسية جريئة والأهم من ذلك تطلبت الحلول محل البريطانيين الذين كانت سياستهم في نظر الأمريكان قديمة وباطلة وأساليبهم غير فعّالة[2] وتدريجاً وجدت بريطانيا نفسها مجبرة على التخلي عن مسؤولياتها الواسعة انطلاقاً من تركيا[3] حيث لم يكن الأمر معقداً بسبب عدم تمتع بريطانيا هناك باستثمارات اقتصادية ولا بدورٍ سياسي أو عسكري مميز على خلاف الأمر في الشرق العربي حيث بدا الحقل مفتوحاً أمام الصراع على النفوذ بين واشنطن وحليفتها العتيدة [4] .

بدأت التدخلات الأمريكية في العالم العربي في فلسطين وعندما اعترف ترومان في ١٨ أيار ١٩٤٨ بالدولة اليهودية حلت واشنطن محل لندن على أرض فلسطين ثم بدأت التدخلات الأمريكية في مصر وسورية وراحت تشجّع الأفكار التحررية لرد النفوذ البريطاني ، واعتمدت سياسة القروض والمساعدات المالية والتقنية ، ولم تلتفت إلى الطبقة الاجتماعية التقليدية حليفة بريطانيا بل إلى الطبقة الصاعدة طبقة ضباط الجيش ،

---

(1) - J. C. Hurewitz , the Middle-East dilemmas . p.130 - 32 .

(2) - عام ١٩٤٦ صدر كتاب للباحث H. L. Hoskins شرح فيه للرأي العام الأمريكية مدى ضرورة تحمل واشنطن مسؤوليات الشرق الأوسط بدلاً من البريطانيين . والكتاب هو:
The New Era of power politics , foreign policy Ass. Newyork 1946 .

(3) - G. Kirk, the Middle-East .., p.30-34 . cf. p. Rondot, les Etats-unis. p.25-26 .

(4) - كانت فلسطين إحدى النقاط المعقدة التي أرادت بريطانيا إقحام الولايات المتحدة فيها . وفي١٣/١١/١٩٤٥ دخل الأمريكان في لجنة مشتركة لدراسة مشكلة الهجرة ونشرت اللجنة تقريرها في٣٠/٣/١٩٤٦ القاضي بوضع مخطط لاستقلال ذاتي لليهود ، ولما فشلت لندن في التوصّل إلى إتفاق بين العرب واليهود عهدت إلى الأمم المتحدة في ١٤/٢/١٩٤٧ مسألة حل المشكلة الفلسطينية وكان هدفها تحييد دور الولايات المتحدة ولما تبنت الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين بدا واضحاً أن واشنطن لا تريد تحمل المسؤولية العسكرية المباشرة لأنها أحست بمدى إنعكاسات هذه المشكلة على الإستثمارات الأمريكية لنفط البلاد العربية وعليه أعلنت حكومتها أنها غير ملتزمة بدعم مشروع التقسيم عسكرياً ، وأخيراً جاء إعلان بريطانيا إنهاء انتدابها في ١٥ أيار ١٩٤٨ ليدفع واشنطن إلى الإعتراف بالدولة اليهودية . راجع :

G. Kirk, the Middle-East .. , p.205-208 cf. J.C. Hurewitz, the Middle-East and the great powers . p.90 - 102 .

ورأت في الإنقلابات العسكرية أسلم وسيلة لدعم نفوذها والحؤول دون اكتساب السوفيات موطئ قدم في المنطقة وللتصدي لانتشار الأفكار الشيوعية [1] . وقبل أن تصبح الولايات المتحدة مستعدة لتحمل مسؤولياتها في هذه المنطقة استطاعت بريطانيا ما بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥٠ الحفاظ على نفوذها ونجحت في جعل مركزها ثابتاً بالرغم من الرياح والتقلبات والمد والجزر ، وبدأ التراجع الكبير عام ١٩٥١ الذي شهد : تأميم بترول إيران، اغتيال الملك عبد الله ، رفض مصر تجديد معاهدة ١٩٣٦ والإنضمام إلى تحالف قيادة الشرق الأوسط ، إطاحة الشيشكلي بالنظام البرلماني في سورية ، وبعد هذا العام تراجع النفوذ البريطاني أمام النفوذ الأمريكي وانتهى بمأساة عشية أزمة السويس ١٩٥٥ التي سجلت نهاية العصر العظيم الذي افتتحه الكولونيل لورانس قبل نصف قرن .

الصراعات العربية – العربية :

تمشياً مع الخط التقليدي للسياسة البريطانية القائم على تشجيع فكرة القومية العربية المرتبطة بزعامة سلالة حاكمة ، وعلى أمل إقامة حاجز متين أمام السوفيات ، حثت حكومة لندن الحكومات العربية الخاضعة لنفوذها على تنظيم شكل من أشكال الوحدة[2] وسرعان ما تطورت تلك الفكرة إلى صراع على الزعامة العربية بين الأسرة الهاشمية من جهة والكتلة السعودية المصرية من جهة أخرى[3] .

---

(١) – - F. o/1371/91867/ top secret letter NoCIC, dated 19/4/1951/, from general Robertston commander - in - chief . M.E. Land forces .

(٢) – في ٢٩ أيار ١٩٤١ أدلى وزير خارجية بريطانيا أنطوني ايدين بالتصريح التالي " إن كثيرين من المفكرين العرب يتمنون للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر من تلك القائمة الآن .. وهم يتطلعون إلى مساعدتنا للوصول إلى هذا الهدف " Times , London , No 20 , May 30/1941

(٣) – حول الصراعات العربية – العربية راجع :

Maji d , Khadduri , "the Seheme of fertile crescent unity" in "the Near East and the great powers", ed R. N. Frye combridge, harvard univ press (1951), passim . cf. Elie number , the Kedourie" Panarabism and British policy , in political Quarterly special Middle-East 1957 p.137 - 148 .

راجع أيضاً : باتريك سيل ، الصراع على سورية ، دراسة للسياسات العربية بعد الحرب ١٩٤٥ – ١٩٥٨ ترجمة سمير عبده ومحمد فلاحة، دمشق ، دار طلاسدار ١٩٨٣ .

كان الصراع على زعامة العرب يعني الصراع على التحكم في سورية [١] وقد استغل من قبل بريطانيا التي كانت ما تزال تحتل العراق والأردن وفلسطين ومصر وأيضاً من قبل الولايات المتحدة التي كان نفوذها حاسماً في المملكة العربية السعودية ومتزايداً في مصر .

كانت العراق أول من بادر إلى طرح المشاريع الوحدوية ، إذ ما إنفك حلم " سورية الكبرى والموحدة " يداعب أحلام الأسرة الهاشمية منذ أن أفشل الإفرنسيون محاولة فيصل الأولى ، وقد أعيد إحياء المشروع زمن الملك فيصل الثاني بمبادرة من وزيره الأول نوري السعيد الذي قدّم عام ١٩٤٢ مذكرة إلى وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط "Sir Richard Casey" حول مشروع دمج سورية ولبنان وفلسطين والأردن في دولة واحدة مع منح اليهود شبه استقلال ذاتي في فلسطين بضمانة دولية وتوفير الحماية لمسيحيي لبنان وهذه الدولة سترتبط مع العراق في إتحاد يمكن أن تنضم إليه دول عربية أخرى [٢] .

وفي ٨ آذار ١٩٤٣ قدّم الأمير عبد الله الحاكم الهاشمي المفروض من البريطانيين على إمارة شرقي الأردن ، مذكرة إلى الحكومة البريطانية حول إقامة دولة اتحادية مركزية تشمل سورية الطبيعية وتكون على نمط الإتحاد السويسري الكونفدرالي وعاصمتها دمشق ، وطرح عبد الله حلاً لمشكلة اليهود بمنحهم إستقلالاً ذاتياً [٣] ولم يحظ

---

(١) – كتب الوزير المفوض البريطاني في تقريره السنوي عن سوريا عام ١٩٥٠ ما يلي : " إن موقع سورية بين المحور الهاشمي ومحور القاهرة – الرياض جعلها عرضة لمؤامرات المعسكرين التي لم تجلب لها سوى المصاعب " F. o/371/91840/ No. 18137, dated 16/1/1952

(٢) – نشر نوري السعيد المذكرة في كتاب أزرق تحت عنوان : " استقلال العرب والوحدة " بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٤٣ .

(٣) – نُشرت المذكرة تحت العنوان الآتي : " شرقي الأردن ، الكتاب الأردني الأبيض ، الوثائق القومية في وحدة سورية الطبيعية " (عمان ١٩٤٧) راجع أيضاً : الملك عبدالله ، مذكرات (عمان ١٩٤٧) ص٢٥٠ – ٢٥٦. ومن الجدير ذكره أن قضية " مملكة سورية ": قد تبناها المؤتمر السوري عام ١٩٢٠ متنازلاً مؤقتاً عن الدولة العربية الشاملة في آسيا . وهذه المملكة ستضم سورية الطبيعية وستكون عربية اللغة والثقافة . راجع نص القرار الصادر في ٨ آذار ١٩٢٠ في كتاب حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين العربي الفيصلي والإنتداب

عبدالله بتشجيع الحكومة البريطانية آنذاك لأنها رأت في طروحاته ما يزيد في توتر علاقاتها مع فرنسا كما بسبب إنقسام الرأي في لندن حول من ستكون صاحبة القيادة مصر أم الأسرة الهاشمية [1].

هذه المشاريع سرعان ما تطورت إلى خلاف بين الهاشميين والمصريين وأعيدت عقارب الساعة إلى الوراء ووقفت عاصمة الفاطميين بمواجهة عاصمة العباسيين وجهدت كلاهما لفرض الهيمنة على سورية التي أصبحت مستقلة .

على عكس العراق الذي إتخذت فيه فكرة القومية العربية طابعاً وطنياً [2] كان الوعي القومي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين مصرياً وليس عربياً ، وقد أعطت رغبة المصريين في الإستقلال القومية المصرية شكلاً من التفرد والفردية بمواجهة البريطانيين والأتراك والعرب في آسيا . ومن الطبيعي ألاّ يتجاهل العقائديون المصريون روابط اللغة والدين والتقاليد مع شعوب شرق السويس لكنهم لم يعدوها رابطاً قومياً بل أشبه بالعلاقة بين شعب الولايات المتحدة والشعب البريطاني [3] . ولم تنضم مصر إلى عالم العروبة إلاّ عشية الحرب العالمية الثانية وبتأثير من رجال بلاط الملك فاروق لا إيماناً بالإنتماء القومي بل ولأن فكرة القومية العربية التي رفع لواءها القوميون في القرن العشرين ودعوا إلى إقامة دولة عربية مستقلة عن العثمانيين من الخليج حتى السويس ومن

الفرنسي ١٩١٥ - ١٩٤٦ . (بيروت دار صادر ١٩٧٢) ص ١٤٠ - ١٤٣ . راجع أيضاً : ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، (بيروت ١٩٤٧) ص ٢٣ . ومثل هذه الفكرة كانت في صميم برنامج الحزب القومي السوري الإجتماعي الذي ناضل لإقامة الكيان السوري على أرض سورية الجغرافية .

(١) - حول موقف السياسة البريطانية من هذه المشاريع راجع :
Elie Kedourie "Panarabism and British policy" , p.140 cf. J.C. Hurerwitz, Middle-East dilemmas .., .. p.125 - 132 and his book , diplomacy in the Near and Middle-East a documentary record 1914 - 1956 , princeton N. Y (1955) p.7 , 236 - 237 .

(٢) - حول سياسة العراق العربية التي سارعليها الملك فيصل وخلفاؤه راجع:
M. Khadduri, : "the Scheme of fertile crescent" p.136 - 37 . cf. E. Kedourie , panarabism .. , p.137 - 148 .

(٣) - Eliezer Be'eri , Army officers in arab politics and society , (Newyork , London 1970), P.376-377.

المتوسط حتى بحر عمان لم تعد الآن تشكل تهديداً لمصر كما كان عليه الأمر عشية الحرب العالمية الأولى [1] .

ما إن أصبحت مصر عربية حتى قامت تعارض أي تعديل أرضي على الوضع الراهن في سورية ، وراحت تعمل جاهدة على إبقاء الهاشميين داخل حدودهم . ورأت في مشاريع " سورية الكبرى " والهلال الخصيب " مشاريع مُخِلَّة بالتوازن القائم هدفها جمع الأجزاء المشتتة من سورية حول العرشين الهاشميين [2] . وكانت سورية تعني لحكام مصر في الأزمنة القديمة كما في العصور الإسلامية الحصن الذي يحمي استقلالهم والعظمة التي يتطلعون إليها . وعليه كانت السيطرة على هذا الحصن أو منع وقوعه في أيدي حكام بلاد الرافدين من أولويات السياسة المصرية .

في تموز ١٩٤٣ افتتحت في القاهرة المباحثات حول الوحدة العربية وبدلاً من مملكة عربية موحدة قامت جامعة تضم الدول العربية ذات السيادة [3] . وجاء التوقيع

---

[1] – نظرت مصر بعين الحذر إلى المشاريع التي هدفت إلى تجزئة الدولة العثمانية لأنها عدّتها خشبة خلاصها للتحرر من السيطرة البريطانية . وكانت تشعر دائماً أنها مسلمة وأن لها هوية خاصة مميزة ضمن إطار ثقافة إسلامية ..راجع : M. Colombe , l'Evolution de l'Egypte 1924 - 1950 Paris (1951) p. 160-184 . وبدورهم رفض القوميون العرب الأوائل اعتبار الشعب المصري شعباً عربياً. وقد كتب نجيب عازوري قائلاً " ان المصريين من العرق البربري الإفريقي وقد تكلموا قبل الإسلام لغة لا تمت إلى العربية بصلة راجع كتابه :

Le Reveil de la nation arabe dans l'Arsie Turque, (Paris 1905) p.2116 .

كذلك كانت نظرة عرب آسيا في الثلاثينيات من القرن العشرين فقد عدّوا مصر دولة غير عربية ولامشمولة في إطار الدول التي تشكل دولة عربية موحدة راجع : صلاح الدين الصباغ ، الفرسان الأربعة في العراق (دمشق ١٩٥٦) ص ١٤٢ . وحول هذه الفكرة راجع :

M. Khadduri , Independant Irak , 3eme ed, London 1960.

[2] – - F.O / 371 / 82782 "Syria-Annual Review for 1949" confidential No 8,dated January 18/1950

[3] – في شهر تموز عام ١٩٤٢ ، بدأت المشاورات بين مصطفى النحاس ونوري السعيد ثم شارك فيها توفيق أبو الهدى رئيس وزراء إمارة شرقي الأردن ، وعرض نوري السعيد أفكاره حول أهمية قيام إتحاد بين الدول العربية وألح أبو الهدى على ضرورة إنشاء سورية الكبرى كأساس للدخول في تعاون مع باقي الدول العربية وأكّد أنه لن يكون هناك خلاف حول نظام جمهوري أو ملكي بمعنى أن الأمير عبد الله كان على إستعداد لخلع عمامة الإمارة ليصبح رئيساً للجمهورية السورية وقد استبعد

على ميثاق تشكل جامعة الدول العربية ليسجل أول نجاح لمصر على صعيد العالم العربي، فقد أصبحت هذه المؤسسة أداة السياسة المصرية لاحتواء مخططات الهاشميين لإبتلاع جارتهم سورية ، وقد عمدت مصر إلى إجبار حكام العراق على التقيد ببنود ميثاق (٢٢ آذار ١٩٤٠) الذي نص على إحترام الوضع الحدودي الراهن ، بينما عمل حكام العراق حثيثاً على إعادة مصر إلى داخل حدودها الطبيعية وإبعادها عن عالم عربي دخلته حديثاً ، وتحولت جامعة الدول العربية إلى حقل ملغم تعارضت داخل أروقته وبعنف مطامع مصر والعراق [(١)] . وفي هذا الصراع على النفوذ كانت مصر تحقق النجاح تلو الآخر وتوصلت من دون صعوبة إلى سدّ أبواب دمشق في وجه الهاشميين وساعدتها على ذلك المملكة العربية السعودية ، عدوة الأسرة الهاشمية ومن ورائها الولايات المتحدة .

وفي خضم هذه المنافسات وجدت القاهرة في سورية نفسها تجاوباً كبيراً ، وتسهيلات هامّة . فقد عمل قادة سورية جاهدين للحفاظ على كيانها وعلى نظامها الجمهوري ، ورفضوا المرة تلو الأخرى كل شكل من أشكال الدمج مع جيرانهم الأقربين. ان سورية هذه التي عدت نفسها قلب العروبة النابض [(٢)] وكان إنتماؤها للأمة العربية أقوى من ارتباطها "بسورية المعاهدات " التي رسم الحلفاء حدودها كيفياً بين عامي ١٩١٤ – ١٩١٨ ولم تتخذ شكلها المستقر إلا بعد مضي أكثر من عشرين عاماً ،

المشروعان في المباحثات التي جرت ما بين تموز وتشرين الأول مع باقي ملوك ورؤوساء الدول العربية والتي نجم عنها بروتوكول الإسكندرية (٧ تشرين الثاني ١٩٤٤) ثم ميثاق الجامعة (٢٢ آذار ١٩٤٥) حول هذه المشاورات راجع : الجامعة العربية ميثاقها ونبذة تاريخية عنها ، (القاهرة ١٩٤٧) وصحيفة الحياة ، بيروت ، أعداد ٣١ آذار و١٤ نيسان ١٩٤٥.

(١) – - F.o / 371 / 82782 / A Report From Broodmead to M.C. Neil , January 13 / 1950 .

(٢) – حول تطور حركة القومية العربية في سورية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر راجع: Ermest Dawn, "the Rise of arabism in Syria" , in Middle-East Journal , No16, 1962, p. 160 - 173.cf. Sylvia Haim , Arab Nationalism , an Anthology (Los Angeles 1964) . p.50 - 674 cf.

ألبرت حوراني – الفكر العربي في عصر النهضة ١٩٨٠ – ١٩٣٩ (بيروت – ١٩٧٧) ص٣١٢ – ٣٧٧ .

هذا ولم يهتم الوعي القومي السوري ولا الحركة الوطنية بتلك الأطر التي عملت داخلها ، فقد كان من المعلوم أنها سوف تتمزق ذات يوم . بيد أن ربع القرن هذا من الإنتداب الإفرنسي صنع من سورية المعاهدات حقيقة خاصة ومتميزة(١) ووحدة سياسية في ظل نظام جمهوري برلماني تمركز في العاصمة دمشق ذات التاريخ المجيد والأهمية العالمية، وداخل هذا النظام تشكلت طبقة الحكام والمستشارين والقضاة كما تشكلت الطبقة الأهم وهي " طبقة ضباط الجيش التي تربت على فكرة الإنتماء لتلك الجمهورية التي نشأت في ظلها وعارضت بعنف كل مشاريع الضم " (٢) .

كذلك كان السياسيون الذين تولوا السلطة ما بين عامي ١٩٤٣ – ١٩٤٩ ضنينين بهذا الكيان الذي ناضلوا لجعله موحداً ثم حراً وبذلك الإستقلال الذي بنوه بصعوبة . تلك هي أفكار الكتلة الوطنية كما عبَّر عنها شكري القوتلي " أنا بطلُ الجلاء – والمسؤول الأول عن هذه الأمة .. نحن ما نزال في معركة مع اليهود .. والعراقُ ومن ورائه الإنكليز يطمعون ببلادنا ويسعون لإقامة عرش لعبد الإله .. والملك عبد الله لا يزال يحوك المؤامرات على بضعة كيلومترات من حدودنا .. ليصنع لنفسه عرشاً في عاصمة معاوية .. لا نقبل . إذا ما أراد توحيد سورية وشرقي الأردن فلتكن جمهورية عاصمتها دمشق .. ولا مكان لعبد الإله في سورية ... أنا هنا أدافع عن استقلال سورية ولو بقيت وحيداً .. (٣) " . ومع أنه برز نوع من تعارض في موقف رجال الكتلة من مسألة الإتحاد مع العراق ، بيد أنه من المؤكد أنهم لم يضعوا قط ضمن أولوياتهم إعادة مملكة فيصل ووضع دمشق تحت سيطرة بغداد ، لأن عوامل الإختلاف كانت عميقة منها تلك الذكريات القديمة للصراع التقليدي بين دمشق الأموية وبغداد العباسية وأيضاً لأن كل إتحاد مع العراق مرتبط بتحقيق " هلال خصيب " ستكون عاصمته على ضفاف الدجلة وستكون الأرجحية فيه للعراق على الصعيد العسكري والإداري والسياسي، وعليه كانت الطبقة

---

(١) - P.Rondot, "Tendances particularistes et tendances unitaires en Syrie".ds "orient"– No5, 1958 p. 135 - 178 , p. 140 - 142 .

(٢) - - F. O/ 371 / 75560 / Doc N0 237 / dated 18/5/1949 .

(٣) - نقلاً عن خالد العظم ، مذكرات ٣ أجزاء (بيروت ١٩٧٣) ج١ ، ص ٣٦٨ – ٣٦٩ .

الحاكمة في سورية ضنينة بمكاسبها الإقليمية وحذرة من هذا المشروع[1]. أما بالنسبة لأطماع الملك عبد الله فقد كان الرأي العام السوري يرى أن الأردن مقاطعة سورية يجب أن تحكم من دمشق وبشروط دمشق فهي ليست أكثر من دولة قبلية متخلفة وتابعة للبريطانيين [2] .

يبدو أن المشاريع الهاشمية لاقت قبولاً لدى بعض القطاعات من المجتمع السوري من الأقليات الدينية والطائفية والبدو وانعكس الصراع على سورية صراعاً داخل سورية أثر سلباً على استقرارها وسلامها الداخلي [3] ، وراحت تهتز مرة تلو الأخرى بفعل مؤامرات سيد الأردن الذي ازدادت طموحاته لتولي السلطة في دمشق عندما أصبح ملكاً ونال استقلاله وصار على قدم المساواة مع ملكي القاهرة وبغداد [4] .

---

[1] - P. Rondot , Tendances particularistes .. , p. 137 - 142 .

[2] - ورد في وثيقة من وثائق وزارة الداخلية السورية ما يلي : " لو نشطت كل الدعايات ولو بذلت العطايا فإن تحقيق مشروع سورية الكبرى بعيد جداً ، فليس هناك أغلبية ساحقة من رجال الدولة تؤيده ، ولا بد من ثورة شاملة تمكن البريطانيين من التدخل وإعطاء سورية لقمة باردة إلى الملك عبد الله " مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق مجموعة وزارة الداخلية ، قسم " مشروع سورية الكبرى " حافظة رقم ٤ وثيقة رقم د٣/٢٠/١ ، تاريخ ١٩٤٧/٩/٢ .

[3] - م . ن ، مجموعة وزارة الداخلية ، قسم " الأحزاب السياسية . تاريخ ١٩٣٩ - ١٩٥١ ، وثيقة رقم ١٠ تاريخ ٤٧/٨/٧ ، ورقم ٢٢ تاريخ ٥١/٧ ورقم ٢٦ تاريخ ٥١/٩ .

[4] - إن أول أعمال السياسة البريطانية بعد الحرب قبول طلب الإستقلال الذي أعده الملك عبد الله. وفي ٢٢ آذار ١٩٤٦ تمَّ إنهاء الإنتداب والتوقيع على معاهدة تحالف وصداقة بين عمان ولندن . وأصبحت الإمارة مملكة الأردن الهاشمية وزودت بدستور وتوج عبد الله معاً . حول نص المعاهدة راجع : C. O. C , 1946 , p 147 - 152 .

- ومنذ صيف ١٩٤٦ راح عبد الله يوجه دعوة صريحة إلى السوريين لتحقيق مشروع سورية الكبرى . وبعد أن أثيرت القضية في مجلس النواب السوري (جلسة ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٦) وهاجم النواب المشروع رُفعت القضية أمام مجلس الجامعة العربية وأصدرت اللجنة السياسية ، إثر اجتماع عُقد بين ٢٥ و ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٦ ، بياناً أكد على التمسك بالمادة ٨ من ميثاق الجامعة، التي نصت على إحترام كل دولة للنظام القائم في دول الجامعة . للتوسع حول هذه المسألة راجع: " ١٧ آب ١٩٤٣ - ١٩٤٧ . أربع سنوات من العهد الوطني . " أنشأه وجمع وثائقه هيئة من الكتاب المؤرخين . دمشق ١٩٤٧ ، ص٣٢٥ - ٣٥٠ .

جاء الصراع على فلسطين ليجدد الصراع على سورية وليزيد من تعقيدات وضعها الداخلي ، فعندما واجهت جامعة الدول العربية الدافع الصهيوني لإنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين تعهدت الجامعة أن تصون وحدة فلسطين ، وفي أيار عام ١٩٤٦ إقترحت خطة لدولة فلسطين موحدة ومستقلة يتساوى فيها المواطنون العرب واليهود الذين مضى على إقامتهم عشر سنوات وتُصان هوياتهم الدينية وخصائصهم الثقافية ، ولما أيَّد الرئيس الأمريكي ترومان في آب ١٩٤٦ مقترحات الوكالة اليهودية لإنشاء دولة يهودية شاملة لـ ٧٥ ٪ من فلسطين ، إستنكرت الجامعة هذه الفكرة ، ولما تبنت هيئة الأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين (٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧) [١] أذاع قادة الدول العربية ، تحت ضغط الرأي العام العربي ، بياناً في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٧ استنكروا فيه القرار وأعلنوا العزم على مقاومته بجملة من المقررات التي لم تنفذ بأكثريتها وكانت دون مستوى المشكلة . وفي الواقع فإن رغبة غالبية أعضاء الجامعة العربية في الحفاظ على علاقات جيدة مع لندن وواشنطن جعلت من غير المجدي القيام بعمل عربي مشترك للحؤول دون تقسيم فلسطين [٢] .

أجّجت المشكلة الفلسطينية مطامع الملك عبد الله في سورية ، ولما كان مؤيداً لقرار تقسيم فلسطين الذي يتيح له إلحاق القسم العربي بمملكته كخطوة أولى نحو حلمه " سورية الكبرى " راح يشدد الضغط على الحكومة السورية ، فنشر في ٤ آب ١٩٤٧ بياناً خاطب فيه "الأقاليم السورية " و "الشعب السوري " داعياً إلى وحدة أو إتحاد وجند لذلك شبكة من الموالين من قادة الأقليات من الدروز والعلويين[٣] ومن الأكراد والقبائل البدوية

---

[١] - تبنت قرار تقسيم فلسطين ٣٣ دولة وعارضته ١٣ دولة وامتنعت ١٠ دول عن التصويت . وقد أعطى القرار الدولة اليهودية أكثر من نصف فلسطين مع أنهم كانوا يملكون ٧ ٪ من الأراضي وضمت الدولة اليهودية مليون نسمة منهم ٥٠٩،٧٨٠ مواطن عربي و ٤٩٩،٠٢ يهودي . ودولة عربية ضمت ٧٢٥ ألف نسمة . راجع :

Report of sub-commitee 2 , U N Doc . A/AG. 14/32, cite par, Tabitha petran , Syria , London 1972 , p 94 .

[٢] - للإطلاع على هذه التفاصيل راجع: G. Kirk, the Middle-East, p 206 - 270

[٣] - اتهمت الحكومة السورية الملك عبد الله بأنه شجع سليمان المرشد على التمرد لفصل جبل العلويين عن سورية فجردت حملة ضده واعتقلته وأعدمته في تشرين الثاني ١٩٤٦ . حول تفاصيل

المتمركزة على طول الحدود السورية – الأردنية والعراقية . وراح أنصاره يصطادون في المياه العكرة في درعا والسويداء وقرى جبل الدروز والبوكمال ودير الزور والرقة والجزيرة [١] ، وعمت في تلك المناطق ذات النزعات الإنفصالية أجواء القلق والتململ ووصلت الأمور إلى حدِّ التمرد على حكومة دمشق وطرد الإداريين ورجال الأمن كما في منطقة جبل الدروز ، ولم تنجح محاولات الحكومة في إضعاف قوة آل الأطرش زعماء الدروز ، واستمرت تلك العشيرة المؤيدة للهاشميين تقاوم الحكم المركزي وجاء قرار حكومة دمشق إغلاق منطقة الجزيرة أمام الأجانب ليؤكد على استمرار التوتر [٢] . وقد أشارت التقارير الأمنية الواردة إلى وزارة الداخلية إلى دور العملاء الإنكليز المحليين في إثارة تلك المناطق ضد الحكم المعارض لمشاريع الإتحاد [٣] . هذا وقد أصدر مجلس النواب المنتخب حديثاً أول بيان له في ٢٠ أيلول ١٩٤٧ نوّه فيه بمشروع "سورية الكبرى " وقد صوت النواب بالإجماع على إدانة مشروع " تتستر وراءه مطامع شخصية وأغراض صهيونية وقيود إلزامية تمس سيادة واستقلال ونظام الحكم

قضية سليمان المرشد راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الداخلية ، حافظة رقم /٣/ قسم " سليمان المرشد " تقارير رقم د/١٥/٣٥/ .

[١] – م . ن ، قسم " مشروع سورية الكبرى " حافظة رقم / ٤ / تقرير مكتوم من محافظ حوران د / ٢٠ / ٧ تاريخ ٩ / ٩ / ٤٧ / وتقرير من قائمقام الجولان حول كثرة القادمين من شرقي الأردن والذاهبين إليها خلسة للدعاية لمشروع سورية الكبرى ورقم د / ٢٠ /٥ تاريخ ١٢ / ٩ / ٤٧ تقارير من البوكمال حول تزويد رؤساء العشائر والموظفين السوريين بتعلمات من عمان وبغداد للدعاية لمشروع سورية الكبرى ثم وثيقة رقم د / ٢٠ / ٣ / تاريخ ٤٧/٨/١٩ و ٤٧/٨/٣٠ .

[٢] – ورد في تقرير مدير مديرية العشائر في محافظة الجزيرة ما يلي : "إن الناس هنا منقسمة إلى قسمين قسم يعمل لمشروع سورية الكبرى عن إيمان وعقيدة وهم جماعة الإخوان المسلمين وقسم يعمل للمادة ويشمل شيوخ العشائر ، وأتمادى بالقول إن الكفة راجحة بجانب الملكية والوضع دقيق في البوكمال والرقة ودير الزور " م . ن ، وثيقة رقم د/٢٠/٦ تاريخ ٤٧/٩/٢ .

[٣] – راجع م . ن . وثيقة رقم د/٢٠/١ في ٤٧/٤/٥

القائم في سورية " [١] ، ورغم أن مشاريع الملك عبد الله لم تلاقِ صدىً لدى غالبية السوريين بيد أنه لم يتراجع عن حوك المؤامرات ضد الإستقلال السوري حتى مصرعه .

تجدد الصراع على سورية بعد الحرب الفلسطينية ، ومع عودة نوري السعيد إلى رئاسة الوزارة في ١٩٤٩/١/٦ الذي اقترح على الدول العربية حلاً للمشكلة الفلسطينية في إطار تنظيم المشاكل العربية – العربية والعربية – البريطانية العالقة ، ورأى رجل الدولة العتيد أن على العرب التحالف مع الغرب وإقامة إتحادٍ بين دول " الهلال الخصيب " يوضع تحت رئاسة الملك فيصل الثاني يساعده مجلس أعلى يضم الملك عبدالله [٢] والوصي عبد الإله ورئيسي الجمهورية اللبنانية والسورية ، وممثلين عن الإسلام واحد سنيّ وآخر شيعي والبطريرك الماروني ، وإن تحقيق هذا الإتحاد ضرورة قومية لمواجهة خطر الدولة الصهيونية [٣] .

لاقت أفكار السياسي العراقي قبولاً لدى الحزب الوطني وحزب الشعب ، الحزبان السوريان المنشقان عن الكتلة الوطنية . كذلك أيَّد حزب البعث المشروع مع بعض التحفظات [٤] . وجاء انقلاب ٣٠ آذار ١٩٤٩ ليزيل مؤقتاً الرياح عن أشرعة

---

(١) – راجع م . ن ، قسم مشروع سورية الكبرى ، وثيقة رقم ١٣/٢٠/٢ ، تاريخ ٤٧/٩/٢٩

"وللتوسع حول ردود فعل حكومات الدول العربية : لبنان والسعودية ومصر المستنكرة لبيان الملك عبد الله راجع : ١٧ آب ١٩٤٣ – ١٩٤٧ أربع سنوات من العهد الوطني، ص ٣٣٣ – ٣٣٦ .

(٢) – من الجدير ذكره أن الملك عبد الله لم يكن يحبذ وحدة سورية مع العراق لتعارضها مع مشروعه "سورية الكبرى" . راجع :

F.o / 371/ 827 82 / . Cofidential No (1790)/ dated 13 th . January 1955.

(٣) – راجع الترجمة الفرنسية للنص في : C.O.C 1949 , p.40

– وللتوسع حول مقولات مشروع نوري السعيد راجع كتاب : " الإتحاد السوري العراقي والضمان الإجتماعي " محاضرة ألقاها فخامة السيد نوري السعيد في قاعة الملك فيصل في بغداد في ٦ آذار ١٩٥٠ ، طبعت ونشرت في ٢٢ صفحة في (مطبعة الكاشف ، بيروت ١٩٥٠) .

(٤) – زار وفدٌ من حزب الإستقلال العراقي مكتب حزب البعث ، وطرح قضية الإتحاد مع العراق وأعلن أنه يحمل وثيقة موقعة من الحزبين الكبيرين في سورية : الشعب والوطني .. يعلنان فيها موافقتهما على الإتحاد . وطالب الوفد حزب البعث التوقيع على الوثيقة لتكون مرتكزاً لإثارة القضية على الصعيد الدولي بحجة أن السوريين على إختلاف أحزابهم قد وافقوا عليها . وكاد بعض القادة يوقعون وامتنعوا في اللحظات الأخيرة بسبب معارضة الجيش السوري لفكرة الإتحاد . وكان

سفينة الهلال الخصيب ، ومنذ ذلك التاريخ لم تعد لندن منقسمة الرأي حول من ستكون زعيمة العالم العربي بغداد أم القاهرة ، وبدأت تتجه إتجاه الحذر من القاهرة واندفعت في إعتمادها على ولاء الأسرة الهاشمية ورأت أن صداقتها مع بغداد وعمان أشد صلابةً من صداقتها مع القاهرة ، وأن بإمكانها استخدام العراق لمدِ نفوذها على سورية لمواجهة النفوذ الفرنسي الذي ما يزال قوياً في هذه الدولة . ومعارضاً بعنف لمشاريع الإتحاد التي سعى إليها عملاء لندن المحليون ، كذلك عدت وزارة الخارجية الأمريكية هذه المشاريع غير حكيمة وأنها تزيد من تأزم الوضع الداخلي السوري ، وعليه إصطفت إلى جانب مصر والسعودية ، أي إلى جانب السياسة المعادية لمشروع الهلال الخصيب [١] .

" إثر هزيمة فلسطين بدأت سورية تلتفت نحو العراق وسعت إلى التعاون الوثيق معه . وذلك بسبب الإحباط الناجم عن موقف جامعة الدول العربية . ولاعتقاد السوريين أن العرب سيخسرون كل فلسطين إذا لم يتحدوا . بيد أن المحاولة لم تُثمر وكان للقطاعات العسكرية الدور الأول في إحباطها .." [٢] جاء انقلاب حسني الزعيم كثمرة أولى

بعض أعضاء الحزب قد ارتبطوا بصداقات مع هؤلاء الضباط . وقد أصدر حزب البعث بياناً حول الإتحاد السوري العراقي ، أعلن فيه أنه موافق من حيث المبدأ ، ورافض في نفس الوقت نظراً للقيود التي تربط العراق بالبريطانيين . راجع : جلال السيد ، حزب البعث العربي ، (بيروت ١٩٧٣) ص ٦٧ - ٦٤ .

(١) – أوضح السكرتير الأول في المفوضية البريطانية بدمشق في تقريره حول أوضاع سورية عام ١٩٤٩ مدى أثر فكرة الإتحاد مع العراق على سياسة سورية الخارجية قائلاً " إن علاقة سورية مع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة تعكس بشكل عام علاقاتها مع الأسرة الهاشمية . وقد كانت جيدة مع بريطانيا قبل إنقلاب الزعيم وتحولت نحو فرنسا والولايات المتحدة في ظل حكم الزعيم وتدهور رصيد بريطانيا بسبب شكوك حسني الزعيم من وقوف بريطانيا سراً وراء مشروع الهلال الخصيب .. ثم جاء الإنقلاب عليه ليغير الوضع لصالح بريطانيا .. وقد لامت الحكومة السورية فرنسا والولايات المتحدة لمعارضتهما مشروع الإتحاد مع العراق . وبعد عدة أشهر اختلف الوضع وأصبحت الوحدة السورية العراقية خارج الصورة." F.O/371/82 782/ From to MC Neil, confidential No 8, 9 th /1/1950.

(٢) – - Op. cit , From Broadmead to Mc. Neil , 13 th 11/1950 .

للسياسة الأمريكية الجديدة المعادية للإتحاد مع العراق [1] فقد متَّن هذا القائد العسكري علاقات سورية مع الحلف المصري – السعودي بعد مغازلة قصيرة الأمد مع العراق ، وقد أطيح بنظامه في إنقلاب ثانٍ مهندس من العراق ومدعوم من البريطانيين ، وحاول سامي الحناوي قائد الإنقلاب الجديد جرَّ سورية إلى مخيم الهاشميين ، وعندما طُرحت مسألة الإتحاد مع العراق في المجلس النيابي السوري ، طرد أديب الشيشكلي الحناوي ووضع حداً نهائياً لأفكار الوحدة العراقية – السورية واستعادت واشنطن حجم نفوذها وتمَّ أيضاً إرضاء الإفرنسيين فقد كان قادة الإنقلاب من ضباط " القوات الخاصة " التي تشكلت في ظل الإنتداب وعُرفت بولائها للخط الإفرنسي وبشدة عدائها للبريطانين [2] . ومنذ ذلك التاريخ غيرت بريطانيا موقفها من مسألة الإتحاد مع العراق واصطفت إلى جانب الحكومة الأمريكية في تأييد الحكم العسكري لمواجهة خطر إنتشار الأفكار الشيوعية في سورية [3] ، وبهذا الصدد ذكرت إحدى الوثائق البريطانية السرية ما يلي "إننا والأمريكان مهتمون بشأن إحلال الإستقرار في سورية " فسورية هي مفتاح العالم العربي واستقرارها الداخلي أساسي لاستقرار الشرق الأوسط ، وأن سورية من بين كل الدول العربية تنتهج سياسة معادية للبريطانيين وسيكون للشيوعية دورٌ أولي فيها ما لم يحدث تحسن في مستوى حياة الشعب " ... " وإن أهم الطرق لمساعدة سورية هي في دفع عجلة نموها

---

(١) – كشف Miles Copeland الدور الأمريكي في التدبير لانقلاب الزعيم وكان Copeland من الفريق العامل في المفوضية الأمريكية بدمشق منذ عام ١٩٤٥ . وعندما نشر كتابه أزال الشك الذي لازم السوريين طويلاً حول هذه النقطة . راجع كتابه :

The Game of Nations , London 1969 , p. 40 - 45 .

(٢) – لقد كان ضباط الجيش السوري يخافون من أن يؤدي الإتحاد مع العراق إلى ابتلاعيم من قبل القوات العسكرية العراقية الأقوى عدة وعدداً .. وعليه نظروا بعين الحذر إلى موقف البريطانيين المؤيد للأسرة الهاشمية الحاكمة في العراق

F.O/371/82782, Confidential No17907 dated January /13/1950.

" لقد استمر الجيش السوري يغذي شكوكه بالتحركات البريطانية ويرفض التعاون مع العملاء البريطانيين متهماً إياهم بأنهم حرموا الجيش من الأسلحة والتجهيزات في وقت كانت فرنسا تقدم للسوريين ما يطلبونه من معدات عسكرية والهدف من ذلك وسم سورية بأنها منطقة نفوذ فرنسية "

F.o/371/91840/ confidential No18137. dated 6/1/1951.

(٣) – راجع التقرير المعدّ من I.R.D. تحت عنوان "Syria and communism" في :

. F.o/371/82792/ dated 14 5h June , 1950

الإقتصـادي .. ولقد شجعنـا وزارة الخارجيـة الأمريكية لتقديم المساعدات المالية والتقنيـة لسورية .. ومن جهة أخرى علينا تقديـم المسـاعدات لهذا البلد وألاّ تغـامر بـترك السـاحة حرة للأمريكان .. فنفقد بالتالي نفوذنا .. ومن جهة أخرى فإن سورية نفسها قلقة في تـرك ذاتها تعتمد كلياً على مساعدات الولايات المتحدة " وعليه سنرحب بقبول طلـب السـوريين في مساعدتهم لنمو اقتصادهم " [١] .

وقد راح البريطانيون يدعون إلى التعاون بين القوى الغربية الثلاث للحفـاظ علـى الإستقلال السوري" والإستقرار الداخلي من أجـل هـدف الدفـاع عـن الشـرق الأوسـط .. " والذي أتهمت فرنسا أنها غير مهتمة به وأنها منغمسة في إقامة وضع مميز لها في سورية خاصة لدى ضبـاط الجيش السـوري [٢] ، هـذا الجيش الـذي اقتحـم المسـرح السيـاسي مدافعـاً عـن الإسـتقلال السـوري والنظـام الجمهـوري . هـذا الجيش قـد اخترقتـه أيضـاً الصراعات العربية – العربية كما اخترقت الجماعات السياسية المنافسـة لـه علـى السـلطة وساهمت في إفساد الحياة السياسية السورية .

---

(١) - F.o/371/ 41864/ From Bower to sir Jams Grombie . top secret 13 May 1051.

(٢) - Op. cit /91867 dep from sir Oliver Harvey. No 233. dated 19 th May, "on the subject of co peration with the french in Syria" to war offie .

القسم الأول

سورية ما بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٤٩

الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية

الفصـــل الأول

=============

خصائص المجتمع السوري

تمهيـــد :

واجهت سورية المستقلة حديثاً أهم مشكلة خلّفها لها التـاريخ ، وهـي مشكلة بنـاء مجتمع متلاحم يلتزم أفراده بانتمائهم إلى هذه الدولة، وكـان إنجاز تلك المهمة يتطلب الوقت والتخطيط والمنهج السليم .

عندما أصبحت سورية دولة ذات كيان واضح المعالم لم تكن قط قد أصبحت دولة أمة ذات مجتمع سياسي مترابط ومتماسك ، كـانت سـورية كياناً سياسياً ولم تكن مجتمعاً سياسياً [١] فقد اتصف المجتمع السوري بأنه مجتمع تعددي شاعت فيه إنقسامات عرقية ودينية وطائفية وعشائرية ، كذلك وجدت فيه شروخ بين سكان المدن والأرياف وبين الحضر والبدو وحتى بين المدن الكبرى [٢] وتباين عميق بين الطبقات الإجتماعية .

أفرزت هذه التعددية قيام ولاءات متعددة على حساب الولاء للدولة لعبت دوراً لا يمكن إهماله في كل دراسة للتاريخ السوري المعاصر [٣] وقد تضافرت لذلك عدة عوامل هي : تراث الماضي ، وتطورات تاريخية حديثة ، وبنية المجتمعات الإقتصادية ، وظهور

---

(١) - Moshe Ma'oz , "Attempts at Ceating a political community in modern Syria"in MiddleEast Journal ,vol 26, 1972, p. 389 - 404 , p. 38, 397 .

(٢) - إن المثال الساطع لهذه الظاهرة هو الصراع بين دمشق وحلب أكبر المدن السورية ومركز الصناعة والتجارة . وقد قاومت حلب تسلط دمشق على السياسة في عهد القوتلي وذلك من خلال حزب الشعب الذي استمد قوته من تجار حلب ورجال أعمالها وهؤلاء كانوا من دعاة الإتحاد مع العراق عكس سياسة القوتلي المتضامنة مع السعوديين والمصريين . راجع :
F.o /37/82782/ Report on Syria of the Year 1949 dated the 19/1/1950 . cf . New york times , May 27 , 1956 .

(٣) - حول دور هذه الولاءات على مسرح السياسة السورية الداخلية راجع الدراسة التالية
N.Van Dam, the Struggle for power in Syria , Sectarianism , Regionalism and tribalism: in politics, 1961 - 1978. London (1979) p.19 - 21 .

العقائد الجديدة ، وسارت في إتجاه ديمومة الولاءات الضيقة على حساب الولاء للوطن في هذا البحث سنحلّل هذه العوامل التي شكّلت الملامح الأساسية للمجتمع السوري ثم سنستعرض الجغرافيّة البشرية لهذا المجتمع بسبب الدور المحوري الذي لعبته في هذه الحقبة من تاريخ سورية كما ستظهره دراستنا اللاحقة .

المجتمع السوري في تطوره التاريخي :

١ – شكلت سورية جزءاً من المنطقة التي قامت عليها الديانات التوحيدية الثلاث، ومنذ الفتح الإسلامي غلب على المنطقة الطابع الإسلامي العربي ، ومع ذلك استمرت الاختلافات الدينية والعرقية قائمة ثبتها التسامح الذي نصت عليه الشريعة الإسلامية تجاه اليهودية والمسيحية ، والمساواة بين الأعراق في ظل الدين الإسلامي.

٢ – كان الهلال الخصيب ، الذي تشكل سورية قسماً منه ، أرض إجتياحات شعوب متنوعة ، كذلك أرض لجوءٍ لسكان المناطق المجاورة الذين تعرضوا للاضطهاد السياسي والديني ، وقد استقرت جماعات منهم ضمن المحيط السوري .

٣ – ومع الزمن تشكلت تجمعات بشرية ذات طابع ديني اتخذ منحىً مذهبياً مخالفاً للمذهب السني ، ونمت التجمعات الطائفية وتطورت نتيجة استقرارها بأماكن ذات منعة جغرافية وساعدت هذه المنعة وانعدام وسائل الإتصال والافتقار إلى سلطة مركزية قوية ، ساعدت على الحفاظ على خصائص كل تجمع وإستقلاليته .

٤ – تثبتت شرعية المجتمعات التعددية إبان حقبة الحكم العثماني الطويلة والتي تعدّ المسؤولة عن تصدّع اللحمة بين الأكثرية السنيّة والأقليات وذلك من خلال اعتمادها " نظام الملل " [١] الذي ثبت الارتباط المذهبي وزاد من الفجوة بين الأقليات وأكثرية السكان التي دفعها انتماؤها الديني إلى الولاء للخط السياسي العثماني .

٥ – توسع التصدع خلال القرن التاسع عشر بسبب تدخل الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية واعتمادها سياسة " حماية الأقليات " التي تطورت

---

[١] – حول هذا النظام راجع :

B. Broude and B. Lewis , Christians and Jews and the Ottoman Empire . (New york 1980) .

أوضاعها العامة نتيجة تلك السياسة ، إلاّ أن تلك السياسة قد جرّت معها كره هؤلاء للدولة وللمواطنين السنّة الذين عدّوهم بدورهم خونة وعملاء للأوروبيين ويشكلون خطراً على السلطنة والمجتمع الإسلامي . وهكذا قوت السياسة الأوروبية وظيفة الدين وأصبحت ذات طابع سياسي [1] .

٦ – إبان حقبة " التنظيمات " أوجدت الدولة العثمانية أطراً حديثة وأقامت روابط جديدة بين السكان هدفت إلى توسيع الدائرة الموالية للعثمانيين لتجمع السكان على اختلاف انتماءاتهم برابط " المواطنية العثمانية " ، وتقوية مركزية السلطة ، وتحسين شروط الحياة الاجتماعية–الاقتصادية ، وإقامة المساواة أمام القانون [2] . هذا بالإضافة إلى التنظيمات الإدارية وأهمها " نظام الولايات " الذي تشكل بموجبه الكيان السوري الأرضي وهو " ولاية سورية " بعاصمتها دمشق والتي أصبحت نواة الدولة السورية الحديثة [3] .

٧ – في الستّينيات من القرن التاسع عشر ظهرت في قلب سورية أفكار" مشابهة لأفكار العثمنة لدى جماعة صغيرة من المثقفين السوريين عدّت الولاء الديني خطراً على وحدة المجتمع لابد من استبداله بأسس مشتركة : هي الشعور الوطني تجاه السلطنة وأيضاً الروابط التي تجمع ما بين السكان السوريين كونهم عرب لغة وثقافة ، وأكدت أيضاً على فكرة " أرض سورية " التي يجب أن ترتبط برباط خاص مع الدولة العثمانية[4].

---

[1] – حول أثر نظام الحماية على تطور بلاد الشام بعد عام ١٨٤٠ راجع : أمل بشور ، نظام الحكم في لبنان وسورية في ظل التنظيمات العثمانية أطروحة دكتوراه إختصاص غير منشورة، جامعة القديس يوسف ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ١٩ – ٢٤ .

[2] – حول هذه الحقبة راجع :
Moshe Ma'oz , Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840 -1860,(oxford 1960) p. 204 - 303 .

[3] – أمل بشور ، نظام الحكم في لبنان وسورية ، ص ٣٦٢ – ٤٧٣ .

[4] – كانت تلك أفكار بطرس البستاني التي نشرها في " الجنان " عدد١ ، ١٨٧٠ ص ٣٥ ، ٣٨ . وكذلك في نفير سوريا عدد ٢٥/١٠/١٨٦٠ . وعبّر عنها بهذه الكلمات " إن الامبراطورية العثمانية هي وطننا وبلادنا هي سوريا " وقد تبنت هذه الأفكار جمعية سرية صغيرة طالبت بحكم ذاتي موحد في سورية ولبنان والإعتراف باللغة العربية وإزالة القيود عن التعبير . راجع : ألبرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ – ١٩٣٩، (دار النهار للنشر ، ط٣ بيروت ١٩٧٧) ،

٨ – فشلت حركة الإصلاح العثماني وجماعة السوريين المثقفين في زرع أفكارهم ، وبقيت فكرة الوطن في نظر السوريين محددة وراء جدران عالمهم الضيق : العائلة والقبيلة والطائفة [١] . وكرد فعل على سياسة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) الرامية إلى التأكيد على الشخصية الإسلامية للدولة ، راحت أوساط سورية مثقفة تنمي وعياً عربياً إسلامياً وتطالب بتجريد العثمانيين من الخلافة وإيجاد خلافة عربية مستقلة [٢] واتسعت تلك الأفكار وازداد انتشارها بفعل سياسة التتريك والعلمنة التي انتهجها "الأتراك الفتيان" ، وتشكّلت عشية الحرب العالمية الأولى حركتان سياسيتان : واحدة مؤيدة للأتراك وأخرى طالبت بالحكم الذاتي أو الاستقلال للبلاد العربية ، وكانت كلتاهما مطبوعتين بطابع إسلامي وخاليتين من أي إرتباط أرضي مع سورية [٣] .

٩ – إن حركة القومية العربية التي نشأت مطلع القرن العشرين قد غلب عليها الطابع الإسلامي السني . ولعب السنّة من العرب دوراً رائداً في هذه الحركة وتركوا للمسيحيين وأفراد الطوائف الأخرى الدور الثانوي . وكنتيجة لذلك تطلعت الأقليات الدينية بعين الشك إلى هذه القومية التي تخفي وراءها تفوق السنة أي نفس النظرة نحو الحكم التركي بفارق واحد هو أن السلطة ستكون بأيدٍ عربية [٤] .

ص٣٢٧ – ٣٢٨ .

(١) – Shimon Shamir , "Midhat Pacha and the anti-Turkish agitation in Syria" in MiddleEastern studies , vol 10 , (1974) p. 137 .

(٢) – تلك هي أفكار عبد الرحمن الكواكبي في كتابيه : أم القرى ، وطبائع الإستبداد . راجع ألبرت حوراني ، الفكر العربي ، ص ٣١٩ – ٣٢٦ . وراجع : ساطع الحصري ، ماهي القومية ، بيروت ١٩٥٩ ، ص٢٠٦ – ٢٠٨ .

(٣) – حول تطور فكرة القومية العربية في هذه الحقبة راجع :

Ernest Dawn , "the Rise of arabism in Syria" in Middle-East Journal , No 16 p. 163 - 165 . cf . A. R. Kelidar , "Religion and State in Syria" in Asian affairs, vol 61, (New series vol 5) part 1 feb 1974 , p.22 . cf. Sylvia Haim , Arab nationalism an Anthology , (Berkeley and Los Angeles , 1969) p.57 .

(٤) – - A. Hourani, Syria and Lebanon , a political essay, (London 1946) p. 20 .

وللتوسع حول موقف الأقليات من حركة القومية العربية قبل نشأة حزب البعث راجع كتاب الحوراني:

Minorities in the Arab world , (London 1947) p 36 cf. N. Van Dam, the Struggle for power p.32- 33 . cf Jean-Pierre viennot , "le Role du Ba th dans la genese du

١٠ – في الخامس من تشرين الأول عـام ١٩١٨ أنشأ الأمير فيصل بترخيص بريطاني حكومة عربية على أرض سورية ، وقد تبنى فيصل الأفكار العلمانية كما عبَّر عنها شعاره المعروف " الدين لله والوطن للجميع " [١] . وقد انتقد غالبية السوريين الذين عملوا في إدارة حكومة سورية سياسة فيصل الليبرالية . وفي مسودة الدستور الذي أعدته اللجنة التشريعية في المؤتمر السوري تقرر اعتبار الإسلام دين الدولة [٢] وهكذا ظل مفهوم إقامة مجتمع علماني وكيان سياسي يجمع أفراد الوطن الواحد ، كما كان في القرن التاسع عشر .

١١ – نمت وتقوت الولاءات الدينية والطائفية والعرقية في ظل الإنتداب الإفرنسي الذي أكدَّ على أولوية هذه الولاءات ودعمها كسياسة مناوئةٍ لسياسة فيصل العربية ، ولاضعاف الهوية السورية وتعطيل محاولات إقامة دولة موحدة على أرض سورية ، وتبعاً لهذه السياسة شجَّع الإفرنسيون استمرارية الخصائص المميزة للأقليات فاقتطعوا المناطق التي شكلت فيها كل طائفة أكثرية عددية ومنحوها حكماً ذاتياً واستمرت هذه الدويلات قائمة بنظامها الإداري والمالي الخاص ومنفصلة بين مد وجذر عن هذا الكل السوري حتى عام ١٩٤٢ [٣] كذلك عمد الإفرنسيون إلى جذب جماعة الأقليات

---

nationalisme arabe" dans Orient No 35 , 1965 , p.65 - 79 p.68 , 69 .

(١) – راجع : ساطع الحصري – يوم ميسلون ، بيروت ١٩٤٧ ، ص٧٧ وفي عدة أماكن، وقد عبَّر فيصل في خطاب ألقاه في دار الحكومة بدمشق عن حماسه لدمج الشعب السوري في بوتقة واحدة " إن فكري في إدارة سورية هو أني أرى مطالب الأقلية تكون مرجحة على آراء الأغلبية .. وذلك لما بذل الأتراك من الشقاق والنفاق بين العناصر.." راجع : حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ٥٧ .

(٢) – نصت المادة الأولى من دستور المملكة السورية : " إن حكومة سورية ملكية مدنية نيابية عاصمتها دمشق دينها الإسلام " ... راجع : م . ن ، ص ١٩٤ .

(٣) – قسَّم الإفرنسيون سورية إلى عدة دول بحجة أنها لا تشكل وحدة بشرية وثقافية تجمع بين عناصر سكانها المتنوعين عرقياً ودينياً وحضارياً . وبعد قرار ٣١ آب ١٩٢٠ بفصل لبنان فُصلت في أول أيلول من نفس العام منطقة العلويين عن حكومة دمشق وفي ٥ نيسان ١٩٢٢ قامت دولة جبل الدروز وفي ٢٠ تشرين الأول عام ١٩٢١ (إتفاقية أنقرة) أقيم نظام إداري خاص في لواء الإسكندرون وألحق عام ١٩٢٤ بالكل السوري . وبعد معاهدة ١٩ أيلول ضُمت منطقتا اللاذقية وجبل الدروز إلى الدولة السورية مع احتفاظهما بنظام إداري ومالي خاص . وفي الأول من تموز عام ١٩٣٩ وبموجب قرار رقم ١٣٢ فصلت من جديد منطقة اللاذقية وجبل الدروز ، ومنحا نظام استقلال

العرقية والطائفية إلى الانخراط في الفرقة المعروفة بـ "les troupes speciales du levant" التي ضمت مجندين من مناطق بعيدة عن العاصمة ومن جماعات قبلية ، وقد اعتقدت حكومة الإنتداب أن بإمكانها الاعتماد على ذوي الخصائص القبلية والتقاليد الحربية والروح الإستقلالية لقمع الحركات الوطنية والتمردات السياسية [١] . وهكذا عززت فرنسا ، على غرار العثمانيين ، الانقسامات الدينية والطائفية والعرقية وأحجمت عن توحيد النظام التربوي [٢] ، ولم تنجز إلا القليل لإزالة الفجوة الإقتصادية بين الطبقات الدنيا والعليا من السكان السوريين .

ذاتي.. وبموجب قراررقم ٢٢ تاريخ ١٩٤٢/١/١٢عادت هذه المناطق إلى الدولة السورية . حول هذه القرارات راجع : حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية. مصدر سابق ، ص ٢٥١ – ٣٠٣ وص ٣٥٥ – ٣٧٣ وص٣٨٠ – ٣٨٧ . كذلك وضعت سلطة الإنتداب منطقة الجزيرة شمال شرقي سورية ضمن المناطق العسكرية الفرنسية . وحُظر على الأجانب دخولها دون إذن خاص . راجع : ستيفن هاملي لونغريغ ، تاريخ سورية ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي ، ترجمة بيار عقل ، (دار الحقيقة بيروت ، ط١ – ١٩٧٨) ص ١٦٠ – ١٦٢ .

– والمزيد من التوسع حول تنظيم الحكم في سورية في ظل الإنتداب راجع : Amin Dahbar , Organization des pouvoirs publics en Syrie (Beyrouth, Nassar 1947) cf. R.. o,Zoux, les Etats du levant sous mandat Francais . Paris , la Rose 1931 p.60 cf . E. Rabbath , unite Syrienne et devenir arabe . (Paris 1936) p.202-269 .

(١) – حول تشكل هذه الفرقة راجع :

Andre Brumeau , traditions et politiques de la france au levant , (Paris 1932) p 339 0 340 cf

- Eliezer Be'eri , Army officers in arab politics and society , (New york,London 1970) p.334 - 335 .

(٢) – أن المساهمة الإفرنسية في الحقل التربوي غير قابلة للإنكار ، فقد زودت سورية في عصر الإنتداب بنظام تعليمي راقٍ مشابه للنظام الإفرنسي ، وسيطر على المناهج تبعية مطلقة للثقافة الإفرنسية وبذلك أصبحت المدارس شبه منعزلة عن الحياة الإجتماعية ومخصصة للطبقات العليا والوسطى ومعظم طلابها مسيحيون راجع : - A. Hourani , Syria and Lebanon .. , p. 90 - 95 . وقد طبقت فرنسا مبدأ حرية التعليم . وتأسست مدارس على قواعد طائفية أو عرقية أو طبقية وبذلك افتقد الطلاب إلى الأسس التي توحدهم . وقد اصطدم هذا النظام بالنزعات القومية المكافحة في سورية بعد الإستقلال . لمزيد من التوسع حول النظام التربوي في سورية في العهد الإفرنسي راجع :

Y.A Babikian, civilization and Education in Syria and Lebanon , (Beirut, 1936) p. 72 ff.

وراجع : لونغريغ ، تاريخ سورية ولبنان ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

١٢ – لم يسهم قادة الحركة الوطنية في إصلاح الشروخ والانقسامات داخل المجتمع السوري ، ولما كانوا ينتمون إلى العائلات الكبرى التي شكلت النخبة السياسية في سورية مدة قرن [١] عملوا على الحفاظ على الوضع الإقتصادي والاجتماعي الذي تبلور في ظل الحكم العثماني ، وأحجموا عن طرح أو قبول أية فكرة إصلاحية إجتماعية إقتصادية تمس مصالحهم، ومن الصحيح أن الكتلة الوطنية قد شددت في برنامج عملها على فكرة المواطنة وأكدت على التسامح الديني والمساواة أمام القانون [٢] ، بيد أنها لم تطبق عملياً هذا البرنامج ، ففي عام ١٩٣٨ رفضت الحكومة السورية المتمثلة بحزب الكتلة قانون الأحوال الشخصية الجديد الذي كان تعبيراً عن مبادئ الحرية والمساواة أمام القانون [٣] وبذلك تأكد الواقع الإنقسامي وتعززت الميول النابذة داخل الدولة .

لقد أعاقت النزعات العقائدية لأعضاء الكتلة ، التي تشكلت قبل عام ١٩٢٠ ، الطريق أمام قيام مجتمع سوري متماسك . وتمثلت في اتجاهين : إقليمي تبنته القلة المدنية الحاكمة واتجاه قوي نحو فكرة الدولة العربية الواحدة . وقد ظلت " الكتلة " متماسكة طالما ظل الصراع ضد المنتدب قائماً ثم بدأت تتفسخ ، إن على المستوى الشخصي أو على المستوى الإقليمي أو على المستوى العقائدي [٤] ولم يكن أي واحد من

---

(١) – ضمت الحركة الوطنية أبناء عائلات الأعيان مالكي الأراضي الذين تقوت أوضاعهم الإقتصادية منذ صدور قانون " الأراضي العثماني " ١٨٥٨ . وقد كرّست سلطة الإنتداب الوضع المتفوق لهذه الطبقة . فبموجب مرسوم ٣٣٣٩ لعام ١٩٣٠ ثبت الملاكون ملكية الأراضي التي كانت في حيازتهم وتوسعت ملكيتهم على حساب الملكيات الصغيرة والمتوسطة . راجع الدراسة التي أعدّها Ramez . G. tomeh متخذاً نموذجاً لهذه الطبقة أعيان دمشق في الرسالة التالية : Landownership and political power in Damascus , 1858 - 1959 , A.U.B Beirut 1977, p. 82 - 84.

(٢) – في مؤتمر عقد في حمص في ١٩٣٢/١١/١٤ وضعت الكتلة الوطنية برنامج عملها وحددت المادة الأولى من المبادئ العامة مبدأ المساواة بين الطوائف . راجع النص في كتاب نصوح بابيل ، صحافة وسياسة . سورية في القرن العشرين، (طبع مؤسسة رياض الريس، لندن١٩٨٦) ص ٨٠ – ٨١ .

(٣) – راجع : يوسف الحكيم ، سورية والإنتداب الفرنسي ، (دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٣) ص٢٤٤ – ٢٤٥ و A. H. Hourani , Minorities inthe arab world p. 77

(٤) – بعد إنتفاضة ١٩٣٦ إتحد أعضاء الكتلة لمواجهة المحتل ووصلت قمة جهودهم إلى

هؤلاء السياسيين السوريين ، حتى شكري القوتلي الذي استأثر بزعامة الكتلة بعد عام ١٩٤١ [١] قادراً على استقطاب ولاء الشعب ليصبح زعيماً وطنياً ، كما كان سعد زغلول في مصر وإلى حدٍ ما الملك فيصل في العراق [٢] وعليه " نزع رجال الدولة السورية إلى التطلع إلى ما وراء دولتهم تارة نحو العراق، وطوراً نحو مصر ، ولم يحاول أي زعيم سياسي أن يبرز دور سورية كقوة فاعلة على مسرح العالم العربية وبأنها ليست قط مكسباً سهلاً أمام المتنافسين [٣] .

١٣ – لعب الإكتفاء الذاتي للأقاليم السورية الكبرى دوره في قيام ولاءات إقليمية على حساب الولاء للدولة الوطن وبذلك أصبحت الإقليمية إحدى المعوقات أمام عملية التكامل الاجتماعي السياسي [٤] .

المفاوضة مع حكومة بلوم وانتهت بمعاهدة ١٩٣٦ . ومنذ ذلك التاريخ تقوضت الكتلة من الداخل وانفصل رشدي الكيخيا وناظم القدسي عن سعد الله الجابري وقام صراع بين القوتلي والجابري وفارس الخوري ولطفي الحفار . للتوسع راجع : العظم ، مذكرات ، ج١ ، ص ١٨٠ – ١٨٣ ، ٢٤٥ ، ٢٧٨، ٣٢٨ . وبعد الإستقلال طفت الخلافات على السطح وتضاعفت الحزازات الضيقة وقد وصف محمد كرد علي الكتلة قائلاً " انحلت الكتلة لاعتمادها على السفهاء .. وكان رجالها ممن لا ترض حكومة بتوزيع المناصب إليهم لقلة أمانتهم وثقافتهم " راجع : مذكرات ، (دمشق ١٩٥٠ – ١٩٥١) ص١٠١٣ و:

G. Torrey , Syrian politics and the military 1945 - 1958 (Ohio 1964) p. 53 - 59 .

(١) – حول شكري القوتلي راجع : من هو في سورية ١٩٤٩ ، صادرعن الوكالة العربية للنشر والدعاية مطبعة الألف باء، دمشق، ١٩٤٨/١٠/١، ص ٦ – ٨ . راجع عبد اللطيف اليونس ، حياة رجل في تاريخ أمة ، في الأعمال الكاملة ، المجموعة الأولى ، منشورات دار الثقافة ، دمشق ١٩٩٥ ، ص ١٢١ -١٣٠ .

(٢) – - Moshe Ma' oz , Attempts at creating a Political community in modern Syria p.397 .

(٣) – - F.O /371/91840/ Confidential. Report No 18137, 6/1/1951 .

(٤) – لمزيد من التوسع حول دور الإقليمية في السياسة السورية راجع المقال التالي : Michael H. Van Dosen , "Political integration and regionalism in Syria" in Middle-East Journal , vol 26 , 1972 , p123 - 136 .

شكلت المدن السورية – على غرار المدن العربية التقليدية [١] وحدةً ذات كفاية إقتصادية ذاتية وإطاراً للمشاركة الإجتماعية والسياسية . هذه المدن مثل دمشق وحلب وحمص واللاذقية – هي مركز تسويق حيوي لعدة بلدات ومئات القرى المحيطة بها ، وقد اعتمد سكان الأرياف على المدنية لتأمين الحماية والخدمات الإجتماعية ، كذلك عاشت المدينة على نتاج ريفها وكانت أنماط الاتصال مع العاصمة أو مع المراكز الإقليمية الأخرى تتم من خلال المدينة المركز ولم تكن متطورة بشكل كافٍ لإقامة سوق داخلية واسعة [٢] ، هذه " المدن المركز " كانت منذ القديم مركز النشاط السياسي ، وقد توجه الوعي السياسي السوري منذ الأربعينات نحو الولاء القومي الذي هو وراء حدود الدولة وعلى حساب الولاء لها ، فقد حال اقتطاع الغرب لأجزاء من سورية الطبيعية ، دون قيام توازن بين الشعور القومي والشعور بالانتماء إلى الدولة السورية على غرار ما حدث في العراق ومصر ، وعليه اتجه الوعي القومي السوري نحو الخارج " إذ لم يجد في تلك الدولة ما يستأثر به " [٣] .

لقد تمَّ التعبير عن الوعي القومي على مستويين، مستوى الولاء "لسورية الكبرى" ثم اتسع إلى مستوى العروبة الشاملة ، وقد خنق هذا الولاء القومي كل تطور نحو الولاء

---

(١) – حول خصائص المدن العربية الزراعية راجع المؤلف التالي : A.H. Hourani and S.M. Stern, the Islamic city , (philadelphia (univ of pennsylvania press 1970) p.16 .

(٢) – R. Hilan, Culture et developpement en Syrie et dans les pays retardes (Paris1969) p.155 -159, 179 -180 cf . F.O/ 371/98928 Summary of preliminary findings on Syria , Report of the world Bank mission No 3 , 1st Oct 1951 p. 4 , 8 .

(٣) – كتب الباحث الإفرنسي (Pierre Rondot) معلقاً على الشعور السوري تجاه حدود دولته " كان هذا الشعور مبهماً ومتغيراً جداً : .. بالنسبة للبنان لم ينفك المتطرفون عن التفكير بأن الأقضية الأربعة المنضمة إلى لبنان عام ١٩٢٠ قد اقتطعت من سورية ومع ذلك لم يشددوا عليها لأن إنضمامها إلى سورية سيحول لبنان إلى بلد مسيحي ... أما الأردن فقد اعتبرها السوريون دائماً مقاطعة سورية . أما في الشمال فقد خسرت سورية ، إثر فشل الجيش الإفرنسي أمام الكماليين ، مدنها القديمة عينتاب وأورفا ، وأخيراً سنجق الإسكندرونه الذي خلف في نفوس السوريين جرحاً عميقاً مشابهاً لما خلفته مشكلة " الألزاس واللورين " عند الشعب الإفرنسي . راجع مقاله : "Tendances particularistes et tendances unitaires en Syrie" dans "Orient No 5 , 1958 , p.135 - 148 , p.140 - 141 .

للوطن بحدوده القائمة ، وعليه أدى انعدام الولاء لوسط أرضي ولمؤسسات قائمة إلى تعزيز الولاءات الإقليمية وإبقائها حيَّة " [1] .

إن تسيس الشباب السوري قد حدث ما بين عامي ١٩٤١ – ١٩٥٠ على مستوى المدارس الثانوية ثم على مستوى الجامعة ، وقبل أن يتوجه هؤلاء الشباب إلى العمل في قطاعات الدولة أو في المهن الحرة في مناطق أخرى من البلاد ، وقد انعكس هذا الواقع على العمل السياسي إذ حوَّل الإهتمام بالمصالح الوطنية باتجاه المصالح الإقليمية لمناطقهم. وكنتيجة لذلك عكست الأحزاب السورية – بغض النظر عن تباين عقائدها – المصالح الإقليمية الضيقة والضمنية ، وكانت هذه الأحزاب جاهزة للانتشار في مناطق محددة وبين قطاعات معينة من سكان إقليم ما [2] ولاقت تجاوباً مقبولاً في مدى تلاؤمها مع الخصائص والمصالح المحلية لكل إقليم . وأيضاً استمد السياسيون السوريون قوتهم من مناطق أقاليمهم وكانوا بحاجة إلى قاعدة شعبية محلية ليتمكنوا من البروز على مسرح السياسة الوطنية [3] .

---

(١) – - M. Van Dosen, "Political integration .. , p.125 .

(٢) – نما حزب الشعب داخل مدينة حلب وعبّر عن مصالحها التجارية والمالية وعكس الحزب الوطني مصالح طبقة الإقطاعيين والتجار الدمشقيين . وكان الحزب العربي الإشتراكي ، حزباً ذا طابع حموي محلي . وانتشر حزب البعث في المناطق الريفية ولدى الأقليات الطائفية بسبب برنامجه العلماني الإشتراكي.راجع ما سيلي ص٦٩-٨٧ وجنّد الحزب السوري القومي الإجتماعي جماعات من الطبقات الوسطى والفقيرة من المسيحيين والعلويين والدروز الذين كان مجتمعهم يحتاج إلى ثورة إجتماعية وسياسية علمانية وغير طائفية عبرت عنها منطلقات هذا الحزب . حول إنتشار هذا الحزب راجع : مديرية الوثائق التاريخية ، وثائق دولة ، وزارة الداخلية حافظة رقم ٢٠ / قسم الأحزاب السياسية ، وثائق من عام ١٩٣٩ حتى ١٩٦١ . وقد قام الحزب الشيوعي السوري على قنوات إجتماعية تقليدية وتمركزت قوته خاصة لدى الأكراد والأرمن . وفشل في تكوين قاعدة وسط التجمعات السورية الأخرى. راجع :

F.O/371/82742, "Syria and communism" Report from Jaytinge. to I.R.S. 14 th June 1950 , p.6-9 .

ومحمد طالب هلال ، دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية الإجتماعية السياسية (مكان ؟ زمان ؟) ص٩١-٩٤ .

(٣) – نذكر على سبيل المثال : جلال السيد في دير الزور ، أكرم الحوراني في حماه ، وهيب

إن التشديد على المصالح الإقليمية ، يفسر الكثرة العديدة للأحزاب التي ظهرت في سورية عشية استقلالها ويفسر أيضاً الصراعات التي شهدتها المناطق السورية لصالح خلية حزب ما أو سياسي محلي ، ويفسر أيضاً لماذا فشلت سورية بعد مضي خمسة وعشرين عاماً على استقلالها ، وعلى الرغم من المحاولات المتعددة والإنجازات المعتبرة في إيجاد مجتمع سياسي مترابط ، يشعر أفراده بالولاء للدولة ، وبواجب العمل لتطوير بنيانها والمساهمة في إقامة مجتمع موحد وحديث .

الجغرافية البشرية في الدولة السورية

غالباً ما وُصفت سورية بأنها فسيفساء أعراق وعقائد وتقاليد [١] ، وهذا الوصف من دون شك مبالغ فيه ، فالتنوع البشري والثقافي أقل بروزاً في سورية منه في العراق أو لبنان مثلاً . فقد حافظت سورية على طابعها العربي الإسلامي منذ العهد الأموي حتى اليوم [٢] . وتُظهر الدراسات حول السكان أن ٨٢،٢٪ من السوريين عرب لغة وثقافة وانتماءً وأن ٦٨،٢٪ منهم من المسلمين السنّة و ٥٧،٤٪ عرب سنّة ، وباقي المجموعات هي الأقليات [٣] .

غانم في اللاذقية . صلاح وغسان جديد في قضاء جبلة .. وغيرهم ...

(١) – قال Maurice Brees وزير خارجية فرنسا : "ليست سورية بلاد أمة واحدة ، ففيها عشرات الشعوب التي تحتاج إلى ما يجمع بينها " راجع مقاله في L'Echo de Paris , 21 Nov 1923 , cf, J,: weulersse , Paysans de Syrie et du Proche-oriant . 7eme ed , Paris , 1946). p.72 ff cf . A. Hourani , Minorities - , p.12 ff .

(٢) – في تقرير بعثة البنك الدولي حول الحالة الإقتصادية في سورية ورد ما يلي " إن وضع سورية بين دول الشرق الأوسط هام .. فالشعب متجانس عرقياً ودينياً بشكل جيد مما يسهل عملية التوحيد والدمج الداخلي" . F. o / 371/198928/ dated 1st oct 1951 , p. 3 ولمزيد من التعمق حول عروبة سورية راجع مقولة :

Ed. Rabbath , Unite Syrienne .. , p. 97, et son livre , l'Evolution politique de la Syrie sous mandat , (Paris 1928) p. 20 .

(٣) – المعلومات المستخدمة في هذه الدراسة حول السكان السوريين مستقاة من المصادر التالية :

– وزارة الإقتصاد الوطني ، منشورات المكتب المركزي للإحصاء – دمشق : المجموعة

الأقليات العرقية :

– **الأكـــراد** : يشكل الأكراد أكبر مجموعة عرقية ٨،٥٪ مـن السكان . وهـم هنود – أوروبيون غالبيتهم من المسلمين السنّة اسـتقرت موجـات هجراتهم المتعاقبـة فـي منطقة الجزيرة العليا ، شمال شرق سورية . وكان آخرها من تركيا بعد الحـرب العالميـة الأولى [١] وتضم الجزيرة أكبر تجمع كردي ٢٨ ٪ من أكـراد سـورية ، وقـد حـافظ هـذا التجمع على خصائصه وشكل أقلية متراصة ، في حيـن اندمـج قدامـى المهـاجرين ضمـن أطر مجتمعاتهم في المدن والارياف واستخدموا اللغة العربية واحترموا تقاليد العـرب وإن حافظوا على جذورهم العرقيـة واعـتزوا بهـا [٢] ، بينمـا وجـدت عـائلات كرديـة تناسـت أصولها وادعت أن لها جذوراً عربية [٣] .

وجد التعاون العربي – الكـردي فـي الإطـار السـوري شـروطاً ملائمـة لتطـوره وبرز من الأكراد أدباء وعلماء وشخصيات سياسية وعسكرية لعبت دوراً مؤثراً في إطـار حركة القومية العربية . دون أية محاولة لتطوير وعي قومي منفصل عن مجتمعهم [٤] .

الإحصائية للأعوام ١٩٤٨ – ١٩٦٣ . وحول مدى دقة هذه الإحصاءات راجع :

J.C. Dewdney , "Syria Patterns of population distribution . in J. I clarke and W. B. Fischer clarke and W. B. Fischer eds : Population in the Middle-East and North Africa , (New York 1972) p 130 - 142 cf. I. Nouss la population de la republique Syrienne, Etude demographique et geographique), these pour doctorat d'Etat (Paris 1951) cf. E. de vaummas "la population de la Syrie" dans: "Annales geographiques" Janvier 1955 .

(١) – للتوسع حول هجرات الأكراد راجع :

Pierre Rondot, les Kurdes de Syrie, dans la France mediterraneenne et africaine , (Paris , 1939) p.95 - 96 .

(٢) – من هذه العائلات عائلة البرازي القوية في حماه وعائلة بوظو وكرد علي في دمشق ، وقبـائل منطقة الغاب وجبل الأكراد . ويلاحظ أنه حتى في المناطق البدويـة فـي الجزيـرة العليـا تحـالفت بعـض القبائل الكردية مع قبائل البدو العرب وتبنت عاداتهم ولغتهم وأسلوب لباسهم . راجع :

Pierre Rondot ,Les Kurdes .. , p.92 - 94 .

(٣) – من هذه العائلات نذكر : أسرة الأيوبي ، مردم بيك ، عبد الرحمن باشا اليوسف، آل بدرخـان ... للتوسع راجع : تقي الديـن الحصني ، منتخبـات التواريـخ لدمشق (بـيروت ط١،١٩٧٩) ص٨٣٠، ٨٣٣، ٨٥١ .

(٤) – ومن الجدير ذكره أن الكواكبي الذي ينتمي إلى أصول كردية ، أول من نـادى بخلافـة عربيـة وشدد على مكانة العرب في إطار الأمة الإسلامية . راجع : ألبرت حوراني ، الفكر العربي، ص٣٢٣ .

لعبت سياسة الإنتداب دورها في قيام ميول إنفصالية لدى الأكراد ، وقد عبّرت تلك الميول عن ذاتها في ٢٣ حزيران ١٩٢٨ لدن اجتماع أول جمعية تأسيسية سورية حيث قدم ممثلو الأكراد مذكرة يطالبون فيها بنظام استقلال إداري في منطقة الجزيرة ، وقد لاقت هذه المذكرة معارضة عنيفة دفعت سلطات الإنتداب إلى رفضها. واستمرت فرنسا تشجع الميول الإنفصالية لدى المهاجرين الجدد من تركيا [١] ثم تراجعت عن منح الأكراد الإستقلال الذاتي الذي طبقته في مناطق أخرى وذلك لعدة اعتبارات لعل أهمها : كون الأكراد يشكلون أكثرية دينية وعرقية في منطقة تسكنها قوميات متعددة ويسودها توتر بين المسيحيين والمسلمين وبين البدو والحضر [٢] ، وأيضاً لتجنب اغضاب السوريين ، والأتراك[٣] . تلك هي الأسباب التي كانت وراء قمع فرنسا التمرد الكردي في الجزيرة عام ١٩٣٧ [٤] .

استقطب التوسع في مجال الاستثمار الزراعي في منطقة الجزيرة عائلات كردية من مناطق أخرى عززت الوجود والتضامن الكردي [٥] ، وساهمت النهضة الزراعية في الحد من الطابع القبلي لأكراد الجزيرة الذين طوروا في حقبة الخمسينات نشاطات زراعية وأصبحوا من كبار الملاكين في منطقتي القامشلي ومنبج [٦] .

---

(١) – أنشأت سلطة الإنتداب فرقة كردية لحراسة الحدود ثم ضمتها إلى فرقة " قوات الشرق الخاصة" ، وعينت موظفين أكراد في الإدارة وسمحت بتدريس اللغة الكردية في مدارس الدولة في الجزيرة ، وساهمت باستقبال مهاجرين جدد من الأناضول ، وأتاحت لزعماء " الحركات الإستقلالية الكردية " التعبير عن آرائهم بحرية ، راجع :

Pierre Rondot , les kurdes , p. 105 - 116

(٢) – لتتوسع حول تركيب سكان الجزيرة راجع :

R. Montagne , " Quelques aspects du peuplement de la haute Djezire , dans le Bulletin d'etudes orientales de I.F.E.A.D de Damas , T.11 . 1932 .

(٣) – حول رد فعل السوريين تجاه سياسة فرنسا راجع مقال منير الريس في صحيفة الأهرام القاهرية ، عدد ١١ تموز ١٩٣٢ ومقال الصحفي السوري أمين سعيد في صحيفة المقطم القاهرية ، عدد ٢٢ نيسان ١٩٣٢ .

(٤) – - P. Rondot , Les Kurdes .. p. 110 - 116 .

(٥) – محمد طالب هلال ، دراسة عن محافظة الجزيرة .. ، ص ٩١ – ٩٤ .

(٦) – - D. Warriner , Land reform and development in Middle-East , a study of Egypt Syria and Iraq (London , New York 1957) p. 87 .

- **الشـركس والتركمـان** : يشـكل هـذان العنصـران ٣٪ مـن السـكان السوريين[1] وقد استقرت موجات متعاقبة من قبائل شركسية قادمة من روسيا قـرب منبـج في الشمال حيث لا تزال قرى بكاملها شركسية ، كذلك يعيش العنصر الشركسي في ريف حمص وحماه وخاصة في منطقة الجولان ، وبفعل انتماء الشركس إلـى الديـن الإسـلامي السنّي امتزجت عناصرهم في المجتمع السوري مع احتفاظهم بلغتهم وتقاليدهم ، وقد دخـل الشركس في الجيش والإدارة في ظل حكومة الإنتداب [2] . وبعد الاستقلال تشـكلت فرقـة شركسية في الجيش السوري لعبت دورها في إنقلاب حسني الزعيم .

كانت القرى الشركسية المتوضعة جنوب غربي حوران موضـع مراقبـة سـلطات الأمن السورية خوفاً من حدوث أي تحرك عنصري استقلالي في تلك الأمـاكن الحدوديـة الحساسة ، وقد استمر الشركس يختزنون مشاعر وحدة إثنية قوية [3] .

أمـا التركمـان ، فقـد تسـربت عنـاصرهم إلـى سـورية مـن الشـمال، ومنـذ الفتـح العثماني بدأت قوافلهم ترد سورية بشكل منظـم . وتمركـزت فـي منـاطق حمـص وحمـاه والجزيـرة العليـا . ويتكلـم التركمـان اللغـة التركيـة القديمـة المختلطـة بالعربيـة ولـم يتخـذ وجودهم أي شكل من أشكال التحرك العنصريّ الإستقلالي [4] .

---

(١) - Gabriel Baer , population and society in the arab East, (London 1964) p.109 - cf. J.C. Dewdney, Syria : "Patterns of population distribution" , p.140 .

(٢) - M. Proux, les Tcherkesses. dans: la France Mediterraneenne et Africaine , (Paris 1939) p.43 - 52 .

(٣) - في تقرير موجه من قائمقام القنيطرة إلـى محـافظ دمشـق بتـاريخ ٥٣/١١/١٢ ورد مـا يلـي : "العنصر الشركسي يبدي بين آونة وأخرى نشاطاً ملحوظاً ، والشركس لا يختلطـون بالعنـاصر الأخـرى ويفضلون أبناء عشيرتهم وقد طالبت بنقل بعض الموظفين الشراكسـة الذيـن أظهـروا نشـاطاً عنصريـاً " راجع : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق وثائق دولة، مجموعة وزارة الداخلية ، قسم " تقـارير إداريـة تتعلق بالأمن والشرطة" . حافظة رقم ١٠ ، وثيقة رقـم د٨٥/٥/١ . ومـن الجديرذكـره أن الشـركس قـد طالبوا عام ١٩٣٩ بحكم ذاتي محلي في حوران . راجع : لونغريغ ، تاريخ سورية ولبنـان ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) - Simon Jargy . Syrie, l'Atlas des voyages , (Paris 1962) p 172 .

الأقليات العرقية – الدينية :

الأرمن : يشكل الأرمن ٤٪ من السكان السوريين ، وقد هاجروا من تركيا إثر مذابح عام ١٨٩٤ و١٨٩٦ و١٩٠٩ الشهيرة ، وبين عامي ١٩١٥ و١٩١٩ تدفق سيل من الأرمن نتيجة التهجير القسري الذي مارسته حكومة أنقرة وتتالت هجراتهم ما بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٩ إثر الإجراءات القمعية التي نظمها ضدهم نظام الحكم التركي [١] .

إستقر المهاجرون الأرمن في المدن السورية خاصة في حلب حيث يوجد أكبر تجمع أرمني ٨٢ ألف نسمة [٢] وقد زاحموا الأيدي العاملة المحلية وتدنت بالتالي الأجور إبان أزمة إقتصادية شحت فيها فرص العمل مما أدى إلى حدوث صدامات بين الأرمن والسكان المحليين الذين أقلقهم تدفق هذا السيل البشري إلى مدنهم [٣] .

تقوى الأرمن إبان الإنتداب وجُنِد بعضهم في فرق " الشرق الخاصة " واستخدموا العربية ، وشاركوا السوريين حياتهم العامة ، وتمثلوا في البرلمان السوري ، ودخلوا في الإدارة ، وانتسبوا إلى القوات المسلحة ، وباستثناء قلة ضئيلة عُربت، فقد حافظ الأرمن على خصائصهم وما تزال لغتهم تدرس في مدارسهم الخاصة ، وقد عاد قسم منهم إلى أرمينيا وتحالف الباقي بشكل كامل مع المواطنية السورية [٤] .

---

(١) – Jean-Pierre valonges , vie et mort des chretiens d'orient (ed Fayard 1994), p.94 - 98 .

(٢) – عام ١٩٤٤ بلغ عدد الأرمن في سورية ١٠٦،٢٩٨ نسمة ووصل العدد إلى ١١٥،٠٤١ عام ١٩٦٣. راجع منشورات وزارة الإقتصاد ، مديرية الإحصاء . سنوات ١٩٤٤ – ١٩٥١ ص ٢٠ ، و١٩٦١ – ١٩٦٣ ص٢٢ وفي عام ١٩٥٢ كان عدد الأرمن الأورثوذكس ٢٥١ و ١٠٧ والكاثوليك ١٨،٠١٠ راجع حول توزعهم في سورية : .
F.o / 371/98949, doc No 170, dated 22 July 1952 .

(٣) – Michel Seurat, Les populations, l'Etat et la societe dans la Syrie d'aujourd'hui, Edition (C.N.R.S) 1980, p. 95 - 100 .

(٤) – Jean Pierre valonges , vie et mort , p. 450 - 502 .

اليهـود : يرجع تاريخ الوجود اليهودي في سورية إلى عصور قديمة ، وكان معظمهم من يهود فلسطين ثم من يهود الأندلس ، وقد استقروا في مدينتي دمشق وحلب و٧٪ منهم في منطقة الجزيرة . وشكلت الطائفة اليهودية في حلب أكبر تجمع يهودي برزت منه عائلات شغلت مكانة إقتصادية وسياسية في القرن التاسع عشر [١] .

سادت فروق إقتصادية بارزة بين يهود دمشق ويهود حلب ، فبينما كان الحلبيون من كبار التجار ورجال المال عمل يهود دمشق في المهن اليدوية وسكن نصفهم في الأحياء المسيحية القديمة أو في أحيائهم الخاصة ، واستخدموا العربية ، وتعرفوا على أفكار المجتمع السوري . إلاّ أن قوة ومكانة الدين في هذا المجتمع واستقرار أسس التفكير المحافظ في النظم العائلية والإجتماعية قد حالا دون اندماج اليهود داخل المجتمع السوري. وبينما شارك المسيحيون في الحركات القومية المعادية للغرب امتنع اليهود عن تلك المشاركة مما زاد في اتساع الهوة بينهم وبين باقي أفراد مجتمعهم .

منذ عام ١٩٤٧ بدأت هجرة يهودية غير شرعية نحو فلسطين[٢] وبعد حرب عام ١٩٤٨ اتخذت الحكومة السورية إجراءات تمييزية بحق يهود سورية بناءً على توصيات الجامعة العربية ، وقد استمرت تلك الإجراءات قائمة من قبل الحكومات التي تعاقبت على سورية منذ عام ١٩٤٨ [٣] .

---

(١) – صموئيل إتنجر ، اليهود في البلاد الإسلامية ، ترجمة جمال الرفاعي ، سلسلة عالم المعرفة، رقم١٩٧ (الكويت أيار١٩٩٥) ص ١٨٨-١٩١ .

(٢) – ورد في تقرير مفتش الشرطة العام سعيد التيمي المؤرخ في ٤٨/١٠/٢٤ أن مدير شرطة حلب يساعد يهود حلب في هجرتهم اللاشرعية وأنه منح أكثر من ٢٥٠ إجازة خلال ثلاثة أشهر . وأشار التقرير إلى أن اليهود يجتازون الحدود السورية – اللبنانية بسهولة ، وأن موظفي الشعبة السياسية يسطرون التقرير تلو الآخر عن هروب اليهود إلى فلسطين راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق، وثائق دولة ، قسم " تقارير تتعلق بالأمن والشرطة " حافظة رقم ١٠ / وثيقة رقم د٤٩/٥٠/١ .

(٣) – استمر منع اليهود من الهجرة قائماً حتى صيف ١٩٧٦ عندما وافق الرئيس حافظ الأسد على السماح لهم بالهجرة . وقد هاجر أغلبهم إلى إسرائيل وأوروبا وأميركا اللاتينية .
A. Kapeliouk , dans le Monde diplomatique (decembre 1976) p. 14 .

في مذكرة وجهت إلى ممثلي التنظيمات المسماة " أصدقاء إسرائيل" لـدُن اجتماع عُقد في باريس في ٨ حزيران ١٩٥٦ حول " وضع اليهود السوريين " . وقد أسهب معدها ، (Rami Elmor Berger) المدير التنفيذي لجمعية الصداقة اليهودية الأمريكية ، في وصف الواقع المأساوي ليهود سورية إن على صعيد علاقاتهم مع السلطة أم على الصعيد الاقتصادي-الاجتماعي والنفسي [1] . وقد فَنَّد السفير البريطاني في دمشق ما جاء في المذكرة كما يلي " إنّ الصورة التي رسمها كاتب المذكرة حول اضطهاد السلطات السورية لليهود مبالغ بها جداً ، ومن الصحيح أن القيود الثانونية لعام ١٩٤٨ ما تزال سارية إلاّ أنها لا تُطبق بشكل جلي : هذا وإن تناقص عدد اليهود باضطراد يكشف عن سماح السلطات لهم بمغادرة البلاد. وحسب معلوماتنا يوجد اليوم ٢٠٠٠ يهودي في حلب و١٥٠٠ في دمشق ١٠٠٠ في القامشلي و ٥٠٠ في حمص وحماه إي ٥،٥٠٠ نسمة مقارنة مع ٤٠ ألف قبل الحرب اليهودية العربية . وغالبية هؤلاء من صغار رجال الأعمال ، من الصاغة والنّحاسين . يتعاطون تجارتهم بحرية، وفي سوق دمشقي يتأنق مخزن نحاسي يهودي باسم " صهيون " ويعيش اليهود في منازلهم الخاصة، ومن صودرت ملكيته يمكنه العيش فيها حتى هجرته أو وفاته ، وقد أسكنت الدولة اللاجئين فلسطينيين في منازل مصادرة من الحي اليهودي بدمشق ، ومع أن المجموعتين تعيشان جنباً إلى جنب فإن الخلاف بينهما غير ملحوظ إلاّ نادراً " .. " أما في ما يخص الوضع الاقتصادي للسكان فإننا نشك في أنه كئيب إلى حد بعيد .. وقد أثرت القيود الصادرة عام ١٩٤٨ حول منع اليهودي من تملك الأراضي على الجالية اليهودية في القامشلي ، ومع ذلك لم ترد تقارير من هناك حول إي إضطهاد بحقهم ولا يوجد ما يحول دون استئجار

---

[1] - أرسلت نسخة من المذكرة إلى السفارة البريطانية بدمشق للتحقق في ما ورد فيها . والمذكرة في خمس صفحات مقسمة إلى عدة فقرات تلخص التنظيمات الصادرة بحق اليهود مثل : منع اليهودي من تولي مركزاً مهماً في الدولة أو المؤسسات الأجنبية . تجميد الممتلكات اليهودية في المصارف . منع اليهودي من الشراء والتملك لا يحق له الحصول على رخص إستيراد أو تصدير . منعه من مغادرة البلاد . ثم يشرح الكاتب أثر هذه الإجراءات على اليهود ويطلب المساعدة ليهود سورية . وقد ختم المذكرة بـ " يبدو أن الحكومة السورية قد ربطت حلّ مشكلة يهود سورية باستقرار الصراع الإسرائيلي – العربي "

F.o / 371/ 121892/ 22 April 1956 .

اليهودي للأرض من فريق ثالث " .. " ومن الصحيح أن هناك تحاملاً عرقياً عند العرب السوريين ، وهو رد فعل طبيعي تجاه معاملة الأقليات العربية في إسرائيل " [١] . ومن الجدير ذكره أن سورية لم تشهد أية حركة عدائية عنيفة ضد اليهود إبان الحروب المتتالية مع دولة إسرائيل .

السريان : هم بقايا العرق الآرامي القديم ، وهم ورثة التقاليد المسيحية القديمة التي احتفظت بلغتها السريانية [٢] . وقد استقر السريان في العراق وسورية وإيران وتركية ، وفي نهاية القرن الرابع انقسمت الكنيسة السريانية إلى قسمين : شرقيين أو نساطرة وغربيين أو سريان [٣] ، وخضع القسم الأكبر من هذا الشعب للسلطة العثمانية منذ عام ١٤٥٣ في حين تمتع قسم منهم باستقلالية أكبر في ظل الدول الشيعية – الإيرانية . وفي نهاية القرن الثامن عشر وبتأثير من النشاط التبشيري المكثف لليسوعيين إنشقت الكنيستان السريانيتان إلى أربع كنائس على الشكل التالي : النساطرة إلى كلدان وإلى آشوريين ، والسريان إلى سريان أورثوذكس وسريان كاثوليك [٤] . وإبان الحرب العالمية الأولى شمل تيار الإبادة الجماعية التركية الشعب السرياني، فأبيدت مدن سريانية بكاملها جنوب شرق تركيا مثل

---

(١) – - F. o / 371/121892/ confidential 1571 / august 22 - 1956 .

(٢) – - Jean - Pierre Valonges , vie et mort , p.30 - 31 .

(٣) – إن تعبير غربيين لا يقصد به إلاّ معنى جغرافي ، وقد كان مار افرام السرياني وراء هذا الإنقسام عن الجماعة النسطورية القديمة التي كان مركزها الرها والسبب هو تكريم إفرام للسيدة العذراء على أنها والدة الإله ، وقد اشتهر هذا القديس بأشعاره في السيدة العذراء مما سبب في إضطهاده من قبل النساطرة فهاجر باتجاه الجزيرة العليا حيث تحلق حوله الأتباع والمريدون . وحين قامت حرب الأيقونات في القرنين الثامن والتاسع وقف السريان الغربيون إلى جانب الكنيسة الكاثوليكية والأورثوذكسية المؤيدة للإيقونات على عكس النساطرة . راجع : السريان وحرب الأيقونات منشورات مطرانية السريان في حلب (١٩٨٠) ص ١٦ – ٢٠.

(٤) – يوسف القس . كراس خاص حول عجائب سيدة المالكية ، نشر مجلس رعية المالكية عام ١٩٨٣ .

ديار بكر ونصيبين وماردين والرها وهي مراكز الثقافة السريانية القديمة ، وهاجر من بقي من سكانها باتجاه الجزيرة الفراتية السورية . وقد عزّز وجودهم في سورية أساسها الآرامي القديم حيث ما تزال آثاره قائمة في منطقة جبل القلمون في بلدتي معلولا وصيدنايا .

سكن السريان الأورثوذكس في الجزيرة ثم انتقلوا إلى دمشق واندمجوا في المجتمع السوري وتكلموا العربية إلى جانب احتفاظهم باللغة السريانية وهم يشكلون أكبر طائفة سريانية في سورية إذ بلغ تعدادهم ٥٢،٧٥٨ بينما لا يصل عدد السريان الكاثوليك إلى ١٣ و٢٠ [١] والكلدان حوالى ستة آلاف نسمة وهم يتبعون بطريركاً مقيماً في بغداد[٢] .

أما الآشوريون (النساطرة) فقد تدفقت أول موجات هجرتهم إلى سورية عام ١٩٣٣ إثر إندلاع التمرد الآشوري في العراق [٣] وقد ساعدتهم فرنسا وعصبة الأمم على الاستقرار في منطقة الجزيرة حيث مُنحت خمسماية عائلة القرى الممتدة على طول نهر الخابور بين رأس العين والحسكة [٤] وعرفوا بموالاتهم للإفرنسيين ، وقد طالبوا عام

---

(١) - Jean - Pierre Valonges - vie et mort , p. 336 - 350 , 356 - 360 .

(٢) - M . Seurat , les populations , p.106 - 101 .

(٣) - إبان الحرب العالمية الأولى هرب الآشوريون من تركيا نحو العراق وإيران وساعدهم الإنكليز على الإستقرار واعتمدوا على رجالهم في الجيش وفي عام ١٩٣١ طالبوا عصبة الأمم في جنيف بالإعتراف بالملّة الآشورية وتشكيل لواء آشوري شمالي الموصل وبتمثيلهم بنائب في البرلمان العراقي وبمدارس خاصة بهم . ولمّا رفضت العصبة هذه المطالب تمرّد الآشوريون وأرسلت حكومة العراق حملة تأديبية قمعت الثورة وأحرقت عشرين قرية بأمر من بكر صدقي عام ١٩٣٣ . راجع: مذكرات رشيد عالي الكيلاني يرويها جميل عارف في مجلة آخر ساعة عدد ٣/١١٦٤ شباط ١٩٥٧ ، ص ١٠ . و :

M. Khadduri, Independent Irak , p. 44 .

وحول هذه الطائفة راجع :

Jean - Pierre Valonges , Vie et mort .. p.36 - 37 , 98 , 710 , 711 .

(٤) - لقد أدى ذبح الاشوريين في العراق إلى موجة قلق عامة في المجتمعات المسيحية وأعاد إلى أذهان المسيحيين السوريين حقيقة التهديد الذي يمكن أن يخضعوا له في دولة إسلامية حرة . راجع :

Jean - Pierre Valonges , vie et mort, p.709 , 710 .

وبالمقابل أثار قبول الإفرنسيين الآشوريين المطرودين من العراق حفائظ الوطنيين وشجبوا

١٩٣٦ بنظام استقلال ذاتي بضمان دولي وأظهروا العداء لممثلي الحكومة والإدارة السورية .

حافظ الآشوريون على تنظيمهم الإجتماعي الخاص (القرى – الممالك) وهم خاضعون الآن لسلطة بطريرك يسكن حالياً في الولايات المتحدة وبلغ عددهم عام ١٩٦٢ ١١،٣٤٨ نسمة [١] .

الأقليات الطائفية العربية :

تشكل طائفة العلويين أكبر الأقليات الطائفية في سورية تليها طائفة الروم الأورثوذكس ٤،٧٪ من أصل ١٤،١٪ من مسيحيي سورية ثم الطائفة الدرزية ٣٪ فالإسماعيلية ١،٥٪ [٢] .

لم تبرز المشكلة الطائفية في سورية بشكل حاد كما في العراق ولبنان ، ويعود ذلك إلى التفوق العددي الساحق للمسلمين السنّة [٣] ومع ذلك فإن هذه المشكلة قائمة ولطالما كانت المدن السورية في الماضي كما في الأزمنة المعاصرة مسرحاً لصدمات طائفية سببها الدفاع عن الأصول الإسلامية ضد الكفار أو أهل البدع ، وضد سياسة العلمنة أيضاً .

إن نظام الطوائف قائم ومشرع دستورياً ، فالدساتير السورية لم تعتمد مبدأ فصل الدين عن الدولة . وقد تضمنت نصوص أول دستور سوري عام ١٩٣٠ وتعديلاته

الهجرة التي " تزيد عدد العناصر الدخيلة في وقت تئن فيه البلاد من إدعاءات فرنسا حماية الأقليات" .
راجع: نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٨٣ .

(١) – منشورات وزارة الإقتصاد ، مديرية الإحصاء . إحصاء عام ١٩٦٠ – ١٩٦٣ ، ص ١٩ .

(٢) – أطلق ألبرت حوراني على هذه الطوائف إسم " الأقليات المتضامنة " ، أي تلك التي تشكل أكثرية متراصة في عدد من الأقاليم . راجع كتابه : Minorities , p 24 .

(٣) – حسب إحصاء عام ١٩٤٩ بلغ عدد السكان السوريين ٣،١٧٧،٧٥١ نسمة ٢،١٩٠١٥ مسلم سنّي ووصل العدد عام ١٩٦٢ إلى ٤،٥٧٢،٣١٦ نسمة منهم ٢،٧٠٢،٥٣١ سنّي ، راجع منشورات المكتب المركزي للإحصاء للأعوام ١٩٤٤ – ١٩٥١ ص ٢٠ . وللأعوام ١٩٦٠ – ١٩٦٣ ، ص١٩ .

١٩٤٨ ودستور ١٩٥٠ إعترافاً صريحاً بالإسلام كدين الأكثرية : " الفقه الإسلامي مصدر التشريع " "الإسلام دين رئيس الجمهورية " . كذلك لحظت هذه الدساتير مسألة التعددية الطائفية واعترفت بحق كل طائفة ، في تطبيق قوانينها في القضايا الدينية والأحوال الشخصية [١] كما أقرّ النظام البرلماني السوري التمثيل النسبي للطوائف في مجلس النواب . ومع أن القوانين السورية أكدت على المساواة بين المواطنين مع أن هذه المساواة لم تكن مطلقة بما أنها خصّت الأكثرية السنيّة بالإمتيازات الراسخة في إطار السياسة العليا للدولة [٢] .

إن الأقليات الطائفية التي عاشت طويلاً ضمن مجتمعات منغلقة انكسرت عزلتها بفعل الخطوات التي اتخذتها الحكومة السورية بعد الإستقلال للتقليص من الاستقلالية التي تمتعت بها بعض المناطق السورية في ظل الإنتداب الإفرنسي ، وتمثلت تلك الخطوات بسلسلة من التنظيمات والمراسيم ، وترافقت مع إجراءات عسكرية هدفت إلى تدمير القوى النابذة في أقاليم منطقة اللاذقية وجبل الدروز والجزيرة لدعم مركزية الحكم في دمشق [٣] . وساهم التمدن وتطور طرق الاتصال والمواصلات في التقريب بين أفراد من

- راجع نص دستور ١٩٣٠ في كتاب ، حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ٢٦٧ ٢٨٦ . ولم تمس هذه الأسس في تعديلات هذا الدستور عام ١٩٤٨. راجع نسخة الدستور المعدل في حيفة السوري الجديد ، عدد ٣٠/٢٥ آذار ١٩٤٨ . وبموجب دستور ١٩٥٠ أزيلت فقرة الإسلام دين لة وثُبتت فقرة " دين رئيس الجمهورية الإسلام " " والفقه مصدر التشريع " ، راجع الجريدة مية، ج١ ، عدد ٣٢ ، ٢٣ حزيران ١٩٥٠ ، ص ١٢ - ٢٧ .

- في ٤ حزيران ١٩٤٧ صدر مرسوم جمهوري حدّد حجم البرلمان بـ١٤٠ مقعداً مقسمة على ، طائفي . راجع : الجريدة الرسمية ، ج٣، ص١٥ ، مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، ص١٠ - ١٢ .

(٣) - وجهت الدولة الحملة الأولى نحو محافظة اللاذقية ضد سليمان المرشد الذي كان نائباً عن الحفة في مجلس النواب منذ عام ١٩٣٧ . وقد فرضت عليه الحكومة الإقامة الجبرية في دمشق ، وفي عام ١٩٤٦ عاد سرّاً إلى قريته " الجوية " وجمع أتباعه وترسانته من السلاح الذي زوده به الإفرنسيون، وخافت الدولة من الفتنة التي كان يغذيها آنذاك الملك عبدالله فجردت حملة ضد المرشد وتمكنت من اعتقاله وحوكم بتهمة مقتل زوجته وأُعدم في ساحة المرجة عام ١٩٤٩ . راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الداخلية ، قسم سليمان المرشد ، حافظة رقم ٣، الوثائق من ١ إلى ٣٨ تغطي هذه القضية من عام ١٩٣٩ - ١٩٥٣ . وراجع : عبد اللطيف

مجتمعات مختلفة ودمجهم داخل حلقة واحدة مع آخرين [1] كذلك اخترقت الطائفية من خلال التوسع البارز في الحقل التعليمي التربوي [2] . وساهمت الأحزاب السياسية العلمانية في زرع بذور الهوية الواحدة ، وانجذب أفراد من الأقليات إلى تلك الأحزاب أملاً في إقامة نظام إجتماعي وسياسي لا ديني يكسر سيطرة السنّة على الحياة السياسية في سورية، وبالتدريج ومن خلال تطور هذه الأحزاب وعبر انخراطهم في القوات المسلحة وبأعداد متزايدة توصلوا إلى لعب دور ملحوظ على مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية السورية .

اليونس ، مذكرات ، (ط١ – دمشق ١٩٩٢) ص ١٩٤ . و : باتريك سيل ، الأسد ، الصراع على الشرق الأوسط ، ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع (لندن ١٩٨٨) ص ٤٠ – ٤٢ .

– والتحرك الثاني للدولة كان باتجاه جبل الدروز ، وقد أراد شكري القوتلي أن يكسر شوكة آل الأطرش العائلة المعروفة بولائها للملك عبد الله فراح يشجع العائلة المنافسة من آل أبو عسلي " وحدثت صدامات بين الفريقين عشية الإنتخابات العامة ١٩٤٧ . وقد رابطت قوات الدولة على مسافة عشرين كلم تحضراً لاحتلال الجبل ، وإبان الأزمة فوجئ الجميع بزيارة المفوض الأمريكي إلى الجبل حيث عقد مباحثات مع الطرفين وانتهى الخلاف بتنازل آل الأطرش عن المقاعد النيابية صوناً لوحدة الجبل . راجع : مديرية الوثائق التاريخية . دمشق: وثائق دولة ، وزارة الداخلية ، قسم مشروع سورية الكبرى " تاريخ ١٩٤٧, وثيقة رقم ١/د١/٩٩/٤٧/.

– لم يكن تدخل الدولة ناجحاً ، فإعدام سليمان المرشد خلّف وراءه مرارة لدى أتباعه ، ولم تنجح دمشق في إضعاف الميول التمردية لدى الدروز، ولربما أوصلت هذه التحركات إلى إضعاف حكم القوتلي إذا شارك بعض الضباط الدروز في إنقلاب حسني الزعيم وفي الإنقلاب عليه .

[1] - R. Hilan , Culture et developpement .. , p.155 - 314 - 319 . cf. R.T. Waters , A- Social Political analysis of Syria . 1943 - 58 unpubl thesis A.U.B 1962 , p.56 -68 .

[2] – إزداد عدد مدارس الدولة من ٦٥٨ مدرسة عام ١٩٤٥ إلى ٣٨٠٤ عام ١٩٦٤ مقابل زيادة ٣٠٠ مدرسة خلال عشرين عاماً ١٩٢٥ – ١٩٤٥ . كذلك تراجع عدد المدارس الأجنبية والطائفية الخاصة من ٤٠٪ من مجمل مدارس سورية عام ١٩٤٠ إلى ١٩٪ عام ١٩٥١ إلى زوالها تقريباً عام ١٩٦٧ راجع : R . Hilan , Culture , p 287 0 303 . وراجع حول إصلاحات النظام التربوي ، مقال د. عبد الدايم " فكر وفلسفة المناهج التعليمية " في المعلم العربي عدد ٣ – ٤ عام ١٩٦٢ ، ص٢٠ . ثم مقال فؤاد نوال ، مستوى التعليم " في نفس المجلة عدد ٤٠ عام ١٩٦٦ ، ص ١٠ وما يليها ، وحول التغييرات بعد تأميم المدارس الخاصة عام ١٩٦٧ راجع : صحيفة البعث (دمشق) ٢٠ أيلول ١٩٦٧ .

العلويــــون : طائفة إسلامية منشقة عن المجرى الرئيسي للطائفة الشيعية الإمامية [1] وهي من الطوائف المتراصة المتمركزة في منطقة اللاذقية حيث يعيش ٦٢،١٪ من العلويين الذين يشكلون أكثرية مطلقة في المناطق الريفية والجبلية ٧٥٪ وأقلية في المدن الشاطئية بالمقارنة مع السنّة والأورثوذكس .

– خاضت هذه الطائفة حروباً قاسية دفاعاً من وجودها وخصائصها أولاً ضد المماليك ثم ضد العثمانيين الذين حاولوا بالقوة فرض المذهب السنّي عليهم [2] مما ولد لديهم إحساساً بالظلم وبانعدام الثقة بالسنّة ، وعلى الرغم من مقاومة العلويين للقوات الإفرنسية بزعامة الشيخ صالح العلي [3] ، فقد تحررت هذه الطائفة في ظل حكومة

---

[1] – المعلومات المستخدمة في هذه الدراسة حول طائفة العلويين مستقاة من المصادر التالية : محمد أمين غالب الطويل ، تاريخ العلويين (دار الأندلس ، ط٢ ، بيروت ١٩٦٦) . منير الشريف ، المسلمون العلويون من هم ؟ وأين هم (ط٣ ، دمشق ١٩٦٣) . عبد اللطيف اليونس ، الجبل المريض ، مخطوط ؟ . ومذكراته ، مصدر سابق . و :

J. Weulersse, les pays des Alaouites (Tours 1940) et son livre : Paysans de Syrie et du proche Orient (Paris 1946) . M. Moussa , Etude sociologique des “Alaouites ou Nusairis” these Doctorat d’Etat , 2vols , Paris 1958 .

[2] – مثل تلك الأفكار ، قد راودت المصريين إبان الوحدة . وقد كتب عبد الحليم قدور محافظ اللاذقية في تقرير موجه إلى وزير الداخلية بتاريخ ٦٠/٣/١٣ معترضاً " لأن فكرة التبشير لإدخال العلويين في حظيرة الإسلام . فكرة خاطئة وقائمة على دراسة نظرية مغلوطة وغير مقدرة لواقع العلويين وتاريخهم وظروفهم ومدى الوعي الذي وصلوا إليه الآن.. إن العلويين يعتبرون أنفسهم من صميم الإسلام والعروبة .. وإن إقامة المساجد في مناطقهم يجب أن تتم بناءً على رغبتهم وطلباتهم وإن بعضهم قد بدأ يُطالب بذلك لأنهم مسلمون لا لأنهم يريدون الدخول في الإسلام من جديد راجع "مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، قسم "الطوائف" ، حافظة رقم ٣٧ ، وثيقة رقم د١/١٤٥/٥.

[3] – حول هذه الثورة راجع : عبد اللطيف اليونس ، ثورة الشيخ صالح العلي . في الأعمال الكاملة، ص٧١ وما يلي . ولمعلومات أدق راجع :

Colonel Nieger , “choix des documents sur le territoire Alaouites communiques” . Rev du monde musulman , T. XLIX mars 1922 , p.1-6 .

الإنتداب ، وتمتعت بحكم ذاتي وباستقلالية قضائية وإدارية [١].

– عمل غالبية العلويين في القطاع الزراعي ، وقد مارست المدينة سيطرة إقتصادية على الريفيين الذين كانوا مجبرين على تقديم حصّة من عائداتهم إلى ملاكي الأرض من سكان المدينة السنيّين [٢] وقد أفرز هذا الواقع الإقتصادي – الإجتماعي بالإضافة إلى البعد الطائفي ، تناقضاً مدنياً – ريفياً بارزاً " بحيث بدت المدن الشاطئية وكأنها مستعمرة من الغرباء تمتص جهود السكان الريفيين وعرقهم " [٣] .

نُظمت هذه الطائفة على أساسٍ عشائري وانقسمت إلى عدة عشائر منها : الخياطين والحدادين والمتاورة والرسالنة [٤] . وكانت الروابط العشائرية أقوى لدى سكان الجبال الذين تمتعوا باستقلالية كاملة واستُغِلوا من قبل ملاكين من أبناء طائفتهم ، في حين

وقال إدمون رباط " إن العلويين قد عبّروا في ثورتهم هذه عن إنتمائهم للعروبة وللملكة السورية الفيصلية ، راجع كتاب :

Unite Syrienne et devenir Arabe, p.69 - 70 .

وراجع منير الشريف ، المسلمون العلويون ، من هم وأين هم ، ص١٦٨ – ١٦٩ .

(١) – استصدر الكولونيل نيجر من القاضي الشرعي محمد العجّان وثيقة تؤيد استقلال العلويين في المذهب عن السنّة . وعاد إلى اللاذقية ونفذ القرار وعيّن مفتشين شرعيين من مشايخ العلويين يرأسون المذاهب الخاصة بأبناء شيعتهم " راجع : يوسف الحكيم ، سورية والإنتداب الفرنسي، ص٦٦ .

وحول وضع العلويين في ظل الإنتداب : راجع م . ن. ص٦٢-٧٢، و

M.M. Moussa , Etude sociologique , p.900 - 926 cf . J. weulersse . paysans de Syrie . p.77 ff .. et son livre " Les Pays des Alaouites - p.40 - 80 . et Passim .

وراجع : منير الشريف ، المسلمون العلويون ، ص١٦٨ – ١٧٩ .

(٢) – كانت زراعة التبغ تشكل المورد الأساسي للمزارعين العلويين ، ولما كان هؤلاء معزولين وغير قادرين على بيع محصولهم . كانت حصتهم من هذا الإنتاج تذهب لصالح السماسرة من المصدرين السنّة في المدينة بالسعر الذي يفرضونه . راجع :

M.H. van Dosen , "Political integration , p.132 cf. J. Weulersse , les pays .. , p.325 .

(٣) – J. Weulersse , op cit , p. 60 .

(٤) – حول هذه التنظيمات راجع : محمد أمين غالب الطويل ، تاريخ العلويين، ص ٤٠٨ – ٤٣٦.

وراجع :

Munir M. Moussa, "Etude sociologique" .. p.230 - 257 .

خفت هذه الروابط لدى سكان السهول الذي،ن استُغلوا من قبل ملاكين سنّة أو أورثوذكس [١] .

مارس زعماء العشائر سلطة قوية على أفراد عشيرتهم ، وقد أفسح التنظيم المجال لبروز المشايخ (رجال الدين) الذين كان لهم نفوذ معنوي واجتماعي وصل في بعض الحالات إلى حد تقليص سلطة زعيم العشيرة أو تعيين آخر مكانه . وقد أتاحت ملكية الزعماء والمشايخ للأراضي ممارسة سلطان واسع على فلاحيهم ، وهكذا ثبتت الحقوق الإقطاعية قوة النظام العشائري ، وتدعمت تلك السلطة في حقبة الإنتداب نتيجة العلاقات القوية التي نشأت بين الإفرنسيين والعائلات الإقطاعية ، وانطلاقاً من ذلك تقوى النظام العشائري بالتنظيمات السياسية والإدارية التي قامت في دولة العلويين، وامتدت سلطة بعض الزعماء إلى خارج حدود أملاكهم [٢] .

مما لاشك فيه أن حقبة الحكم الإفرنسي قد حسنت بشكل جذري وضع الطائفة العلوية ، ومنحت طبقة منهم خبرة سياسية إلاّ أنها لم تجلب تطوراً إقتصادياً ملموساً إلى مناطق العلويين التي بقيت أقل تطوراً من أكثرية المناطق السورية [٣] . ومنذ الأربعينيّات، وبفعل الهجرات التي حدثت من مناطق العلويين إلى المدن والسهول في محافظتي حماه وحمص – حيث نمت القرى العلوية هناك بشكل كبير [٤] ، وبفعل التمدن وإزدياد فرص العمل ، وانتشار التعليم ، عمل الطلاب العلويون في الكليات وفي القوات المسلحة على تحسين واقع طائفتهم وكانوا مدركين أهمية تطوير البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لكتلة الفلاحين أبناء طائفتهم [٥]. مثل هذا الإنجاز حدث على

---

(١) – N. Van Dam , the Struggle .. , p 21 - 23 , cf . J. weulersse , les pays .. , p.72 -

(٢) – M.M. Mousa , Etude Sociologique .. , p.200 - 237. -

وراجع : منير الشريف ، المسلمون العلويون ، من هم وأين هم ، ص١١٥ – ١٢٥.

(٣) – J. Weulersse , les pays des alaouites , p.49 - 79 cf. -

يوسف الحكيم ، سورية والإنتداب الفرنسي، ص٦٦ – ٧٢ ، منير الشريف ، العلويون من هم ؟ وأين هم ، ص ٦٩ .

(٤) – J. Weulersse , Ibid , p. 341 - 342 . -

(٥) – باتريك سيل : الأسد ، الصراع على الشرق الأوسط ، ص ٤٤ – ٤٥ .

دفعات ، وكانت انطلاقته الأولى في الخمسينات، ثم إبان الوحدة مع مصر ، وبشكل ملحوظ عندما وصل حزب البعث إلى السلطة [١] .

الموحّدون الدروز السوريون : تعود أصول هذه الطائفة إلى عصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٩٩٦ - ١٠٢١) وقد انتشرت في بلاد الشام بفضل أكبر دعاتها محمد بن إسماعيل الدرزي [٢] حيث استقرت جماعاتها في مناطق جبال لبنان الجنوبية وفي صفد وجبل الكرمل وجبال حرمون ومنطقة حلب [٣] .

تضم سورية حالياً أكبر تجمع درزي (١٢٧ ألف نسمة) يعيش في غالبيته (٨٦٪) في محافظة السويداء [٤] . وهؤلاء هم أحفاد الدروز الذين بدأت هجرتهم من جبل لبنان إلى حوران منذ القرن السابع عشر ، وتكثفت بوجه خاص في أعقاب معركة عين داره (١٧١١) ، وتواصلت بعدها وتوسعت في القرن التاسع عشر ما بين ١٨٦٠

---

(١) - حول التغيرات الإجتماعية والإقتصادية التي حدثت في الريف السوري بعد عام ١٩٦٣ راجع المقال التالي : وقد اتخذ الباحث من أربع قرى في محافظة اللاذقية ميداناً لبحثه .
Raymond A. Himebusch "Local politics in Syria . Organization and mobilization in four village cases" in Middle-East Journal , vol 30 , No,1 , 1976 , p.1 - 24 .

(٢) - أعلن الدروز أنهم مسلمون بعد الفتوى الصادرة عن الأزهر الشريف ، راجع صحيفة الأنباء، بيروت ١٤ كانون الأول ١٩٦٨ .

(٣) - لمزيد من التوسع حول تاريخ الطائفة الدرزية راجع : عبدالله النجار ، بنو معروف في جبل حوران دمشق ١٩٢٤ سلامة عبيد ، الثورة السورية الكبرى ، دمشق ١٩٧١ . عارف النكدي طبع وتحرير التعريف بمحافظة السويداء، (دمشق ١٩٦٢) . راجع أيضاً : جودت باشا ، تاريخ جودت ج١، ترجمة نوفل نوفل ، بيروت ١٣٠٨ هـ ، ص ٣٨٠ - ٣٩٥ . وأيضاً حنا أبي راشد ، جبل الدروز - سلطان باشا الأطرش ، مصر ١٩٢٠ وكتابه : حوران الدامية (تاريخ ؟ مكان؟) راجع أيضاً :
L. Oliphant , the land of Gilead (Edinburgh (1880) . H. Blanc "Druze , particularism : modern aspect of an old problem" in Middle-East affairs , vol 11 , 1952 , p.292 - 325 . cf. M.G.S. Hodgson , art "Druze" dans l'ency de l'Islam 2eme ed , T. 11 , p.647653 cf. D. Sourdel , Ibid , art Hawran T. 11 , p.301 - 302 .

(٤) - منشورات المكتب المركزي للإحصاء ، دمشق إحصاءات ١٩٦٠ -١٩٦٣ ، ص ٢٠ .

و١٨٦٦. وهناك هجرة أخرى حصلت في بداية القرن الثامن عشر لبعض العائلات الفقيرة من الفلاحين التي كانت تعيش في منطقة حلب ، وقد تحولت متوجهة إلى حوران هرباً من نير الإستغلال الذي كانت تعاني منه على يد أسيادهم الإقطاعيين السنّة [١].

توزعت تلك الموجات المهاجرة على اتساع بقعة حوران حتى بلغت السهول المنخفضة المحيطة بدمشق ، وقد تمكنت من السيطرة على القرى المسيحية في جبل العرب وتهيأ لها بذلك إخضاع السكان الآخرين لتلك المناطق من البدو وأنصاف البدو في سهول حوران ومنطقة جبل عجلون إلى حد إلزامهم بدفع الجزية والالتحاق بقواتهم إبان الثورة [٢] .

إن ٩٠٪ من الدروز يعيشون على العمل في القطاع الزراعي تحت نظام إقطاعي مغلق ، بمعنى أنهم يعملون لحساب وتحت خدمة الملاكين من العائلات الإقطاعية الدرزية دون غيرها من أية جماعة غير درزية ، ولهذا ، لم يظهر في مجتمعهم صراعات دينية أو عشائرية إقطاعية كما حصل في المجتمعات التعددية المختلطة في سورية ، وإنما كان الصراع هنا صراعاً اجتماعياً واقتصادياً وطبقياً في قلب وداخل المجتمع الدرزي نفسه [٣] .

ومن العائلات القديمة التي كان لها النفوذ والسيطرة تبرز عائلة "آل حمدان" التي استمر تسلطها على الأرض والرجال أمداً من الزمن ، إلى أن تلاشى سلطانها فقامت بعدها وحلت محلها عام ١٨٦٨ عائلة الأطرش ، ولم تكن معاملتها للفلاحين وتعاملها معهم أقل تعدياً وظلماً وقهراً إلى أن أُجبرت كارهة مضطرة إثر (عامية عام ١٨٩٠) على التنازل والإعتراف للمزارعين ببعض أجزاء الملكية التي كانت مغتصبة . ومنذ ذلك الزمن يعيش الدروز على خدمة أملاكهم الخاصة وجني خيراتها كبيرة كانت أم صغيرة ،

---

(١) – عبد الله النجار ، بنو معروف ، ص ٧٩ – ٨٢ وحنا أبي راشد ، جبل الدروز ، ص ٢٩ عارف النكدي : التعريف بمحافظة السويدا ، ص١٢٥ – ١٢٧ . وراجع :
D. Sourdel , art "Hawran" , dans l'ency de l'Islam , T.11, p. 302 .

(٢) – راجع : عبد الله النجار ، بنو معروف في جبل الدروز ، ص ٧٨ – ٧٩ . وسلامة عبيد ، الثورة السورية الكبرى ، ص ٦٠ – ٦٣ .

(٣) – - M. van Dosen , political integration and Regionalism in Syria , p.125. cf. J. weulersse , paysans .. , p.259. cf. N. van Dam , the Struggle .. p.24 - 25 .

ومن ليس له ملكية منهم ، فقد هاجر إلى المدينة سعياً وراء الرزق وبأمل تحسين وضعه الإقتصادي [1] .

وقد بقيت العائلات التقليدية في المجتمع الدرزي محتفظة بالنفوذ ضمن أبناء طائفتها ولكن هذا النفوذ أخذ يتضاءل إلى أن تحول إلى شبه شكلي بعد إنتشار التعليم ، والتحديث وقيام الأحزاب التقدمية وغزوها صفوف المثقفين من أبناء الدروز [2] . وبعد أن كان العمل السياسي محصوراً ومحتكراً بين أبناء العائلات التقليدية كمثل عائلتي الأطرش وأبو عسلي فقد صار منفتحاً لأي شخص أو فئة من الحزبيين أو من الناشطين في الحقل السياسي منذ عام ١٩٦٠ .

وكان الدروز على تجمعهم وتمركزهم أهل تمردٍ وتحدٍ للسلطة المركزية في دمشق ، وقد باءت بالفشل جميع المحاولات التي كانت تتتالى لإخضاعهم وكسر شوكتهم [3] وكانوا أيضاً محل اشتباه في ولائهم للدولة بالنظر للقرب الجغرافي وللعلاقات الجيدة بينهم وبين الأسرة الهاشمية المتهمة دائماً بحبك الدسائس والمؤامرات على النظام الجمهوري في سورية، لذلك كان همُ السلطة الحكومية تشديد المراقبة عليهم [4] ، وتمكنت منهم عند سحق الثورة الدرزية عام ١٩٥٤ ، بفضل التفوق العسكري الذي استخدمت فيه

---

(١) – شبلي العيسمي في عارف النكدي (طبع وتحرير) . التعريف بمحافظة السويدا ، ص٢٠ – ٥٥ ، ٧٧ – ١٠٥ وحول الانتفاضة الفلاحية راجع : هيثم العواد، إنتفاضة العامية الفلاحية في جبل العرب ، (دمشق ١٩٧٦) Pasim .

(٢) – شبلي العيسمي : التعريف بمحافظة السويدا ، ص ٩٤ – ٩٦ .

(٣) – عجز إبراهيم باشا عام ١٨٣٩ عن إخضاع جبل الدروز وكذلك كان حال حملة الوالي قبرصلي محمد عام ١٨٥٢ ، وبعد ثورة الدروز عام ١٨٧٩ زمن الوالي مدحت باشا ، سلمت الحكومة الإقليمية في دمشق بالأمر الواقع وحصل قضاء جبل الدروز على تنظيم إداري نصف مستقل تحت رئاسة قائمقام درزي وتشكلت فيه ضابطة درزية محلية وأصبح مرتبطاً بلواء دمشق واستمر كذلك حتى نهاية العهد العثماني. راجع : أمل بشور ، نظام الحكم في سورية ولبنان ، ص٣٧٩ – ٣٨١ . راجع حول الوقائع التي خاضها الدروز دفاعاً عن استقلاليتهم : حنا أبي راشد ، جبل الدروز، ص٥٨ – ٨٢ وعبد الله النجار ، بنو معروف في جبل الدروز ، ص١٠٠ – ١٠٤ .

(٤) – راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، المجموعة [جبل العرب (الدروز)] القسم " المخابرات " رقم الحافظة /٦/ وثائق من ١ – ٣٨ . من عام ١٩٤٢ حتى ١٩٥٩ .

الدولة أحدث ما لديها من السلاح والتقنية والتخطيط ، ومنذ ذلك التاريخ تحوّل الدروز إلى مواطنين مثل باقي السوريين وانتهى عهد حكمهم الذاتي وتحولوا إلى المشاركة في الصراع على السلطة على صعيد الجيش والأحزاب .

الإسماعيليـــون : طائفة إسلامية شكلت ، على غرار العلويين والدروز، تجمعاً دينياً متميزاً عن السنة والشيعة ، وتعَدُّ حروبهم ضد الصليبيين ثم ضد الأيوبيين والمماليك والعثمانيين جزءاً من تاريخ سورية [1] .

يعيش ٨٠٪ من إسماعيليي سورية في محافظة حماة حيث يشكل السنّة أكثرية مطلقة ٦٤،٦٪ والإسماعيليون ١٣،٢٪ والأورثوذكس ١١٪ ، ويتمركز الإسماعيليون في منطقة السلمية ومصياف حيث يشكلون أكثرية عددية وعليه يمكن اعتبارهم من الطوائف المتراصة [2] .

كانت السلمية أكبر مراكز هذه الطائفة في القرنين التاسع والعاشر . وفي القرن الحادي عشر بدأت تنتشر في منطقة اللاذقية حيث وجدوا ملجأ لهم في جبالها ثم استقروا في مدينتي مصياف والقدموس ومع الزمن سيطروا عليها اقتصادياً واجتماعياً ، وقد شهدت المناطق الريفية في إقليم اللاذقية صدامات متتالية بين هذه الطائفة وجيرانها العلويين [3] وقد عاد أكثرية الإسماعيليين إلى السلمية التي طُردوا منها في عهد الظاهر بيبرس عام ١٢٧٣ ، وذلك بعد أن منحهم السلطان عبد المجيد عام ١٨٤٥ إمتياز تملك هذا الجزء من إمبراطوريته .

---

(١) - B. Lewis , the Assassins . a Radical sect in Islam, London (1967) , Pasim .

(٢) - A. H. Hourani , Minorities - . p.24 . cf . G. Baer, population and Society in the Arab East (London) 1964) p. 109 , cf. N. Van Dam the Struggle .. . p. 24 25 .

(٣) - راجع : محمد غالب الطويل ، تاريخ العلويين ، ص ٣٨٠ - ٣٩٩، ٤٠٠. وراجع : J. Weulersse , les pays des Alaouites , p.341 - 342 , 369 - 370

عمل الإسماعيليون في القطاع الزراعي وساد بينهم النظام الإقطاعي وبرزت عائلات اقطاعية مثل آل تامر وآل الميرزا ، وتطورت مناطقهم اقتصادياً واجتماعياً قبل مناطق العلويين [١] ، وقد هاجرت أعدادٌ من هذه الطائفة نحو المدن السورية وعملوا في مضمار التعليم والمهن المتعددة في مجالات الحياة المدنية ، والتحق بعضهم بالكلية العسكرية . وانجذبوا نحو أفكار حزب البعث . وبعد ثورة ٨ آذار ١٩٦٣ كسبوا تمثيلاً لا بأس به في مؤسسات السلطة السياسية والعسكرية [٢] .

المسيحيون العرب : تضم سورية أكبر مجموعة من المسيحيين العرب ، وهم موزعون على طوائف ومشتتون عبر المناطق ، فهناك طائفة الروم الأورثوذكس التي تأتي في الطليعة عدداً ، وهي الأفضل تجمعاً ، وتشكل دمشق أكبر تجمع أورثوذكسي شرقي ، كما يلاحظ التمركز الأورثوذكسي في بعض المناطق الدينية من محافظات اللاذقية والسويداء وحماه وذلك بنسبة ١٢،٨٪ و ١١،٢٪ و ١١٪ على التتالي من سكان تلك المحافظات [٣] .

وبعد طائفة الروم الأورثوذكس تأتي طائفة الروم الكاثوليك ثم الموارنة ، ثم البروتستانت فاللاتين ، وهي تعرف بالطوائف الغربية لاعترافها بالسلطة البابوية – باستثناء البروتستانت – وتبرز مدينة حلب مركز تجمع الروم الكاثوليك . في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، عندما انطلقت النهضة الأدبية ثم القومية مستوحاة من أفكار المدارس الغربية ومقرونة بتطلعات السياسة الغربية ، تحمس لها المثقفون المسيحيون من الطوائف الغربية روداً لها ولعبوا في مجالاتها دوراً بارزاً في حين كان

---

(١) Claude Palazzoli , la Syrie , le reve et la rupture , ed le Sycomore (1977 – France) p.55 -56.

(٢) – سامي الجندي : البعث ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ . ومطاع الصفدي ، حزب البعث، مأساة المولد مأساة النهاية ، (بيروت ١٩٦٤) ص ٣٤٠ .

(٣) - M. Seurat , Les populations , l'Etat et la societe dans la Syrie d'aujourd'hui .– p.90 - 100 cf. Jean-Pierre valonges . vie e mort .. p.718 - 719 . cf . J. c . Dewdney . Syria : patterns of population .. , p.135 - 136 .

رد فعل الأورثوذكس مختلفاً أقل ما يوصف به هو التحفظ والحذر [١] ، وسببه استغلال التوجهات السياسية الغربية لصالح الأغراض المذهبية وتقوية الطوائف الغربية على حساب الأورثوذكس الشرقيين الذين تمتعوا بدعم القيصرية الروسية وحمايتها ولما فقدوها، إثر قيام الثورة في روسيا، لم يجدوا لهم غير المناداة بالقومية العربية، وكان ذلك بعد عام ١٩١٦حيث أعلن رئيس الطائفة البطريرك غريغوريوس حداد وقوفهم في " صف وتحت راية فيصل بن الحسين" [٢] .

ولكن الآمال العريضة بقيام الدولة العربية السورية الموحدة ما عتمت أن تبددت أضغاث أحلام خائبة ، وحلَّ الإنتداب الإفرنسي بعام ١٩٢١ في سورية ، فإذا بالمسيحيين السوريين يستقبلونه بالترحيب وقد استمروا على ولائهم لسلطات الإنتداب بدافع التمتع بمعاملة خاصة وبواقع متميز ، ولم يشاركوا في الحركات الثورية ضد المنتدب [٣] باستثناء بعض قلة من البرجوازيين الذين آثروا الإنضمام إلى الحركة الوطنية منهم فارس وفايز الخوري .

إن الإنتداب قد أحدث في سورية نظام حكم برلمانياً ديمقراطياً، وأقام دولة جديدة تنهض مؤسساتها على ركائز مبادئ المساواة المدنية والعدالة والتسامح الديني ، ولما انقضى هذا العهد ، بقيت تلك المؤسسات قائمة على المبادئ نفسها، وقامت حكومات الإستقلال حكومات وطنية أوليغارشية ، قد أتيح لبعض المسيحيين أن يلعبوا فيها دوراً سياسياً يتناسب مع واقعهم الاجتماعي ومستواهم الفكري والثقافي ، وبالأخص مع استيعابهم للنظام الديمقراطي بفعل تشبّعهم من الثقافة الغربية . إلاّ أن أكثرية المسيحيين لم

---

(١) - A. Hourani , Syria and Lebanon a political Essay , p.144 .

(٢) - يوسف الحكيم ، سورية والعهد الفيصلي ، (ط٣ ، بيروت ١٩٨٦) ص٥٧ ، ٢٠٧ ، وراجع: لونغريغ ، سورية ولبنان ، ص٢١ - ٢٢، ١١٨ .

- ومن الجدير ذكره أن " البطريرك غويغوريوس " قد قام وحده بتوديع فيصل وحاشيته في محطة القطار المتوجه إلى درعا لدى خروجه من سورية ، في ٣٠ تموز ١٩٢٠ . وفي عام ١٩٢٦ وقف أمام مذبحه - حسب قول النائب ... نوفل الياس وقال : ايها الهيكل إذا كنت تحول دون الدفاع عن قوميتي العربية فلا كنت أيها الهيكل ولا كنت أيها المذبح " : راجع كلمة النائب المذكور في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٧/ للعام ٥٦ - ٥٧ ، ص ٢٨٤ .

(٣) - Jean-Pierre valonges , vie - et mort .. , p.709 - 710 .

ينظروا إلى هذا الإستقلال إلاّ وأنه انتصار للأغلبية المسلمة ، فباتوا قلقين من هيمنة المسلمين الأصوليين وتوجههم نحو إلغاء مراسيم العلمنة التي كرستها سلطة الإنتداب [١] .

وعلى الرغم من هذا القلق ، بقي المسيحيون الأورثوذكس يعملون في الصف القومي الوطني . وهم ملتزمون الواقع السياسي من زاوية عقائدية طغت لديهم على كل تفكير أو توجه مذهبي . ومنهم من دخلت أسماؤهم التاريخ كمؤسسي لأحزاب عقيدية التي لا تزال البلاد تعيش تحت هديها . وعندما افتتح حسني الزعيم عصر تدخل المؤسسة العسكرية في الشؤون السياسية ، وأخذت بالتالي طبقة الجيش على عاتقها تحديث القوانين وتنفيذ سياسة العلمنة ، وتبني تلك المبادئ التي طرحها اللبناني أنطون سعادة والدمشقي ميشال عفلق تخلصت سورية تدريجاً من سيطرة المؤسسات الشرعية الإسلامية ، والرجعية الإقطاعية واندمج مسيحيو سورية داخل مجتمعهم ، وانتمى الأورثوذكس بخاصة إلى الأحزاب العقائدية مبتعدين تماماً عن انتمائهم الطائفي . ومن الملاحظ أن الأنظمة العسكرية قد قلصت دور المسيحيين تدريجاً في الحياة السياسية ، وتراجع ذلك الدور بشكل ملحوظ إبان الوحدة مع مصر ، حين أخذت هجراتهم تزداد وهي لا تزال تتوالى [٢] . وقد أتاحت ثورة ١٩٦٣ للأقليات الطائفية الإسلامية ، ومن بينهم بعض المسيحيين الحزبيين ، فرصة الظهور والبروز لأول مرة على مسرح السلطة [٣]

---

[١] – برز ذلك لدى مناقشة مسودة بنود دستور ١٩٥٠ ، خاصة الوثيقة المقترحة التي تتعلق بمسألة سلام كدين للدولة . وقد أشار النص إحتجاجات الطوائف المسيحية وعقد في دمشق في ٢ تموز ١٩٥ إجتماع يمثل جميع الملل المسيحية ورفعوا مذكرة إلى الحكومة طالبوا فيها بألاّ يتضمن الدستور ذكر محدد لدين خاص للدولة . كذلك سبب تقليص عدد النواب المسيحيين، من ١٩ إلى ٩ ، بموجب دستور الشيشكلي إستياءً ما لدى المسيحيين ، وخافوا من أن تتقلص حقوقهم أكثر فأكثر .

[٢] – أشار Van Dam إلى أنه في فترة الوحدة (١٩٥٨ – ١٩٦١) لم يحصل المسيحيون على أي منصب في الوزارات الإقليمية أو المركزية وقد وصل التمثيل السنّي إلى ٩٤،٧٪ في الفترة التي سبقت ولحقت مباشرة عصر الوحدة . راجع كتابه :

the struggle for power in Syria , p.104 .

[٣] – حول التمثيل المسيحي في الوزارات السورية بعد عام ١٩٦٣ . راجع Van Dawn في كتابه The Struggle اللوحتين رقم٢ ص١٢٦ ، ورقم٤ص١٢٩ .

ومع ذلك ، فإن المسيحيين السوريين كانوا ولا يزالون أقلية لا دور ولا وزن لها في بلادٍ يسيطر عليها الفكر الإسلامي بكل قوته وبكل شعوره بالتفوق [1].

× × ×

وهكذا ، ومن خلال تحليلنا لخصائص المجتمع السوري وتركيبته البشرية غداة قيام الجمهورية السورية المستقلة نستنتج أن هذا المجتمع ضم خليطاً متنوعاً في أصوله ، متبايناً في عقائده وتقاليده وانتماءاته مما جعل الإحساس بالشخصية الوطنية السورية غير ناضج وأعاق قيام كيان سياسي مترابط ، وقد انعكس ذلك على طبيعة الحياة السياسية التي سارت في طرق متعرّجة وسريعة التبدل .

وعلى الرغم من تعدديّة ولاءات السوريين على حساب الولاء للوطن الأم فقد ساهمت الأنظمة التي تعاقبت على سورية في خلق شعور غامض بالانتماء إلى هذه الدولة توضح عبر السنوات وساهم زمن الأزمات في الحفاظ على شخصية سورية وكيانها السياسي .

---

(1) - Jean-Pierre valonges , vie et mort .. , p.711 - 712 .

الفصل الثاني

=============

التحولات الإقتصادية وآثارها

تمهيد :

أفرزت ظروف الحرب العالمية الثانية تبدلات عميقة في بُنية الإقتصاد والمجتمع السوريين ، وخلقت أوضاعاً ملائمة لصمود البلاد ولقيام مجتمع أشد تماسكاً واندماجاً [١] .

شهد الإقتصاد السوري ما بين عام ١٩٣٩ و ١٩٤٩ قفزة نوعية ، فقد ازدادت مساحة الأراضي المستثمرة من ٣،٦ إلى ٦،٢ مليون فدان والأراضي المروية من ٣٥٠ إلى ٨٥٠ ألف فدان . وفي عام ١٩٤٩ وصل محصول الحبوب إلى ١،٢ مليون طن ، وازداد إنتاج القطن ثلاثة أضعاف عن معدلاته في السنوات السابقة وازدادت بالتالي إمكانية التوسع في مصانع غزل وحياكة القطن ، واستفادت سورية من الإرتفاع البارز في أسعار البضائع المصدّرة لدعم وتعزيز دخلها القومي [٢] .

---

[١] – إن أحدث المؤلفات التي تناولت التطور الإقتصادي – الإجتماعي في سورية هي : محمد فايز الطويل ، المجتمع العربي السوري في الدولة الحديثة . (دمشق ١٩٦٧) .
R. Hilan , culture et developpement en Syrie op, cit . Samir . A. Makdisi , "Syria . Rate of economic growth and fixed capital Formation , 1936 - 1968 , Middle-East Journal . vol 25 , No 2

[٢] – وضع التقرير الأولي البنك الدولي لوحة عن ميزانية سورية هي التالية :

عام	نفقات عادية	نفقات استثنائية	الدخل	الفائض
١٩٤٦	١١٣ م.ل.س	–	١٢١ م.ل.س	٨ فائض
١٩٤٧	١٢٢ م.ل.س	–	١١٦	٦ فائض
١٩٤٨	١٣٦ م.ل.س	–	١٦١	٢٠ فائض
١٩٤٩	١٤١ م.ل.س	٦٧م.ل.س	١٣٦	٧٢ عجز

هذه الأرقام تظهر أنه حتى اندلاع الحرب الفلسطينية كان الوضع المالي السوري مرضياً : دخل حقيقي زاد عن النفقات ، واستعمل الفائض لتمويل الأشغال العامة . وسببت النفقات العسكرية بداية العجز في موازنة ١٩٤٨ – ١٩٤٩ راجع :

أدى التضخم إبان الحرب إلى ارتفاع أسعار المواد ثماني مرات عما كان عليه سابقاً دون أن يُرافق ذلك زيادة في الأجور والرواتب ، وتدنت بالتالي مستويات معيشة أغلبية السكان في حين استفاد المضاربون وتجار السوق السوداء . كذلك حرك تدفق جيوش الحلفاء إلى المنطقة عام ١٩٤١ الاقتصاد السوري وازداد الطلب على المنتجات السورية بسبب الحظر الشديد على الواردات ، واستفادت البلاد من العملات الصعبة التي طرحتها جيوش الحلفاء ومن الكوتا ، وهي الحصة من الدولارات التي منحتها الولايات المتحدة لكل بلد دخل ضمن دائرة الحلفاء ، وتكدست الثروات في أيدي ملاكي الأراضي وأفراد من الطبقة الوسطى من أصحاب المؤسسات التجارية والمقاولين ، وتشكل بالتالي أول رأسمال وطني استثمر داخل البلاد ، فكانت ثورة في مضمار النمو الإقتصادي الذي استمر في مسيرته خلال العقد الأول من فترة ما بعد الحرب على الرغم من النكسات الآنيّة . وتلك الثورة ، ثورة فردية. قامت بها طبقة من رجال الأعمال بشكل عفوي دون أي إرشاد أو توجيه حكومي [1] وعملت هذه الطبقة على مستوى عال قياساً بمستوى سورية التي كانت بلاداً من القرن التاسع عشر واهتزت بعمق بمبادرات هؤلاء الذين كسروا التقاليد الموروثة .

فلنتتبع أدناه النمو الذي شهدته سورية منذ الأربعينيات :

– النمو الاقتصادي :

كانت سورية تملك مساحات واسعة غير مستثمرة في الشمال الشرقي ، ونحو تلك الأراضي البكر توجهت الطبقة الجديدة من سكان المدن ، والتي لم تكن سابقاً على اتصال بالأرض . فاشترت أو استأجرت الأراضي من شيوخ القبائل . واستفادت من التقنيات التي خلفتها وراءها جيوش الحلفاء ، ومن الخبرات التي اكتسبها الذين عملوا

F.o /371/98418 . "Economic development in Syria , 1st oct. 1951 p. 4 - 5 .

(١) – كتب تقرير البنك الدولي " إن الإدارة السورية مُجدّة وشريفة ، بيد أنها لا تملك في الواقع أشخاصاً مؤهلين لإنجاز كبير على صعيد الإقتصاد، وعليه سار النمو الإقتصادي عفوياً دون أي إرشاد أو توجيه من الدولة" راجع : F. O /371/98418/ . . p. 9 .

معهم أو احتكوا بهم ، كذلك استوردت الآلات الحديثة من جرارات ودرّاسات وحصادات إلى تلك الأراضي ، وأصبحت سورية البلد الأول في الشرق العربي الذي استخدم المكننة في مضمار الزراعة على هذا المستوى المهم [١] .

استثمرت الأراضي على طول الحدود التركية – السورية. في تلك المناطق التي تشكل قوس الهلال الخصيب ، ومن شرقي حلب حتى حدود العراق على شكل حزام من الأراضي المروية التي أصبحت تنتج ثلثي إنتاج البلاد من الحبوب التي شكلت آنذاك الجزء الأكبر من صادرات سورية [٢] . ثم بدأ التوسع في زراعة القطن ، أولاً في حلب ، ثم في منطقة اللاذقية وسهول حمص وحماه ، لتحتل زراعته تدريجياً المناطق المستثمرة حديثاً في سهول الخابور والفرات وليصبح غلةً جديدة توسعت زراعتها إبان الحرب الكورية بسبب إرتفاع أسعار القطن واستعمال بذرة القطن الأمريكي التي أعطت أمثالاً مضاعفة في معدل الإنتاج [٣] .

---

(١) – أطلق Dorcen Warriner على هذه الطبقة إسم أصحاب الجرارات ، هم من الجماعات التي هاجرت من تركيا بعد الحرب العالمية الأولى ، منهم رجال أعمال مسلمون وأغلبيتهم من الأقليات المسيحية ، مثل " بير معمار باشي ، الملقب بملك الجزيرة ، وهو أرمني، ثم الأخوان أصفر ونجار أورثوذكسين من ديار بكر. وعبد المسيح أصفهان سوري كاثوليكي " . وقد استورد هؤلاء الآلات من أوروبا والخبرات من مصر وأوروبا ، وغيّروا الطابع البدوي لتلك المنطقة إلى منطقة الزراعة الآلية . راجع كتابه :

Land Reform , p. 88 - 89 .

وفي عام ١٩٤٩ كانت منطقة الجزيرة تحتوي ٧٠٠ جرّار و ٣٥٠ حصادة ولم يكن يوجد في كل سورية سوى ضعف هذه الأرقام راجع :

FAO, State of food and agriculturein 1955 . (Roma . 1966) p.76 cf . Economic development of Syria , Report of mission organized by I. B. R. D. (Baltimor , Johns Hopkins press , 1955) p.72 - 74 .

(٢) – ظل القمح المحصول الأول في سورية حتى إحتل القطن هذا المركز ، وظلت سورية دولة مصدرة للقمح حتى تحولت عام ١٩٥٨ إلى مستوردة له . وقد وصل إنتاج القمح عام ١٩٥٦ – ١٩٦٠ إلى ٥٩٤ ألف طن وهو رقم أدنى من مستواه في الأعوام ١٩٤٨ – ١٩٥٢ ، إذ بلغ آنذاك ٧٦١ ألف طن . راجع حول محاصيل القطن والقمح وأسعارها بالليرة السورية :

FAO. Yearbook of food and agricultural statistic . (Rome , 1955) p. 72 cf. R. Hilan . Culture et developpement , p.202 .

(٣) – U. N. "Economic development in the Middle-East. From 1945 to 1954" .

رافق النمو الزراعي ودعمه استخدام النقل الآلي ، ولقد دفع النقص في سكك الحديد المستثمرين من القطاع الخاص إلى تطوير شبكة المواصلات والنقل الآلي ، فأدخلوا السيارات والشاحنات للربط بين الأقاليم الزراعية والمدن الكبرى ومناطق التصدير [١] ، وبذلك تهيأت السبل لاستقطاب منطقة الجزيرة مهاجرين من مناطق أخرى فازداد عدد سكانها من ٣٢ إلى ٤٩٪ ما بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٣، كذلك لعب النقل دوراً ملحوظاً على صعيد اقتصاد السوق ، وكان عامل دمج بين السكان ، وألغى تدريجاً دور القوافل التقليدي ، وأجبر القبائل على التوجه نحو العمل الزراعي بعد أن خسروا عائداتهم من النقل [٢] .

إذا كان من الصحيح القول إن التوسع الزراعي السوري قد دحض النظريات المتداولة حول أن التطور الإقتصادي في بلادٍ متخلفة يحتاج إلى رأس مال وخبرات أجنبية وخدمات عامة جيدة . وإن سورية لم تكن تملك شيئاً من كل هذا واستطاعت بفضل قوى فردية وتحت تأثير المصالح الرأسمالية أن تحقق إنجازاً أثار دهشة وإعجاب

(New York 1955) p. 184 .

(١) – كان طول الطرق البرية في سورية عام ١٩٤٣ ٥٧٤٠ كم ووصل عام ١٩٤٩ إلى ٩٤٣٤ كم وفي عام ١٩٥٣ ١٠٠٢٨ كم وهو أعلى رقم حيث تراجع عام ١٩٦٣ إلى ٧٨٨٦ كم . راجع : المكتب المركزي للإحصاء ، مؤشرات قطاع النقل والمواصلات في الجمهورية العربية السورية (آب ١٩٧٠) .

(٢) – كان عدد سكان الجزيرة عام ١٩٤٠ ١١١،٣٠٠ نسمة ووصل إلى١٥٥،٦٦٣ نسمة عام ١٩٤٩ ، وقد حدثت تغييرات جذرية في حياة البلاد هناك منذ عصر الإنتداب فقد مال الإفرنسيون إلى منح شيوخ القبائل استقلالية كاملة وقسماً من أراضي الدولة وبذلك أصبح هؤلاء المشايخ مالكين شرعيين لأراضٍ واسعة غير مزروعة ، وتحولت تلك إلى زراعية في الأربعينيات حيث أجرت مقابل حصة من ١٠ إلى١٥٪ من إنتاجها كما تم بيع قسم منها، وأصبح المشايخ أثرياء " شيوخ القطن" بينما حُرم أفراد القبيلة من عائدات الأرض وخسروا مراعيهم وقد كتبD. Warriner "إن رجال قبيلة بني شمار يجلسون بصمتٍ حزين وراء خيمهم المحاطة بالذرة الخضراء ويتساءلون لماذا يحتفظون حتى الآن بإبلهم ... إن التنظيم البدوي في طريق الإنهيار .. وإن من المحزن رؤية موت التقنيات القديمة ، وأسس الحياة القديمة التي كانت تحتضر منذ وقت طويل .. ولن يتأسف سوى الرومانسيون على تلك النهاية المأساوية للصراع بين البداوة والإستقرار" .. راجع كتابه :

Land Reform , p.87 - 89 .

الخبراء الإقتصاديين الغربيين [١] . إلاّ أن أهمية هذا الإنجاز كانت نسبية ، فقد اتسمت عملية التوسع الزراعي بطابع المضاربة ، وبالجهل باستخدام الآلات ، والانسياق وراء الأرباح ، والاصرار على نظام زراعي أحادي ، والاستغلال المفرط للتربة [٢] ، وما هو أهم من كل ذلك ، هو أن فوائد هذه العملية كانت لصالح المدينة ، ولم تؤدِ إلى تغييرات في حياة الكتلة الفلاحية التي بقيت خاضعة للأساليب القديمة وغارقة في الجهل والبؤس ، في ظل هيمنة كبار الملاكين ، وإستمرارية قوانين الملكية القديمة [٣] .

أما على الصعيد الصناعي فقد هيأت أزمة الكساد العالمية عام ١٩٢٩ المجال لقيام صناعة آلية في سورية ونشأت في الثلاثينيات مؤسسات صناعية استهلاكية باستثناء الشركة الوطنية للإسمنت ومواد البناء ومصانع الإسفلت الطبيعي [٤] ، وقد بقيت الصناعة السورية ضعيفة بسبب ضعف قدرات البلاد التقنية ، وعدم توجه الرأسمال السوري نحو الاستثمار الصناعي . وجاءت الحرب العالمية الثانية لتقدم فرصة ذهبية لنمو قدرات سورية الصناعية ، فالأرباح المتراكمة الناجمة عن متطلبات الحرب وزيادة الطلب على الإنتاج المحلي من قبل قوات الحلفاء ، دفع عجلة الصناعة السورية نحو الأمام [٥] .

---

(١) - Bernard orgels, Contribution a l'etude des problemes agricoles de la Syrie, (Bruxelles 1962) p.49 .

(٢) - U.N. Economic development .. , p.184 - 185 , cf. A.R. Hamide la Region d'Alep , "Etude geographie Rural" , (Univde Paris 1959) , p. 236 .

(٣) - حول نظام الملكية حتى صدور أول إصلاح في عصر الشيشكلي راجع:

D. Warriner, Land Reform, op, cit, p. 97 - 101, cf R. Hilan , culture et developpément , p221 - 222 . cf. A.R.Hamide , la Region d'Alep , p. 195 et suiv. cf

راجع أيضاً : محمد فايز الطويل ، المجتمع العربي السوري ، ص ٤٣ – ٥٣ .

(٤) - حول الصناعة السورية راجع :

A. Farra , l'Industrialisation en Syrie (Geneve, 1950) , p. 174 - 177 .

وفي عام ١٩٣٠ أسس خالد العظم مع عدة شركاء الشركة الوطنية لصناعة الإسمنت ومواد البناء في دمر (ضاحية من دمشق) وكان لنجاح هذا المشروع ووفرة الأرباح دور في دفع الآخرين إلى إستثمار أموالهم في الأعمال الصناعية وقد تأسست في دمشق عام ١٩٣٥ " غرفة صناعية " أصبح لها دور في توجيه سياسة الدولة . راجع : خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٥ – ٦ .

(٥) - A. Farra , l'Industrialisation en Syrie , p. 18 .

– قامت الصناعات الجديدة على مدخرات هؤلاء المقاولين – التجار الذين اقتحموا عالم الزراعة الحديثة ، وانضمت إليهم مجموعة من كبار الملاكين السوريين وبعض الرأسماليين اللبنانيين الذين جذبتهم الأرباح المجنيَّة من هذا القطاع [١] . وبدأت في الأربعينيات مسيرة تطور الصناعة السورية مستفيدة من وفرة الأيدي العاملة بأجور بخسة بسبب التراجع الملحوظ في الهجرة ، وإنتشار البطالة في مجال الحرف اليدوية ، وقد استمرت المسيرة في تقدمها، رغم توقف إنفاق جيوش الاحتلال ، لأن إعادة بناء وتعمير أوروبا بعد الحرب قد هيأت الفرص لتصدير البضائع السورية نحو الخارج وخاصة نحو الدول المجاورة ، وعليه وصل عدد الشركات الصناعية ما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٦ إلى ١٧ شركة ، وتأسست ١٤ شركة دفعة واحدة عام ١٩٤٦ برأسمال قدره ٤،١ مليون ليرة سورية [٢] .

كان النمو الصناعي السوري محدود السقف ، فالمخزون الكبير من العملات الصعبة الذي تكدس إبان الحرب قد استثمر في تجارة الاستيراد ، كما خنق تدفق البضائع الأجنبية ، ذات النوعية الأفضل بالأسعار الأنسب ، التطور الصناعي السوري . وقد حافظ النتاج الصناعي بصعوبة على المستوى الذي وصله إبان الحرب العالمية الثانية ، ولم يتجاوز رأس المال المستثمر في هذا القطاع الـ ٨٠ مليون ليرة سورية ما بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٩ . ولطالما بقيت سورية مقيدة بوحدة جمركية مع لبنان الذي تمسكت حكومته بمبدأ التجارة الحرة والباب المفتوح وفقاً لمصلحة البلاد التجارية ، فإن تدفق البضائع الأجنبية ، خصوصاً النسيج ، سيؤدي حتماً إلى إعاقة نمو القطاع الصناعي السوري ، وكان هذا سبباً كافياً للانفصال الجمركي عن لبنان والذي سبقه ومهَّد له إنفصال نقدي [٣]. وبناءً عليه ، وتحت ضغط أصحاب المصانع السورية قامت الحكومة

---

(١) – F.O / 371 / 98418 / "Economic development in Syria" Report of I.B.R.D. , p.4 .

(٢) – R. Hilan , culture et developpement en Syrie , p. 168 - 169 .

(٣) – للتوسع حول النقد السوري – اللبناني ، وإرتباطه بالنقد الإفرنسي والذي انتهى بموجب عقد الإتفاق المالي في (٢٥/١/١٩٤٤) الذي حدد سعر الليرة السورية واللبنانية نسبة إلى العملات الخرى . هذا وقد وقع لبنان في ٢ شباط ١٩٤٨ اتفاقاً أدى إلى الفصل بين عملته والعملة السورية في وقت لم تكن سورية قد أبرمت اتفاقيتها النقدية مع فرنسا . راجع :

وفصمت في ١٣ آذار ١٩٥٠ هذه الوحدة الجمركية وفرضت تعريفة جمركية جديدة على البضائع المستوردة وحظراً على استيراد بعض السلع [١]، عندئذ استعادت الصناعة السورية انطلاقتها ولكن ليس دون صعوبات ، فقد كان على أصحاب المصانع التزود بالطاقة بتكاليف باهظة ، كما أن حجم السوق المحلي جعل الصناعات السورية تعتمد على الأسواق العربية ، وبقيت هذه الصناعات معاقة بمستواها التقني المتواضع ، ومحدودة في مجال النسيج والأغذية والتبغ ومواد البناء ، وضئيلة الحجم قياساً بالمصانع الغربية [٢] .

أعطى عزل سورية عن العالم ، إبان الحرب العالمية الثانية ، دفعة جديدة وقوية لازدهار الصناعات الحرفية ، تلك الصناعات التي شهدت تراجعاً كبيراً منذ بداية القرن ، وقد زود التكيف المبدع لأصحاب الحرف الإقتصاد السوري بطاقة ملحوظة . ففي حلب عندما حلت الآلة محل الحرفيين في المصانع الحديثة ، قام الحرفيون واشتروا أنوالاً نصف آلية قديمة، وتعاملوا مع التجار لتصريف إنتاجهم على أساس العمولة ، وسرعان ما تضخم إنتاجهم ووجد أسواقه خارج سورية ، وذلك بفضل نمو تجارة تهريب ناجحة نحو الدول المجاورة ساعد على قيامها واستمرارها الافتقاد إلى الحدود الطبيعية مع هذه الدول ، وهكذا وجد الإنتاج الحرفي طريقاً لسوقه في العراق وتركيا والأردن ، وفي خريف كل عام كانت تصل قوافل القبائل من السعودية والأردن والعراق لشراء الأقمشة والملابس والسروج والأواني ، وساهمت هذه العملية في تأمين العمل لآلاف الحرفيين السوريين ، وبالتالي في إنعاش الدخل القومي [٣] .

Jean Ducruet , les capitaux Europeens du Proche - Orient (Paris 1964) p.369
cf. Edmond Y. Asfour , Syria, development and monetary policy (Cambridge Mars, 1959) p.31 - 32.

(١) - أصبحت عائدات سورية من الجمارك تفوق بكثير ما كانت عليه عام ١٩٤٩ عندما كانت مرتبطة بوحدة جمركية مع لبنان ، وبدأ يتسع العمل في مرفأ اللاذقية ، وازداد حجم تجارة حلب على حساب تجارة بيروت ، راجع :

F. O / 371/91840/ "Annual political report on Syria" No 18137 daled 18/2/1951 .

(٢) - لمزيد من التوسع حول تطور الصناعة السورية بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٨ راجع أرقام تقارير FAO , Mediterranean development project, united Arab Republic (Syrian region) (country report Rome 1959) p. 143 .

(٣) - إن هذه التجارة كانت غير رسمية ولا يظهر مردودها في الإحصائيات الرسمية وقد شكلت

نتائج النمو الإقتصادي :

أولاً – خلَّف هذا النمو آثاراً بارزة على العلاقات السورية – العربية ، ذلك لأن اعتماد سورية على الأسواق العربية لتصريف إنتاجها الصناعي والزراعي وبخاصة على العراق والسعودية ، قد منح هاتين الدولتين وسائل فعالة للضغط على حكومة دمشق ، وقد أصبحت هذه الضغوط مظهراً من مظاهر الأزمات السياسية التي هزت سورية في السنوات التي تلت الحرب الفلسطينية ، كذلك أدت مسألة فصل الوحدة الجمركية بين سورية ولبنان ، وما سبقها من توتر العلاقات بين الحكومتين ، أدت إلى بداية عصر " الريبة والشك في العلاقات بين الدولتين" ، وتحول لبنان منذ ذلك التاريخ إلى ملجأ للمعارضين للحكم القائم في دمشق، وبالمقابل فإن قيام دولة إسرائيل منح سورية سلاحاً فعّالاً حيث أصبحت ممراً لعبور تجارة الترانزيت من مرافئ المتوسط إلى البلاد العربية الداخلية . وقد تطورت تلك التجارة بفعل إزدياد ثروات الدول المنتجة للنفط ، وقدّمت الرسوم والضرائب المفروضة على الشاحنات المحملة بالبضائع ، عائدات معتبرة للدخل العام [1] . وقد أصبحت هذه التجارة ورقة رابحة في أيدي حكومة دمشق ، وكان يكفي أن تغلق سورية حدودها حتى تتوقف تلك التجارة برمتها ، وهكذا سيطرت سورية تجارياً على جيرانها مقابل تحكمهم على نطاق واسع بأسواق منتجات التصدير السورية [2] .

٧٠٪ من الدخل القومي في القطاع الصناعي راجع:

Adel Akel , "Analysis of Syrian national Income estimates" (1953 - 1960) in (E.F.S.P.A) 1961 - No 43, p. 73 - 90 .

(١) – كانت سورية تتقاسم مناصفة مع لبنان عائدات الترانزيت ، وكانت أرباح هذه التجارة مرتبطة بنقل بضائع يملكها تجار أو شركات أجنبية ، وهي لا تشمل الصادرات ، وقد شكلت عائدات تجارة الترانزيت مع الأرباح المجنيّة من تجارة الذهب خمسة ملايين ليرة سورية من أصل الصادرات السورية التي بلغت عام ١٩٥٠ ٢٧٧ م . ل.س. راجع :

F.O /371/98928/ "Notes on Syrian's balance" in Report of I.B.R.D, p. 1- 3 .

(٢) – T. Petran , Syria , p. 84 .

ثانياً – أفرز النمو الإقتصادي السوري المتسارع تحولات عميقة الأثر في تركيب طبقات المجتمع السوري ، وكان أبرزها تصاعد أهمية الطبقات الوسطى التي حملت لواء التغيير في البلاد ، وهذا يقودنا إلى استعراض طبقات المجتمع السوري .

الطبقة العليا التقليدية:

غداة الإستقلال ، كانت الطبقة العليا المالكة للأراضي أكثر طبقات المجتمع السوري قوة وتماسكاً ، وقد ضمت مجموعة صغرى من كبار الملاكين في الأرياف وزعماء العشائر والقبائل البدوية . ومجموعة كبرى من العائلات القديمة من أعيان المدن التي كانت أكبر قوة سياسية محلية في العصر العثماني [١] ، وقد حلت هذه الطبقة محل طبقة "العلماء" بعد أن فقدت المؤسسة الدينية استقلاليتها ونفوذها في ظل الحكم الإنتدابي [٢] ، وإلى هذه المجموعة إنضمت مجموعة من كبار تجار المدينة التي كانت في كل الأزمنة طبقة بارزة في مجتمعات المدن السورية ، وقد تقوت مع اتساع العمليات التجارية منذ الثلاثينات وملكت الأراضي وتحالفت مع كبار الملاكين [٣] .

---

(١) – راجع : فيليب خوري ، طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق ، (١٨٦٠ – ١٩٠٨) بحث مترجم عن الإنكليزية في كتاب المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (دمشق ، ١٩٧٨) ج١ ، ص٤١٤-٤٣٧ .

(٢) – منذ عام ١٩٢١ وضع الإفرنسيون نظام إدارة الأوقاف الذي تألف من محاكم ولجان ومراقبين على النفقات ، وفي عام ١٩٣٠ عندما أصبح للوحدات السياسية كيان مستقل ودستور خاص ، وضعت فرنسا عام ١٩٣٤ نظاماً جعل إدارة الأوقاف مرتبطة بالإدارة المدنية ، وقد احتجت الكتلة الوطنية ضد هذا الإجراء ، واستمرت تحرض ضد هذا القانون حتى وصلت الحكم ، عندئذ ساد الإشراف الحكومي على الأوقاف ، راجع : لونغريغ ، تاريخ سورية ولبنان ، ص ٣٣٣ – ٣٣٤ .

(٣) – أطلق على هذه الطبقة إسم " الإقطاعية " وهي لا تملك الخصائص والمزايا المرتبطة بالإقطاع الأوروبي من حيث النظام الإقليمي الإستقلالي والروابط التي تجمع بين العاملين على الأرض والمالك هذا وإن السيطرة الكاملة من جانب المالك على الفلاحين هي التي أعطت لتلك الطبقة في الشرق الأوسط صفة الإقطاعية . راجع :

Marroe Berger , the Arab world today , (New York , 1962) p.280 - 281 .

حملت هذه الطبقة النخبة لواء الحركة الوطنية ، واستقطبت دعم الجماهير ، وشاركت بعد عام ١٩٣٦ الإفرنسيين حكم البلاد ، واستفادت من تلك المشاركة سياسياً ، وطورت قاعدتها الإقتصادية في ظل الهيمنة الإفرنسية ، إذ أتاح لها نظام عمليات مسح الأراضي الذي استهل عام ١٩٢٣ ، وقانون تسجيل الملكية (مرسوم ٣٣٣٩ لعام ١٩٣٠)، وما رافقه من تقسيم أملاك الدولة وتحويلها إلى ملكيات فردية ، أتاح لها تثبيت وتوسيع ملكيتها العقارية للأراضي التي كانت تستثمرها فأصبحت ملكاً خاصاً ثابتاً ومضموناً [1] .

ومع رحيل الإفرنسيين سيطرت هذه الطبقة على جهاز الحكم وتحكمت بالإقتصاد من خلال هيمنتها على القطاع الزراعي الذي يشكل أساس الإقتصاد السوري وسيطرت على الكتلة الكبيرة من الفلاحين المستعبدين منذ عصور والمستبعدين عن العمل السياسي [2] .

وقد قاومت الطبقة العليا كل إصلاح إقتصادي – إجتماعي يمس سلطتها وامتيازاتها ، واستمرت تمارس أعمالاً تلائم حاجات المجتمع القديم وأهملت حركة التحولات القائمة في المجتمع السوري[3] وعليه كان عليها أن تنحني وتتراجع أمام بروز

– حول تطور هذه الطبقة منذ عام ١٨٥٨ حتى ١٩٥٨ راجع :

Ramez G. tomeh , Landownership and political power in Damascus 1858 - 1958 . unpubl thesis , A.U.B 1977 , p.82A - 107A .

(١) – إن عمليات المسح استمرت حتى نهاية الإنتداب ولم تشمل مناطق جبل الدروز وحوران والجزيرة ، وقد قدمت سنداً مضموناً لعدد من الفلاحين – المزارعين ، بيد أن المكاسب الكبرى قد حصل عليها كبار الملاكين، وقد صدر مرسوم رقم ١٣٢ عام ١٩٤٠ و ١٤١ عام ١٩٤١ أعطى الأملاك في المناطق الشرقية إلى السلطات القبلية وأنهى الشكل الجماعي لحيازة الأرض . راجع :

D. Warriner , Land reform, op, cit, p.97 - 101 cf. R. G. tomeh , Landownership - p.91B - 93A .

(٢) – وصف روستو في دراسته لمجتمعات الشرق الأدنى ، مدى قوة وهيمنة ملاكي الأراضي على تلك المجتمعات التقليدية : " فقد تمركزت القوة السياسية في أيدي أولئك الذين كانوا يملكون الأراضي ، وينطبق ذلك على سورية في السنوات ما بين ١٩٤٣ و ١٩٤٩ " .

Dankwart A. Rustow , "the politics of the Near East" in "the politicsof the development areas . eds G.A. Almond and C.S. James . (princeton Univ press , 1960) p.388 .

(٣) – وصفت سورية بعد الإستقلال بأنها خير مثال للمجتمع البريتوري (الروماني)

طبقات جديدة احتلت موقعاً لا يمكن إهماله على مستويات الإقتصاد والسياسة والفكر ، تلك هي الطبقات التي أفرزها التطور الإقتصادي والتي يمكن تصنيفها ضمن ثلاث طبقات متميزة : الطبقة البرجوازية الكبرى الطبقات الوسطى ، والطبقة العمالية [١] .

البرجوازية الكبرى :

منذ الأربعينيات ، تشكلت في سورية ملامح طبقة جديدة وحيوية ، وقد نمَّت تلك الطبقة موقعها الإقتصادي ، ووظفت المكاسب التي حققتها سابقاً في إستثمارات عالية المردود ، في قطاعاتٍ زراعية وصناعية ومالية حديثة [٢] . وقد انبثقت هذه البرجوازية الوطنية من طبقة التجار والمقاولين ، واستقطبت مكاسبها قطاعاً من طبقة كبار مالكي الأراضي الذين دخلوا معها عالم الأساليب الرأسمالية ، واشتروا أسهماً في شركات صناعية كبرى مثل الخماسية الكبرى والصغرى وشركات الغزل والنسيج والإسمنت [٣] .

---

practori[illegible]ism بشكله الأوليغارشي (حكم الأقلية) . ومن أجل ظاهرة الأوليغارشية راجع التحليل الشا[illegible] لهذه الظاهرة في :

Samuel p. Huntington, political order in changing societies . (New Haven 1968) p. [illegible]7 - 283 .

(١) - R.T. Waters , A Social - Political analysis in Syria 1943 - 1958 , unpbl thesis , (A.U.B. 1962) p.39 - 42 .

(٢) - Gordon H. Torrey , "Aspects of the political Elite in Syria" in George Lenczowski ed "political Elites in the Middle-East" . (Washington 1975) p. 151 - 161 .

(٣) - مثلت الشركة الخماسية ، قمة الإحتكارات الإقتصادية الحديثة في سورية، وقد تطلعت إلى حكم قوي قادر على صدّ الأفكار الشيوعية . وهي مجموعة شركات صناعية تجارية تشكلت في نهاية الحرب العالمية الثانية وأصبحت النجم العملاق في عالم الصناعة وضمت بدر الدين دياب ، سامي الدسوقي، وعادل الخوجا، وأنور القطب، عبد الهادي الرباط . للتوسع حول حركة الرأسمال الصناعي التجاري في سورية . راجع : بدر الدين السباعي ، المرحلة الإنتقالية في سورية ، عهد الوحدة ١٩٥٨ - ١٩٦١ ، (بيروت ١٩٧٥) ص٥ ، ١٢٩ - ١٧٠ . ومنذ عام ١٩٤٥ بدأ أعضاؤها يحتلون مناصب وزارية . مثلاً: (عادل الخوجا ، وزيراً للتجارة ، بدر الدين دياب وزيراً للصناعة ، أما مأمون الكزبري - مدير الشركة الخماسية - فسوف يتولى رئاسة مجلس النواب في عهد الشيشكلي) . وقادت هذه الشركة السياسة السورية من عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٥٨ . وقد تأممت بموجب القانون رقم

كانت هذه الطبقة ما تزال ضعيفة وفقيرة نسبياً في رأسمالها ، وغير قادرة على تحمل أعباء الحكم وقيادة سياسة مستقلة ذات إيدولوجية واضحة ومحددة ، وعليه استمرت تعمل في ظل الطبقة القديمة وتحت حمايتها ، ولصالح امتيازاتها ، وقد ازدادت سلطة الطبقة البرجوازية الكبرى ، التي لم يتجاوز عدد أفرادها ثلاثة الآلاف ، ازدادت تدريجياً في جهاز الحكم على أعلى مستويات الدولة[١] . ولما كانت هذه الطبقة تواقة إلى التحديث ، وراغبة في التحضر ، بدأت تهتم بمصالحها بشكل مستقل عن الطبقات القديمة الحاكمة ، وحملت لواء المعارضة للنظام القديم ولتركيبة النظام القديم، ولسياسته المتناقضة مع مصالحها . وتمكنت من السيطرة بعد عام ١٩٤٩ على السلطة ، واستفادت من التحسن الذي طرأ على إقتصاد البلاد لتقوية مركزها ولإبعاد الجيش مؤقتاً عن المسرح السياسي [٢] وسارت بالبلاد نحو نظام دستوري أرقى من السابق ، بيد أن هذه الطبقة قد افتقرت إلى التماسك وعكست في تركيبها وتطلعاتها الفوارق والإنقسامات داخل المجتمع السوري ، وقد برز ذلك في الصراع بين البرجوازية الحلبية الدمشقية الذي لم يكن صراعاً على المكاسب الإقتصادية لمراكز السلطة فحسب بل في التوجه السياسي أيضاً [٣] ، وقد أدى ذلك إلى فشلها في مواجهة الأزمات الداخلية على الصعيدين السياسي والاجتماعي ، كما في إحكام سيطرتها على القوات المسلحة ، وحلت محلها بالتالي نخبة سياسية جديدة من ضباط الجيش والسياسيين الشباب من أفراد الطبقة

١١٨/ تاريخ ١٩٦١/٧/٢٠/ . وحول هذا الدور ، راجع : محمد حسنين هيكل، ما الذي جرى في سوريا ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ص٢١ . راجع أيضاً مقال في صحيفة الصرخة ، دمشق، عدد ٦١ تاريخ ٣ تموز ١٩٥٤ .

(١) – بدأت التحولات في تركيب البرلمان السوري منذ عام ١٩٥٣ ، ففي عام ١٩٤٣ كان ٤٦٪ من أعضائه من الإقطاعيين و١٨٪ من زعماء العشائر والوجهاء . وبعد عشر سنوات أصبح نسبة الإقطاعيين ٢١٪ و١٠٪ من زعماء العشائر والوجهاء . والباقي من الطبقات الجديدة تحت النخبة مباشرة والتي احتلت مكانها في عدة قطاعات راجع :
Morroe Berger , the Arab world , p.309 .

(٢) – - F.O /371/81840/ "Annual Political report on Syria" 2/1/1951.

(٣) – - F.O /371/82782/ "Annual report on Syria for the Year 1949 . 19/1/1950 . p.1 - 20 cf. P. Rondot , "tendances particularistes .. , p.143 - 144 .

الوسطى ، وقد أحدثت هذه الطبقة الجديدة ثورة إجتماعية سياسية فريدة من نوعها في عالم الشرق العربي [1] .

الطبقة الوسطى :

تبلورت شخصية الطبقة الوسطى في المجتمع السوري نتيجة النمو الاقتصادي والفكري بعد الحرب العالمية الثانية ، ويسبب تطور المؤسسات التربوية [2] بعد الإستقلال واتساع قطاع الخدمات العامة [3] .

ضمّت تلك الطبقة المثقفين والموظفين وأفراد الهيئات الإدارية والفنيين وأصحاب المهن الحرة وصغار التجار والحرفيين ، وقد تميزت باتساع حجمها في سورية قياساً بالبلدان العربية الأخرى كالعراق ومصر[4] ، وبأنها متجانسة تركيباً وأهدافاً ، وقد تركز اهتمامها على الإمساك بالسلطة السياسية ، وأرادت أن تكون النخبة التي تتولى توجيه

---

(1) - Morroe Berger , "les Regimes militaires du Moyen orient" dans orient , No/5 ,- 1960, p.21-68 p.23-24. cf . his book "the Arab world today" , p.271 .

- وحول التغييرات التي حدثت في تركيبة السلطة في سورية بعد عام١٩٦٣ راجع :
N. Van Dam, the Struggle for power in Syria , p.98 et suiv .

(2) - حول توسع النظام التربوي بعد الإستقلال راجع :
R. Hilan , Culture et developpement en Syrie , p.287 - 298 .

(3) - وصل المعدل السنوي لنفقات الدولة في القطاع العام ما بين ١٩٤٥ و١٩٤٩ حوالي ٢١ مليون ل.س. خصص أغلبها للإنفاق على قطاع الأبنية العامة والمستشفيات والطرق والجسور والمدارس ، بينما لم يتجاوز الإنفاق على الري في أعلى حده مبلغ الـ ٥ م . ل.س في أي عام . راجع :
F. o /371/98928/ "Report of I.B.R.D," Summary of preliminary Findings on Syria" , p.4 .

(4) - أطلق M. Halpern على هذه الطبقة إسم " طبقة أصحاب الرواتب " واعتبر أنها أكبر قطاع سياسي إجتماعي إقتصادي من مراكش حتى باكستان " راجع كتابه :
the politics of social change in the Middle East and North Africa , (princeton N.J. 1964) p. 52 .

- وليد قزيها ، " الأسس الإجتماعية – السياسية لنمو الحركة القومية المعاصرة في الشرق العربي " في المستقبل العربي ، سنة /١/عدد /٦/آذار ١٩٧٩ (ص ٦٣– ٧٥) ص ٦٩– ٧١ .

البلاد للإطاحة بالنظام القديم فدعمت البرجوازية الكبرى أولاً ، ثم التفتت بعد حرب فلسطين نحو طبقة ضباط الجيش باعتبارهم يملكون مزايا قيادة الثورة الإجتماعية وتوجيهها ، فوقفت وراءهم ووصلت إلى السلطة عندما سيطر الجيش على الحكم ثم انقسمت إلى تيارات متصارعة وأضاعت دورها لصالح طبقة الضباط [١] .

طبقة العمال :

كانت غالبية هذه الطبقة من أصول ريفية ، وهي قليلة العدد ، مبعثرة ومشتتة ، وكان عليها أن تناضل للحصول على متطلبات حياتها اليومية . ولم تجلب الحرب العالمية الثانية فرصاً ملائمة لتحسين أوضاع العمال ، لا بل عان العمال إبانها من ارتفاع الأسعار وما رافقه من هبوط شديد في الأجور ، كما شحت فرص العمل إلى حدها الأدنى في أعقاب استغناء جيوش الحلفاء عن ٣٠ ألف عامل سوري ، وتفاقم بالتالي بؤس العمال وتشردهم [٢] .

ومع نمو القطاع الصناعي ، وعلى الأخص قطاع البناء والنقل والخدمات والتجارة [٣]، ازدادت فرص العمل . وتضاعف عدد العمال مع توسع هجرة الأيدي العاملة الريفية نحو المدن ، وقد عانى العمال من ظروف وشروط العمل القاسية في

---

(١) - Morroe Berger , "les Regimes militaires .. , p. 28-30 cf. his book , the Arab World today , p.271-272, 286. cf. M. Halpern, the politics .. , p.258 - 260 .

(٢) - حول الوضع الإقتصادي السوري إبان الحرب راجع : لونغريغ ، تاريخ سورية ولبنان ، ص٤١٥ - ٤٢٢ . وراجع : Petran , Syria , p.82 .

(٣) - لقد توسع قطاع البناء في سورية بشكل سريع ، فقد قدر الإستثمار السنوي لعام ١٩٥٠ ، ١٥٠م.ل.س موزعة كما يلي : ١٢٪ للنقل (السيارات بشكل خاص) و١٢٪ للصناعات ، ١٠٪ للزراعة و٦٪ للمنافع العامة و٦٠٪ للمنازل السكنية والأبنية . وعليه هيمن قطاع البناء الذي قام على المواد المحلية واعتمد على اليد العاملة السورية . راجع :

F. O /371/98928/ Report of I.B.R.D. "Summary of preliminary Findings on Syria" , p.8-9 .

المصانع الحديثة ، وبقي النضال العمالي مشلول اليد بسبب وفرة الأيدي العاملة الجاهزة للحلول محل العمال المضربين .

في عام ١٩٣٩ رأت الحركة العمالية النور ، ذلك عندما شرَّعت حكومة الإنتداب "التنظيم النقابي" وكانت نقابة العمال أول نقابة تشكلت في سورية [١] ، وضمت الحركة العمالية عام ١٩٤٦ ، ٥،٩٧٤ منتسباً إلى ٤٧ نقابة ، وقد بقي العدد قليلاً بالنسبة إلى عدد السكان [٢] .

وبعد الإستقلال والتحرر ، تطورت الحركة العمالية نتيجة توسع إنتشار وسائل الاعلام الحديثة (الصحف والراديو) . وأصبح العمال السوريون على معرفة بالمكاسب التي نالها العمال الغربيون بعد الحرب ، وساهم نشاط الحزب الشيوعي في الاتحاد العام للحرفيين بازدياد الوعي النضالي العمالي [٣] . فبعد احتلال الحلفاء لسورية (أيار ١٩٤١) تمتع هذا الحزب بشرعية العمل مما ساهم في منح الحركة العمالية زخماً قوياً مكنها بالتالي من فرض ذاتها في أيار عام ١٩٤٦ ، عندما أعدَّ المؤتمر الثاني لاتحاد الحرفيين مسودة " قانون العمل " المصوغ على غرار القانون المعتمد حديثاً في إيطاليا ، ورُفعت المسودة إلى مجلس النواب السوري لإقرارها ، وتتالت الإضرابات حتى حاصر

---

(١) – قامت النقابات الأولى بين موظفي ومستخدمي التجارة . واستندت إلى الجمعيات التقليدية للحرفيين واتخذت طابعاً حزبياً ولم تتوصل إلى إدراك الوظيفة الحقيقية للتنظيم العمالي راجع : لونغريغ ، تارخ سورية ولبنان ، ص٣٥٨ .

(٢) – مع حلول عام ١٩٥٤ كان في سورية ٢٨١ نقابة عمالية وحرفية . راجع :
"Developments of the quarter" in Middle-East Journal , Vol . 8, 1954, p.335 .

(٣) – داخل الاتحاد العام للحرفيين حقق الحزب الشيوعي السوري أول نجاحاته في البلاد وقد استأنف الحرب نشاطه بعد طرد الحلفاء لممثلي حكومة فيشي وإطلاق سراح السجناء الشيوعيين ، وراح يوزع النشرات والصحف الدعائية بين صفوف العمال السوريين الذين أصبحوا واعين لحقوقهم وللمكاسب التي حققتها الحركة العمالية في فرنسا وإيطاليا بعد الحرب بفضل نضال هذه الحركة ضد الفاشية " راجع :
F.O. /371/82792/ "Syria and communism" a Report by G.W.Jintmge , to Furlonge , 14th june 1950, p.7.8, and F.O./371/11542. "Syria", Annual report From J. Gardener to A. Eden confidential No 19 , 4th feb 1955 , p.6-7 .

العمال والطلاب البرلمان السوري ولم يفكوا الحصار حتى أقرَّ القانون مع بعض التعديلات في ١١ حزيران ١٩٤٦ [١] .

أعطى قانون العمل رقم ٢٧٩ العمال السوريين معظم المكاسب التي نالها نظراؤهم في الغرب بعد قرن من النضال ، وقد استثنى هذا القانون العاملين في مهنة الزراعة من أحكامه [٢] ، وذلك نتيجة هيمنة كبار الملاكين المطلقة على المجلس النيابي، وبسبب الصعوبة في تمييز وتحديد طبقة العمال الزراعيين ، والعامل الأهم هو أن الكتلة الفلاحية لم تتأثر قط بالتغييرات في بنية الإقتصاد السوري وبقيت تعيش في عالم الجهل والفاقة بعيدة عن كل شكل من أشكال التحرك لنيل حقوقها [٣] .

نظَّم قانون العمل حق إضراب العمال بشروط إجرائية (أحكام المواد ١٦٧ – ١٧١) ، وحق تعويض التسريح والاستقالة وإجازة العمل والتعويض الصحي ، وكان أكثر قوانين العمل ديمقراطية في كل البلاد العربية ، واستمر العمل به مع تعديلات لاحقة حتى صدور قانون العمل الموحد عام ١٩٥٩ .

إذا كان من الصحيح القول أن الحركة العمالية قد حققت مكاسب معتبرة في ظل حكم النخبة الإقطاعية غير أن أغلبها لم ينفذ على أرض الواقع ، وقد ظلت هذه الحركة ضعيفة غير منظمة ولا شاملة حتى أطيح بحكم الشيشكلي عام ١٩٥٤ وعادت الحياة الدستورية إلى سورية، آنذاك تتالت إضرابات العمال لوضع القانون موضع التنفيذ وللحصول على مكاسب جديدة [٤] . كما تحرك النضال العمالي في سورية باتجاه "

---

[١] – راجع نص القانون مع التعليق على مواده في كتاب . نور الدين السباعي ، المرحلة الإنتقالية في سورية ، ص ٨٨ – ٩٤ ، ٣٠٠ – ٣١٤ .

[٢] – تناول القانون المدني السوري عام ١٩٤٩ مسألة المزارعة في مواده من ٥٧٠ – ٥٩٣ ، ويلاحظ ميلها لصالح المؤجر المالك . راجع : حول قانون العمل : مذكرات المجلس النيابي : مجلد ١٩٤٦ – ١٩٤٧، جلسة ١١ حزيران ١٩٤٦ ، ص ١٥٤.

[٣] – Morroe Berger , the Arab World today , p331.

[٤] – إثر الإطاحة بحكم الشيشكلي ، بدأ تحرك الأحزاب اليسارية في سورية، وانفتحت أمام الحزب الشيوعي أبواب بداية حملة فعالة في الأوساط العمالية . وبدأت إضرابات العمال منذ ٢٨ آذار ١٩٥٤ وراحت الحركة العمالية تطالب بتحسين الأجور وشروط العمل . وكان أكثرها عنفاً وجدية إضراب عمال النسيج الذي استمر من شهر حزيران حتى آب ١٩٥٤ . راجع :

مشاكل الفلاحين ، عندما طرح الاتحاد العام للحرفيين مشروع تشكيل تجمع عمالي – فلاحي ، يساعد العمال على تعزيز قاعدتهم وتوسيعها ليصبح لها وزن أكبر وصوت أعلى لدى الحكومة " [١] .

لم تتوصل الحركة العمالية في سورية إلى أن تصبح قوة فاعلة في المجتمع، وذلك بسبب سيطرة أرباب العمل على قرارات الحكومة ، وخوفاً من الإضطرابات الشعبية التي قد يحركها العمال ، وعليه لم تسمح الحكومات التي تعاقبت على سورية ، للعمال بخوض معركتهم الخاصة [٢] أما بالنسبة لكتلة الفلاحين العريضة فإن المحاولة الأولى والفعالة باتجاه اختراق وضعهم البائس نحو وضع نشيط وفعَّال هي محاولة أكرم الحوراني التي سنشير إليها لاحقاً .

وبناءً على ما سبق يمكن القول أنه لم تكن أية طبقة من طبقات المجتمع السوري قادرة على امتلاك السلطة والسير نحو بناء مجتمع موحد وعصري . فالطبقة التقليدية قد فشلت في صيانة موقعها عندما قاومت كل تحرك لإصلاح الأوضاع المهترئة ، كما افتقدت الطبقات الجديدة إلى التماسك ووحدة الرؤيا ، وبقيت الطبقة العاملة محدودة العدد والنضال ، بينما كانت الطبقة الواسعة من الفلاحين معاقة بالفقر والجهل والسيطرة الإقطاعية ، وعليه برزت من بين كل هذه الطبقات ، طبقة ضباط الجيش [٣] تلك الطبقة التي استقطبت كل فئات المجتمع ، وضمت مختلف تجمعاته البشرية ، وكانت أيضاً

F.O/371/11842/ "Annual Report on Syria" 1954" No 19 Feb /1955, p.6 cf. "Developments of the quarter" in Middle-East Journal , vol 8(1954) p.89, vol 9 (1955) p.60, vol 10 (1956) p.192 .

(١) – Thomas B. Stanffer,"Labor unions in arab states", in Middle -East Journal, vol 6 (1952) p.85 cf. "Developments of Quarter" in Middle-East Journal ,vol 8 (1954) p.89 .

(٢) – R.T. Waters , A Social - Political , p.85 .

(٣) – حول طبقة ضباط الجيش السوري راجع :

Eliezer Beeri , Army officers in Arab politics and society , p.4-11 , p.333 - 340 cf. Bernard vernier, "le role politique de l'armee en Syrie", dans politique Etrangere , vol xxIx (1965) p.458-511 cf. Morris Janowitz , the Military in political development of the new nations , an Essay in comparative analysis . (univ of chicago press 1964) Passim .

وراجع : مجدي حمّاد ، العسكريون العرب وقضية الوحدة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت /ط١/١٩٨٧.

إنعكاساً حياً لواقع المجتمع بكل تناقض فئاته وطبقاته ، ومثلت الشعب السوري بكل انقساماته العقائدية والإقليمية والطائفية والعرقية [١] هذه الطبقة ضمت جيلاً من الشباب الذي انجذب بسبب موقعه الطبقي وتربيته وثقافته نحو نسف واقع التخلف ، فتقدم واتخذ المبادرة ، وسار بسورية نحو الحداثة والتطور . كان ضباط الجيش طليعة من حمل سمات الثقافة الغربية ، وقد تأثروا أولاً بحركة الأتراك الفتيان "young turks" ويشكل أبرز بالحركة الكمالية التي تركت بصماتها في نفوس الضباط السوريين من الجيل القديم ، وعلى نسق أتاتورك أرادوا استخدام القوة المسلحة للاستيلاء على السلطة وإنجاز عملية التغيير في نطاق المجتمع والدولة [٢] . وفي حقبة الإنتداب احتك الضابط السوريون مباشرة بالحضارة الغربية [٣] . ومن ثم ازدادت ظاهرة اختراق الفكر الغربي لدى الضباط

---

[١] – ضمت طبقة الضباط أبناء عائلات إسلامية أو مسيحية من مالكي الأرض مثل : مردم بيك (فؤاد وعبد الرحمن) ، والعظم (هاشم العظم) نظام الدين (توفيق رئيس الأركان من ١٩٥٦ – ١٩٥٧) وعشرات الضباط من آل الأتاسي مثل (فيصل الأتاسي قائد الثورة ضد الشيشكلي ولؤيالأتاسي) والكيلاني (سامي) ومن العائلات المسيحية بشور (توفيق وبديع ، ومخائيل) وعرنوق (ألبير) ومن العائلات العلوية (محمد ناصر ، عزيز عبد الكريم ، محمد عزيز الهوامش) ومن الدروز (محمد الأطرش) ومن عائلات غنية من التجار مثل (عائلة الكزبري ، حيدر قائد حركة الإنفصال) (وأديب وصلاح الشيشكلي) من حماه ، ومن عائلة المالكي (عدنان) والعديد من أبناء الطبقة الوسطى : مثل حسني الزعيم ، زياد الحريري، بهيج كلاس ، مصطفى حمدون، نبيه صباغ ، وفي الطرف الآخر عدد من أفراد الطبقات الصغرى مثل أمين الحافظ عبد الكريم زهر الدين ، غسان وصلاح جديد ، جاسم علوان ، أمين أبو عساف ... الخ .

– مقابلة مع بديع بشور سُرح من الجيش برتبة لواء عام ١٩٥٧ ، تولى إمرة المكتب الثاني عام ١٩٥٤، ثم قائد عام للجبهة ثم قائد سلاح المدرعات ، صافيتا في ٢٠/١١/١٩٩٥ . وراجع :
E. Be'eri , Army officers .. , p.333 - 342 . cf. M. Halpern, the politics of social change .. p.266 268 .

[٢] – برزت ظاهرة التأثر بأتاتورك في شخصية حسني الزعيم الذي وصف في أول عهده "بأنه مصطفى كمال سورية وربما العالم العربي ، وذلك من خلال البرنامج الإصلاحي الذي طرحه في بداية حكمه وقد تهيأت سورية لقبول هذا الديكتاتور الذي يسير بها على خطى أتاتورك "
F.o/ 82782/ "Annual report on Syria for the year 1949", Doc No 8(10103/25 . by L.G. thikell 19th Jan /1950 . and Reporton No8 by Morgan Man , 13 Jan /1950 .

[٣] – كان الجيش السوري استمراراً لتلك الفرقة التي أنشئت في عهد الإنتداب وضمت ضباطاً سوريين خدموا في الجيش العثماني ثم من ١٩١٨ حتى تموز ١٩٢٠ تحت لواء العلم الوطني السوري

الذين أرسلوا في بعثات إلى فرنسا وبريطانيا لتلقي العلوم العسكرية [1] وهناك اطلعوا على تيارات الحضارة الحديثة في مضمار السياسة والثقافة والإقتصاد ، وأصبحوا حملة راية الإصلاح ، وعندما استقلت سورية أدركوا أن النظام القائم غير قادر ولا راغب في تحرير البلاد من إرث التخلف والتقاليد البالية ، وعليه انجذب الجيل الجديد من الضباط نحو العقائد السياسية التي تدعو إلى العلمنة والتحرر ، ونمت في داخله روح وطنية سمت فوق المصالح الإقتصادية التي حددت المسار السياسي للسلطة المدنية القائمة في سورية. وبعد هزيمة فلسطين ١٩٤٨ توترت العلاقة بين هذه السلطة والمؤسسة العسكرية وأصبحت الحاجة إلى التغيير أمراً ملحاً ، وكان على الضباط أن يحولوا المعركة نحو داخل الوطن ، نحو السلطة ذاتها ، لبناء دولة جديدة ونظام إجتماعي متحرر .

كانت طبقة الضباط تدرك أنها تملك وحدها المزايا والقدرات المادية لامتلاك السلطة وإحداث التحولات الجذرية ، فهذا الجيش بتركيبه وروحه وقدراته هو البديل عن النظام القائم .

هذا الجيش الذي زوِّد بالتقنيات الحديثة [2] قد أتاحت له أحداث الفوضى في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ الفرصة لإثبات قدرته على استخدام القوة المادية التي يملكها لضبط

في مملكة فيصل السورية ، وكان سلك الضباط السوريين صغير الحجم وصل في عام (١٩٣٠) إلى ١٦٢ ضابطاً سورياً . وأصبح (عام ١٩٣٨) ٢٠١ عملوا تحت إمرة الضباط الإفرنسيين وكان عددهم ١٠٠ضابطاً . راجع :

Andre Bruneau , traditions et politiques de la france au levant , (Paris , 1932) p.339-40 .

(١) – إبان الإنتداب كان الجيش السوري يعاني من نقص في المدربين وعدم كفاءة جهاز التدريب وقد اعتمدت السياسة الإفرنسية على إهمال تلك الناحية كي تخفف من احتمال قيام عمليات عسكرية مناوئة لها . وعليه تمّ تدريب الضباط في الكلية العسكرية في حمص . وقد بذلت الحكومة جهداً لإعداد ضباطاً متدربين في الخارج وقد تم تخريج ضباط في دورات متعددة من فرنسا منهم من كلية Ecole de L'Etat-Major وتخرج ضباط بنسبة أقل من إنكلترا من مدرسة الأركان في Comberley ومن مدرسة NCOS ومن معهد R.A.F. ومن دورة Sand-hurt وذلك نهاية عام ١٩٤٨ . راجع :

F.O. /371/87871/ , Syria's military strength in 1949, a secret report to the war office, Damascus /11June/1949 . p.4 .

(٢) – لمن يريد التوسع حول وضع القوات العسكرية السورية عام ١٩٤٩ من ناحية التنظيم والطاقة البشرية ، وأساليب التجنيد والتعبئة والتدريب والتجهيزات ، والأسلحة والعتاد يمكنه مراجعة التقرير

النظام وحماية الجمهورية ، وأحس أن واجبه في أن يتقدم بثبات نحو حمل رسالة "البناء وتشييد الهياكل النيِّرة " [1] .

× × ×

– أفرزت عملية تحديث الاقتصاد السوري تبدلات في بنية القوى الاقتصادية – الاجتماعية كان أبرزها : نهضة طبقة برجوازية أقامت أول رأسمالية وطنية نمت تحت حماية الطبقة التقليدية الحاكمة وشاركتها السلطة . ونمو الطبقة الوسطى عبر المؤسسات الحديثة التي تشكلت عشية الاستقلال . وتحسين أوضاع الطبقات الدنيا من عمال وفلاحين انتظموا في نقابات واتحادات للدفاع عن حقوقهم .

تصدّت الطبقة الوسطى لتحديث المجتمع فكرياً وسياسياً ، وتحركت بين قطبين متباعدين : قطب الجماهير وقطب الطبقة الحاكمة ، ثم أقحمت المؤسسة العسكرية في عالم السياسية لتنفيذ برنامجها الاصلاحي ، واسقطت عبر الانقلابات العسكرية المتتالية دور الطبقات التقليدية من قمة الهرم إلى قاعدته ولما تحكمت بالسلطة فشلت في حلّ أزمات البلاد وبناء مجتمع علماني عصري وموحد .

المفصل الذي أعدّه الملحق العسكري البريطاني في دمشق في :

F.O /371/87871/ "Syria's military strength in 1949 , a secret report to the war office" . p.1-5.

[1] – غسان التويني ، منطق القوة ، (بيروت ، ١٩٥٤) ص ٣٨ ، وأديب نصور ، قبل فوات الأوان (بيروت ١٩٥٥) ص ٣٠ .

الحركـة الحزبيـة السوريـــة [1]

تمهيـــــد :

هيأت التحولات الإقتصادية- الاجتماعية ، والنمو الثقافي المتسارع ، الأرضية الملائمة لتشكل أنماط جديدة في الفكر السياسي السوري ستكون موضع بحثنا في هذا الفصل [2] .

كانت سورية متفوقة في وعيها السياسي قياساً بمحيطها ، فقد عرفت البنية الحديثة لنظام الأحزاب منذ عام ١٩١٩ تاريخ تشكل أول حزب سياسي في دمشق هو " حزب الإستقلال العربي " برعاية الأمير فيصل ، واستقطب هذا الحزب عدة فئات من المجتمع السوري واللبناني ، ووقف مدافعاً عن إستقلال ووحدة سورية الكبرى ورافضاً مناطق النفوذ البريطانية والإفرنسية [3] . وبعد الإنتداب ، تفرعت عدة أحزاب عن حزب

---

[1] - نركز في هذا البحث على الأحزاب التي نشأت وتطورت داخل المحيط السوري ولعبت الدور الأبرز على الساحة السياسية في هذه الحقبة ، وقد آثرنا ألاّ نتوسع في مبادئ أحزاب ومنظمات سياسية كانت نشأتها خارج هذا المحيط مثل الحزب الشيوعي السوري، منظمة الإخوان المسلمين، الحزب السوري القومي الإجتماعي علماً بأننا لم نهمل إطلاقاً دراسة الدور الذي لعبته في حياة سورية السياسية .

[2] - حول الأحزاب السورية راجع المصادر التالية : كتاب الأحزاب السياسية في سورية ، منشورات دار الرواد ، دمشق أيلول ١٩٥٤ . وكتاب زهير المارديني ، الاستاذ ، قصة حياة ميشيل عفلق ، ط١ (لندن١٩٨٨) ، ص ٣٧ - ٧٩ . وراجع :

Publication du centre de documentation et synthese "La Situation politique en Syrie depuis la fin du regime Chichakly . Etudes et Syntheses" Paris Juillet , 1955, P.31 -60, cf, G. H. Torrey, Syrian Politics , p.53 - 62 , cf, W. Khalidi , "Political trend in fertile -crescent" in "the Middle-East in transition , ed by W. Z. Laqueur London 1958 , p.121 128 .

[3] - كانت تشرف على أعمال هذا الحزب الهيئة المركزية للجمعية العربية الفتاة ، وبعد سقوط

الإستقلال كان أهمها حزب الشعب الذي اتبع نموذجاً مشابهاً لحزب الإستقلال وانضم إليه المثقفون الشباب من السنّة والمسيحيين والدروز من أمثال عبد الرحمن الشهبندر ، فارس الخوري ، توفيق شامية . سعيد الغزي ، فخري البارودي ، إحسان الشريف ، نزيه المؤيد، وتمّ الإعلان عنه رسمياً في الخامس من حزيران عام ١٩٢٥ وقد انحل الحزب بعد الثورة السورية إثر إتهام زعيمه الشهبندر بالتآمر على الإفرنسيين [١] واستمرت أسسه وطبيعة تركيبه قائمة في الأحزاب السياسية التقليدية التي سنستعرضها أدناه :

الكتلـــة الوطنيـة :

انضم أعضاء حزب الشعب إلى تجمع سياسي عريض عُرف باسم الكتلة الوطنية "وكانت ولادتها في بيروت عام ١٩٢٧ ولادة أهم هيئة سياسية قُيض لها أن تكون خلال أكثر من عقدين من الزمن أهم حزب سياسي جسَّد تاريخ المقاومة السورية ضد الإنتداب " [٢] .

استقطبت الكتلة قدامى القوميين وزعماء العائلات السورية المالكة للأراضي ، وأفراداً من البرجوازية التجارية وزعماء الأحياء في المدن والمثقفين من كل الطبقات .

فيصل استأنف بعض قادته نشاطيم خارج سورية مثل شكيب ارسلان ، رياض الصلح ، نجيب شقير، وشاركوا في مؤتمر الأحزاب الاستقلالية الذي عُقد في جنيف بمبادرة الأمير ميشال لطف الله . راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤١ . و

R.T. Water , a Social -Political analysis in Syria , p.99 - 160 .

(١) – راجع مقالين في صحيفة بردى الدمشقية ، عدد ٥ و ٦ ، حزيران ١٩٤٦ . وأيضاً : حسن الحكيم ، (دمشق ،١٩٨٠) صفحة من حياة الشهبندر ، ص ١٣٧ ونصوح بابيل صحافة وسياسة ، ص٤٢ .

(٢) – تشكلت الكتلة من ٢٧ عضواً ممثلاً عن المدن السورية منهم : هاشم الأتاسي ، فارس الخوري ، جميل مردم ، رياض الصلح ، سعدالله الجابري ، د. ناظم القدسي ، د. منير العجلاني ، رشدي الكيخيا ، شكري القوتلي . ولمزيد من المعلومات حول الكتلة ودورها النضالي راجع : لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص٢٨٦ –٢٨٨ . نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٥٨ – ٦٢ . راجع :

G. Torrey , Syrian politics , p.53 - 54.

كانت الغاية من تشكل " الكتلة " إيجاد قاعدة للنضال الوطني الذي تشتت عقب فشل الثورات السورية . وقد بدأت نشاطها لدى إجراء أول انتخابات لجمعية تأسيسية في سورية عام ١٩٢٨ ، ومع أنها لم تحظ بأكثر من ربع المقاعد فقد انتخب زعيمها هاشم الأتاسي رئيساً للجمعية التأسيسية ولما علق المفوض السامي بونسو جلسات الجمعية (٧ شباط ١٩٢٩) رصت الكتلة صفوفها واتخذت شكل حزب رسمي في (٤ تشرين الثاني ١٩٣٢) تاريخ نشر منهاج عملها الذي حدّد أهدافها : " بتحرير وتوحيد البلاد الشامية على أن يترك للبنان حقه في تقرير مصيره . العمل على إقامة إتحاد بين الدول العربية المستقلة ، رفع مستوى الحياة الإقتصادية ، الحرية والمساواة بين أبناء الشعب . وكانت الصحيفتان الناطقتان باسمها : "القبس و الأيام " .

اعتمدت الكتلة في نضالها على الأسواق التجارية ، تلك القوة الإقتصادية السياسية التقليدية في المدن السورية ، وعلى زعماء الأحياء ، وكانت الأسواق تعلن الإضراب ويتقدم زعماء الأحياء التظاهرات ومن ورائهم رجالهم [1] . وهكذا أمنت " الكتلة " إطاراً متماسكاً لتنظيم المقاومة ، وجاهدت جهاداً سلبياً تارة وإيجابياً أخرى ، للتوصل إلى عقد معاهدة مع فرنسا على غرار المعاهدة البريطانية – العراقية ، وبلغ نضالها أوجه بين عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ عندما عمت الإضرابات المدن السورية ، وأوصلت هذه الإنتفاضة الشعبية إلى المفاوضات مع الحكومة الإفرنسية التي إنتهت بتوقيع معاهدة ٩ أيلول ١٩٣٦ ، ومن ثم حصلت الكتلة بعد الإنتخابات العامة على

---

(١) – كان يوجد في دمشق ٢٥ ألف محل تجاري تفتح أبوابها صباحاً وتغلقها مساءً ، وكان لها دور بارز في الحياة الإقتصادية وشكلت أيضاً قوة سياسية أجبرت فرنسا إثر عدة إضرابات على التراجع عن سياستها . وبعد الإستقلال تغيّر مركز الثقل الإقتصادي نحو المصانع وخسرت تلك القوة نفوذها بعد عام ١٩٤٩ . أما زعماء الأحياء " القبضايات " فقد سيطروا على سكان الأحياء القديمة ، وتنافس مرشحو الإنتخابات لكسب تأييدهم . وبعد الإستقلال هجر هؤلاء أحياءهم وانتقلوا للسكن في المساكن الفخمة التي أخلاها الإفرنسيون في الأحياء الجديدة ، وأضاعوا بالتالي نفوذهم وسيطرتهم وإن استمروا يشكلون قوة إنتخابية في مدينة دمشق ، راجع :

R.G. Tomeh . Landownership . , p.82 A , 82B, 100A, 100B , 108B - 109A.

راجع حول دورهم في الإنتخابات ، خالد العظم ، ج٢ ، ٢٩٥ – ٢٩٦ وج٣ ، ٢١٩ – ٢٢٠ .

المواقع الرئيسية في السلطة ، وتمسكت حكومتها بالمعاهدة رغم رفض البرلمان الإفرنسي إبرامها بعد عدة تأجيلات [١] . ومنذ ذلك الوقت اعتمدت الكتلة سياسة التحالف مع الإفرنسيين وراحت تدافع عن المعاهدة في وجه المعارضين لها وقد تقوضت بالتالي شعبيتها وبدت عاجزة في تجربتها الحكومية الأولى ، ثم راحت تتفسخ إثر فشلها في الحيلولة دون ضياع لواء الإسكندرونة ، وكانت أول جماعة إنشقت عنها "الجبهة الشعبية" بزعامة الشهبندر ، وراح هذا الأخير يندد بالمعاهدة وتطلع إلى بغداد حيث حظيت حركته بتأييد الأسرة الهاشمية والإنكليز [٢] . كذلك اعترضت على سياسة الكتلة ، عصبة العمل القومي ، وهي جديرة ببعض الإهتمام من حيث أنها أول من أعطى فكرة القومية العربية أبعادها الجديدة [٣] .

عصبة العمل القومي :

كانت العصبة حركة شباب مثقف من أصول إجتماعية بارزة ومتوسطة ، تأسست عام ١٩٣٣ في أعقاب مؤتمر في قرنايل (جبل لبنان) ضمَّ شباباً من الكتلة

---

[١] – حول نص المعاهدة راجع : حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص٣٢٦ – ٣٤٦ والنص بالإنكليزية في :

A. Hourani , Syria and Lebanon , p.314 - 340 .

– ومن الجدير ذكره أن الكتلة شكلت في أعقاب وصولها إلى السلطة فرقة " القمصان الحديدية " وهي تنظيم شبه عسكري شدد على الانضباط والتضحية وكان منير العجلاني منظم هذه الفرقة ، وقد أشار بابيل إلى أن الصحافة الإفرنسية قد عرضت صورة لرئيس الجمهورية هاشم الأتاسي مستعرضاً الفرقة وهي تؤدي التحية على الطريقة الفاشية ، وكان ذلك من أسباب رفض البرلمان التصديق على المعاهدة . راجع كتابه ، صحافة وسياسة ، و Charles -Andre Jylien , "French in the M.E." "Foreign Affairs" , vol 24 (1946) p.327.

[٢] – حسن الحكيم ، صفحة من تاريخ الشهبندر ، ص ١٣٩ – ١٧٢ .

[٣] – لقد عدَّ الكتاب البعثيون حزبهم وريثاً للعصبة . راجع : جلال السيد ، حزب البعث العربي ، (بيروت ١٩٧٣) ص٢٣ – ٢٥ . وسامي الجندي ، البعث (بيروت ١٩٦٩) ص١٩ – ٢٠ .

وخرجوا بميثاق في (٢٩ آب ١٩٣٣) حددوا فيه الوطن العربي بأنه وطن كل من يتكلم العربية وبذلك ابتعدوا عن مبادئ الجمعيات السرية والثورة العربية [١] .

ظلت العصبة تتعاون مع " الكتلة " حتى عام ١٩٣٦ ، وقد كشفت باكراً عن بداية التصدع داخل الكتلة ، وعن تحرك الطبقة الوسطى للحصول على موطن قدم بمواجهة سيطرة الطبقات العليا على " الكتلة " . وقد قامت العصبة بدور نضالي بارز في الإسكندرونة وألقت مسؤولية مصير اللواء على سياسة الحكومة السورية المتعاونة مع المنتدب ، وقد دب الضعف فيها بعد وفاة أمين سرها الأول عبد الرزاق الدندشي وطرد أمين سرها الثاني صبري العسلي لخوضه الإنتخابات قبل نهاية الإنتداب . وضعفت جداً بعد خروج زكي الأرسوزي منها ، ثم علقت نشاطها بعد عام ١٩٣٩ [٢] .

ازداد التصدع داخل صفوف الكتلة عقب انسحاب بعض وزرائها من الحكم واستقالة هاشم الأتاسي من منصبه [٣] ووصلت إلى حافة الإنهيار إثر إتهام بعض أقطابها (مردم والحفار والجابري) بتدبير حادث اغتيال الشهبندر في ٦ تموز ١٩٤٠ [٤] وقيض لها أن تستعيد شعبيتها وموقعها النضالي بفضل شكري القوتلي [٥] واستمرت الكتلة

---

[١] – حول نص ميثاق العصبة راجع : كتاب الأحزاب السياسية في سورية ، ص ١٣٦ – ١٣٨ .

[٢] – حول الخلاف بين العصبة والكتلة راجع : بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٨٤ – ١٠١ . وفي عام ١٩٥٤ دعت العصبة إلى مؤتمرعام لاستئناف نشاطها . ولكنها فشلت في مسيرتها . راجع : كتاب الأحزاب السياسية ، ص١٣٦ . الجندي ، البعث ، ص ٢٠ ، السيد ، حزب البعث ، ص ٢٤ .

[٣] – راجع نص كتاب إستقالة هاشم الأتاسي من رئاسة الجمهورية في : حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية، ص ٤٠٣ – ٤٠٤ .

[٤] – هرب هؤلاء إلى العراق ، ثم عادوا إلى دمشق حين برأت التحقيقات ساحتهم رسمياً وإن ظلت علامات الإستفهام تتراقص أمام أعين الشعب بما يخص تبرئة جميل مردم الذي اتهمه البعض بالتواطؤ مع الإفرنسيين لتدبير الجريمة . راجع : حسن الحكيم ، صفحة من تاريخ الشهبندر ، ص١٧٢ .

[٥] – نشر القوتلي مطلع عام ١٩٤١ بياناً يعلن عن تمسك سورية بمطاليبها القومية ، وقد هزّ بيانه البلاد بأسرها وأعلن إضراب عام وشامل إستمر ٣٦ يوماً ولم ينته حتى وجّه القوتلي نداءً إلى الشعب بإعادة الأوضاع إلى طبيعتها . راجع كتاب : تاريخ أمة في حياة رجل ، ١٧ آب ١٩٤٣ – ١٩٤٧ . ص ١١ .

خارج الحكم حتى عام ١٩٤٣ لتتربع منذ ذلك التاريخ وحيدة في السلطة بزعامة القوتلي حتى سدّد الجيش ضربته في ٣٠ آذار ١٩٤٩.

لم تكن الكتلة تنظيماً سياسياً عقائدياً ، بل كانت تحالف زعماء انصرفوا نحو تحقيق وحدة سورية واستقلالها وتحررها ، وعندما انتهت القضية الأساسية تفكك التجمع وراحَ أعضاؤه يتصارعون على مغانم السلطة ، وتراجعوا عن أهدافهم القومية وارتدوا طابعاً قطرياً في عصر تألقت فيه العقائد القومية في سورية [١] .

أدى تفكك الكتلة إلى تشكل أحزاب وطنية منبثقة عنها ومجددة لمنهاجها ومستقطبة عناصر من الطبقة البرجوازية الجديدة التي برزت كقوة في المجتمع وسعت نحو الوصول إلى عضوية النخبة السياسية . من هذه الأحزاب :

الحزب الوطني :

تشكل هذا الحزب على القنوات التقليدية للكتلة أي على الولاءات العائلية والشخصية والمصالح الإقتصادية ، وقد ضم بعض قادة الكتلة الذين تجمعوا بناءً على دعوة نبيه العظمة للملمة فلولها وخرجوا إثر عدة جلسات بمؤتمر عام أعلنوا فيه ولادة الحزب ونشروا دستوره ومنهاجه المفصل في نيسان ١٩٤٧ [٢] . وقد تركزت قاعدة هذا الحزب في دمشق وبدرجة أقل في حلب ، وكان يمثل مصالح كبار الملاكين العقاريين ورجال الأعمال الدمشقيين واتخذ طابعاً يمينياً محافظاً .

افتقر هذا الحزب إلى التماسك وقد تصارعت في داخله التناقضات الإجتماعية والنزعات العائلية وعبرت عن آرائه صحيفتا القبس الدمشقية ، والشباب الحلبية . عُرف هذا الحزب بتأرجح سياسته تارة جمهوري وطوراً ملكي، وظهر فيه جناح مؤيد للعراق

---

(١) - S.P. Huntington , Political Order in Changing Societies , p.202 .

(٢) - لم يطرح هذا الحزب في ميثاقه منهاجاً سياسياً إجتماعياً جديداً ، وقد ركز على الوعي القومي ونهضة العرب وتنظيم الجهود لتطوير مرافق البلاد . كان رئيسه الأول سعد الله الجابري ، وأعقبه بعد وفاته نبيه العظمة ، وتلاه عبد الرحمن الكيالي ، وشغل صبري العسلي الأمانة العامة ، وميخائيل اليان المراقبة العامة . راجع كتاب الأحزاب السياسية ص ١٩١ - ٢٠٥.

مثلته الزمرة الحلبية المسيحية بزعامة مخائيل اليان وحَظِي بتأييد صبري العسلي [1] وقد ضمَّ الحزب حوالي ثلاثة آلاف عضو عندما حلّ نفسه عام ١٩٥٨ [2] .

حزب الشعب :

ضمَّ هذا الحزب التجمع الأكبر للكتلة ، ونما في أجواء المعارضة للقوتلي بزعامة رشدي الكيخيا وناظم القدسي وتشكل رسمياً في ١٥ آب عام ١٩٤٨ عقب إجتماع في فالوغا عندما أعلن مؤسسو الحزب ولادة حزبهم ونشروا دستوره [3] .

انطلق حزب الشعب انطلاقة تحررية وأعلن نفسه حارس الديمقراطية وحاميها الأمين وشدد على ضرورة تعديل الدستور وإصلاح التشريع بسن قوانين تقدمية ، كما كشف عن ميول يسارية بدعوته إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى القوى العاملة وتشجيع الحركة النقابية ووضع تشريع يضمن حقوق الفلاح ضمن الإطار العام للتطور كما دعا إلى إصلاح النظام الضريبي القائم [4] .

كانت مراكز قوة هذا الحزب مدينة حلب ثم حمص فدمشق ، وقد ظل يكبر ويكبر خاصة في حلب حتى أصبحت له أكبر كتلة برلمانية في المجلس . ومع الزمن أصبح حزب الشعب حزباً تقليدياً محافظاً وممثلاً لمصالح الطبقة العليا واهتماماتها في

---

[1] – العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص ٣٥ . راجع أيضاً : تصريح العسلي في صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤٣٠٣ ، ٢٢ أيلول ١٩٤٦ .

[2] – S. Jargy, Syrie , p.189 .

[3] – يُعد رشدي الكيخيا مؤسس هذا الحزب ، ومن أبرز قادته : رشاد جبري، عدنان الأتاسي ، زكي الخطيب ، سامي كبارة ، هاني السباعي ، معروف الدواليبي الذي عُرف بميوله لحركة الإخوان المسلمين ، ثم مثّلَ الجناح المعادي للغرب والمؤيد لسياسة الحياد داخل الحزب . راجع: من هو في سورية عام ١٩٤٩ ، صدر عن الوكالة العربية للنشر والدعاية ، دمشق ، مطبعة ألف باء ، ١٩٤٩ ، ص١٧٠ و٣٨٤.

[4] – نص دستور الحزب في : كتاب الأحزاب السياسية ، ص ١٥٧ –١٧٠.

شمال سورية التي سعت لاستقطاب محاولات الإشتراكيين بين فئات الفلاحين والعمال [1] وقد شارك هذا الحزب ، في عدة مناسبات ، بنشاطات فعالة لإقامة اتحاد بين سورية والعراق ، عاكساً صورة التوجه التجاري في شمال سورية لإزالة الحواجز بين الدولتين . وقد صدرت ثلاث صحف ناطقة بإسمه وهي: الشعب في دمشق والناظر في حلب والسوري الجديد في حمص .

تصدر حزبا الشعب والوطني المسرح السياسي السوري ، وتصارعا على السلطة وتحالفا مع الجيش تارة ووقفا بوجهه تارة أخرى [2] وقد فشلا في توحيد صفوفهما لمواجهة الأحزاب اليسارية [3] وبدأت قوتهما تتقلص بعد إنتخابات ١٩٥٤ التي شهدت بداية انطلاقة اليسار السوري .

وقد تشكلت في سورية أحزاب صغيرة لم تعمر طويلاً بزعامة قادة من الكتلة . مثل : الحزب الجمهوري الذي أسسه جميل مردم ، وحزب الدستور بزعامة منير العجلاني ، والحزب التعاوني الإشتراكي بزعامة فيصل العسلي الذي نال الترخيص لحزبه في بداية عام ١٩٤٩ [4] وقد دعا هذا الحزب إلى مبدأ التعاونية الإشتراكية التي لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وإلى إقامة اتحاد بين الدول العربية والإسلامية المستقلة وينظم هذا الاتحاد وحدة سياسية وإقتصادية تدعمهما قوة عسكرية مشتركة [5] .

وقد نُظم هذا الحزب على النسق الفاشي فجعل البيعة للزعامة وفرض الطاعة العمياء للمنضميين تحت لوائه . وكانوا من الشبان من البيئات المختلفة انساقوا وراء قائدهم ومارسوا أعمال عنف عديدة في دمشق وريفها ، واتبعوا نظاماً عسكرياً حيث كانوا

---

(١) – R.T. Waters , a Social - political , p.99 - 100 .

(٢) – S. Huntington , political order , p.205 - 208 .

(٣) – كتب السفير البريطاني في سورية J. Gardener معلقاً على سياسة هذين الحزبين "لقد افتقد زعماء الأحزاب اليمينية إلى الشجاعة في الإعراب عن أفكارهم ، وبدلاً من التماسك ورص الصفوف لمواجهة الأحزاب اليسارية راحوا ينساقون وراء أفكارها وافتقدوا الشجاعة للإعراب عن مواقفهم " . F.O /371/115942/ confidential No.19/ dated feb 4/1955 .

(٤) – حول هذا الحزب راجع : كتاب الأحزاب السياسية في سورية ، ص٥١ – ٦٤ .

(٥) – طرح النائب فيصل العسلي برنامج حزبه في جلسة مجلس النواب ١٩٤٨/١٢/٢٧ . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص ٦٠ – ٦٢ .

يتوجهون إلى الكهوف للتمرن على إطلاق النار ، وفرضوا اتاوات على الاغنياء وقبضـوا ثمن الولاء من القادة السياسيين ومن سفراء الدول [1] ومن الجدير ذكره أن فيصل العسلي هو أول من حذّر من دخول الجيش النظامي إلى فلسطين وأول من نبـه إلـى خطـر تدخـل الجيش في السياسة [2] . انفرط عقد هذا الحزب بعـد هـرب زعيمه الـذي اتهـم بـالمؤامرة العراقية – الإنكليزية أواخر عام ١٩٥٦ فأسرع صبري العسلي إلـى ضـم فلولـه ممـا زاد من تفكك الحزب الوطني .

× × ×

إبان الحرب العالمية الثانية ، انتشـرت الثقافـة العالميـة فـي المجتمعـات السـورية بفعل اختراق وسائل الإعلام الحديثة للوسط التقليدي [3] وازداد الوعي الإجتماعي وبرزت بعد الإستقلال حاجة ملحة للبحث عن حلـول جذريـة لواقـع البـلاد الراكـد ، وتهيـأ بالتـالي المناخ لتشكل عقائد ثورية دعت إلى التحرر من تبعية الأشكـال التقليديـة وطرحت برنامج عمل لتهديم الواقع المتخلف ، هذه الأحزاب هـي :

---

(١) – خالد العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص ٤٦ – ٤٧ .

(٢) – حكم عليه حسني الزعيم بالإعدام وكان مقرراً تنفيذ الحكم في الساعة التاسعة من صباح الأحد في ١٩٤٩/٨/١٤ . وكان الزعيم قد قتل الساعة الثالثة من صباح ذلك اليوم . وقد قاطع فيصل العسلي الإنتخابات التي جرت في ظل الحناوي ، واشترك مع الحزب الوطني والجمهوري في عقد ميثاق وطني أقر عدم شرعية الجمعية التأسيسية التي انتخبت في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٩ ، راجع : كتاب الأحـزاب السياسية ، ص ٦٣ – ٦٤ . و : بشير العوف ، ٣٠ آذار ١٩٤٩ ، الإنقلاب السوري أسراره ودوافعه ومراميه وكيف تمت حوادثه (دمشق ، ١٩٤٩) ص ٢١ – ٢٢ .

(٣) – حـول دور وسائـل الاعـلام فـي تطويـر النظـام السياسـي السـوري راجـع البحـث الميدانـي الموسع في :

R.T. Waters , A Social - Political .. , p.55 - 68 .

أكرم الحوراني والحزب العربي الإشتراكي :

كان الحوراني أول من حمل مشعل التحرر الإجتماعي الجذري ، وهو أول من وقف عمله السياسي للدفاع عن حقوق الفلاحين وقضاياهم ، وهزّ بعمله هذا السيطرة الإقطاعية السائدة في منطقة حماه [1] .

برز دور الحوراني في أعقاب تطورات محلية نشطت في مدينة حماه التي شهدت منذ نهاية الثلاثينيات حركة عنيفة وذلك عندما واجهت النخبة السياسية من الملاكين الكبار مثل آل العظم والكيلاني والبرازي تحدياً مباشراً لهيمنتها وسلطتها .

كانت الجماعة السياسية في حماه متوحدة في موقفها المعادي للإفرنسيين الذي كان أشد عنفاً منه في دمشق [2] وبدأت قوى أخرى تشق وحدة الصف ، أولها حركة الإخوان المسلمين التي لاقت قبولاً لدى بعض الشباب السنّة في المدينة [3] وبالمقابل لاقى

---

[1] – المعلومات العامة حول أكرم الحوراني مستقاة من المصادر التالية : باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص٦١ – ٦٥ وكتابه ، الأسد ، الصراع على الشرق الأوسط ، ص ٧٦ – ٧٩ . خالد العظم ، مذكرات معلومات متفرقة في الأجزاء الثلاثة وخاصة في ، ج٣ ، ص٣٦ – ٤٠ وراجع زهير الماردينى ، الأستاذ ، ص ١٩٢ – ٢٠٤ والمصادر الأجنبية الآتية

T. Petan Syria, p87-90 cf. Kamil Abu Jaber ,the Arab Ba'thparty , Ideology and organization (Syracuse 1966) p.33 -50 cf. Itamar Rabinovish , syria under the Ba'th 1963 - 66, the party army-Party symbiosis , (Jerusalem 1972) p.6-11 cf. Nabil M. Kaylani , "the Rise of Syrian Ba'th , 1940 - 1958 : Political success , Party faillure" in Middle-East studies vol 3, (1962) p.3-23 , p.7-15 cf. S. Jargy , "le Declin d'un parti : dans , Orient No 9 (1959) p.21-40, p.22 - 23 .

[2] – راجع : عثمان الحداد وحسن القطان وعبد الحسيب سعيد ، ثورة حماه على الطغيان الفرنسي، (حماه، ١٩٤٥) ص ١– ٥٥ .

[3] – تأسس أول مركز لهذه الجماعة عام ١٩٣٥ في حلب باسم " دار الأرقم " ثم توالى تأسيس المراكز في باقي المدن السورية ، وفي عام ١٩٤٥ وضع نظام موحد واسم واحد للجماعة وهو " الإخوان المسلمين " وشعارهم " الإسلام دين ودولة ، مصحف وسيف ، مسجد ومدرسة ، قانون وآداب، عدالة وآخاء ، مادة وروح ، دنيا وآخرة " . وقد أصبحت الجماعة قوة في الحياة السياسية السورية منذ إنتخابات ١٩٤٧ وازدادت في الخمسينات وتمركزت خاصة في حماه . راجع : كتاب الأحزاب السياسية، ص ١١ – ٤١ .

الحزب الشيوعي مناصرين له بين جماعة المسيحيين الأورثـوذكس [1] . وبينما كان كـلا التنظيمين قادراً على تجنيد قطاع مـن السكان ، انجـذب القطـاع الأكبر المتحـرر مـن أي إرتباط حزبي نحو قوة محلية ثالثة هي حركة أكرم الحوراني .

تطور أكرم الحوراني كسياسي متميز انغمس باندفـاع فـي صـراع يـائس ليحـرر فلاحـي منطقتـه من أغـلال الإقطـاع ، واتصف بجرأته وعناده وصلابة رأيـه [2] ، واتهـم غالباً بأنه إنتهازي وصولي يتطلـع إلـى السلطة ويضحـي بالمبـادئ لأجلهـا [3] . والصفـة

---

(1) – كانت منطقة حماه القاعدة الثانية للحزب الشيوعي بعد حي الأكراد ، وقد تمركز الأورثوذكس في أحياء المدينة وبلدات : صقلية ، مصياف ، محردة ، وكفربيهم .. وتصارع فيها تيـاران : الشيـوعي وتيار الحزب السوري القومي الإجتماعي . وحول نشاط الحزب الشيوعي في الأوساط الفلاحية راجع :
Walter Z. Lacqueur , Communism and Nationalism in the Middle-East , (New York , 1956) p.154 - 159 .

وراجع خاصة : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة . قسم "التقـارير الإداريـة المتعلقة بالمن والشرطة " . حافظة رقم ١٠ ، تقرير سري من محافظ حماه إلى وزارة الداخلية ، وثيقـة رقم د١/٥٠/٨٠/تاريخ ٦/١٢/٥١ .

(2) – للتعرف على شخصية الحوراني ومواقفه السياسية راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلـد : ١٩٤٨ – ٤٩ ، ص ١٩٣ ، مجلـد ١٩٥٠ – ٥١ ، ص ١٣٣ – ١٣٤ ، ص ٢٣٢ و٣١٧ ، مجلـد ١٩٥١ – ٥٢ ، ص٧١٧ – ٧١٨ وخاصة مجلد ١٩٦٢ جلسـة ٨/١/٦٢ ، ص ٥٣ – ٦٣ . وفـي هـذه المواقف اتسم الحوراني بقسوته في الهجوم على التقليديين ، وتمرده على الواقع القائم ، وهـذا مـا ميّزه عن زملائه في المجلس .

(3) – وصف المفوض البريطاني الحوراني قائلاً " أنه الرجل الأكثر خشية في الرأي العام المعتـدل، وقد عبّر الحوراني مراراً عن شكوكه بالتدخلات الأجنبية فـي سـورية . إن هـذا الشـخص الـذي أصبـح قادراً في صفوف الجيش هو بلا ذمة ولا مبدأ ، إنتهازي ، لا يستطيع أحد التنبؤ بمدى إمكانياته "
F. o / 371/91840, From Montagu -Pollock to Mr Bevin , dated 16/1/1951 .

وقد نشرت صحيفة " المنار " الناطقة باسم الإخوان المسلمين وثيقة بخـط يـد أكـرم الحورانـي وهي عبارة عن تقرير رفعـه الحورانـي إلـى الجنـرال ويغـان هـاجم فيـه الكتلويين وكشـف تعاونـه مـع الإفرنسيين ومع الحزب السوري القومـي : " المنـار"، عـدد ١٥٦ ، ٣١ نيسـان ١٩٥٧ . وكتـب جـلال السيـد واصفاً رأي البعثيين بالحوراني " إنتهازي ، بعيد عن الرحمة والعطف على المواطنين ، عنيـف في معاملتـه للخصـوم " راجـع كتابـه ، حـزب البعـث العربـي ، ص ١٠٠ – ١٠١ . وصـف مقـال فـي صحيفة التايم الأمريكية في ٣ أيلول ١٩٥٧ أكرم الحوراني بأنه الرجل الإنتهازي المتقلـب الـذي يحمـل قدرة كبيرة على التنظيم وله حُسٌ غريزي يجعله يعرف متى يجب عليه أن يحول عقائده من ناحيـة إلـى

البارزة التي لازمته، أنه كان منغمساً في قومية متدفقة ، ومتحمساً فائقاً للإصلاح والتجدد، مما هيأ له أن يكون دائماً رأس الحربة في التغييرات التي شهدتها سورية منذ عام ١٩٤٩ حتى ١٩٦٢ .

انضم الحوراني عام ١٩٣٦ إلى تنظيم الحزب القومي السوري الإجتماعي ثم انسحب منه [١] ليصبح عضواً فاعلاً ثم رئيساً لحزب محلي هو " حزب الشباب " [٢] الذي كان عبارة عن تكتل شبان من طلاب المدارس الثانوية غالبيتهم من أصول ريفية راحوا يلتفون حول الحوراني ، المحامي المثقف ، ويصغون بشغف لهذا الخطيب المفوه ، الذي ملك إلى جانب فن الخطابة موهبة الكتابة التي برزت في مقالاته في مجلة الحزب الأسبوعية " اليقظة " التي حملت لواء النضال ضد ممارسات الإقطاعيين "الذوات " [٣] .

أخرى وقيل عنه أنه أبدل معتقده مراراً حتى ملأ قفاه بالأردان كضميره " راجع تعريب المقال في وثائق دولة / وزارة الخارجية " قسم الصحافة والأنباء " وثيقة رقم ٢٠/١٠١/٤٢١ .

(١) – في عام ١٩٣٢ تردد إسم الحوراني في محاولة اغتيال رئيس المجلس النيابي صبحي بركات المتهم بتعاونه مع الإفرنسيين ، وكان الحوراني يدرس الطب في الجامعة اليسوعية ، وعاد بعدها إلى حماه وانتسب إلى كلية الحقوق بدمشق وبعد تخرجه انسحب من الحزب السوري القومي عام ١٩٣٨ . راجع : الجندي ، البعث ، ص٦٢ ، المارديني ، الأستاذ، ص ١٩٢ – ١٩٣ ،
N. Kaylani , the Rise .. , p.8 - 9 .

(٢) – في عام ١٩٣٨ أسس هذا الحزب الأستاذ عثمان الحوراني ، وانضم إليه أكرم الحوراني إثر انسحابه من الحزب السوري القومي الإجتماعي ، راجع : الجندي ، البعث ، ص ٦٢ . السيد ، حزب البعث، ص٩٧ . المارديني ، الأستاذ ، ص ١٩٢ .

(٣) – كان أصحاب هذه المجلة ثلاثة نواب شبان (نائب حماه رئيف الملقي . ونائب ديرالزور قاسم الهندي وأكرم الحوراني) وظهر العدد الأول يحمل توقيع الثلاثة . وسرعان ما دب الخلاف بينهم بسبب حماس الحوراني للإشتراكية . وقد أشار زهير الماريني الذي كان يقرأ المقالات قبل طبعها إلى أن الحوراني كان متأثراً بآراء الحزب السوري القومي حول نظرية الأرض التي تكون الأمة ، وأنه كان يجمع بين صفاء الذهن والعنف .. ويخفي طاقة كبيرة وقلقاً عصبياً . راجع كتابه : الأستاذ، ص١٩٣ – ١٩٤ .

عام ١٩٤٣ وصل الحوراني إلى البرلمان معتمداً على العناصر التقليدية لضمان نجاحه [١] ، وانفتحت أمامه الطريق نحو البروز فقام عام ١٩٤٥ واستبدل اسم حزب الشباب "بالعربي الإشتراكي" وباختياره هذا الإسم أعلن الحوراني انفصاله عن القوى السياسية التقليدية، وفي كانون الثاني عام ١٩٥٠ تاريخ الإعلان الرسمي عن تأسيس هذا الحزب . كانت شعلة النضال الفلاحي قد سرت من حماه إلى محافظة حلب حيث بدأت الصدامات بين حزب الملاكين والحزب العربي الإشتراكي [٢] .

شدّد برنامج الحزب على إلغاء الإقطاع وتوزيع أراضي الدولة على الفلاحين الذين لا أرض لهم ، وعلى محاربة الطائفية وعلى تحرير المرأة وعلى التعليم المجاني ووعدَ بأنه سيناضل من أجل سياسة سورية متحررة من كل أشكال النفوذ الأجنبي ، وبالدفاع عن النظام الجمهوري البرلماني الدستوري . ومع أن الحزب قد تبنى شعار العروبة إلاّ أن الحوراني لم يحاول تشكيل حزب عربي شامل لأنه كان يعتقد أن الوحدة العربية لا تتحقق حتى يحقق كل قطر وحدته الداخلية .

قامت قاعدة الحوراني على ثلاثة عناصر : الطلاب والفلاحين وضباط الجيش ، وحظي بتأييد عائلات حموية مثل (الكلاس ، السراج ، الصباغ ، العلواني) وقد أوصلته شبكة أنصاره إلى البرلمان عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٩ ليصبح منذ ذلك التاريخ السياسي البارز في اليسار السوري [٣] . وفي عام ١٩٤٩ أسس الحوراني في دمشق مكتباً لرعاية

---

(١) - قبل إنتخابات ١٩٤٣ التجأ الحوراني إلى سعدالله الجابري الذي أخذ على عاتقه حمل فريد العظم على عدم معارضة الحوراني ، وعن طريق هذه الواسطة تمكن الحوراني من الفوز بالنيابة . راجع : العظم مذكرات ، ج٣ ، ص٣٦ - ٣٧ .

(٢) - حول هذه الصدامات راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، قسم " تقارير إدارية تتعلق بالأمن والشرطة " . حافظة رقم ١٠/ وثيقة رقم د١/٥٠/٨٠ ، تاريخ ١٦/٩/١٩٥١ ، " وفي منتصف أيلول عام ١٩٥٠ ، عقد في حلب أول مؤتمر فلاحي ، وراح أعضاء الحزب يفتحون أندية في قرى المحافظة وينظمون المهرجانات ويهددون الإقطاعيين ، وسرعان ما شهدت قرى المحافظة وخاصة قصبة المعرة وقضائها أعمال عنفٍ واندلعت نار فتنةٍ دامية كادت تتحول إلى حرب أهلية بين حزب الملاكين والحزب العربي الإشتراكي " راجع : م . ن ، وثيقة رقم د١/٥٠/٧٣ ، تاريخ ٢٥ أيلول ١٩٥٠ . تقرير مكتوم من محافظ حلب إلى وزارة الداخلية .

(٣) - F.O /371/82859/ secret tele No 20 , From Damascus to Foreign office , 23 -

شؤون الفلاحين والاهتمام بقضاياهم وتطورت بالتالي قاعدته السياسية في المناطق الريفية أكثر من حماه المدينة ، وعلى الرغم من استقطاب الحوراني لتلك القاعدة الشعبية العريضة فإن ذلك لم يكن كافياً لإضعاف سيطرة اليمين على القيادة ومركز السلطة في دمشق ، وقد أدرك الحوراني أن أي تغيير جذري لا يمكن الوصول إليه بطريقة دستورية بسبب متانة مركز النخبة الحاكمة ، وأنه إذا كان لابد لهذه الحلقة أن تنهار فإن أي عمل لا دستوري هو ملح وإلزامي ، وهكذا وبعيداً عن الأضواء راح الحوراني يمتّن صلاته مع ضباط الجيش ويحث أنصاره الشبّان على الانتساب للكلية العسكرية في حمص حيث كان رؤساؤها ومدربوها أصدقاءه وتلقى منهم دعماً كبيراً [١] ، وعندما قامت الحرب الفلسطينية حارب الحوراني في الفرقة غير النظامية بقيادة فوزي القاوقجي [٢] وأصبح الناطق باسم الجيش في البرلمان ، ولعب دوراً في التحضير لإنقلاب حسني الزعيم ولما كشف نظام الزعيم عن وجهه الديكتاتوري تحول ضده ليصبح في الإنقلاب المضاد حاملاً مشعل المعارضة ضد مشاريع وحدة الهلال الخصيب ، وأول المدافعين داخل وخارج البرلمان عن النظام الجمهوري [٣] . ومن ثم

January 1950 cf. Jaques Rastier , "A la Recherche du socialisme Syrien" dans orient , No 4 , p.175 - 177 cf. S. Jargy, "le Declin d'un parti" , p.22 - 23 .

[١] – تلقى الحوراني مساعدة من أصدقائه الضباط المدرسين أو المدربين مثل: نخلة كلاس ، نبيه صباغ، عفيف البزري ، بديع بشور . ومن الضباط الذين دخلوا الكلية بتوجيه من الحوراني نذكرعلى سبيل المثال مصطفى وعدنان حمدون ، عبد الغني قنوت ، عبد الحميد السرّاج ، شهيد الدريعي ، منير موسى باشا ، زياد الحريري ، عبد الكريم الجندي الخ . مقابلة مع اللواء بديع بشور ، صافيتا ، ١٩٩٥/١١/٢٠ . وراجع

E. Be'eri , Army officers , p.338 .

[٢] – القاوقجي مجاهد من مدينة طرابلس شارك في ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ثم في ثورة ١٩٤١ في العراق . وقد وضعت القيادة العربية المشتركة تحت إمرته في شباط ١٩٤٨ "كتيبة اليرموك" التي ضمت المتطوعين غير النظاميين وانضم إلى هذه الفرقة العقيد أديب الشيشكلي وتطوع ثلاثين نائباً لم يلتزم منهم سوى الحوراني والكاتب السوري "عبد السلام العجيلي" راجع : صحيفة المنار ، دمشق ٢٤ كانون الأول ١٩٤٧ ، الأيام ، دمشق ١٢ كانون الثاني ١٩٤٨ .

G. Kirk , the Middle-East 1945 - 1950 , p. 253 cf. G. Torrey , Syrian politics .. , p.104 .

[٣] – في جلسة مناقشة صيغة القسم الرئاسي في مسودة دستور عام ١٩٥٠ طالب الحوراني بإضافة

خطط مع صديقة أديب الشيشكلي للإنقلاب الثالث ، ومن جديد حمل الحوراني لواء المعارضة ضد الحكم السلطوي وكانت النتيجة الأبرز لهذا الموقف دمج حزبه مع حزب البعث العربي وولادة " حزب البعث العربي الإشتراكي " .

حزب البعث العربي :

أظهرت دراستنا أعلاه أن الأحزاب التي قامت في سورية ، وبصرف النظر عن عقائدها ، كانت تجمعات ظرفية حول شخصية أو بعض الشخصيات السياسية أكثر مما هي حزب يضم أصحاب العقيدة الواحدة لتنفيذ برامج ومبادئ معينة . وقد عبَّر كل حزب عن المصالح الإقليمية للمنطقة التي شكلت قاعدته الأساسية . أما حزب البعث فقد كان أول حزب سوري يتجاوز ذلك الإطار المحدد لسورية ليشمل الأفق الواسع للأمة العربية [١] . وقد مثل هذا الحزب تطلعات عالم عربي معذب ، يعاني مشاكل إجتماعية وإقتصادية وسياسية .

ففي عام ١٩٣٩ ، كانت سورية المجزأة والمحكومة تعيش ظروفاً قاسية إثر فشل المعاهدة مع الإفرنسيين وسلخ لواء الإسكندرونة وتشتت النضال الحزبي ، وفي تلك الأجواء جرت عدة محاولات لملء الفراغ السياسي ، كان أولها " الحزب القومي العربي " [٢] الذي ولد في الزمن نفسه الذي ولد فيه البعث وحمل شعاراته نفسها "الوحدة

نص "المحافظة على النظام الجمهوري" وتمّ ذلك في المادة ٧٥ من الدستور الجديد ، راجع مذكرات المجلس النيابي جلسة ١٩٤٩/١١/٢٧ ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص ١١٨٥ .

(١) – نصت المادة الأولى من المبادئ العامة لدستور البعث " هو حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الأقطار العربية وهو لا يعالج السياسة إلا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا ". راجع نص دستور البعث في : كتاب الأحزاب السياسية ، ص ٢٢٣ – ٢٤١ .

(٢) – نصت مبادئ الحزب أن " العرب أمة واحدة ، للعرب زعيم واحد العربي سيد قدره " ... الخ ورمز الحزب وهو تقليدٌ للنازية والفاشية راجع : المارديني ، الأستاذ ، ص ١٢٣ – ١٢٤. وقد ذكر جلال السيد أن أفكار هذا الحزب على صلة بأفكار ساطع الحصري . وأن بقاياه قد أعلنت عن نفسها باسم " القوميين العرب " الذين أصبحوا فيما بعد ناصريين ، وقامت عدة أجنحة داخل المنظمة

والحرية " ، وقد شابه الجمعيات السرية التي ظهرت في القرن السابق في ميله نحو الكفاح السري ، وهذه السرية جعلته محصوراً ببعض الشباب القوميين وكان زعيمه الأستاذ زكي الأرسوزي الذي تحول في تشرين الثاني عام ١٩٤٠ إلى تنظيم حزب آخر أطلق عليه إسم " البعث العربي " ، وكان عبارة عن حلقة ضمت عدداً من الشباب التفوا حول أستاذهم الذي راح يحدثهم عن طاقات الأمة العربية ويبشرهم بقرب انبعاثها ، ولم يتجاوز عدد هذه المجموعة الرقم (١٢) في أحسن حالاته ولم تصبح بالتالي حركة سياسية فاعلة بسبب اضطهاد الإفرنسيين للأرسوزي [١] ولما انحل حزبه التحق جميع أعضائه بحركة أخرى هي " الإحياء العربي " التي أصبحت المعبّر والمجسد لقضية القومية العربية .

نظم حركة الإحياء ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار ، وكانا ينتميان إلى ذلك الجيل من الشبان الذي خابت آماله بعد تسويات الحرب العالمية الأولى للمنطقة، وقد شاركا في التظاهرات ضد الإفرنسيين عام ١٩٢٥ وفي عام ١٩٢٨ توجهاً إلى باريس بمنحة دراسية فتخصص عفلق في معهد السوربون بمادة التاريخ والبيطار بمادتي الرياضيات والفيزياء ، وهناك اطلعا على تيارات الفكر الأوروبي، ونظما مع طلاب عرب جمعية ثقافية سعت إلى تسليط أنظار العرب والأوروبيين على تاريخ الأمة العربية

تنكر القسم الأكبر منها للناصرية . راجع كتابه ، حزب البعث العربي، ص ٢٥ - ٢٧ .

[١] - كان الأرسوزي علوياً من لواء الإسكندرونة ، درس الفلسفة في السوربون ، واستوحى من والده الذي نفاه الأتراك إلى قونية ، النضال القومي ، وأصبح على رأس المقاومة في اللواء حيث أثار إعجاب السوريين ، وبعد ضياع اللواء انتقل الأرسوزي إلى دمشق مع عدد من مريديه وتلاميذه واستقر في بغداد عام ١٩٣٩ ثم عاد إلى سورية عام ١٩٤٠ . ولقد ضمّ حزبه : عبد الحليم قدور ، يحيى السوقي ، صدقي إسماعيل ، وفي عام ١٩٤١ نفت سلطة الإنتداب الأرسوزي من دمشق، وتخلى عام ١٩٤٣ عن العمل السياسي ، ولم يعد إلى دمشق إلاّ في عام ١٩٦٧ عندما أصبح المنظر الملهم والمكرّم من بعثٍ وصل أوج مجده. هناك تضارب في الآراء بين الكتاب البعثيين حول شخصية الأرسوزي ودوره في حزب البعث وللتوسع حول هذه النقطة راجع : سامي الجندي ، البعث ، ص ٢٠ . السيد ، حزب البعث العربي ، ص ٣٥ - ٣٦ . المارديني ، الأستاذ ، ص ١٢٠ - ١٢٩ . وللإطلاع على آراء الأرسوزي راجع : مؤلفاته الكاملة ، دمشق ١٩٨٢ .

وتراثها [1] ، وبعد عودتهما إلى سورية عام ١٩٣٢ انخرطا فكرياً وعاطفياً في الحركة القومية وقد كانا متأثرين بالموجة الشيوعية في فرنسا وتعاملا مع الحزب الشيوعي السوري الذي كان يدافع آنذاك عن إستقلال سورية [2] . وفي دمشق مارسا التدريس في التجهيز الثانوية في حي الميدان ، ونظما حلقة طلابية تضمنت نشاطات ثقافية : محاضرات ومناقشات حول القومية العربية وضرورة يقظة الأمة .

وفي عام ١٩٣٣ اتصلا بالحزب الشيوعي وشاركا في إصدار مجلة " الطليعة " ذات الطابع اليساري ، وراح عفلق ينشر فيها مقالاته. إن هذه العلاقة دفعت بالبعض إلى الإعتقاد بأن عفلق حزبي شيوعي [3] ، ولم تعمر تلك العلاقة طويلاً ، فقد علّق عفلق مشاركته في المجلة عندما أيّد الشيوعيون المعاهدة الإفرنسية – السورية بينما اتخذ عفلق منها موقفاً معادياً عنيفاً ، وتوسع الشق مع الشيوعيين عندما ناصرت حركة الإحياء ثورة رشيد عالي الكيلاني (نيسان ١٩٤١) وراحت تنظم لجاناً طلابية

---

(١) – ابراهيم سلامة ، البعث من المدارس إلى الثكنات ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٥ – ٦ . السيد، حزب البعث العربي ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(٢) – إتخذ الحزب الشيوعي قراراً بمساعدة الكتلة الوطنية للتوصل إلى عقد معاهدة مع الإفرنسيين وذلك تمشياً مع قرار الحزب الشيوعي الإفرنسي المؤيد للمعاهدة ، وقد عمل أمين عام الحزب الشيوعي خالد بكداش على تقريب وجهات النظر بين الوفد السوري المفاوض وبين العناصر اليسارية الإفرنسية التي كان لها نفوذ في حكومة الجبهة الشعبية . ومن الجدير ذكره أن الحزب الشيوعي قد كانت أهدافه الأولى الكفاح للتوصل إلى الإستقلال وأجّل المعركة الإجتماعية إلى المرتبة الثانية : راجع حول وجهات نظر هذا الحزب : صحيفة " نداء الشعب " الدمشقية وصحيفة " الأخبار" البيروتية ومجلة " الطليعة " الدمشقية . ولمزيد من التوسع حول سياسة الحزب في الثلاثينات راجع :

Walter Laqueur , "Communism and Nationalism" in the MiddleEast , p.115 .

(٣) – قال : G. H. Torrey " كان عفلق من أوائل أعضاء الحزب الشيوعي ثم تراجع عنه من أجل القومية العربية " راجع كتابه :

Syrian politics .. p.108 , Note No 68.

ووصف المفوض البريطاني في دمشق حزب البعث عام ١٩٥١ " إنه حزب صغير جداً ، قد أصابت زعيمه عدوى الشيوعية "

F. o /371/98913 , Report From Montagu - pollock to Eden , confidential No 3 , 29 th feb 1952 .

لدعمها وجمع التبرعات لنصرتها . كما أرسلت متطوعين للانخراط في صفوفها [١] في الوقت الذي أدان فيه الشيوعيون إنقلاب رشيد عالي لارتباطه بالألمانية النازية [٢] . وأخيراً وقع الإنفصال بين الشيوعيين وعفلق عندما شنّ هذا الأخير حملة عنيفة ضد الشيوعية وسياسة الإتحاد السوفياتي ، واتهم الحزب الشيوعي السوري بمناصرة الإنتداب وبمقاومة فكرة الوحدة العربية على غرار الإفرنسيين بحجة أنها خطرٌ على سورية وثقافتها الديمقراطية ، وقد اعتبر عفلق الحركات ذات النمط الشيوعي التي نشأت في المحيط الإسلامي مثل (حركة بابك الخرّمي والمقنّع العذري) على أنها حركات شعوبية قادها رجال معادون للعرب وانتشرت على أرض غير عربية [٣] وتناسى أنها وجهت ضد العباسيين ليس فقط الشعوب غير العربية بل المستائين من العرب أيضاً ، كما أهمل عفلق في مقالاته حركة عربية خالصة دعت إلى نظام شيوعي ديني هي حركة القرامطة [٤] . على أنه يجب ألا يغيب عن الملاحظة أن حزب البعث عاد وتحالف في الخمسينيات مع الشيوعيين في ظروف مختلفة إلى حد بعيد عما كان عليه الأمر عام ١٩٤٤ يوم شن عفلق والبيطار حملتهما هذه ضد الشيوعية .

تبلورت حركة الإحياء العربي " وتحولت إلى تنظيم سياسي عندما التقى عفلق والبيطار وجلال السيد على تشكيل حزب أطلقوا عليه " البعث العربي " وقد استُبعد الأرسوزي عن المشاركة في التحضير له وإن راح الحزب يضم جناحاً متأثراً بمنهج

---

(١) – راجع سلامة ، البعث ، ص ٥ – ٦ . جلال السيد ، حزب البعث ، ص١٥ ، باتريك سيل الصراع على سورية ، ص ٢٠٢ . المارديني الأستاذ ، ص ١٢٨ .

(٢) – راجع : سلامة ، البعث ، ص ٦ .

(٣) – نشر المكتب السياسي للحزب في حزيران عام ١٩٤٤ كتاباً تحت عنوان: " القومية العربية وموقفها من الشيوعية " ، دمشق ١٩٤٤ ، وهي خلاصة الأحاديث التي ألقيت على الطلاب ، تأليف : ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار . ونشرت ثانية في نضال البعث ، ج١ ص ٨٦ – ٨٧ . وحول هذه الأفكار ، راجع : عفلق والبيطار": م . ن ص ٤٧ – ٤٨ وفي كل صفحات الكتاب .

(٤) – هذه الآراء دفعت الباحث Jean-Pierre Viennot إلى التساؤل " عن ماذا سيكون موقف عفلق لو صدف أن ماركس كان عربياً وليس يهودياً ألمانياً " . راجع مقاله :
"le Ba'th entre la theorie et la pratique" dans Orient , Paris No 30 , 1964 , p.13 - 27 , p.16 .

الأرسوزي [1] ثم انضم إلى الثلاثة مدحت البيطار فشكل الأربعة لجنة تنفيذية أعلنت عن ولادة الحزب في بيان عام ١٩٤٢ [2] وفي تموز عام ١٩٤٦ صدرت صحيفة " البعث " وفي ٧ نيسان أُقرّ دستور الحزب .

كان حزب البعث منذ بدايته حركة سياسية مستوحاة من الأوضاع الإجتماعية والبشرية القائمة في المحيط السوري ، ولعل هذا ما يفسر التقلبات والإنقسامات التي عصفت في صفوفه فيما بعد . ولن نتوسع في استعراض مبادئ الحزب فقد كان موضوع دراسة متعددة [3] وسنكتفي بالتركيز على بعض النقاط التي كانت وراء انتشاره .

---

[1] – ضم هذا الجناح عدداً كبيراً من أبناء الطوائف الإسلامية غير السنيّة والمسيحيين وبقي مقسماً بين ولائه للبعث وللأرسوزي ، وقد عدّ البعثيون الجدد ، عقب إنقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، الأرسوزي الأب الروحي للبعث ، ولما كان الأرسوزي يختزن حقده لاستبعاده عن الحزب عام ١٩٤٢ ، إنطلق يحاضر في التكتلات العسكرية متهجماً على عفلق والبيطار ، راجع : جلال السيد ، م . ن ، ص٢٠ – ٣٥ – ٣٦ ، سامي الجندي ، البعث ، ص ١٩ .

[2] – وفي عام ١٩٤٦ انضم إلى المكتب التنفيذي الطبيب وهيب الغانم وفيصل الركابي . ولمزيد من المعلومات حول الإنطلاقة الأولى للحزب راجع : جلال السيد ، حزب البعث العربي ، ص ١٥ – ١٧ ، ٢٧ – ٤٠ . شبلي العيثمي ، حزب البعث العربي الإشتراكي ، مرحلة الأربعينيات التأسيسية ، ١٩٤٠ – ١٩٤٩ ، (بيروت ١٩٧٥) ص ٨٦ – ٩٩ . سامي الجندي ، البعث ، ص ٣٠ – ٣٨ ، مطاع الصفدي ، حزب البعث مأساة المولد مأساة النهاية . (بيروت ١٩٦٤) ص ٦٨ – ٧١ . وراجع :

Kamil Abu Jaber , the Arab Ba'th socialist party , History Ideology and organization , Syracuse , 1966 , p.23 - 25 .

[3] – عدا عن دستور البعث المنشور في كتاب الأحزاب السياسية ص ٢٢٣ – ٢٤١ . راجع أيضاً مؤلفات ميشيل عفلق ، " في سبيل البعث " (بيروت ١٩٦٣) ، معركة المصير الواحد، (بيروت١٩٥٩) . وحول الدراسات التي تناولته نذكر على سبيل المثال :

Kamil Abu Jaber , the Arab Ba'th . . . p . 97 - 138 cf . Itamar Rabinovish , syria under the Ba'th , p. 6 - 11 , cf . G. H. Torrey , "the Ba'th , Ideology and Practice" in Middle- East Journal , vol 23 (1969) p.445 - 454 . cf. les articles de Jean-Pierre viennot : "le Ba'th entre la theorie et la pratique" , p . 13 - 27 . "le role de Ba'th dans la genese du nationalisme arabe , quelques remarques sur sa position vis-avis de l'Islam" , Orient (1965) p.65-79, cf.P. Rondot "Quelques remarques sur le Ba'th", Orient No31 No 36 (1964) p.7-19 .

انطلق الحزب من مبادئ قومية عربية للتحول من ظلام الجاهلية إلى النور ، وهذا التحول هو ما أطلق عليه " الإنقلابية ، " الإنقلاب على الواقع الفاسد يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والإجتماعية والسياسية " وهذا الإنقلاب قال عفلق " هو بحث المشاكل الحيوية على مستوى ثوري ومجابهة حلها على مستوى ثوري وأداة هذا الإنقلاب هو الجيل الذي له عقلية الوحدة ونفسيتها " " الجيل العربي الجديد الذي يستمد قيمه من المجتمع الإنساني " [1] . وقد رأى عفلق أن الأوضاع التي نشأت في الأمة منذ مئات السنين قد أحدثت خللاً في بنيانها والإنقلاب هو هذه المحاولة لإعادة التوافق بين الأمة ومتطلبات الحياة وهي وحدها القادرة على تحطيم مظاهر الفساد الموروثة من تجزئة واستعمار وأمراض داخلية كالإقليمية والعشائرية والطائفية التي تعوق الأمة وتحول دون وحدتها [2] . وعندما يتحقق الإنقلاب يتحقق الثالوث البعثي [وحدة ، حرية ، إشتراكية]. فالوحدة فكرة حية لها نظريتها كما للحرية والإشتراكية نظريتهما وهي أهداف متساوية في أهميتها ، " والشيء الذي لاشك فيه ، قال عفلق ، هو أن للوحدة تقدماً ورجحاناً معنوياً يجب ألاّ يغفل عنه البعثيون لئلا ينساقوا مع تيارات فكرية وسياسية هي أبعد ما تكون عن فكرة البعث العربي " [3] . والبعث وإن لم يختر لنفسه اسم الإشتراكي فهو أول من طرح في الوطن العربي تلازم النضالين القومي والإشتراكي [4] وأكد أن الإنتماء الثوري إلى الحزب يجب أن يكون عربياً بالمعنى القومي وإشتراكياً بالمعنى الإجتماعي ، أما الحرية فهي تحرر الأمة من كافة أشكال التبعية والتخلف وهي منبثقة من الإرث الثقافي للعرب

---

(1) — راجع كتابه : في سبيل البعث (بيروت ١٩٦٣) ، ص ١٦٣ ، وكتابه : معركة المصير الواحد (بيروت ١٩٥٩) ، ص ٢٣ .

(2) — عفلق ، معركة المصير الواحد ، ص١٠ ، في سبيل البعث ، ص١٨١.

(3) — عفلق ، م . ن ، ص ١٨ .

(4) — المادة الرابعة من المبادئ العامة في دستور البعث . وراجع سياسة الحزب الإقتصادية ، في كتاب زهير المارديني ، الأستاذ ، ص٣٤٣ – ٣٥٨ . وعفلق ، في سبيل البعث، ص٢١٤ .

وهي الوسيلة الوحيدة الفعلية التي تعيد للعرب مكانتهم في السياسية العالمية والحضارة [١] .

إن معظم الأفكار التي طرحها البعث في دستوره ليست جديدة ولا هي حصر به ، فقد اقترح الإصلاحيون منذ أمد طويل مبادئ العدالة الإجتماعية ، كما أن فكرة الإشتراكية أصبحت رائجة في العالم العربي بعد عام ١٩٤٥ [٢] ولا يمكننا إعتبار البعث إلا وريث أفكار القومية العربية التي تعود جذورها إلى ثورة عام ١٩١٦ [٣] . كذلك ضمنت كل الأحزاب السورية الوحدة العربية من منهاجها [٤] إلا أن البعث نجح حيث فشلت تلك الأحزاب وذلك عندما طرح أمام مجتمع لا يزال سكانه خاضعين لوطأة العادات القديمة ونظام الملكية المتخلف فكرة الثورة ، فالبعث ثورة أداتها الطليعة المنظمة للجماهير لتحويلها إلى قوة إجتماعية قادرة على قيادة النضال ضد القوى المعادية لكل تغيير .

إن ما قدمه البعث من أفكار جديدة ، هو موقفه تجاه الدين الإسلامي ، فقد طرح من دمشق وبلسان منظره المسيحي مفهوماً جديداً للإسلام ، ففي محاضرة شهيرة ألقاها عفلق على مدرج جامعة دمشق عام ١٩٤٣ في ذكرى الرسول العربي [٥] شدد على دور

---

(١) – عفلق ، في سبيل البعث ، ص ٣٣٢ .

(٢) – N. Kaylani , the Rise of Syrien Ba'th , p.6.

بيد أن فكرة الإشتراكية لم تطرح كشعار لدى القوميين العرب إلا بعد كارثة فلسطين ١٩٤٨.

راجع :

Jean-Pierre Viennot , le role de Ba'th .. , p.66 .

(٣) – كانت راية الدولة العربية المرتقبة هي راية الثورة العربية التي انفجرت لتحرير الأمة وتوحيدها [المادة ٩ الفصل الثاني من دستور البعث] . وقد ظل تمثال الملك فيصل الأول المصنوع من النحاس يتربع على منضدة قيادة الحزب كرمز لانبعاث العرب وتخليصهم من الذوبان في المحيط العثماني . راجع : السيد ، حزب البعث العربي ، ص ٢٩١ .

(٤) – S. Jargy , le declin d'un parti , p.26 - 27 .

(٥) – نشر المقال في دمشق (ط٢ ، ١٩٤٣) . وأعيد نشره في كتاب في سبيل البعث ، تحت عنوان موقف البعث من الإسلام والمسألة الدينية في البعث العربي . ومن الجدير ذكره أن بعض أفكار عفلق حول الإسلام قد طرحها قبله المؤرخ قسطنطين زريق عام ١٩٣٨ في خطابه في " ذكرى ولادة النبي الشريف " ونشر في كتابه ، الوعي القومي ، (بيروت ١٩٣٩) ص ١٠٩ – ١١٨ . ونفس

الإسلام في تاريخ الأمة ، فالدين الإسلامي انطلق من أرض عربية بلغة عربية وجسَّد قيماً عربية ، وهو يمثل ثقافة الأمة وموضع اعتزازها ، وأكّد عفلق أن لا تناقض بين الإسلام والقومية العربية وبذلك نقل ثقل الإسلام كشريعة إلهية إلى ثقله كارث حضاري للأمة ، وحذّر من فصل الدين عن القومية كما فعل الأوروبيون [١] ، وألحَّ على أن محمداً يخص العرب كلهم بغض النظر عن انتمائهم الديني .

إن هذا الموقف من الدين الإسلامي يجعلنا نفهم لماذا اتهمت الطبقات الشعبية السنيّة حزب البعث بالإلحاد وهذا المفهوم هو ما يفرق بوضوح بين البعث والأصوليين الذين يعدّون الإسلام المبدأ الأول لكل تنظيم سياسي تشريعي إجتماعي، وقد رفض عفلق هذه الفكرة وقال : " إن القومية أخذت مكان الدين في تاريخ العرب الحديث فهي المبدأ والمحرك الأساسي للمجتمع العربي " ، " وإذا ما كان الإسلام ظاهرة داخل الأمة ومن صميم تاريخها فيجب إدراجه ضمن مفهوم علماني " [٢] . وقد رفض عفلق اعتبار الإسلام نظاماً تشريعياً وحضارة ذات طابع عالمي في ذاتها كما في محيطها مشدداً على : " أن الإسلام رابطة لجمع شمل العرب على أنه لا يمكن العودة إليه لاستيحاء معنى الثورة منه وتحسين الظروف الحاضرة لأن الشريعة تتلاءم مع حاجات مجتمع القرن السابع ولا يمكن تطبيقها في العصر الحالي " [٣] .

إن هذه العلمنة للدين الإسلامي ، مع التأكيد مكانته البارزة في تاريخ الأمة ، تفسر لماذا انجذبت إليه الأقليات الدينية التي كانت تشعر بالحذر أو أقله باللامبالاة تجاه القومية السالفة ، مع العلم أن البعث ما كان قط حركة علمانية ، بل انطلق من قومية ذات منحى إسلامي [٤] . وهو يمثل تاريخياً آخر مراحل تلك القومية التي برزت بين

الأفكار تجدها بصورة أكثر اعتدالاً عند عبد الرحمن البزاز في كتابيه : الإسلام والقومية العربية (بغداد ١٩٥٢) ، ومن روح الإسلام ، (بغداد ١٩٥٩) .

(١) – ميشيل عفلق ، في ذكرى الرسول العربي (دمشق ١٩٤٣) ، ص ٥٧.

(٢) – عفلق ، في سبيل البعث ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ و ص ٨٩ .

(٣) – عفلق ، م . ن ، ص ٨٩ – ٩٠ .

(٤) – كتب الباحث الإفرنسي Jean-Pierre Viennot معلقاً على مفهوم البعث للعلمنة " إذا كان هذا

الحربين العالميتين وأثارت الحماس لوحدة الأمة العربية بين صفوف الشباب السوري غير القانع بتلك الحدود الضيقة لدولته ، وجاء البعث مبشراً بدولة واحدة من المحيط إلى الخليج ألغيت فيها الحدود بين الدول والطبقات وسُخرت ثرواتها لخدمة الشعب بكامل فئاته ، ومتجاهلاً أيضاً تنوع مستويات الحضارة بين الشعوب العربية وذلك التاريخ الطويل الذي فصل بينها ، معطياً الأولوية للوحدة مما جعل ملاحقة هذا الهدف أشبه بمتابعة الحلم ليس أكثر .

إنتشار البعث في سورية :

مع أن دمشق كانت قاعدة انطلاق البعث وفيها تشكلت نواته الأولى من عائلات دمشقية من الطبقة الوسطى ، فإنه فشل في إقامة قاعدة صلبة فيها ، بينما راح يلاقي نجاحاته الكبرى في الأرياف حيث ساهمت الظروف الإقتصادية والبشرية في تهيئة الأرضية لانتشاره [1] .

المفهوم يعني سياسة عقائدية تحترم كل المعتقدات الدينية وتدعو إلى فصل الدين عن الدولة فإن البعث علماني ، وإذا كان المقصود بالعلمنة أن تكون كل العقائد الدينية على مستوى واحد فإن موقف البعث لا يتلاءم مع العلمنة لأنه جعل للإسلام خاصية مميزة كونه دين القومية العربية " ، واستطرد الباحث " في الواقع إن البعث ليس حركة علمانية محضة بل هو قومية إسلامية مطعمة ببعض الأفكار الماركسية، وتمثل توجهات جيل عربي تخلى عن الممارسات الدينية اليومية وتردد أمام المنطق العلماني للماركسية، وبقي مرتبطاً بالإسلام فكرياً وثقافياً " " وهذا الموقف من الإسلام هو تعبيرٌ عن أفكار مسيحي أمن بالقومية دون أن يتنكر لارتباطاته المذهبية وعليه فقد شدد عفلق على دور الأورثوذكس في حركة القومية العربية " . راجع :

“le Role de Ba’the... , p.72 - 73 cf. “le Ba’th entre la theorie et la pratique” p.15 - 16 .

(1) – أشار مطّاع الصفدي إلى أن البعث كان منذ بدايته حركة طائفية ضمت الدروز والعلويين والإسماعيليين والمسيحيين الذين كانوا يطمحون لخلع النظام التقليدي القائم : راجع كتابه ، حزب البعث، مأساة المولد ، ص٦٩ ، وحول هذه النقطة راجع : جلال السيد ، حزب البعث العربي، ص ٣٠ و ٢٦٧ . والجندي ، حزب البعث ، ص ٣٨ .

في حي الميدان حيث ولد عفلق والبيطار تشكلت أول خلايا الحزب [١] ومن طلاب مدرسة التجهيز في هذا الحي حيث درّس عفلق والبيطار استقطب الحزب عناصره الأولى ، ومن هذا الحي حيث استقر في الأربعينيات طلاب من حوران وجبل الدروز انتشر الحزب في تلك الأوساط وخاصة بين الدروز [٢] ، كما انتشر في منطقة اللاذقية بفضل مبادرة وهيب الغانم الذي راح ينتقل من قرية إلى أخرى مقدماً خدماته الطبية والعلاج وناشراً مبادئ الحزب بين المثقفين العلويين المستائين من واقع مجتمعهم [٣] وقد لاقى الحزب في هذه المحافظة منافسةً من قبل الحزب السوري القومي الإجتماعي الذي كان مترسخاً منذ بداية الأربعينيات وبينما جنّد هذا الأخير عناصر من الأوساط المسيحية والعلوية ، جنّد حزب البعث العلويين والسنّة على السواء [٤] أما في حلب فقد جذب البعث إليه الطلاب الذين كانوا يأمون المدينة من مناطق الفرات وإدلب والإسكندرونة [٥]، وفي منطقة الجزيرة حوّل جلال السيد حلقته القديمة إلى خلية بعثية وراح ينشر مبادئ الحزب في تلك البيئة القبلية ذات الأعراف الخاصة، وقد جذب في بدايته بعض شيوخ القبائل ووجهاء المدن المناصرين للمنهج القومي ثم ما لبثوا أن ابتعدوا عنه عندما اتخذ وجهاً إشتراكياً صريحاً ، واستمر جلال السيد يدعم البعثيين رغم انفصاله عن الحزب بعد امتزاجه بحزب الحوراني [٦].

---

(١) – كان حي الميدان يضم بغالبيته عائلات سنيّة وبعض العائلات المسيحية مثل (آل عفلق وزريق وتوما ..) وقد عملت هذه العائلات في الحقل التجاري وجنت ثروات إبان الحرب وانتقل بعضها للسكن في أحياء المدينة الحديثة مما أدى إلى تبدل ديمغرافي داخل الحي الذي استقطب طلاباً من حوران وجبل الدروز وعائلات من نفس المناطق اعتادت أن تتاجر مع عائلات الحي القديمة، راجع: - M. Van Dosen , "Political integration and regionalism in Syria" , op , cit , p . 129 .

(٢) – لقد عُزى ذلك أيضاً إلى العلاقات الشخصية بين عائلة عفلق وبعض العائلات الدرزية التي كانت تتاجر معها بالحبوب ، راجع : مطاع الصفدي ، حزب البعث ، ص ٣٦٨ .

(٣) – راجع : جلال السيد ، حزب البعث ، ص ٤١ وباتريك سيل ، الأسد ، ص ٦٢ .

(٤) – للتوسع حول هذه النقطة راجع :

- M. Van Dosen , "Political integration , p.132 - 133 .

(٥) – للتوسع حول هذه النقطة راجع : م . ن ، ص١٣٤ .

(٦) – جلال السيد ، حزب البعث العربي ، ص ٣٨٠ – ١٩٢ .

كانت قاعدة البعث الأساسية طلاب المدارس والجامعات ، ثم شاع بين صفوف الطبقات الوسطى المتذمرة من احتكار الطبقات العليا للسلطة كما التطور الإقتصادي ولم ينتشر في الفئات الشعبية إلاّ بعد مضي زمنٍ على تأسيسه [١] .

لقد تحرك حزب البعث منذ بدايته بعيداً عن الشعب الذي ادعى أنه يعمل لتطويره وتحريره ، وقد كانت قيادته منفصلة عن الجماهير بفعل الواقع الطبقي الذي كان قائماً في سورية [٢] . وعكس الحزب إلى حدٍ بعيد صفات منظره ، فقد كان عفلق ذا مزاج عاطفي متقلب ، كان مثقفاً موهوباً أكثر مما هو قائد سياسي بارز ، وقد غلب على زعامته روح الفنان العاطفي ، كما كان متسرعاً غير حكيم متردداً سادراً خيالياً [٣] . حمل دائماً في أعماقه شعوراً بالنقص لكونه ينتمي إلى أقلية مسيحية تعيش في وسط إسلامي [٤] ولعلّ هذا ما يفسر التناقض في شخصيته والتردد في مواقفه ، وما يفسر أيضاً التفات الحزبيين نحو أكرم الحوراني " الذي رأوا فيه الكفاءة والواقعية وقابلية الحكم " [٥] .

إن بُنية الحزب والظروف السائدة يوم ولادته قد أعطته الطاقة والقدرة على النجاح ، ومع ذلك فشل البعث في إحراز تقدم سياسي في سنواته الأولى ، وذلك بسبب افتقاده إلى الواقعية السياسية ، وقد بقي دوره ثانوياً على مسرح السياسة السورية ، ولم يتوصل إلى نجاحاته الحقيقية إلاّ بعد عملية إندماجه مع حزب أكرم الحوراني ، وقد قدم

---

(١) – لمزيد من التفاصيل حول إنتشار الحزب في سورية راجع :
N. Van Dam , the Struggle for power in Syria , p.30 - 35 .
وراجع : شبلي العيثمي ، حزب البعث الإشتراكي ، ص ٩٣ – ٩٩ . وجلال السيد ، حزب البعث العربي ، ص ٢٩ – ٣٩ ، ١٩١ – ١٩٢.

(٢) – N. Kaylani , the Rise of syrian Ba'th , p.7 .

(٣) – حول شخصية عفلق راجع : الجندي حزب البعث ، ص ٣٤ ، السيد ، حزب البعث العربي ، ص٧٦ – ٧٧ و ٩٨ . وبشكل موسع : راجع : المارديني : الأستاذ ، ص ١١٦ – ١١٧ ، ص١٥١ – ١٧٧ .

(٤) – كتب جلال السيد " لقد كاشفني الأستاذ عفلق في أمر يؤرقه .. هو أن حزباً قومياً في مدينة دمشق المحافظة كيف يجوز أن يكون أمينه العام مسيحياً " وقد قال له السيد عندما طرح فكرة تقديم إستقالته من الأمانة العامة " ما هي إذن الإنقلابية التي نص عليها دستور البعث " . راجع كتابه : حزب البعث العربي ، ص ١٤ .

(٥) – المارديني ، الأستاذ ، ص ١٧٧ – ١٧٨ ، السيد ، ص ٧٨ .

الحوراني للبعث ما قدمه لينين للماركسية قدم له الواقعية والقيادة السياسية النشطة والتخطيط والتوجيه الفعّال والثقل السياسي والحيوية [1] والأهم من هذا كله، قدم له القدرة على التغلغل في صفوف الجيش مما أتاح له التوصل إلى وزن معتبر على الساحة السياسية .

× × ×

– كان الصراع على الهيمنة السياسية السمة المميزة لكل أشكال الأحزاب السياسية ، وراح قادتها يشنّون الحملات لاستقطاب مجموعات من المناصرين ، تحت شعارات متعددة الألوان ، يحركهم دافعٌ واحدُ هو الدافع النفعي ، وبقيت مشاكل البلاد الأساسية تفتقر إلى حركة جديّة تعي واقع البلاد وحاجاتها وتتولى التحري عن أسلوب علاجها كما هو الحال في الدول المتطورة .

توجه الصراع بين الأحزاب السورية على السلطة إلى الجيش الذي تحول إلى ميدان لهذه الصراعات المتضاربة مما أدى إلى تفاقم القلق والإضطراب في الحياة السياسية . وهو آل إلى شلل القوى الحزبية التي فشلت في السيطرة على المؤسسة العسكرية التي تمكنت مع الزمن من إلغاء دور الأخزاب في الحياة السياسية السورية .

(١) – N. Kaylani , the Rise .. , p.7 .

الفصل الرابع

==========

نظام الحكم وأسلوب ممارسته

تمهيد

غالباً ما وصف يوم ٣١ آذار ذلك اليوم الذي اغتصبيت فيه لأول مرة الحياة الدستورية في سورية ، بأنه ضرورة تاريخية لا يمكن تجنبها [١] وبأنه الطريق الوحيد للخروج من الحال المتردية التي كانت تعيشها البلاد [٢] وأصبحت هذه المقولة أساساً شرعياً لكل انقلاب عسكري أطاح بالنظام الدستوري في التاريخ السوري المعاصر .

في هذا الفصل سنستعرض أسس نظام الحكم الجمهوري الديمقراطي الذي وضعه الإفرنسيون بموجب دستور ١٩٣٠ من حيث أنه استمر قائماً في ظل الحكومات الوطنية الأولى ولأن سورية عادت إلى اعتماده – مع بعض التعديلات – بعد فشل حكم الديكتاتوريات العسكرية ما بين عامي ١٩٥٤ و١٩٥٨ ، وبعد فشل تجربة الوحدة ما بين عامي ١٩٦١ – ١٩٦٣ . كما سنتتبع في هذا الفصل آلية تطبيقه، وعوامل فشله في مواجهة أزمات البلاد الداخلية والخارجية ما بين عامي ١٩٤٥ – ١٩٤٩ .

---

(١) – وصف الوزير المفوض البريطاني إنقلاب حسني الزعيم كما يلي :
"an Irrelevant but inevitable interlude in Syrian history" . F.O /371/82782, Damascus 19th January 1950 .

(٢) – كتب أديب نصور في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٨ يصف وضع سورية " قلما تجد شخصاً مرتاحاً ، الكل يتذمر .. الوزراء يتزمرون ، القادة غاضبون ، أعضاء البرلمان يستنكرون ، أساتذة الجامعة ينتقدون ، ورجل الشارع يلقي الإتهامات " . راجع : صحيفة الألف باء ، دمشق ، عدد ١٩٤٨/١١/٢٤ ، راجع كتابه : قبل فوات الأوان ، بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٥ .

- نظـام الحكـم :

نظمت الجمهورية السورية على أساس برلماني ديمقراطي ، وقد خطط هذا النظام من فوق ومن الخارج ودون مراعاة الخصائص المحلية ذات الجذور التاريخية العميقة .

بدأت الخطوة الأولى نحو تطبيق البرلمانية الغربية عام ١٩٢٨ عندما دعت سلطة الإنتداب إلى انتخابات جمعية تأسيسية ، انبثقت عنها لجنة لصياغة دستور للبلاد ، وقد اعترضت الحكومة الإفرنسية على بعض بنود المسودة الدستورية التي تمس السلطة الإنتدابية [١] فقام المفوض السامي السيد بونسو وعطل الجمعية التأسيسية إلى أجل غير مسمى، وأصدر بعد عامي في ١٤ أيار ١٩٣٠ قراراً تحت الرقم ٣١١١ بنشر الدستور وإضافة المادة ١١٦ التي ألغت الفقرات المعترض عليها . وقد استمرت صيغة دستور ١٩٣٠ معمولاً بها بعد الإستقلال باستثناء بعض التعديلات الطفيفة عام ١٩٤٨ وحتى صدور دستور ١٩٥٠ [٢] .

بموجب دستور ١٩٣٠ أصبحت سورية جمهورية نيابية منظمة على النسق الإفرنسي، على رأس السلطة رئيس منتخب من قبل مجلس تشريعي أحادي مدة خمس سنوات لا يمكن إعادة إنتخابه قبل انقضاء مدة مماثلة ويُنتخب أعضاء المجلس التشريعي

---

(١) - إستوحت اللجنة الدستورية السورية ، التي أعدت مسودة الدستور ، أكثر الأنماط الغربية تقدماً ، بيد أنها تجاهلت وجود الإنتداب ، فاعترض المفوض السامي على المواد : ٢ و ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٠، ١١٢، وهي التي تنص على وحدة سورية الجغرافية ، وعلى حق الحكومة السورية تنظيم القوات المسلحة ، وعلى سلطة رئيس الجمهورية بعقد المعاهدات ومنح العفو ، وتعيين السفراء ، وإعلان الأحكام العرفية ، وقد رفضت الجمعية التأسيسية السورية الصيغة المقترحة من قبل الإفرنسيين ، وأدى التصلب في الموقف السوري إلى تأجيل إنعقاد الجمعية التأسيسية في ٥ شباط ١٩٢٩ . راجع :

Amin Dahbar , Organization des pouvoirs publics , p.70 - 71.

راجع أيضاً : لونغريغ ، تاريخ سورية ولبنان ، ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

(٢) - نص الدستور بالعربية في كتاب ، حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

كل أربع سنوات طبقاً لشروط اقتراع على درجتين أي عن طريـق منتخبيـن ثـانويين [1] . ولا تشمل تلك الشروط ممثلي القبائل البدوية التي تتعارض أعرافها مع فكرة التمثيل [2] . ونصَّ الدستور أن يكـون التمثيـل النيـابي علـى أساسـي جغرافـي وطـائفي ضمانـاً لحقـوق الأقليات (مادة ٣٧) . وحصرت المادة (٣٠) السلطة التشريعية بمجلس النواب الـذي مُنـح أعضاؤه حصانة نيابية فلا يجوز حسب المادة (٥٩) اتخاذ إجراءات جزائية بحق أي نائب دون موافقة المجلس ، وقد ثبـت الدستور نمطاً من الديمقراطية في بنودٍ تحول دون تدخـل الجيش في عمل الهيئة التشريعية . وتضمن الفصل الثاني بنوداً أكدت على أهميـة العدالـة

---

(١) – اشترط النظام أن يشـمل الإقتراع الذكـور الذيـن تجـاوزوا سـن العشـرين ، وكـانوا يختـارون ممثلين عنهم وهؤلاء بدورهم يختارون أعضاء البرلمان الحائزين على الشـروط المنصـوص عليهـا فـي المادة (٣٨) . وقد نص الدستور على أصول الإقتراع السري ، ومنح كل طائفة دينية تعد أكبر من ستة آلاف نسمة الحق أن يكون لها ممثل في البرلمان ، وقد اشترط دستور ١٩٣٠ أن ينتخب كل مائة مقترع ممثلاً عنه ويشارك المنتخبون الثانويون في الهيئة الإنتخابية العامة التي تقام في المدينة المركز للمنطقـة الإنتخابية . هذا النظام جعـل دور مقترعي المرحلـة الأولـى بسيطاً وثانويـاً وقـد تـرك للنخبـة الحاكمـة المجال لإيصال جماعتهم إلى المجلس . وقد تم تعديل النظـام عـام ١٩٤٧ . راجـع : المـواد ٣٥ – ٦٧ من دستور ١٩٣٠ .

(٢) – كان ممثلو القبـائل البدويـة التسـعة فـي البرلمـان يختـارون مـن قبـل المشـايخ ، وقـد وضعـت سلطات الإنتـداب تنظيمـات خاصـة بالعشـائر البدويـة آخـذة بعيـن الإعتبـار عـاداتهم وتقـاليدهم ، وكـان المفوض السامي يعين المشايخ وإلى جانبهم ضباط من الأمن لتقديم المشورة . راجع : لونغريغ ، تاريخ سورية ولبنان ، ص ٣٥٥، واستناداً إلى المرسوم الجمهوري الصـادر فـي ٤ حزيـران ١٩٤٧ أصبـح للقبائل عشرة نواب . وبموجب المرسوم التشريعي رقم ٨٢ في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٩ ، أصبح عددهـم ستة . وقد حـاولت الحكومـة تقليص عـدد نـواب البـدو عندمـا طرحـت مشـروع قـانون تعديـل " قـانون الإنتخابات " وإعادة النظر بالتشريع العشائري بما ينسجم مع روح الدستور ونصه وقد اعـترض نـواب العشائر على محاولة الحكومة تقليص تمثيلهم بما يتناسب مع عددهم الحقيقي ، وقد اجتمع أمراء العشائر السورية في دمشق ، وصـدر عنهم ميثاق عام ينهي خلافاتهم ، واتفقوا علـى مقاطعـة الإنتخابـات مـا لـم يعاد العمل بالقـانون القديـم . وقـد أقـر قـانون الإنتخابـات الصـادر فـي ٢٦ حزيـران ١٩٥٤ تخصيـص العشائر البدوية بستة مقاعد ريثما يتم إحصاؤها وبأن يشملهم القانون الإنتخابي العام . راجع : مذكـرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، جلسة ٢٦ حزيران ١٩٥٤ ، ص ١٠٦٩ – ١٠٧١ . راجـع أيضاً ، صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ١٣ تموز ١٩٥٤ .

والحريات المدنية والمساواة أمام القانون ، وأيضاً حرية الفكر والمعتقد والصحافة وعدم التمييز بين أبناء الأمة بسبب الجنس أو الطائفة أو اللغة .

منح الدستور رئيس الجمهورية سلطات واسعة وشاملة ، فعدا عن حقه دعوة البرلمان للانعقاد ، وحق تأجيل جلسات المجلس وحلّه لمدة معينة ، أعطيت له صلاحيات سن المراسيم ونشر القوانين ، وحق نقض القوانين وحتى رفضها مؤقتاً إلاّ إذا ثبت المجلس قانونه بأكثرية الثلثين ، وسلطة تسمية رئيس الوزراء والوزراء بتوصية من الرئيس الأول ويمارس سلطات أخرى بالتعاون مع الوزارة من ذلك تعيين كبار الموظفين والقضاة ، وهو الذي يوقع المعاهدات، وهو الحارس الأمين على الدستور ويتحمل وحده مسؤولية خرقه وتوطيد النظام وإعلان الأحكام العرفية شرط إعلام المجلس [1] . هذه الصلاحيات أتاحت للرئيس مسك خيوط السلطة بيده ، وتوجيه البرلمان حسب رغباته الشخصية . وهذا ما حدث منذ عام ١٩٤٣ تاريخ بداية الحكم البرلماني بشكل متصل ودائم في سورية حتى عام ١٩٤٩ .

نظم الدستور الوزارة على النسق الإفرنسي مع مراعاة الطائفية والإقليمية، وقد كانت الوزارات السورية تتشكل من ممثلي الأحزاب الفاعلة ، وشهد العصر الأول للإستقلال أزمات وزارية أصبحت مألوفة وعادية في الحقبة التالية [2] وقد كانت كل حكومة جديدة تأتي ببيان وزاري منمق ، فإذا بأعمالها لا تمت إلى بيانها بصلة وإذا بالبيانات أشبه بأحلام شاعر لا تخلف وراءها سوى الإرتجال ، بسبب التناقض بين برنامج العمل الوزاري وبين التطبيق والتنفيذ . وهذا يعود أساساً إلى عدم وجود سياسة للدولة مخططة وثابتة لا تتبدل بتبدل الوزارة [3] .

---

(١) – راجع المواد ٦٨ – ٨٧ من الفصل الثاني من الدستور في كتاب ، حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص٢٧٧ – ٢٨٠ . وحول دراسة هذا التنظيم راجع :

A. Dahbar , Organization des pouvoirs .. , p. 91 - 93 .

(٢) – من أفضل الدراسات حول تركيب وعمل الوزارات السورية هو التالي :

Bayly Winder , "Syrian deputies and cabinet ministers 1919 - 1959" in Middle-East Journal vol 16 , 1962 , No 4 , p.407 - 429 , vol 17 (1963) No 1 , p.35 - 54 .

استخدمنا القسم الثاني في هذه الدراسة ، ص ٣٥ – ٤٠ .

(٣) – كلمة النائب سامي كبارة ، والحوراني ، والعسلي في جلسة طرح الثقة بحكومة العظم في

في ظل هذه الجمهورية المركزية اتخذت وزارة الداخلية وضعاً مسيطراً داخل البنية السياسية والإدارية والأمنية إذ شملت سلطاتها العاصمة حتى أصغر وحدة إدارية فأشرفت على الصحافة والإعلام والانتخابات العامة ، كما سيطرت على التعيينات الإدارية والترقيات ونقل الموظفين ، وازدادت سلطتها على أثر صدور قانون رقم ٧٦ لعام ١٩٤٧ الذي وضع قوات الدرك والأمن العام تحت إشراف وزير الداخلية [١] ، وقد مارست قوى الأمن الداخلي مهام "المباحث " وشمل عملها مراقبة نشاطات الأحزاب ، تحركات القوى النابذة للسلطة المركزية ، حراسة الحدود ، وتوجب على المسؤولين رفع تقارير يومية أو أسبوعية إلى وزارة الداخلية . وكانت فرقة الدرك من ضمن ملاك القوات المسلحة وزودت بنفس أسلحة وعتاد الجيش ووضعت تحت قيادة ضباط من الجيش وتولت الإشراف على السجون وتنفيذ القرارات القضائية والإدارية والعسكرية في الأرياف وبذلك شكّلت صلة الوصل بين السلطة المركزية والجماهير العريضة من الريفيين وبهذه الصفة لعبت دوراً هاماً في دعم الحكومة وتوجيه طبقات الشعب لصالحها في الإنتخابات .

في بداية الإنتداب ، استمر العمل بالنظام القضائي العثماني بما يخص صلاحيات المحاكم وتقسيماتها ، وشرعت سلطات الانتداب بسن التشريعات لتحديث القوانين المدنية والجنائية والتجارية مع مراعاةالنزاعات التقليدية والخصائص الإقليمية والطائفية [٢] ، وألغت المحاكم القنصلية ، ودفعت مجلس الإتحاد السوري إلى إصدار قانون ، في تموز ١٩٢٣ ، قضى بجعل الأجانب تابعين قضائياً إلى محاكم أطلق عليها " المحاكم السورية الناظرة بقضايا الأجانب " وقد ترأسها قضاة فرنسيون ، ونشرت أحكامها بالإفرنسية – واستأثر المحامون المسيحيون الذين يتقنون هذه اللغة بالعمل في تلك المحاكم التي أثارت احتجاجات الصحافة والسياسيين بوصفها تمثل انتقاصاً من السيادة الوطنية [٣] .

١٩٤٨/١٢/٢٧ في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ؛ ص ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧.

(١) – راجع النص في : الجريدة الرسمية ، القسم الأول ، مرسوم بتاريخ ١٤ حزيران ١٩٤٧، ص١٣٣ .

(٢) – Raymond O'Zoux , Les Etats du Levant , p.117 .

(٣) – خالد العظم ، مذكرات ، ج١ ، ص٣١٨ – ٣١٩ ، ولونغريغ ، تاريخ سورية ولبنان ،

وضع دستور ١٩٣٠ قواعد نظام قضائي عادل وحر من أي تدخل حكومي، وقد عملت حكومة الإنتداب جاهدة على رفع مستوى العمل القضائي ليصبح على قدر حسن من الكفاءة والنزاهة .

وبعد الإستقلال نظمت سورية وزارة العدلية ، فأبقت على المحاكم القائمة وهي : المحكمة العليا ، ومن صلاحياتها محاكمة رئيس الجمهورية والوزراء المتهمين ، ومحكمة النقض وتنظر في استئناف القضايا الجنائية والمدنية ثم المحاكم العادية الجزائية والمدنية والدينية [١] . وفي عام ١٩٤٦ ألغت حكومة سعدالله الجابري المحاكم المختلطة ، وقد آزرت الحكومة البريطانية حكومة سورية في خطواتها هذه التي أوصلت إلى استقلال القضاء السوري [٢] .

وكانت وزارة العدلية تعين القضاة الحاملين إجازة الحقوق والممارسين مهنة المحاماة مدة عامين ، ولم يطبق هذا الشرط على المحاكم الشرعية ، وقد استمر في العهد الإستقلالي الأول استثناء العشائر البدوية من الخضوع لنظام المحاكم الخاصة تمشياً مع المادة ١١٣ من دستور ١٩٣٠ ، وأنشأت الحكومة مديرية العشائر وربطت بوزارة الداخلية تحت إشراف مدراء إقليميين ، وخضع البدو لنظام قضائي – إداري يتلاءم مع قوانينهم وأعرافهم الخاصة [٣] وانشغلت الحكومات السورية المتعاقبة في عملية استقرار البدو ودمجهم داخل إطار الدولة .

ص١٧٣ – ١٧٤ و ٣٣٢ – ٣٣٣ .

[١] – حول تنظيمات المحاكم راجع : المواد ٩٦ – ٩٩ و ١١٣ – ١٢١ من دستور ١٩٣٠ في كتاب حسن الحكيم ، الوثائق التاريخية ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ – ٢١٠ .

[٢] – شمل تنظيم شؤون القضاء بعد عام ١٩٤٣ ما يلي : إصلاح الجهاز القضائي عام ١٩٤٤ ، فصرف من الخدمة ٢١ قاضياً وعين مكانه أصحاب الكفاءة والإستقامة ، إنشاء قصر العدلية ، البدء في تعديل القانون المدني وقانون العقوبات وقانون حكام الصلح والتنظيمات العدلية ، وأهمها إلغاء القضاء الأجنبي ، راجع كتاب ١٧ آب ١٩٤٣ – ١٩٤٧ ، أربع سنوات من الحكم الوطني ، ص ٤٥٦.

[٣] – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة مديرية العشائر ، حافظة رقم ٤ / تاريخ١٩٤٧ – ١٩٥١ .

- آلية عمل النظام الديمقراطي في ظل حكم الكتلة الوطنية :

قدمت السنوات الأربع الأولى لعهد الإستقلال والتحرر مثالاً حياً عن مدى فشل عمل النظام الديمقراطي الغربي إذا ما طبق بشكل مصطنع في كيان سياسي متخلف لا يملك تراث احترام القانون وفي أعماقه نفور تاريخي من الحكم وقيوده ، ولم يعط هذا النظام المعتمد في سورية القوة ولا الفرصة ولا الزمن الكافي كي يصلب عوده ويحقق نوعاً من التآلف بين مؤسسات الجسم السياسي ذاتها وبينها وبين المجتمع السوري .. وهكذا زرع الإفرنسيون نبتة غريبة في تربة قاحلة وفي مناخ غير ملائم لشروط نموها ، فنمت ضعيفة عرضة للسقوط أمام أية أزمة داخلية أو خارجية .

منذ الاستقلال ، وبموجب إنتخابات ١٩٤٣ ، تولت مقاليد السلطة نخبة من أسر مالكة للأراضي ومن كبار التجار من سكان دمشق أولاً ثم حلب والمدن السورية الأخرى [١] .

هذه النخبة ألقيت على عاتقها مهام بناء دولة عصرية ، وخلق مؤسسات ديمقراطية سليمة ، وتنمية إعلام حر ومسؤول ، وتنظيم خدمات إجتماعية ملائمة ، وتنمية الإقتصاد ، وإقامة مجتمع موحد في إطار دولة القانون .

لم يكن حكام سورية على مستوى إنجاز تلك المهام ، مع أنهم يستحقون عن جدارة لقب أبطال الإستقلال والجلاء ، ومع أنهم كانوا يتمتعون بشعبية كبيرة وبسمعة حسنة ، وبقدرة على التحكم بالبلاد إقتصادياً وسياسياً من خلال شبكة أنصارهم ودعاتهم في الأرياف وأحياء المدينة [٢] ، إلاّ أنهم فشلوا في الحفاظ على موقعهم ، وأضاعوا

---

(١) - من هذه العائلات نذكر : القوتلي ، حفار ، مردم ، عسلي ، كيلاني ، حكيم ، عظم ، عظمة ، كيالي، قنبر ، الجابري ، الكيخيا ، القدسي ، الغزي ، أتاسي ، رسلان ، البرازي ، الملقي ، الحوراني. وقد شاركتهم عائلات من الأقليات مثل : آل خوري ، شامية ، الانطاكي من دمشق ، آل الأطرش من جبل الدروز ، ورؤساء العشائر العلوية في منطقة اللاذقية ، وقد ظلت أسماء حوالي ٥٠ عائلة تتكرر حتى ما بعد إنقلاب ٢٨ آذار ١٩٦٣ .

(٢) - Ralph Craw , a Study of political forces in Syria based on a survey of 1954 election . unpublished Manuscript , (May 1955) A.U.B. p.12 - 15 .

هيبتهم تدريجياً ، وإنهاروا ليسقطوا أخيراً أمام القوى الجديدة الصاعدة .

لقد افتقدت النخبة الوطنية الحاكمة إلى الخبرة والمؤهلات اللازمة لحكم مجتمع تفتت بناه القديمة ، وكان يعيش عصر يقظة سريعة ذات طابع فوضوي ، مثل هذا المجتمع المتحول كان يحتاج من حكامه إصلاحاً جذرياً إلا أن القيمين على السلطة استمروا يحكمون بعقلية قديمة متشبثين بالروابط القديمة وبالولاءات الضيقة ، وحريصين على الإبقاء على الوضع الراهن الذي يتيح لهم الحفاظ على امتيازاتهم ، وهؤلاء كما وصفهم محمد كرد علي : " أمضوا جزءاً من حياتهم يقارعون المحتل فجاؤوا الحكم بعقلية المقاتل ، ورَجل الكفاح لا يستطيع أن يتحول إلى رجل حكم بين ليلة وضحاها " [1] .

ونشأت نتيجة ذلك هوّة عميقة بين الحكم والشعب ، وراح الشعب ينظر إلى حكومته نظرته إلى الأجنبي ، والحكومة تنظر إلى الشعب نظرة الأجنبي أيضاً ، وتفرض نفسها عليه من الأعلى ، هذه الهوة وإن كانت عميقة الجذور في بلاد حكمت عصوراً طوالاً بالقوة والقهر، قد كان على القيمين هدمها لكنهم زادوها اتساعاً وعمقاً [2] .

وبدأت تبرزُ معارضة قوية من القوى الجديدة المستبعدة عن السلطة ، ووجدت متنفساً لها ، في ظل جو ديمقراطي في شكله ، في الصحافة وفي التظاهرات والإضرابات ذات الطابع السياسي ، أي تلك الأساليب التي استعملتها " الكتلة " زمن الإنتداب ، وأجبرت فرنسا مراراً على تعديل سياستها ، وهذا ما حدث مع حكام سورية الكتلويين [3] .

---

(١) – مذكرات ، ج٤ ، ص ١١٤٧ .

(٢) – من كلمة الحوراني والدواليبي في مذكرات المجلس النيابي، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص٧٠ – ٧٤ .

(٣) – لعبت الإضرابات والتظاهرات دوراً ملحوظاً في الحياة السياسية السورية ، وكان أبرزها تظاهرات طلاب الجامعة والمدارس الثانوية وقد استمدّ الطلاب أهميتهم السياسية لكونهم " الطبقة المثقفة في أمة جيلة " وغالباً ما شاركت الجماهير الطلاب في تظاهراتهم التي يتبعها عادة إغلاق المحلات التجارية حتى تلبي المطالب . وقد فشلت الحكومات في إخماد تلك القوة المتفجرة التي أصبحت أخطر من الجماهير على الحكومات . راجع :

G. Torrey , Syrian politics , p.28 - 30 .

- أزمـــة الديمقراطيـــة :

ورثت الكتلة الوطنية الحكم عن الإفرنسيين ، وتربع قادتها في قمة الجهاز الحكومي ، وقد بدا هؤلاء بعد الجلاء بلا شكل ولا تنظيم ، وظنوا أن التحرير قد أنجز بفضل نضالهم ، فراحوا يتنازعون مثل فراخ الحمام على غلة الحكم وعدّوا مؤسسات الدولة مزرعة من أملاكهم فراحوا يتصرفون تصرف الظافر بالغنيمة .

جسّد القوتلي طبيعة الحكم القائم ، وجلس على كرسي الرئاسة كنموذج لعجز النظام وفساده [1] وأحاط نفسه بأسوأ المستشارين ، وأجاز لنفسه ما حظره القانون لاعتقاده أنه فوق القانون ، وحكم حكماً منفرداً حتى شُبه بالوالي العثماني الذي لا يجرؤ أحد على محاسبته ، ومثله ، أي الوالي العثماني طبق "سياسة فرق تسد" ، حتى خسر في النهاية دعائم حكمه ، وأصبح وحيداً معرضاً للانهيار بسرعة ولما انهار قيل " النهاية الحميدة للعهد الحميدي " [2] . وإذا كان هذا حال الرأس فلا مجال للتساؤل عن عمل النظام .

أصاب جهاز الدولة خللٌ بارزٌ ، وكانت العطاءات نادرة والكفاءات نادرة . ومراقبة مسيرة الإدارة ضعيفة وقاصرة، وقواعد الحكم الديمقراطي معطلة ومهملة،ما لا ينفذ منها إلاّ ما هو لصالح النخبة ، والدستور يخرق من قبل حرّاسه وحماته . وأحكام القانون مهانة ، والقضاء رازح تحت نفوذ السلطة التنفيذية واستقلاله رهناً بقوة القاضي وشخصيته وأخلاقه، لا بحصانته وحماية الدستور له ، وقد عمَّ الإثراء غير المشروع

– ولقد تنافست الأحزاب المعارضة في إستخدام الطلاب كوسيلة لإسقاط الحكومات وإرباكها ، وأصبحت القوة الطلابية الذراع القوي للأحزاب التقدمية ، والممثل للتطلعات الإصلاحية الرافضة لتسويات الواقع . وهكذا تحولوا من نشاطات علمية ثقافية إلى نشاطات سياسية . راجع :
Maroe Berger , the Arab world today , p.311 , cf. R.T. waters , a Social - Political anlysis .. p.115 - 118 .

(1) – لمن يريد التوسع حول شخصية القوتلي وأسلوب إدارته للدولة يمكنه مراجعة ما كتبه كرد علي في مذكراته ، في الجزء ٣ ، ص ٥٠٠ ، ٥٣٠ ، ٦٥٠ ، وفي كل الصفحات وفي ج٤ ، ص ١١١٤ – ١١٤٩ . وكان كرد علي أعنف من نقده .

(2) – التويني ، منطق القوة وفلسفة الإنقلابات في الشرق العربي (بيروت ١٩٥٤) ، ص ٢٣ .

وسوء استعمال السلطة في جميع دوائر الدولة [1] ، وانتشرت الفضائح ولملمت بسرعة ، وتشكل بمواجهة البرلمان الرسمي برلمان الشارع المعبر عن موقف الشعب والمعارضة تجاه الحكم ، واشتدت بالتالي وطأة النظام الذي نظم حملات التخويف وإسكات المعارضة السياسية وتدمير الخصوم . واستعملت أموال الدولة في سبيل المحاسيب دون مراقبة ولا نظام ، "وفرضت الضرائب حسب الأهواء وحسب لون المكلف ومحسوبية دافع الضريبة " " كذلك سيطرت المحسوبية على التعيينات في الوظائف وأبعدت الكفاءات في ترقية الموظفين " وأقصيت فكرة الدولة والقانون لتحل محلها فكرة الإستغلال من قبل فئة في ظل ظروف الحرب وعلى حساب الشعب " [2] .

شهدت السنوات من عام ١٩٤٦ حتى ١٩٤٩ أزمات حادة ، فكيف واجهتها الحكومات التي تعاقبت على السلطة ؟

بعد الإنتهاء من احتفالات الجلاء ، استقالت حكومة الجابري وكُلف تأليف وزارة جديدة صدرت مراسيمها في ٢٨ نيسان ١٩٤٦ [3] . وباشرت عملها بوضع برنامج مفصل وشامل نالت بموجبه الثقة بعد ثلاث جلسات مناقشة ، وقد تطلب تنفيذ برنامج الحكومة بقاءها في السلطة مدة عامين على الأقل ، ولما كان إصلاح الإدارة وتنظيم ملاكات الوزارات يحتاج إلى السرعة ، فقد تقدمت الحكومة من المجلس طالبة منحها صلاحيات التشريع ، وبعد أن مُنحت تلك الصلاحيات استطاعت أن تنجز بعض الإصلاحات في ملاك الوزارات [4] ، كذلك حاولت إخضاع القبائل البدوية لنظام المحاكم

---

(1) - F. o / 371/82782/ Report on Syria for the year 1949 Damascus , confidential , No 8 , 19th , January 1950 .

(2) - مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، جلسة ١٧ آذار ١٩٥٤ ، كلمة النائب أكرم الحوراني ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

(3) - سعدالله الجابري رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية ، خالد العظم وزيراً للإقتصاد الوطني والعدلية ، صبري العسلي وزيراً للداخلية ، نبيه العظمة وزيراً للدفاع الوطني (استقال في ١٧ حزيران وأسندت حقيبته إلى أحمد الشرباتي) مخائيل اليان وزيراً للأشغال العامة . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، جلسة ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ نيسان ، ص ٥٤٠ - ٦١٠ .

(4) - من هذه الإصلاحات : إلغاء المحاكم المختلطة ، إلحاق الدوائر العقارية بوزارة العدلية بعد فك ارتباطها بوزارة المالية ، إحداث دوائر جديدة في وزارة الزراعة ، تنظيم ملاك وزارة المعارف .

والقوانين الجارية فجوبهت بمقاومة نواب العشائر العنيفة لمثل هذه التنظيمات المتعارضة مع أعرافهم [1] . هذا ولم تهتم الحكومة بالمشاكل المعيشية في زمن كانت البلاد تمر بأزمة إقتصادية ، فعمّ الإستياء كافة فئات الشعب : العمال يشكون من عدم تطبيق قانون العمل التقدمي والتجار من عبء الضرائب ، والفقراء من الغلاء والجوع [2] . كذلك واجهت الحكومة تظاهرات طلابية احتجاجاً على بعض التدابير المتخذة في حقل التربية والتعليم ، وقد اشتد عنفها عندما رفضت الحكومة الاستجابة لمطاليبهم ، ولمّا واجه رجال الأمن المتظاهرين وحاولوا تشتيتهم بالقوة ، ارتفعت أصوات الاحتجاج وانحنت الحكومة أمام ضغط المعارضة وألغت التدابير المتخذة كاشفة عن ضعفها وترددها ، مما أوصل إلى فقدان احترام الجماهير للسلطة ، وارتفعت أصوات تندد بالحكم فقامت الحكومة وعطلت الصحف مغتصبة البند (١٠٤) من الدستور ومعتمدة نفس الأساليب التي اتبعها الإفرنسيون [3] .

وكانت مسألة تنظيم ملاك وزارة الداخلية من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها حكومة الجابري ، وقد عرضت الوزارة على البرلمان مشروع قانون يمنح وزير الداخلية سلطات إستثنائية تخوله حق إصدار الإذن بالتجمعات العامة وتشكيل الأحزاب والتنظيمات والإشراف على نشاطها ، وحق تعطيل أي تنظيم معادٍ للنظام، وحق تعليق الصحف التي تطعن بالدولة وتسيئ إلى علاقاتها الخارجية ، هذا بالإضافة إلى المراسيم التي وَضَعت

للتوسع راجع : كتاب ١٧ آب ١٩٢٣ – ١٩٤٧ ، أربع سنوات من الحكم الوطني ، ص ٤٠٠ – ٤٦٤. وراجع : العظم ، مذكرات ، ج١ ، ص ٣١٧ – ٣٢٣ .

(1) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٥ – ١٩٤٦ ، جلسة ٣٠ أيار ١٩٤٦ ، ص ٤١٠ .

(2) – صحيفة الشعب ، دمشق ١٨ أيار ١٩٤٦ ، صحيفة النصر ، ١٦ آب ١٩٤٦ .

(3) – عطلت الحكومة بعض الصحف عن الصدور إستناداً إلى قرار المفوض السامي رقم ٢٦٣٠ لعام ١٩٢٤ . وقد استنكر نواب المعارضة تصرف الحكومة استناداً إلى قرار وضعه " العدو يوم كان يحكم البلاد بالحديد والنار " وقد دافع صبري العسلي عن موقف الحكومة أمام البرلمان ، وعرض نسخاً من الصحف المعطلة التي كانت تهاجم النظام الجمهوري ورئيس الجمهورية بالذات ، وقد قال رئيف الملقي نائب حماه " لقد أساء وزير الداخلية للرئيس الأعلى عندما جعل وسيلة الدفاع عنه وسيلة للحكم الكيفي " . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٦ – ١٩٤٧ ، جلسة ١٠ أيلول ١٩٤٦ ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

قوات الأمن والدرك تحت سلطة وزير الداخلية [1] .

أثار المرسوم رقم (٥٠) نقاشاً حاداً داخل المجلس ، لتناقضه مع مبادئ الدستور حول الحريات العامة ، وواجهت الحكومة تظاهرات شعبية ، كذلك وجّه سلطان باشا الأطرش بياناً إلى الشعب السوري ، انتقد فيه بعنف الحكومة ، وتطرق إلى الفساد والمحسوبيات والسخط العام [2] وقد استقبل البيان بالإستحسان على الصعيد الشعبي وعلى صعيد الصحافة ، وعلى الرغم من كل الضجة التي أثارها المرسوم رقم (٥٠) فقد وقعه رئيس الجمهورية ، وحظي بتصديق مجلس النواب بعد إلغاء المواد المعترض عليها [3] .

عندما شارف عام ١٩٤٦ على نهايته بدأت وزارة الجابري تنحل ، فاستقال الوزراء أولاً ثم قدمّ الجابري استقالته إثر المرض الذي أصابه وهو في القاهرة [4] .

– إنتخابات ١٩٤٧ وتعديل الدستور :

في ٢٨ كانون الأول ١٩٤٦ ولدت وزارة مردم الأولى مترنحة وسط تيارات عنيفة من المعارضة داخل البرلمان وفي أوساط الأحزاب والتكتلات السياسية الجديدة [5]،

---

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، جلسة ١٩ تشرين الأول ١٩٤٦ ، ص٦٦١-٦٦٣ .

(٢) – راجع نص البيان في : نصوح بابيل ، صحافة وسياسية ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

(٣) – قامت تظاهرات في دمشق ضد المرسوم رقم (٥٠) واستخدم العسلي رجال الأمن لتفريق المتظاهرين وسقط عدد من القتلى والجرحى ، مما زاد الوضع تأزماً . وقد درست لجنة الدستور مواد المرسوم الثمان واعترضت على البنود المتعلقة بالحريات العامة . وتمّ إبرامه في ٢٥ تشرين الأول ١٩٤٦ ، راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٦ – ١٩٤٧ ، ص ٨٣ – ١٠٥ .

(٤) – راجع العظم ، مذكرات ، ج١ ، ص ٣٢٨ .

(٥) – صدر المرسوم رقم ١٢٠٥ القاضي بتسمية جميل مردم رئيساً للوزراء والمرسوم رقم ١٢٠٦ تاريخ ٢٨ كانون الأول ١٩٤٦ القاضي بتسمية جميل مردم وزيراً للداخلية ، نعيم الانطاكي وزيراً للخارجية (إستقال في ١٦ نيسان ١٩٤٧ وأسندت حقيبته لرئيس مجلس الوزراء) أحمد شرباتي وزيراً للدفاع الوطني ، سعيد الغزي وزيراً للمالية ، عدنان الأتاسي وزيراً للمعارف ، حكمت الحكيم وزيراً للإقتصاد القومي .

ومع أنها تلقت دعماً قوياً من رئيس الجمهورية الذي راح يطلب من النواب مؤازرة الحكومة غير عابئ بمبادئ الحياد ، فقد نالت الثقة بـ ٥٨ صوتاً ضد ٣٣ [١] ، وفي هذا إشارة إلى ازدياد قوة المعارضة ضد حكم الكتلة الوطنية . كان على الحكومة مواجهة مسؤوليات ضخمة على الصعيدين الداخلي والخارجي . فعلى الصعيد الخارجي أزمة فلسطين وعلى الصعيد الداخلي موضوع سورية الكبرى والغلاء وقضايا الأمن ، وظهور اختلاسات كبيرة في دوائر الميرة [٢] ، وقد استطاعت هذه الحكومة أن تحصل من البرلمان على صلاحيات إصدار المراسيم لإعادة تنظيم هيكلية الخدمات العامة شرط عرضها على البرلمان خلال عام [٣] . ولعل أهم القضايا التي كان على الحكومة معالجتها مسألة الإنتخابات العامة وإلغاء قانون الإنتخابات القديم ، وتعديل الدستور .

أصدرت المعارضة البرلمانية بياناً يطالب بانتخابات مباشرة واقتراع سري وإلغاء التمثيل الطائفي ، ولما نوقش الموضوع في منتصف نيسان ١٩٤٧ ، بدا واضحاً أن رجال الحكم لا يرغبون بأي تعديل لنظام يضمن استمراريتهم ، وقد نالت مسألة إلغاء قانون الانتخابات تأييداً عارماً في أوساط الشعب ، وشهد شهر نيسان تظاهرات طلابية في كل المدن السورية انضم إليها جماهير الشعب والمنظمات السياسية والنقابات العمالية [٤] ، وحيال هذه الموجة الصاخبة اضطر مجلس الوزراء إلى عقد جلسة إستثنائية تقرر فيها نظام الإنتخابات المباشر ، ورفع القرار إلى مجلس النواب فحظي بالإجماع

---

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٦ – ١٩٤٧ ، جلسة ١٩٤٦/١٢/٢٨ ، ص ١٤ .

(٢) – أحدثت مصلحة الميرة عام ١٩٤٢ لتأمين الحبوب اللازمة للإستهلاك المحلي في سورية ولبنان ، وأشرف عليها مجلس مؤلف من رئيس سوري وثلاثة أعضاء : لبناني وأفرنسي وبريطاني، وربطت بوزارة الإقتصاد السوري عام ١٩٤٥ . وفي عام ١٩٤٦ أظهرت التحقيقات ظهور إختلاسات في هذه الدائرة وتم تسريح ٨١ موظفاً وإحالة ٣٠ منهم إلى القضاء بتهمة الإختلاس والتزوير . راجع : لونغريغ : سورية ولبنان ، ص ٤١٩ . صحيفة الأيام ، دمشق ، ٢٠ نيسان ١٩٤٧ .

(٣) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، جلسة ٥ أيار ١٩٤٧ ، ص ٥٧٠ .

(٤) – راجع بيان حزب البعث الداعي إلى تعديل قانون الإنتخابات كخطوة أولى نحو الإنقلاب المنشود في: نضال البعث ، نشر بشير الداعوق ، ١١ جزءاً ، بيروت ١٩٦٣ – ١٩٧٤ ، ج١ ، ص١٥٩ .

بينما مُنيَ بالفشل جهد المعارضة لإلغاء التمثيل الطائفي [1] .

في ٢٨ أيار صدر مرسوم جمهوري ينص على إجراء الإنتخابات في جوٍ حيادي ، وفي ٤ حزيران ثبت مرسوم آخر حجم البرلمان بزيادة خمسة عشر مقعداً على برلمان ١٩٤٣ [2] وقبيل الإنتخابات بإسبوعين قام القوتلي بجولة على المحافظات الشمالية وراح يبشر بانتخابات حرة ويدعو إلى تجنب أعمال العنف [3] .

جرت إنتخابات تموز ١٩٤٧ في جوٍ من المهازل والفضائح . وكشفت عن التناقض بين أحكام الديمقراطية وتطبيقها ، وعن الخلل في الحياة السياسية في سورية ، وعن الصراع بين القوى التقليدية وبين قوى البرجوازية الجديدة التي استطاعت أن تستثمر لصالحها الاستياء العام من الحكم القائم .

عندما بدأت معركة الإنتخابات ، كانت " الكتلة الوطنية " تتشظى وينفرط عقدها ، وقد خاض خليفتها – الحزب الوطني – الإنتخابات ضد حزب الأحرار الذي سيصبح فيما بعد حزب الشعب ، واتسمت المعركة بطابع العنف خاصة في حلب حيث عاشت المدينة جواً من التوتر وأصبحت أحياؤها مسرحاً لصدمات متتالية ، واستعمل المتنافسون الأسلحة النارية فسقط عدد من القتلى والجرحى ، ونظم الحزب الوطني الممثل للسلطة حشوداً كبيرة واشتد الضغط الحكومي لصالحه ضد المعارضة التي ضمت قوائم من حزبي الأحرار والمستقلين وممثلي المؤسسات الصناعية البارزة .

أما في دمشق ، فقد مارس أنصار الحكومة الضغط والإرهاب على الناخبين لصالح قائمة الحزب الوطني ، وكانت أكداس القوائم المزورة تُلقى دون حساب في

---

[1] – أثارت مسألة تمثيل الأقليات المسيحية نقاشاً في البرلمان ، وقد طالب رشدي الكيخا وناظم القدسي بألاّ تدرج الامتيازات الدينية في الدستور المعدل التزاماً بالمادة ٦ من دستور ١٩٣٠ ، وقد اعترض مصطفى السباعي ، زعيم حركة الإخوان المسلمين ، على منح أي امتيازات لأية أقلية طائفية . حول هذه النقطة راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، جلسة ٥ أيار ١٩٤٧ ، ص٦٥٠ .

[2] – م . ن ، مجلد ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، جلسة ١٠ تموز ١٩٤٧ ، ص٧٧٢ .

[3] – حول هذه الجولة ، راجع : ١٧ آب ١٩٤٣ – ١٩٤٧ ، أربع سنوات من العهد الوطني ، ص ٢٤٤ – ٢٨٠ .

الصناديق ، وعقدت عدة اجتماعات احتجاجاً على التدخل والتزوير . وسرت إشاعات عن أموال خارجية تصرف في المعركة . ومع ذلك سيطرت رابطة العلماء في أحياء دمشق المحافظة كما في قرى الغوطة . أما في حمص فانقسمت المدينة بين جماعة هاشم الأتاسي وجماعة الحزب الوطني تحت قيادة مظهر باشا رسلان ، أي أن المنافسة كانت بين العائلتين الكبيرتين أكثر ما هي على قواعد الحزب الفعلية . وفي جبل الدروز فقد كانت الحملة عنيفة بين عائلتي الأطرش وأبو عسلي وتمَّ تأجيل الإنتخابات إفساحاً في المجال لاستقرار الوضع في هذا الإقليم الحساس .

جاءت نتائج الإقتراع إشارة أولية للتغيير في سورية ، فقد أبرز الإستفتاء تراجع الطبقات الحاكمة لصالح الطبقات الجديدة ، فنالت المعارضة ٥٣ مقعداً والمستقلون ٥٠ مقعداً و٢٤ مقعداً للحزب الوطني [١] ، وعليه شكل المستقلون مجموعة برلمانية قوية ، وباستثناء المرشح المستقل والبارز محلياً ودولياً ، خالد العظم [٢] ، فإن هؤلاء كانوا من رؤساء العائلات ذوات النفوذ ومن جماعات دينية أو عرقية انحصر همها في الحفاظ على امتيازاتها الخاصة ، أما الإخوان المسلمون فقد ظهروا كقوة سياسية بعد الإنتخابات حيث أوصلوا بعض مرشحيهم في دمشق ومعروف الدواليبي المتعاطف معهم نائباً عن حلب [٣] وباستثناء أكرم الحوراني فقد فشلت الأحزاب اليسارية في إيصال مرشحيها إلى البرلمان،

---

(١) – المعلومات حول تفاصيل الإنتخابات مستقاة من المصادر التالية : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص٢٦٦ – ٢٨٦ وأيضاً :

G. Torrey , Syrian politics , p.90 - 100, R. Craw , A study of political forces in Syria p.10 - 20 .

(٢) – وصف الوزير المفوض البريطاني Montagu-Pollock خالد العظم كما يلي " إنه يتمتع بشخصية قوية وأكثر استقلالية من باقي السياسيين السوريين ، فهو يملك القدرة والخبرة والمعرفة والاستقامة والوعي لمشاكل سورية الحقيقية " راجع :

F. o / 371/91849, confidential No 87, dated 11/6/1951 .

(٣) – ولد الدواليبي عام ١٩٠٧ وتخرج من مدرسة الشريعة في حلب ، نال شهادة الحقوق من الجامعة السورية بدمشق ، ثم تابع دراسته في باريس حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق ، عرف بميوله الأصولية ، وبعدائه للغرب ، وقد انتمى إلى حزب الشعب بعدما انتخب نائباً ، راجع : من هو في سورية ، صادر عن الوكالة العربية للنشر والدعاية ، (دمشق ١٩٤٨) ، ص ١٦٨ .

فخسر خالد بكداش المعركة وكذلك كان مصير المرشح البعثي ميشال عفلق في معركة البالوتاج [١] .

كانت إنتخابات ١٩٤٧ نقطة بداية تراجع شعبية " الوطنيين القدماء " ، فقد كشفت عن مدى اشمئزاز الشعب من حكم غير نزيه وغير كفء ، وأيضاً عن استمرارية الولاءات الضيقة وضعف التنظيمات الحزبية وعن الهوة العميقة بين الديمقراطية وأسلوب ممارستها في سورية [٢] .

في الجلسة الأولى لمجلس النواب انتخب فارس الخوري رئيساً ، وقدمت وزارة جميل مردم استقالتها ، فكلف ثانية تشكيل حكومة إئتلافية .

في الوقت الذي كانت فيه قضية فلسطين تقترب ذروتها ، انهمكت حكومة مردم الجديدة [٣] جادة بالعمل على فرض تعديل دستوري يُتيح إعادة انتخاب القوتلي لمدة دستورية ثانية . ومنذ منتصف تشرين الثاني ١٩٤٧ طُرحت الفكرة أمام المجلس النيابي ، وكانت حجة أنصارها أن إعادة انتخاب القوتلي سوف توفر على البلاد نتائج تجريب رئيس جديد ، في زمن تحتاج فيه إلى الاستقرار وخاصة إلى حكمة القوتلي وتجربته في توطيد استقلال سورية وتعزيز التضامن العربي كأساسٍ لتحرير فلسطين [٤] . وفي الأسبوع الثاني من آذار ١٩٤٨ وقع ٨٩ نائباً عريضة لصالح تعديل الدستور وتجديد البيعة

---

(١) – نال المقعد الأورثوذكسي عن دمشق حبيب كحالة ، وفاز عن المسلمين مرشحو الحزب الوطني : أحمد شرباتي ، صبري العسلي ، لطفي الحفار . راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص٢٨.

(٢) – كان وصف النائب " حبيب كحالة " لأول مجلس نيابي بعد الجلاء ، معبراً تماماً عن صورة النظام البرلماني في سورية قال " نظرت حولي ، وكان ما رأيته رجالاً لا يوجد ما يجمعهم ولا يشتركون في أية مبادئ ولا يربطهم حزب .. وقد وصلوا إلى البرلمان بأساليب خادعة من إنتخابات فوضوية تحت ستار الحرية . راجع كتابه " مذكرات نائب " ، (دمشق ؟) ص ٤٣ .

(٣) – تشكلت الوزارة في ٤ تشرين الأول ١٩٤٧ على النحو التالي : جميل مردم للرئاسة والخارجية ، سعيد الغزي للإقتصاد ، أحمد شرباتي للدفاع ، وهبي الحريري للمالية ، محسن البرازي للداخلية والصحة ، منير العجلاني للمعارف ، أحمد الرفاعي للعدلية والأشغال العامة ، وكانت أول وزارة سورية لا تضم ممثلاً عن الأقليات المسيحية .

(٤) – صحيفة الأيام ، دمشق ، ١٥ آذار ١٩٤٨ .

للقوتلي ، وتشكلت لجنة دستورية برلمانية برئاسة هاني السباعي لدراسة البنود المقترح تعديلها [١] . وقد جرت مناقشات داخل وخارج البرلمان حول طريقة انتخاب الرئيس . وقد أيدت كتلة برلمانية فكرة انتخابه مباشرة من الشعب وأصرت أخرى على الإبقاء على النظام القديم ، ورجحت كفة الكتلة الثانية التي كان يؤيدها القوتلي وحَظيَت أيضاً بتأييد حزب الشعب بزعامة رشدي الكيخيا [٢] ، ومساء ١٩ آذار عقد القوتلي مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن التعديل وأكد حرصه على تلبية إجماع النواب على انتخاب الرئيس حسب أحكام دستور ١٩٣٠ [٣] . وفي ٢٠ آذار نشرت اللجنة الدستورية التعديلات المقترحة وهي : إلغاء المادة ٦٨ من دستور ١٩٣٠ التي تحظر ترشيح الرئيس لمدة حكم ثانية قبل مرور خمس سنوات من انقضاء رئاسته ، والمادة ١٩ التي تحدد عدد الوزراء بسبعة فقط وأصبحت كالتالي " لا يزيد عدد الوزراء عن الإثني عشر ويمكن اختيارهم من غير النواب " كما تمَّ إلغاء المادتين ٧١ و ١١٥ من دستور ١٩٣٠ اللتين تحددان إجراءات الإنتخابات الرئاسية [٤] . ولما طرح قرار اللجنة على مجلس النواب أقر بإجماع ١٢٦ نائباً ممن حضروا الجلسة [٥] وخُصصت جلسة ١٨ نيسان لإنتخاب القوتلي وأسفر الإقتراع عن ١٣٢ صوتاً لصالح الرئيس وورقتين بيضاوين [٦] .

لم يكن الإصلاح الدستوري الذي طرحه نظام القوتلي على مستوى الإصلاح الذي كانت البلاد بأمس الحاجة إليه ، لقد كان إصلاحاً لصالح شخص الرئيس واستمرارية حكمه هذا وإن تجاهله فجوات عديدة في التنظيم الدستوري لعام ١٩٣٠ قد أعطى منتقدي

---

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، ص ٣٣٠ .

(٢) – م . ن ، جلسة ١٣ آذار ١٩٤٨ ، ص ٥٥٠ . نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص٣١٢ . وقد عارض حزب البعث التعديلات الدستورية ، فصادرت الشرطة صحيفة " البعث " ومنعت من الصدور مدة من الزمن ، راجع : نضال البعث ، ج١ ، ١٩٤٣ – ١٩٤٩ ، ص ١٧٢ .

(٣) – صحيفة القبس ، دمشق ، ٢٠ آذار ١٩٤٨ ، الأيام ، دمشق ، ٢٠ و ٢١ آذار ١٩٤٨ ، ص٣١٢ .

(٤) – حول هذه التعديلات راجع : صحيفة السوري الجديد ، حمص ، عدد ٣٠ في ٢٥ آذار ١٩٤٨. وراجع : وجيه الحفار ، الدستور والحكم ، دمشق ١٩٤٨ ، ص ١٢٣ – ١٣٠ .

(٥) – مذكرات المجلس النيابي جلسة ٢٠ آذار ١٩٤٨ ، مجلد ١٢٤٧ – ١٢٤٨ ، ص ٥١٠ .

(٦) – م . ن ، ص ٧١٢ .

الحكم مادة جديدة لاتهام الحكومة بأنها لا تعمل إلاّ لخدمة مصالح وامتيازات النخبة الحاكمة [١] . ومما لا شك فيه أن انتهاك الدستور لصالح فرد قد ساهم في انهيار النظام البرلماني بعد عام .

- حرب فلسطين والإنتفاضة الشعبية في سورية :

هيأت هزيمة العرب في فلسطين الأرضية المناخ الملائم لسقوط نظام الحكم السوري المتزعزع داخلياً .

أثار قرار تقسيم فلسطين (٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧) عاصفة احتجاج شعبي في كل البلاد العربية ، وكانت في سورية أشدها عنفاً [٢] ، وقد عمدت الحكومة إلى تهدئة الأوضاع ونظمت في كل أنحاء البلاد عمليات التجنيد الطوعي وجمع التبرعات لدعم عرب فلسطين ، وأصدر البرلمان السوري قانون الخدمة العسكرية الإجبارية [٣] ، وفي كانون الثاني عام ١٩٤٨ توجهت فرقة سورية غير نظامية تحت قيادة فوزي القاوقجي للقتال في فلسطين كفرقة من الجيش العربي الفلسطيني ، وقاد أديب الشيشكلي فرقة

---

(١) - Majid Khadduri , "Constitutional development in Syria" in the Middle-East Journal , vol 5 (Spring 1951) p.137 - 160 .

(٢) - في ٤٧/١١/٣٠ شهدت دمشق تظاهرة ضخمة ، وهاجمت الجموع مركز المفوضية الأمريكية والإفرنسية . واقتحموا مقر الأمم المتحدة والمركز الثقافي الشيوعي ومراكز الحزب الشيوعي وقتلوا أربعة من أعضائه . وفي حلب أحرقت مجامع اليهود وقتل عدد منهم راجع :
"Developments of the Quarter" Middle-East Journal, vol 11, (1948) p.74. cf, G. Kirk , the Middle-East , p.40-44 .
الأيام . دمشق ، عدد ١٩٤٧/١٢/٢ .

(٣) - في جلسة ١٥ أيار ١٩٤٨ أقرّ البرلمان مشروع التجنيد ورصد الاعتمادات اللازمة لذلك . راجع : صحيفة القبس ، دمشق ١٩٤٧/١٢/٢٨ والأيام ، دمشق ٤٧/١٢/٢٥ . ومذكرات المجلس النيابي ، جلسة ١٥ أيار ١٩٤٨ ، مجلد ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، ص ٤٥٠ .

اليرموك التي ضمت الضباط المتطوعين للقتال في المستوطنات اليهودية القائمة عند الحدود السورية [١] .

كان الرأي العام السوري وقادته السياسيون مؤمنين بقدرة الجيوش العربية على إحراز نصرٍ سريع وحاسم ضد الصهاينة ، وما عتمت أن تبددت تلك الأوهام كاشفة ضعف العرب وانقسامهم وفشلهم في الحفاظ على وحدة فلسطين في ساحة المعركة كما على طاولة الأمم المتحدة : في الأول من نيسان بدأت القوات الصهيونية تطرد العرب من أراضي الدولة اليهودية واستطاعت الاستيلاء على أراضٍ من القسم العربي ، وأجلت المواطنين عنها ، وبعد مذبحة دير ياسين (٩ نيسان ١٩٤٨) بدأت أفواج الفلسطينيين الهاربين تتدفق إلى سورية في حال مذرية [٢] . وقد هزّ المنظر بعمق مشاعر الشعب السوري [٣] وراحت الصحف توجه النقد الحاد " للقيادة العربية المشتركة " متهمة الحكومات العربية بالتقصير في إداء الواجب لإنقاذ فلسطين [٤] ، ولم

---

(١) – حول معدات وتجهيزات الفرقة غير النظامية " اليرموك " راجع :

F. o/371/87871/ Syria's Military strength, in 1949, Damascus secret report to War office ,p.2 .

(٢) – وصل عدد اللاجئين الفلسطينيين إلى سورية ٨٠ ألف لاجئ في حده الأعظم ، وقد أحدثت الدولة مؤسسة ذات شخصية حقوقية وإستقلال مالي أطلق عليها إسم " مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين " ووضعت تحت إشراف وزير الداخلية وتولى إدارتها مدير يعين بمرسوم من مجلس الوزراء " للإضطلاع على قانون المؤسسة راجع : مذكرات المجلس النيابي ، جلسة ١٥/١/٤٩/ مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص ٢٨١–٢٣٨ ، وقد رفضت الحكومات السورية مشروع التوطين ، الذي اقترحته الأمم المتحدة و "Work'Agency" الخاصة باللاجئين التي قامت بأعمال داخل سورية من دون إذن الحكومة، هذا وقد قبل الشيشكلي إستقرار ٨٠ ألف لاجئ في سورية مقابل ٣٠ م ل.س. من وكالة الأونروا (ANRWA) . راجع :

F. o /371/91867, top secret CIC, No 153, 26 May 1951 , From B.H. Robertston to war office 104465, Annual review of political events in Syria for the Year 1952 , by Montagu-Pollock , confidential No 5 , 8/1/1953 , p.3 .

(٣) – في ٢٤ نيسان تظاهر في دمشق خمسة آلاف شخص وطالبوا إرسال الجيش السوري لقتال اليهود في فلسطين ، راجع :

Developments of the Quarter , Middle-East Journal , vol II, 1949 , p.337 .

(٤) – صحيفة المنار ، دمشق ، ٢٠ نيسان ١٩٤٨ . الألف باء ، دمشق ، ٢٤ نيسان ١٩٢٤ . بردى ، دمشق ٢٦ نيسان ، ١٩٤٨ .

يعد بإمكان هذه الحكومات تجاهل الرأي العام العربي ، وعليه ، وبعد عدة اجتماعات لمجلس الجامعة العربية ولجنتها السياسية في القاهرة وعاليه ، وبعد عدة مؤتمرات للملوك والرؤساء العرب في عمان وبغداد ، كان آخرها في دمشق في ١١ أيار ١٩٤٨ حيث تقرر أخيراً في ١٢ منه الهجوم المسلح على فلسطين [١] وفي ١٦ منه وبعد يومين من قيام دولة إسرائيل ، دخل الجيش السوري المعركة تحت قيادة رئيس الأركان العامة عبدالله عطفه ، وفي ٢ حزيران أُحيل على التقاعد وتولى منصبه حسني الزعيم في ٢٥ منه [٢] .

أظهرت القوات السورية مقدرة قتالية ملحوظة ومتفوقة بكثير عن القوى العربية الباقية التي دخلت المعركة [٣] ، وعلى الرغم من افتقادها إلى الخبرات العسكرية الضرورية ، وعلى الرغم من النقص في السلاح والذخيرة والعتاد ، فقد استطاعت أن تستولي وتحتفظ بمناطق هامة في فلسطين من بحيرة الحولة حتى بحيرة طبرية والتي كانت منذ عهد الإنتداب تحت أيدي اليهود ومن ضمن أراضي الدولة اليهودية حسب قرار الأمم المتحدة [٤] .

---

(١) – حول هذه التفاصيل راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٢٨٧ – ٢٩٥ راجع أيضاً :

Walid Khalidi , From Haven to conquest , Beirut 1970 , p.851-867 .

(٢) – راجع : من هو في سورية ١٩٤٩ ، ص ١٩٢ . بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، أسراره ودوافعه ومراميه وكيف تمت حوادثه : دمشق ١٥ أيار ١٩٤٩ ، ص ٥٠ .

(٣) – قدر عدد الجيش السوري الذي دخل فلسطين حوالى ١٢ ألف منظمين في ثلاثة ألوية فضلاً عن لواء اليرموك غير النظامي . وكان يعاني من : ١ – مستوى التدريب السيئ على مستوى الضباط والجنود معاً ، ٢ – نقص بارز في الأسلحة والذخائر والمعدات والتجهيزات خاصة على صعيد القوة الجوية والبحرية ، ٣ – العقلية السورية الكسولة والمحافظة والراقضة لامتصاص أو تقبل الأفكار الجديدة . وقد تباينت نوعيات المقاتلين تبعاً للمجموعات الدينية التي ينتمون إليها ، فالمسيحيون والسنة أقل ميلاً إلى الحرب من الدروز والعلويين ، والجيش بشكل عام أفضل في حرب العصابات والحرب غير النظامية عما هو في التخطيط الحربي النظامي ، ٤ – عدم التقيد بالانضباط والنظام العسكري . راجع :

F. o / 371/ 87891/ Syria's Military strength in 1949" , p.1 - 4 .

(٤) – استولت فرقة سورية على ثلاث مستعمرات يهودية من الحولة إلى طبرية وكان عدد

في ١١ حزيران فرضت الأمم المتحدة هدنة استمرت حتى ٨ تموز ، وقد تحدى كلا الطرفين الحظر المفروض على إدخال أسلحة وقوى بشرية جديدة ، وكانت إسرائيل المستفيد الفعلي من الهدنة فقد وصلتها تجهيزات حربية عبر جسر جوي حمل إليها السلاح الروسي من تشيكوسلوفاكيا وأعداد من المتطوعين ، في حين أعاق تدفق الهاربين الفلسطينيين من أمام القوات الإسرائيلية إلى المناطق التي تحتلها الجيوش العربية ، عمل هذه الجيوش وأضعف جهودها الحربية [١] وبين الهدنتين استطاعت إسرائيل أن تكسب أراضي جديدة تعادل ثلاث مرات عما كسبته في بداية الحرب ، وعندما أصبحت الهدنة الثانية نافذة المفعول (٢٥ تموز ١٩٤٨) كسبت أيضاً مناطق جديدة منتهكةً قرارات مجلس الأمن ومستفيدة من الموقف المناصر لها من قبل الولايات المتحدة وكتلة الاتحاد السوفياتي [٢] ، بينما إنحصر نجاح الجيوش العربية في الحفاظ على الأراضي التي هي

عناصرها ١٨٦٥ رجلاً أكثريتهم من الشركس ، وقد أظهرت مقدرة قتالية بارزة خاصة الكتيبة التي احتلت مستعمرة مشمارهاردن عند بحيرة الحولة فقد قطع الرجال نهر الشريعة على حبال نصبوها من الحولة حتى طبريا . مقابلة مع قائد الكتيبة ، العقيد توفيق بشور ، صافيتا سورية ، في ١٩٩٠/٥/١٠. وقد ذكر أحمد عيسى الفيل ، أن قائد هذه الفرقة هو المقدم سامي الحناوي الذي قاد العمليات العسكرية في تلك المناطق من فلسطين : راجع كتابه : سورية الجديدة في الإنقلابين الأول والثاني ، دمشق ١٩٤٩ ، ص ٣٣٣ .

[١] – لمزيد من المعلومات حول هذه الأحداث راجع :

Edgar O, Ballance , the Arab-Israeli War 1948, (London 1958) p.120 - 138 . cf. Walid Khalidi , From Haven , op, cit, p. 865-869 .

[٢] – عندما أعلن بن غوريون قيام دولة إسرائيل (٤ أيار ١٩٤٨) كان الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة أول من اعترف بها وتبادلا التمثيل الدبلوماسي معها . ولما اندلعت حرب فلسطين سلمت حكومة براغ أسلحة للدولة العبرية ، وإن السبب وراء سياسة السوفيات يكمن في أن حكومة الكرملن أرادت إثارة المتاعب أمام البريطانيين الداعمين للعرب ، وقد بدا لقادة الكرملن أن التوسع الشيوعي في الشرق الأوسط يمكن أن يُبتدئ به من إسرائيل حيث يتمتع الحزب الشيوعي بقوة عددية وبتنظيم ايدولوجي ، وأن الدعاية القائمة على البروليتاريا لا يمكن أن تتطور في بلاد لا توجد فيها هذه الطبقة كما هو الحال في البلاد العربية ، إن عصر التحول في السياسة السوفياتية باتجاه العرب قد بدأ عام ١٩٥٠ تماماً عندما بدأت واشنطن تغيير سياستها . راجع :

-F. Laurent , "LU.R.S.S. et le moyen-orient", dans orient . No3 , 1957 , p.15 - 30 ., p.71 22 , cf . H. Carrere d'Encausse , la politique sovietique au Moyen-orient , 1955 - 1975 , (Paris1975) p.50 60.

من نصيب الدولة العربية [1] وتبددت من أذهان العرب فكرة إحراز نصر على الدولة العبرية .

وإذا كان من الصحيح أن الجيش السوري لم يعانِ من الهزيمة ما عاناه الجيش المصري مثلاً ، فمن الصحيح أيضاً أنه لم يكن هناك نصرٌ قط ، بل كانت هزيمة العرب هزيمة سورية أيضاً .

واجهت حكومة مردم نقداً عنيفاً من الصحافة والأحزاب المعارضة وراحت تتتالى الشائعات حول فضائح الحكم ومسَّت رئيس الوزراء بالذات الذي تولى وزارة الدفاع بعد أن قدَّم أحمد الشرباتي استقالته في نهاية أيار [2] . وفي ٢١ آب وبمناسبة بدء الولاية الجديدة لرئيس الجمهورية قدمت الحكومة استقالتها وشكل جميل مردم وزارة جديدة في ٢٣ منه [3] .

عانت سورية في عهد وزارة مردم الثالثة أزمات حادة لم تعرفها منذ أيام الحرب، فقد مرت البلاد بأوضاع إقتصادية خانقة وتوقفت المصانع عن العمل بسبب نقص الطاقة ، وانتشرت البطالة ، وقامت إضرابات عمالية في حلب وعدة مدن أخرى ،

---

[1] – حول العمليات العسكرية للجيوش العربية راجع :
Walid Khalidi , "Plan Dalet" Middle-East Forum , vol 37, No 9 , No 7 1961, and his book , from Haven , p.866 - 867 .

[2] – في ١٩٤٨/١١/١٥ ، تشكلت محكمة للنظر في الإتهامات الموجهة ضد الشرباتي بشأن مبالغ صُرفت عن طريق الوزارة لتجهيز الجيش وقد برأت المحكمة الشرباتي من التهم الموجهة إليه . ويبدو أن استقالة الشرباتي كانت بسبب خلافه مع حسني الزعيم الذي أصدر غداة توليه الحكم مراسيم تقضي بتأليف لجنة خاصة للتحقيق في سوء استعمال السلطة ، وخاصة فيما قام به الشرباتي خلال وجوده في الوزارة من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ . وكان الزعيم يحقد على الشرباتي بسبب معارضته لتعيينه قائداً للجيش ، وقد طلب من نصوح بابيل أن ينشر مقالاً " هو مجموعة من ألفاظ بذيئة وعبارات نابية يصُبُّها الكاتب على رأس الشرباتي " راجع : كتابه ، صحافة وسياسية ، ص ٣٧٨ . راجع بشير العوف ، الانقلاب السوري ، ص ١٤٦ .

[3] – جميل مردم رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع ، لطفي الحفار وزير دولة ، سعيد الغزي وزير العدلية ، محسن البرازي وزير للشؤون الخارجية ، صبري العسلي للداخلية ، مخائيل اليان للإقتصاد الوطني ، عادل ارسلان للصحة والشؤون الإجتماعية ، أحمد الرفاعي وزير للأشغال العامة، وهبي الحريري وزير للمالية ، منير العجلاني وزير المعارف ، محمد العائش وزير دولة .

وانبرت الصحافة المناوئة للحكومة تنشر الفضائح [1] وتتهم الحكومة بالتآمر على جيش البلاد والتقصير في تجهيزه مُحمِّلة إياها مسؤولية الهزيمة في فلسطين ، فقامت الحكومة بدورها ، تحاول خنق المعارضة وتعطيل الحريات العامة . وقد تعمق الخلاف بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، وطالب نواب المعارضة سحب الثقة من الحكومة ، وأصبحت الأزمة البرلمانية حادة جداً ، وتحول مجلس النواب إلى حلبة مصارعة حرة وتدخلت الشرطة لإعادة النظام في الجلسات السرية التي افتقدت بالتالي تلك الصفة ، فقامت الحكومة في ١٨ تشرين الأول وعطلت جلسات المجلس فعنُفت المعارضة ومن ثم استقال ممثلو الحزب الوطني من وزارة مردم وأعلن صبري العسلي " أن حزبه لا يريد مشاطرة الحكومة تبعة سياستها " [2] .

" في ٢٩ تشرين الثاني وبمناسبة الذكرى السنوية الأولى لقرار تقسيم فلسطين ، انفجر في المدن السورية غليانٌ شعبي عفوي مُسلح وصل حجم الثورة [3] فأطاح بالحكومة وتعدّت آثارُه حدود الجمهورية [4] . لنستعرض هنا وصف النواب السوريين

---

(١) – من هذه الشائعات ، أن المبالغ المجموعة للقضية الفلسطينية قد دخلت جيوب بعض أعضاء اللجنة بمن فيهم جميل مردم بالذات ، وقد أثير الموضوع في البرلمان في جلسة ٤٩/١/١٨ وطالب أكرم الحوراني الحكومة فتح تحقيق حول هذه الفضيحة وكذلك فعل عبد الوهاب حومد وحكمت الحكيم وفارس الخوري ومحمد المبارك وسامي كبارة . وهذا الأمر دفع الحكومة إلى التقدم بمشروع قانون تنظيم مؤسسة اللاجئين . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤. ومن الفضائح أيضاً قضية المقدم فؤاد مردم ابن أخي رئيس الوزراء المتهم بتسليم شحنة الأسلحة لليهود كان قد أرسل لشرائها وشحنها ، وأحيل إلى القضاء العسكري لمحاكمته وكان مقرراً صدور الحكم يوم الإنقلاب فأُجلت المحاكمة . راجع : بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ٣٣ .

(٢) – حول تحول سياسة هذا الحزب نحو المعارضة راجع : صحيفة الألف باء ، دمشق ، ٢٠ تشرين الأول ١٩٤٨ . بيروت المساء ، بيروت ، عدد ١٩٤٩/٦/٩٣.

(٣) – كان رئيس الوزراء قد احتاط لمثل هذا الغليان الشعبي ، فأصدر أمراً عسكرياً في ١٩٤٨/١١/٢٧ بوجب تسليم أسلحة المدنيين إلى وزارة الدفاع خلال مدة عشرين يوماً . راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، وزارة الدفاع ، قسم " قرارات وقضايا مختلفة " ، حافظة رقم ١١ ، وثيقة رقم ١٢ .

(٤) – كتب غسان التويني في ١٩٤٨/١٢/٥ " أثارت حوادث الشام في نفوس الكثيرين خشية على الأوضاع العربية .. وأنها ليست سوى مقدمة لحوادث مماثلة تكتسح العالم العربي كافة وتقلب أوضاعه

لأحداث الإنتفاضة الشعبية في جلستي مجلس النواب بتاريخ ١٩٤٨/٢/٢٧ و١٩٤٩/١/١٧ [١] .

في يوم ٢٩ تشرين الثاني قامت التظاهرات في دمشق والمدن السورية ، وإزدادت عنفاً في الأيام التالية .. وحاولت الجماهير الإستيلاء على دائرة الشرطة وسرايا الحكومة والقلعة وهاجم المتظاهرون رجال الأمن المرابطين في أنحاء المدينة للحفاظ على النظام والمؤسسات العامة " " وحاولوا إحراق سوق الحميدية وسوق الخجة ونهبوا المتاجر في الأسواق " .. " واستخدم بعضهم الأسلحة النارية والقذائف والقنابل اليدوية " .. " رأت الحكومة في محاولة اقتحام الدوائر الحكومية عملاً إنقلابياً ومؤامرة مسلحة لقلب نظام الحكم ، فحزمت أمرها على قمع التظاهرات بالقوة ، وراح رجال الأمن يطلقون القنابل المسيلة للدموع ودوى الرصاص فتفرق المتظاهرون بعد أن سقط عددٌ من القتلى والجرحى في صفوف الطرفين " .. " وفي الأيام الثلاثة التالية عنفت التظاهرات في دمشق وراح الدرك يصوبوا ليقتلوا الطلاب عن عمدٍ .. " كان الرأي العام موجهاً ضد الذين تهاونوا بحقوق الشعب داخل الحدود السورية وخارجها ، وتناولت الهتافات الأعمال التي مارسها المسؤولون – وطالب الشعب بانسحاب الحكومة .. وانصبت النقمة العامة على أسلوب الحكم " . " وإن ما ظهر من الشعب تستطيع أن نسميه حكماً شعبياً لا على رجل بعينه ولا على حكومة بعينها ، بل هو حكم شعبي على أسلوب الحكم في سورية وغيرها من البلاد العربية " [٢] .

ولما فشل جميل مردم في تجديد وزارته ، وبعدما وجد أن حكومته قد أُفلتَ منها زمام الشارع وزمام المجلس وزمام الأمن في البلاد ، قدم استقالته وأصبحت سورية بلا

رأساً على عقب " . راجع كتابه ، منطق القوة ، ص ١٧ .

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، كلمة : أكرم الحوراني ، أحمد قنبر ، فيصل العسلي ، زكيّ الخطيب ، عدنان الأتاسي ، عبد الرحمن العظم ، محمد المبارك ، حبيب كحالة ، ص٧٠ – ٨٥ ، ٣٠١ – ٣١١ .

(٢) – راجع بيان حزب البعث حول هذه الأحداث في : نضال البعث ، ج١ ، ص ٢٧٠ .

حكومة [1] ولما عجز رجال الأمن عن إعادة الأمور إلى نصابها ، بعدما عمت الإنتفاضة حمص وحلب ، وظهرت اتجاهات تهدد كيان سورية ونظامها الجمهوري ، قام رئيس الجمهورية واستعان بالجيش ، وفي الثالث من كانون الأول أعلن الجيش الأحكام العرفية وأصدر حسني الزعيم بلاغاً قال فيه " لقد أمرت قيادة الجيش أن تكون مسؤولةً عن الأمن العام في البلاد " وتتالت البلاغات التي فرضت منع التجوال والتجمعات وإغلاق المدارس وإخضاع الصحف للمراقبة العسكرية [2] . وطبقت تلك الأحكام حتى في المناطق التي لم تحدث فيها اضطرابات أمنية . وبعد أن هدأت التظاهرات في حلب توجه إليها قائد الجيش وأعلن في بيان قاسي اللهجة تولي الحكم في هذه المدينة التي تطلعت دائماً لتحطيم الحواجز بين سورية والعراق .

فُرضت الأحكام العرفية دون إعلام المجلس النيابي ، وبذلك انتهك رئيس الجمهورية المادة ١١٢ من الدستور [3] وعليه فإن هذا الوضع الذي سبق الإطاحة الكاملة بالدستور كان بمثابة تعطيل مموه لأحكام النظام الديمقراطي الذي " لم تحسب له القوة المسلحة حساباً في ترتيب ما رتبت " [4] .

- وزارة خالد العظم وسقوط النظام :

بعد استقالة الحكومة شهد المسرح السياسي السوري أزمة وزارية استمرت ستة عشر يوماً ، وبرزت خلالها ظروف خارجية زادت الأمور تعقيداً . فقد عادت إلى

---

[1] - راجع : صحيفة الأيام الدمشقية ، مقال نصوح بابيل في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٨ .

[2] - بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ١٠ - ١١ ، وحول وقع هذه البلاغات على نواب المجلس ، راجع كلمة عدنان الأتاسي وأحمد قنبر وفيصل العسلي في : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٧ .

[3] - نصت المادة في دستور ١٩٣٠ على حق رئيس الجمهورية إعلان الأحكام العرفية في المناطق التي تحدث فيها إضطرابات شرط إعلام المجلس حالاً وإذا كان المجلس في عطلة دعاه رئيس الجمهورية بدون تأخير للإجتماع .

[4] - غسان التويني ، منطق القوة ، ص ٢٨ .

الواجهة مسألة التنافس بين المملكة السعودية والعراق على السيطرة على سورية والتي برزت من خلال موقف حزب الشعب المناصر لدولة الهلال الخصب وبين القوتلي الصديق الحميم للملك السعودي المعادي لفكرة الاتحاد مع العراق . وتحت ضغط حزب الشعب كلَّف القوتلي هاشم الأتاسي تشكيل وزارة إئتلافية تضع حداً للفوضى والتوتر وتعيد الثقة بالدولة ، وقد أخفق الأتاسي في مهمته بعد استشارات دامت ثلاثة أيام ، ويبدو أن رئيس الوزراء المكلف قد طالب القوتلي الموافقة على برنامج حزب الشعب لتُشكل الوزارة على أساسه ، فراوغ القوتلي وراح يضع العراقيل في وجه الأتاسي ، ولما انسحب هذا الأخير كلف القوتلي الأمير عادل ارسلان[1] ففشل بدوره في تشكيل وزارة تجمع بين الأحزاب الوطني والجمهوري والشعب . عندئذ استدعى خالد العظم من باريس حيث كان يشغل مهام وزير مفوض لتشكيل الوزارة وكان مثل القوتلي معارضاً لفكرة الهلال الخصيب ومؤيداً صلباً للنظام الجمهوري [2] . وقد قبل العظم أن يتسلم دفة الحكم في بلاد قلقة ، يتحكم فيها سياسيون متنازعون ومنقسمون ، وتعاني من وضع إقتصادي متدهور وتعيش في ظل الأحكام العرفية . وانتهت الأزمة الوزارية بقيام حكومة حيادية ضمت خمسة وزراء من خارج البرلمان ، ونالت الثقة على بيانها الوزاري الشامل بأغلبية ٧٣ صوتاً مقابل ٣٥ [3] " . كان غالبية الوزراء من رجال الأعمال المتفهمين

---

[1] — هو درزي لبناني ، إنتخب نائباً عن الجولان عام ١٩٤٣ و ١٩٤٧ ، تقلد وزارة المعارف في ١٧ حزيران ١٩٤٦ ثم وزارة الصحة في وزارة مردم . وهو من كتلة المستقلين . راجع : من هو في سورية ، ص ٢٠ .

[2] — أشار خالد العظم في مذكراته إلى الحديث الذي دار بينه وبين القوتلي عندما كلفه تشكيل الوزارة . قال القوتلي " إن عادل ارسلان لا يستطيع مواجهة الموقف السياسي الخارجي .. العراق ومن ورائه الإنكليز يطمعون في بلادنا " ... قال العظم " لقد باركت في القوتلي تمسكه باستقلال البلاد وبنظام الحكم الجمهوري وقلت له : " أنا معك ومستعدٌ لبذل كل ما عندي في سبيل هذه الأهداف القومية العليا " راجع : ج١ ، ص ٣٦٩ .

[3] — في ١٩٤٨/١٢/٢٥ صدرت مراسيم الوزارة : خالد العظم رئيساً مع حقيبتي الخارجية والدفاع ، محسن البرازي المعارف ، محمد العايش الزراعة ، أحمد الرفاعي العدل والصحة والشؤون الإجتماعية ، حنين صحناوي للإقتصاد ، حسن جبارة المالية ، عادل العظم الداخلية ، مجد الدين الجابري الأشغال العامة . وقد تضمن البيان الوزاري قضايا التنمية ، تعزيز الجيش ، توطيد النظام

حاجات البلاد الإقتصادية ، بتوجيه من رئيس متحمس لقضايا التنمية ومتفهم المشاكل التي يعاني منها الإقتصاد السوري " (١) وقد اعتمدت الحكومة منذ بداية عام ١٩٤٩ سياسة بشرت بالتفاؤل وبالعزم على مواجهة المصاعب الإقتصادية وترميم ما فسد خلال العام المنصرم الذي صرفت فيه البلاد كل طاقاتها في قضية فلسطين وحولت أنظارها عن قضايا التنمية الداخلية (٢) وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها حكومة العظم لإصلاح الخلل في نظام القوتلي ، إلاّ أنها لم تعط الفرصة والزمن الكافي لتنفيذ ما عزمت عليه ، فقد جوبهت بمعارضة برلمانية بزعامة حزب الشعب ، وبمسألة إقحام الحكم الجيش في الأمور السياسية ، والفوضى الناجمة عن التظاهرات الطلابية ومن ورائها الأحزاب اليسارية ، والأهم من هذا وذاك صدمة الشعب السوري بالحكم الوطني الذي هلل له بحماسٍ ، هذا الشعب بدأ يتوق إلى حكم جديد ، ولم يَرَ في وزارة العظم إلاّ تبدلاً في أسماء الساسة فقط ، وكان يريد تغيير النظام النظام الفاسد والعاجز والإطاحة بكامل تركيبته .

وها هي أهم القضايا التي عالجتها حكومة العظم :

أولها مسألة تصديق مجلس النواب على إتفاقية مرور أنابيب النفط السعودي بواسطة شركة خط الأنابيب عبر البلاد العربية (التابلاين) . هذه الإتفاقية التي كان قد وقع عليها جميل مردم ورئيس التابلاين B.E. Hull في أول أيلول عام ١٩٤٧ (٣) ولم يتجرأ مردم على رفعها أمام مجلس النواب مع أنها حظيت بتأييد القوتلي ، فقام خالد العظم وطرح المشروع مع مشروع الاتفاق السوري اللبناني بشأن اقتسام المنافع من

الجمهوري ، دعم الجامعة العربية ، تنسيق الموازنة ، وشدّد على مسألة إضراب الطلاب وعدم إقحامهم بالخلافات السياسية الحزبية وقال " لايوجد بلد في العالم يذهب فيه الساسة إلى المدارس ويخرجون الطلاب للاحتجاج والإضراب بدلاً من متابعة دروسهم ، راجع : مذكرات المجلس النيابي مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص ٥٦ – ٥٣ .

(١) – F. O / 371/82782 , Report by G. Thirkell , Damascus , 19 th January 1950 .

(٢) – Op.cit . Report by Morgan Man , Confidential No 8 , 9th January 1950 , cf. and / 98928/ Report From I.B.R.D. 1st oct 1951 , p.4 , 5

(٣) – نص إتفاقية التابلاين والإتفاق السوري اللبناني لاقتسام منافع مرور الأنابيب في : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص ٣ – ١٩ .

شركة التابلاين . وعرض أيضاً أمام المجلس الاتفاقية النقدية المعقودة مع الحكومة الإفرنسية في ٧ شباط ١٩٤٩ [١] . وكان العظم مدركاً لمدى المنافع التي ستعود على سورية من جراء مرور النفط السعودي – الأمريكي في أراضيها ، وكان متحمساً أكثر لإبرام الإتفاق النقدي مع فرنسا والذي شارك في التحضير له باعتباره يُتيح لسورية تصفية علاقاتها النقدية مع فرنسا وتنظيم النقد السوري وتدعيم استقلاله واستقراره ، وهو لا يُلزم سورية إلاّ احترام الإمتيازات التي حصلت عليها الشركات الإفرنسية زمن الإنتداب وضمن حدود " التشريع السوري " [٢] .

أثار اتفاق التابلاين معارضة اللجان الإقتصادية في المجلس ، وتصدى له بعنف نواب حزب الشعب ، وتحولت الحملة ضده إلى عاصفة في الصحف التي اتهمت الحكومة بالعمالة للأمريكان أصدقاء إسرائيل [٣] كما نظمت الأحزاب اليسارية تظاهرات في دمشق فقامت الحكومة وأغلقت المدارس خوفاً من تجدد أعمال العنف ، وتحت ضغط الرأي العام رفض البرلمان إبرام الاتفاق وتمَّ ذلك في ١٦ أيار في عهد حسني الزعيم . ولم ينجُ الاتفاق المالي مع فرنسا من مماطلة النواب ولا من نقد المعارضة ، وكان مصيره مثل مصير " اتفاق التابلاين " فقد صدّقه حسني الزعيم ليلة الإنقلاب المضاد في ١٤ آب ١٩٤٩ [٤] .

---

(١) – نص إتفاقية الموجودات السورية بالفرنكات الفرنسية لدى مصرف سورية ولبنان في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص٢١ – ٢٥ .

(٢) – حول هذه النقطة راجع : خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٧٩ – ٩٥ .

(٣) – شن بعض النواب حملة عنيفة على الصحافة التي راحت تنشر منتقدة إتفاقية التابلاين وقامت الحكومة وأغلقت تلك الصحف ، عندئذٍ امتنعت نقابة الصحافة عن تغطية جلسات المجلس ، وتمَّ تسوية القضية بتدخل فارس الخوري رئيس المجلس . للتوسع راجع : بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

(٤) – بعد إنقلاب الحناوي عُرض الإتفاق على مجلس الوزراء فاتخذ قراراً بإلغاء القرار الوزاري السابق رغم إنجاز معاملاته ، بحجة أنه لم ينشر في الجريدة الرسمية ، راجع العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص٩٥ – ٩٦ . وفي ١١ أيار ١٩٥٠ صدر المرسوم الخاص بتوحيد جميع النصوص المتعلقة بتحديد وتنظيم النقد في سورية ، وفي ٢٨ آذار صدر نظام النقد الأساسي وأحدث المصرف المركزي ليحل محل بنك سورية ولبنان ولم يباشر عمله حتى أول آب ١٩٥٦ ، راجع :

J. Ducruet, les capitaux Erupeens .. , p.360 - 385 .

كان على حكومة العظم معالجة مسألة حساسة جداً ، هي مسألة الهدنة الدائمة مع إسرائيل ، وقد كانت مصر أول دولة عربية وقعت اتفاق الهدنة في رودوس ثم تلتها شرقي الأردن ولبنان ولم يبق من الدول العربية ذات الحدود المشتركة مع إسرائيل إلاّ سورية ، وقد طلب العظم جعل جلسات المجلس النيابي المخصصة لمناقشة المسألة سرية تلافياً لمزايدات النواب لاكتساب الشعبية ، وفي ١٤ آذار تقرر إرسال وفد سوري برئاسة فريد زين الدين إلى رودوس التفاوض تحت إشراف الوسيط الدولي السيد " بانش " ، وقد تمسك الوفد السوري بخطوط الهدنة حيثما هي الجيوش المتقابلة وبذلك تحتفظ سورية بما احتلته قواتها من الأراضي لتدعيم خط دفاعها في المستقبل ، وذلك يجعل الحدود الفاصلة، خطوطاً مائية ، منتصف نهر الشريعة وبحيرة طبرية [1] . وقد توقفت المباحثات إثر إنقلاب حسني الزعيم الذي تولى إبرام الهدنة على أساس أن يكون الخط الفاصل بين سورية وفلسطين الحدود السابقة وعادت الأراضي المحتلة إلى إسرائيل عدا منطقة مجردة بين الدولتين [2] .

مع بداية عام ١٩٤٩ بدأ يلوح في الأفق صراع بين السلطة المدنية والمؤسسة العسكرية ، ففي جلسة ١٧ كانون الثاني ، عندما طرحت الحكومة مناقشة القانون الأساسي للجيش الذي أعدته لجنة الدفاع ، راح النواب يضغطون على الحكومة مطالبين بوضع حدٍ للأحكام العرفية وتسلط الجيش وتعدياته على الحريات العامة ، وطالب بعضهم إقامة لجان تحقيق حول المخالفات الدستورية التي يمارسها الجيش يومياً [3] ، وانبرى النائب فيصل العسلي يُحذر من السلطة المعطاة لقائد الجيش وطالب بمحاكمة حسني

---

(١) – كتب الوزير المفوض البريطاني " كانت مشكلة فلسطين هي الأرضية التي أوصلت إلى الأحداث الداخلية السورية ، وكانت مادة العواصف المعتادة في الصحف وتظاهرات الجماهير ، وبعد عقد اتفاق الهدنة في حزيران ١٩٤٩ لم يعد لهذه القضية أهمية قصوى ، حتى أن قرارات الأمم المتحدة حول تدويل القدس قد قوبلت بلا مبالاة من شعب منشغل جداً بقضاياه الداخلية المعقدة " .

F. o / 371/82782/ , Annual Report on Syria for the year 1949 by Morgan Man , confidential No8 , Damascus , 9th January 1950 .

(٢) – راجع : صحيفة الأيام ، عدد ٢٠/٤٢٥٠ حزيران ١٩٤٩ ، ص ٢ .

(٣) – مذكرات المجلس النيابي، جلسة ١٩٤٩/١/١٧ ، مجلد ١٩٤٨– ١٩٤٩ ، ص٣٠١– ٣١١.

الزعيم بجرم الخيانة والرشوى وسوء التصرف [١] وعندما طرحت الحكومة الموازنة العامة على المناقشة قلق ضباط الجيش من النقاش الدائر في البرلمان وازداد القلق عندما أحيل بعض الضباط على التقاعد والبعض الآخر إلى المحاكمة نتيجة التحقيقات التي أجرتها اللجان البرلمانية [٢] .

تزامن ذلك مع ازدياد إحساس الجيش بتصاعد أهميته في حياة البلاد ، فراح يضغط بدوره على الحكومة والبرلمان مطالباً إلحاق قوات الأمن بالإدارة المباشرة للجيش فردّ البرلمان بإبقاء نظام الفصل القائم [٣] ، كما تقدمت القيادة العسكرية بطلب زيادة مخصصات الجيش والإسراع في التصديق على قانون الجيش الأساسي في الدورة البرلمانية الحالية ، فتجاهلت الحكومة هذه المطالب ، واحتدم النزاع بين السياسيين والعسكريين حول مسألة الكارثة الفلسطينية وراحوا يتبادلون الإتهامات وأججت الأحزاب المعارضة الخلاف القائم ، وازدادت الأزمة استفحالاً في منتصف آذار عندما توجه القوتلي والعظم لمعاينة الأسلحة والذخائر التي كانت وزارة الدفاع قد اشترتها بواسطة الشركة " الخماسية الصغرى " وتبين عند التجربة أنها غير صالحة وأن هناك أغذية فاسدة تقدم لعناصر الجيش [٤] ، طالب العظم بإجراء تحقيق ومعاقبة المسؤولين ، وراحت الصحف تتحدث عن الفضائح وعن احتمال تسريح ضباط كبار وإحالة آخرين إلى المحاكمة [٥] ، وتحرك الجيش بدوره لمواجهة الحكومة إدراكاً منه أنها تدين له وتعتمد

---

[١] – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ – ١٩٤٩ ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

[٢] – م . ن ، جلسة ١٩٤٨/١٢/٣٠ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ وجلسة ١٩٤٩/١/١٣ ، ص ٢٣٦ – ٢٥٨ وجلسة ٦ شباط ١٩٤٩ . وفي ١٦ شباط صدرت موازنة عام ١٩٤٩ ، ص ٦٠٩ – ١٠٢٥.

[٣] – تمت مناقشة قانون خدمة ضباط الجيش في جلسة ١٩٤٩/٢/١١ ، ص ٤٥٦ – ٤٧١ . وصدر القانون في ١٤ شباط ١٩٤٩ . نصه في م . ن ، ص ٤٧١ – ٤٨٠ .

[٤] – راجع : خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ١٨٢ – ١٨٣ ، وصحيفة الأيام ، مقابلة مع المقدم بهيج كلاس ، عدد ٢٥ آذار ١٩٤٩ .

[٥] – انتقد مقال في صحيفة التايمس تصرف الحكومة السورية الطائش تجاه الجيش ، وعدّ أنها حثت الجيش على حركته الإنقلابية وذلك عندما قامت وخفضت مرتبات الجيش وضحت بفريق من ضباطه وأحالت آخرين إلى المحاكم إرضاء للإحتجاجات الشعبية ضد الرشاوى ، , The Times

عليه في حكمها ، فتقدم حسني الزعيم بمذكرة جريئة إلى رئيس الجمهورية موقعة من ضباط القيادة وشاملة لكل مطالب الجيش ومشددة على سكوت الحكومة والمجلس عن الاتهامات التي ألصقها فيصل العسلي بالجيش وقيادته [١] . وفي معمعة هذه التيارات تدخلت عوامل خارجية لاستغلال الوضع القلق ، وراح عملاء العراق يشيعون أن الحكومة العراقية شرعت في حشد قواتها على الحدود وأن رسلها اندسوا بين القبائل يحرضونها على العصيان [٢] . وهيمنت أجواء من خيبة الأمل بالوزارة التي لم تنجز الإصلاح الذي وعدت به، وتقهقرت الممارسات السياسية إلى حدها الأدنى ، وهيأت الصحافة المعادية للحكومة الأجواء والأفكار لحدث داخلي يطيح بالحكم القائم ، وأصبحت سورية ثمرة ناضجة أمام مغامرة عسكرية قد تعيد لها الأمل والثقة بالمستقبل [٣] .

عندما قام الجيش في ٣٠ آذار ١٩٤٩ بحركته الإنقلابية ، بدت تلك الحركة أمام المراقب العادي أمراً طبيعياً ومحتماً لإصلاح الواقع المتردي ، وعليه لم يرتفع صوت في سورية لصالح النظام الساقط [٤] . كان ذلك نتيجة فشل القيمين على النظام البرلماني الدستوري في تمتين دعائم الديمقراطية لتحظى بتأييد الشعب واحترامه ، وهذا الفشل أدى

London , 4/4/1949

(١) – نص المذكرة واسماء الموقعين عليها في : مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص ١٨٦ – ١٨٨ .

(٢) – غسان التويني ، منطق القوة ، ص ٢٥ .

(٣) – كتب الصحفي أديب نصور قبل وقوع الإنقلاب بثلاثة أيام " إني أكتب هذه الأسطر ليعلم الناس أن تطلعات السوريين تتجه نحو الجيش ، هذا الجيش الذي أرسل إلى أرض المعركة بدون تجهيزات مناسبة ولا سلاح جيد ، وقد دافع الجنود عن العلم بشجاعة وبطولة .. إن قوة سورية غير متناسبة مع المكانة التي تشغلها بين العرب اليوم وإن واجب الدولة اعتبار الجيش مؤسسته الوطنية الأولى وأن عليها إعطاء الأولوية لحاجاته ومتطلباته .. وأن على الجيش أن يتقدم بثبات لتنفيذ رسالته الجبارة " راجع صحيفة الألف باء ، دمشق ، ٢٧ آذار ١٩٤٩ .

(٤) – راجع على سبيل المثال مقالات الصحف السورية التي تسابقت في تأييد الإنقلاب : بردى ، دمشق ، تحت عنوان : " الإنقلاب لتخليص سورية من دستور مشوه وقانون انتخاب وضعه المستعمرون " عدد ٦٨٤ ، ١٩٤٩/٤/٩ ، وصحيفة الأنباء ، " قيام الجيش بالحركة الإنقلابية ممارسة فعلية لحق من حقوق الشعب الطبيعية "، مقال خير الدين عبد الصمد ، رئيس ديوان الجامعة ، الأنباء ، دمشق ، عدد ١٠ ، ١١ نيسان ١٩٤٩ . وراجع : الأيام عدد ١٩٤٩/٤/٢/٤٢٣٢ . المنار عدد ٤٩/٤/٨/٥٤٠ ، النصر عدد ٤٩/٤/١٤/١٣١٣ .

إلى سقوط ذلك البناء الهش الذي أقامه الإفرنسيون وبسهولة فائقة أمام أول ضغط عسكري [1] .

× × ×

وهكذا انقضى الفصل الأول من تاريخ سورية المستقلة ، ومرت السنوات الأولى من حكم القادة الوطنيين مخلفة وراءها خيبة أمل عميقة من هذا الإستقلال الذي طالما حلم به السوريون وتوقعوا منه الكثير الكثير الذي لم ينجز .

لقد مُنيت محاولات الساسة السوريين في بناء دولة موحدة ومنظمة حسب مبادئ الديمقراطية البرلمانية بالفشل ، بل تفاقمت في عهدهم حدة التناقضات في بنية الحركات السياسية وتوجهاتها ، وتعمقت الثغرات بين طبقات المجتمع وفئاته المتعددة . وجاءت كارثة فلسطين لتترك جرحاً في كبرياء السوريين وشللاً سياسياً واقتصادياً معاقاً . وانفتح بذلك الباب أمام المؤسسة العسكرية للإمساك بالحكم . وتحددت منذ الإنقلاب الأول ملامح مستقبل التاريخ السوري : أزمات سياسية اجتماعية اقتصادية متتالية تبدلات متكررة وسريعة في النظام السياسي . ومع كل تبدل كان ينبثق أمل جديد في إخراج البلاد من عثراتها وإعادة الثقة للشعب بمستقبل بلاده .

---

(1) - Alford Carleton, "the Syrian coups d'Etat of 1949" , in the Middle-East Journal , vol4 , January 1950 , p.1 - 11 , p.2 - 3 .

القسم الثاني

سوريّة بين عامي ١٩٤٩ - ١٩٥٤

التحوّلات المتسارعة في النّظام والمجتمع والاقتصاد

الفصـــــل الأول

=============

الإنقلابات العسكرية التي هزت سورية عام ١٩٤٩

تمهيـــــد :

ترجع إنطلاقة التغييرات السياسية العنيفة التـي رسـمت ملامـح التـاريخ السـوري المعاصر إلى ذلك الزمن الذي افتتح فيه الجيش أول إنقلاب في العالم العربي بعد الحـرب الفلسطينية [١] . وترتبت عليه سلسلة من الأحداث العاصفة حولت مجرى التاريخ ليس في سورية فحسب بل في أجزاء أخرى من العالم العربي أيضاً .

لقد استعرضنا سابقاً العوامل التي مهدت لموجة الإنقلابات فـي سـورية وهـي : ضعف المؤسسات البرلمانية ، تدهور شـرعية النظـام ، تشـتت الحركـة الحزبيـة ، انهيـار الثقة الشعبية في الحكومة ، والتدخلات العربية في الحياة السياسية السورية والتناقض فـي موقـف السوريين تجاهها ، من دون استبعاد مؤامرات وكالات الإستخبارات الغربيـة التـي نشطـت فـي وضـع الخطـط لصيانة مصالح دولها [٢] .

كـان المدخـل المباشر لأول إنقـلاب عسـكري المـرارة الناجمـة عـن الهزيمـة الفلسـطينية والتـي مهـدت لأزمـة داخليـة تضـى حلهـا إقحـام السلطة للجيش فـي الميـدان السياسي وبالتـالي بـرز دوره الوطنـي علـى الصعيـد الشـعبي كمخلـص قـادر علـى إعـادة الإستقرار والعظمة للبلاد ، "وأحس قادة الإنقلاب أن أمامهم واجباً فرضته الظروف لإنقـاذ البلاد من حكم فاسد ومن مفهوم أبدية السلطة " [٣] .

---

[١] - أول إنقلاب عسكري قام به بكر صدقي في العراق عام ١٩٣٦ . " وهو لم يغير شكلاالنظام القائم في العـراق وانحصـرت أهميتـه فـي مؤشـراته المسـتقبلية . راجـع : فـاضل البـراك ، دورالجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١ . بغداد (١٩٧٩) . ص ١٥٤ .

[٢] - BenJamin Shwadran , the Middle-East , Oil and the great powers, New York 1955, p.332 - 334 .

[٣] - F. o /371/82782/ Annual report for the year 1949 by Morgan Man, January 13, 1951, p.B2, cf, M, Janowitz, Armed forces and society in : Von Doorn ed , "The

هلّل السوريون عندما أطاح الجيشُ بالسلطة القائمة ، وهذا ما ضمن للحكم العسكري قدراً من الشعبية التي منحته شرعية السلطة [١] ، وكان على النظام العسكري كي يبقى ويستمر بناء شرعية دستورية وتنمية المؤسسات المدنية والارتباط بقضايا الشعب ، وهذا لم يحدث قط ، فقد قوض القادة العسكريون أسس الدولة أكثر مما فعل السياسيون المدنيون ، ولم تحصل البلاد على الاستقرار المنشود بل بدأ مسلسل الإنقلابات ولم ينته فصولاً [٢] ، ومهما كانت الفروق بين انقلاب وآخر في الشكل أو في المنهاج أو في القوى التي كانت وراءه ، فقد لاقى رضى الشعب السوري وترحيبه هذا الشعب الذي صفق لثورة لم يكن صانعها ولا لعب دوره فيها وفقد بالتالي حقه في محاكمة القادة وكان عليه أن يُعبر دائماً عن فرحته في كل تغيير وهذا ما فعله .

خلّف تسيس الجيش السوري نتائج بارزة داخل المؤسسة العسكرية ، فقد أدى إلى تعدد الولاءات بسبب التبدلات السريعة في القيادة ، كما أضعف جدارة الجيش وجعل إنجازاته في المعارك ضئيلة الأهمية [٣] .

وقد دفعت سورية ثمن الإصلاحات التي أنجزت في ظل النظام العسكري باهظاً وكان بالإمكان أن تتحقق بفعل الزمن ، لقد كان الثمن نهاية الديمقراطية وحق الشعب في أن يكون حراً وسيد نفسه .

منذ الإنقلاب الأول راح القادة العسكريون يتحكمون في سورية مباشرة أو من وراء الستار ، وراحوا يرتفعون ويسقطون في حركة تعاقب وتوالٍ سريعين مثل الألعاب النارية في عيدٍ شعبي ، كل ضابط ارتفع إلى السلطة شعّ نوره فترة بفعل المنهاج الذي

Military profession and Military regimes" (the Hague , Monton 1969), p.16 .

(١) – راجع مقال غسان التويني ، النهار ، بيروت ، ٣ نيسان ١٩٤٩ ، ومقال خير الدين عبد الصمد في صحيفة الأبناء ، دمشق ، عدد ١١ نيسان ١٩٤٩ .

(٢) – S. Finer , the Man on horse back , the Role of the military politics, New York (1962), p.440 .

(٣) – كتب السفير البريطاني في دمشق في تقريره السنوي عن سورية عام ١٩٥٤ " إن الجيش السوري قد فقد الكثير من تجانسه بسبب التغييرات السريعة في النظام ، وقد انتقلت الدسائس السياسية إلى فئات الضباط ، كما ظهرت في الجيش روح الفرقة "esprit du corp" مما أدى إلى فقدان الجيش فعاليته القتالية .

F.o / 371/ 115942/ Confidential No19, feb 4 / 1955, p.B - 1 .

طرحه ولونه بألوان استدعت تصفيق الجماهير ثم هبط وانطفأ لينهض آخر ، كلهم جاؤوا سريعاً ورحلوا سريعاً ، وكل واحد كان سيد سورية مدة من الزمن : الزعيم ، الحناوي ، الشيشكلي ، السراج، النحلاوي ، الحريري الخ [١] .

في هذا الفصل سنستعرض الأحداث التي شهدتها الساحة السياسية السورية خلال تسعة أشهر من عام ١٩٤٩ أولها الإنقلاب الذي أطاح بالنظام القديم والثاني هو المحاولة الفاشلة لإقامة نظام يشبه بخطوطه العريضة النظام الأتاتوركي [٢]والحدث الثالث هو دخول الجيش مسرح السياسة وقلب النظام الجديد ، والحدث الرابع تجدد مشاريع الإتحاد بين سورية والعراق والتي تمَّ بترُها نهاية العام بانقلاب ثالث أعاد لسورية دستورية تشبه دستورية الماضي ولا تبشر مثلها بالاستمرارية والنمو ، لأن مفتاح بقائها كان الجيش هو الذي يمسك به بإحكام .

أ - حكم حسني الزعيم (٣٠ آذار - ١٤ آب ١٩٤٩)

رسم الزعيم بداية الطريق نحو المستقبل ، فمن هو هذا الرجل الذي هزّ سورية بعد حكم دام ١٣٧ يوماً .

ولد الزعيم في حلب عام ١٨٩٤ من أصول كردية وشركسية ، تلقى علومه العسكرية في تركيا وتقلّد رتبة ملازم ثان في الجيش العثماني ، عُين عام ١٩١٧ في حامية المدينة المنورة وأمضى نهاية الحرب العالمية الأولى في معتقل بريطاني في مصر. التحق عام ١٩٢٠ بالجيش الإفرنسي ورُقي نهاية عام ١٩٤١ إلى رتبة مقدم وحارب قوات الحلفاء تحت إمرة ممثلي حكومة فيشي في سورية التي عهدت إليه مهمة تنظيم نشاطات العصابات ضد جيوش الحلفاء ، وقد إختلس الزعيم مبلغاً من الأموال التي رُصدت لهذه المهمة ، ثم أُلقي القبض عليه من قبل قوات فرنسا الحرة وحكم عليه بالسجن

---

(١) - - E. Be'eri . Army officers , p.56 - 57 .

(٢) - للتوسع حول تأثر العسكريين السوريين بنظام مصطفى أتاتورك راجع :
G. Ben-Dor . Civilization of military regimes in the Arab world , in "Army forces and sociology" , vol I, No3 (1975) p.324- 310 - 324 .

عشر سنوات ، وبعد عامين وربع أُطلق سراحه شرط إقامته في لبنان ثم سمح له بالعودة إلى سورية والتحق عام ١٩٤٦ بالجيش السوري وعُين رئيساً للمحكمة العسكرية في دير الزور وفي عام ١٩٤٧ عُين مديراً عاماً للشرطة ثم في عام ١٩٤٨ قائداً للجيش ورُقي إلى رتبة زعيم [١] .

كان حسني الزعيم قصير القامة سميناً، قليل الذكاء،جندياً شجاعاً ضئيل المواهب في رسم الخطوط العسكرية،طموحاً متهوراً ومندفعاً،لا تخلو شخصيته من الطرافة والفردية [٢] .

في ٢٤ آذار قرر الزعيم ضرب ضربته في الوقت الذي بلغ فيه تذمر الجيش من الحكومة أقصاه ، وكان لدى الزعيم أسباب شخصية دفعته إلى العمل فقد كان على وشك أن يُعزل من منصبه ولاقى تشجيعاً من بعض أقطاب المعارضة مثل أكرم الحوراني وسامي كبارة [٣] . وقد خطط كبار القادة للانقلاب ونفذ بسرعة وكان ٩٢٪ من الضباط مؤيدين للحركة . وتمت العمليات الحربية على أيدي أديب الشيشكلي ، محمود شوكت ، محمود بنيان ، محمد ناصر ، بهيج كلاس ، سامي الحناوي ، إبراهيم الحسيني ، بديع بشور ، فيضي الأتاسي ، ولعبت الفرقة الشركسية الدور الرائد في العملية العسكرية ، ففي الساعة الثانية والنصف صباح الأربعاء ٣٠ آذار أحاطت وحدات الجيش مدينة دمشق ثم

---

(١) – كرد علي ، مذكرات ، ج٣ ، ص ٩٠٥٥ ، بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ١ – ٢ . كتاب من هو في سورية عام ١٩٤٩ ، ص ١٩٢ . نذير فنصه ، أيام حسني الزعيم ، ١٣٧ يوماً هزت سورية ، دمشق ١٩٩٣ ، ص ١٠ – ٨ ، ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) – F. o / 371/ 82782/ Annual report on Syria 1949 by Morgan Man, January 13, 1950, p.1 - B .

(٣) – حول دور الحوراني في الإنقلاب راجع : أحمد النيل ، سورية الجديدة في الإنقلابين الأول والثاني ، دمشق ١٩٤٩ ، ص ٣٣ . فضل الله أبو منصور ، أعاصير دمشق ، دمشق ١٩٥٠ ، ص٤٧ ، نذير فنصه ، ايام حسني الزعيم ، ص٣٠ ، ٣٨ . ومن الجدير ذكره أن خالد العظم قد اتهم فارس الخوري بتشجيع الزعيم على القيام بحركاته وأنه قال لـه " لماذا لا تستلم الأمور بنفسك ، تول الأمر كله ، ودع القوتلي جانباً فإنه غير محبوب والأمة تسيرُ وراءك .. راجع : مذكراته ، ج١ ، ص١٩٨ – ١٩٩ .

احتلت الأبنية العامة والنقاط الإستراتيجية وألقي القبض على القوتلي والعظم وبعض الشخصيات السياسية [1] وكان الإنقلاب فريداً في نوعه فقد تم في أقصر مدة وبأسلم طريقة . ولم تقم فتنة ولم تهرق قطرة دم [2] .

في الساعة السابعة صباحاً بثت الإذاعة السورية البلاغ رقم واحد الصادر عن القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة : " مدفوعين بقيمنا الوطنية ومتألمين عما آل إليه وضع البلاد من جراء افتراءات وتعسف من يدَّعون أنهم حكامنا المخلصون لجأنا مضطرين إلى تسلم زمام الحكم مؤقتاً في البلاد .. وسنقوم بكل ما يترتب علينا نحو وطننا العزيز غير طامحين إلى استيلام الحكم بل تهيئة حكم ديمقراطي صحيح يحلُ محلّ الحكم الحالي المزيف .. " وتتالت البلاغات تهدد بإعدام من يحمل السلاح وتفرض منع التجوال . وعند الظهر عقد الزعيم مؤتمراً صحفياً شرح فيه أهداف حركته ووعد بتشكيل حكومة جديدة من مدنيين وضباط وأكد أن الوضع الحالي مؤقت وقال " نحن لم نتوخ القيام بانقلاب ديكتاتوري " [3] .

---

(1) – تمَّ اعتقال العقيد محمود الهندي مدير الشرطة والأمن العام ، النائب فيصل العسلي ، فؤاد الشايب مدير الإذاعة لأنه رفض إذاعة البلاغ العسكري الأول ، وجيه الحنار صحفي وصاحب صحيفة الإنشاء لأنه كان قد كتب مقالاً انتقد فيه الزعيم عندما كان مديراً للشرطة ، وأحمد اللحام أمين عام وزارة الدفاع . راجع : بشير العوف ، الإنقلاب السوري، ص٢٢ – ٢٣ .

(2) – م . ن . مقدمة كتبها صبري القباني ، ص ٣ .

(3) – اتخذ الزعيم من مديرية الشرطة مقراً مؤقتاً وكان برفقته أكرم الحوراني منهمكاً في إعداد البلاغات والبيانات راجع : نفسه ، أيام حسني الزعيم ، ص ٣٠ . وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده في اليوم الأول للإنقلاب وحضره عدد من الصحفيين العرب والأجانب تحدث الزعيم عن دوافع الإنقلاب وأكد أن حركته محلية لاعلاقة لأي طرف أجنبي بها وقال : " نحن قوميون عرب ، كل حكومة أجنبية ، عربية كانت أم غير عربية ، تحاول التعدي على حدودنا سنقاومها بكل قوانا " . راجع: صحيفة الأنباء ، دمشق ، عدد ٣ / ١ نيسان ١٩٤٩ .

- النظـــام الجـــديد :

ربما لم يكن الإنقلاب يرمي إلى إعلان نظام ديكتاتوري صريـح وقد مرَّ تطـور واضح بين المرحلة الأولى التي أعلن فيها الزعيم أنه قلب الحكم باسم الشعب وأنه سيسـلم السلطة إلى الحكومة التي يختارها الشعب ، والمرحلـة التـي كشـف فيهـا عـن ديكتاتوريـة غـير متحفظـة ، ثلاثـة أيـام فقـط فصلـت بيـن الطوريـن . منـذ اليـوم الأول عقـد الزعيـم مشاورات مع كبار السياسيين مثل الأمير عادل ارسلان ، ناظم القدسـي ، سـامي كبـارة ، معروف الدواليبي ، أحمد قنبر وزكـي الخطيـب ، واسـتقر الـرأي علـى الاتصـال بفـارس الخوري رئيس مجلس النواب لإجراء الاستشارات لتشكيل حكومة دستورية ، وفـي اليـوم الثاني للإنقلاب ، عقد مجلس النواب جلسة إستثنائية في فندق أوريان بالاس بسبب احتلال الفرق العسكرية لمبنى البرلمان ، وقد صوت في الجلسة أكثر من ٧٠ نائباً لصالح الوضـع الجديـد ، ثـم قـرر مجلـس النـواب تـأليف لجنـة ضمـت فـارس الخـوري وعـادل ارسـلان ومصطفى برمدا للتباحث مع الزعيم والخروج من المأزق بحل دستوري [١] .

ولما فشل الزعيم في التوصل إلى تفـاهم مـع السياسـيين أصـدر فـي ١٩٤٩/٤/٢ مرسوماً بحل المجلس وتعطيل الدسـتور [٢] ثـم مرسوماً اشتراعيـاً نصـب فيـه نفسـه رئيسـاً للدولة وحصر السلطة التشريعية والتنفيذيـة فـي يـده وتـرك للأمنـاء العـامين إدارة شـؤون وزاراتهم [٣] ، وفي ٤ نيسان وجَّه رسـالة إلـى الأمـة والجيـش أعلـن فيهـا أن الجيـش قـام بانقلابه لإنهاء عهد الفساد وإقامة نظام تقدمي يوطد العدالـة الإجتماعيـة ويعيـد النظـر فـي توزيع الأرض ومكافحة البؤس والقضاء على البطالة ورفع مستوى العمال واحترام سيادة

---

(١) – لمزيد من التفاصيل حول هذه المباحثات راجع : بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص٣٣ – ٤١ . أيضاً راجع : صحيفة الأنباء ، عدد ٢٩ تاريخ ٤ نيسان ١٩٤٩ .

(٢) – نص المرسوم رقم ٢ في : الجريدة الرسمية ، ج١، عام ١٩٤٩ ، ص ٧٦٤ .

(٣) – نص المرسوم في الجريدة الرسمية، ج١ ، عام ١٩٤٩ ، ص٧٦٥ . وقد تضمـن : " تنصيب حسني الزعيم رئيسا للدولة وتولية فؤاد شباط أمانة وزارة الداخلية بالوكالة وحسن جبارة (بعد أن أطلق سراحه) مستشاراً للماليـة والإقتصـاد وإبراهيم اسطواني وكالـة وزارة الخارجيـة وأنـور حـاتم رئاسـة مجلس الوزراء بالوكالة " . راجع : بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص١١١ – ١١٢ .

لبنان واستقلاله ورفع مكانة سورية في العالم الخارجي . ثم هاجم الشيوعيين قائلاً " لقد عزمت على أن أضرب هؤلاء المجرمين من دعاة الشيوعية الهدّامة وغيرها من المذاهب الغريبة عن تراثنا ..... إننا قوميون عرب وسنحاول الحفاظ على أمجادنا العربية وتقاليدنا القومية " [١] .

افتتح الزعيم نظامه بربط الدرك والأمن العام بالجيش بدلاً من وزارة الداخلية وقد أثار هذا الموضوع نزاعاً بين السياسيين والجيش في الأنظمة التي تعاقبت فيما بعد على سورية . كما أصدر سلسلة من التعيينات جعل بموجبها أديب الشيشكلي مديراً للشرطة والأمن العام وحسني البرازي نائب الحاكم العسكري في الشمال وخليل رفعت في نفس المنصب بدمشق وإبراهيم الحسيني رئيساً للشرطة العسكرية وبديع بشور رئيساً للمكتب الثاني [٢] . ثم أنشأ بموجب المرسوم رقم ٨ لجنة للتحقيق بأخطاء العهد الماضي [٣] .

هللّ السوريون لمن حررهم ممن كانوا بالأمس القريب الأبطال المحررين ، وانطلقت تظاهرات التأييد في كل المحافظات ، وتتالت برقيات التهنئة من كل أطراف البلاد ، وحظي الإنقلاب بدعم كبار السياسيين مثل : هاشم الأتاسي وفارس الخوري وسلطان باشا الأطرش [٤] وكان حزب البعث أول الأحزاب التي أيدت الإنقلاب ورأى فيه

---

[١] – نص الرسالة في ، صحيفة الأنباء ، دمشق ، عدد ٩ / ٤ نيسان ١٩٤٩ .

[٢] – المعلومات من : مقابلة مع بديع بشور ، صافيتا ، ٩٠/١٢/٦ ، وراجع : أحمد عيسى الفيل ، سورية الجديدة ، ص ٤٥ . وهزيمة طاغية ، مكتب أنباء سورية ، دمشق ١٩٥٤ ، ص ٥ – ٦ .

[٣] – تشكلت اللجنة في ٦ نيسان وضمت خليل رفعت رئيساً بعضوية رزق الله إنطاكي وعزيز عبد الكريم وأكرم الحوراني وعبد الوهاب الطيب ، راجع : صحيفة الأنباء ، عدد ١٥ ، تاريخ ١٩٤٩/٤/١٤ ، وراجع : بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ١٤٦ .

[٤] – قال الأتاسي : " إني أؤيد هذا الإنقلاب تأييداً مطلقاً ، إنه أمر لا مفر منه لأن القيمين على الحكم قد اشتطوا واندفعوا في الشطط " راجع : العوف ، الإنقلاب السوري ، ص١٦١ . وكان لفارس الخوري عدة تصريحات مناصرة لحركة الزعيم ، راجع : التريني ، منطق القوة ، ص ٣٥ – ٣٦. وكان زعيم الدروز أول من بعث ببرقية تعلن مناصرة الدروز للحركة : صحيفة ألف باء ، دمشق، عدد ٢ ، نيسان ١٩٤٩ .

بيان هذا الحزب " نقطة انطلاق جوهرية نحو الحياة الحرة المنتجة والقوية " وكذلك فعل الحزب الوطنـي ، ومن ثم ، وبعد تردد، أعلنت الصحيفة الناطقـة إسم حزب الشعب أن "صفحة الزعيم ستكون بارزة في سجل المستقبل " [١] .

شهد عهدُ الزعيم استتباباً للأمن في جميع أرجاء سورية ، فقد فرض هيبـة القانون وجعل السوريين يحسون أنهم أمام بداية عصر جديد سيحقق آمالهم وتطلعاتهم [٢]، ومن حسن الصدف أنه استلم الحكم في سنة خيّرة أتاحت له تخفيض أسعار الخبز بشكل بارز وقد جرَّ المحتكرين لهذه المادة إلى الأماكن العامة حيث تلقوا عقابهم علناً ، كما أنشأ ديواناً للمظالم لسماع شكاوى الناس حول عمل موظفي الحكومة [٣] .

في ١٦ نيسان شكّل الزعيم وزارة شغل فيها حقيبتي الداخلية والدفاع ومن ثم بدأت الدول العربية تعترف بالتدريج بالنظام الجديد [٤] .

---

(١) – صحيفة الشعب ، دمشق ، عدد ٣٥ ، ١٩٤٩/٤/١٥ . وصحيفة الشباب ، حلب ، عدد ٢٠ نيسان ١٩٤٩ .

(٢) – عيّن الزعيم محافظين جدد ومنحوا صلاحيات عسكرية ومدنية ، ووصلوا إلى مراكز المحافظات بطائرات عسكرية واستقبلوا باستعراض عسكري مع مرافقة من قبل قوات الشرطة على الدرجات النارية وقد زها الشعب بهذه الإجراءات ورأى فيها برهاناً على بداية جديدة ، راجع :
Alford Carleton , "The Syrian coup d'Etat of 1949" Middle-East Journal , vol 4, No1 January 1950, p.5 .

(٣) – رغبة من الزعيم في إشاعة مناخ الهيبة بين الناس نفذ حكم الإعدام في ١٤ محكوماً من مجرمي الحق العام منذ عهد القوتلي الذي كان متردداً في تنفيذ العقوبة ، وللصدف كانت الأحكام صادرة في عدة محافظات وعليه نال سكان كل محافظة حصتهم من التخويف بعد أن شاهدوا عملية التنفيذ في مراكز محافظاتهم . فتح الله مخائيل الصقال ، من مذكرات حكومة الزعيم ، القاهرة ،١٩٥٢، ص ٧٠ – ٧٢ .

(٤) – الأمير عادل أرسلان نائب رئيس ووزير الخارجية ، فيضي الأتاسي المعارف والصحة والشؤون الاجتماعية ، أسعد كوراني العدلية ، فتح الله الصقال الاقتصاد . وقد استقال الاتاسي بعد ثلاثة أيام ورد الزعيم على موقف حزب الشعب المعارض بسجن رشدي الكيخيا وناظم القدسي وفيضي الاتاسي . راجع : الصقال ، من مذكرات ... ص ٨٩ . ثم أجرى الزعيم تعديلات على الوزارة فعهد إلى خليل مردم بوزارة التعليم وإلى الصقال بالأشغال العامة وحسن جبارة بوزارة المالية : راجع صحيفة ألف باء ، دمشق ، عدد ٢٠ نيسان ١٩٤٩ ، والحياة ، بيروت ، ٢٠ نيسان ١٩٤٩ .

حـدد الزعيـم سياسـة حكومته القائمـة علـى دعـم الإسـتقلال والحريـة التامـة ، ورحب بالتعـاون الوثيـق مع الـدول العربية ، وأعلن عن إصلاحـات علـى النمـوذج القـائم فـي الجمهوريــة التركيــة ، وافتتــح ظاهــرة تركـت بصماتهـا علـى المراحـل اللاحقـة وهي، أن كل تغيير على كافة الأصعدة والمستويات يمكـن أن يفـرض بـالقوة ، وأن ذلـك الأسلوب يلاقي استحسان كافة أفراد الشعب . والآن ها هي أهـم منجـزات عصـر حسـني الزعيم :

حقق حكمه القصير سلسلة من التغييرات الجديـرة بالاعتبـار ، فقـد حـاول بشـكل عفـوي – دون تخطـيط أو دراسـة – تحديـث سـورية بجملـة مـن المراسيم والقـرارات ، وانقضَّ بجسـارة بلغت حدَّ التهور على التقاليد الإسلامية مثل : إلغاء اللباس القديـم ، رفـع الحجاب عن المرأة . إلغاء ألقاب الباشا والبيك .. مثل هذه التوجهات ، وإن لم تلاقِ قبـولاً سريعاً ، إلاّ أنه وُجد في سورية قطاعٌ كبيرٌ كانت لديه قناعة بأنه يجـب أن تتحـرك البـلاد في هذا الإتجاه [١] .

وما هو أكثر عمقاً وجديَّة مـن تلك المظـاهر خطـة الإصـلاح الاجتمـاعي التـي افتتحها الزعيم ، فهو أول من منح النساء المتعلمات حق الاقـتراع ، وبذلـك جعـل سـورية أول دولـة عربية تعترف بحـق النسـاء فـي المشـاركة فـي الشـؤون السياسية ، وقـد خطـا الزعيم خطوة في طريق فصل الدين عن الدولة [٢] ، وذلـك عندمـا رأت النـور فـي عهـده مجموعـة مـن القوانين الجديدة المصاغـة علـى النسـق المصـري والتـي بقيـت مـن أهـم المساهمات التي خلقها هذا الحكم في الحياة السياسية السورية .

أصدر الزعيم قانوناً مدنياً اعتمد على النموذج الغربـي وأسس الشريعة الإسلامية، وقد قلص القانون سلطة رجال الدين وتلا التصديق عليه إلغاء الأوقاف الذرية وبذلك أزيل

---

(١) – A. Carleton , the Syrian .. , p. 5 ,6 ,7. cf. F.O / 371/ 82782 / Annual Report on Syria 1949 by Morgan Man 13/1/1950, p.A-1, B1 .

(٢) – راجع : الصقال ، من مذكرات حكومة الزعيم ، ص ٧٥ – ٨١ ، ١٤٥ . وقد أشار الصقال أن الزعيم وضع خطة لإلغاء الطائفية عن الهوية ، ولم يعط الفرصة لتنفيذ خطته ، ص١٥١ .

عائق أمام الإصلاح الزراعي . كما صدر في هذا العهد قانون التجارة والقانون الجزائي [١] . وبقيت هذه القوانين سارية المفعول حتى يومنا هذا .

اتخذ الزعيم التحضيرات لصياغة دستور جديد يمكن من خلاله وضع مبادئ الديمقراطية موضع التنفيذ ولم يتم الإعلان عنه بعد اكتماله بسبب الإطاحة بالزعيم ، ومع ذلك وجدت بعض خطوطه العريضة في دستور ١٩٥٠ [٢] ، وعلينا ألا نهمل مساهمة هذا الحكم في مضمار إعادة بناء الجامعة السورية على أسس حديثة وذلك على يد المؤرخ قسطنطين زريق [٣] . أما على الصعيد الإقتصادي وضع الزعيم دراسة لإصلاح زراعي واقترح تحديد ملكية الأرض وتوزيع الأراضي على الفلاحين غير المالكين وأقام لجنة خاصة لدراسة كيفية التوزيع .

وأعلن النظام الجديد تعهده إنجاز العديد من مشاريع التنمية التي تمَّ البحث فيها في العهد السابق مثل مرفأ اللاذقية ، مشروع جر مياه الفرات إلى حلب ، بناء سكة حديد عبر الصحراء السورية . وضع نظام ضريبي عادل يقوم على أساس الضريبة التصاعدية، الشروع بإقامة عدد من المدارس والمشافي وشق الطرق العامة .. وغيرها من المشاريع التي لم تنفذ ، وقد قال الزعيم قبل مصرعه " امنحوني خمس سنوات وسأجعل سورية مزدهرة ومتنورة مثل سويسرا " [٤] .

وبقي أهم ما أنجزه من وجهة النظر الإقتصادية تصديقه على الإتفاقية مع شركة التابلاين الأمريكية لمنحها امتياز إنشاء أنبوب النفط من السعودية إلى مرفأ صيدا في لبنان [٥] والإتفاقية مع الشركة البريطانية "Middle-East pipelines" لمد أنابيب

---

(١) – صدر قانون العقوبات السوري بموجب المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ٢٢ حزيران ١٩٤٩ وطبّق اعتباراً من الأول من أيلول في نفس العام ، وذكر في مقدمته " أنه يستمد أصوله من روح القانون اللبناني ومن أكثر نصوصه وذلك يعود إلى ما يمتاز من الإتقان في الوضع والصياغة والترتيب وإلى ما بين سورية ولبنان من الصلات الاقتصادية والاجتماعية المشتركة " . راجع : النشرة الصادرة عن مكتبة النوري – دمشق ، ص هـ – و .

(٢) – - Majid Khadduri . "Constitutional development in Syria .. . p150 -151 .

(٣) – راجع : الصقال ، من مذكرات حكومة الزعيم ، ص ١٥٦ .

(٤) – م . ن ، ص ١٥١ .

(٥) – - F.o /371/82844/ "Oil pipelines in Syria" Report by A.M. Wiliams , 15 March

النفط من عبدان والكويت حتى طرطوس وإنشاء مصفاة في طرطوس لتكرير النفط [1] .
تلك هي الإتفاقيات التي اعترضت عليها الأجنحة الاشتراكية في السابق وقد مرت دون اعتراض يذكر بسبب طبيعة النظام والتأييد الواسع الذي رافق انطلاقته .

لقد حال انشغال الزعيم في تدعيم الجيش السوري وتقويته دون تنفيذ مشاريعه الإقتصادية التي تم تحضيرها والإعلان عنها بتألق وعظمة .

كانت لدى الزعيم خطط عظيمة لإقامة قوة عسكرية من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ألف خلال خمس سنوات ، واتسمت أفكاره بالمبالغة بشكل أعاق تنفيذها مع أنه كان شديد التوق إلى إنجاز آخر بند من مشاريعه الطموحة ، وقد استطاع إحداث تحسينات ملموسة في قدرة الجيش وتجهيزاته [2] .

" أراد ديكتاتور سورية تحديث البلاد بنفس أساليب أتاتورك ، وما إن أصبح سيد البلاد حتى أصبح مشروعه الأهم بناء جيش قوي وفعال " [3] ، وفي سبيل هذه الغاية استخدم أموال الأوقاف المصادرة وإيرادات شركات النفط ورفع الضرائب ، وحوّل مخصصات الوزارات الأخرى وخاصة وزارة الأشغال العامة لصالح وزارة الدفاع ، وفرض ضرائب جديدة على الدخل والمؤسسات التجارية ، ثم التفت طالباً المساعدات

1950, cf. B. Shwadran , the Middle-East. . , p.332-334 .

(١) – طالب الزعيم بمساعدات مالية وعسكرية من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة قبل التوقيع على الإتفاقيتين وأكّد في لقائه مع الوزير المفوض البريطاني أن مشاريع شركة "Middle-East Pipelines" (الشركة الإنكليزية – الإيرانية سابقاً) ذات أولوية تفوق مشاريع التابلاين بالنسبة لسورية . حول تفاصيل هذه القضية راجع الوثائق التالية :

- F.o /371/75561/ Top secret No 189 . 14 May 1949 , and /75560/top secret No 237, 16 May 1949 .

وقد تم إبرام صفقة الأسلحة في ٢١ حزيران ووزعت نسخ عن الإتفاقيتين على الدبلوماسيين . راجع:
F.o /371/75560/ Doc No 220 / 21 June 1949 .

(٢) – -F. o/371/87871/ "Report of the Syrian armed forces for 1949" top secret to War office. p.1-4

(٣) – - F.o/371/75560/secret Report/ No 6 /11 June 1949 From J.E. Chadwick to war office.

من أصدقائه الإفرنسيين والأمريكان ثم من البريطانيين على الرغم من المخاوف التي اجتاحته لكونهم يعملون سراً لصالح الهلال الخصيب [١] .

وعد الزعيم الأمريكان بالقيام بخطوة إيجابية تجاه إسرائيل ، واتفق معهم على التخلي عن المناطق التي احتلها السوريون والتي أصبحت بموجب إتفاقية الهدنة مناطق مجردة من السلاح [٢] وأعلن عن ترحيبه بالانضمام إلى حلف عسكري شرق أوسطي أو متوسطي لمواجهة المخططات الشيوعية . ورحب بخطة مارشال ومساعدات النقطة الرابعة [٣] ، وبالمقابل قدمت واشنطن للزعيم الأموال والقروض مباشرة أو عن طريق السعودية واستخدمها لتعزيز الجيش وتحسين تسليحه وتدريبه . وجاهر من دون تحفظ بصداقته للإفرنسيين مما دفع إلى الإعتقاد أن فرنسا كانت وراء حركته وأن الزعيم ليس أكثر من أداة لتنفيذ المصالح الإفرنسية [٤] . ولما كانت معظم أسلحة الجيش فرنسية الصنع فقد أرسل الزعيم البعثات إلى فرنسا لشراء الأسلحة التي قدمها الإفرنسيون دون اعتراض ، وقد عقدت حكومة باريس إتفاقاً مالياً عسكرياً مع السوريين

---

(١) - F.O/371/ secret Report/ No 18 / 21 May 1949, From lt-Colonel V.D.O, Harmor military attache to war office .

(٢) - M. Copeland . the Game of Nations .. , p.42 .

عقدت مباحثات الهدنة في منطقة فاصلة بين الحدود السورية والإسرائيلية وقد ضمّ الوفد السوري المفاوض ، فوزي سلو ، عفيف البزري ، محمد علي ناصر . وتم التوقيع على إتفاقية الهدنة بعد أربعة أشهر من المفاوضات . راجع : الأيام ، دمشق ، عدد ٤٢٥٧ ، ٢٠ تموز ١٩٤٩ . وقد عادت الحياة إلى المناطق المجردة بموجب المادة الخامسة من الإتفاقية وهي غير خاضعة لسلطة الطرفين فالقرى المحلية السورية تدار بإدارة سورية والإسرائيلية بإدارة إسرائيلية تحت إشراف الأمم المتحدة للتوسع راجع : G. Kirk , the Middle-East , p.300 .

(٣) - هذا ما أعلنه الزعيم في المقابلة التي جرت بينه والوزير المفوض البريطاني في ١٢ أيار راجع : F. o/ 371/75560/ secret / No 237 , 18 May 1949 .

(٤) - حول هذه النقطة راجع :

A. Carleton , the Syrian .. . p. 8 .

وراجع المقابلة التي أجراها مراسل صحيفة الحياة مع الأمير عادل ارسلان . الحياة ، بيروت، عدد ٢٠ آب ١٩٤٩ .

لتنظيم المدفعية واللوية المدرعة وتقديم القروض لشراء الذخيرة والمعدات [١] . ولما كان الزعيم يريد السلاح بأي ثمن فقد اتجه إلى البريطانيين ، لتمويل صفقة من الأسلحة الإنكليزية والأمريكية . وعلل إصراره على تقوية جيشه قائلاً " إنه ضروري لحفظ الأمن ولعزل السياسيين الفاسدين وقمع الشيوعية وحماية سورية من الإتحاد السوفياتي .. وأنه ليس لديه أية نوايا عدائية تجاه كل جيرانه وهو بالمقابل لم يقم بانقلابه ليقدم سورية إلى الملك عبد الله وأن هدفه الأسمى هو أن يرى بلاده قوية متطورة ومستقلة بحكومة ثابتة وقادرة على فرض وجودها في الشرق الأوسط " ثم قال " إن من مصلحة الحلف الانكلو – ساكسوني دعمه ، فسورية تشكل مؤخرة أساسية للدفاع عن الشرق الأوسط تماماً كما هي تركيا منطقة دفاع أمامية " [٢] ، ثم أرسل الزعيم قائمة مفصلة بالأسلحة والتجهيزات التي يحتاجها [٣] . هذا وقد فند الملحق العسكري البريطاني في تقريره إلى وزارة الحرب أسباب إلحاح الزعيم في طلب السلاح : " ومع أنه ضد السوفيات فإن هذا السبب واهٍ ، كما أن القول أنه في صدد التحضر لدحر اليهود فهذا أمر لا أظن أن الزعيم ينوي القيام به أو حتى التفكير فيه . وعلى ما أظن فإنه يسعى إلى جعل سورية آمنة من جيرانها الهاشميين وعندما تصل إلى قوتها المطلوبة سوف تتصدر لزعامة العالم العربي " [٤] .

ترددت لندن في تلبية مطالب الزعيم خشية أن يؤدي ذلك إلى نتائج سيئة على علاقاتها مع العراق [٥] ، وقد دفع هذا التردد الزعيم نحو تقديم تنازلات ووعود ضخمة للبريطانيين وقد قال لهم بوضوح " ساعدونا أولاً حتى نوقع على إتفاقية ال "P.L.M.E" ثم عرض مشاركة بريطانيا في بناء مطارات عسكرية وطرق وقدم إقتراحات لإقامة

---

(١) – حول صفقات الأسلحة مع فرنسا ، والقرض الذي قدمته لسورية بمبلغ ٥ م جنيه = ٥٠ مليون ل.س، بعد إبرام الإتفاقية المالية راجع :
F. o / 37175560 / Document / No 60 / 23 May 1949 .

(٢) – F. o / 371/ 75561/ Mes / secret/ No 189 , 14 May 1949.

(٣) – - F. o / 371/ 75560 /secret / No 58 . 21 May 1949 .

(٤) – - F. o / 371 / 75560 / secret / No 60 / 23 May 1949 .

(٥) – - F.O,371 , "Arms for Syria" Report by Y. E. chadwick , 11 June 1949 .

قواعد عسكرية وتسهيلات في حال الحرب (مراكز رادار وحق استخدام الأراضي السورية) واحتمال التوقيع على معاهدة سورية – بريطانية [١] .

وأخيراً وافقت لندن على تموين صفقة السلاح البريطاني من دون الأمريكي ، شرط ألا يستخدم ضد جيران سورية وعلى الخصوص الأردن والعراق [٢] . ومن الجدير ذكره أن عدد القوات المسلحة قد ارتفع في عهد الزعيم إلى ٤٤ ألف وتمَّ تزويد الجيش بطائرات وزوارق حربية ومصفحات ، وطُبق قانون الجندية الإلزامية بدقة ، ووضِعَ نظام فعلي للقوات الاحتياطية وأصبحت قوة فعالة جيدة التدريب عددها ١٩ ألف جندي شكلت القوة الأساسية التي تستطيع سورية تحريكها في حال الحرب كما أحدث الزعيم ثلاث آليات عسكرية ومصانع للأسلحة الخفيفة ومدافع الهاون والقنابل اليدوية . وبعد الإطاحة بالزعيم اتسمت تصرفات المسؤولين السوريين بالاعتدال ، ووضع حد لتلك الخطط الطموحة والمتطرفة التي طالما داعبت مخيلة حسني الزعيم [٣] .

– الزعيم نحو الديكتاتورية الشرعية :

ما إن حصل الزعيم على اعتراف الدول العربية بنظامه [٤] ، ومن ثم مباركة الدول الأجنبية لهذا النظام [٥] ، حتى انتهى ذلك القلق الذي راوده حول لا شرعية نظامه ، فاندفع أكثر نحو حكم سلطوي مقنع بشكليات شرعية .

---

(١) – - F.O/371/ Sec Mes / No 237 / 18 May 1949 .

(٢) – تولت تموين الصفقة وزارة المالية وشركة النفط البريطانية الإيرانية . راجع :
F. o / 371/ 75561/ en clair / 21 June 1949 .

(٣) – - F. O/371/87871/ Syria, S. Military.. , p.4 - 5 .

(٤) – كانت العراق أول من اعترف بالنظام الجديد وذلك في ١٧ نيسان ، وفي ٢٣ منه مصر ولبنان والسعودية وتركيا ، وفي ٢٧ منه الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وإيران .. الخ راجع: بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ، ١٩٨ – ٢٠١ .

(٥) – كتب Ben-Dor : " إن الاعتراف الدولي بالأنظمة العسكرية وتقديم المساعدات العسكرية والقروض لهذه الأنظمة لم تكن مشروطة قط بمدى تطبيق هذه الأنظمة لأسس الديمقراطية مما أدى إلى زيادة الحوافز للقيام بانقلاب مضاد وبذلك كانت مساهمة الغرب في بناء أنظمة حرة ومدنية ضئيلة

تولى الزعيم مهمة توجيه السياسة في البلاد ، وقد وجد في الجهاز الإداري أداة طيعة لتنفيذ أوامره وإقرار مراسيمه من دون مناقشة ، وتحت شعار الحفاظ على الأمن ، راحت أجهزة المخابرات تُثقل على الحريات العامة وتزج قوى المعارضة في السجون . وأصدر الزعيم في ٢ نيسان قراراً يخول القيادة العسكرية حق إلغاء امتياز الصحف التي تضر بالمصلحة العامة ، كما حذر الصحفيين من الإساءة إلى الجيش ، ومع أنه قد حَظِيَ بتأييد أكثرية الصحف السورية ، فقد قام بإلغاء امتياز الإصدار ل ٤٩ صحيفة ، وتحولت تلك الصحف المرخص لها إلى أبواق تسوغ وتزين وتفلسف أعماله [١] وبذلك حُرمت سورية من المقالات الموضوعية التي تصدرت الصحافة اللبنانية [٢] .

لم يدرك الزعيم أهمية الحركة الحزبية في خلق حياة سياسية ، ولذلك لم يحاول تأسيس حزب أو ربط نظامه بأي تنظيم سياسي قائم وفاعل ، وراح بالتدريج يخنق كل نشاط حزبي . في البدء حظّر الحزب الشيوعي ولاحق أعضاءه وزج المئات منهم في

خاصة في حقبة الصراع الدولي على النفوذ " . راجع كتابه :

Civilisation ... op, cit, p.325 - 326 .

كما كتب Morroe Berger حول هذه النقطة ما يلي : " ان بعض المراقبين الغربيين قد حبذوا الأنظمة العسكرية في الشرق الأوسط ... لكونها وطنية ومستقلة كذلك أيدها هؤلاء الذين أقلقهم اتساع النفوذ السوفياتي حيث وجدوا في هذه الأنظمة القدرة والفعالية لإحلال النظام والحؤول دون استمرارية الفوضى التي قد توصل إلى الشيوعية . ثم جاء المناصرون للشيوعية ومدحوا الأنظمة العسكرية لاعتمادها " مبدأ الحياد " ولم يظهر في الغرب أي حماس للقيم التي يؤمن بها ويعيش في ظلها " . راجع مقاله في :

"Les Regimes militaires" Orient , No 15 , 1960 , p.26 - 27 .

[١] – راجع : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق وثائق دولة ، مجموعة وزارة الخارجية ، قسم الصحف ، حافظة رقم ٣ وثيقة رقم ٢٧ تاريخ ١٩٤٩/٥/٢٥ . وقد أصبحت صحيفة ألف باء لصاحبها بشير فتصه الناطقة باسم النظام . وللتوسع حول الصحافة في عهده راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٣٧٨ – ٣٨٠ .

[٢] – باستثناء صحيفة النهار شنت الصحف اللبنانية حملة على نظام الزعيم ، فطالب هذا الأخير رياض الصلح بوضع حدٍ حاسم لهذه الحملة وإلاّ قطع علاقاته مع لبنان ، وقد عقد الصلح مؤتمراً صحفياً في بيروت دعا فيه الصحافة إلى الاعتدال في ما تكتبه عن الإنقلاب ، ومع ذلك استمرت بعض الصحف – خاصة الحياة – تهاجم الزعيم بينما غطت الأحداث بموضوعية صحيفة بيروت المساء، النهار، و L'Orient . راجع: العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ١٣٠ – ١٣٢ .

السجون ، وترك لباقي الأحزاب حق الاحتفاظ بنشاطها ، وأخضعها للمراقبة الشديدة ثم أصدر في ٢٩ أيار مرسوماً بحل الأحزاب ووعدها باستئناف نشاطها بعد الإستفتاء العام على الدستور ، ومن ثم بدأ الصراع بين الزعيم والأحزاب : كان حزب الشعب أول من وقف في صف المعارضة عندما كشف النظام عن وجهة نظره تجاه الإتحاد مع العراق ، وقد رفض حزب الشعب التعاون مع الزعيم وطالب بانسحاب الجيش فوراً إلى ثكناته وإعادة الشرعية إلى البلاد . أما حزب البعث الذي أيد الإنقلاب بكثير من الحماس فقد تراجع عن موقفه ونشر بياناً موجهاً مباشرة إلى الزعيم نبّه فيه من الانحرافات التي ظهرت ، وحذر من الدخول في الخلافات القائمة بين الدول العربية وطالب بتطهير جهاز الدولة وتأمين الحريات العامة ، فقام الزعيم واعتقل أعضاء اللجنة التنفيذية عفلق والبيطار والسيد ولم يفرج عنهم حتى وجه عفلق رسالة إلى الزعيم اعتذر فيها عما بدر منه [١] . وأخيراً تراجع الحوراني وزمرته من الضباط عن مناصرة الزعيم ، عندما كشف عن طغيان حكمه وسياسته الغريبة الأطوار ، وبخاصة عندما اختار محسن البرازي الملاك الحموي الكبير لترأس الوزارة ، وقد أفرغ هذا الإختيار برنامج الزعيم حول الإصلاح الزراعي من محتواه [٢] . وبقي مع الزعيم بعض أعضاء الحزب الوطني

---

(١) – أثارت مسألة الرسالة أزمة داخل حزب البعث راجع : جلال السيد ، حزب البعث العربي ، ص ٥٧ – ٦٦ .

(٢) – ينتمي البرازي إلى عائلة كردية ، حائز على شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس ، شغل عام ١٩٤١ منصب وزارة المالية ، ثم الداخلية عام ١٩٤٧ ونفس الحقيبة في آخر حكومة في العهد السابق ، راجع كتاب ، من هو في سورية .. ص ٥٩ . وكان البرازي فرنسي الثقافة فرنسي الميول وهو الذي وجّه سياسة الزعيم الخارجية وكان وراء اندفاعه نحو الحلف المصري – السعودي . وعرف بولائه للقوتلي فقد كتب عنه كرد علي قائلاً " سمعته – أي محسن البرازي – في حفلة أقيمت في مدرج الجامعة السورية ، يخطب فيمتدحه (أي القوتلي) ، ولم يبق بينه وبين الألوهية إلاّ خطوة واحدة ، حتى خجل الحضور من سماع هذا النفاق، وكاد بعضهم يصفّر استهجاناً وما خجل الوزير .. ويقال أنه خانه بعد أن متعه بثقته وأعطاه من مال الدولة وكان يفرضه على كل وزارة تؤلف" ، راجع مذكراته ، ج٢ ، ص ١١٤٧ . وحول دور البرازي في تقارب الزعيم مع مصر والسعودية راجع :
F. o / 371/ 82782/ Annual Report on Syria for the Year 1949 , p. B2 .

الذين سعوا إلى مهادنته أملاً بانتخابات جديدة تعيد لهذا الحزب المقاعد التي خسرها أمام منافسه حزب الشعب [1] .

وهكذا لم يعد حسني الزعيم ذلك القائد الذي سيبني بلاداً حديثة على أنقاض سورية القديمة بل اتخذ موقع حاكم فوق المواطن وكان نشازاً في أي نظام سياسي .

بعد مضي ثلاثة أشهر على الإنقلاب ، قوضت زهوة الحكم كل رغبة لدى الزعيم في إعادة الديمقراطية التي وعد بها ، لا بل تطلع نحو سلطة أوسع عندما دعا الشعب إلى استفتاء عام يضمن تربعه على سدة الحكم كرئيس للجمهورية .

في ١٥ حزيران أصدر الزعيم مرسوماً يقضي بانتخاب رئيس الجمهورية مباشرة من الشعب وفي ٢٠ منه قدم ترشيحه لهذا المنصب [2] ولا حاجة للقول أنه لم يتجرأ أحدٌ على خوض المعركة ضده .

حددت البطاقة الإنتخابية الأسئلة التي سيجيب عنها المقترعون بنعم أو لا وهي : ما إذا كان المقترع يوافق على انتخاب الرئيس مباشرة ، ما إذا كان يوافق على تخويل الرئيس المنتخب إعداد دستور جديد للبلاد ، وعلى منحه سلطة إصدار المراسيم التشريعية ريثما ينتهي إعداد الدستور ، وهل يوافق على اعتبار السلطة الممنوحة للرئيس ذات مفعول رجعي يشمل المراسيم الصادرة منذ ٣٠ آذار .

جرت عمليات الإقتراع يوم السبت في ٢٥ حزيران واقترع ٩٠٪ من الناخبين ونال الزعيم ٩٩٪ من الأصوات [3] ومنذ ذلك الزمن بدأت ملامح جنون العظمة تظهر

---

[1] – حول هذه النقطة راجع : نذير فنصه ، أيام حسني الزعيم ، ص ١٥٤ – ١٥٥ . هذا وقد أصبح موقف الحزب الوطني من الزعيم مثار نقد في الصحافة السورية فقد أشارت صحيفة المنار / عدد ٢٠ / تاريخ ٢٤ آب ١٩٥٠ إلى أن صبري العسلي ساهم بوضع دستور الزعيم لقاء ألف ليرة سورية .

[2] – الأيام ، عدد ٤٢٣٥ / ٢٠ حزيران ١٩٤٩ .

[3] – في الانتخابات المرتبة من قبل السلطة قال نعم حول مسألة انتخاب رئيس الجمهورية مباشرة ٧٢٨٧٢ سورياً ونال لا ٦١٢ . وحول تخويل الرئيس وضع دستور جديد قال لا ٢١٧٥ سورياً ولم يقل لا سوى ٢٠٥٦ عندما سئل الشعب هل يوافق على منح الرئيس صلاحيات إصدار المراسيم التشريعية . ونال الزعيم ٧٢٦،١١٦ صوتاً من أصل ٧٣٠،٧٣١ مقترعاً . راجع : الجريدة الرسمية ، ج١ ، ص ٨٩٤ .

على تصرفات الرئيس الذي راح يستمع إلى عبارات المدح والإطراء الصادرة حوله من إذاعات وصحف مصر والسعودية وفرنسا ، واصطنع لنفسه رتبة مارشال (مشير) - ولم تكن موجودة سابقاً في سورية - واتخذ سمات الملوك ، وتحولت شخصيته إلى أضحوكة ومنهاجه الإصلاحي إلى وهم وخداع [١] .

بعد أن تولى الزعيم رئاسة الجمهورية قدمت الحكومة استقالتها ، واستدعى الزعيم محسن البرازي لتشكيل الوزارة الجديدة وفي ٢٦ حزيران صدرت مراسيم الوزارة التي ضمت ستة مدنيين واللواء عبد الله عطفه وزيراً للدفاع [٢] ، وبدا النظام لوهلة قصيرة وكأنه يسير في طريق الاستقرار المنشود ، وكأن سورية قد نضجت تماماً لقبول الحكم الديكتاتوري ، وكأن رياح الحرية والديمقراطية قد رحلت إلى الأبد عن سمائها ، وسرعان ما تبددت تلك الأوهام عندما انهار البناء ليل ١٤ آب ١٩٤٩ .

- العوامل التي أدت إلى نهاية حسني الزعيم :

سقط نظام حسني الزعيم للأسباب نفسها التي أسقطت نظام القوتلي ، فكلاهما فشل في توجيه سياسة الدولة الخارجية ، وكلاهما استخدم طاقات البلاد والشعب لأغراض شخصية .

فقد الزعيم الدعم الذي حصل عليه في البداية بسبب سياسته تجاه الدول العربية والأجنبية . فعندما أطاح بحكم القوتلي أزاح من الطريق الفريق الذي كان يعارض علناً الإتحاد وحتى التعاون مع المملكتين الهاشميتين ، وبذلك أعاد طرح مشكلة الهوية السورية تحت الشكلين المتعارضين : القطري الذي يدعو إلى الحفاظ على كيان سورية ونظامها الجمهوري ، والقومي الذي ينادي بالإتحاد مع العراق والأردن . وقد شكل أنصار

---

(١) - F. o / 371/82782/ Annual Report on Syria for the Year 1949 . B. 2 .

(٢) - تألفت الحكومة الجديدة من : د. محسن البرازي رئيسا لمجلس الوزراء ووزيرا للخارجية والداخلية ، الأمير مصطفى الشهابي وزيرا للعدلية خليل مردم وزيرا للمعارف والصحة ، حسن جبارة وزيرا للمالية والإقتصاد الوطني ، نوري الايبش وزيرا للزراعة ، فتح الله الصقال وزيرا للأشغال العامة ، عبد الله عطفة وزيرا للدفاع .

الإتحاد قطاعاً كبيراً وبارزاً في السلطة وكان هؤلاء يعتقدون أن العرب سيخسرون كل فلسطين مع الزمن وأن أي شكل من أشكال الوحدة سوف يقوي سورية بمواجهة التهديد الإسرائيلي [1] .

كان الزعيم بحاجة ماسة إلى تثبيت موقعه الداخلي والحصول على إقرار دولي بنظامه، وعليه فقد تقرب من الفئات التي عارضت السياسة العربية لنظام القوتلي وعلى رأسها حزب الشعب والدروز والقوى القومية[2] كذلك دفعته الحاجة إلى تقوية موقع سورية في مفاوضات الهدنة[3] نحو افتتاح المباحثات مع العراق في٣ نيسان وطرح الزعيم فكرة الإتحاد على أساس الإستقلال الذاتي لكلا الإقليمين[4]. وقد تريثت بغداد في قبول العرض السوري بسبب لا شرعية الحكم وشكها في إمكانية إستمراره، فاندفع الزعيم أكثر عندما إقترح في٩ نيسان إبرام إتفاق عسكري- دفاعي[5]، ومن ثم أرسل العراق وفداً عسكرياً إلى دمشق في١١نيسان لإجراء مباحثات مع حسني الزعيم، وقد صدر بيان حول هذه المباحثات أكد أن الحكومتين قررتا العمل يداً واحدة ضد أي عدوان يقع على

---

(١) - M. Khadduri , "The Scheme of Fertile Crescent unity" , p.173 .

(٢) - حول سياسة الزعيم العربية راجع الفصل الذي أفرده باتريك سيل في كتابه الصراع على سورية، ص٧١ - ٨٥. راجع أيضاً، نذير فنصه، أيام حسني الزعيم، ص ٤٧ - ٥٢ ، ١٠٢ - ١١٨.

(٣) - في ١٢ نيسان بدأت المفاوضات وكادت تنتهي في الشهر ذاته لو لم يصمد الوفد السوري المفاوض مطالباً بشروط أفضل من تلك التي كان الزعيم على استعداد لقبولها . ولم تنته إلاّ في ٢٠ تموز تاريخ التوقيع على الهدنة . راجع : بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص١٤١ . صحيفة الحياة، بيروت ، مقابلة مع الأمير عادل أرسلان، ١٨ آب ١٩٤٩ .

(٤) - في بداية الإنقلاب سرت إشاعات في الصحف اللبنانية حول دور الملك عبدالله في التدبير له. ولا بد لنا من الإشارة إلى أن الزعيم قد اتهم عندما كان قائداً للواء السادس في دير الزور أنه كان يتآمر مع الملك عبد الله ضد استقلال سورية . وقد أثار فيصل العسلي الموضوع في جلسة مجلس النواب وأكد أن هناك إضبارة تحقيق بحقه وسيحال إلى المحاكمة بموجبها . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، جلسة ١٩٤٩/١/١٧ ، ص ٣٠٧ . هذا وقد نشرت الصحف الأردنية خبر الإنقلاب بعناوين ضخمة ، وعلقت إذاعة بغداد على الإنقلاب بلهجة مشبعة بالود وسردت جميع البلاغات الصادرة عن القيادة العسكرية . راجع : صحيفة الأنباء، عدد ٧ ، ٢ نيسان ١٩٤٩ .

(٥) - ضم الوفد:فريد زين الدين وأسعد طلس وتوفيق بشور :راجع العوف الانقلاب السوري ص١٨٤ .

أرضيهما وفي ١٤ نيسان قدّم وفد سوري صورة الإتفاقية العسكرية المقترحة من الجانب السوري إلى نوري السعيد الذي تطرق في الإجتماع إلى مشروع إتفاقية الوحدة التي عرضها سابقاً مع سعد الله الجابري وتراجعت سورية عن إبرامها مخافة معارضة السعودية ومصر . وتراجع السعيد عن الدخول في الإتفاقية العسكرية مع سورية ما لم تستقر الأوضاع الداخلية وتعود الحياة الدستورية إلى البلاد ووعد بمساعدة عسكرية لمجابهة الخطر الصهيوني[1] . وفي ١٦ منه زار نوري السعيد دمشق ، وذكر أنه عرض على الزعيم إقامة إتحاد فوري وأن الزعيم تردد ووعد فقط بدراسة الموضوع [٢] .

في الواقع لم يكن الزعيم يريد أن يكون للهاشميين أي نفوذ أو وضع مميز في سورية ، ولم تكن تحركاته باتجاه العراق إلاّ مناورة قصد منها الحصول على الاعتراف بنظامه ، فقد كان بحكم انتمائه إلى أقليات عرقية وبحكم ارتباطه بالإفرنسيين ثقافة وتدريباً، كان ينتمي إلى تلك الفئات التي أرادت سورية جمهورية ثابتة الحدود ومتطلعة إلى علاقات وثيقة مع العالم الغربي [٣] ، وانطلاقاً من هذه الرؤية راح الزعيم يناور

---

[١] – نص وثيقة المباحثات التي جرت بين نوري السعيد وسعد الله الجابري في صحيفة لواء الإستقلال ، عدد ٤٨ ، ٥ تشرين الأول ١٩٤٦ . ونشرها وليد المعلم في كتابه ، سورية ١٩١٨ – ١٩٥٨ ، التحدي والمواجهة ، نيقوسيا قبرص ، ط١ ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠٥ – ٣١٥ .

[٢] – وصل نوري السعيد والوفد المرافق على متن طائرتين حربيتين فجأة إلى مطار المزة وكانت الأولى تقل السعيد ووزير الدفاع شاكر الوادي والعميد صالح كاتب رئيس الأركان ، والثانية أقلت الضباط المرافقين، وقد جرى اجتماع مطول بين الزعيم والسعيد على انفراد ، وبثت مديرية الإذاعة العراقية بلاغاً حول الزيارة أكدّ على دعم العراق لسورية في مفاوضات الهدنة وأن أي إعتداء على سورية هو اعتداء على العراق . ونص البلاغ الرسمي السوري على أن يقوم الطرفان بدراسة القضايا الإقتصادية الهامة ، وبذلك كان واضحاً أن المباحثات لم تسفر عن موقف إيجابي بشأن الإتحاد. ومنذ ذلك التاريخ بدأت تتوتر العلاقات بين بغداد ودمشق . راجع : بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ١٨٤ – ١٨٧ .

[٣] – تلك كانت توجهات ضباط الأقليات الذين تدربوا على أيدي الإفرنسيين وتعلموا منهم الحذر من تطلعات البريطانيين نحو وحدة الهلال الخصيب ، وكانوا دائماً حريصين على استقلال سورية ونظامها الجمهوري ، في حين تطلعت طبقة الضباط من الأكثرية العربية السنيّة نحو فكرة القومية العربية وهم الذين صنعوا فيما بعد الوحدة مع مصر . راجع :

E. Be'eri, Army officers , p.335 - 338 . cf, M. Halpern , the politics of social change ,

المحور السعودي – المصري المتحفز دائماً لإحباط كل مشروع يوسع من النفوذ الهاشمي في سورية . وقد كان هذا المحور معارضاً لإنقلاب أطاح بصديقه القوتلي ، وعليه وتجنباً لازدياد مخاوف هذا المحور من تحركات الزعيم باتجاه العراق ، أرسل هذا الأخير مبعوثين إلى الرياض والقاهرة للتأكيد على " أن سورية لن تخرج عن ساستها العربية ولن تزج نفسها بأحلاف مشبوهة " [١] ، وتحركت الكتلة السعودية –المصرية فعرضت على الزعيم مساعدات مالية واعترافاً رسمياً شرط أن تبقى سورية مستقلة تحت ظل النظام الجمهوري . وبعد زيارة عبد الرحمن عزام إلى دمشق في ١٧ نيسان بثت الإذاعة السورية في ٢٢ منه بياناً يستنكر ما تنشره الصحف السورية حول مشاريع سورية الكبرى والهلال الخصيب [٢] وتلا ذلك زيارة مفاجئة للزعيم إلى القاهرة وضعت حداً نهائياً لكل تقارب مع العراق ، وفي ٢٦ منه أغلق الزعيم حدوده مع العراق وبدأ بحملة شعواء مبتذلة ومجنونة ضد الملك عبد الله ونوري السعيد [٣] .

كان التدخل السعودي – المصري ناجحاً بحيث أدى إلى إخفاق مشروع المملكة السورية العراقية المرتقبة ، بيد أنه أفقد الزعيم عدداً من مناصريه من مدنيين وعسكريين كانوا فاعلين على المسرح العسكري والسياسي ، ولم يكسب بالمقابل الفريق المعادي للعراق من جماعة القوتلي الذين كان قد أبعدهم بعد أن حطمت سمعتهم أبواق إعلامه .

ومن العوامل التي أدت إلى الإطاحة بالزعيم سياسته المنفتحة جداً على الدول الأجنبية. فقد تقرب من الحكومة التركية واستدعى بعثة عسكرية تركية لإعادة تنظيم

---

p.266 -268 .

(١) – لمزيد من التفاصيل حول زيارة الوفد السوري إلى القاهرة والرياض راجع ما كتبه أحد أعضاء الوفد نذير فنصه ، في كتابه ، أيام حسني الزعيم ، ص ١١٣ ، ١٤١ – ١٤٦ .

(٢) – نص البيان في كتاب بشير العوف ، الإنقلاب السوري ، ص ١٩٠ .

(٣) – حول تصريحات الزعيم التي أعلن فيها مراراً أن عمان هي المحافظة العاشرة من سورية وتهجمه على العراق والأردن ، راجع : صحيفة ألف باء ، عدد ١٩٤٩/٤/٢٧ وعدد ١٩٤٩/٤/٢٨ . ومن الجدير ذكره أنه حشد فرقة لمهاجمة الأردن عند مركز الشيخ مسكين وفكر مرة باغتيال الملك عبد الله واستدعى بديع بشور وطلب منه اختيار أشخاص مناسبين للمهمة التي قضت باعداد طائرات تحط على قصر عمان ثم تقتحمه وكان رد الضابط أن المهمة مستحيلة . مقابلة مع بديع بشور، صافيتا ، ١٩٩٥/١٢/٩ .

وتدريب الجيش السوري وفي ٢٠ تموز قدم إلى سورية كاظم أورباي رئيس مجلس الشورى العسكري التركي لإعداد الترتيبات اللازمة [١] ثم عقد معاهدة تنظيم الخطوط الجوية مع تركيا [٢] وأعرب مراراً عن صداقته لهذا البلد الجار وعن سعيه لتقوية علاقاته مع حكومة أنقره ، وهكذا تناسى الزعيم ببساطة حسرة السوريين على فقدان لواء الإسكندرونة وكأن القضية لم تكن ولم توجد .

وما كان أكثر إثارة لشعور الرأي العام السوري هو صداقته مع الإفرنسيين ، فقد تزايد القلق من جراء العلاقة الوثيقة بين الزعيم والمفوضية الإفرنسية بدمشق ، وسرت إشاعات حول دور فرنسا في التحريض على الإنقلاب ، وانتشرت هواجس وشكوك غذتها الدعاية التحريضية الأردنية حول محاولة الزعيم ربط سورية بالإفرنسيين وعقد معاهدة معهم [٣] . وهكذا أحيى الزعيم بسياسته هذه ذكريات ربع قرن من الصراع مع المستعمر ، وكان أي موقف مناصر للإفرنسيين ذا مغزى بالنسبة لرجل الشارع السوري الذي ما تزال في أعماقه مرارة وحذرٌ من عودة النفوذ الإفرنسي إلى سورية .

بيد أن القوة الأجنبية التي كانت وراء توجهات الزعيم الخارجية ، ليست فرنسا فقط ، بل أيضاً الولايات المتحدة التي جنت مكاسب من حكم الزعيم بإبرام إتفاقية التابلاين ووعود بالقبول بحل سلمي للقضية الفلسطينية [٤] ولقد نشرت تقارير ومقالات حول نوايا

---

(١) – صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤٢٥٧ ، ٢٠ /٧/ ١٩٤٩ .

(٢) – م . ن ، عدد ٤٢٤٨ ، ٥ /٧/ ١٩٤٩ . وقد ألغى الزعيم هذا الإتفاق قبل سقوطه بوقت قصير . راجع :

F. o / 371/ Annual report on Syria in 1949 , p. A - 4 , B - 4 .

(٣) – لقد صرح الزعيم علناً " أن فرنسا صديقتنا وسوف تعمل ما بوسعنا للحفاظ على صداقتها وأن عهداً جديداً من التعاون سوف يبدأ بين باريس ودمشق . راجع :

Cazette de Lausanne , le 4 Juillet , 1949 .

(٤) - G. Copeland, the Game of Nations, p.42 , cf. B. Shwadran , the Middle-East .. , – p.332,334.

وحول التقارير عن علاقته بإسرائيل وعن محاولته عقد إجتماع مع بن غوريون راجع : صحيفة الحياة، بيروت ، عدد ١٨ و ١٩ تموز ١٩٤٩ . كما ذكرت صحيفة الإنشاء الدمشقية ، عدد ٣١٦٩، ٢٦ شباط ١٩٥٠ ، أنه كاد أن يخطو – أي الزعيم – خطوة حاسمة باتجاه إسرائيل ويقبض ٣٠٠ مليون دولار مقابل عقد صلح دائم مع الدولة العبرية وتخطيط الحدود النهائية بين الدولتين .

الزعيم تجاه إسرائيل ، ربما قصد منها اتهامه بالخيانة ، بيد أن من المؤكد أنه لم يكن يحمل أفكاراً تقليدية تجاه الدولة العبرية .

كانت الشرارة التي فجَّرت المعارضة ، أسلوب ممارسة الزعيم للسلطة غداة أصبح رئيساً للجمهورية ، حيث مال نحو مظاهر الأُبهة والترف والتمجيد الشخصي ، وأحاط نفسه بجماعة من عرقه أو من عائلته أو ممن تربطه بهم مصالح شخصية [١] وكلما راودته الهواجس حول تهديدات من جيرانه الهاشميين كلما ازداد تسلطاً واستبداداً ، وراحت شرطته السرية تلقي الناس في السجون لمجرد الشبهة ، " وهكذا اتخذ الزعيم من القوة مرتكزاً لحكمه وأمسك - بطل الحداثة - بكل خيوط السلطة هو الذي لم يكن يملك تلك الطاقة الخارقة للعادة التي تؤهله لحمل هذا العبء الثقيل " [٢] . وعلينا ألاّ نهمل خطأً كبيراً ارتكبه الزعيم وهو عدم قيامه بأي مسعى لإنشاء حزب خاص به ولا يمكن لأي مجتمع أن يعيش في فراغ سياسي ، وهذا الخطأ متوقع من جندي مغرور لا يملك موهبة سياسة أمة [٣] . إن هذه السياسة أبعدت عن الزعيم أخلص أصدقائه بعدما أدركوا أنه خان القضية التي من أجلها شاركوا في الإنقلاب وهي تخليص البلاد من حكم سلطوي فاسد .

وترك تصرف الزعيم تجاه أنطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي الإجتماعي انطباعاً سيئاً لدى الرأي العام ، وكان سعادة قد تورط في حركة إنقلابية فاشلة في لبنان في ٤تموز ١٩٤٩ والتجأ إلى سورية وقبله الزعيم كلاجئ سياسي ورحب به بحفاوة بالغة ومن ثم سلمه إلى السلطات اللبنانية حيث حوكم وأُعدم في الثامن منه [٤] .

---

[١] - شنت الصحافة الأردنية حملة عشواء ضد الزعيم ، وركزت على أصله الكردي وأصل رئيس وزرائه وبعض وزرائه وكتبت صحيفتا " الأردن " و" النهضة " . " أن البلاد العربية لن تكون لعبة للتجارب الشخصية ولا حقلاً لعمل الأقليات العرقية .. "وأن على الشعوب التي تحيا على الأرض العربية وتتكلم العربية أن تتنبه لخطورة الوضع في سورية .. " راجع : صحيفة الأردن ، عمان ، عدد ٧ آب ١٩٤٩ وصحيفة القبضة ، عمان ، عدد ٢٧ حزيران ١٩٤٩ .

[٢] - - F. o / 371/ 82782/ Annual Report on Syria in 1949 , p.1 - B , 2 - A .

[٣] - - A. Carleton , the Syrian .. , p. 8 .

[٤] - عندما طرح حسني الزعيم مبادئ فصل الدين عن الدولة وإلغاء الإقطاع وإعطاء المرأة بعض حقوقها ، ونشر القانون المدني رفع حزب أنطون سعادة مذكرة تأييد للإنقلاب في ١٠ نيسان ١٩٤٩،

وقد انتهك الزعيم بعمله حق اللجوء السياسي الذي فرضته الأعراف الدولية ، وأثار اشمئزازاً ليس فقط بين أتباع هذا الحزب بل لدى عامة السوريين الذين صُدموا بهذا التصرف اللا أخلاقي المنافي لأبسط تقاليد العرب " من أمنك لا تخونه ولو كنت خائناً " .

منذ الأسبوع الأول الذي تلا ارتقاءه سدة الرئاسة ، غدا الزعيم عالماً بمدى اتساع النقمة ضده ، وكان واعياً لقدرة جيرانه الهاشميين على استخدام ضباط الجيش للإطاحة به ، وأن الخطر متمثلٌ في العناصر ذات الميول القومية ، وعليه ازداد اعتماده على ولاء الوحدات الكردية والداغستانية والشركسية التي تمركزت في المنطقة الوسطى وأبعد الفرق العربية نحو الجبهة [1] ، ورافق ذلك عمليات طرد وسجن وإبعاد لعدد من أصدقائه الضباط الذين رقاهم بعد الإنقلاب ثم انقلب عليهم بعد أن فقد الثقة بإخلاصهم [2]،

كما وقف الحزب مع الزعيم في صراعه مع الحكومة اللبنانية إثر قضية اعتقال الرقيب السوري أكرم طبارة لقتله كامل الحسيني . وقد توترت العلاقة بين الحزب وحكومة بيروت إثر حادث الجميزة وفي ١١ حزيران حلت الحكومة الحزب وكان الرد ثورة فاشلة لجأ إثرها سعادة إلى سورية . راجع كتاب الأحزاب السياسية في سورية ، ص ١٠٣ – ١٠٧ . وقد أجمع المراقبون والباحثون على أن تسليم الزعيم أنطون سعادة كان نقطة سوداء في سجله وكانت إحدى العوامل التي أدت إلى سقوطه . راجع :
F. o / 371/ 82782 / Annual Report on Syria in 1949 , 13/1/1950 , p. B - 2 , cf. A. Carleton , the Syrian .. , p.10 , cf. G. Torrey , Syrian Politics .. , p.134 . cf.
التويني ، منطق القوة ، ص ٤١ . نذير فنصه ، أيام حسني الزعيم ، ص٧٦ – ٧٧ ، ٨٢ . سيل ، الصراع على سورية ، ص ٩٩ – ١٠٢ وحول الرأي العام اللبناني بعد إعدام سعادة راجع : صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤٢٤٩ ، ١٠ تموز ١٩٤٩ .

(١) – - G. Lenczowski, the Middle-East in world Affairs , Ithaca 1962 , p.296 .

(٢) – أبعد الزعيم أديب الشيشكلي بعد أن رقاه إلى رتبة عقيد وعيّنه مُلحقاً عسكرياً في السعودية وأسند مديرية الشرطة والأمن العام إلى مصطفى الزين ولما رفض الشيشكلي الالتحاق بوظيفته أصدر الزعيم في ٥ تموز قراراً بتسريحه من الجيش . راجع : هزيمة طاغية ، ص٥ – ٦ . كما أبعد الضباط الدروز ، وضباطاً مثل علم الدين قواص ، بهيج كلاس ، نبيه صباغ ، فيصل الأتاسي ، محمد ناصر ، بديع بشور ، مصطفى حمدون ، عن المراكز الحساسة . المعلومات عن بديع بشور ، مقابلة في صافيتا ٩٥/١٢/١٥ . ووضع كل الوحدات الهامة تحت قيادة أشخاص ينتمون إلى الأقليات العرقية . راجع : فضل الله أبو منصور ، أعاصير دمشق ، بيروت ١٩٥٩ ، ص٦٨ . وراجع :
E. Be'eri , Army officers .. , p.61 .

وفضل أن يبني سلطته على الأقليات الأقرب إلى جذوره وميوله ، ونجم عن تلك السياسة بروز هواجس داخل الجيش استمرت تتفاقم حتى أصبح الحديث عن ارتباط الزعيم بأقليات عرقية إسلامية شائعاً جداً، وأعادت تلك السياسة إلى الأذهان الأسس التي اعتمدها الإفرنسيون إبان الإنتداب .

أثبتت سياسة الزعيم عدم فعاليتها ، وبدت سورية أمام أعين المراقب الدقيق " ناضجة تماماً للإطاحة بحاكم أخذ كل شيء ولم يقدم أي شيء ، وأن الزمن قد حان ليضرب الجيش ضربته التالية " [١] .

في ١٣ آب خطط آمر اللواء الأول سامي الحناوي مع ضباط دروز موالين للحزب السوري القومي الاجتماعي للإنقلاب الثاني وفي الساعة الثانية والنصف صباح يوم ١٤ آب أحاطت مدرعات اللواء الأول بمكان إقامة الزعيم وبعد مقاومة بسيطة استسلم حراسه وألقي القبض عليه وعلى رئيس وزرائه وأحضرا أمام محكمة عسكرية برئاسة الحناوي وحكم عليهما بالإعدام ونفذ الحكم للتو [٢] . وفي البلاغ رقم واحد ألقى قائد الإنقلاب خطبة رنانة فنّد فيها فساد حكم الزعيم ودواعي حركته ، وأقسم أمام الله والتاريخ " أن يترك السلطة إلى قادتها المدنيين " [٣] .

x x x

---

(١) – بهذه العبارة اختتم السكرتير الأول في المفوضية البريطانية تقريره حول الزعيم : راجع :
F. o / 371/ 82782/ , Report on Syria 1949 , 9/1/1950, p.1 - B .

(٢) – لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة راجع ما كتبه أحد قادة الإنقلاب ، فضل الله أبو منصور ، أعاصير دمشق ، ص ٨٣ – ٨٥ ، أيضاً نذير فنصه ، أيام حسني الزعيم ، ص٩٧ – ٩٩ . راجع أيضاً :
Ed Saab , la Syrie Ou la revolution dans la rancoeur , Paris 1968 , p.58 - 60 .

(٣) – قال الحناوي : " لقد قام جيشكم من جديد بإنقلاب وأن قائده الأعلى يحلف لكم أنه ما قام بحركته إلا إنقاذاً لسمعة البلاد وكرامتها .. وأنه ورجال الجيش سينزوون في مراكزهم لحماية الحدود وحفظ عزّة البلاد بعيدين عن التدخل في السياسة " النص في مذكرات كرد علي ، ج٤ ، ص١٣٣ .

ب – عهد سامي الحناوي (١٥ آب – ١٨ كانون الأول ١٩٤٩)

لم يستقبل السوريون أخبار الإنقلاب الثاني بمثل ذلك الجو المفعم بالحماسة والبهجة الذي خيم على البلاد غداة الإنقلاب الأول ، لا بل صُدم الناس من تلك الطريقة الدموية التي استخدمت للإطاحة بالنظام [١] ، ومع تتالي البلاغات العسكرية المسوغة لإنهاء حكم فاسد وطاغية خان أهداف الإنقلاب الأول [٢] وضع حدٌ لهذه البلبلة ومبررٌ وافٍ للقرار العنيف الذي اتخذه قادة الإنقلاب ، وثانية هلل السوريون لقائد الانقلاب الجديد وتألق نجم آخر في سماء سوريةُ هو اللواء سامي الحناوي .

ولد الحناوي في إدلب عام ١٨٩٨ من أصل عربي – كردي ، وكان مثل سلفه من مخلفات الجيش العثماني ، التحق بقوات الجيش الفيصلي ثم عمل بعد الإنتداب في قوات الدرك في لواء الإسكندرونة وانتقل عام ١٩٢٧ إلى قوات " الشرق الخاصة " وشارك في حرب فلسطين حيث كان آمر الفرقة التي احتلت مشمار هاردن وتل العزيزات ، ورقي بعدها إلى رتبة مقدم وشارك في انقلاب الزعيم وكان " صديقه الوفي " الذي كلفه قيادة لواء الجبهة ورقاه إلى رتبة عميد ، وأصبح بعد الإنقلاب لواءً وقائداً عاماً للجيش والقوات المسلحة ، واحتفظ بهذا المنصب حتى أطيح به صباح ١٨ كانون الأول ١٩٤٩ [٣] تميز الحناوي بشجاعته وبساطته ، ولم يكن يملك تلك المؤهلات

---

(١) – كتب A. Carleton ما يلي : " إن السوريين قد قارنوا بين مصير الزعيم المأساوي والمعاملة الأكثر سخاءً التي عومل بها الرئيس القوتلي . وقالوا " هذا الإنقلاب تفوح منه رائحة الانكشارية " راجع مقاله :

The Syrian coup d'Etat, p.10 .

(٢) – أصدر الحناوي ثمانية بلاغات في اليوم الأول للإنقلاب ، راجع نصهم في مذكرات محمد كرد علي، ج٤ ، ص١١٣٣ – ١٣٣٧ . وعلق كرد علي قائلاً " هذا ما نشره الحناوي على الناس ومعظم ما قاله في الزعيم غير صحيح " .

(٣) – راجع : من هو في سورية عام ١٩٥١ ، نشر جورج فارس ، دمشق ١٩٥١ ، ص٥٢٥، وأحمد عيسى النيل ، سورية الجديدة .. ، ص٢٣٣ .

التي تتيح له ممارسة دور القائد الحازم وغالباً ما وصف بأنه العميل المخلص للعراقيين والأداة الطليعة لرجال المخابرات البريطانية (١) .

ابتكر الحناوي نهجاً جديداً في الإنقلابات وهو تشكيل لجنة من القادة الضباط لتولي زمام السلطتين التشريعية والتنفيذية العليا في الدولة وأطلق الحناوي على لجنته إسم " المجلس الحربي الأعلى " الذي جسّدَ شرعية ظاهرة الديكتاتورية العسكرية ، وقد اتبع هذا الأسلوب في الإنقلابات التالية وأطلق على اللجنة إسم " مجلس قيادة الثورة " وضمَّ المجلس الذي شكله الحناوي تحت رئاسته صباح الإنقلاب عشرة ضباط هم : (٢) العقيد بهيج كلاس المدير الأسبق لمكتب حسني الزعيم ، مسيحي من حماه ومن المناصرين لأكرم الحوراني ، المقدم علم الدين قواص ، علوي من إنطاكية عمل في قوات الشرق الخاصة وحارب في فلسطين وعُرف بولائه للعراقيين (٣) ، المقدم أمين أبو عساف ، درزي عُرف بولائه للملك عبد الله شارك في مصرع الزعيم وفي كل إنقلابات عام ١٩٤٩ (٤) ، المقدم محمود الرفاعي ، سنّي من دمشق ، درس في ألمانيا هندسة السيارات والطائرات ألف قاموساً عسكرياً ألمانياً – عربياً وخاض حرب فلسطين تحت إمرة فوزي

---

(١) – لقد وصفته المصادر الافرنسية بهذه الصفات ونسبت تنظيم الانقلاب إلى زمرة العقيد سترلينغ المقيم في سورية منذ عام ١٩٤١ وإلى غلوب باشا والجنرال سبيرز . راجع :

Le Monde, 16 Juillet , 1949 , cf, Claude Palazzoli , la Syrie , le Reve , p.155 .

وقد توسع Ed Saab في وصف دور سترلينغ في التخطيط للإنقلاب وفي سيطرته على الحناوي ، وعلى أسلوب تنفيذ الإنقلاب راجع كتابه :

La Syrie .. , p.55 - 58 .

(٢) – راجع : هزيمة طاغية ، نشر مكتب أنباء سورية ، دمشق ١٩٥٤ ، ص٦ – ٧ .

(٣) – راجع : من هو في سورية عام ١٩٥١ ، ص ٦٢٤ . وقد عيّن القواص آمراً للواء الثالث ثم أبعد عن منصبه بعد إنقلاب الشيشكلي :

F. o / 371/82788/ secret Report / No 3 / From Lt - Col - V. O, Harmor To War office , 10/1/1950 .

(٤) – راجع من هو في سورية عام ١٩٥١ ، ص ٥٠٧ ، وقد وصفه الملحق العسكري البريطاني كالتالي " أنه أشبه بقاطع طريق ، وله سحنة سفاح ، عُين قائداً للمدرعات وترقى في أقل من عام إلى رتبة عقيد " . راجع :

F. o / 371 / 82788, secret / No 3 , 10/1/1950

القاوقجي ثم التحق بالقوى الجوية [1] . والرؤوساء عصام مريود وحُسين الحكيم [2] خالد جادا ومحمود دياب .

كان هؤلاء القادة الضباط متحررين من وصمة عار الهزيمة في فلسطين التي ابتلي بها نظام القوتلي وقائد الجيش السوري إبان المعارك الزعيم حسني الزعيم .

بعد أن فرض الإنقلابيون منع التجوال والمراقبة للبريد وقطعوا الاتصالات مع الخارج وعلقوا كل المراسيم الصادرة عن الوزارة السابقة أعلنوا في البلاغ رقم " ٨ " أن مهمتهم حفظ الأمن وتسليم الأمور إلى حكومة مدنية تمثل الشعب وتمضي قدماً في إعادة البلاد إلى نصابها الدستوري المشروع [3] ثم استدعت القيادة العامة للجيش في الساعة العاشرة صباح يوم الإنقلاب كبار السياسيين وبحثت معهم أمر عودة الحياة الدستورية للبلاد [4] .

وتم الإتفاق على تأليف لجنة ضمت هاشم الأتاسي وفارس الخوري ورشدي الكيخيا وناظم القدسي ومصطفى برمدا وسامي كباره ونبيه العظمة وفيضي الأتاسي وحسن الأطرش وأكرم الحوراني وميشيل عفلق ، وقررت اللجنة تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة هاشم الأتاسي تعمل على إعادة الحياة الدستورية ، وفي ١٥ آب تشكلت وزارة من إثني عشر وزيراً هيمن حزب الشعب على حقائبها الرئيسية [5] وأسندت وزارة الدفاع إلى

---

(١) – تولى محمود الرفاعي رئاسة المكتب الثاني بعد الإنقلاب ، راجع من هو في سورية ، ص٣١٩ – ٣٢٠ .

(٢) – عصام مريود درزي ، حُسين الحكيم إسماعيلي ، وقد نفذ كلاهما حكم الإعدام بالزعيم والبرازي . راجع : فضل الله أبو منصور ، أعاصير دمشق ، ص٨٣ . ونذير فنصه ، أيام حسني الزعيم، ص٩٧ .

(٣) – النص في مذكرات محمد كرد علي ، ج٤ ، ص ١١٣٧ .

(٤) – تمّ إحضار السياسيين من مختلف المدن والمناطق بواسطة طائرات أرسلتها القيادة العليا للجيش . وقد أكد الحناوي للمجتمعين أن الجيش لن يتدخل في الشؤون السياسية وقال عبد الله عطفة " لنا شرط واحد هو أننا نريد أشخاصاً مخلصين يعيدون الطمأنينة إلى نفوس الشعب" . راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص٣٨٢ .

(٥) – نال حزب الشعب أربعة مقاعد : ناظم القدسي الخارجية ، فيضي الأتاسي الإقتصاد الوطني ، رشدي الكيخيا الداخلية ، فتح الله أسون وزير دولة . وثلاثة مقاعد للمستقلين . خالد العظم للمالية ،

اللواء عبد الله عطفه [١] ومُنح هاشم الأتاسي سلطات رئاسة الجمهورية ريثما تجري انتخابات الجمعية التأسيسية . وقد رافق تشكيل الحكومة صدور عدة مراسيم عن المجلس الحربي ، منها إعادة العسكريين الذين أقالهم الزعيم إلى مراكزهم وتولية د. أسعد طلس – عديل الحناوي – الأمانة العامة لوزارة الخارجية [٢] والإفراج عن الصحف التي عُطلت في العهد السابق .

عودة الحياة الدستورية :

تمتع الحناوي بفضيلة البر بوعده ، فقد ترك الحكم إلى السلطات المدنية ، ولما كان يعتمد على قوة شعبية سياسية قائمة وفاعلة هي قوة حزب الشعب ، الذي تمتع قادته بسمعة فوق الشبهات ، لذا لم يكن لدى قائد الإنقلاب من سبب يدفعه إلى ممارسة القيود والتضيق على الحريات الذي مارسه الزعيم قبله والشيشكلي بعده ، وكان الشرط الوحيد

سامي كباره العدلية ، أكرم الحوراني الزراعة . وأسندت حقيبة التربية والتعليم إلى أمين عام حزب البعث ميشيل عفلق ، ومثّل الحزب الوطني بعادل العظمة (وزير دولة) . راجع : هزيمة طاغية ، ص ٨ – ٩ .

[١] – ولد عبد الله عطفه في دمشق عام ١٨٩٥ ، وعمل ضابطاً في الجيش العثماني ، ثم التحق بقوات "الشرق الخاصة " في سلك الدرك ، عزل إبان الحرب الفلسطينية عن قيادة الجيش ، ثم أعاده الزعيم ورقاه إلى رتبة لواء وسلمه قيادة الأركان العامة ، وقد خانه وانضم إلى الإنقلابيين . راجع من هو في سورية عام ١٩٥١ ، ص ٥٢١ . وفتح الله الصقال ، من مذكرات حكومة الزعيم ، ص٩٤ .

[٢] – شغل أسعد طلس أعمال المفوضية السورية في طهران وعين عام ١٩٤٨ قائماً بأعمال المفوضية السورية في أثينا ، ثم في عهد الزعيم تولى الأمانة العامة لوزارة الخارجية ، وقد عزله البرازي ، وعرف بولائه للأسرة الهاشمية في العراق ، وكانت تربطه روابط نسب مع العائلة الألوسية المؤيدة لنوري السعيد ، وقد كان صلة الوصل بين العراقيين وقادة الإنقلاب الثاني . راجع : من هو في سورية عام ١٩٤٩ ، ص ٢٦٧ ونذير فنصه ، أيام حسني الزعيم ، ص١٦٩ . وقد أشار التقرير السنوي الصادر عن المفوضية البريطانية إلى الدور الكبير الذي لعبه أسعد طلس لدفع عديله الحناوي نحو إنجاز الإتحاد مع العراق :

F. o / 371/ 82782/ Report by Morgan Man , 13/1/1950 , p. A - 2 .

الذي فرضه الجيش على السياسيين الاستمرار في السياسة التي رسمها الزعيم في مضمار تقوية الجيش والإقرار بالمبالغ المخصصة له [١] .

أفرجت الحكومة عن المعتقلين السياسيين ووجهت بياناً إلى الشعب شرحت فيه الأحداث التي شهدتها البلاد منذ ٣٠ آذار وأعلنت أنها أقدمت على تحمل مسؤولية الحكم عندما اقتنعت بصدق نوايا القادة الضباط . وبأنها شكلت لجنة من الوزراء لإعداد مشروع قانون الانتخابات الجديد لانتخاب جمعية تأسيسية تتولى وضع دستور جديد للبلاد [٢] . كما أنشأ مجلس الوزراء مديرية عامة للدعاية والانباء وعهد إلى أكرم الحوراني الإشراف عليها ورُبطت بها مديرية الإذاعة ، وقد أنيط بهذه المديرية تطبيق قانون الصحافة الجديد ومنح الرخص لوسائل الإعلام ودور السينما وفرض الرقابة على الصحف الأجنبية [٣] . ولم تطرح هذه الحكومة سياسة علمانية ولا إصلاحات جذرية على غرار العهد السابق بل اكتفت بالإبقاء على قوانين الزعيم ، وثبت قانون الانتخابات الصادر في ١٣ أيلول حق المرأة المتعلمة بالإقتراع وأبقى حق الترشيح حصراً على الرجال المتعلمين ، كما تضمن القانون بنوداً لضمان نزاهة الانتخابات [٤] ، وقد خطا

---

(١) - F. o / 371/ 87871/ Syria's Military strength in 1949 , a Report to war office , p.3 .

(٢) - ضمت اللجنة : فيضي الأتاسي وعادل العظمة وميشيل عفلق وأكرم الحوراني : الأيام ، دمشق ، عدد ١٧ آب ١٩٤٩ .

(٣) - علق الصحفي التركي شاكر شاشان على هذه المديرية بما يلي:" أوجب هذا القانون أن يحمل البائع الصحف والمجلات الأجنبية إلى مدير المطبوعات قبل المباشرة بالبيع حتى ليحصل على إجازة بيعها وأن كثيراً من الصحف اللبنانية والمصرية قد مُنعت بهذه الصورة "، راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، المجموعة داخلية ، قسم " الصحف " وثيقة رقم د١/١٢٠/١٨٤" مقال جريدة أقشام " عدد ١١١٦٩ ، تاريخ ١٧/١٢/١٩٤٩ .

(٤) - فرض القانون أن يكون المرشح حائزاً على الشهادة الابتدائية ، وإجراء فحوص للمرشحين غير الحائزين على تلك الشهادة كما نص على أن يكتب المقترع أسماء النواب ويضعها شخصياً في الصندوق المخصص ، وإذا كان غير متعلم فإنه يختار الأسماء أمام لجنة خاصة تمثل الدولة ومندوبين عن المرشحين في مركز الاقتراع . راجع نص القانون في صحيفة الأيام عدد ٤٢٧٠/١٤ آب ١٩٤٩ . وراجع :

R. Crow , A Study of Political forces in Syria , p.12 , cf . G. Torrey , Syrian Politics and the army , p.146 - 150 .

خطوة بارزة في ميدان إضعاف سطوة العائلات الإقطاعية وإفساح المجال أمام الطبقات الجديدة من رجال الأعمال والمثقفين لدخول حلبة السياسة [1] . في ٢٤ أيلول صدر المرسوم رقم ٢٣٩ القاضي بإجراء انتخابات الجمعية التأسيسية في ١٥ تشرين الثاني [2] وقد فشلت الأحزاب التي تتشكل منها الحكومة في الاتفاق على قائمة موحدة ، وبعد أن أجرى حزب الشعب مباحثات مع الحزب الوطني لتشكيل جبهة واحدة أصدر قادة هذا الأخير بياناً أعلنوا فيه مقاطعة الانتخابات بسبب الشك في حياد الحكومة ونزاهة القيمين عليها [3] ، وأدى هذا إلى تغيير ميزان القوى لصالح حزب الشعب الذي خاض الانتخابات بقوائم مستقلة ، وكذلك فعل حزب البعث ، وقد شكل الأخوان المسلمون مع بعض الجماعات الدينية جبهة موحدة خاضت الانتخابات تحت إسم " الجبهة الإسلامية الإشتراكية " ، وأعلنت في بيانها الانتخابي أنها سوف تعمل لتحقيق الإشتراكية التي دعا إليها الإسلام وتوثيق الروابط بين البلاد العربية . وحماية استقلالها ضد المؤامرات الإمبريالية [4] ، وبالمقابل خاض مرشحو نقابة العمال والحزب الشيوعي الانتخابات في حلب ودمشق وحمص كمستقلين ، وواجه الحوراني في منطقة حماه لائحة موحدة ضمت

---

(١) - كتب محمد كرد علي بهذا الصدد " بهذا القانون ذهب من طريق النيابة الأميين والإقطاعيين وأدرك حتى العوام معنى الحكم النيابي " . راجع : مذكراته ، ج٤ ، ص ١١٣٨ - ١١٣٩ .

(٢) - صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤٣٠٥ ، ٢٥ أيلول ١٩٤٩ .

(٣) - حاول حزب الشعب وضع قوائم من كافة الأحزاب بسبب الظرف الاستثنائي الذي تمر به البلاد . وقد عرض رشدي الكيخيا على الحزب الوطني أن ينسحب من وزارة الداخلية وأن يُختار لهذه الوزارة رجل حيادي ، فرفض الحزب الوطني العرض . ثم عرض على السباعي الفكرة فرفض . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، جلسة ٢٩ حزيران ١٩٥٠ ، ص٥٣٥ . وقد خاض بعض أعضاء الحزب الوطني الانتخابات كمستقلين . كما قاطع الانتخابات الحزب التعاوني الاشتراكي الذي نجا زعيمه فيصل العسلي من حكم الاعدام الذي كان مقرراً تنفيذه صباح الأحد من ٤٩/٨/١٤ اليوم الذي قتل فيه الزعيم . وقد تحالف هذا الحزب مع الوطني ومع الحزب الجمهوري . راجع : كتاب الأحزاب السياسية ، ص ٦٥ .

(٤) - نشط الاخوان المسلمون في سورية بعد الإنقلاب على الزعيم وبرزوا كتلة سياسية بسبب معارضتهم للنظام السابق . حول بيانهم الانتخابي راجع : صحيفة المنار الجديد ، عدد ٥ ، ٤٩/١١/١١ .

الاقطاعيين والمحافظين [1] . ومع أن مقولة الاتحاد مع العراق هي المقولة الأساسية لقادة النظام الجديد مدنيين وعسكريين فقد تجنب حزب الشعب تضمين بيانه الانتخابي تلك المقولة درءاً لإثارة المعادين لها من عسكريين وسياسيين الذين كانوا يشكون بأن كل شيء قد أعدّ لانجاز الإتحاد [2] .

تقدم ٢٥٠ مرشحاً لملء ١١٤ مقعداً منهم ٩١ عن المسلمين و١٤ عن غير المسلمين و٩ للعشائر [3] . وجرت الانتخابات في جوٍ مقبول من الحرية والحياد ، وقد أصدر وزير الدفاع أمراً يُحرمُ على العسكريين التدخل في العملية الإقتراعية [4] كما قام الحناوي وضباط الأركان بجولات متتابعة على المناطق للتثبت منَ الحياد ، وقد شهدت كل الصحف حتى الأجنبية على أنها أفضل انتخابات عرفتها سورية حتى ذلك التاريخ وأنها طليعة وقدوة للانتخابات في البلاد العربية [5] .

استقبل الشعب الانتخابات بفرح ممزوج بالقلق وعدم الثقة بالمستقبل ، ولم يكن الإقبال كثيفاً باستثناء منطقتي حوران وحماه ولم تصل نسبة المقترعين الحد الذي بلغته في انتخابات ١٩٤٧ [6] . ونال حزب الشعب نصراً بارزاً وهيمنة كاملة على الجمعية التأسيسية ٤٣ مقعداً بالإضافة إلى ٢٠ مقعداً من المستقلين المناصرين له من أصل ٥١

---

(١) – حول قوائم المرشحين راجع : صحيفة النضال ، دمشق ، عدد ٢١٨٨ ، ٤٩/١٠/١٥ .

(٢) – - F. o / 371/ 82782 / Annual Report on Syria in 1949 by Morgan Man , p. B - 2 .

(٣) – صحيفة النضال ، دمشق ، عدد ٢٧٨٨ ، ١٩٤٩/١٠/١٥ .

(٤) – ورد في نص الأمر ما يلي : " إن القوانين والأنظمة العسكرية نصت بصراحة على وجوب ابتعاد العسكريين من مختلف الرتب عن الاشتغال في الشؤون السياسية لكي يتفرغوا لإداء واجباتهم المسلكية " " وعليهم الابتعاد عن كل ما له علاقة بأمور الإنتخابات من حضور اجتماعات أو التحدث في شؤونها حفاظاً على خطة الحياد التي انتهجها الجيش .. فالمصلحة العليا تقضي بأن تجري الانتخابات في جو مشبع بروح الحرية والطمأنينة " راجع : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة . مجموعة وزارة الدفاع ، قسم " قرارات وقضايا مختلفة " وثيقة رقم د /٥/٨٦ ، تاريخ ٤٩/١٠/١٣ .

(٥) – م . ن ، المجموعة الداخلية ، قسم " الصحف " ، وثيقة رقم د١/١٢٠/٨٤ " مقال جريدة أقشام للصحفي التركي شاكر شاشان . عدد ١١١٦٩ تاريخ ١٩٤٩/١٢/١٧ .

(٦) – بلغت النسبة ٣٥٪ في دمشق و ٣١٪ في حلب و ٥٠٪ في حماه و ٨٠٪ في حوران . راجع: صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤٣٥٢ ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٩ .

بينهم ٩ مقاعد للعشائر المؤيدين دائماً للحكومة القائمة . ونال الحزب الوطني ١٣ مقعداً والجبهة الإسلامية خمسة مقاعد وحزب البعث مقعداً واحداً ومثله الحزب السوري القومي الاجتماعي [١] .

في ١٢ كانون الأول ، وبعد مرور ثمانية أشهر ، جلت المصفحات عن مبنى البرلمان السوري ، وعقدت الجمعية التأسيسية جلستها الأولى ، وأنيط بها صياغة دستور جديد يكون أساساً لبناء دولة حديثة ويضمن للبلاد استقراراً غير ذلك الذي دفعت ثمنه باهظاً . وقد كانت هذه الجمعية المنتخبة من الأمة ، " ما تزال مثقلة بوزر لا شرعي هو وزر القوة العسكرية التي منحتها تلك الشرعية ، وما تزال قوة رجال الأركان متحفزة جاثمة فوق القوة الشرعية ، تحركها من وراء الستار تيارات خارجية وتتنازعها صراعات داخلية " [٢] .

في الجلسة الأولى وجهت الجمعية التأسيسية تحية إلى " جيش الأمة الباسل وعلى رأسه عطوفة اللواء سامي الحناوي الذي قام بانقلابه البريء .. مستهدفاً تصحيح ما فسد من الأوضاع الدستورية .. مسلماً نفسه وجنود الوطن إلى قيادة الأمة المتمثلة بهيئتها التشريعية " [٣] كما أقرت الجمعية في الجلسة الثالثة مشروع دستور مؤقت يوجب إنتخاب رئيس دولة مؤقت ويمنحه حق ممارسة السلطات التنفيذية والتشريعية باستثناء عقد الاتفاقات الخارجية ريثما يُسن دستور جديد ويوضع موضع التنفيذ [٤] وبعد أن قدّم هاشم الاتاسي استقالة حكومته انتخب في هذه الجلسة رئيساً للدولة بأغلبية ٨٩

---

(١) – راجع أسماء النواب الفائزين في المرسوم الصادر عن مجلس الوزراء في ٣ كانون الأول ١٩٤٩ في صحيفة الأيام ، عدد ٤٣٦١ ، ١٩٤٩/١٢/٤ . وحول التمثيل الحزبي في الجمعية التأسيسية راجع : صحيفة ألف باء ، دمشق ، عدد ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٩ .

(٢) – غسان التويني ، منطق القوة ، ص ٤٦ .

(٣) – في هذه الجلسة تم انتخاب رشدي الكيخيا رئيساً للجمعية التأسيسية . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٧ .

(٤) – راجع مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٢٠ – ٤٨ .

صوتاً مقابل ١٩ [١] . وقد بدت سورية وكأنها تقف على عتبة حياة جديدة ، وأنه قد بقي للنظام المدني بقية أمل في النجاح [٢] ، بيد أن المظاهر كانت خادعة وأن ما جرى بعد بضعة أيام قد كشف بوضوح أن الجيش لن يتخلى عن سلطته لصالح الحكام المدنيين .

الإتحاد السوري – العراقي والإنقلاب الثالث :

بعد انقلاب الحناوي ، تصدر مشروع الإتحاد مع العراق واجهة الأحداث في سورية ، وعاد ليهز حكومات القاهرة والرياض وعمان ، ورجال السياسة في واشنطن وباريس ولندن تلك العواصم المعنية بقضايا الشرق الأوسط [٣] . مباشرة بعد سقوط الزعيم ، ابتدأ العمل الجاد لتوحيد الجيشين السوري والعراقي ، ووضعت الخطوط الأولى لإعادة تنظيم الجيش السوري وتدريبه على النسق البريطاني كخطوة أولى في مسيرة عملية التوحيد [٤] .

وعلى الرغم من سيطرة الضباط المؤيدين للمشروع ، فقد وجدت فئة داخل الجيش معارضة له ، وقد خشيت أن يؤدي الاتحاد مع العراق إلى ذوبان الجيش السوري داخل جيش يفوقه بكثير عدداً وعدة ، كما كانت تلك الفئة حريصة على النظام الجمهوري الذي تربت تحت لوائه . وقد تلقت دعماً من الإفرنسيين الذين ما يزالون يتمتعون بنفوذ قوي داخل المؤسسة العسكرية السورية ، كما دعمت هذه الفئة المعارضة السياسية بزعامة أكرم الحوراني الذي تصدى لتوجهات حزب الشعب والفئة المؤيدة له داخل

---

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٤٩ .

(٢) – F. o / 371 / 82782 / Annual Report on Syria in 1949 by Morgan Man , p. B - 2 .

(٣) – راجع مقال بقلم هرمان نولان تحت عنوان " مشروع الاتحاد بين سورية والعراق . في صحيفة " أميركان بوست " مترجم ومنشور في صحيفة الأيام الدمشقية ، عدد ٤٣٦١ ، تاريخ ٤ كانون الأول ١٩٤٩ ، ص ٣ – ٤ .

(٤) – F. o / 371 / 87871 / Syria's military strength in 1949, a Report to the War office , p. B -3 .

الجيش ، كذلك تراجعت زمرة من الضباط عن تأييد الاتحاد مع العراق بسبب ارتباطها بالملك عبد الله الذي وقف يعارض المشروع بعنف [١] .

وكما كان الجيش السوري منقسماً بين مؤيدٍ ومناهضٍ لمشروع الاتحاد كذلك كانت الفئات السياسية السورية . ومع أن حزب الشعب قد افتتح المفاوضات مع العراقيين منذ الأيام الأولى لانقلاب الحناوي [٢] ، فقد برزت داخل هذا الحزب خلافات حول شكل هذا الاتحاد ، وكان هاشم الأتاسي مناصراً لاتحاد القطرين تحت ظل عرش واحد على أن تبقى سورية والعراق مستقلتين في شؤونهما الداخلية [٣] ، بينما فضل رشدي الكيخيا قيام وحدة اقتصادية عسكرية لا تمس سيادة سورية ، وأن يقام حلف سوري – عراقي يحدد أسس التعاون وتحتفظ سورية بنظامها الجمهوري والعراق بنظامه الملكي كتجربة مؤقتة [٤] ، ومهما كانت الفروق في الاتجاهين فقد كان قادة هذا الحزب من أنصار " الهلال الخصيب " ، ولم تطرح أية مشكلة حول شكل الاتحاد بينهم وبين العراقيين الذين وافقوا على الإبقاء على الحكومة السورية المستقلة على أن يتشكل مجلس أعلى من ممثلين من كلا البلدين حسب نسبة عدد السكان ، وحكومة عليا تضم سوريين وعراقيين بنسب متساوية [٥] .

أيد رجال الإقتصاد السوريون مبدأ بناء تعاون وثيق مع العراق يساعد سورية على الخروج من أزمتها الاقتصادية الخانقة التي كانت تعاني منها آنذاك ، وعليه فإن فتح أبواب العراق أمام المنتجات السورية هو أمر حيوي لاقتصادها على قدر ما هو نصر سياسي لحمايتها من تهديد إسرائيلي محتمل .

---

(١) – F.O/371/ Annual Report on Syria 1949, 14/6/1950, p.1-3 .

وقد أشار مقال هرمان نولان إلى أن الملك عبد الله قد تلقى تهديداً من الحكومة البريطانية بألا يستخدم جيشه لإحباط فكرة الاتحاد . راجع المقال في صحيفة الأيام ، عدد ٤٣٦١ ، تاريخ ١٩٤٩/١٢/٤ .

(٢) – M. Khadduri . " the Scheme of Fertil Crescent unity" , p.160 et Suiv .

(٣) – بيروت المساء ، بيروت ، عدد ١٤٠ ، تاريخ ٤٩/١٠/٣١ .

(٤) – راجع كلمة رشدي الكيخيا في جلسة ٢٩ حزيران ١٩٥٠ . مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٥٣٥ .

(٥) – New York Times , 22 Oct. 1949 .

كان الحزب الوطني أول من أطلق مناشدة علنية للإتحاد مع العراق ، وذلك عندما أدلى صبري العسلي بتصريح في ٢١ أيلول دعا فيه إلى قيام دولة إتحادية تشمل وحدة الجيش والشؤون الخارجية والإقتصادية [١] ، ولما أصبح الحديث عن الإتحاد علنياً، استعد معارضوه للعمل ، وكانت مقولتهم أن سورية ستفقد شخصيتها وكيانها إذا ما اندمجت تحت عرش هاشميي العراق ، وسوف يؤدي ذلك إلى اتساع الهوة بينها وبين مصر والسعودية ، وأن العملية بريطانية والقصد منها ربط سورية كما هي حال العراق بالعجلة البريطانية [٢] ، وقد كان الحوراني صاحب الخبرة في حبك المؤامرات على رأس المعارضين واصطف إلى جانبه مصطفى السباعي زعيم الجبهة الإسلامية ، وأعلن أن النظام الملكي لا يتفق ومبادئ الدين الإسلامي وبأنه يؤيد النظام الجمهوري [٣] أما حزب البعث الذي كان مؤيداً للإتحاد فقد اصطف إلى جانب المعارضة بعدما عانى من هزيمة ساحقة في المعركة الانتخابية [٤] .

- منذ الانقلاب على الزعيم ، استعد الحلف المصري - السعودي لمقاومة المشروع ، وعندما كثرت التصريحات من بغداد كما من دمشق حول الاتحاد الذي سيُتيح لسورية مواجهة خطر الدولة العبرية [٥] التفتت القاهرة حول هذه الحجة وطرحت على

---

(١) - صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤٣٠٣ ، ٢٢ أيلول ١٩٤٩ .

(٢) - تلقت هذه الفئة دعماً من جماعة القوتلي ومن بعض كبار الملاكين السوريين وأطلقت على نفسها إسم " الكتلة الجمهورية " وللاضطلاع على وجهة نظرها . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، ص ٥٢ - ٥٩ و ٣١٥ - ٣١٨ و ٥٣٧ - ٥٣٩ وفي كل مكان تقريباً .

(٣) - م . ن ، ص ٢ .

(٤) - رشح الحزب عشرة من أعضائه ولم ينل سوى مقعداً واحداً (النائب جلال السيد) وقد انسحب عفلق بعد نتائج الجولة الأولى وترك الوزارة متهماً إياها بالتدخل ضده ، ونوه في تصريح له بتآمر دولة أجنبية (بريطانيا) ضد البعث . وذلك بسبب تعليق هيئة الإذاعة البريطانية بأن " اليسار المتطرف دعم حزب البعث الذي فشل في الانتخابات " راجع صحيفة البعث ، دمشق ، عدد ٢٠ ، ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٩ . وحول موقف هذا الحزب من الاتحاد مع العراق راجع : جلال السيد ، حزب البعث ، ص ٧١ - ٧٣ ، محمد عمران ، تجربتي في الثورة ، ص ١٦٩ .

(٥) - صرح نوري السعيد " أن حوادث سورية الداخلية وما اقترن بها من قيام دولة يهودية جعلت السوريين يفكرون في البحث عن سلامتهم بصورة إتحاد أو تقارب مع العراق .. وأضاف " إذا ما

مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في القاهرة منذ بداية تشرين الثاني مشروع إقامة حلف " الضمان الإجتماعي العربي " الذي كان هدفه الأول إعاقة سيطرة العراق على سورية [1] . أما حكومة الرياض ، ذات النفوذ الواسع آنذاك ، في أوساط الضباط والسياسيين والصحفيين السوريين ، فقد " أعرب مندوبها في واشنطن أمام وزارة الخارجية الأمريكية عن معارضة حكومته لهذا الإتحاد واحتجاجها على كل من يؤيده [2] . وكانت واشنطن ترقب بعين يقظة أطوار المشروع الذي أعلنت بريطانيا عن تأييدها له [3] ، في حين عارضته تل أبيب لكونه سيؤدي إلى " ظهور قوة عسكرية تهدد أمنها " ، وقد رأى الدبلوماسيون الأمريكان في الشرق الأوسط أن هذا الإتحاد لا يتلاءم مع السياسة الأمريكية ، وأن من مصلحة واشنطن ألاّ يحدث خلل في التوازن القائم في المنطقة قد يؤدي إلى انتشار الإضطراب في كل أرجائها " [4] .

وأخيراً كان على الجمعية التأسيسية أن تطرح على التصويت مشروع الاتحاد مع العراق وتحسم أمرها ، خاصة بعد أن ظهرت بوادر المعارضة له في رفع صلاحيات

رغبت سورية بالاتحاد فإني سأحرص على ألا أجعل من هذا التقارب ضاراً بمصالح إلى بلد آخر من البلاد العربية " . الأيام ، دمشق ، عدد ٤٣٢٥ ، ٣ تشرين الثاني ١٩٤٩ . راجع ايضاً مقال محمد صديق شنشل ، أمين عام حزب الاستقلال العراقي ، في صحيفة لواء الاستقلال تحت عنوان " في سبيل الاتحاد " نقلته صحيفة الأيام ، عدد ٤٣٦١ ، ٤ كانون الأول ١٩٤٩ .

(١) – إن فكرة الحلف لم تكن جديدة فقد طرحها جميل مردم أمام مجلس الجامعة في ٦ و ٢٢ شباط عام١٩٤٨ عندما كان رئيساً للوزراء ، وقد اقترح عقد حلف سياسي وعسكري يُجبرُ الدول الموقعة عليه اتباع سياسة موحدة في علاقاتها الخارجية " راجع النص في :

- Cahiers de L'Orient Contemporain , Vol , XIX , 1948 , p. 27 .

(٢) – راجع مقال الصحفي الأمريكي هرمان نولان في صحيفة الأيام ، مصدر سابق ، ص ٣ .

(٣) – اتصل ناظم القدسي وزير الخارجية بالمفوضية البريطانية بدمشق ، لأخذ رأي لندن بمشروع الاتحاد، وكان الرد أن بريطانيا تؤيد المشروع إذا كانت تلك رغبة سورية والعراق . وقد لامت الحكومة السورية واشنطن وباريس لتشجيعها المعارضين للاتحاد . راجع :

F. o / 371 / 82782 / Annual Report on Syria in 1949 , p. A . 4 .

(٤) – راجع مقال هرمان نولان ، في الأيام ، ص ٣ – ٤ .

عقد المعاهدات الخارجية عن رئيس الدولة للحؤول دون القيام بحركة مفاجئة لإبرام الإتحاد [١] .

تركزت المناقشات في جلسة ١٧ كانون الأول المخصصة لصيغة القسم الرئاسي التي تمَّ وضعها من قبل لجنة خاصة ضمت نواباً معروفين بتعاطفهم مع العراق (حسن الحكيم ، حسني البرازي ، زكي الخطيب) وكانت كالآتي " أقسم بالله العظيم أن أحترم قوانين الدولة وأحافظ على استقلال الوطن وسيادته وسلامة أراضيه وأصون أموال الدولة وأعمل على تحقيق وحدة الأقطار العربية " [٢] ، وكانت صيغة فريدة في نوعها قضت أن يتعهد رئيس الدولة الحفاظ على سيادة سورية وكيانها ، كما يتعهد تحقيق فكرة تزول السيادة بتحقيقها ، لقد كانت في الواقع استفتاءً لمشروع الإتحاد مع العراق .

دارت في هذه الجلسة مناقشات ملتهبة حيث طالبت المعارضة إضافة نص آخر إلى القسم هو " المحافظة على النظام الجمهوري في البلاد "، وهذه الإضافة جعلت مبدأ العمل على تحقيق الوحدة فارغ المضمون ذلك لأنه في عام ١٩٤٩ كانت سورية ولبنان فقط من بين جميع الدول العربية " دولاً جمهورية " . وقد رفضت الجمعية التأسيسية هذا التعديل وأقرت الصيغة الأولى بأغلبية ٦٠ صوتاً مقابل ٤٨ ، وبذلك اقترع ممثلو الشعب السوري لصالح الاتحاد [٣] ودُرج موعد تأدية الرئيس القسم لتوليه المنصب في جدول أعمال الجمعية في جلسة ١٩ كانون الأول ، وفي ١٨ منه نُفذ الإنقلاب الثالث بقيادة العقيد أديب الشيشكلي وبمشاركة الضابطين الدرزيين أمين أبو عساف وفضل الله أبو منصور ، وتحت جنح الظلام استولى الإنقلابيون على دمشق ، وبعد مقاومة قصيرة اعتقل الحناوي وجماعته من الضباط (محمد معروف رئيس الشرطة العسكرية ومحمود الرفاعي رئيس المكتب الثاني) وتمكن أسعد طلس من الإفلات من قبضة قادة الانقلاب[٤].

---

(١) – حول ما أثارته هذه النقطة في مشروع الدستور المؤقت في جلسة مجلس الوزراء راجع ما كتبه العظم في مذكراته ، ج٢ ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٢) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٥٢ .

(٣) – راجع . م . ن ، جلسة ٤٩/١٢/١٧ ، ص ٥١ – ٥٩ .

(٤) – حول تفاصيل أحداث الانقلاب ، راجع : أبو منصور ، أعاصير دمشق ، ص ٩٦ – ٩٨ ،

وهكذا وللمرة الثالثة خلال تسعة أشهر نفذ الضباط إنقلابهم بشكل روتيني في ساعات الصباح الأولى ، وللمرة الثالثة كان الحوراني ، الذي اكتسب خبرة في الإطاحة بالحكم المدني ، وراء الانقلاب [1] ، وللمرة الثالثة أعلن البلاغ رقم واحد "أن الجيش اضطر حرصاً على سلامته وسلامة البلاد وحفاظاً على نظامها الجمهوري أن يقصي المتآمرين .. وأنه ليعلن أنه سيترك إمرة البلاد في أيدي رجالها الشرعيين ولا يتدخل في القضايا السياسية إلاّ إذا كانت سلامة البلاد وكيانها تستدعيان ذلك " [2] .

لم تتعد هذه الحركة العسكرية نطاق الأركان العامة ، بيد أن أهميتها السياسية تجاوزت بكثير ذلك الإطار ، وقد كتب غسان التويني في ١٢/٢٠ معلقاً على الحدث : " إن الجيش لم يبق حامياً للوطن مؤتمراً أمر حكامه ، وإنما أقام نفسه ديدباناً لكيان الدولة ، حارساً لنظامها ، يقّوم بحد السيف اعوجاج حكام يُقرُ أن الشعب قد اختارهم " [3] . وبكلمات أخرى ترك الجيش للسياسيين اللعب بالسياسة كما يحلو لهم شرط ألاّ تخالف آراؤهم آراء السلطة العسكرية التي أصبح الشيشكلي يتحكم بها .

× × ×

تتيح لنا دراسة مرحلة التعاقب السريع للضباط العسكريين على السلطة في سورية استخلاص الآتي :

– إن ظاهرة الانقلابات العسكرية هي انعكاس لظاهرة تفكك المجتمع السوري وانعدام الاستقرار السياسي ولذلك فإن قدرة النظام السياسي على الاستمرار ارتبطت بقدرته على بناء نظام سياسي مستقر وإحداث التحام بين فئات المجتمع في حين اقترن التدخل العسكري باستمرار التفكك وتفاقم القلق مما فرض تدخلاً عسكرياً ثانياً وثالثاً .

راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧ .

(١) – حول دور الحوراني ، راجع : أبو منصور ، م . ن ، ص ٩٦ . و :

G. Lenczowski , the Middle-East in world affairs , p . 349 . c . F . o/ 371 / 91840 Annual Report on Syria in 1950 , From Montagu Pollock to Bevin , dated 6/1/1951 . p. B - 1 .

(٢) – النص في ، هزيمة طاغية ، ص ١١ .

(٣) – راجع كتابه ، منطق القوة ، ص ٥٢ .

– إن القوى الاجتماعية الجديدة أرادت تحويل البلاد من إرث الماضي المتخلف إلى عالم الحداثة ووجدت في المؤسسة العسكرية القوة الجاهزة لانجاز هذا التحول ، وقد كشف الضباط عن الرغبة في انجاز تطور اجتماعي سريع مما أحدث هوةً بين الحاكم والمحكوم وأثبت أن التطور لا يتم بإجراء فوقي قمعي بل يجب أن يخضع لإشراف الشعب عبر نظام ديمقراطي .

– إن النجاح الحقيقي لأي نظام عسكري يعتمد على تعزيز عمل المؤسسات المدنية وتحديث القوانين السياسية بحيث يصبح التدخل العسكري في الحياة السياسية غير ضروري ولا شرعي ، إلا أن الحكم العسكري لم ينجز هذا الدور التاريخي في حياة سورية .

– مع تواتر الانقلابات العسكرية انفتح باب الصراع بين الفئات السياسية المتضاربة لتثبيت مواقعها داخل الجيش ولن يقفل ، وما إن أصبح الجيش أداة سياسية حتى تفاقمت أزمة عدم الاستقرار وأضاعت معها فرص تحديث البلاد وانعاشها الاقتصادي .

الفصل الثاني

==========

عصر السلطة المزدوجة

١٨ كانون الأول ١٩٤٩-٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١

تمهيد

اتبع العقيد أديب الشيشكلي [١] أسلوباً وسطاً بين اندفاعة حسني الزعيم نحو السلطة الفردية وموقف الحناوي المتسامح ، وقد اكتسب أمثولة من تجربة سلفيه وهي أن تركيز الأضواء على شخص ما قد يعرض موقعه وسلامته الشخصية للخطر دائماً ، ولما كان الشيشكلي واعياً للتوجهات المتعارضة داخل صفوف الضباط تأبّى السلطة وظلّ بعيداً عن الشهرة ، وتخلى عن المناصب العليا في الجيش والدولة للقادة العسكريين الآخرين الذين شكلوا تحت إشرافه لجنة عسكرية خماسية وبذلك جعلهم شركاءه في الإنقلاب وحريصين على الإبقاء على الوضع القائم . ضمت هذه اللجنة الزعيم أنور بنود ، الزعيم

---

[١] – ولد الشيشكلي في حماه عام ١٩٠٩ من أصول عربية – كردية ، شارك بعض أفراد عائلته في حركة القومية العربية في القرن التاسع عشر وفي عام ١٩٣٠ انضم إلى قوات الشرق الخاصة وخاض حرب فلسطين تحت إمرة القاوقجي وقد مُني لواؤه (اليرموك) بإخفاق عسكري، شارك في إنقلاب الزعيم ، وعُين في نيسان عام ١٩٤٩ مديراً للشرطة والأمن العام وسُرح من الجيش في ١٥ تموز عندما رفض الالتحاق بمنصبه كملحق عسكري في الرياض . كان الشيشكلي عضواً في الحزب السوري القومي الإجتماعي وظلّ متأثراً بمبادئ هذا الحزب ، وقد دفعه هذا الإنتماء إلى المشاركة في المؤامرة ضد الزعيم ، وتولى بعد إنقلاب الحناوي إمرة اللواء الأول المتمركز في العاصمة وظل بعيداً عن المسرح يرقبه بحذر ويتحين الفرصة لإنزال ضربته . راجع : هزيمة طاغية ، ص ٥ – ٦ ، من هو في سورية عام ١٩٥١ ، ص ٢١٥ . كان الشيشكلي مغامراً شجاعاً جريئاً غير محتشم عُرف بولائه للإفرنسيين ، وقد وصفه الجنرال روبيرستون " بأنه رجل بلا مبادئ ، قاتل وسفاح، وصاحب سمعة سيئة في أوساط الشعب السوري " راجع :

F. o / 371 / 91867 / Report top secret No /53 / 26 Mars 1951 .

فوزي سلو ، المقدم أمين أبو عساف ، المقدم عزيز عبد الكريم والمقدم توفيق نظام الدين [1] .

خلال العامين اللذين تلوا حركة ١٨ كانون الأول ، تـرك الجيش لقادة البلاد مهام الحكم وسمح للأحزاب السياسية ممارسة نشاطها بحرية ، وبقي خارج المسرح يلعب دوره بفعالية إما مباشرة أو بواسطة كتلة حزبية داخل الجمعية التأسيسية تمثل توجهات الأركان وتناوئ الأكثرية المتمثلة بحزب الشعب . وتحت ظل هكذا حكم برلماني في ظاهره ، عاشت سورية حياة سياسية متقلقة مزقتها الخلافات الحزبية من برلمانية وغير برلمانية ، والصراعات بين الحكومة والجمعية التأسيسية ، مما أتاح للشيشكلي فيما بعد أن يفرض هيمنة كاملة على المسرح السياسي .

وفي هذه المدة ، شهدت الأرياف والمدن السورية صراعات ذات طابع إجتماعي – إقتصادي ترافقت مع ضغوطات خارجية لجر البلاد إلى حلبة الأحلاف الغربية ، وقد جوبهت هذه المحاولات بمقاومة شعبية حرَّضت عليها الأحزاب التقدمية . وتضافرت هذه العوامل مولدة أزمات حكم متتالية أعطت الحياة السياسية السورية حيوية فائقة .

خلقت هذه الحقبة إنجازات هامة في ميدان تحديث البلاد منها ذلك التطور البارز في ميدان التشريع وفي الحقلين الإقتصادي والإداري ، فلنتبع أدناه أحداث عامي ١٩٥٠ و ١٩٥١ .

---

(١) – في تقرير موجه من الملحق العسكري في المفوضية البريطانية Lt. Col, Harmor إلى وزارة الحرب شرحاً مفصلاً لضباط الأركان كالتالي " الزعيم بنود (مسلم من حلب) هو أفضل ضابط سوري ، يملك عقلاً راجحاً تولى رئاسة الأركان دون أن يعرض شخصه لعار اغتصاب السلطة . الزعيم سلو (كردي من دمشق) تولى مهام أمين عام وزارة الدفاع ، وهو الضابط المطيع لأوامر الشيشكلي ، وقد تسلق مركزاً أكبر من حجمه . عزيز عبد الكريم (علوي من القرداحة) ضابط مثقف انضباطي تولى إمرة المكتب الثالث (العمليات) وهو لا يملك سلطة حقيقية بسبب عدم الثقة به . توفيق نظام الدين (مسلم سني) من عشائر الأكراد في منطقة القامشلي وهو من أنصار النظام الجمهوري ، أما أبو عساف الذي تولى قيادة لواء المدرعات ، فهو يملك قوة معتبرة تثير قلق الشيشكلي لأنه يعمل سراً لصالح الإتحاد مع الأردن " .

F. o / 371 / 82788 / Sec / Mes / No 131 / dated 10/1/1950 .

أزمة الحكم – وزارة خالد العظم :

بدت سورية دولة دستورية تعيش أغرب المفارقات السياسية : ظاهرياً النظام البرلماني قائم وعامل ومن وراء الستار كان الجيش متحكماً باللعبة السياسية . ولعل أبرز دلالة على ازدواجية السلطة استقالة وزارة ناظم القدسي بعد مرور ثلاث وعشرين ساعة على تشكلها [1] ،

ووجه الغرابة أنها لم تسقط أمام البرلمان ولا استقالت من تلقاء نفسها ، بل لأن الجيش رفض قيام وزارة يهيمن عليها حزب الشعب الذي خسر سنده العسكري ولم تمس مكانته داخل أروقة البرلمان . وبسقوط هذه الوزارة سقط النظام البرلماني بالفعل ، وعليه قام الأتاسي للتو وقدَّم استقالته احتجاجاً على تدخل الأركان ، وقد رُفضت بالإجماع من قبل نواب الشعب [2] . ولما كان الضباط يريدون بقاء الأتاسي في السلطة واستمرار عمل المجلس التشريعي فقد عمدوا إلى التفاهم مع رئيس الدولة ، وأفرزت المشاورات ترشيح خالد العظم لتشكيل وزارة ائتلافية احتفظ فيها حزب الشعب بأربعة مقاعد ونالت الكتلة الجمهورية الناطقة باسم الجيش حقيبة وزارة الدفاع (أكرم الحوراني) ووزارة الزراعة (عبد الباقي نظام الدين) ومثلت فيها بقية الكتل البرلمانية [3] .

---

[1] – صدر المرسوم رقم /١/ و /٢/ ، تاريخ ١٩٤٩/١٢/١٤ ، بتسمية ناظم القدسي رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للخارجية ، فيضي الأتاسي (حزب شعب) وزيراً للدفاع ، زكي الخطيب (حزب شعب) وزيراً للعدلية ، هاني السباعي (حزب شعب) وزيراً للمعارف ، أحمد قنبر (حزب شعب) وزيراً للداخلية ، محمد المبارك (الجبهة الإسلامية الإشتراكية) وزيراً للأشغال العامة ، شاكر العاصي (حزب شعب) وزيراً للمالية ، محمود العظم (مستقل) وزيراً للزراعة ، د. جورج شلهوب (مستقل) وزيراً للصحة والإسعاف العام . عن رئيس الدولة هاشم الأتاسي . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص٨٧ .

[2] – م . ن ، جلسة ٤٩/١٢/٢٧ ، ص ٧٨ .

[3] – صدر المرسومان رقم ١ و ٢ بتسمية : خالد العظم رئيساً للوزراء ووزيراً للداخلية (مستقل من خارج البرلمان ، فيضي الأتاسي للعدلية (حزب شعب) . فتح الله أسون للصحة والإسعاف العام (حزب شعب) أكرم الحوراني (الجبهة الجمهورية) الدفاع الوطني [لم يكن قد أعلن بعد عن تأسيس حزبه رسمياً] ، عبد الباقي نظام الدين (الجبهة الجمهورية) للزراعة ، معروف الدواليبي (حـــزب

كشف صدور مرسوم الوزارة في ٢٧ كانون الأول ١٩٤٩ تراجع حزب الشعب عن تصلبه وقبوله التعاون مع الأركان ريثما تستقر الأمور ويتم إقرار الدستور الجديد وانتخاب رئيس الجمهورية . " وقد أتاح هذا التعاون المتقلقل فرصة ملائمة لقيام استقرار نسبي مقبول وسارت أحداث عام ١٩٥٠ بأفضل ما هو متوقع لها " [١] .

في جلسة الرابع من كانون الثاني تلا رئيس الوزراء بيانه الوزاري المقتضب وأكدً " على السعي للحفاظ على تقاليدنا الجمهورية وعلى استقلال البلاد وسيادتها وسلامتها " " والأخذ بأسباب التقدم لخدمة الشعب " . وقد خصصت جلسة السابع منه لإداء رئيس الدولة القسم وطرح البيان الوزاري للمناقشة ، وقد أدى الأتاسي نص القسم الذي أقرته الجمعية التأسيسية دون تعديل . ثم ناقش النواب البيان الوزاري وانتقد البرازي والعجلاني تشديد العظم على النظام الجمهوري ، وطالب حسن الحكيم بوحدة عربية شاملة تضم الدول المعرَّضة للتهديد الإسرائيلي المباشر ، وقد نالت الحكومة الثقة بأكثرية ٩٢ صوتاً مقابل ستة وامتناع اثنين ، وأصدرت للتو مرسوماً بإقالة الحناوي وتعيين الزعيم أنور بنود رئيساً للأركان العامة [٢] .

ومع أن الدعوة إلى قيام الإتحاد مع العراق ظلت تستأثر باهتمام أكثرية الفئات السياسية، فقد بدا واضحاً أن شراع السفينة قد مال عن المشروع وأن سورية انحازت إلى الجانب السعودي – المصري . ففي اليوم التالي لجلسة الثقة طار الشيشكلي برفقة العقيد عزيز عبد الكريم والمقدم شوكت شقير إلى القاهرة ومنها إلى الرياض حيث حصل على قرض بمبلغ ستة ملايين دولار ، ثم توجه وزير الإقتصاد السوري إلى الرياض للتوقيع على اتفاقية القرض كما على اتفاق تجاري بين الدولتين [٣] ، وراحت السعودية

شعب) الاقتصاد الوطني . عبد الرحمن العظم (مستقل) للمالية ، سامي كبارة (مستقل) للداخلية ، هاني السباعي (حزب شعب) للمعارف ، محمد المبارك (الجبهة الإسلامية الإشتراكية) للأشغال العامة . راجع : م . ن ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٨٩ .

(١) – F. o / 371 / 91840 / Report by Montagu - Pollock to Bevin , 15/1/1951 / p. A - I .

(٢) – راجع وقائع هذه الجلسة في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ١٣٠ – ١٣٥.

(٣) – نصت الإتفاقية بأن يُدفع القرض على ثلاث أقساط بدون فائدة خلال سبعة أشهر وبدءاً

تضغط على السياسيين السوريين مطالبة بإعادة القوتلي لرئاسة الجمهورية ، وسرت إشاعات حول هذه النقطة مما دفع الجيش إلى نفيها علناً [1] . ومهما يكن فإن إقرار المادة الأولى من مسودة الدستور التي نصت " أن سورية جمهورية برلمانية " كان بمثابة " صمّام أمان " لكيان البلاد ونظامها .

بذل العظم محاولات جادة لتحييد دور الجيش ولدفع عجلة النمو الاقتصادي ، وقد استهل برنامجه بطرح مشروع بناء مرفأ اللاذقية على الجمعية التأسيسية [2] ثم التفت نحو لبنان حيث كانت العلاقات قد تأزمت بين الحكومتين نهاية عام ١٩٤٩ بسبب قرار مجلس الوزراء السوري بمنع شحن القمح إلى لبنان ، وكانت دمشق قد أبرمت في عهد الزعيم إتفاقاً اقتصادياً – مالياً مع لبنان في ٨ تموز ١٩٤٩ بقي حبراً على ورق [3] .

اتجهت حكومة العظم نحو التوصل إلى قرار حاسم بما يخص العلاقات الإقتصادية مع لبنان وبعد إجراء مشاروات مع خبراء اقتصاديين وأعضاء الفرق التجارية تقرر العمل على إقامة وحدة اقتصادية مالية وجمركية وضريبية بين الدولتين أو إقرار انفصال عاجل للوحدة الجمركية القائمة ، ولما لم تُسفر المباحثات التي جرت في شتورا عن نتيجة محددة ، وجهت الحكومة السورية في ٧ آذار مذكرة إلى وزارة الخارجية اللبنانية تطالب فيها برد حاسم في مدة لا تتجاوز العشرة أيام ، وإلاّ سوف تعمد سورية إلى إنهاء الوحدة الجمركية . رفضت حكومة بيروت الاقتراح السوري بمذكرة في ١٣

من عام ١٩٥٥ على أربعة أقساط متساوية وأقرت الجمعية التأسيسية الإتفاقيتين في جلسة ١٢ تاريخ ١٩٥٠/٢/٨ وجلسة ١٣ في ١٩٥٠/٢/١١ . راجع : م . ن ، ص ١٤٤ – ١٤٥ ، وص٢١٠ – ٢١٩ .

[1] – نشط أعضاء الحزب الوطني وجماعة فيصل العسلي والحزب الجمهوري الديمقراطي في معارضة الحكم وراحوا يروجون أن القوتلي هو وحده القادر على الوقوف في وجه الداعين إلى الإتحاد مع العراق . وقد دعمتهم حكومة الرياض ، وكان أغلب ضباط الجيش يكرهون القوتلي ويعتبرنه مسؤولاً عن هزيمة فلسطين . راجع ما كتبه العظم حول هذه النقطة في مذكراته ، ج٢ ، ص ٢٥٨ – ٢٦٠ ، ٤٤٨ .

[2] – مذكرات المجلس النيابي (الجمعية التأسيسية) مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ١٥٢ – ١٥٣ .

[3] – راجع نص هذا الإتفاق ، في : العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٣١ – ٣٣ .

آذار [١] وفي اليوم التالي أصدرت حكومة العظم بصفتها تملك صلاحيات التشريع المرسوم رقم ٧١ (١٩٥٠/٣/١٤) القاضي بفصم عرى الوحدة الجمركية ، وأغلقت الحدود في منتصف الليل ، ورفعت الحواجز صباح اليوم التالي ، وراحت الطيارات السورية تحلق في المناطق الحدودية لاتخاذ التدابير ضد عمليات التهريب [٢] .

طُرحت مسألة القطيعة مع لبنان أمام الجمعية التأسيسية في جلسة ١٥ آذار لإقرار الأمر الواقع ، وقد انتقد حسني البرازي القرار قائلاً : " إن القدرة الإلهية جعلت لبنان وسورية جزئين يتمم أحدهما الآخر والغريب أنه بينما تتكلم هذه الجمعية عن الوحدة العربية تفاجأ بالانفصال والقطيعة .. فالقضية ليست إقتصادية وأرقام .. هناك الوجهة السياسية القومية التي يجب أن تُعطى ما تستحق من الاهتمام .. ودولة الرئيس قام بعملية إرتجالية إرضاءً لبعض التجار وأصحاب المصانع .. [٣] .

أدت القطيعة إلى تدهور العلاقات السياسية مع لبنان وقد اعترضت الحكومة السورية على إقامة جميل مردم في لبنان الذي أصبح ملجأ لصالح المعارضة ، وبدا واضحاً أن فرصة إعادة العلاقات الإقتصادية بين الدولتين قد تضاءلت بسبب إصرار لبنان على نظام الإقتصاد الحر وتفضيل سورية إشراف الحكومة نسبياً على اقتصادها .

عملت حكومة العظم على تعزيز وسائل الدفاع العسكري ، ووضعت برنامجاً واسعاً للتسلح يتجاوز بكثير وسائلها المادية ، فقد خصّصت القرض السعودي لهذه الغاية ، وطالبت مصر بالتنازل عن الصفقة التي عقدها الجيش المصري لشراء بعض القطع البحرية لقاء ثمنها، وهدف العظم إلى إعداد الجيش بحيث يصبح قادراً على حماية البلاد ضد التهديد الإسرائيلي وبذلك لن تعود سورية محتاجة إلى الاتحاد مع العراق وخسران استقلالها [٤] .

---

(١) – نص المذكرة السورية في : العظم ، مذكرات ، ص ٣٨ – ٤٠ ، ونص المذكرة اللبنانية في المصدر نفسه ص ٤٣ – ٤٧ .

(٢) – صحيفة الأيام ، عدد ٤٤٣٩ / ١٦ آذار ١٩٥٠ .

(٣) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٤) – خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٢٥٣ – ٢٥٥ .

كانـت فرنسا الدولة الغربية الوحيدة التي مدَّت يد المعونـة العسكرية للسوريين خوفاً من وقوعهم في دائرة العراق وبالتالي النفوذ البريطاني [1] ، بيد أن الأسلحة الفرنسية لم تكن كافية ولا متطابقة فنياً مع مقتضيات الحرب الحديثة ، وعليه تطلع العظم للحصول على السلاح من المملكة المتحدة وأجرى مباحثاتٍ في هذا الشأن مع الادميرال البريطاني (Sir Jhon Cunningham) خلال زيارته لدمشق . وأكّد العظم في المقابلة التي تمت في ٢ آذار على أهمية وجود جيش عربي جيد التسليح لدعم تركيا زمن الحرب ، وتحدث عن العراقيل التي تواجهها حكومته من قبل الولايات المتحدة التي ترفض تزويد سورية بالسلاح ، وأن لندن لا تقدم إلاّ كميات ضئيلة ، ثم أصرَّ على أن سورية لا تريد حسنة وأنما موافقة حكومة لندن على عقد صفقات الأسلحة مع مصانع السلاح البريطانية " . ردّ الادميرال كونينغهام : " أن مسألة تجهيز الجيوش لدعم الحلفاء لا تعني سورية وحدها بل جيرانها أيضاً ، وأن من الضروري وضع خلافاتهم جانباً والتعاون مع بعضها البعض " وشدّد " على ضرورة صيانة الحكومة السورية للمطارات والطرق الإستراتيجية التي أقامها الحلفاء إبان الحرب " فأجاب العظم " أن حكومته قد خصصت الأموال لتحسين مطار دمشق والقامشلي وصيانة الطرق وأنها قررت توسيع

---

[1] – حول موقف فرنسا من تزويد سورية بالسلاح كتب الوزير المفوض البريطاني في باريس في تقرير بتاريخ ٤ أيار تحت الرقم ٢٣٣ ما يلي " إن من الضروري تسليح الجيش السوري ، ويبدو أننا لا نستطيع القيام بذلك وحدنا طالما أن الافرنسيين قادرون على إقناع السوريين برفض شروطنا، وأن هناك مصلحة في ترك القيادة في هذا الميدان إلى الافرنسيين وتسليح السوريين عبرهم " " ومن المفيد أن نقنع الإفرنسيين بتقديم نوعية جيدة من الأسلحة التي يحتاجها السوريون ، ويجب أن يكون هناك تعاون بين القوى الثلاث بما يخص شؤون دول الشرق الأوسط " . ردّ الجنرال B. Robertston قائد القوات البرية البريطانية في الشرق الأوسط معلقاً على اقتراح ممثل دولته في باريس " إذا كان الأمر كذلك فلماذا يريد السوريون الحصول على السلاح من مصدر آخر ولماذا يُلحّون علينا وعلى الأمريكان من أجل الحصول على أنواع حديثة من الأسلحة ... إن السوريين يريدون السلاح بلا ثمن ويبدو لي أن الإفرنسيين قد أدركوا ذلك وأنهم يدفعون غالياً ثمن تقوية نفوذهم في سورية .. وإن من المؤكد أن السوريين غير راضين عن الأسلحة الإفرنسية مع أنها تُرسل إليهم بكميات مقبولة لكنها ليست إلا سقط متاع " . راجع :

F. o / 371/ 91867/ Top Secret G.I.C , No 153 , 26 May 1951 .

مرفأ اللاذقية حتى يتاح لسورية إقامة اسطول بحري عسكري ، وأنه يتطلع إلى توجيهات الحكومة البريطانية بهذا الخصوص " [١] .

اقترح الأدميرال على حكومته منح سورية قرضاً لشراء السلاح الجوي وقبول بعثات عسكرية سورية للتدريب في بريطانيا [٢] ، وقد وافقت وزارة الحربية على تزويد سورية بـ ١٢ طائرة Jet مقاتلة ، وبعد أن وقّعت وزارة الدفاع السورية العقد مع شركة Gloster وتمّت الموافقة على رخص التصدير ، قامت حكومة تل أبيب واحتجّت على هذه الصفقة ، عندئذٍ أجّلَت وزارة الخارجية البريطانية تسليم الطائرات المقاتلة للسوريين حتى أيار عام ١٩٥١ ريثما يتم الاعتراف بضم الجزء العربي من فلسطين إلى الأردن ، وحتى تظهر في الأفق بارقة أمل حول مسألة العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل " [٣] .

تزامنت قضية حظر بيع الأسلحة لسورية مع انتشار شائعات حول تدخل الأمريكيين لدى حكومات جامعة الدول العربية لإقناعهم بإبرام صلح مع إسرائيل [٤] ، فاندفع بعض الساسة السوريين نحو اتخاذ مواقف معادية للغرب ، وبادروا إلى الإعلان عن إمكانية توجّه العرب نحو المعسكر الشرقي لمقاومة الضغوط الأنكلو - أمريكية ، وفي ١٥ نيسان صرّح الدواليبي وزير الاقتصاد السوري " أن العرب يفضلون ألف مرة أن يصبحوا جمهورية سوفياتية على أن يكونوا طعمة لليهود " [٥] وسرعان ما افتتح هذا الوزير محادثات تجارية مع الإتحاد السوفياتي وأعلن في مؤتمر صحفي في ١٥ أيار عن حاجة سورية إلى الأسواق لتصريف منتجاتها وعن استعداد حكومته لتبادلها بالآلات ومواد الخام الضرورية للصناعة السورية وأنه اتفق مع الوزير المفوض السوفياتي على

---

(١) - F. o / 371 / 82823 / 2/3/1950 , P. 1 .

(٢) - Op.cit , :82829 / "Air Craft for Syria" Note by H. A. Hnkey , 6/3/1950 .

(٣) - Op.cit , / 82829 / Note From F. O. / dated 11/3/1950 .

(٤) - صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد٤٥٠١ ، ٩ /٥/١٩٥٠ ، والإنشاء دمشق ، عدد ٣١٦٩ ، ٢٦ /٢/ ١٩٥٠ .

(٥) - حول انعكاسات هذا التصريح والضجة التي أثارها في الصحف السورية كما في أجهزة الإعلام الغربية . راجع : خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، ٢٣٨ - ٢٣٩ .

الخطوط العريضة للإتفاقية الإقتصادية السوفياتية – السورية ، وتحدث عن احتمال عقد معاهدة صداقة بين الدولتين ، وصرَّح بأن السوفيات قد قدَّموا عرضاً لتزويد سورية بالسلاح وأن حكومته تدرس المسألة [١] . كذلك دعا الشيخ مصطفى السباعي ، زعيم الجبهة الإسلامية الإشتراكية ، إلى إقامة علاقات مع الإتحاد السوفياتي [٢] ، وقد وجهت الجمعية التأسيسية مذكرة إلى جامعة الدول العربية تطالب بمقاومة الضغوط الأمريكية والإعلان عن توجه العرب نحو المعسكر الشرقي إذا ما تصاعدت تلك الضغوط [٣] .

هلَّل الرأي العام السوري لهذه التوجهات ، وكان مستاءً من المساعدات الغربية الخاصة باستيطان اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية على الرغم من قرارات الأمم المتحدة القاضية بعودتهم إلى فلسطين ، وقد تولَّت الأحزاب التقدمية ، (البعث والعربي الإشتراكي) ، والجبهة الإسلامية ، دور القيادة في الحملة التي تدعو إلى حياد سورية في الحرب الباردة .

قيَّم الدبلوماسيون الغربيون هذه المواقف على أنها شكل من أشكال الإبتزاز السياسي لدفع الغرب إلى تقديم السلاح لسورية ، وعلَّق أحد الدبلوماسيين البريطانيين قائلاً " إن الخطر الحقيقي يكمن في أن السوريين وبعض الساسة العرب قد يدفعهم جنونهم باتجاه روسيا ليس حباً بالشيوعية بل للضغط على القوى الغربية بشأن القضية الفلسطينية " [٤] .

---

(١) – F. o / 371/ 82794 / M. F. B. B. C. Mon 1044 , and B.B.C. Mon 1040 .

(٢) – قال السباعي في جلسة ٢٩ نيسان " يقولون أننا ديمقراطيون وأن الشيوعية لا تتفق مع إيماننا ... ونحن نعلن أننا نريد أن نتحرر من الخضوع لجبهة معسكر واحد ، ويقولون أن الخطر الروسي خطر على الحضارة .. ولكن ماذا أخذنا من حضارة الإنكليز والإفرنسيين هل أخذنا منها إلا تشريد رجالنا واستعمار بلادنا وتسليط شذاذ الآفاق علينا ، أنا أدعو للتعاون مع المعسكر الروسي تجارياً وعسكرياً وسياسياً ، راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص٤٠٦ – ٤٠٧ .

(٣) – راجع نصوص التصاريح والمذكرات حول هذه النقطة في :
C. O. C. , Vol XXI . p.47 - 48 .

(٤) – F. o / 371/ 82742 / "Syria and Communism" Report by G. W. Juntinge , 14 June 1950 .

في ٢٥ أيار ، عقب اجتماع ضمَّ وزراء خارجية الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا في (Lanchter House) نوقشت فيه قضايا العالم العربي ، صدر البيان الثلاثي الذي أكّد على الحفاظ على الوضع القائم في الشرق الأوسط وعلى السلام بين دوله ، والتوازن في تزويد هذه الدول بالسلاح ، ومنع استخدام القوة ، والتوقف عن التسابق للتسلح ، واعترف "بأن الدول العربية وإسرائيل بحاجة إلى مستوى معين من التسلح لضمان الأمن الداخلي والدفاع عن النفس والسماح لهم بلعب دور في الدفاع عن المنطقة [١] " . وقد تولّت فرنسا تبليغ البيان إلى حكومتي سورية ولبنان ، بينما قامت بريطانيا وأمريكا بإبلاغه إلى باقي الحكومات العربية ، ولقد اعترضت على البيان حكومتا العراق ومصر واستقبلته الصحافة والأحزاب السورية بعداء سافر ووصف بأنه تدخل في شؤون الدول العربية لإعادة بسط النفوذ الغربي عليها [٢] ، هذا ولم يصدر عن قيادة الجيش أي تعليق رسمي حول البيان كما وافقت بتحفظ عليه الجمعية التأسيسية بعد مناقشته في جلسة ٤ تموز ١٩٥٠ [٣] ، ولم يكن بإمكان حكومتي سورية ولبنان إلا تأييد هذا الإعلان الذي يضمن الحفاظ على سلامة بلادهما ، بينما مال الرأي العام العربي إلى اعتباره محاولة لإعادة تقسيم المنطقة وتنظيم مناطق النفوذ . وقد ردت جامعة الدول العربية على البيان الثلاثي في مذكرة بتاريخ ٢١ حزيران أعربت فيها عن حرص دولها

---

(١) – راجع نص البيان بالعربية في مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص ٢٤٢ والنص بالإفرنسية في: Chahiers de l'Orient Contemporain , Vol XXI, 1950 , p49 - 50 .

(٢) – استاءت لندن من الحملة المعادية للبيان الثلاثي واعتبرت أن السبب في تهجم بعض الساسة العرب عليه هو انزعاجهم من عدم استطاعتهم بعد الآن التوسل بدولة ما من دول الغرب ضد أخرى وأن وحدة الدول الغربية قد قطعت الحبل على تلك المناورات . راجع ، الأيام ، دمشق ، عدد ٤٥١٢ / ٢ حزيران ١٩٥٠ نقلاً عن وكالة رويتر للأنباء . وقد أشار ناطق باسم الخارجية البريطانية إلى الحملة التي شنها رئيس الوزراء العراقي ضد التصريح الثلاثي وأعلن " أن الجامعة العربية إذا ما حذت حذو العراق وأصرّت على رفض التصريح فإن سياسة الدول الثلاث لن تتأثر بالمسألة ". راجع : المصدر نفسه ، عدد ٤٥٢٢/١٤ حزيران ١٩٥٠ .

(٣) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٨١٠ – ٨١١ .

على الحفاظ على سيادتها وكامل استقلالها والوقوف في وجه كل ما يمس تلك السيادة [1] .

منذ نهاية شباط بدأت الأزمة الوزارية تكشف عن وجهها كدليل على افتقار سورية إلى الإستقرار ، وقد تعرّضت حكومة العظم إلى انتقادات عنيفة تناولت تشكيلتها المتناقضة وبرنامجها الإقتصادي وتخبطها في السياسة الخارجية وفشلها في تحقيق استقرار داخلي [2] ، ومنذ أواخر نيسان بدا واضحاً أن الجيش قد سحب ثقته من حكومة العظم وأن هناك بوادر تحوّلٍ في اتجاهاته السياسية ، ففي ٢٨ منه قدّم ممثله في الوزارة أكرم الحوراني استقالته ، وأعلن أنه يرفض التعاون مع بعض الوزراء المعارضين لبرنامجه التقدمي . وقد تابعت الحكومة مسيرة أعمالها وتوجّه العظم في ١٠ أيار إلى القاهرة لحضور اجتماعات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية المنعقدة لمناقشة مسألة حلف الضمان الإجتماعي وقضية ضم الجزء الشرقي من فلسطين إلى المملكة الأردنية [3] .

في القاهرة تبنى العظم موقف مصر والسعودية وأيّد الحلف [4] واقتراح النحاس باشا بفصل الأردن عن جامعة الدول العربية إذا ما أصرَّ على موقفه ، ولم تتخذ الجامعة

---

(1) – - Cahiers de l'Orient Contemporain , Vol XXI , 1950 , p.173 - 175 .

(2) – راجع صحيفة الإنشاء ، دمشق ، عدد ٣١٦٩ ، ٢٦ شباط ١٩٥٠ . صحيفة بردى ، دمشق عدد ٦٥ ١٢ أيار ١٩٥٠ ، وكان عنلق قد شن حملة ضد الحكومة ، وأشار إلى أنها تضم فريقين متعارضين كل واحد يتهم الآخر بأنه يعمل لصالح بعض الملوك والدول الأجنبية . راجع الأيام ، عدد ٣١١٠ ، ١٩٥٠/١/٢٦ .

(3) – بعد توقيع الهدنة في آذار ١٩٤٩ أقام الملك عبد الله في الأراضي التي احتلتها لفرقة إدارة مدنية تحت سلطة الجيش الأردني . وفي شهر أيار دخل ثلاثة فلسطينيون في حكومة عمان كممثلين عن فلسطين العربية التي اطلق عليها إسم " المناطق الغربية من المملكة الأردنية "، وفي ١١ آذار أقرَّ البرلمان المنبثق عن الإنتخابات بأكثرية ساحقة وحدة ضفتي الأردن ، وقد دعمت بريطانيا العاهل الأردني ولم تتردد مصر في اتهام لندن بأنها تعمل ضد إرادة القاهرة ولصالح منافسيها " . راجع :
M. Colombe , Essais sur la politique Britannique dans l'Orient Arabe , p.67 .

(4) – عندما طُرح مشروع الإتحاد السوري العراقي على الجامعة في تشرين الأول ١٩٤٩ ، وقفت مصر والسعودية ولبنان ضده وسعى ممثلو هذه الدول إلى التوصل إلى قرار بعدم إنجاز الإتحاد إلاّ بموافقة كل أعضاء الجامعة فانسحب الوفد السوري برئاسة ناظم القدسي وعضوية عادل العظمة

قراراً نهائياً حول هذه القضية بسبب طلب العراق تأجيل البت بها حتى العاشر من حزيران . ومن القاهرة توجّه العظم إلى الرياض لإقناع الملك سعود بالتراجع عن تشبثه بعودة القوتلي وللإسراع بتسديد القرض الذي تمّ إبرامه بين الحكومتين [١] ومن ثم توجه العظم إلى بيروت حيث أجرى مع رياض الصلح مباحثات بشأن " البيان الثلاثي " كما عرض لاحتمال عقد معاهدة تجارية بين الدولتين وأطال العظم غيابه عن دمشق حيث كانت تجري التحضيرات للإطاحة بحكومته بعد أن استقال فيضي الأتاسي في ٢٤ أيار ولوح عدد من الوزراء بالاستقالة ، ولما فشل العظم عند عودته في ٢٨ منه في الحصول على دعم الجيش قدم إستقالته في ٣٠ ايار وفي الرابع من حزيران شكل العضو البارز في حزب الشعب ، ناظم القدسي ، وزارة ضمت خمسة أعضاء من حزبه ووزيرين مستقلين وتولى الزعيم فوزي سلو ، أخلص رجال الشيشكلي وزارة الدفاع [٢] . وهكذا أتيحت لحزب الشعب الفرصة لممارسة الحكم في سورية بعدما توصل إلى التفاهم مع القادة الضباط .

وميشيل عفلق من الاجتماع ، عندئذٍ طرحت مصر مشروع الضمان الإجتماعي ، راجع : بيروت المساء ، عدد ١٤٠/٣١/٤٩ . وصرح نوري السعيد بأن حلف الضمان كي يكون ناجحاً يجب أن يراعي التزامات كل دولة وأوضاعها الإقتصادية . راجع : الأيام ، عدد ٤٣٢٥ ، ١٩٤٩/١١/٣ . حول آراء نوري السعيد بشأن الحلف والإتحاد مع سورية ، راجع " الاتحاد السوري العراقي والضمان الإجتماعي " محاضرة ألقيت في بغداد في ٦ آذار ١٩٥٠ ، ص ١٧ - ٢٠ . وكان من الواضح أن الولايات المتحدة تؤيد مشروع الحلف لأنها أرادت أن ترى دول الشرق الأوسط تنظم دفاعها بشكل يؤمن استقرار الوضع القائم . هذا وقد تبنت الجامعة في ١٣ نيسان النص النهائي لميثاق حلف الضمان الإجتماعي الذي ولد كسيحاً في جوٍ يسوده الخلاف بين الفرقاء ، وقد تأخر تنفيذه حتى آب ١٩٥٢ ، وكشف عن عدم فعاليته في أكثر من مناسبة . راجع :

P. Rondot , Les Etats Unies .. dans, Orient , No 2 , 1957 , p.42 .

(١) - حول هذه الأحداث راجع : العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص٢٤٩ - ٢٥٥ ، ٢٥٨ - ٢٦٥ .

(٢) - تولى القدسي حقيبة وزارة الخارجية ، حسن الحكيم وزير دولة ، زكي الخطيب العدلية ، هاني السباعي المعارف ، شاكر عاصي المالية ، أحمد قنبر الأشغال العامة ، جورج شلهوب الصحة والإسعاف العام ، رشاد برمدا الداخلية ، علي بوظو الزراعة ، فوزي سلو الدفاع . مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، ص ٢٣ .

- حكومة حزب الشعب (٤ حزيران ١٩٥٠-١٠ آذار ١٩٥١):

غالباً ما وصف القدسي بأن رجل سياسي ماهر يملك المؤهلات اللازمة لقيادة الدولة ، وقد قُدِّر لوزارته ، التي اشتهر أعضاؤها بالنزاهة ، أنها لن تبقى في السلطة إلاّ بضعة أسابيع، ومع ذلك بقيت صامدة أمام الضغوط الداخلية والمؤامرات الخارجية تسعة أشهر استطاعت خلالها أن تحقق لسورية استقراراً نسبياً ، وأن تقف بحزم أمام توجهات الحزب الوطني المناهضة للنظام ، هذا الحزب بعد أن أقفلت في وجهه قنوات المعارضة البرلمانية لجأ إلى الصحافة وإلى أشكال عدة من الدسائس [١] .

لم تعرف سورية في عهد وزارة القدسي أزمات حادة وذلك بفضل دعم رشدي الكيخيا وهاشم الأتاسي للحكومة ، " وقد تمكن هؤلاء الثلاثة من تطهير سجلات السياسة السورية وتنقيتها " [٢] .

كان حزب الشعب واعياً تماماً أن بقاءه في السلطة منوط بتعاونه مع الشيشكلي ، وبالتالي فإن على الحكومة أن تعتمد سياسة خارجية متلائمة مع توجهات القادة الضباط . وقد ظهر جلياً أن من الممكن أن يؤدي التناغم بين مصالح الشعب ومصالح الجيش إلىضمان سلامة البلاد وأمنها الداخلي . والسؤال الآن ما العوامل التي دفعت الأركان إلى تغيير موقفها من حزب الشعب ؟ .

منذ شهر أيار بدأ يتزعزع تماسك الضباط ، وذلك بفعل تكشف مؤامرات عملاء العراق والأردن والسعودية ومصر ، وقد ضمن كل فريق ولاء زمرة ما . وفي نهاية حزيران " سرت إشاعات أن الشيشكلي أصبح مناصراً

---

(١) - غيّر الحزب الوطني موقفه من مسألة الإتحاد مع العراق وعاد لينادي بالنظام الجمهوري ، ولملم حوله بقايا عهد القوتلي ، وراح يشن حملة على حزب الشعب ، وعندما انفجرت قنبلة على مبنى البرلمان مساء ٢٧ حزيران ١٩٥٠ ألقيت التهمة على هذا الحزب ومناصريه من جماعة فيصل العسلي ولقد انتقد بعض النواب بعنف مواقف وأعمال هذا الحزب ، راجع كلمة الكيخيا والسباعي ، في مذكرات المجلس النيابي مجلد ٤٩ - ٥٠ ، ص٥٣٤ - ٥٣٧ .

(٢) - F. o / 371/ 91840 / Annual Political Report on Syria in 1950 , 16/1/1951 , p . B - 1 .

للعراق وأنه قد حدث تحرك داخل الجيش نحو عملٍ انقلابي بتحريض من الرياض والقاهرة لصالح عودة القوتلي " [١] . عندئذٍ اشتدَّت قبضة الشيشكلي على الجيش وتضاعف نشاط المكتب الثاني ، وتكثَّفت عمليات النقل والعزل والمحاكمات العسكرية بتهمة التآمر على أمن الدولة ، وقد حدثت أعمال عنف داخل صفوف الضباط كان أبرزها اغتيال قائد القوى الجوية العقيد محمد ناصر مساء ٣١ تموز في ظروف تكشف عن نوعية الزمرة العسكرية المتحكمة بالجيش ، فقد إتُهم العقيد ناصر قبل وفاته المقدم ابراهيم الحسيني والملازم الأول عبد الغني قنوت بتنفيذ العملية ، ولما كانا من أخلص عملاء الشيشكلي ، ساد لدى الرأي العام اقتناع تام أن العملية بتدبير منه، ولما كان ناصر علوياً فقد أثارت الجريمة عاصفة في صفوف طائفته التي كانت مستاءة من عزل الشيشكلي للعقيد علم الدين قواس . وقد أثار النائب العلوي عن منطقة صافيتا قضية الاغتيال في الجمعية التأسيسية [٢] وأصدرت الحكومة مرسوماً بملاحقة المتهمين [٣] . وفي أيلول أجرى القضاء العسكري تحقيقات مع عدد من الضباط بتهمة التآمر على سلامة الدولة مع الأردن ، وتلا ذلك حملة اعتقالات شملت العقيد بهيج كلاس والملازم فريد كلاس

---

(١) - F.O/371/82742 / "Syria and communism" a Report by G. W. Juntinge, 14 June 1950 .

(٢) - كان العقيد ناصر ضابطاً لامعاً وشجاعاً وقيل " أنه غالباً ما اصطدم مع الشيشكلي وتحداه ، وأنه قد استقطب ولاء عدد من الضباط المعادين لتدخل الجيش في السياسة " راجع : مذكرات عبد اللطيف اليونس ، ص ٢٦٦ . وقد وصف الملحق العسكري البريطاني العقيد ناصر " أنه بعيد عن أي دور فعّال داخل الجيش وأنه خارج الصورة " راجع :

- F. o / 371 / 82742 / "Syria and Communism" Report by G. W. Junting , 14 June 1950 .

وراجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، جلسة ٣ آب ، ص ٤٥ - ٤٧. وفي جلسة ١٩ أيلول ١٩٥٠ ، أقر منح عائلة محمد ناصر مرتباته كاملة وتعليم أبنائه على نفقة الحكومة وأطلقت رئاسة الأركان على ثكنة المطار إسم العقيد الشهيد . راجع : م . ن ، ص ٣٣ .

(٣) - مثل المتهمون الحسيني وقنوت وبعض الرقباء من فوج الشرطة العسكرية، والمدني عبد الوهاب عاروض أمام القضاء العسكري ، وجرت المحاكمة برئاسة القاضي اسماعيل قولي في ١١/٩، ومثل النيابة العامة المقدم محمد الرفاعي ، وتولى الدفاع عن المتهمين خليل كلاس ، اميل لحود وآخرون .. وصدر القرار ببراءة المتهمين الرئيسيين راجع : الأيام ، عدد ٤٥٢٢ ، ١٥ حزيران ١٩٥٠ .

والملازم رأفت عرنسوق والملازم حسن الخير [1] ، وامتد التحقيق ليطال بعض السياسيين، ففي ٢٧ أيلول اعتقل النائب د. منير العجلاني بتهمة التآمر مع الملك عبد الله لتنفيذ مشروع سورية الكبرى وخضع للمحاكمة العسكرية ، ووجه العجلاني كتاباً إلى رئيس الجمعية التأسيسية طالباً إحالة القضية إلى لجنة الدستور ، وقد تشكلت لجنة لدراسة القضية وأقرت أن توقيف العجلاني شرعيّ لأنه تم في فترة عدم انعقاد المجلس . وأثارت القضية نقاشاً حاداً داخل الجمعية عندما حاول القدسي تبرير عمل الجيش فانبرى البرازي قائلاً " إن البلاد معرضة لانقلاب رابع وخامس وأرجو أن يكون الخامس آخرها " [2] . ومع أن العجلاني قد بُرأ من التهمة وتراجع المكتب الثاني عن شهادته ضده إلاّ أن القضية كانت طعنةً لاحكام المادة ٤٥ من الدستور التي نصت على حصانة النائب .

في ١٢ تشرين الأول حدثت محاولة لاغتيال الشيشكلي [3] وكشفت التحقيقات عن تنظيم إرهابي مرتبط بدائرة مفتي القدس ويضم متطرفين لفكرة العروبة من مصريين وفلسطينين وسوريين ، وقد تم إلقاء القبض على المنفذين وشملت التحقيقات عدداً من الضباط والمدنيين [4] ووجهت إليهم تهم التآمر على أمن الدولة وسلامتها مع القاهرة

---

[1] – الثلاثة الأوائل من طائفة الروم الأورثوذكس ، والأخير من طائفة العلويين .

[2] – بعد اعتقال العجلاني فتشت الشرطة العسكرية منزل النائبين حسن الحكيم ورئيف الملقي ، وأدى ذلك إلى استقالة حسن الحكيم من الوزارة في ١٩٥٠/١١/١١ . وقد برأت المحكمة ساحة العقيد بهيج كلاس والملازم حسن الخير وسرحا من الجيش وحكم على الملازم فريد كلاس بالسجن . للتوسع حول هذه القضية التي شغلت دمشق راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ جلسة ١٩٥٠/١١/١ ، ص٤٤ – ٤٨ ، وجلسة ١٩٥٠/١١/١٣ ص ١٩٩ ، ٢٧٣ – ٢٧٥ . وبابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤٠٦ .

[3] – في الساعة الواحدة صباح يوم الخميس في ١٩٥٠/١٠/١٢ تصدى مجهولون لسيارة عسكرية في طريق عودتها إلى دمشق قرب دمر وأطلقوا عليها الرصاص فأصيب الشيشكلي بجروح طفيفة واستلم القضاء العسكري التحقيق . راجع النصر ، ١٩٥٠/١٠/١٢ وهزيمة طاغية ، ص ١٢ – ١٣ .

[4] – اتجهت التحقيقات في البدء نحو الأمير فواز الشعلان بسبب مشادة وقعت بينه وبين الشيشكلي في النادي العائلي وقد أسقطت التهمة عنه بسبب غيابه عن سورية . راجع م . ن ، ص ١٢ . ثم كشف التحقيق عن تنظيم باسم " كتائب الفداء العربي " واعتقل أربعة من أعضائه : حسين توفيق وفؤاد جمعه (من مصر) . وهما متهمان باغتيال الوزير المصري أمين عثمان باشا ، ثم اعتقل زهير اليوسف وعباس الخرسان وعبد القادر عامر واتهموا بجرائم قتل وبمحاولة قتل الملك عبد الله والعقيد سترلينغ

والرياض خاصة التي قدمت الأموال للإرهابيين لتنفيذ عدد من الجرائم وأعمال التخريب [١] .

وهكذا صارت المحاكمات العسكرية دائمة ومألوفة في دمشق ، وبدا الجيش السوري وكأنه بؤرة للمؤامرات ومثقل بالشك وانعدام الثقة بين الضباط . وفي نهاية عام ١٩٥٠ تمكّن الشيشكلي من إحكام قبضته على الجيش ثم راح يخطو نحو السلطة المدنية ، ولم يعد بإمكان حزب الشعب صدّه أو إحباط تدخله في عمل السلطة المدنية . ويمكن القول أن الشيشكلي الذي انحنى أمام حزب الشعب ومنحه انطلاقة ، انتظر حتى ثبّت وضعه ولمّا لم يعد بعد المسرح يتسع للإثنين قدّم القدسي استقالته .

أفرز التعاون المرحلي بين الشيشكلي وحزب الشعب تبدلاً في توجهات سياسة سورية العربية والخارجية ، وظهر جلياً أن الشيشكلي ، كما عدّه البعض ، ليس مجرد تابع لأكرم الحوراني متأثراً بأفكاره المعادية للغرب وللبريطانيين بشكل خاص بل أن له طموحات يعمل لبلوغها من خلال الحوراني وحزب الشعب . في النصف الثاني من عام ١٩٥٠ تحسنت علاقات الشيشكلي مع البريطانيين الذين تراجعوا آنذاك عن تأييد فكرة الهلال الخصيب ورحّبوا باعتماد الحكومة على الجيش وتحديد سلطة كل فريق في مضماره الخاص [٢] وبالمقابل تغيرت أيضاً توجهات حزب الشعب الوحدوية العلنية ، وكان القدسي يرى " أن لكل أمر فرصاً مناسبة " وقد اعتمد سياسة عربية معتدلة

وبأعمال تفجير في مؤسسات تربوية ودينية يهودية في دمشق وبيروت ، وبوضع قنابل في مراكز المفوضية البريطانية والأمريكية وتفجير مكتب منظمة غوث اللاجئين ... الخ . وطالت التحقيقات شخصيات سياسية سورية مثل الدكتور أمين رويحة وأحمد الشرباتي ، واستمرت المحاكمات حتى ١٢ آذار ١٩٥١ وصدر الحكم بإعدام أربعة متهمين . راجع حول هذه القضية . هزيمة طاغية ، ص١٢ – ١٥ ، نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤٠٤ – ٤٠٧ ، باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(١) – The Times , London , Nov /21 / 1950 .

(٢) – كتب الوزير المفوض البريطاني في تقريره السنوي حول سورية قائلاً " إن حكومة تعتمد على الجيش ستكون أكثر قدرة وفعّالية في مواجهة الشيوعية من حكومة تعتمد على سلطات مدنية " راجع:
F. o/371 , 91840/ dated / 16/1/1951 , p. B - 2 .

تحظى بتأييد الجيش الحذر دائماً من أي توجه قد يوصله إلى تبعية جيش عربي آخر " [1] .

اتبع القدسي سياسة قائمة على التعاون مع كل الدول العربية على قدم المساواة وعلى أساس التأكيد على استقلال سورية ونظامها البرلماني وحرية قرارها ، وحافظ على التوازن بين المحورين المتنافسين وتعامل مع الفريقين بذكاء دون اتخاذ موقف محدد من هذا أو ذاك ، وتبنت حكومته مواقف جامعة الدول العربية المعارضة للسلام مع إسرائيل إلاّ على أساس قرار تقسيم عام ١٩٤٧ وعودة اللاجئين والتعويض عليهم ، وعارضت بعنف خطوة الأردن باتجاه إبرام صلح منفرد مع إسرائيل [٢] . وفي ١٧ حزيران وقّع القدسي على حلف الدفاع العربي الإجماعي بعد أن قدم اقتراحات تُرضي جميع الفرقاء [٣] ورفض طروحات مصر لطرد الأردن من جامعة الدول العربية [٤] وأعاد فتح المباحثات مع لبنان التي أوصلت نهاية العام إلى عقد اتفاق تجاري لتبادل النتاج المحلي [٥] . وفي نهاية تشرين الثاني قام القدسي برفقة فوزي سلو بجولة على عواصم

---

(١) - - F.O/371 / 91848 / Secret /No 5 , 17 /1/1950 .

(٢) - - Op. cit / 91840/ Annual Report by Nigel Bruce , p. A . 1 .

(٣) - أطلق على الحلف إسم – ميثاق الدفاع المشترك والتعاون الإقتصادي – وفي نفس التاريخ وقّع عليه لبنان ومصر والسعودية واليمن . وقد قبله العراق بتحفظ في ٢ شباط ١٩٥١ ، ولم يوقّع عليه الأردن حتى ١٦ شباط ١٩٥٢ ، بعد مصرع الملك عبد الله ، راجع :
M. Colombe , "Essais sur la Politique Britannique" , p. 68 , en Note No 1 .
وحول المقترحات السورية راجع : صحيفة الإنشاء ، دمشق ، عدد ٣١٦٩ ، ٦ شباط ١٩٥٠ .

(٤) - باستثناء السعودية ، لم توافق أية دولة عربية على طرد الأردن من الجامعة ، مما أجبر مصر على التراجع وقبول حل وسط وهو " اتفقت دول الجامعة العربية على الحفاظ على طابع فلسطين العربي واستقلالها وسلامة أراضيها بما يتفق مع رغبة شعبها ، وهي ترفض كل حل يقوم على التقسيم ، وأن المملكة الهاشمية قد أعلنت أن ضمها جزء من أراضي فلسطين ليس إلاّ إجراء فرضته الضرورة العملية وهي ستحافظ على هذا الجزء كعهدة لديها ، وإن من المفهوم أنه سيعاد إلى السيادة الفلسطينية عند تحرير أرضها ".
M. Colombe , "l'Egypte et le nationalisme arabe , p. 117 , en Note No 8 .

(٥) - مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، " بيان الحكومة حول المفاوضات مع لبنان " ، ص ٧١٦ – ٧٢٠ .

الدول العربية أملاً في الحد من المؤامرات التي يمارسها المحوران المتصارعان على سورية ولإظهار أن بلاده قوة عاملة وفاعلة لإحلال التقارب في العالم العربي، وبأنها لن تكون حقلاً جاهزاً للنزاع بين الأخوة ، ودعا القدسي إلى تفعيل عمل حلف الضمان وأجرى مباحثات مع حكومة بغداد للتوصل إلى اتفاق سوري – عراقي على غرار الاتفاق الاقتصادي بين سورية والعربية السعودية ، وبين سورية ومصر [١] ومن ثم قدّم مذكرة إلى مجلس الجامعة تتضمن مقترحاته حول برنامج إقامة شكل غير محدد من اشكال الاتحاد أو التحالف العسكري والاقتصادي والسياسي بين الدول العربية [٢] . بيد أن أهم إنجاز حققته حكومة القدسي هو :

دستور ١٩٥٠ :

في ٢٨ كانون الأول ١٩٤٩ انتخبت الجمعية التأسيسية لجنة من ٣٣ عضواً برئاسة ناظم القدسي لإعداد مسودة دستور جديد وباشرت اللجنة أعمالها في ٤ كانون الثاني ١٩٥٠ واعتمدت حوالى خمسة عشر دستوراً أوروبياً وآسيوياً بما فيها الدساتير العربية ، وتلقت عدة اقتراحات من منظمات وأفراد ثم رفعت تقريراً للمناقشة في ١٥ نيسان [٣] وفي ٧ تموز بدأت مناقشة المسودة وبعد إجراء التعديلات أقرت في ٥ أيلول [٤] .

أكدت مقدمة الدستور أهمية إقامة العدالة وضمان الحريات العامة لكل مواطن في ظل القانون ، وعلى العمل على تنمية الوعي الاجتماعي وتحرير المواطنين من

(١) – راجع : صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ١٥٦ ، تاريخ ١٩٥٠/١٢/٢٤ .

(٢) – كانت المذكرة سرية ثم أذيعت ونشرت ، راجع نصها في صحيفة الحوادث ، دمشق ، عدد ٧ آذار ١٩٥٤ .

(٣) – مذكرات المجلس النيابي ، جلسة ٢١ ، في ١٩٥٠/٤/١٥ ، ص ١٢ – ٢٧ .

(٤) – لمزيد من التفاصيل حول أجواء مناقشة بنود الدستور م . ن ، ص ٦٣٠ وما يلي ، وقد نشرت النسخة النهائية للدستور المتضمنة مقدمة عامة و ١٦٦ مادة في م . ن ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ص ١١٧٨ – ١١٩٢ .

ويلات الفقر والجهل والخوف في ظل نظام اقتصادي صالح ، وأكدت على التمسك بالإسلام ومثله العليا وعلى انتماء الشعب السوري إلى الأمة العربية ، وتطلعه " إلى اليوم الذي تجتمع فيه الأمة في دولة واحدة " " وأنه سيعمل جاهداً على تحقيق هذه الغاية في ظل الاستقلال والحرية " [١] .

عكس الدستور الجديد أثر الدساتير الأوروبية والمناخ السائد في المجتمع السوري الذي أفرزته التطورات الإقتصادية والتيارات السياسية والصراع الإجتماعي القائم . وهو لم يطرح تغييرات جذرية في بنية الحكم عما كانت عليه الصيغ في دستور ١٩٣٠ [٢] بل أكّد مثله أن سورية جمهورية ديمقراطية نيابية ذات سيادة تامة " وزاد عليه " الشعب السوري جزء من الأمة العربية " وعلى غرار دستور ١٩٣٠ نص الدستور الجديد على أن " دين رئيس الجمهورية الإسلام والفقه هو المصدر الرئيسي للتشريع " [٣] وألغى تعديلات عام ١٩٤٧ وعزّز السلطة التشريعية على حساب سلطة رئيس الجمهورية (الفصل الرابع المواد من ٧١ إلى ٨٨) ، وجعل الحكومة مسؤولة عن سياستها أمام البرلمان الذي يمنحها الثقة ولا يجوز له أن يتخلى لصالحها عن سلطته التشريعية (المادة ٥٩) . ويتم انتخاب النواب باقتراع عام ومباشر من قبل الناخبين والناخبات الذين أتمّوا الثامنة عشرة لمدة أربع سنوات . وصمم الدستور النظام القضائي بحيث يكون حراً من أي تدخل حكومي ووضع أسس المحاكم وأنواعها : المحكمة العليا ، التمييز ، المحاكم

---

(١) – مقدمة الدستور في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، ص ١١٧٨ .

(٢) – لمزيد من التفاصيل راجع :

Majid Khadduri , "Constitutional Development in Syria" , p.152 - 160 .

(٣) – في مسودة الدستور عومل الدين الإسلامي على أنه دين الدولة ، وقد أثارت هذه النقطة جدالاً حاداً في أروقة البرلمان وكانت مثار نزاع بين العلمانيين والمحافظين . راجع خاصة جلسة ٢٩ تموز في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٤٩ – ١٩٥٠ ، ص ٦٦٩ – ٦٧١ . واعترضت الطوائف المسيحية على هذا النص وعقد مؤتمر مسيحي في دمشق في ٢٠ تموز مُثلت فيه جميع الطوائف ورفع المؤتمرون مذكرة إلى رئيس الدولة تطالب بألاّ يتضمن الدستور أي ذكر للدين . وهاجم الأخوان المسلمون موقف المسيحيين ونظموا مظاهرات في الأحياء المسيحية في دمشق وحلب ، ولم تقم الحكومة بأي مسعى لإيقاف هذه التحديات . راجع :

- G. Torrey , Syrian Politics ... , p.173 - 174 .

العادية، ثم مجلس القضاء الأعلى الذي يناط به تعيين القضاة وترقيتهم وتأديبهم (السلطة القضائية المواد من ١٠٤ إلى ١٢٥) .

إن أهم ما قدمه دستور ١٩٥٠ هو الفصل الثاني الخاص بالمبادئ الأساسية ، وهو عبارة عن مذكرة حقوقية تتضمن ٢٨ بنداً وتؤكد ليس فقط الحريات العادية : حرية التعبير ، والاجتماع والصحافة بل الحقوق الاجتماعية – الإقتصادية المتعلقة بقضايا العمل والتعليم والضمان الاجتماعي أيضاً . وصاغت المادة ٢١ أسس توطيد نظام الملكية الخاصة والعامة ، ونصت المادة ٢٢ " أنه لتحقيق استثمار أرض الوطن ولإقامة علاقات اجتماعية عادلة يُسن تشريع يوجب استثمار الأراضي وعند إهمالها يسقط حق التصرف فيها ، ويعين بقانون حدّ أعلى لحيازة الأرض على ألاّ يكون له مفعول رجعي" [1] . وأن على الدولة تشجيع الملكيات الصغيرة والمتوسطة وتوزيع الأراضي على الفلاحين غير المالكين لقاء بدل زهيد ومقسط ، وبذلك نالت حركة الفلاحين الوليدة انتصاراً ملحوظاً في الدستور الذي دعا أيضاً إلى سن قانون يكفل حماية الفلاح ويرفع من مستواه .

وضمن الدستور حق العمل ، وأكد على حقوق العمال بوضع تشريع يحدد الأجور وساعات العمل والتعويضات والمساكن الصحية وشروط عمل النساء والأطفال ، وضمن حرية التنظيم النقابي ضمن حدود القانون (مادة ٢٥) . وحَظر العمل الإجباري إلاّ في حالات خاصة (الحرب ، الطوارئ ، الخدمات الإعمارية) .

وجعل الدستور التعليم إلزامياً في المرحلة الإبتدائية ومجانياً في كل مدارس الدولة ، وأكد أن إلزامية الخدمة العسكرية واجبٌ مقدس وأن الجيش حارسٌ للوطن تنحصر مهمته في الدفاع عن حدوده وسلامته (مادة ١٣٩) . وقدم الدستور فقرات مفصلة حول التقسيمات الإدارية وصلاحيات الإدارة المحلية والبلدية .

---

(١) – نوقشت هذه المادة في جلسة ٢٨ آب ودعا الحوراني إلى اعتماد الوسائل العصرية لاستغلال الأرض وطالب بالمفعول الرجعي لهذه المادة وكان حوالي نصف النواب يؤيدون مطلبه ، وعندما طُرحت للتصويت انهزم المفعول الرجعي بنسبة ٤٣ صوتاً مقابل ٤٥ . راجع مذكرات المجلس النيابي، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، ص ١١٥٦ .

اتسم دستور ١٩٥٠ بسمة روحية أخلاقية [١] حيث نصت المادة ٢٨ على إلزامية التعليم الديني لكل الطوائف لأن هدف التعليم " إنشاء جيل قوي بجسمه وتفكيره مؤمن بالله متحلى بالأخلاق الفاضلة ومعتز بالتراث العربي " .

وصف هذا الدستور بأنه متطرف في تفاصيله وفقراته الشرطية وصارم في إجراءات تعديله ، وبأنه يجسد توجهات المجموعة الجديدة المتحكمة بالسلطة وخوفها من عودة قدامى السياسيين ، كما يعكس تطلعات المثقفين الشباب وتوجهات النظام لمقاومة نشاط الشيوعية في سورية [٢] .

وأخيراً فإن الدستور الجديد وضع أسس بناء دولة ديمقراطية وحكم دستوري ، وخططاً لتنمية قدرات البلاد الإقتصادية من خلال إقامة مجلس إقتصادي دائم ، كما وعد بالقضاء على الأمية والعمل على توطين البدو خلال عشر سنوات [٣] ، وأقام مجلس تفتيش لضمان حسن سير الإدارة وللحؤول دون انتشار الرشوة والفساد الذي كان سائداً في العهد الماضي ، وقدم برهاناً على التحرر بسماحه بتشكيل الأحزاب ذات الأهداف الشرعية والتنظيم الديمقراطي .

في اليوم نفسه الذي أقرت فيه الجمعية التأسيسية الدستور حولت نفسها إلى مجلس نيابي استناداً إلى أحكام المادة ١٦٤ من الدستور ولا يمكن عدّ هذه الخطوة ممارسة ديمقراطية سليمة ، بيد أنه كان من الحكمة القيام بها لتدارك مواقف الحزب الوطني الذي دعا في ٢٤ آب الشعب إلى التظاهر والإضراب والمطالبة بإعادة الدستور الذي عطله حسني الزعيم واعتبار القوتلي رئيساً للجمهورية [٤] وفي الجلسة الثانية من

---

[١] - راجع محاضرة د. عبد الوهاب حومد ، تحت عنوان " حول الدستور الجديد" ، نشرت في دمشق عام ١٩٥٠ ، ص ٩ - ٨ .

[٢] - Majid Khadduri , Constitutional Development , p.159 - 161 .

[٣] - في ١٥ شباط ١٩٥١ أعلن وزير الزراعة عن خطة توزيع ١٦٦ ألف دونم من أراضي الدولة في منطقة الجزيرة على ٥٥٤ عائلة بدوية من قبيلة الشمّر . وستحصل كل عائلة على ٣٠٠ دونم مقابل أقساطاً شهرية (١٩٥ ل.س) مدة ثلاث سنوات :

M. Khadduri , Op. cit , p.156 , Note No 25 .

[٤] - راجع صحيفة المنار ، عدد ٢٠ / ٢٥ آب ١٩٥٠ .

اليوم نفسه (٥ أيلول) انتخب هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية ليكون أول رئيس في حياة سورية الدستورية الجديدة [١] .

استقالت حكومة القدسي عملاً بالتقاليد الدستورية وأعيد تكليفه في السابع من أيلول فشكل وزارة من أعضاء حزبه ومن المستقلين واحتفظ فوزي سلو بوزارة الدفاع ، [٢] وبدأت في عهد وزارة القدسي الثانية حقبة جديدة حافلة بالأزمات والمتغيرات .

حكومة القدسي أمام المستجدات الدولية :

بدت سورية في عهد هذه الوزارة كسفينة تائهة تتقاذفها أمواج عاتية ، الجيش يلعب من وراء الستار لعبة الحامي للنظام ، الحكومة تتغاضى مرغمة عن تدخلاته ، البرلمان ارتفعت فيه أصوات مندّدة بتدخل الجيش وأخرى حاملة لواءه " وقد افتقد القدسي إلى الشجاعة والجرأة للإعراب عن مواقفه ومال إلى تجنب المسائل المعقدة بدلاً من مواجهتها كما لم يكن وزراؤه رجالاً يملكون الفعالية والشخصية القوية القادرة على مواجهة انعكاسات المستجدات الدولية على الساحة الداخلية " [٣] .

" هيمنت الحرب الكورية على الحياة السياسية السورية ، وأثارت موجة معادية للأمريكان والغرب زاد من حدتها انتشار أخبار القرض الذي قدمه بنك الإستيراد

---

(١) – راجع مذكرات المجلس النيابي ، الدورة الإستثنائية الأولى ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، ص ٧ – ٨ .

(٢) – بناءً على المرسوم رقم /٢/ يعين ناظم القدسي رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية ، حسن الحكيم وزير دولة ، زكي الخطيب وزيراً للعدلية ، هاني السباعي للمعارف ، شاكر القاضي للمالية ، أحمد قنبر للأشغال العامة ، جورج شلهوب للصحة ، فرحان الجندي للإقتصاد ، رشاد برمدا للداخلية ، علي بوظو للزراعة ، فوزي سلو للدفاع . صدر في ٨ أيلول ١٩٥٠ ، مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، ص٣١ .

(٣) – هذا هو رأي الوزير المفوض البريطاني برئيس الوزراء السوري كما عبّر عنه في التقرير التالي :

F. o / 371/ 91848/ Confidential No 87 . 11 June 1951 , p. A - 3 .

والتصدير الأمريكي إلى إسرائيل ، كما تأثر الرأي العام السوري بالنجاحات الشيوعية في كوريا وهللت الصحف السورية لاندحار الحلفاء وأيدت موقف مصر المعارض لتدخل الأمم المتحدة في كوريا بسبب فشلها في اتخاذ قرار لصالح فلسطين " [١] . وراحت تنطلق الدعوات نحو الحياد ، وقد لاقى أنصار السلام نجاحاً ملحوظاً في سورية وراحوا يثبتون الموقف الشعبي الرافض لأي انحياز علني نحو الغرب ، ونشط هؤلاء إثر تحول موقف الإتحاد السوفياتي من قضايا الشرق الأوسط ، حيث راحت موسكو تشجع رابطة أنصار السلام ورأت فيها وسيلة لجعل العالم العربي يناهض الحلف الانكلو - أمريكي [٢] ، وقد تمكنت الرابطة من الحصول على توقيع ٦٠ ألف شخص على عرائض تندد بالحرب واستعمال القنبلة الذرية ووصل العدد عام ١٩٥١ إلى ١٨٥ ألف سوري ولبناني وشملت التوقيعات أسماء مثقفين وسياسين ووزراء ونواب وبعض رجال الدين .. ، وقد انتهج أنصار السلام نهجاً لا يمس بمعتقدات الرأي العام حول المبادئ المتعارضة مع الإسلام ، بل طرحوا إمكانية تبني مواقف معادية لليهود وتوصلوا إلى خلق خليط مبهم بين الدفاع عن الإسلام والكفاح ضد الإمبريالية المسؤولة عن مصاعب العرب ومآسيهم ، وقد قدم أنصار السلام خدمات جلّى للحزب الشيوعي في سورية وخلقوا مناخاً مؤيداً للسوفيات ،

---

[١] - حول الجدال الذي دار في البرلمان السوري بشأن الحرب الكورية ، وأثرها على افكار السوريين راجع التقرير التالي :

F. o / 371 / 91848, Confidential No 15 / 27/1/1951 .

ومن الجدير ذكره أن الحكومة السورية سمحت للقوى الجوية البريطانية ، المحمّلة بالفرق المقاتلة ، باستخدام أجوائها السورية للعبور نحو مسرح الأحداث . راجع :

F. o / 371 / 91840 / Annual Report on Syria in 1950 by Nigel Bruce , 16/1/1951 .

[٢] - تشكلت رابطة أنصار السلام في سورية ولبنان عام ١٩٤٢ ومن أبرز مؤسسيها : قدري القلعجي (كاتب لبناني) رئيف الخوري (كاتب لبناني) انطوان ثابت (كاتب لبناني) عمر الفاخوري (نائب وكاتب لبناني) فائز عون ودعاس بشور (مدرسان في مدرسة المعهد الإفرنسي) . وقد تكثف نشاطها بين عام ١٩٤٤ - ١٩٤٦ وعقدت عدة ندوات في دمشق وبيروت وحمص شارك فيها خالد بكداش وصلاح الدين البيطار وأحمد الجندي . وتوقف نشاطها مدة ثم عادت لتبرز بعد الإطاحة بنظام الزعيم . المعلومات مستقاة من أحد أعضاء الرابطة " دعاس بشور " مقابلة في صافيتا في ١٩٩٥/٣/٨ .

وإطاراً ملائماً لتشكل جبهة وطنية وضعت حلاً لعزلة الحزب الشيوعي في السنوات اللاحقة .

بدأ القدسي يعاني صعوبات مع اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية التي راحت تضغط على الحكومة لتجنب أي ارتباط مع الغرب واتخذت من القرض الممنوح لإسرائيل حجة لموقفها ، ولما كان القدسي مناصراً للغرب فقد حاول الحصول على دعم قوي من الحلف الانكلو – أمريكي يساعده على إقناع الرأي العام بأن الغرب مهتم برفاهه وأن سورية لن تترك وحيدة بمواجهة أي اعتداء على أراضيها من أية جهة سوفياتية أم إسرائيلية ، وعليه أجرى القدسي مباحثات مع البنك الدولي للحصول على قرض لتمويل المشاريع المقترحة لتنمية الإقتصاد السوري ، ثم طلب من الوزير المفوض الأمريكي (Cavendis Canon) منح سورية قرض بقيمة ١٠٠ مليون دولار من بنك الإستيراد والتصدير ، وكانت تلك المرة الأولى التي تلجأ فيها الحكومة السورية إلى طلب قرض من الولايات المتحدة [١] .

كما طالب بمساعدات عسكرية من أمريكا وبريطانيا ، واقترح القدسي قيام حلقات توعية لتنوير الجيش السوري حول مدى أهمية وقوف سورية إلى جانب الغرب [٢] . وبدوره الشيشكلي قابل الوزير المفوض البريطاني وأبلغه أن سورية تسعى للتوصل إلى اكتفاء ذاتي عسكرياً واقتصادياً بحيث تصبح قادرة على الدفاع عن نفسها لأنها لا تثق بالضمانات البريطانية والأمريكية والإفرنسية " [٣].

نصح الوزير المفوض حكومته بالتحرك سريعاً لتقديم القروض والمساعدات المالية لسورية ، وترك أمر تقرير المساعدات العسكرية إلى الجنرال بريان روبيرستون وقد أوصى هذا الأخير أن يشدد في مباحثاته مع السوريين على مسألة الدفاع عن سورية ضد أي اعتداء وليس بالتحديد من جهة روسيا ، وأن يُطمأن الوزير الأول إلى أنه لا

---

(١) – F.o/371/ 91863/ Sec/ Mes/ No 6, From Montagu - Pollock 59 E. Beven , 8 th January 1951

(٢) – Op. cit / 91849 / Sec / Mes / No 15 / From Montagu - Pollock to E. Bevin , 17/1/1951 .

(٣) – Op. cit / 91867 / top / Sec / No 58 / From Bill - Pollock to G. W. Furlonge , 26/2/1951 .

خوف من مشاركة الفرق الإفرنسية في الدفاع عن سورية من حيث أنه " يوجد هنا واقع غريب فالجيش مناصرٌ للافرنسيين والحكومة تخشى نفوذهم والرأي العام يعارض هذا النفوذ " [١] .

خلال شتاء ١٩٥٠ – ١٩٥١ وإثر الأحداث الكورية التي سجلت بداية الحرب الباردة ، أصبحت مسألة تنظيم الدفاع في الشرق الأوسط أمراً ملحاً في نظر الغرب . وقد عقد الدبلوماسيون الأمريكان مؤتمراً في استانبول من ١٤ حتى ٢١ شباط ١٩٥١ تحت رئاسة M. Mac-Ghee المسؤول عن قضايا الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية ، ومع أن المؤتمر كان مخصصاً لمناقشة شؤون إقتصادية فقد شغلت قضايا الأمن حيزاً واسعاً في جلساته [٢] . وأشار البيان الأخير الصادر عن المؤتمر " إلى أن الدول العربية مثلها مثل تركيا وإيران واليونان أصبحت معنية بضرورة المشاركة في الدفاع عن الأمن الجماعي للمنطقة وبأمن العالم الحر بشكل عام " [٣] ، وقد أثارت مهمة رجل الدولة الأمريكي ردود فعل في العالم العربي ، حاول ماك غي إبان جولته على العواصم العربية أن يقلل من أهمية الحياد العربي فقد صرحَ في القاهرة : بأن على حكومات الشرق الأوسط أن تختار بين الشرق والغرب ، " وأنه مقتنع أنهم الآن في المعسكر الحر " ، وفي دمشق عاد وأكّد أن الحياد لصالح العدو وهو في طريق التقهقر ". وقد قوبلت زيارة ماك غي بتظاهرات عنيفة في دمشق وبيروت وبغداد ، ووصل العنف حد استخدام المتفجرات ضد المراكز الأمريكية [٤] .

---

(١) – F.O/371 , 91849 , Sec / Mes / No 15 /17/1/1951 . -

(٢) – افتتح التحول في السياسة الأمريكية الشرق أوسطية توصل الجمهوريين إلى إحراز أكثرية في الكونغرس في الإنتخابات الفرعية في تشرين الثاني ١٩٥٠ وأصبح ترومان ملزماً بالعمل حسب رغبات هذا الحزب . وكان زعيم حركة التحول والمعبر عن أفكار الجمهوريين فوستر دالس الذي كان يرى أن بلاده قد مارست سياسة مناصرة لإسرائيل وأهملت الدور العربي وأن عليها تحسين روابط الصداقة مع الدول العربية وتقديم المساعدات العسكرية والإقتصادية لهذه البلاد ، راجع :
P. Rondot , "Les Etats Unis devant l'Orient d'aujourd'hui", Orient No 2 , 1957 , p.43 - 45 .

(٣) – راجع النص في C.O.C. Vol XXIII, 1951, p.43 - 44

(٤) – في ٢٥ آذار ألقيت قنبلة على مقر الوزير المفوض الأمريكي في دمشق . راجع :
Developments of the Quarter , Middle-East Journal , Vol V, 1950 , p.351 .

إن من الصحيح القول أن قضية إسرائيل وخوف سورية من اعتدائها على أراضيها ، هو الذي وجه سياسة سورية الخارجية ، وهو الذي ولد مشاعر مبهمة وغامضة تجاه الاتحاد السوفياتي مقابل مشاعر عداء سافر للإمبريالية [١] ، وقد تعقدت تلك السياسة بفعل ذلك الخليط المتشابك لعلاقات سورية مع هذه أو تلك من الدول العربية وبفعل تلك المؤامرات الشرسة التي رسمت علاقات الدول العربية مع بعضها . وقد اتسمت علاقات سورية مع دول الغرب بذلك الأسلوب المتعارف عليه في الدول العربية " إدانة علنية للإمبريالية والصهيونية وعلاقات صداقة سورية مع حكومات الغرب والسعي الدؤوب للعب على الحبال مع هذه الدولة ضد تلك " [٢] .

طرحت الدبلوماسية البريطانية تساؤلات حول مدى إمكانية الوثوق ببلاد كسورية حيث لا يوجد نفوذ غربي فعّال وحيث ارتفعت الأصوات الداعية إلى سياسة الحياد في حين كانت الحكومة ومن ورائها الأركان تطالب بإلحاح بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية [٣] . ولما كانت مقتضيات الدفاع الغربي تفرض قيام تحالف بين دول الشرق الأوسط وبين المعسكر الغربي قام الجنرال روبيرستون بزيارة دمشق في إطار جولته على العواصم العربية ، لتقيم الدور الذي يمكن أن يلعبه الجيش السوري في إطار الدفاع عن الشرق الأوسط . وفي السابع من شباط أجرى مباحثات مع ناظم القدسي وفوزي سلو طرحت خلالها مسألة الفرق العسكرية التي تعتزم سورية تشكيلها ، والمساعدات التي يمكن أن تقدمها لندن لبناء قوة سورية الدفاعية ، كما نوقشت خطط الدفاع عن المنطقة ،

---

(١) – قال رشدي الكيخيا في مقابلة مع الوزير المفوض البريطاني " إذا استمر سكان إسرائيل بالإزدياد فإنها سوف تسعى عاجلاً أم آجلاً إلى اجتياح أراضٍ عربية جديدة ، وأن سورية لم تعد تثق بضمانات الدول الغربية وهي ترى أن من المستحيل أن تتدخل الولايات المتحدة لصالحها ضد إسرائيل .. فرد الوزير قائلاً " إن على العرب وإسرائيل أن يأخذوا حذرهم ، ففي غمرة صراعهم سيجدون أنفسهم تحت السيطرة السوفياتية .. وأن دمشق سوف تحكم من قبل حكام تختارهم موسكو ، ومن غير المستبعد أن يكون الحاكم روسياً أو يهودياً أو عربياً " .

F. o / 371/ 91848/ Sec / Mes / No 15 . 7/1/1951 .

(٢) – Op.cit / 98913/ Annual Review on Syria in 1951 , by Ian Samuel . Damascus 29/2/1952 , p. B - 2 .

(٣) – Op. cit , /91848/ Sec / Mes No 15 , From Montagu - Pollock to E. Bevin . 17/1/1951 .

واعترض السوريون على تركيز القوة الدفاعية الأمامية في منطقة قناة السويس ، فشرح الجنرال لهم أن هذه الخطة تمليها عوامل استراتيجية وجغرافية ، وأن دور سورية هو تقديم التسهيلات لسرعة وحرية مرور القوات من القناة إلى الفرات ، وأن عدم تركيز القوات على أرض سورية لا يعني إهمال الدفاع عنها [1] . وقد أوضح روبيرستون للسوريين أن أي اتفاق حول تسليح الجيش وإعداده يقتضي التعرف على تنظيمات الجيش وأسلحته ، وبمعنى آخر أن يسمح وزير الدفاع للملحق العسكري البريطاني إعداد تقرير ميداني شامل لواقع القوة العسكرية السورية لوضع الخطط لإعادة تنظيمها وأن تعلن الحكومة في بيان واضح عن نواياها بالتعاون مع الغرب [2] . إذن كان على حكومة القدسي أن تعرب عن تأييدها للغرب صراحة ، وقد كشف القدسي عن شخصيته المترددة، وبدلاً من الاعلان صراحة عن برنامج عمل حكومته ، ووضع النقاط على الحروف أمام السياسيين المناصرين للحياد انساقْ وراء الرأي العام الذي سمح النظام بنموه دون توجيه فعّال من قبله [3] . وفي الخامس من آذار وجه القدسي بياناً أمام مجلس النواب حول سياسة حكومته الخارجية ، وبعد أن استعرض فيه نتائج جولته إلى عواصم الدول العربية واقتراحاته حول ضرورة قيام شكل من أشكال الوحدة بين هذه الدول ثم تتطرق إلى زيارة الجنرال روبيرستون ، بسبب الضجة التي أثيرت حول نتائج هذه الزيارة ، فأكد على المسار الصحيح الذي اعتمدته الحكومة في علاقاتها مع الخارج والقائم على التقيد

---

(١) – حول زيارة هذا الجنرال إلى سورية راجع :

- F.O/371/91867/ Sec / Mes / No 58 , From Bill Pollock to G. W Furlonge 26/2/1951 .

(٢) – المعلومات مستقاة من التقارير التي وضعها الجنرال روبيرستون حول مباحثاته مع القادة السوريين . راجع :

F. o / 371/ 91867/ Top Secret No CIC 194 , 19 April 1951 , p.1 - 2 . and 26 April 1951, and Report top Secret No CIC 153 / 26 May 1951 , p.1 -3 .

وقد اخترنا منها هذه الفقرة " إن النقطة الأساسية التي لم يُدركها السوريون هي أنه إذا ما حدثت حرب في الشرق الأوسط سوف يكونون طرفاً فيها .. ونحن لا نسألهم مساعدتنا بل نقدم لهم المساعدة وأن عليهم التوصل إلى قرار واضح هو " أنهم سيقاتلون كرجال بدلاً من دفن رؤوسهم في رمال الحياد .. وإذا أرادوا مساعدتنا عليهم طلبها بطريقة عقلانية والتوقف عن ابتزازنا " .

(٣) – Op. cit , / 91867/ Top Secret No 58 , / 26 Feb 1951 .

بقرارات جامعة الدول العربية وانطلاقاً من مصالح سورية الحيوية وحاجتها للدفاع عن نفسها وتنمية اقتصادها ، وعليه توجهت الحكومة للتقرب من الدول التي تضمن لها هذه المصالح ولا تمس سيادتها " [١] . وهكذا تجنب القدسي مخاطر الإعلان عن سياسة متعاونة مع الغرب تماماً كما تجنب تحديد موقفه من سياسة الحياد . وقد كشف هذا الموقف عن ضعف السلوك القيادي لرئيس الوزراء الذي قدم استقالته بعد أربعة أيام .

- نحو الطريق إلى الانقلاب الرابع :

منذ خريف عام ١٩٥٠ بدأت تلوح في الأفق بوادر صراع على السلطة بين الجيش وحكومة حزب الشعب [٢] وما إن أعلن القدسي عن سياسة حكومته الخارجية حتى شن مؤيدو الحياد حملة ضده متهمين إياه بالسير في ركاب المعسكر الغربي وتلقي الأوامر من المفوضية البريطانية [٣] . كما لم يكن الجيش راضياً عن تحركات القدسي باتجاه العراق ودعوته إلى شكل من أشكال الوحدة ، وبدا واضحاً أن الشيشكلي قد سحب الغطاء عن الوزارة وأن رئيس الأركان أنوربنود المؤيد للشيشكلي ليس أكثر من رئيس صوري يحركه الشيشكلي كما يريد [٤].

---

(١) - راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ - ١٩٥١ ص٥٦٠ - ٥٦٢ .

(٢) - استمر الشيشكلي يشك بأن القدسي يعمل لصالح الاتحاد مع العراق ، خاصة بعدما قدم هذا الأخير مذكرة إلى الجامعة العربية وطرح فيها مشروع إقامة اتحاد فيدرالي بين الدول العربية على مراحل . راجع نص المذكرة في صحيفة الحوادث ، دمشق ، عدد ٧ آذار ١٩٥٤ . وعندما اغتيل سامي الحناوي في بيروت بتاريخ ٣٠ تشرين الأول برصاص محمد هرشو البرازي منع الشيشكلي تشيع جنازته رسمياً في دمشق فرد حزب الشعب بتشيع القتيل رسمياً في حلب وتهجم بعض النواب في خطبهم على الجيش أثناء الجنازة ، فرد الشيشكلي في ٧ تشرين الثاني بخطاب هدد فيه " خصوم الجمهورية العاملين بوحي الأجنبي " راجع : غسان التويني ، منطق القوة ، ص ٦٩ - ٧٢ .

(٣) - F. o / 371/ 91849 / Report No 87, -11/6/1951 .

(٤) - Op. cit / 91867/ From Bill Pollock to G. W. Furlange , top Secret No 58 , 26/2/1951 .

منذ العاشر من آذار وحتى الانقلاب الرابع (٢٩ تشرين الثاني) تعاقبت ثلاث وزارات برلمانية على السلطة ، نهضت وسقطت على التوالي . وشهدت البلاد أزمات حادة وحالة من الفوضى السياسية ، وسيطرت المظاهر السلبية للممارسات البرلمانية في كل مجموعة سياسية واصبح الجيش متحكماً بعمل الحكومة وتوجهات السياسيين السوريين .

بعد استقالة القدسي عاشت سورية أزمة وزارية مدة ثمانية عشر يوماً حاول فيها العظم تشكيل حكومة ونشل ، ثم شكل القدسي في ٢٤ آذار وزارة وأجبر على تقديم استقالته بعد مضي ٢٤ ساعة وفي ٢٨ منه شكل العظم وزارته .

وزارة خالد العظم :

نجح العظم بمؤازرة الجيش في إخراج البلاد من الأزمة وشكل وزارة احتفظ فيها فوزي سلو بحقيبة الدفاع ونالت الثقة بأغلبية ضئيلة ٥٢ صوتاً مقابل ٤٢ وخسر حزب الشعب السلطة بعدما استقال رشدي الكيخيا من رئاسة المجلس النيابي احتجاجاً على تدخل الجيش في السياسية [١] .

وصف مراقب دقيق وزارة العظم كالتالي " مما لاشك فيه أن رئيسها يتمتع بشخصية أقوى من سلفه ، وهو أكثر منه خبرة وكفاية ومقدرة ، وقد حضَّر نفسه للتغاضي عن تصرفات الجيش لأنه طموح يتطلع إلى منصب الرئاسة ، ولذلك لعب لعبة الشيشكلي الذي أصبح الآن الرجل الأول في سورية ، وإذا ما استمر خالد العظم في

---

(١) – تشكلت الوزارة من : خالد العظم (مستقل) الرئاسة والشؤون الخارجية ، سامي كبارة (مستقل) الداخلية والأشغال العامة ، عبد الرحمن العظم (مستقل) المالية ، فوزي سلو (الدفاع) رئيف الملقي (مستقل) المعارف والاقتصاد الوطني ، عبد الباقي نظام الدين (الجبهة الجمهورية) الزراعة والعدلية ، سامي طيارة (مستقل) الصحة . راجع وقائع جلسة الثقة في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، ص ٣٢٠ – ٣٢٤ .

الخضوع لإرادته ، فإن من المؤكد أن الشيشكلي لن يدعم طويلاً هذه الحكومة فهدفه الأول هو السلطة والتخلص تدريجياً من السياسيين للتصدي للإشراف الكامل على الدولة " [١] .

أول الأزمات التي واجهتها حكومة العظم ، أزمة خطوط الهدنة ، التي نشأت بسبب أعمال التجفيف التي كانت تقوم بها إسرائيل في طبرية والحولة خلافاً لاتفاقيات الهدنة ، وفي نهاية آذار تحركت كل فرق الجيش السوري نحو الجبهة ، واصطدمت عدة مرات بقتال عنيف مع الجيش الاسرائيلي ، واستمرت المناوشات حتى نهاية أيار ، وقد أظهر الجيش السوري أنه يتمتع " بمعنويات عالية ومستوى جيد من التدريب والانضباط والجرأة " [٢] .

تمنعت الحكومة السورية عن إعطاء الأوامر لاقتحام الجيش المناطق المجردة وإعلان الحرب وقامت تظاهرات في المدن السورية تطالب بإعلان النفير العام ، واتهم حزب الشعب الحكومة بالتلكؤ في إصدار الأوامر مما قوى موقع الجيش أمام الرأي العام [٣] . وفي التاسع من نيسان توجه الشيشكلي على رأس وفد عسكري إلى القاهرة للتباحث في تنفيذ ميثاق الضمان الإجماعي ، ومن القاهرة بدأت بيانات الشيشكلي السياسية ، وبعد عودته عقد في نادي الضباط مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن مهمته في مصر ، وتصريحاته للصحافة التي صححت وجهات النظر الخاطئة حول الإستقرار السياسي في سورية ومسألة تدخل الجيش بالعمل السياسي ، حيث قال " أن الجيش أداة طيعة في يد الحكومة .. وأن تدخلنا في قضايا بلادنا لا يختلف عن تدخل أي ضابط أمريكي أو إفرنسي أو بريطاني بشؤون بلاده " [٤] ومن ثم وفي ٢١ نيسان خطا الشيشكلي خطوة أوسع نحو السلطة ، وذلك عندما عزل أنور بنود عن رئاسة الأركان وتولى بنفسه المنصب [٥] . مع تجدد الاشتباكات على الحدود ، وخوفاً من هجوم إسرائيلي على

---

(١) – F. o / 371/ 91848 / Report From Montagu-Pollock to H. Morrison confidential No 87, -11/6/1951 , p. A - 4 .

(٢) – - Op. cit , /98934/ "Annual appreciation on the Syrian armed forces for 1951" , Sec No 23 , From Lt - Col G. R. Heylan Military attach to A. Eden , 8/1/1952 , p. A - 3 .

(٣) – - Op,cit / 98913 / Report on Syria in 1951, No 3 , 29/2/1952 / p. A - 1 .

(٤) – نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤١١ ، ٤١٣ .

(٥) – أجبر الشيشكلي أنور بنود على تقديم استقالته ، وقد برر العظم انصياعه لأوامر الشيشكلي

الخطوط السورية دعت حكومة العظم مجلس الجامعة للانعقاد في دمشق ، وطلبت مساعدة عسكرية فورية من العراق ومصر ، ولبَّت بغداد الطلب للتو فأرسلت في ١٥ أيار سرباً من الطائرات المقاتلة والمدرعات ، وحذت القاهرة حذوها بعد انعقاد مؤتمر بلودان الذي انتهت اجتماعاته بالتأكيد على وحدة الصف وعودة اللاجئين، وإقامة مكتب المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل في دمشق (١).

أثارت قضية الحولة حملة معادية للغرب داخل سورية ، واستجابت الحكومة للرأي العام فأعلن العظم في مؤتمر صحفي أن حكومته إرتأت عدم قبول المساعدات الأمريكية من خلال برنامج النقطة الرابعة (٢) ورفض مشروع التوطين الذي اقترحته الأمم المتحدة ووكالة الانوروا ، وراحت الصحف السورية تهاجم موظفي هذه الوكالة

قائلاً " لقد اقتنعنا بأفضلية استبقاء جزء من السلطة حتى لا تحتكره الأيدي التي لا تقوى بمفردها على حمل دفته" "ولو حزم المدنيون أمرهم وتعاهدوا على عدم التعاون مع العسكريين .. ولكن كيف للعسلي وللكيخيا تأمين مصالح أنصارهما وكيف لأكرم الحوراني أن يتراجع عن رغبته في السيادة .. هذه الصغائر كان الضباط يدركونها فكانوا يضربون على أوتار الزعماء الحساسة ثم يضعونهم جانباً ويتخلصون منهم "راجع : مذكراته ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ – ٢٧٤.

(١) – الفيحاء ، عدد ٤٨ ، ٣٠ حزيران ١٩٥١ .

- L'Orient , Beyrouth , 16 Mai / 1951 .

(٢) – انبثق برنامج النقطة الرابعة من الخطاب الذي ألقاه الرئيس ترومان أمام الكونغرس في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٩ أعلن فيه عن برنامج لمساعدة الدول المتخلفة وهو يتضمن تقديم المساعدات المالية والتقنية للدول التي تطلبها . وقد أبدى الرأي العام العربي تحفظاً حول هذا الموضوع مخافة أن يجد نفسه أمام شكل جديد من أشكال الاستعمار . راجع مقال جورج حكيم (وهو اقتصادي لبناني عمل مستشاراً في المفوضية اللبنانية بواشنطن) في :

Middle - East Journal Vol - IV , April 1950 , p. 185 - 195 .

وفي مؤتمر عقده الدبلوماسيون الأمريكان في القاهرة في آذار ١٩٥٠ أكدوا أن برنامج النقطة الرابعة سيساعد الدول على التنمية وأن الولايات المتحدة لا تتطلع إلى امتيازات خاصة عبر هذا البرنامج أو أي تنظيم آخر . راجع :

- Op. cit . Vol IV, July 1950 , p.384 - 391 .

وفي ١٩٥٠/١١/١٢ قبلت مصر المساعدات التقنية ولحقتها الأردن في ١٣ منه ثم السعودية في ١٩٥١/١/١٨ وفي شباط قبلت الجامعة العربية مبدأ النقطة الرابعة ثم لبنان والعراق وإسرائيل ، وكانت سورية الدولة الوحيدة التي رفضتها ، واستمر القرار قائماً حتى عهد الشيشكلي . راجع :

- Op.cit , Vol VI , 1952 , p. 78 .

متهمة إياهم بالإنغماس في أعمال دون إذن الحكومة [١] . وفي الزمن نفسه راحت الحكومة تطالب ممثلي الدول الغربية تزويد سورية بالمساعدات العسكرية والمالية . وكانت تلك المسألة مثار بحث في المباحثات الدائرة في واشنطن ، وقد نصح ماك غي بتقديم المساعدات لكل دول الشرق الأوسط بما فيهم سورية ، في حين شدد العسكريون البريطانيون على الشروط التي وضعها الجنرال روبيرستون كأساس لتزويد سورية بالسلاح بينما نصح الدبلوماسيون البريطانيون بتسليح سورية بالتعاون مع الإفرنسيين وأن تعمل الدول الثلاث بتناغم لدفع سورية نحو المعسكر الغربي [٢] وهذا ما حدث في عهد الشيشكلي .

شن حزب الشعب حملة ضد الحكومة داخل وخارج البرلمان . وبدأ الصراع المكشوف في ٢٣ حزيران عندما رشح الحزب معروف الدواليبي لرئاسة المجلس الشاغرة منذ استقالة الكيخيا ونال الدواليبي ٥٧ صوتاً مقابل ٣٧ لصالح عبد الباقي نظام الدين مرشح الحكومة [٣] ومن ثم راح المجلس يطرح اقتراحات على الحكومة ، والحكومة ترفضها ، وبدأ المجلس يعرقل عمل الحكومة وتعثرت نتيجة ذلك مناقشة الميزانية وتأجل البحث فيها يوماً بعد آخر .. عندئذ امتنعت الحكومة عن حضور الجلسات وطالب العظم بحل المجلس وإجراء انتخابات جديدة ، ولم يكن الشيشكلي مؤيداً لهذا التوجه وكذلك الأتاسي [٤] . وفي جلسة ٣٠ تموز المنعقدة لمناقشة مشروع فتح اعتماد قدره ٥٠ م . ل. س في موازنة وزارة الدفاع احتدم النقاش بين المعارضة

---

(١) – في ١٥ أيلول ألقيت قنبلة على مكتب الأمم المتحدة ووكالة غوث اللاجئين في دمشق وقد تفجر مركز الوكالة وقتل شخص وجرح اثنان . راجع :

Middle-East Journal , "Developments of the quarter" , Vol IV , 1951 , p.86 .

(٢) – المعلومات مستقاة من التقارير التالية :

F. o / 371 / 91867 / Report No 58 , c 6 Feb 1951 . / 41864 / Report No 282 , 2 May 1951. / 91967/ Top Secret No 153 , 26 May 1951 .

(٣) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥٠ – ١٩٥١ ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

(٤) – الأيام ، دمشق ، عدد ٤٧٣٠ ، ٢٢ حزيران ١٩٥١ .

والحكومة وبدأ في اليوم نفسه إضراب موظفي الدولة الاجماعي بغية تنفيذ قانون " ترفيه الموظفين " وشل حركة البلاد وأجبر العظم على تقديم استقالته في ٣١ منه [١] .

وزارة حسن الحكيم :

أظهر شلل الدولة في عهد الوزارة السابقة مدى صعوبة ممارسة الحكم دون رضى حزب الشعب ، القوة الراسخة في البرلمان ، وعليه ونتيجة التفاهم بين هذا الحزب ورئيس الأركان تمَّ اختيار حسن الحكيم لتشكيل الوزارة [٢] . تمتع الحكيم بالنزاهة وحسن السمعة ، وقد عُرف بولائه للملك عبد الله وبميوله نحو الغرب [٣] . وفي ١٢ آب شكل حكومة ائتلافية سيطر حزب الشعب على حقائبها الرئيسية [٤] ، وفي ١٣ منه تلا رئيس الوزراء بيانه الوزاري الذي جاء كالعادة مثقلاً بالوعود ، وأكد " أن حكم الدستور في البلاد واجب محتم " وشدَّد على أهمية النظام الجمهوري ، وعلى أن حكومته ستعمل على تمتين عرى الصداقة بين كل البلاد العربية على السواء . وسوف تحرص على إقامة علاقات جيدة مع كل الدول الأجنبية بما يتفق ومصالح البلاد " ، وهكذا تخلى الحكيم عن مبادئه ونقض تصريحات السابقة المؤيدة للهاشميين والغرب ، وفي جلسة الثقة شدد نواب

---

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥١ – ١٩٥٢ ، ص ٥٤٠ – ٥٤٩ .

(٢) – راجع : حسن الحكيم ، مذكراتي ، صفحات من تاريخ سورية الحديثة ، ١٩٢٠ – ١٩٥٨ ، جزءان ج٢ ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٥٥ .

(٣) – ولد حسن الحكيم في دمشق عام ١٨٨٦ ، درس في الاستانة وعمل مديراً للبرق والبريد في العهد الفيصلي ، هاجر إلى مصر بعد الانتداب ثم إلى الأردن حيث شغل منصب مدير عام المالية . شكل أول وزارة في ٢٠ ايلول ١٩٤١ استمرت حتى نيسان ١٩٤٢ " . راجع من هو في سورية عام ١٩٤٩ ، ص ١١٩ – ١٢٢ .

(٤) – الحكيم رئيس الوزراء ووزير المالية (مستقل) ، فتح الله أسيون الصحة والإسعاف العام (حزب الشعب) ، فيضي الأتاسي الخارجية (حزب الشعب) ، شاكر العاصي ، الاقتصاد الوطني (حزب الشعب) ، رشاد برمدا الداخلية (حزب الشعب) ، عبد الوهاب حومد المعارف (حزب الشعب) ، حامد الخوجه الأشغال العامة والمواصلات (جبهة جمهورية) ، عبد العزيز حسن بك العدلية (جبهة جمهورية) ، فوزي سلو (الدفاع) . راجع مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥١ – ١٩٥٢ ، مرسوم رقم ١١٩٢ ، ص ٥٥٨ .

حزب الشعب على مسؤوليات الوزارة الدستورية وضرورة " أن تستمد سلطتها من صلب الدستور " ، ونالت الحكومة الثقة بأكثرية ٨٤ صوتاً من أصل ٨٨ حاضراً [١] .

حاولت الحكومة الجديدة حلَّ الأزمات القائمة مثل أزمة إقرار الموازنة السنوية المتأرجحة مدة أربعة أشهر بين مجلسي النواب والوزراء دون نتيجة بسبب رفض الجيش أي تخفيض في مخصصاته [٢] ، ومرَّ الحكيم على هذه المشكلة باعتماده الموازنة الإثني عشرية . أما بالنسبة لإضراب الموظفين ، ومن حيث ارتباطه بعجز الميزانية ، فقد لجأت الحكومة إلى إجراءات حازمة بعد فشلها في التوصل إلى تفاهم مع لجنة الإضراب، فاقترحت مشروع قانون بطرد الموظفين والمستخدمين المضربين ، واعتبار كل موظف ينقطع عن عمله جزئياً أو كلياً مستقيلاً ، وأقر المجلس القانون في جلسة ٦ تشرين الأول ١٩٥١ ، كذلك تداركت الحكومة أزمة نقص القمح باستيراده من تركيا وعقدت اتفاقاً تجارياً مع ألمانيا الإتحادية [٣] .

كان التحرك الاجتماعي يزداد بمعدل أسرع من طاقة استيعاب السياسيين السوريين ومن قدرة مؤسسات الدولة على امتصاصه ، وقد واجهت سورية في عهد هذه الوزارة مشكلة اجتماعية – اقتصادية أثرت بعمق على مجريات السياسة الداخلية وأفرزت توتراً بين القوى السياسية المتنافسة ، تلك هي الحركة الفلاحية التي انفجرت عندما ابتدأ العمل لاستصلاح أراضي الغاب [٤] ، حيث قاوم الفلاحون محاولة الملاكين استيلام

---

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥١ – ١٩٥٢ ، ص ٥٦٩ – ٥٧٠ .

(٢) – بلغ عجز الميزانية عام ١٩٢٩ ١٢٧ م. ل. س وتراجع العجز عام ١٩٥٠ إلى ٢٠ م. ل. س حيث تمت تغطيته بسحوبات من المصرف السوري – اللبناني ومن القرض السعودي ، وقد عانت الموازنة من عجز بداية عام ١٩٥١ بسبب سوء محصول الحبوب ، وكلفة مشاريع التنمية ، وارتفاع اعتمادات الجيش ، وفي العام المالي (من ١/١/١٩٥٠ حتى ٣٠/٦/١٩٥١) وصل العجز إلى ١٩٦ م . ل . س : راجع :

F. o / 371/ 98929/ Report of I.B.R.D. dated 1St Oct 1951 , p.4 , 5 , 7 - 8 .

(٣) – حسن الحكيم ، مذكراتي ، ص ٥٨ – ٦٤ . ولمعلومات أوثق راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥١ – ١٩٥٢ . جلسة ٢٣ آب ، ص ٧٠٥ – ٧١١ و٦ أيلول ، ص٧٤٧ – ٧٧٨ ، ٢٢ أيلول ، ص ٨٠٧ . وجلسة ٦ تشرين الأول دورة عادية ، ص ٢٠ .

(٤) – في أيلول ١٩٤٩ أخرج أكرم الحوراني ، وزير الزراعة آنذاك ، إلى النور الدراسات التي

الأراضي وتلا ذلك عمليات طرد بالقوة للفلاحين من قرى الغاب وقدمت قرى في مناطق أخرى الملجأ والإغاثة لهؤلاء المطرودين وقد عبَّروا بعملهم هذا عن تضامن الحركة الفلاحية التي انطلقت من منطقة حماه أواخر عام ١٩٥٠ وبلغت ذروتها في ١٥ أيلول ١٩٥١ عندما احتشد آلاف الفلاحين في أول مؤتمر فلاحي في مدينة حلب ورفعوا شعار الأرض للفلاح وطالبوا بإصلاح زراعي وبقانون ينظّم العلاقات الزراعية [١] .

هزت هذه الحركة الطبقة المالكة والمسيطرة على السلطة ، وخاف حزب الشعب من اتساع انتشار الأفكار الإشتراكية وبالتالي ازدياد شعبية حزب أكرم الحوراني الذي أقام آنذاك روابط حميمة مع حزب عفلق كانت أساساً لاتحاد الحزبين عام ١٩٥٣ . ومن جديد راح ممثلو حزب الشعب في السلطة يشددون على مسألة إعادة الدرك إلى وزارة الداخلية ليتسنى لهم قمع الحركة الفلاحية ، واتهموا الجيش ، الذي كان في الواقع مُخترقاً بالنفوذ المعادي للاقطاع ، بأنه قصَّر في عمله لإخماد الحركة ، وبأن الشيشكلي لم يستخدم قوات الأمن بشكل فعّال ضد الفلاحين .

في جلسة ٢٧ أيلول تراجع حزب الشعب عن دعم الحكومة ، فقد أعلن رشدي الكيخيا أن حزبه سوف ينسحب من مجلس نيابي غير قادر على استخدام سلطاته [٢] . ووقف الحزب الوطني إلى جانب حزب الشعب حيث وحّدت الحركة الفلاحية مصالح هذين الحزبين التقليدين وقادا حملة لاسقاط الحكومة [٣] .

قام بها (الكسندرجب) حول تنمية سورية ، وكان أولها مشروع تصريف مياه الغاب واستصلاح مستنقعاته وهو أعظم عمل متطور سعت الحكومة إلى تنفيذه ، ففي أيلول ١٩٥٠ أحالت حكومة القدسي المشروع مع الدراسات التي قامت بها شركة " الريجي العامة الافرنسية إلى بعثة البنك الدولي وخصصت للمشروع ٢ م . ل. س عام ١٩٥١ تصل إلى ١٠ م . ل . س عام ٥٢ و ١٥ عامي ٥٣ و ٥٤ " . راجع :

F. o / 371/ 98928/ Report of I. B. R. D. Misson to Syria , /1 St Oct. 1951 / p. 10 .

(١) – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الداخلية ، قسم " تقارير إدارية تتعلق بالأمن والشرطة " حافظة رقم ١٠ ، وثيقة رقم د١/٥٠/٧٠ ، تاريخ ٥١/٩/١٦ .

(٢) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥١ – ١٩٥٢ ، ص ٣٢٠ – ٣٢٥ .

(٣) – راجع : الأيام ، عدد ٤٧٢٩ ، ٢٧ أيلول ١٩٥٠ .

تأزم الوضع عندما اقترح ممثلو الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وتركيا على الحكومة المصرية في ١٣ تشرين الأول تشكيل قيادة شرق أوسطية متحالفة للدفاع عن الشرق الأوسط وتجنيد قوى المنطقة إلى جانب الكتلة الغربية في الحرب الباردة ، وإن مصر مدعوة للاشتراك كعضو مؤسس على أساس المساواة والمشاركة مع باقي الأعضاء وفي نفس التاريخ أبلغ ممثلو الدول الأربع مضمون المقترحات إلى حكومات جامعة الدول العربية وإسرائيل [١] .

اصطدم الحلف الغربي بصعوبات مع حكومة الوفد التي كانت واعية لمكانة بلادها المتميزة فحاولت أن تحصل على أكبر مكاسب ممكنة للتوصل إلى تنظيمات لصالحها في السويس والسودان ، فاشترطت إلغاء المعاهدة المصرية – الإنكليزية لعام ١٩٣٦ وتسوية قضية السودان مقابل دخولها في الحلف ، بيد أنها جوبهت بالرفض البريطاني القاطع للربط بين هذه القضايا وبين التحالف المقترح ، وفي ١٥ تشرين الأول رفضت مصر رسمياً الانضمام إلى الحلف ولم تكتف بذلك بل قامت ونقضت معاهدة ١٩٣٦ واتفاق عام ١٨٩٩ حول السودان [٢] .

أطلعَ ممثلو الدول الأربع في دمشق وزير الخارجية ، فيضي الأتاسي ، على مذكرة الحكومة المصرية " التي خيبت أمل حكوماتهم ، وأن هناك فرصة لتبدل مصر

---

(١) – إن إقامة خطط غربية للدفاع عن الشرق الأوسط قد توبعت في لندن وواشنطن وباريس ووصلت واشنطن إلى تحقيق نجاح في السعودية ، ففي ٢٨ حزيران توصلت إلى إقامة اتفاق دفاعي مع الرياض مَنَحَ لها حق استخدام قاعدة الظهران . وفي ٢٠ أيلول اقترح المجلس الأعلى للحلف الأطلسي إدخال تركيا واليونان في منظمة الحلف وفي ١٠ تشرين الأول أعلنت ، من أنقرة ، لجنة من كبار القادة العسكريين الأمريكيين والبريطانيين والإفرنسيين ضرورة إنشاء قيادة متحالفة في الشرق الأوسط . وفي ١٣ تشرين الأول وجّه سفراء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة إلى وزير الخارجية المصرية مذكرة تدعو إلى انضمامها إلى القيادة كعضو مؤسس راجع نص المذكرة في :
Cahiers de l'Orient Contemporain Vol XXIV . 1951 , p.172 - 173 .
راجع النص بالعربية في مذكرات حسن الحكيم ، ج٢ ، ص ١٢٢ – ١٢٣ . ولمزيد من التفاصيل حول مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط راجع :
J. C. Hurewitz , Diplomacy in the Near-East Vol . II . p.320 et Suiv. cf. J. C. Campbell , Defence of the Middle-East , New York 1960 . p.39 - 48 .

(٢) – Cahiers de l'Orient Contemporain , Vol XXIV 1951 , p.172 - 173 .

مواقفها بعد دراسة أعمق للمقترحات ، وأن هذه الحكومات قررت إنشاء منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط مهما كان موقف مصر ، وهي تأمل من دول المنطقة أن تفكر جدياً بما يمكن أن تقدمه القيادة المتحالفة من رخاء وأمن ، وأن هذه الدول عازمة على إيجاد القيادة العليا ولن يثنيها أي شيء عن تحقيق ذلك " [1] . ولما سأل فيضي الأتاسي عن دور إسرائيل كان الرد : أن إشراكها في القيادة ليس موضع بحث الآن بيد أن ضرورات الدفاع الإقليمي تقضي بأن يُفتح لها مجالٌ للدفاع عن نفسها وعن المنطقة [2] .

" كان الشيشكلي إلى جانب الحلف الغربي ، وقد كانت علاقاته آنذاك متوترة مع حكومة القاهرة حيث كان يعتقد أنها غير بعيدة عن المؤامرات التي تحاك ضد سورية ، وقد رأى أنه كان على الحكومة المصرية استشارة الدول العربية الأخرى قبل رفض مقترحات الحلف الغربي. ولما كانت المشاعر الشعبية مناصرة للموقف المصري ، ترك الشيشكلي لرئيس الوزراء حرية التعبير عن آرائه المناصرة للغرب " [3] .

أما حزب الشعب المؤيد أيضاً للغرب والمتعامل دائماً مع الغرب فقد استغل الظروف للإطاحة بالحكومة . ففي ٢٢ تشرين الأول أذاع فيضي الأتاسي بياناً حول الشؤون الخارجية ومشاريع الدفاع المقترحة فاتصل حسن الحكيم بمديرية الإذاعة وأمر بقطع بث البيان [4] وفي اليوم التالي أدلى الأتاسي ببيانه أمام مجلس النواب وحمل حملة عنيفة على مشروع الدفاع المقترح ، وتساءل عن مصدر الخطر على العالم العربي ، وكان بيانه بمثابة معارضة علنية لما كان يخططه رئيس الوزراء ومناورة الهدف منها إستغلال الرأي العام السوري لاسقاط الحكومة [5] .

---

(1) - حسن الحكيم ، مذكراتي ، ج٢ ، ص ١٢١ – ١٢٢ .
C.O.C . p.172 - 173 .

(2) - راجع البيان الذي أدلى به فيضي الأتاسي في ، صحيفة الفيحاء ، عدد ١٣٠ ، ٢٤/١٠/١٩٥١ .

(3) - F. o / 371/ 98913 / Annual review on Syria in 1951, Confidential No 30/29 Feb 1952 .

(4) - راجع حسن الحكيم ، مذكراتي ، ص ٦٤ وهزيمة طاغية ، ص ١٥ – ١٦.

(5) - أثيرت مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط في جلسة المجلس النيابي تاريخ ٢١/١٠/١٩٥١ . وطالب جلال السيد الحكومة بتوضيح ما شاع حول أن المشروع قد عُرض عليها ، وأن عليها أن

عندما أدلى حسن الحكيم بتصريح حول سياسته الخارجية وقال فيه " لن أسير بوحي الشارع ولن أفرط بسياسة سورية الخارجية " اندلعت التظاهرات العنيفة تطالب بالحياد وتتالت لتكشف عن مدى اتساع الهوة بين الحكام والشعب [1] .

وغداة أزمة بيان وزير الخارجية ، قدَّم الحكيم استقالته ، ورفض رئيس الجمهورية البت فيها ، واستمرت الوزارة في تسيير أعمال الدولة ، واقترحت على البرلمان عقد جلسة سرية لمناقشة اقتراحات النقطة الرابعة فتعطلت الجلسة بسبب عدم اكتمال النصاب ، ومن ثم قام رشاد برمدا وقدّم استقالته وبرَّر أسبابها في تصريح قال فيه " إن أول المسائل التي طرحتُها على الوزارة قضية ربط الدرك بوزارة الداخلية ، وتقدمت بمشروع يقضي بإبقاء تسليح وتدريب الدرك تحت إمرة وزارة الدفاع وأن تحال الإدارة إلى وزارة الداخلية وقد رفض وزير الدفاع وممثلو الكتلة الجمهورية التوقيع عليه .. وبالنظر لإخفاق مهمتي لم يعد هناك ما يبرر بقائي في الوزارة " . ومن ثم اجتمعت اللجنة التنفيذية لحزب الشعب وطالبت باستقالة رئيس الوزراء وقبول حزب الشعب استيلام

تعبر عن موقفها أمام الهيئات السياسية وأمام الشعب ، وأكد على مساندة سورية لمصر في قضية إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، ثم تكلم السباعي بلهجة أعنف وتهجم على البريطانيين قائلاً " ها هو الأسد المزعوم يخرج من بلد شرقي مسلم (إشارة إلى إيران) مطأطأ الرأس " راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد ١٩٥١ – ١٩٥٢ ، ص ٢١١ – ٢١٥ .

[1] – قاد التظاهرات في دمشق زعيم الجبهة الإسلامية ، محمد المبارك ، وقادها في حمص رابطة أنصار السلام ، ونشر الحزب الشيوعي السوري – اللبناني مقالاً يندد بمواقف الحكام وقادة الأركان : " إن الشعب السوري هبّ لاعلان رفضه القاطع لمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط وأعرب في تظاهرات جبارة عن حبه واحترامه ، لجاره الأكبر وصديقه الوفي الإتحاد السوفياتي . إن موقف قادة حزب الشعب كان المراوغة والتضليل حيث لم يصدر عنه بيان ضد الدفاع المشترك أما قادة الحزب الوطني فقد سكتوا سكوت أهل الكيف ، أما الكولونيل (المقصود الشيشكلي) ومن يلتفون حوله من العسكريين لم يذكروا كلمة واحدة ضد مشاريع المستعمرين .. هل يمكن تفسير ذلك إلا بسياسة ترك الباب مفتوحاً للمساومة مع المستعمرين على حساب الشعب والجيش الذي يريد أصحاب المشروع تسخيره لأغراضهم الحربية كما فعلوا بجيش صنيعتهم تركيا في كوريا .. " راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، الداخلية ، قسم " تقارير إدارية تتعلق بالأمن والشرطة " حافظة رقم ١٠ ، وثيقة من محافظة حمص ، رقم د١ /٥٠/٨/تاريخ ١٩٥١/١٢/٢ .

الحكم وتحمل مسؤولية السياسة الداخلية والخارجية [1] . وفي العاشر من تشرين الثاني قدَّم حسن الحكيم استقالته ونشر مع نص الإستقالة بياناً تضمن رأيه في مسألة حلف الدفاع عن الشرق الأوسط قال " إذا ثابرنا على سياستنا الخاطئة ولم نتعظ .. خسرنا قضايانا وأصدقاءنا .. " وأنا أعتبر أن دعوة مصر إلى الإشتراك في القيادة الحليفة هو ثقة من هذه الدول بمصر .. وأن دخول الدول العربية في الحلف معناه إنهاء المعاهدات الأجنبية " " وأن من حقنا على مصر ألاّ تنفرد برفض مقترحات الدول الحليفة من غير أن تستشير الدول العربية ذات العلاقة .. " وإني أرى في مشروع الدفاع المشترك فرصة للعرب يقوون فيها عسكرياً واقتصادياً " [2] ربما كان الحكيم على صواب ، وربما كان بإمكان العالم العربي الإستفادة من برنامج الحلف ، ولربما كان القبول به قد جنَّب سورية والمنطقة تلك الصراعات والهزات ووفَّر الآلاف من الضحايا .

أزمة وزارية جديدة كشفت إلى أي مدى سادت الفوضى في المؤسسات السياسية السورية . فبعد أن فشل زكي الخطيب في تشكيل الوزارة كُلف معروف الدواليبي في ١٨ تشرين الثاني وما لبث أن اعتذر ثم كُلف سعيد حيدر ثم عبد الباقي نظام الدين واصطدما بالعقبات نفسها : مسألة إسناد وزارة الدفاع إلى عسكري ، عودة قوات الدرك إلى إشراف الحكومة . وفي ٢٨ منه أقدم هاشم الأتاسي على خطوة جريئة بلغت حدَّ التهور وذلك عندما استجاب لمذكرة حزب الشعب التي تضمنت قبوله الاضطلاع بمهمة تأليف الوزارة وأنه اختار معروف الدواليبي لإداء المهمة ، وفي اليوم نفسه قدّم الدواليبي قائمة بأسماء أعضاء حكومته التي ضمت سبعة من حزب الشعب ومستقلين وواحداً عن الجبهة الإسلامية ، وتولى رئيس الوزراء حقيبة وزارة الدفاع [3] ولما صدر بلاغٌ رسمي

---

(١) – حول هذه الأحداث ، راجع حسن الحكيم ، مذكراتي ، ج٢ ، ص ٩٧ – ٩٩ .

(٢) – النص نشرته صحيفة الأيام ، عدد ٤٩١٣ ، ١٩٥١/١١/١٢ .

(٣) – منير العجلاني العدلية ، هاني السباعي المعارف ، أحمد قنبر الداخلية ، شاكر العاصي للمالية ، علي بوظو للاقتصاد .(أعضاء من حزب الشعب) . محمد مبارك للزراعة (جبهة إسلامية) جورج شاهين الأشغال العامة (مستقل) ، محمد الشواف للصحة (مستقل) : راجع : هزيمة طاغية ، ص٢٢ – ٢٣ .

بتشكيل الوزارة توجه الشيشكلي إلى القصر الجمهوري وطالب رئيس الجمهورية بإلغاء مرسوم الوزارة ، فرفض الدواليبي ، عندئذ خرج الشيشكلي من القصر وهو يقول محذراً " لا تلعبوا بالنار " ... "وبعد أقل من ١٢ ساعة على تشكل الحكومة قام الإنقلاب الرابع في وقت لم يعد في سورية أي تعاطف مع البرلمانية الديمقراطية إلا بين هؤلاء الذين استفادوا منها وهم قلة " [١] ، وصبيحة يوم الخميس في ٢٩ تشرين الثاني أذيع البلاغ رقم واحد الصادر عن العقيد أديب الشيشكلي ، بلاغ مختصر غير مصقول ، خال من تلك العبارات الواعدة بعودة الجيش إلى ثكناته والتأكيد على ضمان الحريات الدستورية والعامة : " تحيط رئاسة الأركان العامة الشعب السوري الكريم علماً أن الجيش قد استلم زمام الأمن في البلاد وترجو أن يخلد الجميع إلى الهدوء والسكينة وتسهيل مهمة الجيش ومتابعة أعمالهم دون قلق كما وتنذر كل من تسول له نفسه الإخلال بالأمن بأشد العقوبات " [٢] .

اكتفى قائد الإنقلاب باعتقال معروف الدواليبي وبعض الوزراء من أعضاء حزب الشعب ، وبعد محاولة فاشلة لتشكيل حكومة وإيجاد حل دستوري للأزمة استقال رئيس الجمهورية في الثاني من كانون الأول [٣] وفي نفس اليوم صدر المرسوم رقم واحد القاضي بحل مجلس النواب " نظراً لعجزه عن تحمل مسؤوليات الحكم " ثم صدر مرسوم بتكليف الزعيم فوزي سلو مهام رئاسة الدولة مع كافة الصلاحيات التشريعية والتنفيذية ، وتولية الأمناء العامين تسيير شؤون وزاراتهم ريثما تتألف وزارة جديدة .

وأخيراً أعلن الإنقلاب الجديد عن طبيعته الإصلاحية الثورية في بيان موجه إلى الشعب سرد الأسباب التي دفعت الجيش إلى القيام بحركته ، وتهجم فيه على حزب الشعب " تلك الفئة المتآمرة التي تركت البلاد بلا ميزانية وفي حالة كادت تسير فيها إلى تناحر طبقي " " وحالت دون تنفيذ التشريع المالي على الضرائب التصاعدية على

---

(١) – هذا هو تعليق السكرتير الأول في المفوضية البريطانية حول الحدث راجع :
F. o / 371/ 98913/ Report to A. Eden , 29 Feb 1952 , p. A - 1 .

(٢) – النص في هزيمة طاغية ، ص ٢٤ .

(٣) – الأيام عدد ٤٩٤١ ، تاريخ ١٩٥١/١١/٢٩ وعدد ٤٩٤٢ ، تاريخ ١٩٥١/١٢/٣ صحيفة ألف باء ، عدد ١٩٥١/١٢/٢ ، بردى عدد ١٤٠/تاريخ ١٩٥١/١٢/٣ .

الدخل " ... " وقضت على قانون توزيع أملاك الدولة " ، وأكد البيان " أن عهد محترفي السياسة والمشعوذين والمتشردين وراء مصالح الشعب يجب أن ينتهي .. " لقد عبث هؤلاء بأسمى الحرمات وتناسوا أن كل تحرير سياسي لا يقوم بالتحرير الاقتصادي والاجتماعي لا خير فيه ... " [1] .

× × ×

وبعد ، فقد فشلت تجربة تقاسم السلطة بين القوى السياسية والمؤسسةُ العسكرية ، وانهار الحكم الدستوري الهش ، وانسحب السياسيون تاركين للضباط قيادة البلاد .

خلال هذين العامين ، احتدم الصراع بين القوى السياسية المتعارضة حول عدة قضايا: الاتحاد مع العراق ، التحركات الإجتماعية في الأرياف ، دخول سورية في الأحلاف العسكرية الغربية ، وأفرز هذا الصراع أزماتٍ وزارية متتالية ، وأجواء سياسية مضطربة أوصلت إلى الإنقلاب الرابع ، الثاني بقيادة الشيشكلي .

ومع أن سورية سارت خلال هذه الحقبة القصيرة خطوات في طريق التجدد فقد بقيت تفتقد إلى الإستقرار الحقيقي دولةً تفتشُ عن سُبلٍ للتوصل إلى وحدة داخلية ومجتمع متقدم ومتماسك . هل سيتمكن الحكمُ العسكري من إيجاد حلول لمشاكل البلاد . وهل سيكون قادراً على إنجاز أهداف التطور والنهضة .

× × ×
× ×
×

---

[1] – النص في كتاب غسان التويني ، منطق القوة ، ص ٩١ . وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده الشيشكلي في ١٩٥١/١٢/٤ هاجم من جديد حزب الشعب وختم حديثه بالقول "لي أملٌ أن تعود البلاد في أقرب وقت إلى حياتنا النيابية " راجع : الأيام ، عدد ٤٩٤٦ ، ١٩٥١/١٢/٥ .

الفصل الثالث

===============

عصر الديكتاتورية المركزية ، نظام الشيشكلي

(٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١-٢٥ شباط ١٩٥٤)

تمهيد:

يعَدُّ أديب الشيشكلي أول مصلح عظيم في تاريخ سورية المستقلة ، فهو أول من اتخذ خطوات فعّالة لاتمام بناء الوحدة الداخلية من خلال تقليص الخصوصيات السياسية والاجتماعية للأقليات الدينية والعنصرية كما من خلال كسر حدة نظام البداوة [١] .

باشر الشيشكلي في مشروع طموح لانجاز إصلاحات اقتصادية – اجتماعية وإدارية وناضل لإبراز هوية الكيان السوري المستقل وفي الوقت نفسه أكد على هوية سورية العربية الاسلامية ودورها المميز في المحيط العربي . ولأول مرة في تاريخ سورية الحديثة نفَّذ الشيشكلي سياسة جريئة في تعريب الحياة العامة والنظام التربوي – التعليمي وعمل بجدٍ لإقصاء النفوذ الاجنبي في هذا الميدان .

طبّق الشيشكلي ديكتاتورية صارمة ، وسياسة تمركز وامتصاص ، وأقام حزب الدولة الواحد وبرلماناً تمثلت فيه الطبقات الوسطى والدنيا على مستوى عالٍ ، وقد خلفت مدة حكمه تبدلات عميقة الأثر في مستقبل سورية السياسي . " كان من المؤكد أن حزب الشعب هو الذي دفع الشيشكلي رغماً عنه نحو حركته العسكرية ، وكان يفضل الاستمرار في قيادة العربة من المقعد الخلفي ، وحتى بعد أن استلب السلطة أظهر بوادر ترحيب للتعاون مع بعض الهيئات السياسية فسبر غور الحزب الوطني والجبهة الجمهورية وبعض المستقلين لإعادة النظام البرلماني ولما لم يجد صدىً لدى سياسيين

---

(١) _ - M. Ma'oz, attempts at Creating. , p.339 .

بارزين باشر عمله معتمداً على المؤسسة العسكرية " [1]، وتلقى الدعم من بعض كبار القادة الضباط ومن عدد كبير من صغار الضباط الذين وحّدت ما بينهم مشاعر العداء للمؤسسات السياسية ولإشراف السياسيين على الجيش [2] ، كما دعم الانقلاب في الأشهر الأولى حزب الحوراني والحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث ، تلك الأحزاب التي كان كل منها يملك قطاعاً انتخابياً صغيراً واعتقدت أنها ستحقق مصالحها في ظله [3] .

بدأ النظام عمله دون الاعتماد على خلفيات سياسية فقد ترأس فوزي سلو حكومة من خمسة أمناء عامين لتسير شؤون الوزارات ، وفي ٨ حزيران تقرر العودة إلى الحكم المدني فشكل سلو وزارة ضمت مهنيين ورجال أعمال تمتّع بعضهم بالكفاءة وإن كانوا أقل شهرة من سابقيهم في العمل السياسي [4] .

---

(١) - - F. o / 371/ 104465/ Annual Political Review of Syria for 1952 / 8 Jan / 1953 , p. 1 .

(٢) - - M. Janowitz , the Military and the Political Development , p.32 .

(٣) - - F. o / 371/ 98925 / "Syria , the Strong regime" Report From Montagu - Pollock to R.J. Bowker , dated 7/1/1952 , p.1 .

أشار جلال السيد إلى أن الانقلاب لم يحظ بتأييد حزب البعث ومع ذلك لم يعلن عن رأيه لأنه كان موجهاً ضد حزب الشعب وأن الحوراني أيد الانقلاب ولم يصدر عنه بيان بذلك ، وقد طلب قادة هذين الحزبين الاجتماع بالشيشكلي للاضطلاع على خطواته ولم يتوصل المجتمعون إلى التلاقي حول نقطة واحدة " . راجع كتابه ، حزب البعث العربي ، ص ٩٢ - ٩٣ . ومع أن المصادر أجمعت على أن الحزب السوري القومي قد أيد حركة الشيشكلي بيد أنه من المؤكد أن هذا الحزب استمر مراقبا بدقة من قبل أجهزة أمن النظام . راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الداخلية . قسم " تقارير تتعلق بالأمن والشرطة " ، حافظة رقم ١٠ ، وثيقة رقم ٧٩/٥٠/تا ١٩٥١/١٢/١٥ . وثيقة رقم ٨٥/تا / ٥٣/١١/١٢ ، قسم الأحزاب السياسية ، وثيقة رقم ٢٥ و ٢٧ و ٣٢ / تا ، ٥٢/٣/٧ و ٥٣/٩/١٢ .

(٤) - فوزي سلو للرئاسة ووزارة الدفاع والداخلية ، د. سامي طبارة للتربية ، توفيق هارون للأشغال العامة ، منير غنام للعدلية ، ظافر الرفاعي للخارجية ، عبد الرحمن الهنيدي للزراعة ، الدكتور مرشد خاطر للصحة ، سعيد الزعيم للمالية . راجع : الجريدة الرسمية ، ج١ ، مرسوم رقم ٢٥٧ ١/٨ حزيران ١٩٥٢ ، ص ٥٧٠ .

وبالمقارنة مع الحكومات السابقة أظهر الحكم الجديد الرغبة والقدرة على العمل والسرعة في البت والإنجاز فلنستعرض أدناه أحداث عصر الشيشكلي ومنجزاته :

- التشريعات الجديدة :

على الصعيد الاقتصادي تبنى الشيشكلي منهاجاً يساعد على تنظيم الاقتصاد واستخدام طاقة الدولة لإحداث التنمية دون المس بالاستثمارات الخاصة لا بل كانت التشريعات في هذا المضمار خطوة بناءة في طريق توسع الرأسمال الصناعي والتجاري وتطور نفوذه وأرباحه [١] . بموجب هذه التشريعات تولت الحكومة تجهيز الزراعة بالآلات الحديثة والمواد الأولية ، وعملت على تقوية الارشاد الزراعي وتقديم القروض والتسهيلات المصرفية لمساعدة المزارعين على استغلال أرضهم . وقد أولت الحكومة زراعة القطن اهتماماً خاصاً حيث أخضع المرسوم رقم ٥١ زراعته إلى رخصة من وزارة الزراعة التي تولت تحديد مساحة الأراضي الصالحة لزراعة القطن وأوجب المرسوم على المزارعين مكافحة دودة القطن التي أضرت كثيراً بمحصول العام الماضي ونص المرسوم رقم ٥٢ على إحداث مكتب القطن " وأوكلت إليه مهام اختيار البذور ومطابقة الانتاج لحاجات التجارة الدولية والإشراف على تموج أسعاره وتعبئته وتصديره [٢] هذا وإن الحجم الكبير الذي احتلته حركة الفلاحين خريف العام الماضي ، وتداركاً لنمو هذه الحركة وتعاظمها ، أصدر النظام أول تشريع لاصلاح الأرض في سورية ، ويمكن اعتبار المرسوم رقم ٩٦ الصادر في ١٩٥٢/١/٣٠ إصلاحاً اجتماعياً جذرياً حيث عالجت مواده العشر مسألة اغتصاب الاقطاعيين ورؤساء العشائر أملاك الدولة [٣]، إذ نصت المادة الثانية على ألا يعتبر وضع اليد مكسباً لحق التصرف الا ضمن

---

(١) - F. o / 371/ 98928 / Rep of I. B. R. D Misson . No 2 . Jan /2/1252 , p. 1 .

(٢) - راجع المراسيم الأولية الخاصة بالزراعة في : " البيان الأول من دولة الزعيم فوزي سلو رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء إلى الشعب السوري عن أعمال العهد الجديد خلال ثلاثة أشهر " . نشر المديرية العامة للدعاية والأنباء ، دمشق ٣ آذار ١٩٥٠ ، ص ٢٧ - ٣٣ .

(٣) - راجع نص المرسوم في م . ن . ص ٥٠ - ٥٤ . راجع : مقال صحيفة الكفاح " أعظم

مساحة حدها الأعلى ١٥٠ هكتاراً لكل شخص في محافظتي الجزيرة والفرات والمناطق الصحراوية و ٥٠ هكتاراً في باقي المناطق ، أما في تلك التي لم تجر فيها أعمال " التحديد والتحرير " فإن المساحة المعتمدة هي الواردة فقط في سجلات التمليك ، وبذلك استعادت الدولة مئات الهكتارات التي امتلكها المتنفذون تحت ستار الحدود الوهمية . وقضت المادة الرابعة أن تقوم مديرية أملاك الدولة ببيع وتأجير الأراضي المحررة إلى فلاحي كل منطقة لقاء بدل زهيد ومقسط وتوزيع الأراضي خارج المناطق الآهلة على أبناء العشائر بعد مضي شهر واحد على تسجيلهم في دوائر النفوس . ونصّت المادة الخامسة على استعادة الدولة الأملاك غير المستثمرة خلال سنتين من تاريخ استملاك الأرض . ثم صدر مرسوم يسمح للمصرف الزراعي بتسليف قروض للفلاحين الذين تقرر بيعهم أراضي الدولة . وقد واجه مرسوم توزيع أملاك الدولة صعوبات في التطبيق ناجمة عن اتساع الأراضي التي لم يشملها برنامج التحديد والتحرير سابقاً كما في مناطق الجزيرة والفرات وحوران وجبل الدروز وبعض مناطق محافظتي حلب واللاذقية ، فأعيدت صياغته بمرسوم حمل الرقم ١٣٥ تاريخ ١٩٥٢/١٠/٢٩ الذي ألغى التمييز بين أراضي الدولة المسجلة وغير المسجلة وألحق الأراضي غير المستثمرة بأملاك الدولة . وبموجب المرسوم رقم ١٦٨ الصادر في ١٩٥٣/١/١٥ بدأت المرحلة الأولى لتوزيع الأراضي على القبائل في منطقتي الجزيرة والفرات وتحول هؤلاء البدو إلى مالكين تقاسموا عائدات الأرض مع المستثمرين المستأجرين لها وبذلك ساهم المرسوم في تشجيع استيطان البدو كما في تحرير أفراد القبيلة من سيطرة شيوخهم [١] .

إصلاح في الملكية العقارية " ، دمشق عدد ٥٢/١/٢٧ ، مقال صحيفة العصر الجديد " أفضل قانون وضعته سورية " ، دمشق ، ٥٢/٢/٢ ، النيحاء مقال " الانتاج المثمر " ، دمشق ، عدد ٥٢/٢/٣ / . صحيفة العلم مقال " كلمة حول توزيع أراضي أملاك الدولة " دمشق ، عدد ٥٢/٢/٤ / . ومقال " كيف تحققت العدالة بين أبناء العشائر في الجزيرة " ، عدد ٥٢/٢/٥ .

(١) – حول محاولات الشيشكلي إصلاح نظام الأرض راجع :
"Developments of the Quarter" in "Middle-East Journal , Vol VI (1952) p. 219 , Vol VII, p.202. cf. Peter G. Franck . "Economic Nationalism in the Middle-East in MiddleEast Journal , Vol VI (1952) p.445, cf. D. Warriner, Land Reform , p.101 - 105 .

أولى النظام الجديد اهتماماً لدفع عجلة الصناعة التي تأثرت من جراء ضيق حجم السوق الداخلية والخارجية قياساً بتضخم الانتاج فأصدرت الحكومة سلسلة من المراسيم لإنعاش المؤسسات الصناعية شملت إلغاء المكوس الداخلية وإعفاءات ضريبية وجمركية وقروضاً بضمان خزينة الدولة وحماية الانتاج باخضاع عمليات الاستيراد إلى نظام الإجازة الصادرة عن وزارة الاقتصاد ومنع استيراد بعض المواد أو تحديد كميتها لتشجيع الانتاج المحلي [١] . كذلك سعى الشيشكلي إلى حل مشكلة تسويق الانتاج وتوصل إلى عقد إتفاقية اقتصادية مع لبنان والاردن وأتم إبرام المعاهدة التجارية مع ألمانيا الغربية [٢]. وقد نظم المرسوم رقم ١٥١ الصادر في ٣ أيلول ١٩٥٢ أوضاع الشركات والمؤسسات التجارية الاجنبية وقضى أن يتولى إدارتها مدراء سوريون وحصر وكالات الشركات الاجنبية بالسوريين وسمح للأجانب بتأسيس شركات على أن يساهم السوريون بـ ٦٦٪ من رأس مالها ، وكان هذا المرسوم موجهاً خاصة نحو ذلك العدد الهائل من رجال الأعمال اللبنانيين العاملين في سورية ، وبموجبه تحولت التجارة إلى أيدي السوريين وانفتحت أبواب العمل أمام فئة واسعة من رجال الأعمال [٣] ، كذلك أسست الحكومة

---

(١) – راجع البيان الأول إلى الشعب السوري ، ص ٢١ – ٢٥ ، وحول سياسة الحكومة في مضمار الصناعة . راجع مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ١٩٥٣ ، جلسة ٥٣/١١/٢٨ ، ص ٢٣ – ٣٥ . وراجع صحيفة الجمهورية ،حلب ، عدد ١٩٥٢/٢/٢ ، صحيفة بردى ، دمشق، عدد ١٩٥٢/١/٣ . ومن المفيد ذكره الدور الكبير الذي لعبته الشركة الخماسية في مسار السياسة الاقتصادية من هذا العهد والدعم الكبير الذي قدمته للنظام . حول ذلك راجع ما كتبه R.T. Waters ، استناداً إلى مقابلات مع أشخاص على علاقة حميمة بأعضاء هذه الشركة في كتابه :
A - Social Political .. , p. 76 .

(٢) – في شباط ١٩٥٢ قام الشيشكلي وسلو بزيارة العاصمة اللبنانية حيث عقدا اتفاقاً اقتصادياً . راجع : صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤٩٨٨ ، ٨ شباط ١٩٥٢ ثم توجه إلى عمان لنفس الهدف . راجع : صحيفة الكفاح ، دمشق ، عدد ٢٩٣٣ ، ٦ شباط ١٩٥٢ ، النقاد ، دمشق، عدد ١٢١ ، ١٦ نيسان ١٩٥٢ ، وفي نيسان إلى الرياض ، صحيفة النقاد ، عدد ٢١/١٢٤ نيسان ١٩٥٢ . وكانت المعاهدة التجارية مع ألمانيا قد وقعتا من قبل الحكومتين السورية واللبنانية ولم تقترن بموافقة المجلس النيابي. وتم إبرامها للتو بعد الانقلاب وصدر مرسوم تشريعي ينهي حالة الحرب بين سورية وألمانيا . للتوسع راجع : البيان الأول إلى الشعب السوري ، ص ٢٢ .

(٣) – احتج الدبلوماسيون الغربيون على هذا القانون بعنف مما دفع الحكومة إلى إعطاء الاذن

" مديرية الاحصاء " ومركـزاً لإعـداد الإختصاصيين للعمل في هذا القطاع وراحت هذه المديرية تصـدر النشرات الاحصائيـة حـول السكان والتجـارة الخارجيـة وقضايـا العمـال والأجور والإدارة والصحة والتعليم .

وقـد أخضع النظـام العمـل النقابـي لإشـــراف صـارم ، ووعدَ العمـال باتخـاذ إجراءات لتطبيـق بنـود قانون العمل وصيانة حقوقهم ومكافحـة البطالـة واعتمـاد صنـدوق الضمان لصالح مستقبلهم [١]

– اتجــه النظــام فـي مضمــار السياســة الضريبية نحو دعم الضرائب المباشـرة وطرح ضريبة تصاعدية على العقارات والعرصات التي كانت ذات معدل ثابت ، وتوسـع التشريع في معرض طرح ضريبة الإرث لتشمل الأموال المنقولة وغير المنقولة ، وحـدَّد النسب التصـاعدية حسب قيمة الإرث ودرجة القرابة . وتنـاولت المراسيم ضريبـة الدخـل فرفعت المعدل التصـاعدي إلـى ٣٦٪ علـى المبـالغ التـي تتجـاوز ٧٥٠ ألـف ل. س. وخفضت الحد الأدنى من هذه الضريبة على المكلفيـن ذوي الرواتـب وأصحــاب المهــن والحــرف . ثـم أدخلت تعديلات على قـانون ضريبـة الدخـل (رقـم ٨٥ تـاريخ ٢١ أيـار ١٩٤٩) الذي نص على مسـك المكلفين دفاتر حسابية تبين أرباحهم خلال العـام لتكـون أســاساً لفرض الضريبــة ، وتضمــن التعديـل فرض غرامات وعقوبات وصلـــت حــدَّ الحرمـــان من رخـص الاستيــراد والتصديــر والملاحقــة بتهم الإحتيال علــى خزينـة الدولــة [٢] .

لمدراء الشركات الأجانب بالعمل حتى نهاية عام ١٩٥٣ ، مع احتمال تمديد الأذن بشكل آلي ووجوب تعيين ممثل سوري عن الشركات الأجنبية . راجع :

F. o / 371/ 98918 / Secret Report No 21 , dated 25/9/1952 .

(١) – راجع : مرسوم رقم ١٧ تاريخ ١٩٥١/٢/٢ في البيان الأول إلى الشعب السوري ، ص ٤٩ – ٥٠ وراجـع مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ١٩٥٣ ، جلسة ٥٣/١٠/٢٤ ، ص ١٢ – ١٣ . وحول سيطرة النظام على النقابات والإتحادات راجع :

R. T. Waters , A Social-Palitical analysis of Syria , p.81 – 82 .

(٢) – راجع : البيان الأول إلى الشعب السوري ، ص ١٧ – ٢١ . وصحيفة النصر ، دمشق ، عدد ١٩٥٢/١/١٩ ، بردى ، دمشق ، عدد ٥٢/١/١٦ القبس ، دمشق ، عدد ٥٢/١/٢٠ . ومن المفيد ذكـره أن هذا المرسوم قد أثار احتجاجاً عنيفاً من قبل التجار والحرفيين ، فأعدت الحكومة تشريعاً جديـــــداً

واهتم النظام بدعم النقد السوري والحفاظ على ثباته كجزء من السياسة الإقتصادية لتحقيق الإزدهار والتكيف حسب مقتضيات التجارة والصناعة ، وفي هذا المضمار أعاد المرسوم رقم ٢٠٨ تاريخ ٢١ نيسان ١٩٥٢ تنظيم مكتب القطع كخطوة أولى لتأمين استقلال السوق وأصبح مكتب القطع مشترياً للنقد الوارد وبائعاً للقطع الذي تحتاجه السوق وبذلك أعدّ للتجارة التسهيلات لإجراء العمليات التجارية داخل سورية ، كما وحّد مكتب القطع سوق القطع في سورية وسار العمل في هذا الإطار على مراحل وتوصل في كانون الأول ١٩٥٢ إلى أن يصبح بائعاً ومشترياً للنقد الأجنبي بأسعار تحددها نشرة يومية تُلزم المصارف باعتمادها [١] وفي ٢٨ آذار ١٩٥٣ صدر نظام " النقد الأساسي وإحداث مصرف سورية المركزي " وكان ذلك إحدى التوصيات التي اقترحها الخبير الإقتصادي الألماني "Hjalmar Schacht" الذي استدعاه الشيشكلي لدراسة الأوضاع الإقتصادية وتزويد الحكومة بالتوجيهات لتحقيق التنمية [٢] وبصدور هذا القانون تمّ إنشاء مجلس النقد والتسليف وهو السلطة التنفيذية المكلفة تطبيق النظام ومراقبته . ومن ثم أجرى الشيشكلي مفاوضات مع بنك لبنان وسورية وانتزع منه حقه بوصفه مؤسسة للإصدار . وأوفدت الحكومة بعثة إلى أوروبا والولايات المتحدة لدراسة كيفية إعداد الجهاز الإداري والفني للمصرف المركزي [٣] .

يسمح بتمديد مدة التطبيق . راجع :

F. o / 371/ 104465/ Annual Review of Syria for 1952 , p. 4 .

(١) – مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ١٩٥٣ ، جلسة ١٩٥٣/١١/٢٨ ، ص ٢٦ – ٢٨ .

(٢) – راجع حول هذه الزيارة وتصريحات الخبيرالألماني : صحيفة اليوم ، عدد٣٨/ تاريخ١٩٥٢/١١/١٥ .

(٣) – لم يباشر المصرف المركزي عمله بعد صدور هذا القانون لأن بنك سورية ولبنان كان يتمتع بامتياز إصدار النقد حتى آذار ١٩٦٤ وفي الأول من أيلول ١٩٥٥ نجحت الحكومة السورية في تصفية هذا الامتياز وباشر المصرف المركزي عمله في الأول من آب ١٩٥٦ برأسمال قدره ١٠ مليون ل. س. راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم (١) للعام ١٩٥٣ ، ص ٢٩ – ٣٠ ، ومجلد رقم (٢) للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص ١١٩٦ – ١١٩٩ .

وأولى النظام اهتماماً جدياً لتطوير الجهاز الإداري وتفصيل عمله ، وحددت عدة مراسيم واجبات الموظف وساعات الدوام ، وأحدثت دائرة لرعاية مصالح المواطنين والنظر في الشكاوى المتعلقة بمعاملاتهم مع الموظفين ، كما أناطت " بمكتب تفتيش الدولة" " مراقبة سير العمل في الإدارات والمؤسسات العامة للحؤول دون انتشار الرشوة والفساد " [1] كذلك عمدت المراسيم الجديدة إلى إحكام القبضة على الجهاز الإداري فحظرت على الموظف الإسهام في أي نشاط حزبي ، ونص المرسوم رقم ٤٧ (في ٥٢/١/١٠) على " منح الموظف مهلة خمسة عشر يوماً للانسحاب من الحزب الذي ينتمي إليه ، وأن يُدلي كل موظف بيمين الولاء للدولة " [2] وصدرت مراسيم بعزل كبار الموظفين بسبب ميولهم الحزبية ، وأخضع النظام الجهاز القضائي لسيطرته وجرده من استقلاليته [3] .

أما في ميدان التربية والتعليم . فقد انطلقت السياسة الإصلاحية نحو إرساء أسس مجتمع موحد ومنصهر في بوتقة الوطنية ، وخطا التشريع الجديد الخطوة الأولى في مسيرة سورية باتجاه التعليم الموجه والتقليص من مبدأ حرية التعليم .

ولخلق ثقافة متجانسة اعتمد مبدأ تأميم الكتب المدرسية على اختلاف مستوياتها ، وتشكلت لجنة من كبار الأساتذة المتخصصين لوضع المناهج التربوية لتعزيز سيطرة الدولة على القطاع التعليمي ولإبعاد النفوذ الأجنبي عن الميدان الثقافي :

عدّل المرسوم رقم ٩١ قانون المعارف المعمول به منذ عام ١٩٤٩ فحدد مدة الدراسة بسبع سنوات ونصّ على إلزامية تعليم إحدى اللغتين الانكليزية والافرنسية بدءاً

---

(١) – راجع نص هذه المراسيم في : البيان الأول إلى الشعب السوري ، ص ٩ – ١١ .

(٢) – راجع نص القسم في صحيفة الفيحاء ، عدد ٥٢/١/١١ . هذا وقد امتنع عدد من كبار الموظفين وأساتذة الجامعة عن إداء القسم لسرحوا من مراكزهم . راجع : هزيمة طاغية ، ص٢٩ .

(٣) – ألغى المرسوم رقم ٧٢ المحكمة العليا وأحال بعض صلاحياتها إلى وزارة العدل وقد قدم بعض أعضائها استقالتهم احتجاجاً على إخضاع صلاحياتها إلى موافقة رئيس الدولة . راجع :
F. o / 371L98918/ Secret Report No 12 , Damascus 25/1/1952 .

من الصف الأول المتوسط [١] وفرض المرسوم رقم ٤٨ إلزامية التعليم الديني في جميع المدارس [٢] ونظم المرسوم رقم ٢٢٥ التعليم المهني لتزويد المؤسسات الصناعية والتجارية بحاجاتها من المهنيين الاختصاصيين [٣] ، كما أصدرت الدولة مرسوماً خاصاً بمدارس البدو نصَّ على إدخال مواد ملائمة لأحوال الصحراء والأرياف ومراعاة واقع البيئة العشائرية ليسهل على الطلاب إيجاد محيط غير بعيد عن ذوقهم ومفاهيمهم [٤] .

وجه المرسوم رقم ١٧٥ الصادر في ٥٢/٣/١٧ أول ضربة للتعليم الخاص في سورية . فقد منعت مادته الثانية تأسيس مدارس أجنبية جديدة وحرمت المادة الثامنة تأسيس مدارس تبشيرية ، وأوجب على كل مدرسة خاصة الحصول على ترخيص من وزارة المعارف، وحظرت المادة السابعة أن تقوم المدارس الخاصة بتلقين ما من شأنه أن يؤدي إلى إضعاف الروح الوطنية وبث النعرات الطائفية والمس بكرامة الشعب السوري والأمة العربية ، وأن تطبق البرامج التي تقررها الدولة لمواد اللغة العربية والتاريخ والجغرافية والتربية وبأن تدرس بالعربية في المدارس الابتدائية (المادة ١٠) وأن تحصل المدارس الثانوية على موافقة وزارة المعارف على مقرراتها دون التقيد بالكتب المقررة في مدارس الدولة ، وقد أخضع المرسوم المدارس الخاصة لمراقبة وزارة المعارف ومنعها من قبول الإعانات من أي مصدر أجنبي أو استخدام مدرسيين أجانب دون موافقة هذه الوزارة ، وقضت الأحكام الانتقالية للمرسوم رفع البيانات الخاصة بأعمال هذه المدارس إلى وزارة المعارف ليتمَّ على ضوئها تجديد الترخيص لها . وقد خضعت لأحكام هذا المرسوم " الكتاتيب " والمدارس الأجنبية [٥] .

---

[١] – راجع مقال الاستاذ أحمد الفتيح " مرحلة التوجيه في مناهجنا " في مجلة المعلم العربي ، عدد ٢٥ ، سنة ٥ ، آذار ١٩٥٢ ، ص ٣٩٨ – ٤٠٠ .

[٢] – راجع نص المرسوم الصادر في ٥٢/١/١٦ في م . ن . ، عدد ٣ ، سنة ٥ ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

[٣] – صدر المرسوم في ١٩٥٢/٥/١ راجع نصه في م . ن . ، العددان ٧ و ٨ ، السنة ٥ ، أيار حزيران ١٩٥٢ ، ص ٧٨٥ – ٧٨٩ .

[٤] – صدر المرسوم في ١٩٥٢/١/٩ . راجع نصه في م . ن ، عدد ٣ ، السنة ٥ ، ص ٢٨٠ .

[٥] – راجع النص في المعلم العربي ، عدد ٧ و ٨ ، السنة الخامسة ، أيار وحزيران ١٩٥٢ ، ص٧٧٦ – ٧٨١ .

اتجه النظام نحو إقصاء النفوذ الاجنبي داخل سورية . ففي أوائل عام ١٩٥٢ صدر مرسوم يوجب على المؤسسات والشركات الأجنبية تقديم لائحة بأسماء السوريين العاملين لديها ، ثم اندفع النظام أكثر فأكثر بحيث ظهر جلياً أنه يعتبر كل أجنبي جاسوساً وأن الاحتكاك بالاجانب مفسدة للأمة ، ونظم بالتالي مراقبة دقيقة على مكاتب الإعلام العربية والأجنبية وتمّ استجواب العاملين فيها ، وفي ٦ آذار صدرت مذكرة رسمية بإغلاق "المجلس البريطاني" British Council ، " ومكتب الشرق الأوسط "British M.E. office" ، وحُظر على الجامعة السورية التعامل مباشرة مع تلك المؤسسات بحجة تخطيها لحدود الاعراف الدولية [١] . وبعد صدور المرسوم رقم ١٧٥ طلبت الحكومة من الوزراء المفوضين الإفرنسيين والبريطانيين والامريكيين إغلاق مراكزهم الثقافية خلال شهر ، ثم توسع القرار ليشمل "مؤسسة الشرق الأدنى الامريكية "Near East Fondation"، وهي شركة يمولها رأس مال خاص هدفها مساعدة السوريين على تحسين ظروف حياتهم وقد تركز عملها على تطوير أساليب الزراعة [٢] . ومن ثم صدرت تعليمات إلى الوزارات تقضي بأن يكون اتصالها مع البعثات الأجنبية من خلال وزارة الخارجية التي هي قناة الاتصال الرسمية . ثم راحت الصحف السورية تشن حملة معادية لنشاطات المؤسسات الأجنبية ، وبدا واضحاً ، أن النظام مهوس بفكرة التوصل إلى استقلال كامل وأبعاد كل نفوذ أجنبي ، وأن الحكومة التي تبنت هذه السياسة قد وجهت الصحافة لإيجاد مبرر لأعمالها .

---

(١) – كتب الوزير المفوض حول هذه النقطة ما يلي : " كانت سياسة النظام موجهة خاصة ضد العراق وضد مؤسساتنا . ولقد اشتكي زميلي العراقي من المراقبة المحكمة التي خضع لها أعضاء بعثته . وكذلك فعل المفوض الباكستاني . وقد نشرت صحيفة الجندي مقالات معادية لنا ، وتم إغلاق البعثة البريطانية في ادلب ، واني أعزو ذلك إلى علاقاتنا الحميمة مع العراق ولأن حكومة جلالتها رفضت تزويد الشيشكلي بطائرات الـ Jet التي طلبها العام الماضي " . راجع :

F. o / 371 / 98919 / Ses / Mes No 12 , to A. Eden , Jan 25 , 1952 .

(٢) – حول نشاطات هذه المؤسسة راجع :

F. o / 371/ 98946/ "American organisation in Syria" a Report by P.A. Rodes dated 20 Mars 1952, p.1 - 2 .

مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الداخلية ، حافظة رقم ٣٥ ، وثائق رقم من /١ – ٤/ من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٥ .

ولكن بعدما اندفع النظام في غلوائه ، وبسبب حاجته الماسة إلى المساعدات المالية الامريكية والأسلحة البريطانية والافرنسية ، أجبر على التخفيف من إندفاعه ، وتوصل ممثلو هذه الدول إلى التفاهم مع الحكومة وأعيد فتح المؤسسات التربوية على أسس جديدة قضت إشراف وزارة التربية على هذه المؤسسات وأن تسجل الصفوف التعليمية فيها على أنها مدارس خاصة وخاضعة لإشراف السلطات السورية . ثم أصدرت الحكومة المرسوم رقم ٢٣١ الذي يمنع أي سوري من الحصول على منح تعليمية دون إذن مجلس الوزراء وعن طريق وزارة التربية فقط ، أما بالنسبة للمكتبات الملحقة بهذه المؤسسات فقد فرض النظام أن تستقبل فقط السوريين الحاملين لبطاقة إذن صادرة عن وزارة التربية ويجب إعلام هذه الوزارة بقائمة محتويات هذه المكتبات والحصول على إذن مسبق لعرض الأفلام الثقافية وتنظيم المحاضرات والحفلات الموسيقية وعلى هذه الأسس استعادت تلك المؤسسات عملها في سورية (١) .

كذلك طالبت الحكومة السورية بتقليص نشاط المؤسسات الإعلامية الأجنبية ، وعلى أثر تكثيف مكتب المعلومات الامريكي نشاطاته ونشراته الاعلامية بشكل أساء للنظام ، صدر قرار بإغلاقه ، وفي ٢٨ آذار ألقيت قنبلة على المبنى الذي يشغله هذا المكتب فتهدم وقتل أحد العمال الفلسطنيين، وكان رد فعل الوزير المفوض الامريكي عنيفاً، واتهم النظام بأنه وراء هذه الأعمال ، وقد ألقى الشيشكلي التهمة على عاتق الشيوعيين ووعد باعداد الوسائل الفعّالة لحماية المراكز الأجنبية ، وأكدً أن مصالح سورية تستند إلى الغرب (٢) ، وقد علق تقرير صادر عن المفوضية البريطانية على سياسة النظام قائلاً " وعلى الرغم من كون الحكومة منغمسة في العمل الجاد لانجاز استقلال البلاد الكامل ، فإن من المؤكد أن هذا الاستقلال مستحيل في العالم المعاصر ، فكلنا مرتبطون بالتعاون مع الامريكيين والافرنسيين وكذلك حال السوريين " (٣) .

---

(١) - F.o /371/ 989471, Report From Damascus to Foreign office, No 111, 1St May 1952, p.1-2 .

(٢) - حول موقف الحكومة الامريكية من هذه الأحداث راجع :
F. o / 371/ 98944/ Sec Mes No 233 , From Washington to Foreign office . 11 Mars 1952 .

(٣) - Op.cit , 98947/ Confidential Report From Bill Pollock to M. Ross , 39 Mars

– خطوات النظام في مضمار التنمية الاقتصادية وتحديث الجيش :

في خضم هوَسه لتعزيز استقلال البلاد السياسي باستقلال اقتصادي قام النظام الجديد بخطوات بناءة لتنفيذ خطة التنمية الاقتصادية التي وضعتها وزارة القدسي وأحالتها في تشرين الثاني عام ١٩٥٠ على بعثة البنك الدولي لدراستها وإعطاء النصح . وقد تطلب تنفيذ الخطة في مدة محددة بخمس سنوات مبلغ ٢٣٤ مليون ل.س. (١) وهو مبلغ يفوق بكثير طاقات البلاد المالية ، وبالتالي كانت سورية بحاجة إلى مساعدات وقروض خارجية لا سيما بعد أن عانت البلاد عام ١٩٥١ من شتاء جاف ومن الأضرار التي أصابت محصول القطن وأثر ذلك على ميزانية الإنفاق . ومن ثم جاء تخبط الحكومة ومعاناتها من الصراعات الحزبية ليجبراها على رفض مساعدات النقطة الرابعة وقرض البنك الدولي ومساعدات ما عُرف بالتعاون الأمني« Mutual security act » وعليه اقتصرت أعمال التنمية على بعض التحضيرات في منطقة الغاب ، وبعد إنقلاب ٢٩

1952 , p.2 .

(١) –

البرنامج الإجمالي لخطة التنمية	من عام ١٩٥١ حتى ١٩٥٥	المبلغ الاجمالي
مرفأ اللاذقية		٢٤ م. ل. س .
تزويد حلب المياه		٢٠ " "
سد اليرموك		٢٠ " "
ري وتجفيف وادي الغاب		٥٠ " "
سد يوسف باشا على الفرات		٣٠ " "
مستودعات النفط والحبوب		١١ م. ل. س .
البنك العقاري		١٠ " " "
مشاريع الري الصغيرة		١٣ " " "
الطــرق		٣٠ " " "
تطوير الزراعة		١٠ " " "
برنامج الزراعة		١٠ " " "
تنظيم المساحة		١٥ " " "

راجع :

F. o / 371 / 98928 , Report of I. B. R. D. dated 1 St Oct 1951 , p.7 - 8 .

تشرين الثاني اتجه النظام نحو تقوية البلاد على الصعيدين الاقتصادي والعسكري وتوافق هذا الميل مع مواسم خيّرة في الأعوام ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ وتدفق القروض والمساعدات الخارجية ، خاصة الامريكية ، لدعم الاقتصاد السوري وتنفيذ خطط التنمية .

وفي اطار اندفاع الغرب لمساعدة النظام العسكري القائم تشكلت لجنة من ممثلي الدول الغربية فرنسا و بريطانيا والولايات المتحدة لدراسة خطط المساعدة الاقتصادية لسورية وقد رحَّب الشيشكلي بهذه المساعدات وبدأ العمل في المشاريع المحضَّرة سابقاً ، وكان أولها مرفأ اللاذقية وقد ابرمت حكومة فوزي سلو عقداً مع شركة يوغسلافية لبناء المرفأ في ظروف ملتبسة [١] ثم خصصت قرضاً بمبلغ ٣٥ م. ل. س لتنفيذ مشروع تجفيف وري وادي الغاب وفي ٢٦ أيلول مُنح الالتزام إلى شركة يوغسلافية [٢] . وفي اطار مساعي البنك الدولي للتوصل إلى تفاهم مع الحكومة السورية عرض ارسال لجنة فنية لمراقبة الاعمال التي هي قيد التنفيذ [٣] ، ثم طلبت الحكومة من البنك دراسة مشاريع الإنماء الزراعي والطرق ووضع خطة لاسس الاقتصاد السوري ، وقد زار مدير البنك (E. Black) سورية من ١١ إلى ١٦ آذار للاطلاع على الأعمال الجارية في مرفأ اللاذقية ووادي الغاب ، وبعد عدة مباحثات للتوصل إلى تسوية ، وافق بلاك على المشاركة في تكاليف خطة التنمية بنسبة ٧٠٪ واشترط أن يقبل السوريون مراقبة لجنة خاصة من البنك للاقتصاد السوري ، وأن يتمّ اقرار برلماني للقرض ، وقد رفض الشيشكلي هذه الشروط ومن ثم توقفت المباحثات مع البنك بعدما حصل الشيشكلي على قرض بمبلغ ٢٥ مليون دولار من بنك الاستيراد والتصدير الامريكي [٤] . هذا وان

---

(١) F.0/371/104465/ Syria, Annual Review for 1952 confidential No5, 8jan 1953 p.2 –

(٢) - F. 0/371 / 111137/ Syria Annual Review for 1953 , Confidential No 31, 12 – Feb 1954 , p.2.

(٣) – بعد مفاوضات بين الحكومات السورية والبنك الدولي استمرت من عام ١٩٥٠ حتى ١٩٥٢ تلكأ البنك في منح سورية القرض المطلوب وذلك بسبب فشل الحكومة في تنظيم اولويات التنمية وتقديم الموجبات للمشاريع المطروحة ومراعاة للمصالح المالية الأجنبية فتأخر بالتالي العمل في مشاريع التنمية ، راجع :

- F. 0 / 371 1989 25 / "The strong Régime" a Report on / 7 Feb 1952 P.1- 2 .

(٤) - F. o/ 371/ 104977/ report from I. B. R . D to sir H . Brittain , 10 th oct . 1953 –

الاهتمام الجدّي للنظام بمشاريع التنمية قد قاد ثانية إلى عودة بعثة البنك الدولي إلى سورية في شباط ١٩٥٤ ولم تثمر المفاوضات بين السوريين والبنك حتى آب ١٩٥٥[١] .

ويبقى أهم ما أنجزه النظام العسكري ذلك العمل الجاد والدؤوب لتحديث الجيش السوري وتطويره ، وفي هذا الإطار تابع الشيشكلي خطوات حسني الزعيم واندفع اكثر لإيلاء القوات المسلحة اهتماماً بالغاً ، وكان يعتقد أن على سورية الاستعداد لمواجهة اسرائيل التي سيدفعها ازدياد عدد سكانها بسبب الهجرات المتتالية نحو توسيع رقعة أراضيها باتجاه سورية ولبنان والقيام بسلسلة قاسية من الأعمال المربية ، كذلك اندفع الشيشكلي نحو تقوية الجيش بسبب قلقه الدائم من تطلعات العراق التواقة لابتلاع سورية [٢] .

استدعى الشيشكلي بعثة عسكرية ألمانية من عشرين ضابطاً لإعادة تنظيم الجيش على أسس حديثة ، وبموجب خطة البعثة قُسم الجيش إلى ستة ألوية حسب نوع الأسلحة ووزع على ستة قطاعات : الشمالي والشرقي والجنوبي ، الغربي ، والجنوبي الغربي ، والقطاع الأوسط ، وتمركزت قوات المدفعية في القابون ونُظمت كتائب الجبهة في ست فرق ووضعت الأسلحة تحت تصرف القيادة العامة في القابون [٣] .

ونظم خبراء ألمان القوات الجوية على أساس الأسراب : سرب طائرات مقاتلة من قاذفات القنابل وثلاثة أسراب مقاتلة ، وسرب لنقل المعدات ، وثلاثة لحماية الأرض وسرب مضاد طيران . وزودت القوى الجوية بطائرات من نوع Fiat 200 و Dakota صنع فرنسا وطائرات نفاثة من نوع Meteor ومقاتلة من نوع Jet بريطانية المنشأ ، وأجريت تحسينات ملموسة في المطارات العسكرية في حلب ودير الزور والقامشلي وتدمر ورُمّمت بعض المطارات المهجورة منذ الحرب العالمية الثانية في القنيطرة والرقة ودمر وحماه وباب الهوا (على الحدود التركية) . واستدعى الشيشكلي خبيراً بريطانياً

---

(١) - F.O/371 / 11596 / a Report from British Embassy , 13 aug , 1955 . –

(٢) – حول آراء الشيشكلي راجع التقارير التالية .

- F. 0/371/104971, Sec Mes No 196, 10 dec 1953 , p. 2 and 11153 / No 221 , 15 Jan 1954 , P.3 .

(٣) – المعلومات مستقاة من التقرير الذي وضعه الملحق العسكري البريطاني حول القوى العسكرية العاملة في سورية . راجع :

F. o / 371/ 98934/ Secret Rep No 23 , dated 25 Jan 1952 , p.1 - 13 .

لوضع دراسة حول الأسلحة والعناصر البشرية التي يحتاجها إعداد الاسطول البحري وحماية الشواطئ السورية . ومن ثم خبيراً أمريكياً لنفس الغاية ، وحسب الاقتراحات المقدمة تمَّ تزويد القوى البحرية ، التي كانت تعاني نقصاً بارزاً في معداتها ، بطائرات إنزال وزوارق حربية وغواصات مطاردة . واستقدم الشيشكلي اختصاصياً ألمانياً لدراسة المسائل الخاصة بالتجنيد وتقديم المقترحات من أجل التعبئة في حال الطوارئ ، وبعد تطبيق الخطة الموضوعة أصبح بإمكان سورية تعبئة ٢٠ ألف جندي خلال ثلاثة أسابيع .

وقامت الحكومة بخطوات حثيثة لإبرام أكبر عدد ممكن من صفقات الأسلحة وغالبيتها مع فرنسا ثم مع المملكة المتحدة وإيطاليا وإسبانيا والولايات المتحدة ، وخصصت ٦٠٪ من الميزانية العامة لاعداد الجيش [١] واستخدمت القروض والمساعدات الخارجية لهذه الغاية ، كما توسعت في انتاج الأسلحة من مصانعها في الهامة (ضاحية دمشق) بعد أن أشرف على عملها عدد من الخبراء الألمان .

وقد حقق الجيش السوري في ظل نظام الشيشكلي قفزة نوعية في مستوى التدريب والانضباط والتنظيم والتسليح خاصة في لواء المشاة والمدفعية . وقد ختم الملحق العسكري البريطاني تقريره المفصل حول القوات المسلحة السورية بما يلي : " على الرغم من التحسن الملموس في مستوى الجيش السوري فما يزال يعاني من التخطيط السيئ لأركان الحرب ، وبالتالي لا يزال غير قادر على الصمود في وجه جيش أقل منه عدداً ويفوقه بكثير تدريباً وتنظيماً وتسليحاً ، وإنه قادر على تولي أمن البلاد الداخلي ، ويمكن أن يكون فعالاً في حرب العصابات ، وهو قابل لأن يصبح جيشاً من الدرجة الأولى فيما لو أتيحت له الامكانيات المادية وخضع لعمل تدريبي جيد وهذا يتطلب أن تكون سورية منحازة ومتعاونة بشكل كامل مع الغرب " [٢] .

---

(١) – راجع مذكرات مجلس النواب ، مجلد ١٩٥٢ – ١٩٥٣ ، جلسة ١٩٥٢/١١/٢٨ ، ص ٣ – ٣٥ ، مجلد ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، جلسة ١٩٥٣/١٢/٢٧ ، ص ٣١٢ – ٣١٥ .

(٢) – F. o / 371/ 98934 , p.12 - 13 .

– نظام الحزب الواحـد :

بعد أن سيطر الشيشكلي على مؤسسات الدولة اتجه نحو قمع النشـاط السياسي ، فأصدر في ٥٢/١/١٤ قراراً بحل المنظمات الحزبية شبه العسكرية [١] وبدأ حملته ضد الشيوعيين الذين نعتوا النظـام بالديكتاتوريـة العسكرية الفاشية المتعاونة مع الامبرياليـة وساق المئات منهم إلى السجون [٢] ثم التفت إلى الأحزاب السورية القائمة ، وكـان الفرع السوري لمنظمة الإخوان المسلمين أول المستهدفين ، وبعد أن قامت تلك المنظمـة بحركـة طائشة معادية للنظام ، اتهمها الشيشكلي باستغلال عواطف المواطنين الدينية لتنفيذ مـآرب سياسية ، وأصدرت الحكومة في ١٧ كانون الثاني قراراً بإغلاق مراكز المنظمة فـي كل سورية ، ثم زُجَّ بقادتها في السجون [٣] واتخـذت عـدة اجـراءات لتقليص سلطـة الأئمـة لصـالح الدولة [٤] ، وقد لاقى الحزب التعاوني الاشتراكـي مصير الإخـوان المسلمين بعد أن قـام بعض أعضائه بتحركات مشبوهة ضد النظـام [٥] . وفي ١٩ كانون الثاني تظـاهر طلاب الجامعة السورية تحت شعار مساندة مصـر وكان وراء التظـاهرة جماعـة الاخـوان المسلمين فلم يتردد الشيشكلي في استخدام السلاح لتفريق المتظاهرين . ولما تلتها تظـاهرة طلابية في حلب قمعت بقسوة شديدة حيث سقط ٣٧ قتيلاً و٢٨٧ جريحـاً [٦] وأصـدر فـي

---

(١) – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثـائق دولـة ، مجموعـة وزارة الدفـاع ، قسم " قـرارات وقضايا لدفاع السفين " وثيقة رقم د/١٠٣/١٥ ، تاريخ ١٩٥٢/١/٨ .

(٢) – لمزيد من التوسع حول هذه النقطة راجع : م . ن ، وزارة الداخلية ، قسم "تقارير تتعلــق بالأمن والشرطة "، حافظة رقم ١٠ ، وثيقة رقم د١ /٨٠/٥٠ ، تاريخ ١٩٥١/١٢/٦ . وراجع :
G. Kirk "The Revolutionary Current in Arab Asia" in: Peter Calvocoressi, Survey of International affairs , London , 1955 , p.195 - 196 .

(٣) – أشار تقرير صـادر عن المفوضيـة البريطانيـة بدمشـق إلـى أن الشيشكلي قـد اتهم الحكومـة المصرية بأنها كانت وراء الأحداث التي قام بها الإخوان المسلمون في سورية . راجع :
F. o / 371 / 98918 / Secret Report. No 7 , 25 Jan 1952 , p.2 .

(٤) – راجع : صحيفة الفيحاء ، دمشق ، عدد ٣ شباط ١٩٥٢ .

(٥) – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، وزارة الداخلية ، قسم " تقارير تتعلق بالأمن والشرطة "، حافظة رقم ١٠ ، وثيقة رقم د١/٥٥/٧٩ ، تاريخ ١٩٥٢/١/٢ .

(٦) – "Developments of the Quarter" M. E. J , Vol VI (1952) p.219 , cf, F. o / 371/

٣٠ منه مرسوماً حظّر على الطلاب ممارسة أي نشاط سياسي أو القيام بأي اضراب أو تظاهرة . ومنع رؤساء الأحزاب من قبول انتساب الطلاب إلى أحزابهم أو السماح لهم بارتياد مقر الإجتماعات الحزبية تحت طائلة العقوبات المادية والجزائية (١) . ومن ثم تتالت الإجراءات لإقصاء نفوذ حزبي الشعب والوطني عن مراكز الدولة العليا والحقل التربوي ، وأحكم النظام إشرافه على الصحافة فقلص عدد الصحف وأصبح المحررون يتلقون التعليمات مباشرة من رئيس الأركان وكانت " صحيفة بردى " الدمشقية الصوت الناطق باسم النظام (٢) .

منذ آذار راح الشيشكلي يلقى خطباً حول منهاج النظام الجديد ، ولما كان متأثراً بمبادئ الحزب السوري القومي وبأفكار صديقه أكرم الحوراني فقد شدّد على أهمية بناء مجتمع مدني علماني وطرح أفكاراً سياسية متلائمة مع برنامج حزب أنطون سعادة ثم تبنى فكرة العروبة وسار في منهاج مشابه لأفكار الأحزاب التقليدية وحزب البعث وأعلن " أن الإنقلاب الذي هدفنا إليه يرمي إلى توجيه سياسة البلاد توجيهاً مستمداً من المصلحة القومية لتحرير الأمة العربية" "والقطر السوري جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والشعب السوري هو جزء من الأمة العربية " (٣) .

وتظاهر الشيشكلي أنه حليف للتيارات الحزبية التقدمية الثلاث فتقرب من الحزب السوري القومي وحاول التفاهم مع حزب البعث وكان من المعروف أن الحزب العربي الإشتراكي حليفه الطبيعي ، ثم بدأت تظهر منه إشارات واضحة أنه لا يريد التعاون مع

98919/ Sec Rep No 19 From Montagu - Pollock to A. Eden , 21 Jan 1952 , p. 2 .

(١) – راجع نص المرسوم التشريعي الصادر في ٣٠ كانون الثاني ١٩٥٢ في :
"Developments of the Quarter" M. E. J , Vol VI 1952 , p.219 .
وراجع بيان سلو إلى الطلاب الذي ألقاه من إذاعة دمشق في ١٩٥٢/١/٣٠ في كتاب البيان الأول إلى الشعب السوري ، ص٤٤ – ٤٥ .

(٢) – حول وضع الصحافة في عهد الشيشكلي راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤٣٥ – ٤٣٧ .

(٣) – صحيفة النقاد ، دمشق ، عدد ١٢٧ ، ٦ أيار ١٩٥٢ ، بردى ، دمشق ، عدد ١٨٢ ، ٢٢ أيار ١٩٥٢، الصرخة ، دمشق ، عدد ٤٥ ، ١٦ أيار ١٩٥٢ .

هذه الأحزاب ولا إشراكها في السلطة فابتعد الحوراني عنه تدريجاً ، وخفت حماسة السوريين القوميين للنظام وسيده [1] .

في السادس من نيسان صدر المرسوم التشريعي رقم ١٩٧ القاضي " بحل الأحزاب السياسية وفروعها العاملة سواء كانت مصرحاً عنها أم منتمية إلى أحزاب ومنظمات قائمة خارج البلاد " [2] وهكذا ألغى النظام كل الأحزاب دون تفريق بين التقدمية منها والتقليدية ، ونشطت أجهزة الأمن والاستخبارات العسكرية والمدنية لإحكام القبضة على نشاط المجتمع، وراح الشيشكلي يدير الدولة وكأنها ثكنة عسكرية . ومع بداية الصيف أسند إلى شخصه مهمة توجيه الفكر السياسي في سورية وبدأت التحضيرات لتشكيل حركة سياسية تضفي على النظام إطاراً جماهيرياً يُستعاض به عن الأحزاب والهيئات السياسية القديمة ، حركة تحشد الإمكانيات الشعبية في جهاز يستمد منه النظام قوة وقدرة على الإستمرار ويمدّه بالعناصر الجديدة اللازمة لنظامه الجديد ، وبذلك كان الشيشكلي سبّاقاً في طرح فكرة الحزب الواحد الحاكم في العالم العربي وطبقت فيما بعد في مصر ثم في سورية .

في ٢٤ آب تمَّ الاعلان عن ولادة حركة التحرير في بيان منمق العبارة تطرقت مقدمته إلى صراع الأمة العربية التاريخي ضد القوى الأجنبية وإلى الحكم الوطني الذي قاد النضال ضد المستعمر وفشل في التلاؤم مع مقتضيات الوضع الجديد . المبدأ الأساسي لهذه الحركة القومية العربية : العرب أمة واحدة تمتد بلادها بين جبال طوروس وخليج البصرة والبحر العربي وجبال الحبشة والصحراء الكبرى والمحيط الأطلسي والبحر المتوسط وهي وحدة كاملة تشكل الدولة – الوطن لكل العرب " وطرح المنهاج قائمة بالإصلاحات التشريعية التي يجب أن تستمد من التراث القومي ومن متطلبات العصر الحديث ، وركّز على أهداف الحركة الاجتماعية والثقافية : حماية الدولة للفرد والأسرة، رفع مستوى المرأة لتلعب دورها في نطاق الأسرة والمجتمع ، تأمين العمل للمواطنين ، نشر التعليم وتوجيهه توجيهاً قومياً ، العمل على تحضير البدو ، تطبيق الضمان

---

(١) – F. o / 371 / 98925/ "The Strong Regime" . Sec Rep, No 601 , 7 Jun 1952 , p.1.

(٢) – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، وزارة الدفاع ، قسم " قرارات وقضايا مختلفة " وثيقة رقم د/٥/١٠ ، أمر عسكري صادر عن الزعيم فوزي سلو ، تاريخ ١٩٥٢/٤/٦ .

الإجتماعي ، إزالة النعرات والعصبيات المذهبية والطائفية والعشائرية " ، وأكد المنهاج على مسألة توزيع الأرض على الفلاحين ، والاصلاح الضريبي واحترام الملكية الخاصة " ثم أشار إلى أن الحركة تستمد سياستها الخارجية من المصلحة القومية وهي " تندد بالاستعمار وستساهم في الحفاظ على السلم العالمي " وأخيراً شدّد على أهمية الجيش وضرورة تجهيزه بما يتناسب ومقتضيات الحرب الحديثة " [١] .

وبعد الإعلان عن حركة التحرير تأسست فروع لها في مراكز المحافظات وراح الشيشكلي يحتفل بافتتاح الفروع بمهرجانات ضخمة كان أولها في مدينة حلب حيث هتفت الجموع لقائد الشعب إلى الحرية والسعادة [٢] ، ومن ثم بدأت أجهزة الدولة حملة مكثفة لحث الشعب على الانضمام إلى الحركة واستخدمت أبواق الاعلام في حملة دعائية كبيرة، وعدّت الموظفين وقوى الأمن أعضاءً طبيعيين فيها ثم فرضت على كل من يريد الالتحاق بوظيفة في دوائر الدولة أن يحمل وثيقة إنتسابه إلى الحركة ، وتعرض كل من عارضيها للتسريح والاضطهاد ، ومع ذلك " فإن حملة جمع الأنصار لم تكن منتعشة حتى نهاية العام واستمر عدد المنتسبين إلى الحركة محدوداً ومقتصراً على الإنتهازيين والوصوليين وأرباب المصالح " [٣] .

وعلى الرغم من قيام هذا المركز السياسي للنظام فقد استمرت دعامته الأساسية على حفنة من الضباط وأصحاب المؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى واستمر بعيداً عن التوصل إلى تأييد طبقي واسع .. واستمر الشيشكلي وحيداً وقلقاً دائماً من مؤامرات الضباط والسياسيين ، وكانت هواجسه مُحقةً ففي الثالث من كانون الأول عام ١٩٥٢ – العيد القومي لذكرى مرور عام على تسلم الجيش الحكم – كشف الشيشكلي عن ديكتاتورية عسكرية في استعراض عسكري ضخم بأعظم صورة شهدتها سورية حتى

---

(١) – راجع منهاج حركة التحرير العربي في كتاب الأحزاب السياسية في سورية ، ص ٢١١ – ٢٢١ .

(٢) – راجع ما كُتب حول هذه المهرجانات في هزيمة طاغية ، ص ٣٠ – ٣١ . صحيفة بردى ، دمشق ، عدد خاص ٢٧ آب ١٩٥٢ ، الفيحاء ، دمشق ، عدد ٢٥ آب ١٩٥٢ .

(٣) – F. o / 371 / 104465 . Syria . Annual Review for 1952 . Condifential No 5 , 8 Jan 1953 . p.2 .

ذلك التاريخ [1] . ومن على منصة الاحتفال أعلن الشيشكلي في خطاب حماسي "إن دمشق قلب العروبة النابض ومرقد صلاح الدين وعاصمة الأمويين التي انطلقت منها جحافل الفتح العربي .. وأن السوريين مدعون لخوض غمار ثورة قومية تحريرية " [2] .. وفي نفس الوقت كان الانقلاب ضده قيد التحضير، فقد ترتب عن إلغاء الأحزاب وقيام حركة التحرير معارضة عنيفة حمل لواءها رفيق دربه ، أكرم الحوراني ، صاحب النفوذ القوي بين الضباط ، وقد قاد الحوراني حملة سرية داخل وخارج القوات المسلحة وتضامن معه حزب البعث والحزب الوطني وحزب الشعب وراح دعاة هذه الأحزاب يحرضون الضباط على الاطاحة بنظام حكم الفرد الذي يعمل على ربط سورية بالأحلاف الغربية وتوطين اللاجئين [3] . .

في ٢٤ كانون الأول قطع الشيشكلي فجأة زيارته إلى القاهرة وعاد إلى دمشق ليعلن في بيان إلى الشعب : " أن أعداء الأمة قاموا بمحاولة لقلب الوضع .. وأن هدف الفتنة عرقلة الجهود القومية وتمزيق وحدة البلاد " وأنه قد تمَّ إلقاء القبض على عدد من الضباط الذين سمحوا لأنفسهم الوقوع فريسة الأفكار الهدامة التي بشر بها السياسيون المتطرفون " [4] . ثم طرد من الجيش ٢٤ ضابطاً منهم ضباط كبار الرتبة ، وألقي القبض على كلٍ من عبد الغني قنوت وعدنان المالكي ، محمد الصفا ، مصطفى الدواليبي ، محمود شوكت، عصام مريود . كما تمَّ اعتقال عدد من المدنيين من أعضاء الحزب العربي الإشتراكي وحزب البعث والحزب الشيوعي مثل : خليل كلاس ، فائز اسماعيل ، عبد الفتاح زلط ، إحسان الحطيني ، رياض المالكي .. وغيرهم وأسندت إليهم جرم محاولة اغتصاب السلطة العسكرية وارتكاب أعمال إرهابية ، هذا وقد تمكن عفلق

---

(1) – أثناء ذلك العرض جنحت دبابة واجتاحت عدداً كبيراً من الأهالي المارين فوق الجسر وتساقط عشرات القتلى ومائة جريح . راجع ما كتبه حول هذا الحادث رياض المالكي في : ذكريات على درب الكفاح والهزيمة ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ١٢٧ .

(2) – صحيفة الفيحاء ، دمشق ، عدد ٧٦ ، تاريخ ١٩٥٢/١٢/٥ ، ص ١ ، بردى ، دمشق ، عدد ٢٨٣ ، تاريخ ١٩٥٢/١٢/٤ ، ص ١ .

(3) – F.o / 371/ 104465 / Syria , Annual Review for 1952 , condidential No 5 , 8 Jan 1953, p.2-3.

(4) – بردى ، دمشق ، عدد ٣٦٠ ، تاريخ ١٩٥٢/١٢/٢٦ . الفيحاء ، عدد ٩٦ ، ٥٢/١٢/٢٧ .

والحوراني والبيطار من الهرب إلى بيروت في الأول من كانون الثاني عام ١٩٥٣ ومنها إلى روما [١] . إن أبرز نتائج هذا الإنقلاب الفاشل الدمج الرسمي بين حزبي عفلق والحوراني بعد أسبوعين من هربهما ، ولما كان هذا الدمج ضرورياً وملحاً وتحت وطأة ظروف غير عادية ، لم يكن هناك متسع لتعديل في دستور الحزبين واقتصر الأمر على تغيير الإسم وأصبح حزب البعث العربي الإشتراكي وبقي دستور حزب البعث القديم دون تبديل ، وقد حافظا كلا الجناحين على خصائصه ولم يتحقق قط دمج حقيقي ، ومع ذلك فإن الحزب الجديد الذي ولد من الصراع ضد الشيشكلي قد غير تاريخ سورية [٢] .

والنتيجة الثانية لمؤامرة الضباط إفساح المجال أمام الشيشكلي لتمتين قبضته على البلاد بعد أن فشل أول تحدٍ جدّي لسلطته وأصبح الطريق ممهداً لإدخال إصلاحات دستورية تمنحُ سورية نظاماً ذا شكل مدني برلماني .

– الديكتاتورية الدستورية :

كشف الإنقلاب الفاشل أن النظام قد أنهى عامه الأول كما بدأه تحت درع القوة العسكرية ، وقد تمكن الشيشكلي من تثبيت موقعه داخل المؤسسة العسكرية التي أصبحت تتمتع بمعنوات عالية وتزودت بأسلحة حديثة واحتلت ميزانيتها أكثر من نصف ميزانية عام ١٩٥٣ . وفي بداية هذا العام توجه الشيشكلي إلى توسيع أسس قوته في الأوساط السياسية المدنية فأجرى مباحثات مع زعماء الحزبين الشعب والوطني وبعض السياسيين المستقلين لوضع الترتيبات لإعادة البلاد إلى وضعها الدستوري . ولمّا

---

(١) – حول هذه المؤامرة راجع المصادر التالية : باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص ١٧١ – ١٧٢، غسان التويني ، منطق القوة ، ص ٨٣ – ٨٦ . و :
G. Torrey , Syrian Politics .. , p. 217 , cf. G. Lenczowski , the Middle-East , p.352 - 353 .

(٢) – للتوسع راجع : جلال السيد ، حزب البعث العربي ، ص ١٠٢ – ١٠٦ ، وابراهيم سلامة ، البعث من المدارس إلى الثكنات ، ص ٧ ، و :
Kamil Abu Jaber , the Arab Ba'th Socialist Party , p.3 - 4 .

باءت محاولاته بالإخفاق ، قام بخطوة نحو السلطة المدنية وأحدث تعديلات في الوزارة ورفع نفسه إلى رتبة زعيم [1] .

عمت البلاد في الأشهر الأولى من عام ١٩٥٣ موجة من الاستياء العام برزت خاصة لدى القوى السياسية السابقة التي عدّت الشيشكلي وجماعته مغتصبين للسلطة نشروا الارهاب والعنف في كل مكان وساقوا المئات إلى السجون والمعتقلات [2] ، وشملت النقمة الطبقات الوسطى التي تحملت عبء الضرائب لتغطية متطلبات الجيش ، قطب النظام الأساسي . بيد أن استتباب الأمن والازدهار الاقتصادي الذي شهدته سورية آنذاك قد شكل حجر عثرة أمام تحرك جديد للمعارضة التي افتقدت في الواقع إلى قيادة واعية موحدة وقادرة على استقطاب الجماهير . "وقد قامت بشكل رئيسي على حزب البعث العربي الاشتراكي الذي وسع نشاطاته ليصبح واحداً من أهم الموجات الأساسية للمقاومة الداخلية ضدّ الشيشكلي وأمن تغطية ملائمة لتحركات الشيوعيين المكبوحة بعنف من قبل أجهزة الأمن " [3] .

ولم يكن الشيشكلي ديكتاتوراً متصلباً وقد وصف " بأنه شخصية من العسير تحليلها وفهم تحركاتها : عسكري مغتر بنفسه ، لديه ميل مرضيّ لاستقطاب الشعبية وهو يرى ذاته تارة اتاتورك وطوراً صلاح الدين ولعلّ هذا ما يفسر بشكل ما التجارب التي حاول من خلالها أن يضفي على نظامه واجهة دستورية ديمقراطية يقوم على أساسها نظام حكم أقل سلطوية يثبت واقع السلطة الحقيقية منذ عام ١٩٥٠ " [4] . وهناك عامل

---

(١) – أصبح الشيشكلي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير دولة ووزير الداخلية ، فوزي سلو رئيس المجلس ووزير الدفاع ، سامي طبارة وزير الخارجية ، محمد سعيد الزعيم وزير المالية والإقتصاد الوطني ، ظافر الرفاعي وزير الخارجية ، منير غنام وزير العدلية ، توفيق هارون وزير الأشغال العامة والمواصلات ، عبد الرحمن الهنيدي وزير الزراعة . راجع : صحيفة اليوم (جامعة الأيام والإنشاء) ، عدد ٢٢ حزيران ١٩٥٣ .

(٢) – حول أوضاع سجن المزة في تلك الفترة راجع ما كتبه رياض المالكي الذي كان من المعتقلين في كتابه ، ذكريات على درب الكفاح والهزيمة ، ص ١٠٢ – ١٠٦ .

(٣) – Le Monde , Paris , 20 Janvier 1953 .

(٤) – F. o / 371/ 11137 , Syria Annual Report for 1953 , No 31 , From A.J.Gardener to A . Eden 12 Feb 1954 , p. 3 .

آخر دفع الشيشكلي نحو ذلك هو إصرار مدير البنك الدولي على وجوب إقرار القرض من قبل برلمان ممثل للشعب ، وقد أعرب بلاك للشيشكلي بوضوح " أنه يعتبر أن السلطات الشرعية للبرلمان السوري قد اغتصبت من قبل مجلس عسكري وأنه لا يعترف بشرعية أعمال الحكومة الحالية وبالتالي يرفض منح سورية القرض إذا استمرت سائرة على منوال الديكتاتوريات في أمريكا الجنوبية " . عدَّ الشيشكلي شرط البنك إهانة وهدد برفع شكوى إلى السلطات الدولية لتجاوزه الصلاحيات المحددة له من قبل الأمم المتحدة ، وتساءل ما إذا كان في نية الأمم المتحدة وشركات النفط اتباع هذا الخط الذي ستكون نتائجه خطرة جداً على نظامه ، وظل مصراً على مبدأ قبول البنك بالوضع القائم ، ولما كان تواقاً لتنفيذ خطة التنمية التي ستتيح له فرص تثبيت حكمه لم يغلق الباب أمام أعضاء بعثة البنك ، وأكدَّ أنه في صدد الإعداد لنظام برلماني خلال بضعة أشهر ، ثم أدار وجهه عن البنك بعدما تلقى وعداً بالحصول على مساعدات مالية مباشرة من الولايات المتحدة بعد تطبيق شكل نظام برلماني في سورية [1] .

بعد أن أنهت اللجنة المكلفة إعداد مسودة الدستور أعمالها وجَّه الشيشكلي في ١٦ حزيران رسالة إلى مجلس الوزراء تضمنت التالي " إن المجلس العسكري الأعلى قد قرر تكليفكم باستفتاء الشعب حول مشروع الدستور الذي سيكون سبيلاً لإقامة نظام مستوحى من واقع شعبنا يضمن له الأمن والعدالة والكرامة والرغد والحرية والسيادة والعمل ما وراء حدود الوطن لاستكمال حرية الأمة العربية وتحقيق وحدتها " [2] . وفي ٢١ حزيران عقد الشيشكلي مؤتمراً صحفياً أعلن فيه إطلاق الحرية وإلغاء جميع القيود الاستثنائية ثم سلّم الصحفيين نسخة من الدستور الجديد وترك لهم حرية إبداء الرأي فيه [3] . وفي الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم أذاع بياناً إلى الشعب استعرض فيه المراحل التي مرت بها سورية والخطوط الرئيسية لمشروع الدستور ، قال : " إن حركتنا الانقلابية لم تهدف إلى إزالة الديمقراطية وفرض نظام ديكتاتوري بل هي محاولة مخلصة

---

(1) – راجع التقارير التالية الصادرة عن المفوضية البريطانية بدمشق .

- F. o / 371/ 104971/ Cofidential Report No 47 , 6 April 1953 p.1 - 8 , cf. Report No 91 , 9 June 1953, p. 1 - 2 , cf. a Report From F.B.R.D. to H, Brittain , 10 Oct 1953 , p.1 .

(2) – النص في صحيفة اليوم ، دمشق ، عدد ٢٣٣ ، ٢٣ حزيران ١٩٥٣ ، ص ٢ .

(3) – الفيحاء ، دمشق ، عدد ٢٤٤ ، ٢٣ حزيران ١٩٥٣ .

لإنقاذ الديمقراطية من الاتجاهات الخاطئة التي سُلكت في تطبيقها " .. " إن النظام البرلماني لم ينجح إلا في بلد كبريطانيا حيث تحميه التقاليد وطبيعة النظام الحزبي .. أما النظام الرئاسي فهو النظام الديمقراطي الصحيح الذي يمارس السلطة فيه مجلس نواب منتخب يُشرع القوانين ورئيس جمهورية منتخب ينفذ القوانين وقضاء مستقل يقوم بينهما بمهمة الحكم .. والمجلس والرئيس يستندان إلى إرادة الشعب وكلاهما مساوٍ للآخر في السلطة وفي حدود مهمته وفي توازن يحتفظ للشعب بالمكان الأسمى " [١] .

في٢٣ حزيران صدر عن رئاسة الأركان تعميم إلى العسكريين ورد فيه الآتي : " وحرصاً على مزاولة جميع المواطنين لحرياتهم الانتخابية ولسير عمليات الاستفتاء في جو من الحرية التامة والتجرد المطلق تبقى جميع قوى الجيش ، ما عدا الدرك في ثكناتهم يوم الاستفتاء .. " [٢] . ومن ثم أمر الشيشكلي بإطلاق سراح بعض المعتقلين وأطلق حرية العمل للأحزاب .

نظم القرار رقم ٥٠٤ الصادر عن مجلس الوزراء طريق الاستفتاء على الدستور وانتخاب رئيس الجمهورية . وتضمن كيفية إجراء الاستفتاء في المحافظات والنواحي والقرى والمناطق البدوية . وحدد يوم العاشر من تموز موعد الاستفتاء العام وتلا ذلك نص الدستور الجديد [٣] .

استقى دستور ١٩٥٣ أسسه العامة من دستور ١٩٥٠ والتغيير البارز في توزيع السلطات التي منحت لمركز الرئاسة على حساب البرلمان الذي نزع عنه حقه في منح أو حجب الثقة عن الوزارة ووضعت تحت سلطة رئيس الجمهورية ، كما منح الدستور الجميع بين الوزارة والنيابة وبذلك حول الوزارة إلى وظيفة إدارية عالية ، واحتفظ البرلمان إلى جانب سلطاته التشريعية بحق تولية سلطات رئيس الجمهورية في حال تعذر عليه ممارسة سلطاته . وقد وضع الدستور توازناً بين القوى لم يكن موجوداً في سورية من قبل ، وفصل بوضوح بين السلطتين التنفيذية والتشريعية وجعلهما نظرياً من مسؤولية

---

(١) - النص في القيحاء، عدد ٢٤٤ /٢٣/٦/١٩٥٣ ، ص٧.

(٢) - مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة، وزارة الدفاع ، قسم " قرارات قضايا لمختلف السنين" رقم الوثيقة ، ٢/١١٥ تاريخ ٢٣/٦/١٩٥٣ .

(٣) - راجع النص في صحيفة اليوم ، عدد ٢٢٣ ، ٢٣ حزيران ١٩٥٣ ، ص٢ .

الشعب ، وبذلك وضع أسس برنامج عمل لإصلاح النظام السياسي في المستقبل ، وقد وصف " بأنه أهم من الدساتير التي سبقته وأنه كان من الممكن أن يلائم سورية مدة قرن من الزمن" [١] ويمكن القول إن دستور الشيشكلي كان سباقاً في اعتماد النظام الرئاسي الذي اتبع فيما بعد في سورية كما في عدة دول عربية .

انطلقت الفعاليات السياسية والصحف تبدي رايها في الدستور ، وقد أعلنت الجماعات الإسلامية أن أسسه بعيدة عن الشريعة الإسلامية ، واحتج بعض المحامين في بيانٍ نشرته صحيفة " السوري الجديد " على نصوص هذا الدستور الذي وضعه موظفون موجهون بأوامر من السلطة العليا وأنه شكل من نظام قيصري قد يكون ملائماً لبلاد لا يوجد فيها سوى حزبين باستطاعة كل حزب مراقبة أعمال الرئيس المنتخب من الحزب الآخر [٢] ، كما وجهت بعض الفعاليات السياسية مذكرة إلى الشيشكلي أعربوا فيها عن رفضهم دستور يمنح رئيس الجمهورية سلطات لا يتمتع بها أي حاكم في العصور الحديثة [٣] .

وفي ٤ تموز قدم طلب الترشيح إلى محافظ دمشق ، وأذاع من ٦ منه بيانه الانتخابي ودعا فيه إلى الوحدة الوطنية قال " إني أتوجه إلى كل أفراد الشعب من مؤيدين ومعارضين من مدنيين وعسكريين ومن هم خارج البلاد .. ليتوجهوا معاً إلى الوطن بقلب واحد عاملين في صف مرصوص .. وبهذا وحده نبني صرح المستقبل السوري الجديد " [٤] .

في ١١ تموز أعلن رئيس الدولة أمام الصحافة نتائج الاستفتاء العام الذي شارك فيه ٨٦٤،٤٢٥ ناخباً من أصل ٩٩٥،٤١٧ . وبذلك أصبح الدستور نافذاً وأديب الشيشكلي رئيساً للجمهورية [٥] .

---

(١) - G. Torrey , Syrian politics .. , p.223 .

(٢) - راجع :حمص ، عدد ٦ تموز ١٩٥٣ .

(٣) - هزيمة طاغية ، ص ٣٢ .

(٤) - راجع النص في كتاب هاني الخيّر ، أديب الشيشكلي ، صاحب الانقلاب الثالث في سورية ، البداية والنهاية ، دمشق ، ١٩٩٥ ، ص ١١٣ .

(٥) - الجريدة الرسمية ، ج١ ، صحيفة رقم ٣٣٧٥ ، ص ٤٨٢ . وقد خطى الشيشكلي بنسبة

ما إن أعلنت نتائج الاستفتاء حتى قدمت الحكومة استقالتها ، وتشكلت في ١٩ تموز وزارة بدون رئيس ضمت مهنيين ورجال أعمال وغاب إسم فوزي سلو عن الساحة فأحيل على التقاعد وفي ١٨ تشرين الأول سافر إلى المملكة السعودية حيث شغل منصب مستشار عسكري للملك براتب عال وأسند الشيشكلي رئاسة الأركان إلى شوكت شقير [1] .

وفي ٢٠ تموز أعلن الشيشكلي عن إجراء انتخابات لمجلس برلماني واصدر في نفس التاريخ مرسوماً بالعفو عن الجرائم ضد أمن الدولة وأطلق سراح الموقوفين في سجن المزة العسكري وقيل إن ذلك بناءً على توصية د. اسعد محاسن وزير العدل لإضفاء صبغة التحرر على العهد الرئاسي الجديد [2] .

في ٣٠ تموز صدر قانون الانتخابات الذي نص على انتخاب ممثل لكل ٥٠ ألف ساكن أي سيتم انتخاب ٨٢ عضواً في البرلمان الجديد منهم ٦٩ مسلمون و ٩ من غير المسلمين وأربعة ممثلون عن القبائل البدوية . ونص القانون على حق كل سوري تجاوز الـ ٢٥ عاماً ترشيح نفسه ، وحق الاقتراع لكل سوري وسورية فوق سن الـ ١٨ [3] وفي ٢١ أيلول صدر مرسومان حدّد الأول موعد الانتخابات في التاسع من تشرين الأول . وسمح الثاني باستعادة النشاط الحزبي شرط ألا يخل بأهداف القومية العربية وألا يتسم الحزب بطابع سري أو عسكري أو طائفي أو عرقي ومنح المرسوم الحريات للصحافة [4] .

" هذا وقد جعل هذا المرسوم المعارضة للنظام مكشوفة واستطاعت الأحزاب من خلاله اقتحام القبضة الحديدية للنظام . نقد شهد الفصل الأخير من عام ١٩٥٣ فيضاً من النشاط السياسي وظهرت في الصحف انتقادات علنية للنظام " . وحاول الشيشكلي

٩٩،٧٪ من الأصوات .

(1) – صحيفة اليوم ، دمشق ، عدد ٣٢٨ ، ١٩ تشرين الأول ١٩٥٣ .

(2) – راجع حول هذه النقطة بالتفصيل ، رياض المالكي ، ذكريات ، ص ١٦٠ .

(3) – راجع حول قانون الانتخابات الجديد صحيفة اليوم ، عدد ٢٨٤ تاريخ ٢٧ آب ١٩٥٣ ، ص ١ – ٤ . ومن الجدير ذكره أن القانون انقص عدد النواب غير المسلمين من ١٩ إلى ٩ نواب .

(4) – صحيفة اليوم ، عدد ٢٩٨ ، تاريخ ١٤ أيلول ١٩٥٣ .

التوصل إلى تفاهم مع المعارضة لكنها رفضت التعاون معه وشكلت جبهة تحالف ضمت الاحزاب التقليدية واليسارية الصاعدة وراحت ترفع المذكرات وتنظم الاجتماعات وتوقع العرائض المعارضة للشيشكلي ونظامه [١] ، واستغلت الأحزاب اليسارية هذه الحرية إلى أقصى حد ، وأشار تقرير صادر عن المفوضية البريطانية إلى اتساع نشاط حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي في أوساط المدن السورية الرئيسية ، وأن الموجة اليسارية أصبحت قادرة على جذب فريق من السوريين الراغبين في التخلص من النظام القائم ويريدون التعبير عن معارضتهم له فالتفوا حول الايدولوجيات اليسارية دون أن يكونوا في الواقع مهتمين بها " [٢] .

باستثناء الحزبين السوري القومي الاجتماعي والتعاوني الاشتراكي اتخذت كل الأحزاب السورية قراراً بمقاطعة الانتخابات ، وأثارت المعارضة عاصفة سياسية ضد النظام عندما عقد في التاسع من تشرين الأول مؤتمر في حمص ضم ممثلين عن تحالف متنافر لعدة جماعات وأحزاب سياسية تحت رعاية هاشم الأتاسي : الحزب الوطني ، حزب الشعب ، حزب البعث ، الحزب الشيوعي وممثلين عن طائفة الدروز وقع المجتمعون ميثاقاً وطنياً نص على : ١ – شجب حكم الفرد واعتبار ما يصدر عنه غير ملزم للبلاد ٢ – إقامة أوضاع ديمقراطية دستورية تنبثق عن انتخابات حرة ٣ – اطلاق الحريات العامة وحمايتها ٤ – الجيش ملك للأمة وعليها تقويته وإعداده للقيام بمهمته المقدسة المنحصرة بالدفاع عن حدود الوطن وسلامته " [٣] . إن هذا التحالف الصلب الذي لم يسبق له مثيل بين القوى السياسية المجزأة والمتصارعة قد عرّى وضع الشيشكلي ، وعلى الرغم من ذلك فقد تجاهل هذه المواقف إدراكاً منه لثبات وضعه داخل الجيش

---

[١] – في حزيران وقع أكثر من مائة زعيم سياسي على مذكرة تطالب بإنهاء حكم الفرد واستعادة الحريات العامة ومقاطعة الانتخابات وتشكيل وزارة تمثل كل الاتجاهات باستثناء حركة التحرير . راجع النص في ، صحيفة التربية ، حلب ، عدد ٣ أيلول ١٩٥٣ .

[٢] – F. o / 371/ 111137 / Syria Annual Report for 1953 , Confidential No 31 , 12 /2 1954 , p.2 .

[٣] – راجع النص في هزيمة طاغية ، ص ٤٠ – ٤١ . وقد وزعت قراراته سراً ولم تنشر في الصحف السورية ، هذا وقد علم الشيشكلي بالمؤتمر وكان بإمكانه فرط عقده ، ولم يفعل . راجع ما كتبه جلال السيد حول ذلك في كتابه حزب البعث العربي ، ص ١٠٦ – ١١٠ .

وسيطرته على الجهاز التنفيذي بعد أن ربط كل عمل تتخذه الحكومة بالقرار الصادر عنه، وعليه نراه يتوسع في منح المعارضة الفرصة للتعبير عن ذاتها وبذلك لوّن نظامه بما يستوجب الثناء خاصة بعد أن سمح لأكرم الحوراني وزعيمي البعث بالعودة إلى سورية بعد نفي دام عاماً .

جرت الانتخابات وسط مناخ من اللامبالاة ، وكانت حركة التحرير أقوى الكتل وأكثر المرشحين عدداً [1] وترشح أعضاء من الحزب السوري القومي ومن حزب فيصل العسلي [2] وعدد من الشيوعيين ومن أنصارهم [3] . وكانت النتائج معروفة سلفاً فقد حصلت الحركة على ٦٠ مقعداً ونال الحزب السوري القومي مقعداً واحداً ووزعت باقي المقاعد على المستقلين وزعماء العشائر [4] . وقد بلغت نسبة من شارك في الاقتراع ٢٠٪ ولم تعلن الدولة عن هذه النسبة ، إن هذه المقاومة السلبية للنظام ستصبح فعّالة خلال مدة قصيرة من الزمن .

في ٢٤ تشرين الأول افتتحت الجلسة الأولى لمجلس النواب ، وانتخب مأمون الكزبري رئيساً للمجلس [5] . وافتتح الشيشكلي أعمال المجلس بكلمة قال فيها : " إن سورية تعود اليوم لتصل ما انقطع من حياتها البرلمانية .. وإن هؤلاء الذين انسحبوا من

---

(١) – في ١٨ حزيران استكملت حركة التحرير مقوماتها وعقد الاعضاء المؤسسون مؤتمراً في دمشق تحت رعاية الشيشكلي وفيه أعلن عن عودة الحياة البرلمانية . راجع : صحيفة اليوم ، دمشق ، عدد ٢٩٢ ، ٦ أيلول ١٩٥٣ ، ص ١ – ٤ .

(٢) – وجه العسلي نداء إلى السياسيين يدعو فيه إلى قيام ميثاق وطني يتفق فيه المسؤولون والمعارضون لضمان حرية الانتخابات ، راجع : صحيفة اليوم ، العدد نفسه ، ص ٣ .

(٣) – أشار التقرير السنوي الصادر عن المفوضية البريطانية إلى أن " أعداداً مثيرة للدهشة كانت لصالح الشيوعيين وأنصارهم من انتخابات الجنرال (المقصود الشيشكلي) مع العلم أن الحزب الشيوعي بقي وحده محظراً في سورية .

- F. o / 371/ 111137 / Confidential , No 31, 12 Feb 1954 , p. 3 .

(٤) – راجع أسماء النواب الفائزين في مذكرات مجلس النواب ، مجلد ١٩٥٣ ، ص ٣ – ٥ .

(٥) – مما لاشك فيه أن الشركة الخماسية قد صرفت أموالاً ضخمة ليتوصل محاميها إلى هذا المنصب ، وأنها توصلت إلى ضم الشيشكلي إلى صفها مثل باقي الحكام الذين تعاقبوا على سورية منذ الاستقلال. وإن وجود منير دياب من وزارة الاقتصاد وسعيد الزعيم على وزارة المالية لدليل على ذلك. راجع : هزيمة طاغية ، ص ٤٢ .

الميدان ما يزالون يعيشون في ماضيهم السلبي .. وإني هنا لأطبق مبدأ الوطن للجميع فإذا أرادوا المعارضة فنحن ندعو إليها إذا لم يكن الهدف التهديم .. أما هؤلاء الذين خرجوا عن الصعيد الوطني ليتبنوا مؤامرات وحركات أجنبية اسبغوا عليها الطابع السوري هؤلاء ينبذهم الوطن بمجموعه لأنه دفع دماءه ثمن استقلاله[1] . وكما في الماضي ، فإن الغيوم ما زالت متوضعة في الأفق السوري تهدد بهبوب عاصفة جديدة وقوية وقادرة على تحطيم البناء بكامله .. وقبل أن نتتبع وقائع تلك العاصفة لابد لنا من استعراض سياسة الشيشكلي الخارجية لما لها من دور كبير في انهيار ذلك البناء الذي أقامه .

– الشيشكلي والعالم العربي

منذ الانقلاب الأول شدَّد الشيشكلي على قضية الاستقلال السوري والنظام الجمهوري واثار في الأوساط العسكرية إحساساً قوياً بالهوية السورية المتصدية للاتجاهات الوحدوية مع العراق ، ومع أنه كان يؤمن بفكرة القومية السورية ويؤيد وحدة "سورية الكبرى " [2] فقد ظل واعياً لمدى قوة التوجهات الوحدوية العربية وجذور القومية العربية الراسخة في أفكار السوريين ، ولذا تبنى بأبهة مبدأ القومية العربية وجعلها أساس منهاج حزبه ودستوره هذا عدا عن تصريحاته التي لا حصر لها حيث أعرب فيها عن إرادته في جعل سورية – المتحررة من كل نفوذ أجنبي – رائدة القومية العربية والراعية الأولى والفعَّالة من أجل وحدة الأمة [3] وبذلك زرع الشيشكلي في مجرى الفكر السياسي

---

(1) – F. o /371/ 111137, Syria , Annual Review for 1953 . Confidential No 31, 12 Feb 1954 , p.4 .

(2) – في مقابلة أجراها الشيشكلي مع وفد برلماني بريطاني في دمشق بتاريخ ١٤ و ١٥ كانون الثاني ١٩٥٤ قال : " أنه يؤيد قيام سورية كبرى تضم سورية ولبنان والأردن وإن من المؤكد أن وجود الهاشميين في العراق والأردن قد حال دون ذلك " راجع :

F. o / 111153 / a report From A. J. Gardener 15 Jan 1953 , p.2 .

(3) – راجع على سبيل المثال خطابه بمناسبة افتتاح كلية الأركان في حلب حيث قال : " إن سورية ستكون بروسيا العرب والقلعة الفولاذية التي ستنطلق منها شعلة التحرير" . النص في صحيفة النقاد ، دمشق ، عدد ١٤٧ ، ٨ أيار ١٩٥٢ . راجع نص خطاباته في صحيفة النواعير ، حماه ، عدد ٧٦ ،

السوري فكرة الإيمان بالوطن السوري بحدوده القائمة وجعلها ملازمة لفكرة الأمة العربية الواحدة .

ظن الشيشكلي أن له دوراً قيادياً في مسيرة وحدة العرب وأعلن مراراً أن مثله الأعلى صلاح الدين الذي وحدّ سورية ومصر وحرر فلسطين ، وفي غمرة صراعه ضد ألد أعدائه حزب الشعب ، حامل لواء وحدة الهلال الخصيب ، وخوفاً من مؤامرات جيرانه الهاشميين ، قذف الشيشكلي بسورية نحو المعسكر المصري ، وخلق لدى الرأي العام السوري موجة معادية لهذا الحزب هيأت السبل لبروز حزب البعث العربي الاشتراكي الذي عرف كيف يأخذ في الوقت المناسب الاتجاه المعادي للعراق وحزب الشعب ، وبث الشيشكلي ، ربما عن غير قصد ، في أوساط الضباط فكرة قومية عربية معادية للاتحاد مع العراق وبذلك مهّد الطريق أمام الوحدة مع مصر . وعلينا أن نذكر في هذا الاطار أن العقيد السراج الذي لعب الدور الحاسم في إنجاز الوحدة مع مصر كان تلميذ الشيشكلي وأحد أقرب مقربيه [١] .

تلكأ العراق بالاعتراف بالنظام الجديد الذي أبعد عن المسرح من كان يوجه أنظاره نحوه وأطاح بآخر بارقة أمل أمام مشاريع الأسرة الهاشمية في سورية . ولما ثبت النظام أقدامه في الداخل واعترفت به الدول الأجنبية والعربية اعترف العراق به مكرهاً وراح يترقب الفرص السانحة للإطاحة به . وبالمقابل وطدّ الشيشكلي علاقاته مع لبنان والأردن والسعودية [٢] ثم التفت إلى مصر بعد قيام ثورة الضباط ورحب بنجاح الثورة وظن أنه يستطيع التفاهم مع مصر بسبب التشابه بين نظامه والنظام القائم هناك ، وعليه ففي ١٢ كانون الأول ١٩٥٢ زار القاهرة برفقة فوزي سلو وأعلن الشيشكلي من العاصمة المصرية " أن سورية مصممة على مواصلة العمل مع مصر يداً واحدة لتحقيق ما

---

٦ أيار ١٩٥٢ . وصحيفة الفيحاء ، عدد ٧٦ ، ١٩٥٢/١٢/٥ واليوم ، عدد ٢٨١ ، ١٨ آب ١٩٥٣ .

(١) - - S. Jargy , " la Syrie , Province de la Republique arabe unie , "Orient No 8, 1959, p.20 - 21 .

(٢) - راجع : الأيام ، عدد ٤٩٥٢ ، تاريخ ١٩٥١/١٢/٢٨ وعدد ٤٩٨٨ ، تاريخ ٨/ ٢/ ١٩٥٢ . النقاد ، دمشق ، عدد ١٢١ ، ٩ /٤/ ١٩٢٣ ، عدد ١٢٣ ، ١٤/٤/ ١٩٥٢ . الكفاح ، دمشق ، عدد ٢٩٦١ ، تاريخ ٥٢/٣/١٩ .

تتطلع إليه الأمة العربية من الحرية والوحدة والسيادة وأن شعب سورية عازمٌ على المضي إلى جانب شعب النيل في طريق التعاون والتآزر " [١] . وقدم سادة مصر الجدد الدعم الكامل للشيشكلي واستمرت العلاقات بينهما ودية للغاية ذلك لأن النظام المصري قد أولى ، مثل من سبقه ، اهتماماً بالأحداث الجارية وراء سيناء ، وراح يعمل على تثبيت شخصية مصر العربية واعتمد نفس أساليب العهد الساقط كي لا تقع سورية في مدار العراق وعلى أمل أن يعترف الغرب لمصر بالدور القيادي للعالم العربي كذلك نهج الشيشكلي في علاقاته مع القاهرة نهج القوتلي والزعيم والعظم من حيث أنه تقرب منها لا ليجعل بلاده معقلاً للهيمنة المصرية بل لتكون ثقلاً معاكساً وضرورياً لصيانة الاستقلال السوري من مطامع جيرانه الهاشميين [٢] وكان يكن كرهاً وحقداً شخصياً للأسر العربية المالكة بمن فيهم الأسرة السعودية التي أصبح شائعاً أنها تتآمر عليه وعلى نظامه [٣] .

ومنذ صيف ١٩٥٢ تحسنت العلاقات بين دمشق وبغداد وإن استمر الشيشكلي يغذي شكوكه حول امكانيات العراق في التحرك ضده داخل سورية . كما استمرت العراق ترقب انتعاش المعارضة ضده ، وقد قدمت دعماً للمعارضة المدنية والعسكرية التي التجأت إلى بغداد على أثر فشل مؤامرة كانون الأول ١٩٥٢ ، وشجع حكام بغداد ما عُرف بحركة سورية الحرة التي تزعمها العقيد محمد صفا [٤] ومعه مصطفى الدواليبي

---

(١) – راجع مقال " الشيشكلي ومحمد نجيب " في صحيفة اليوم ، دمشق ، عدد ٣٣٨ ، تاريخ ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٣ ، ص ٤ . وحول تقربه من النظام المصري راجع :

F. o / 371/ 104465 / Syria, Annual Political Review for 1952 , Condidential No 5 , 8 Feb 1953 , p.7 .

(٢) – M. Colombe , "l'Egypte" et le Nationalisme arabe , de la ligue des Etats arabes a la Republique Arabe unie", Orient No 5 , 1958 , p.113 - 134 , p.121 - 122 .

(٣) – F. o / 371/ 11137 , Syria Annual Political review for 1953 , No 31 , 12 Feb 1954 p.6 - 7 .

وحول أرائه بالأسر العربية الحاكمة المقابلة التي أجراها مع الوفد البرلماني البريطاني الذي زار دمشق في شهر كانون الثاني ١٩٥٤ في

F. o / 371/ 111153 , Sec / Rep/ From J. Gardener , to Foreign office , 15 Jan 1954 , p.2 .

(٤) – كان العقيد محمد صفا ينتمي إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي، شارك في حرب

وعصام مريود وغيرهم من الضباط المسرحين وقامت هذه الحركة منذ نيسان ١٩٥٣ بنشاطات في منطقة الجزيرة ووزعت نشرات تهجمت فيها على النظام مما أدى إلى تأزم العلاقات من جديد بين دمشق وبغداد [١] .

وإثر المباحثات التي أجراها وزير خارجية الولايات المتحدة فوستر دالاس مع الحكومة العراقية إبان جولته في الشرق الأوسط في أيار ١٩٥٣ راحت حكومة العراق تعمل على تقوية التضامن مع باقي الدول العربية لإقامة تنظيم دفاعي عربي [٢] وفي هذا المضمار تقربت بغداد من دمشق وأبلغت الحكومة السورية بطرد محمد صفا وجماعته من العراق وإيقاف كل نشاط سياسي للاجئين السوريين في العراق [٣] ، وفي ١٨ آب أجرى وزير الخارجية العراقي ، توفيق السويدي ، مباحثات مع الشيشكلي حول مشروع إنشاء جيش عربي يمول من العائدات البترولية العراقية [٤] ، هذه المقترحات بُحثت في مؤتمر رؤوساء أركان الجيوش العربية في القاهرة حيث طرح العراق مسألة إنشاء جيش

فلسطين تحت إمرة القاوقجي ورقي إلى رتبة عقيد وعمل ملحقاً عسكرياً في فرنسا والولايات المتحدة ، طرده الشيشكلي من الجيش إثر انقلاب كانون الأول ١٩٥٢ ، وهرب إلى بغداد حيث تلقى الدعم من حكومتها ومن العراق قاد حركة سورية الحرة التي هدفت إلى جر سورية إلى المعسكر الهاشمي ، وفي حزيران عام ١٩٥٤ عاد إلى سورية وألقى القبض عليه بتهمة محاولة القيام بانقلاب عسكري وفي عام ١٩٥٥ خطط مع رئيس الأركان العراقي لتنظيم " الجيش السوري الحر " ومن معسكر سري في تركيا أو قبرص راح العقيد صفا يدرب فرقه لغزو سورية . راجع :

E. Be'eri , Army officers , p.132 .

ومحكمة الشعب ، محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة ، ٢٢ جزء ، بغداد ، ١٩٥٨ – ١٩٥٩ ، ج١ ، ص ٦٤ ، ٢٦٩ .

(١) – للتوسع راجع : تقارير الخليل الدبلوماسية ، كتبها خليل مردم بك ، الوزير المفوض السوري في بغداد آنذاك ، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٣ ، ص ٢٠٤ وما يلي .

(٢) – في مذكرة قدمتها الحكومة العراقية إلى وزير الخارجية الأمريكي أكدت فيها أن العراق يريد أن يكون له دفاعه الخاص وأن ينتج تنظيماً دفاعياً في المنطقة على أساس ميثاق الضمان العربي الاجماعي ورحبت الحكومة بالمساعدات الامريكية وطالبت أن تصل حصتها إلى مستوى تلك المعطاة لإسرائيل . راجع : الاهرام ، القاهرة ، عدد ٢٠ أيار ١٩٥٣ .

(٣) – تقارير الخليل الدبلوماسية ، ص ٢٠٤ .

(٤) – صحيفة اليوم ، عدد ٣٠٢ ، ١٨ أيلول ١٩٥٣ ، ص ٢ – ٣ .

عربي من ١٥٠ ألف عنصر تكون قاعدته الرئيسية قناة السويس ، ولم يتوصل المؤتمرون إلى قرار حيث بدا واضحاً أن سورية ومصر تعارضان المشروع [١] ، وفي كانون الثاني عام ١٩٥٤ لدن اجتماع مجلس جامعة الدول العربية اقترح فاضل الجمالي ، رئيس وزراء العراق ، خطة اتحاد فيدرالي عربي ينطلق تدريجياً من إتحاد سورية والعراق ، كما أعاد وزير خارجية العراق طرح مشروع الجيش العربي [٢] بيد أن محاولات بغداد التوصل إلى توحيد سياسة الدول العربية باءت بالفشل بسبب معارضة مصر وخوف سورية ، ومنذ ذلك التاريخ تكثفت مؤامرات العراقيين مع المعارضة السورية للإطاحة بحكم الشيشكلي .

الشيشكلي والغرب :

دعم الغرب النظام العسكري في سورية لكونه نظاماً قوياً غير محتاج إلى مراعاة الشارع ، كما كان حال النظام السابق ، وبالتالي سيكون ملائماً للمخططات الدفاعية الشرق أوسطية ، وعليه ما إن نفذ الشيشكلي انقلابه حتى تشكلت لجنة من ممثلين عن الدول الأربع الموقعة على حلف الدفاع عن الشرق الأوسط مهمتها وضع التوصيات بشأن المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي يجب أن تمنح لسورية [٣] وقد واجهت اللجنة منذ آذار ١٩٥٢ صعوبات في جعل توصياتها متلائمة مع أهداف الدول الغربية الثلاث في سورية ، وكانت الولايات المتحدة مندفعة لتقديم المساعدات بشكل سريع ووافٍ دون التقيد بتوصيات اللجنة ، أما الافرنسيون فقد أقلقهم هذا الاندفاع وما قد ينتج عنه من كسوفٍ

---

(١) – صرح جمال عبد الناصر ، إبان انعقاد المؤتمر "إن مصر تعلق آمالاً كبيرة على ميثاق الضمان العربي . واتخاذ الخطوات التمهيدية لتنفيذ نصوصه العسكرية والإقتصادية " وذلك رداً على المشروع العراقي الجديد . راجع صحيفة اليوم ، عدد ٢٨٤ ، ٢٧ آب ١٩٥٣ .

(٢) – لمزيد من التوسع حول هذه الأحداث راجع :

James W. Spain , "Middle-East defence . a New approach", M.E.J vol VIII 1954 , p.242 - 256 .

(٣) – - F. o / 371 / 98925 / "Economic and military aid to Syria" . 15 Jan 1952 , p.1 - 5 .

لنفوذهم في الوسط العسكري السوري ، بينما قابلت لندن اندفاع الامريكان بتروٍ وأناة ، وطرح تقرير صادر عن وزارة الخارجية البريطانية تساؤلات حول أهداف الغرب من مساعدة سورية " هل لجعل سورية دولة مزدهرة ومستقرة ومستعدة للوقوف إلى جانب الديمقراطيات ، فإذا كان الأمر كذلك فليس من مصلحة للغرب في استمرار النظام العسكري ولا وضع كثير من البيض في سلة الشيشكلي ، أما إذا كان الهدف تجنيد الشيشكلي من أجل الدفاع عن الشرق الأوسط فإن مسألة مشاركته في الحلف مرتبطة قطعاً بتوصل الغرب إلى التفاهم مع مصر ، ذلك لأنه بالرغم من كونه ديكتاتوراً فلن يستطيع التعاون في هذا الإطار أمام رأي عام معاد ومصر رافضة . " وإن من الأفضل ترك فكرة الحلف تجذب بذاتها الرأي العام العربي بدلاً من دفعهم نحوها عبر المساعدات المالية والأسلحة ، وإذا كنا لا نستطيع تقليص حدة الموجة المعادية للغرب في سورية فإن أقصى ما نتوخاه هو أن مسيرة التاريخ سوف تجعل السوريين يدركون أن مصالحهم تقوم على التعاون مع الغرب . أما إذا كان الهدف حلَّ مشكلة اللاجئين المعقدة فإن باستطاعة سورية المساهمة إلى حدٍ بعيد في هذا الميدان ، وعلينا بالتالي أن نمدَّ يد المساعدة لسورية في الوقت المناسب وبدون ضجة حتى ننقذ الشيشكلي من مخاطر أن يُتهم بأنه باع نفسه للامبرياليين " [١] .

أجمعت آراء اللجنة على منح سورية مساعدات مالية وأسلحة وقررت ربط هذه المساعدات بمسألة استيطان اللاجئين وقد أقدم الشيشكلي على خطوة إيجابية عندما قبل استقرار ٨٠ ألف لاجئ كما وافق على الانضمام إلى لجنة الشورى في وكالة عمل وغوث اللاجئين U.N.R.W.A وأعرب عن نواياه بالتعاون معها وترك الباب مفتوحاً للتفاوض حول استقرار أعداد أخرى على ألا يُنكر عليهم حقّ العودة [٢] .

استعادت فرنسا في عهد الشيشكلي بعض نفوذها في سورية ، وقد أشادت صحفها بالعهد الجديد وبالشيشكلي " بطل الاستقلال السوري " [٣] وزودت الحكومة

---

(١) - F.O/371/11601/ "the Strong regime" a sec let From B. J. Bawker to Montagu - Pollock No 11601 , 7 Jan 1952 , p.1 .

(٢) - Op,cit, 104974 / "Anglo-Syrian relation" a Report From Mr Ross to British Embassy , 23 Jan 1953 , p.6 .

(٣) – نشرت صحيفة اسكومبا الموالية لحزب " مجمع الشعب الفرنسي " بزعامة الجنرال ديغول

الافرنسية سورية بالأسلحة والمعدات الحديثة وفتحت الأبواب أمام البعثات العسكرية السورية [1] . وطالب الافرنسيون أن يكون لهم الدور القيادي في الترتيبات المقررة من قبل اللجنة بشأن المساعدات العسكرية وقد تجنب البريطانيون ، المتهمون دائماً من قبل الافرنسيين بالعمل على جر سورية داخل مناطق نفوذهم ، إثارة حساسية الافرنسيين واقترحوا على الامريكان أن تكون الاسلحة التي ستمنح لسورية من النوع الذي لا يملكه الافرنسيون ، بينما لم تكن واشنطن مستعدة للتعاطف مع الافرنسيين حول هذه النقطة وقد حسم الوزير المفوض الامريكي (C. Cannon) الموضوع بقوله " إن سورية بحاجة إلى السلاح والقروض وان حكومته في وضع ملائم لتزويدها بما تحتاجه وأن على فرنسا أن تضع أوراقها على الطاولة وتستشير حلفاءها بشأن شحنات أسلحتها إلى سورية " [2]. واستمر الافرنسيون يُلبّون متطلبات الشيشكلي بالأسلحة خوفاً على نفوذهم العتيد ، بيد أن المستجدات على الساحة العالمية وضرورة قيام عمل غربي موحد بشأن خطط الدفاع عن الشرق الأوسط قد أجبرا فرنسا على تغيير سياستها ووافقت على مبدأ أن يتم تزويد سورية بالسلاح بالتشاور مع حكومتي لندن وواشنطن وليس نتيجة قرار الحكومة الإفرنسية فقط [3] .

وعلى الرغم من العلاقات الودية بين دمشق وباريس فقد تعرضت السياسة الافرنسية في شمال افريقيا لحملة عنيفة في الصحف السورية وطالما صرّح الشيشكلي أن

مقالاً مطولاً تحت عنوان " كمال أتاتورك أو بيرون ، العقيد الشيشكلي يبني بحزم سورية الجديدة " وقد أشاد المقال بالمنجزات التشريعية وبمسألة توزيع الأراضي على الفلاحين ونوّه بأن " هذه الخطوات ما كان لسورية أن تخطوها في ظل برلمان تضيع فيه المشاريع بين المصالح الخاصة والمناقشات السفسطائية " . وكتبت مراسلة صحيفة التربون دوناسيون مقالاً جاء فيه " في سورية إنقلاب ليس فقط في شكل الحكم بل في كل مرافق الحياة " . نقلاً عن صحيفة النقاد ، دمشق ، عدد ١٢٥ ، تاريخ ٢٨ نيسان ١٩٥٢ ، ص ٧ – ٨ .

(١) – F . o / 371/ 98934 / "Syrian armed forces" Sec Rep, No 23, 8 Feb 1952 , p.12 .

(٢) – Op. cit / 98925 / Sec Rep from Bill Pollock to R. J. Bowker . 7 Jan 1952 , p.1 - 2 .

(٣) – ومع ذلك لم تلتزم فرنسا بمبدأ وحدة الموقف واستمرت تزود سورية بكميات كبيرة من السلاح والمعدات . F. o/ 371 , 98934 / 8 Feb 1952 / p. 12 -

على فرنسا أن تجد حلاً لمشاكل الدول العربية في شمال افريقيا . وبعد رحيل الشيشكلي ، حمل النظام الجديد حملة عشواء على الافرنسيين المتهمين بدعم النظام الديكتاتوري وعمت سورية موجة انتقادات عنيفة ضد تدخل فرنسا في شؤون سورية الداخلية ، ومع اندحار نظام الشيشكلي أضاع الافرنسيون ذلك النفوذ الصلب الذي بنوه في العهد الساقط .

بينما التفت الشيشكلي نحو تمتين علاقاته مع باريس وواشنطن أشاح بوجهه ، بادئ الأمر، عن البريطانين نظراً لصلاتهم مع العراق ، وتلكؤ الحكومة البريطانية في إرسال الطائرات الحربية والتجهيزات التي طالب بها الشيشكلي ، وقد حذّر الوزير المفوض الامريكي اللواء سلو من مغبة استمرار النظام في تجريح البريطانيين قال : إن حكومتي ترغب في إقامة علاقات ودية مع سورية وإن ذلك لن يتحقق طالما تعمل الحكومة السورية على تحطيم علاقاتها مع القوى الأوروبية الحليفة " [1] وبعد أن أرضت لندن مطالب السوريين وسلّمتهم تجهيزات الرادار وشحنةً من ١٤ طائرة Jet حربية حتى راح الشيشكلي يتقرب من الحكومة البريطانية ، ففي تشرين الأول ١٩٥٢ حمل السفير السوري في لندن رسالة من الشيشكلي إلى أنطوني ايدن تضمنت عرضاً لعقد تحالف بين الحكومتين وأكدت الرسالة أن سورية لا تحبذ أن يفرض عليها الدخول في حلف الدفاع عن الشرق الأوسط كأمر محتّم بل من الأفضل مناقشة قضايا تسليح الجيوش العربية وتحضير الخطط المناسبة قبل أن يتخذ التنظيم شكله النهائي . وتابع الشيشكلي خطواته لتمتين العلاقات مع لندن ففي المباحثات التي أجراها مساعد وزير الخارجية البريطاني (Mr. Ross) إبان زيارته إلى دمشق أعرب الشيشكلي عن رغبته في إقامة تحالف مع حكومته وأكدّ له أن سورية تتطلع نحو المملكة المتحدة لاعداد وتسليح القوى

---

[1] – ذلك في مقابلة بتاريخ ١٧ آذار وكان الشيشكلي حاضراً ولم يشارك في المباحثات الجارية بين C. Cannon وفوزي سلو الذي تهجم على بريطانيا واتهمها بأنها المسؤولة عن كل مصائب العالم العربي ، وتعرض كل من سلو والشيشكلي للجنرال روبيرستون وقد ردّ كانون قائلاً إنه لا يرغب بسماع أي تجريح ضد البريطانيين أو الافرنسيين .. وأن بريطانيا لم تعمل أبداً على هدم استقلال سورية لا بل أنها حذّرت الآخرين من مخاطر تقويض هذا الاستقلال .. وأنه من غير الحكمة ، إذا ما أرادت سورية الحفاظ على استقلاليا ، أن تحطم علاقاتها مع المملكة المتحدة .

- F. o / 371/ 98946 , Report From Bill-Pollock to Mr. Ross 25 Mar 1952

الجوية كما عرض التدخل لحل الخلاف بين القاهرة ولندن حول مسألة القناة [1] . ويمكن أن نفسّر سياسة الشيشكلي هذه بأنها محاولة لجذب البريطانيين إلى صفه أو تحييد دورهم في تلك الآونة التي شهدت تأزم العلاقات مع بغداد بسبب دعمها لحركة سورية الحرة .

كانت بريطانيا آنذاك مُنهكةً ومتنازلة عن حكم العالم للأمريكيين فرفضت عروض الشيشكلي السخية ، وقد فنّد تقرير صادر عن وزارة خارجيتها سياسة الحكومة تجاه سورية "إننا لا نستطيع تجاهل ادعاءات الافرنسيين عن وضعهم المميز في سورية، ولا نستطيع التصدي وحدنا ، بسبب أوضاعنا الاقتصادية ، لتجهيز الجيش السوري وحتى لو استطعنا ذلك فإن هذا قد يؤدي إلى طلبات مشابهة من دول تربطنا بها معاهدات وصلات عميقة الجذور ، وإذا عاد وزير الخارجية السوري وطرح فكرة عقد تحالف معنا، فإن علينا أن نؤكد له أن الدفاع عن الشرق الأوسط عمل يخص القوى الغربية المتحالفة جميعها وإن موقفنا من المطالب السورية بشأن السلاح والتجهيزات مرتبط بموقف سورية من مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط ومن المصالح البريطانية في سورية " .. وأن علينا أن نمتّن صداقتنا مع السوريين ونحن سعداء في أن نرى الصحافة السورية قد خففت من حملاتها ضدنا ، وأن الشركات البريطانية قد استعادت مسؤولية الإدارة [2] .

هذا وقد شهد عام ١٩٥٣ تحسناً ملموساً في العلاقات بين لندن ودمشق خاصة على الصعيد التجاري فقد احتلت المملكة المتحدة الدور الأول في الاتفاقيات التجارية التي عقدتها الحكومة السورية مع الخارج [3] ، وعلى أثر احداث جبل الدروز (كانون الثاني ١٩٥٤) وما تلاها من تأزم العلاقات مع العراق اتهم الشيشكلي بريطانيا بالتدخل في الشؤون السورية الداخلية وتحدثت بعض الصحف عن مؤامرة بريطانية عراقية لجر سورية إلى الاتحاد مع العراق وإقامة حكومة عميلة تدخل البلاد في حلف دفاعي اقليمي

---

(١) - F. o / 371 / 104975/ Report about "Anglo-Syrian relation" From Mr Ross to Montagu - Pollock , 23 Jan 1959 , p.1 .

(٢) - Op. cit. p. 1 - 2 .

(٣) - F. O/ 371/ Rep on 15/1/1952/ p.1 - 2 .

يخدم مصالح بريطانيا في الشرق الأوسط [1] . ومع عودة السياسيين التقليديين إلى السلطة في سورية اتسع النفوذ البريطاني ومع ذلك فإن فكرة الاتحاد مع العراق ، التي كانت ذات مرة إحدى أسس السياسة السورية قد انتهت تماماً [2] .

غالباً ما وصف عصر الشيشكلي بأنه قمة النفوذ الامريكي في سورية . هذا وقد أولت الإدارة الأمريكية سورية في هذا العهد اهتماماً ملحوظاً وذلك قبل أن يبرز جمال عبد الناصر ويحتل المركز الأول في مخططات السياسة الأمريكية في العالم العربي .

قامت وزارة الخارجية الأمريكية بجهود جادّة لدفع الإدارة الحربية لتقديم المساعدات العسكرية لسورية ، وتلقى الملحق العسكري في دمشق (Lewis Jhones) توجيهات من حكومته تقضي بتركيز العمل دون إبطاء لمنح سورية ما تحتاجه من القروض لشراء الأسلحة ولما كان الهدف الأول الذي تطلع إليه الشيشكلي هو بناء جيش قوي وحديث فقد وجد لدى واشنطن استعداداً كبيراً لتلبية أهدافه والحصول منه بالمقابل على ما يناسب مشاريعها أي قمع الشيوعية والحؤول دون انتشار أفكارها ، والتوصل إلى تفاهم مع إسرائيل ، والدخول في قيادة حلف الدفاع عن الشرق الأوسط [3] .

وعلى نسق الأنظمة السابقة اتبع الشيشكلي سياسة ملتبسة ، فبينما كانت المباحثات جارية على قدم وساق مع الدبلوماسيين الأمريكان في دمشق للحصول على القروض والسلاح رفض الشيشكلي قبول مساعدة النقطة الرابعة [4] . وبنفس المنطق ظهرت سورية في عهد الشيشكلي بمظهر الحكومات المصابة بداء الكره للأجانب – وخاصة الأمريكيين – وذلك من خلال الإجراءات وأعمال العنف التي لحقت بالمؤسسات الأمريكية العاملة في سورية ، هذا عدا عن المقالات التي تصدرت الصحف وتصريحات

---

(1) – الفيحاء ، دمشق ، عدد ٣١٣ و ٣٢١ ، تاريخ ٣ و ٩ شباط ١٩٥٤ .

(2) – - F. o / 371 / 115942 / Syria , Annual Political Report for 1954 , No 19 , 4 /2/ 1955 , p.9 - 10 .

(3) – - F. o / 371 / "Ecomonie and Military aid to Syria" , Rep on 15/ 1/ 1952 , p.1 - 2 .

وحول محاولات الولايات المتحدة التخفيف من حدة العداء العربي الاسرائيلي راجع :

P. Rondot , "Les Etats unis devant l'Orient d'aujourd'hui" Orient , No 3 , Juillet 1957 , 2eme Partie, "vers le Pacte de Bagdad" . (1953 - 1955) . p.32 .

(4) – -L'Orient , Beyrouth , 24 Oct 1953 .

المسؤولين التي حملت بعنف على السياسة الأمريكية المعادية للعرب والداعمة لإسرائيل [1] .

وفي إطار سعي الولايات المتحدة لإدخال أكثرية الدول العربية في نطاق التعاون الأمني ، انهالت ملايين الدولارات على سورية وقد مسّ ذلك النفوذ الأوروبي العتيد دون أن يؤدي إلى التوصل إلى اتفاق فعّال حول مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط ولا التخفيف من حدة الخلاف السوري – الاسرائيلي [2] . ومما لاشك فيه أن القضية الفلسطينية قد هيمنت على علاقات سورية مع الغرب . وقد عمل نظام الشيشكلي على استمرار الكراهية لاسرائيل وظهر وكأنه المدافع الأول عن القضية الفلسطينية وشنَّ حرباً إعلامية ضد الدولة العبرية [3] ، وعلى الرغم من هذه المظاهر العدائية فقد أوحى الشيشكلي للامريكيين أنه في صدد اعتماد سياسة واقعية تجاه اسرائيل يمكن أن تؤدي إلى إقامة تنظيم دفاعي جماعي عن المنطقة [4] ، وفي سياق العمل للتوصل إلى ذلك

---

(1) – في مقابلة أجرتها وكالة أنباء C.B.S مع السفير السوري في واشنطن فريد زين الدين في ١٩٥٣/١٢/٢٨ نشرت تحت عنوان "The Middle-East Story" أجاب على سؤال هل من الصحيح أن السوريين لا يحبون الأمريكان ولا يثقون بهم : إن السوريين يحبون الشعب الأمريكي ولا يحبذون السياسة الأمريكية التي ولدت شكوكاً وإحباطاً في العالم العربي ، ولما سُئل حول رفض سورية مساعدات النقطة الرابعة وهل تتلقى مساعدات أمريكية من مصدر آخر ؟ أجاب : أننا نرفض استخدام دولارات دافعي الضرائب الأمريكيين لتنمية بلادنا ، وحول الشيوعية في سورية قال : انها لا تملك أية إمكانية للعمل وهي غير قادرة على إيصال أي نائب شيوعي إلى البرلمان؛ وهذا لا يعني أننا غير حذرين من تطور الشيوعية في بلدان أخرى ولا غير مبالين بالسياسة القائمة بين الشرق والغرب بيد أن هذه القضايا ثانوية في نظر الشعب السوري وما يهمه مسألة الأمن الذاتي والتحرير الوطني في البلاد العربية الأخرى . راجع :

F. o / 371/ 10471, p.5 - 6 .

(2) – حول المساعدات الأمريكية لسورية وانعكاساتها راجع التقارير التالية :

F. o / 371 / 104465/ Syria , Annual Political review for 1952 , No 5 , 8 Jan 1253 , p.5 - 6 . 98925 / Sec rep/ No 75 , 7 Jan . 1952 , p.1 - 4 / 104977/ Rep From I.B.R.D. , 10 Oct 1953 .

(3) – راجع: كتاب ، عدو إسرائيل رقم واحد ، اعداد قدري القلعجي ، منشورات المكتب الصحفي لرئاسة الأركان العامة ، دمشق ١٩٥٣ .

(4) – كتب الوزير المفوض البريطاني معلقاً على هذا الموضوع " إن التهديد الاسرائيلي لسورية قد

كانت جولة وزير الخارجية الامريكية فوستر دالس إلى المنطقة بين ١١ و ١٨ أيار شملت مصر والأردن والعراق وسورية وأخيراً لبنان ، هذا وإن التظاهرات التي رافقت هذه الجولة والانتقادات التي ملأت الصحافة العربية خلّفت انطباعاً قوياً لدى دالس بأن الشعب العربي يرفض فكرة السلام مع إسرائيل ويرفض الدخول في أحلاف دفاعية إلاّ إذا ضمت العرب وحدهم [١] . وبعد عودته إلى واشنطن وضع تقريراً حول تلك الجولة أشار فيه إلى أن البلاد العربية بعيدة عن الاهتمام بالتهديد السوفياتي وأن مسألة إدخالها في قيادة حلف الدفاع هي ممكنة في المستقبل أكثر مما هي سريعة ومباشرة [٢] .

وفي سياق سعي الولايات المتحدة لاحلال السلام بين إسرائيل وجيرانها ، افتتحت في ربيع عام ١٩٥٣ المفاوضات لانهاء الخلافات الحدودية وتعديل الحدود السابقة ووضع اتفاقيات جديدة تتعهد فيها كل دولة بالحفاظ على الحدود القائمة الثابتة ، وقد اتخذ الشيشكلي موقفاً ايجابياً فدخل في مباحثات مع ممثلين اسرائيلين لاستبدال المنطقة غير المحددة بين الدولتين بخط حدودي واضح ، وسرعان ما تأزمت الأوضاع بسبب الصراع حول قسمة مياه نهر الأردن بموجب القرار الذي وضعه الجنرال Bennike ورفضته إسرائيل [٣] وتلا ذلك حوادث الاعتداء الاسرائيلي على قرية القبية الأردنية وتمركز ثلثي الجيش السوري على الجبهة [٤] .

منح النظام قوة ودعماً هذا وإن تمتين وضع الشيشكلي داخلياً قد يمكنه من اتخاذ مواقف أكثر إيجابية وموضوعية من السابق ، وربما يصبح قادراً على الاعتراف بأن إسرائيل أمر قائم ويعدل بالتالي سياسته " .

F. o / 371/ 111137 , Syria , Annual Political review for 1953 , confidential No 31 , 12 Feb 1954 , p.6 - 7 .

(١) – حول ردود الفعل العربية على زيارة فوستردالس راجع :
Cahiers de l'Orient Contemporain , vol XXVII , 1953 , p.23 .

(٢) – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، وزارة الخارجية ، وثيقة رقم ١٠/١٠ وثيقة بعنوان " تصريح وزير الخارجية الامريكية أمام لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي " حول زيارة الوزير المذكور للدول العربية وإسرائيل " ، ص ١ – ٥ .

(٣) – في ٢٣ أيلول أصدر الجنرال Bennike قراراً حول تقسيم مياه الأردن وفي ٢٦ منه دعت الحكومة السورية الحكومات الغربية الثلاث إلى إجبار إسرائيل على احترام القرار وفي ٢٨ منه أبلغ ممثلو الدول الثلاث الحكومة السورية دعم حكوماتهم لهذا القرار . راجع :

F. o /371 / Syria, Annual Political Report for 1953, Confidential No 31, 12 Feb

هذه الحوادث حكمت مسبقاً على مهمة المبعوث الخاص للرئيس ايزنهاور ، "Eric Johnston" بالفشل . ففي الثالث من تشرين الأول أجرى جونسون مباحثات مع الشيشكلي حول خطةٍ لتوزيع مياه نهر الأردن ومسألة اللاجئين والحاجة إلى توطينهم ، ونوه بعزم الكونغرس على تقديم المساعدات لتنمية المنطقة وبما يمكن أن تحظى به سورية من مساعدات مباشرة من الإدارة الأمريكية [١] . وقد رفض الشيشكلي الخطة ولم يتنبه لمدى أهميتها بالنسبة لمستقبل بلاده ، وظل مصراً على أن أي اتفاق مع إسرائيل يجب أن يستند إلى قرارات الأمم المتحدة وشدد على مسألة تدويل القدس لا بل ذهب أبعد من ذلك عندما أعلن أن الجليل أرض سورية ويجب أن تعود إلى سورية أو إلى لبنان لأنها فصلت عن هاتين الدولتين، أو أن تقام بها ، بعد تحريرها ، حكومة تملك حق الانضمام إلى أية دولة عربية تختارها [٢] . وهكذا حال الصراع العربي – الإسرائيلي دون اتخاذ الشيشكلي خطوة إيجابية بصدد مسألة حلف الدفاع عن الشرق الأوسط ، وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٥٤ أعلن " أن على الغرب استعادة صداقة سورية التي فقدها بعد قضية فلسطين وأن الدفاع عن سورية يجب أن يكون في إطار حلف الدفاع العربي ، وعلى دول الغرب تسليح البلاد العربية للدفاع عن المنطقة واستخدام جنودهم في مناطق أخرى من العالم . وأن سورية ترفض قيام قواعد غربية على أرضها إلى أن يستعيد الشعب السوري ثقته بالغرب " [٣] .

1959, p.6 -7.

(٤) – راجع حول هذه الحداث : صحيفة اليوم ، دمشق ، عدد ٣٢٨ ، ١٩ تشرين الأول ١٩٥٣ .

(١) – L'Orient , Beyrouth , 24 Oct , 1953 .

(٢) – تلك الأراء أعرب عنها الشيشكلي في المقابلة التي أجراها مع وفد برلماني بريطاني في دمشق بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٩٥٤ وكانت مسألة العرب وإسرائيل أول المسائل المطروحة وقد قال: أنه واقعي ولا يطالب مثل بعض الخبلاء بسحق إسرائيل بل بإجبارها على قبول الشروط والحدود التي وضعتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ . وأنه يكفي لذلك أن تطبق الأمم المتحدة المقاطعة الاقتصادية لمدة محدودة حتى تجبر إسرائيل على الخضوع لقراراتها .

F. o / 371/ 111153 / Sec Report From British Embassy to A. Eden 15 Jan 1954 , p.1 .

(٣) – Op. cit/ 111158 / Rep. of 15 /1/ 1954 , p.1 .

في هذه الأثناء كانت الخطط الغربية الجديدة لتنظيم الدفاع عن المنطقة قد بدأت ترى النور ، وبدأ العراق يتحضر للدخول في محور أنقره - كراتشي بعد أن فشل في التوصل إلى تنظيم عربي يمكن ربطه بحلف الناتو ولاحت في الأفق البوادر الأولية لما سيعرف في الغد القريب " بحلف بغداد " [١] .

- نهاية النظام الديكتاتوري :

سقط نظام الشيشكلي على الرغم من المحاولات الجادة لإضفاء الطابع الديمقراطي عليه، سقط لأنه ولد من وسط عسكري ونما بتوجه فوقي ، وانجرف نحو العنف في مواجهة تحركات المعارضة التي منحتها تجربة الديمقراطية القصيرة الفرصة للتعبير عن ذاتها .

سقط النظام لأنه عجز عن إيجاد أساسٍ شعبي يضمن استمراريته وقدرته على مواجهة الهزات مهما عنفت ، وكان الشيشكلي على خطأ عندما ظن أن حزبه قادر على حشد الجماهير وراء نظامه . سقط النظام بسبب فشل تجربة سيطرة الدولة على مجريات الاصلاح الاقتصادي - الاجتماعي الذي هو متلازم حتماً مع نظام ديمقراطي حر وهو غير قابل للنجاح في ظل الديكتاتوريات العسكرية [٢] . وأخيراً سقط النظام نتيجة تحالف

---

[١] - منذ نهاية عام ١٩٥٣ اتهمت الصحافة المصرية العراق بأنه يتهيأ لإحياء حلف سعد اباد وحذرت المعارضة العراقية فاضل الجمالي من الدخول في الحلف التركي - الباكستاني أداة الامبريالية الغربية. راجع :

C. O. C , Vol XXIX , 1954 , p.20 .

ولما تولى رئاسة الوزارة نوري السعيد أدلى في ٩ آذار بتصريح من الإذاعة أشار فيه إلى ضعف الكتلة العربية وعدم استقرارها واقترح أن يقوم تقارب بينها وبين الباكستان والهند لتشكيل قوة إقليمية متحالفة . وان الاتفاق التركي -الباكستاني قد يؤدي إلى ولادة جبهة لم ترَ في قرتها الحكومات الشرق أوسطية في العصر الحديث : راجع :

L'Orient , Beyrouth , 11 Mars 1954 .

[٢] - كتب Morroe Berger " إن الانظمة العسكرية مثلُها مثلُ النظام الاستعماري قد اعتبر أن الشعب غير ناضج لممارسة الديمقراطية لنقره وجهله . وهذا المنطق أملى على العسكريين توجهاتهم

السياسيين السوريين لاسقاطه ، هؤلاء الذين حركتهم طموحات فردية تعززت بدعم إقليمي قوي لاسقاط الرئيس الديكتاتور الذي استعصى على حكومة بغداد ترويضه وإدخاله في مخططاتها [1] .

وفي نهاية عام ١٩٥٣ لاحت بوادر التصدّع في النظام ، وانطلقت الشرارة الأولى من الوسط الطلابي الذي كانت تحركه الأحزاب اليسارية وفي مقدمها حزب البعث العربي الاشتراكي ، واتخذت طابعاً جدياً منذ حوادث حلب التي بدأت بمسألة تافهة تمخضت عنها سلسلة من القلاقل والفوضى : في ٨ كانون الأول عندما عُرضت تمثيلية " ثعلبة الجاحد " في الكلية الأمريكية ادعى نفرٌ من الطلاب أن التمثيلية مشوهة وتمسُّ بكرامة العرب [2] وفجرت الحادثة تظاهرات وصدمات بين رجال الأمن والطلاب ، ثم تظاهر طلاب دمشق تضامناً مع طلاب حلب وبالتالي عممت التظاهرات المدن السورية الرئيسية ، وهتف الطلاب بسقوط الطاغية أديب الشيشكلي . هذه الأحداث وإن كانت

واعتقدوا أن الاولوية هي بالقضاء على الفقر والجهل .. وأنا أعتقد أن جماهير العرب ليسوا أغبياء إلى حد الظن أن زعماءهم العسكريين قادرون على تطوير حياتهم في بضع سنوات .. لان هؤلاء القادة قد حفروا حفرة عميقة ابعدتهم عن الجماهير وجعلتهم غير مؤهلين لمعرفة ماذا تريد الجماهير .. "

"Le Régimes militaires du Moyen - Orient" dans Orient No 15 , 1960 , p. 24 .

(١) – كشفت محكمة الشعب في بغداد تعاون زعماء الاحزاب السياسية مع حكومة بغداد لاسقاط النظام ، وفضحت بالأرقام والأسماء الأموال التي تلقاها كل من صبري العسلي ولطفي الحفار ومعروف الدواليبي . راجع محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة ، ٢٢ جزء ، بغداد ١٩٥٨ – ١٩٦٣ ، محاكمة فاضل الجمالي ثم الزعيم غازي الدغستاني نائب أركان الجيش العراقي في : الجزء الأول ، ١٩٥٩ ، ص ٦٤ و ٢٧٦ و٢٩٩ . ولتوسع راجع : مقال غسان الامام " تأملات في الحياة السياسية السورية " في صحيفة الشرق الأوسط ، لندن ، عدد ٥٦٠٠ ، تاريخ ١٩٩٤/٣/٢٩ .

(٢) – كانت المسرحية رواية أدبية باللغة العربية حاصلة على إجازة لتمثيلها ، والسبب الذي دعا إلى ذلك الصخب ورود مقاطع يظهر فيها أحد الممثلين بصورة العم سام وهو يوزع الدولارات على جماهير العرب . وقد قام نفرٌ من الطلاب ودعا إلى الإضراب ثم إلى التظاهر دون إذن السلطات وضغطوا على باقي المدارس لإغلاقها ورشقوا الشرطة بالحجارة ، وقد قمع رجال الشرطة المتظاهرين بعنف شديد ، وتتالت التظاهرات في حلب حتى ١١ كانون الأول تاريخ إغلاق الدولة المدارس . وقد أثيرت هذه القضية في جلسة مجلس النواب في ٤ كانون الثاني ١٩٥٤ . راجع : مجلد رقم ١ للعام ١٩٥٣ – ٥٤ ، ص ٥٦١ – ٥٦٣ .

بعيدة جداً عن تشكيل تهديد جدي للنظام، بيد أنها سببت جيشاناً عاماً في وجه الحكم المتسلط .

ولم يتخذ الشيشكلي أي إجراء للحد من الحريات المعطاة للمعارضة ، بل اكتفى باتخاذ بعض التدابير للحؤول دون حدوث تظاهرات أخرى مثل : إغلاق الجامعة السورية، وإيقاف التدريس في المدارس الثانوية والمهنية ودور المعلمين [١] . وتوجهت شكوكه نحو العقيد ابراهيم الحسيني ، المدير العام للشرطة والأمن العام ، الداعم الرئيسي للنظام ، والذي كان يمثل منافساً جدّياً وربما وحيداً للشيشكلي داخل الجيش ، وهذا ما دفع الشيشكلي إلى عزله عن منصبه وتعيينه ملحقاً عسكرياً في واشنطن . وقد ذكر " أنه كان على اتصال مع الأحزاب المعارضة " [٢] ، ومن ثم قام الشيشكلي بجهود مكثّفة لاقناع قادة الحزبين الوطني والشعب بالانضمام إلى حكومته ولم ينجح [٣] .

منذ منتصف كانون الثاني راحت تتوالى بيانات الأحزاب المنددة بالنظام والشاجبة لأعمال الارهاب التي تمارسها أجهزة الأمن ضد الطلبة والمدرسين ، وعمت المدن السورية المناشير التي تضمنت حملة قاسية ضد الشيشكلي ودعوة صريحة لتحرير البلاد والعودة إلى حكم برلماني صحيح [٤] ، كما ظهر نقد حصيف ضد النظام في بعض الصحف وأصبح الحديث عن الفظائع التي يرتكبها شائعاً .

وبدأ زمن العودة إلى الحزم ، وكان متأخراً ، فقد ردَّ الشيشكلي على اتساع تحركات المعارضة بمزيد من أعمال العنف والإرهاب . وتفجر الوضع إثر أحداث جبل الدروز بعد أن اتفق زعماء الجبل وعلى رأسهم سلطان باشا الأطرش مع عصبة حمص على التخلص من الشيشكلي .

---

(١) – راجع : هزيمة طاغية ، ص ٥٠ – ٥١ .

(٢) – F. o / 371/ 115942 / Syria , Annual Political Report for 1953 confidential , No 31 , 12 Feb 1954 , p.2 . –

(٣) – راجع : صحيفة اليوم ، عدد ٣١٠ ، ٢٦/١٠/٥٣ .

(٤) – راجع نص بيان الحزب الوطني ، وبيان نقابة المحامين ، ونص المنشور الذي وزعه حزب البعث والحزب الشيوعي الذي حمل توقيع " العمال الاحرار" في : هزيمة طاغية ، ص ٥١ – ٥٣ .

وقد قام حزب البعث ووزع في السويداء مناشير ضد السلطة أفرزت سلسلة من الأحداث وردود فعل عنيفة من قبل النظام (١) .

في ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٤ أوقف رجال الأمن منصور الأطرش نجل سلطان باشا بتهمة حيازة منشورات تطعن بالشيشكلي ، وفي ٢٤ منه قام طلاب المدارس بتظاهرة احتجاج على اعتقال منصور الأطرش واصطدموا مع رجال الأمن ، ويبدو أن الشيشكلي قد وجد في هذه الأحداث فرصة مناسبة لإخضاع الجبل بعمل سريع وحاسم فأصدر الأوامر ليل ٢٦ ، ٢٧ إلى اللواء السادس بقيادة الزعيم رسمي القدسي بالزحف إلى الجبل ، وطوقت قوات الجيش السويداء واصطدمت ببعض القبائل الدرزية وسقط في المعركة عدة قتلى واحتل الجيش المدينة، وفرض الإقامة الجبرية على سلطان باشا في منزله في " القرايا " واعتقل عدداً من المشبوهين ، عندئذ هب دروز المناطق المجاورة والتفوا من وراء الجيش دون الاصطدام به ، وقد جرت محاولة للتوسط بين سلطان باشا والعقيد فؤاد الأسود أمر الفرقة المتمركزة في السويداء وطالب هذا الأخير بتسليمه ١٨ رجلاً متهمين باطلاق النار ووعد بسحب الجيش من ضواحي القرية ، وبالفعل انسحبت القوة ولدى وصولها إلى قرية " مزرعة قمره " تعرضت لهجوم مفاجئ فوجهت المدافع والمصفحات ضد الثوار وحصدت منهم حوالي ٢٥ شخصاً منهم ممدوح وسلمان الأطرش، صقر شقير ، حموي الصفدي .. وبذلك يكون الدروز قد فتحوا المعركة من جديد .

وفي اليوم نفسه الذي جرت فيه هذه الأحداث تحرك الشيشكلي فاعتقل زعماء الأحزاب وفرض الإقامة الجبرية على هاشم الأتاسي وطائفة من رجال السياسة والمحامين والضباط المتقاعدين ومدرسين وطلبة (٢) . ثم فرض الشيشكلي الأحكام العرفيَّة

---

(١) – وصف تفصيلي للأحداث نشره مكتب أبناء سورية تحت عنوان ، هزيمة طاغية ، ص ٥٤ – ٥٧ . راجع أيضاً : مطيع السمان ، وطن وعسكر ، قبل أن تدفن الحقيقة في التراب ، مذكرات ٢٨ أيلول ١٩٦١ – ٨ آذار ١٩٦٣ ، بيسان للنشر والتوزيع ١٩٩٥ ، ص ٣٤٥ – ٣٥٣ .

(٢) – كان من المعتقلين : صبري العسلي ، عبد الرحمن الكيالي ، إحسان الجابري ، ميشيل عفلق ، أكرم الحوراني ، صلاح البيطار ، جلال السيد ، رشدي الكيخيا ، عدنان الأتاسي ، علي بوظو ، شاكر العاص ، حسن الأطرش ، منير العجلاني ، فيض الأتاسي ، ليون زمريا ، عبد الوهاب حومد . وقد

في كل مناطق الجبل وفي دمشق وحلب وحمص وحماه وبرر ذلك في رسالة وجهها إلى مجلس النواب قال فيها "إن بعض الأشخاص المنتمين إلى الأحزاب القديمة المنحلة ، قاموا بنشاط سري يحظره القانون ، و راحوا يستعدون لتنفيذ فتنة عامة تهدد استقلالها بأسوأ العواقب ... [١] .

مساء ٢٩ كانون الثاني أعلن الدروز العصيان العام فكلف الشيشكلي الزعيم رسمي القدسي باحتلال الجبل ، وفي ٣١ منه تحركت قوات من سلاح المدرعات الثقيلة التي سحبت من الجبهة لمساندة قوات الجيش وتحول الجبل صباح ٢ شباط إلى مسرح لمعركة دموية استخدم فيها الجيش كامل قوته وكامل قسوته ، فقصف القرى بالمدافع ، وتساقطت القنابل من سلاح الجو ، وارتكب مجازر في السويداء وصلخد والقرايا ، وأخيراً احتل الجيش الجبل كله وهرب سلطان باشا إلى الأردن مع ثلاثين من رجاله [٢] . واتهم الشيشكلي العراق والانكليز بتشجيع الدروز على العصيان ، وفي ٥ شباط طلبت الحكومة السورية من الملحق العسكري العراقي مغادرة الأراضي السورية وأغلقت الحدود مع لبنان احتجاجاً على الحملات الصحفية ضد النظام وذلك عقب المؤتمر الذي عقده زعماء الطائفة الدرزية في بيروت لاطلاع الرأي العام العالمي على أحداث الجبل [٣] .

قال هذا الأخير وهو نائب ووزير سابق من حزب الشعب " ان الشيشكلي كان في معاملته للمعتقلين إنساناً مهذباً وقد زارنا أكثر من مرة ، ص٤٣٨ – ٤٤٠ . راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ٤٣٨ – ٤٤٠ .

(١) – مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم (١) للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٧٥٤ – ٧٥٥ .

(٢) – راجع ما كتبه المقدم مطيع السمان الذي شارك في الحملة . في كتابه ، وطن وعسكر ، ص٣٥٠ – ٣٥٣ . هذا وقد تابع صلاح الشيشكلي الحرب على الجبل وأثار شيوخ العشائر السنيّة ضد الدروز وقدم لهم السلاح للإغارة على القرى الدرزية ، واستمرت الغارات قائمة بمساندة قوى الهجانة حتى قيام العصيان العسكري في ٢٤ شباط . راجع هزيمة طاغية ، ص ٧٦ – ٧٨ .

(٣) – صحيفة النهار ، بيروت ، عدد ٦ شباط ١٩٥٤ . ومن الجدير ذكره أن كمال جنبلاط أرسل برقية إلى الشيشكلي قال فيها " لا يركز حكم على حراب البنادق "وطالبه بوضع جو للمجزرة الأهلية ، وإطلاق سراح المعتقلين وإعادة البلاد إلى الحياة البرلمانية الديمقراطية ، راجع : هزيمة طاغية ، ص٨١ .

وبينما كانت الاشتباكات دائرة في الجبل وأفواج المعتقلين تتالى على سجن المـزة وجّه الشيشكلـي بيانـاً إلى الشعب بـرَّر فيـه الإجـراءات التـي اتخذهـا الجيـش لمعالجـة مـا أسماه " الحالة الشاذة .. والفتنة التي أثبتـت القرائـن وجـود مشـاريع إستعمارية وراءهـا ، مشاريع ألبست ثوب العروبة البراق وغرَّرت بالسذج من أبناء الوطن الذيـن اعتقدوا إنهـا مشاريع قومية وهي في الواقع وليدة المؤتمرات والمؤامرات في العواصم الأجنبية " [١] .

بدا واضحاً أمام المراقب أن الشيشكلي قد تجاوز الأزمة وخرج منتصراً من هـذا الامتحان القاسي [٢] ، وراحت الإذاعة السورية تبث البيانات والبرقيات المؤيدة للنظام مـن كل أرجاء سورية حتى من القرى والعائلات الدرزية " ، وتوالـت الوفـود مـن كـل أرجـاء سورية ومن لبنان إلى دمشق للإعراب عن ولائها للزعيم الرئيس .

وفي الواقع لم ينته النظام إلاّ كما بدأ .. إنقلاب عسكري أطـاح بالشيشـكلي الـذي أقلقته الأحداث فأعمتـه عن التنبـه إلى المؤامـرات التي كانـت جارية على قدم وساق داخل الجيش الذي خلف الاستياء العام صدى عميقاً في داخله .. وكان لبعـض القـادة الضبـاط روابط حميمة إما عائلية أو عقائدية مع السياسـيين المعتقليـن . وتعـزّز ذلـك الاسـتياء إثـر

---

(١) – راجع مذكرات مجلس النواب مجلد رقم /١/ ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، جلسـة ٨ شـباط ، ص ٧٥٧ – ٧٥٨ وفي هذه الجلسة ألقى أمين عام وزارة الخارجية ابراهيم الاسطواني بيان وزير الخارجية الـذي تعرض لعلاقات سورية مع العراق وأسباب الفتور الذي اعتراها وتحدث عـن إيـواء العراقيين للاجئين السياسيين وعن حملات الصحافة العراقية ضد الحكومـة السـورية ، ثـم عن تجاوز الملحـق العسكري العراقي صلاحياته واضطرار الحكومة إلى إنذاره بمغادرة الأراضي السورية ورد العراق بطرد الملحق العسكري السوري المعتمد لديها . كمـا أشـار البيـان إلـى مشـروع الاتحـاد الـذي عرضـه العـراق علـى الجامعة العربية ورفضه مجلسها .. وأخيراً أكد أن الحكومة السورية تحاول إعـادة الميـاه إلـى مجاريهـا مع العراق لرأب الصدع في الصف العربـي . راجـع : م . ن ، جلسـة ١١ شـباط ١٩٥٤ ، ص ٧٧١ وما يلي .

(٢) – كتب معلق في صحيفة التايمز اللندنية ما يلي :" ان تخطي النظام لهذه المحنة العسيرة وبمثـل هذه السهولة يظهر أن حركة التحرير أصبحت أقوى الأحزاب في سورية " The times , 4 Feb 1954 وعلقت صحيفة لوموند الباريسية على هذه الأحداث كالتـالي " إن مؤيـدي الهـلال الخصيـب قـد حـاولوا إشعال الفتن الداخلية لاسقاط الشيشـكلي ، حـامي الاسـتقلال السـوري ، ولكـن علـى مـا يبـدو لقـد خـرج منتصراً من هذا الامتحان القاسي " Le Monde . 24 Fev 1954 .

التسريحات والتنقلات التي أجراها الشيشكلي في صفوف الضباط ، خاصة من العناصر الدرزية ، كذلك اشمأز الجيش من المعاملة القاسية التي مارسها الشيشكلي مع المعارضة، وبدأ ينمو في وسطه شعور عام بعدم الثقة بهذا الديكتاتور الرافض لأية مشاركة في سلطاته والذي قاده جنون العظمة إلى التدخل في كل شؤون الدولة حتى تلك التي يجب أن تترك للموظفين المسؤولين عنها " [١] . وقد استعرض الضباط المتآمرون مع السياسيين الأوضاع ورأوا أن المحاولات التي حدثت في السابق للإطاحة بالنظام قد مُنيت بالإخفاق لأنها جرت في دمشق معقل الشيشكلي وحيث تتركز عيونه وأرصاده وعليه يجب أن تنطلق الخطة من مكان آخر يثير اضطراب الشيشكلي لقربه من العراق ولسهولة الحصول على الدعم إذا ما احتاج الأمر ، وكان اختيارهم حلب معقل حزب الشعب صائباً فهي المدينة التي طالما تطلعت إلى الاتحاد مع العراق والمدينة التي ضمت أقليات عنصرية ودينية رأت في إصلاحات الشيشكلي لخلق دولة سورية العربية الإسلامية ما يهدد امتيازاتها [٢] .

صباح يوم الخميس في ٢٤ شباط تمردت وحدات اللواء الثاني في حلب بزعامة العقيد فيصل الأتاسي ، إبن أخ هاشم الأتاسي [٣] ، وتوجه على رأس فرقة إلى منزل رئيسه الزعيم عمر تمرخان فاعتقله وتسلم قيادة المنطقة ومن ثم توجهت القوى الآلية والمدرعة فاحتلت مركز الحكومة ومبنى الإذاعة والبريد وأعلن الأتاسي أنه لم يعد يعترف بالسلطة القائمة في دمشق وسرعان ما التحقت به الفرق المتمركزة في الجزيرة بقيادة العقيد الدرزي أمين أبو عساف ثم انضم إلى الثوار آمر المنطقة الوسطى (حلب وحمص) العقيد محمود شوكت يؤيده ضباطه بقوة وعلى رأسهم المقدم غسان جديد وجماعته من القوميين السوريين [٤] ، وفي الساعة الحادية عشر والنصف أذاع الرئيس

---

(١) – F. o / 371 / 115942 / Syria , Annual Political Report for 1954 , Confidential No 19 , Feb 4 , 1955 , p.1 - 2 .

(٢) – راجع : باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

(٣) – كشفت محكمة الشعب في بغداد عن دور فيصل الأتاسي في التحضير للانقلاب مع العراقيين، فقد قابل الملحق العسكري العراقي في بيروت قبل إعلان العصيان بيوم واحد وتلقى منه الأموال والتعليمات . راجع : الجزء الأول ، بغداد ١٩٥٩ ، ص ٢٩١ – ٢٩٩ .

(٤) – راجع : مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص ٣٥٧ .

مصطفى حمدون ، صديق أكرم الحوراني ، نداءً عاماً أعلن فيه أن المنطقة الشمالية انفصلت عن دمشق وستبقى كذلك طالما بقي الشيشكلي في السلطة وعند الظهر أعلن العقيد عمر قباني ، الملحق العسكري السوري في الأردن تأييده لحركة الثوار ، كما أعلن المقدم عبد الإله رسلان آمر فوج في جبل الدروز التحاقه بما أصبح يُعرف " بالقيادة الحرة " التي انضم إليها قائد حامية اللاذقية المقدم العلوي "عبد الجواد رسلان " ومن ثم تلقت التأييد من قيادات المناطق الأخرى ، وبقيت الوحدات المتمركزة في دمشق تتلقى أوامرها من الشيشكلي الذي حاول تشكيل مجموعة قوى برئاسة رسمي القدسي للتوجه نحو الشمال وإعادة الأمور إلى أنصابها ، وقد رفضت إحدى القوى التحرك للقتال خارج دمشق [1] . وبعد أن قيّم الشيشكلي الأوضاع مع مستشاريه العسكريين والمدنيين ، فضل الانسحاب على إغراق البلاد في حمّام من الدم ، وبعمله هذا جنب سورية حرباً أهلية محتمة .

في الساعة الحادية عشر مساء يوم ٢٥ شباط تمّ الإعلان عن استقالة الرئيس ، وتلا مأمون الكزبري رسالة الشيشكلي أمام مجلس النواب وقد أغفلت إذاعة دمشق إيراد الاسطر الأولى من نصها : " أيها الشعب الكريم ، إن بعض ضباط الجيش الذين يخضعون لمؤثرات حزبية قد قاموا بحركة تمرد في عدة مناطق من البلاد ترمي إلى إسقاط الحكم الدستوري القائم في سورية ، ولم يكن عسيراً عليَّ قمع هذه الحركة غير أن ذلك يعني أن جيشنا سيقتتل والعدو رابض على حدوده والمؤامرات تحاك على استقلاله والفتن الداخلية تطل برأسها من تحت الرماد من أجل هذا وحقناً لدماء الشعب الذي أحبه

---

(1) – تفاصيل الأحداث في :

F. o / 371/ 115942 / Syria , Annual Political , Report for 1954 , No 19, 4 Feb 1955 , p.1- 2 .

راجع أيضاً : هزيمة طاغية ، ص ٨٦ – ٩٩ . وقد أشارت بعض المصادر إلى أن شوكت شقير كان متعاوناً مع المعارضة وهو الذي نصح الشيشكلي بالاستقالة . راجع : خالد العظم ، مذكرات، ج٢ ، ص٢٨٤ . هاني الخيّر ، أديب الشيشكلي ، ص ١٣٢ – ١٣٣ . وفي الواقع كان إنسحاب الشيشكلي نتيجة تضامن القوتين الحاسمتين في المجتمع السوري قوة المؤسسة العسكرية. والمعارضة السياسية المدعومة من الجماهير الشعبية راجع :

G.Ben-Dor, "Civilization of military regime",in Armed forces and sociology,Vol I No3,p.320-321.

والجيش الذي أفتديه والوطن العربي الذي أردت أن أخدمه بتجردٍ وإخلاص اقدم استقالتي " [1] .

بعد استقالة الرئيس ولّى مجلس النواب مأمون الكزبري مهام الرئاسة بالنيابة استناداً إلى المادة ٨٦ من الدستور ونائب رئيس المجلس سعيد اسحق رئاسة المجلس [2] .

في الأيام الثلاثة التي تلت رحيل الشيشكلي [3] كان مصير سورية في كفة الميزان [4] وقامت محاولة في دمشق لانقاذ النظام الساقط بتأييد مسلح من ضباط فوج المدرعات والشرطة العسكرية وعلى رأسهم طعمة العودة الله وعبد الحق شحادة وحسين حدة [5] . وكان شوكت شقير قد أطلق سراح المعتقلين السياسيين منذ رحيل الشيشكلي فتوجهوا إلى حمص ، بينما بدأ الضباط المناصرون للشيشكلي التحضر في دمشق لمقاومة

---

(1) – النص في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم (١) للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٩٤٦ .

(2) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم (١) للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٩٤٧ .

(3) – غادر الشيشكلي دمشق سراً إلى بيروت ، وبعد يومين مُنح حق اللجوء السياسي في المملكة السعودية، وقد عاد عدة مرات سراً إلى سورية ، وهاجر عام ١٩٦٠ إلى البرازيل حيث أصبح صاحب مزرعة أرز ، وقد اغتيل في ٢٧ أيلول ١٩٦٤ على يد الدرزي نواف أبو غزالة من محافظة السويداء انتقاماً لمجازر الدروز . للتوسع حول حادث اغتياله . راجع : هاني الخير ، أديب الشيشكلي ، ص ١٧٧ – ١٨٤ .

(4) – إثر أحداث ٢٥ شباط طرح بعض القادة الإسرائيلين خطة حرب خاطفة للتحرك واحتلال المواقع الحدودية السورية خلف خطوط الهدنة والاستفادة من تفكك سورية وزج العراق قواته لاسقاط النظام . وقد عارض موشي شارت الاقتراح وكان انذاك رئيساً للوزراء مشيراً إلى حتمية إدانة مجلس الأمن الدولي للعملية ، واحتمال استخدام الإعلان الثلاثي لعام ١٩٥٠ ضد اسرائيل . للتوسع راجع : ليفا روكاخ ، الارهاب الإسرائيلي المقدس ، دراسة في يوميات موشي شاريت ووثائق أخرى . منشورات منظمة الشعب العربي الامريكية ، الشارقة ١٩٩٢ ، ص ٣٣ – ٣٧ .

(5) – كان عبد الحق شحادة عضواً في منظمة الاخوان المسلمين دخل سلك الشرطة وأصبح الساعد الأيمن للشيشكلي إتهم بارتكاب جرائم عديدة منها قتل مجيب المرشد ابن سليمان المرشد والرقيب ناجي البحري . راجع : رياض المالكي ، ذكريات .. ، ص ١٠٩ – ١١١ . وقد تم الاتفاق في حمص على تعيين حسين حدة وعبد الحق شحادة ملحقين عسكريين في باريس ولندن وبسفرهما حلت آخر عقدة من الأزمة بين أركان الجيش في الشمال والجنوب . راجع : هزيمة طاغية ، ص١٠٠ – ١٠١ .

القيادة الحرة ، التي رفضت الاعتراف بكل ما يمت للعهد بصلة وطالبت بحل مجلس النواب واستقالة الكزبري ونقل صلاحية رئاسة الأركان إليها بدلاً من الزعيم رسمي القدسي الذي تولّى المنصب بعد إعلان استقالة شوكت شقير ، ولقد باءت هذه المحاولات لانقاذ النظام بالفشل وذلك نتيجة الأحداث العنيفة التي شهدتها دمشق يوم ٢٧ شباط فقد قامت تظاهرة ضخمة نظمها اليساريون والشيوعيون والاخوان المسلمون ومارس المتظاهرون أعمال التخريب فاقتحموا مبنى المجلس النيابي ودار الإذاعة ومركز المحافظة وأشعلوا النيران في عدة مراكز حكومية وأصدموا برجال الشرطة واضطر الجيش إلى إطلاق الرصاص لتفريق المتظاهرين فسقط ٦٠ قتيلاً وجرح المئات [١] وعندما حاول الشيوعيون تنظيم تظاهرات أخرى ، أصدرت رئاسة الأركان بلاغاً بمنع التجوال ، ومن ثم حل مجلس النواب نفسه وعاد شقير عن استقالته وحاول أن يجد حلاً للخروج من المأزق بسلام ، فتوجه إلى حمص حيث اجتمع مع المجلس العسكري المؤقت الذي تشكل برئاسة العقيد محمود شوكت وعضوية العقيد توفيق نظام الدين ، العقيد نبيه صبّاغ، المقدم رياض كيلاني ، المقدم نوفل شحم ، المقدم عدنان المالكي والمقدم غسان جديد ، وبعد أن تمّ الاتفاق على الترتيبات اللازمة [٢] ، أذاع شقير في ٢٨ شباط بياناً جاء فيه " إن رئاسة الأركان العامة تعلن أن الجيش هو جيش الأمة ينسحب إلى ثكناته للقيام بواجباته المعينة في الدستور ويضع نفسه رهن خدمة سلطة رئيس الجمهورية وحكومته الدستورية " [٣] ، وكان الاتفاق قد تمّ بين المجلس العسكري وزعماء الأحزاب المجتمعين في حمص على العودة إلى برلمان ١٩٤٩ ودستور ١٩٥٠ واعتبار كل الاجراءات

---

(١) - "Developments of the Quarter" in Middle-East Journal , Vol VII , 1954 , p.203 .

(٢) - تشكل هذا المجلس منذ إعلان العصيان على الشيشكلي . وضم ثلاث فئات سياسية رئيسية : المؤيدون للعراق ، المؤيدون لحزب البعث العربي الاشتراكي ، وجماعة القوميين السوريين ، وجماعة مستقلين : راجع :

E. Be'eri, Army officers .. p. 74 - 75 .

وأسماء الضباط مستقاة من المصدر التالي ، هزيمة طاغية ، ص ١٠١ .

(٣) - النص في م . ن ، ص ١٠١ .

التشريعية الصادرة في العهد السابق لاغية ، وفي الأول من آذار دخل هاشم الأتاسي دمشق باحتفال مهيب لاستئناف سلطاته الدستورية التي اغتصبها الشيشكلي .

وهكذا ، وبعد مضي خمس سنوات على توالي الديكتاتوريات العسكرية على السلطة استعادت سورية النظام الديمقراطي المدني وانسحبت النخبة العسكرية من الساحة السياسية فوراً وسط ضغوط جماهيرية حادة نادت بعودة الجيش إلى ثكناته .

× × ×

تقييم .. ومع سقوط الشيشكلي انتهى العصر الذهبي لحكم القادة الضباط ، وخلف وراءه سورية جديدة ومختلفة عن تلك التي كانت عشية اغتصب حسني الزعيم السلطة وقد تركت تقلبات الحكم ، خلال هذه الخمس سنوات ، ندبات في الحياة السياسية السورية، وتحولات داخل المؤسسة العسكرية ، وتطورات بارزة على صعيد الحياة الاقتصادية .

وتبقى ذكرى هذه الحقبة مرتبطة بتلك الاجراءات المعتمدة لبناء دولة عصرية ، ويمكن القول أن حكم الشيشكلي قد لامس كل شيء بمنهجية – على عكس فوضوية حسني الزعيم : الاصلاح الإداري والقضائي ، إلغاء الدين عن بطاقة الهوية ، تقوية القطاع العام ، تمتين مركزية الدولة ، تثبيت دعائم حكم قوي علّم السوريين الخضوع للسلطة والطاعة للقانون . كذلك أفرز عصر الشيشكلي تغيّرات ملموسة الأثر في تركيب السلطة السياسية ، ومع أن سقوطه قد أعاد إلى الحكم الفعاليات السياسية القديمة ، بيد أنه توجب على هذه الفعاليات التعاون مع التنظيمات الحزبية الجديدة التي نمت وتقوت من خلال مواجهتها الفعالة للديكتاتورية العسكرية : هذه الأحزاب مثل البعث والشيوعي والحزب السوري القومي قد أصبحت قوة فاعلة داخل المؤسسة العسكرية التي فقدت كثيراً من وحدتها وتجانسها إثر تغيير النظام ، وظهر نموذج جديد على المسرح العام . هو الضباط السياسيين المنقسمين إلى مجموعات حسب انتماءاتهم ، وأصبح الجيش موزعاً بين عدة قطاعات سياسية مما أدى إلى افتقاره إلى الانضباط المسلكي الذي هو أساس مهنة الجندية ، ومع أن الجيش لم يفقد قط شهوته إلى السلطة بيد أن أزمة إنقسامه وتشظيه بعد انقلاب شباط قد عطلت قدرته على خلق مؤسسة متحدة وفاعلة وقلصت دوره

في الحقل السياسي ودفعته إلى إسناد مسؤولية الحكم إلى المدنيين ثم فيما بعد إلى الارتماء في أحضان جمال عبد الناصر [1] .

ويبقى التطور في الحياة الاقتصادية أهم ما تحقق في سورية خلال هذه السنوات الخمس، حيث شهدت توسعاً اقتصادياً ورفاهاً عاماً فاق بكثير معدل نموها السكاني [2] ، هذا وإن اضطراب الأحوال السياسية والتغيرات القسرية في تركيب السلطة العليا لم يتركا أثراً عميقاً في مسيرة الازدهار الاقتصادي وذلك بسبب غلبة القطاع الخاص وانعدام الفوارق بين تلك الأنظمة في مضمار السياسة الاقتصادية .

كان الاهتمام الجاد بالتنمية والاستغلال الكامل لامكانيات القطر الميزة التي اتسمت بها جميع الحكومات السورية منذ انقلاب الزعيم مروراً بحكومة القدسي ويمكن القول أن حكم الشيشكلي بالمقارنة مع من سبقه قد أظهر امكانية ورغبة أكبر في مضمار تنمية البلاد وإيصالها إلى مستوى جيد من الاستقلال الاقتصادي . ويمكن رد النهضة الاقتصادية الشاملة إلى العوامل التالي : ١ – استثمار الأموال المتوفرة أثناء الحرب العالمية الثانية في الزراعة والصناعة والبناء ، ٢ – حماية الدولة للصناعة الوطنية وتشجيعها بالتدابير الجمركية والمالية ومد بعض الصناعات الكبرى بالقروض ، ٣ – الانفصال الجمركي بين سورية ولبنان (آذار ١٩٥٠) أثبت أن الوحدة كانت لصالح الاقتصاد اللبناني حيث جنى السوريون منه في التجارة وتمثيل الشركات والوكالات والاستيراد المباشر إلى حد بعيد ، ٤ – سياسة التسليف التي تبنتها الحكومات وشجعت المصارف على اعتمادها ، ٥ – ملاءمة الأسعار العالمية لكثير من المحاصيل الزراعية ،

---

(١) – E. Be'eri , Army officers , p.73 - 75 , cf , G. Ben-Dor , Civilization of Military .. , p.319 - 320 , c, I. Rabinovich , Syria under the Ba'th .. , p.11 - 12 .

(٢) – حسب إحصاءات وزارة الاقتصاد الوطني فإن زيادة سكان سورية بين ٢٠ إلى ٢٥ بالألف سنوياً : فقد بلغ عدد السكان عام ١٩٥٣، ٣،٦٦٥،٩٠٤ لقاء ٣،٤٢٢،٦٢٦ العام ١٩٥٢ أي بزيادة ٦٪ وهي نسبة عالية جداً وذلك بعد تسجيل المكتومين وزيادة الولادات عن الوفيات وتراجع العام ١٩٥٤ إلى الـ ٢٠ ٪ تقريباً وهي نسبة حسنة قياساً بنسبة الزيادة في الأمم المجاورة وتدل على احتمال زيادة عدد السكان نصف مليون في السنوات الست المقبلة . راجع : وزارة الاقتصاد السوري ، مديرية الاحصاءات ، إحصاء عام ١٩٥٢ الشامل للأعوام ٤٤ – ٥١ ، ص ٢٠ . وإحصاء عام ١٩٥٦ الشامل للأعوام ٥٢ – ٥٦ ، ص ١٨ – ١٩ .

٦ – سياسة القطع التي رسمتها الحكومة وساهمت في ثبات النقد السوري واطمئنان رؤوس الأموال الأجنبية والوطنية وتشجيع التصدير واستقرار الاستيراد . ويمكن تلمس التقدم الاقتصادي من خلال ارتفاع الدخل القومي من ١١٤٠ مليون ل.س. عام ١٩٥٢ إلى ١٥٠٠ مليون عام ١٩٥٤ [١] .

وقد تجلت النهضة الاقتصادية من خلال اتساع مساحات الأراضي المستثمرة وازدياد مساحات الأراضي المروية نتيجة التوسع في شبكة مشاريع الري الحكومية والخاصة [٢] مما أدى إلى ازدياد الانتاج الزراعي ووجود فائض من المحاصيل الزراعية المعدة للتصدير وخاصة القطن [٣] .

---

(١) – راجع : بيان وزير المالية رزق الله انطاكي حول ميزانية العام (١٩٥٥) في مذكرات المجلس النيابي مجلد رقم واحد ، للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص ١٣٨ .

(٢) – قدرت المساحات المروية في سورية بحوالي ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ألف هكتار من أصل ٣٦٦٩٠٠٠ هكتار من الأراضي المستثمرة أي بنسبة ١١٪ ومن أصل ٧٥٠،٠٠٠ هكتار من الأراضي القابلة للري أي بنسبة ٥٣ إلى ٥٦ ٪ وذلك عام ١٩٥٤ وكانت عام ١٩٥٢ لا تتجاوز ٢٥٠ ألف هكتار. وعمل الري في سورية مزدوج يقوم على المشاريع الحكومية والمشاريع الفردية وكانت هذه الأخيرة ذات أهمية خاصة في السنوات من ٥٢ حتى ٥٤ . وما يلي جدول المساحات المروية بواسطة شبكات الري الحكومية :

شبكة ري حمص – حماه	٢١٦٠٠ هكتار
" " مزيرب	٢٢٠٠ "
" " الخابور	٤٢٠٠ "
" " المضخ	١٥٠٠٠ "
شبكة ري السن	٥٠٠٠ هكتار
مجموع	٤٨٠٠٠ هكتار

وذلك ان أصل ٥٠٨٩٥٨ هكتار والفرق يدل على الجهد الفردي المبذول في هذا الإطار : راجع : وزارة الزراعة ، مديرية الاحصاءات ، إحصاء عام ١٩٥٤ الشامل للأعوام ٥٠ – ٥٤ ، ص ١٢ – ١٣ ..

(٣) – اتسعت الأراضي المزروعة قطناً من ٥٨ ألف هكتاراً عام ١٩٥٠ إلى ١٥٩ هكتاراً عام ١٩٥٤ . راجع : United Nations , Year book of food and agricultural from 1945 to 1954 , New York 1955 , p.183 .

كما شهدت سورية نهضة صناعية حديثة سواء من ناحية توسع رؤوس الأموال المستثمرة في الصناعة أو من حيث الانتاج أو من حيث تصدير المنتجات الصناعية . واحتلت الصناعة والتجارة مكاناً ثانياً من الاقتصاد السوري وقُدر الدخل القومي من هذين القطاعين بـ١٣٪ من دخل عام ١٩٥٣ [١] . وقد كانت نتائج الانفصال الاقتصادي بين سورية ولبنان بداية نشوء التجارة الداخلية السورية بالمعنى الصحيح لأن المؤسسات التجارية اللبنانية كانت تمثل البلدين سواء في لبنان أم في سورية وازدهرت التجارة الداخلية بعد صدور المرسوم رقم ١٥١ الذي نظم أوضاع الشركات الأجنبية وتشكلت شركات وطنية تعاطت مختلف أنواع التجارة وبلغ عددها نهاية عام ١٩٥٤ ، ١٥٣ شركة مقابل ٢١١ شركة ووكالة أجنبية [٢] .

أما في ميدان التجارة الخارجية فقد سار الميزان التجاري باتجاه تحسنٍ مطرد وضعف العجز تباعاً ، فقد بلغ عام ١٩٥١ ، ١٢٦ مليون ل.س. وتناقص إلى ٧٦ مليون بداية عام ١٩٥٤ واستمر في التحسن نتيجة ازدياد إنتاج القطن وتماسك أسعاره العالمية وازدياد مجمل التصدير بنسبة ٢٦٪ من بداية عام ١٩٥٤ عما كان عليه عام ١٩٥٣ وتلازم ذلك مع ازدياد تصدير المنتجات الصناعية التي وصلت نسبتها عام ١٩٥٤ إلى ٩٪ من مجموع المواد المصدرة [٣] .

---

(١) –" راجع : ميزانية سورية للعام ١٩٥٥ في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص ١٥٠ – ١٥٥ .

(٢) – وزارة الاقتصاد السوري ، مديرية الاحصاءات ، إحصاء عام ١٩٥٦ الشامل للأعوام ٥٢ – ٥٦ ، ص ١٨ – ١٩ .

(٣) – الميزان التجاري : " جدول رقم ٢٠ "

(بملايين الليرات السورية)

العـــام	الاستيراد	التصدير	العجـــز
١٩١٥	٤١٨	٢٩٢	١٢٦
١٩٥٢	٤٤٤	٣٣٧	١٠٧
١٩٥٣	٤٨٤	٤٠٨	٧٦

" جدول رقم ٢١ "

تجارة سورية الخارجية عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٤

إن السياسة التي انتهجتها الحكومات التي تعاقبت على السلطة في سورية قد ساهمت في تطور البرجوازية السورية التي يعود إليها الفضل الأول في التوسع الاقتصادي حيث لم يتجاوز معدل الاستثمار العام ثلث وأحياناً ربع المبلغ المستثمر في الاقتصاد الوطني . ولقد كان العام ١٩٥٤ عام بلوغ سورية أوج توسعها الاقتصادي وتباطأ المعدل العام بعد منتصف الخمسينات مع المحافظة على المنجزات السابقة في بعض القطاعات الرئيسية . وتظهر اللوحة التالية التقدم المسجل في هذه الحقبة في القطاعات الانتاجية الرئيسية للاقتصاد السوري :

المنتجـــات		الكمية بالأطنان		المساحة بالهكتارات
		عام ١٩٥٠	عام ١٩٥٤	عام ١٩٥٥
القمح	مساحة	٩٩٢ ألف هكتار	١٣١٤ هـ	١٤٦٣هـ
	إنتاج	٨٣٠ ألف طن	٩٦٥ ط	٤٣٨ ط
العام ١٩٥٥ استوردت سورية القمح لأول مرة في تاريخها				
الشعير	مساحة	٤١٦ هـ	٥٤٣ هـ	٦١٤ هـ
	انتاج	٣٢٢ ط	٦٣٥ ط	١٣٧ ط
القطن	محلوج	٧٨ هـ	٥٤٣ هـ	٢٤٩ هـ
		٣٦ ط	٨٠ ط	٨٤ألف طن
غزل القطن		٥،٥ ألف طن	٦،٩ ألف طن	٧،٨ " "
الاسمنت		٦٨ " "	٢٤٩ " "	٢٦٥ " "

التصديـــــــر	الكمية بالأطنان	القيمة بألوف الليرات	النسبة المئوية
١٩٥٣ (١/١ – ٩/٣٠)	٤٣١٥١١	٢٢٩٣٩٢	١٠٠
١٩٥٤ (" ")	٧٤٢٣١٢	٢٦٦٨٨٥	١١٦
الإستيـــــــراد	**الكمية بالأطنان**	**القيمة بألوف الليرات**	**النسبة المئوية**
١٩٥٣ (٧١ – ٩/٣٠)	٥٤٤٦٤٩	٢٢٣٥١٥	١٠٠
١٩٥٤ (" ")	٦٧٣٦٢٦	٢٦٨١٢٤	١٢٠

راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ دراسة ميزانية العام ١٩٥٥، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

المنتجـــــــات	الكمية بالأطنان	المساحة بالهكتارات
السكر	٨ " "	٣٦ " ٤٥ " " " [١]

– إن قوة القطاع الرأسمالي وازدياد ميله نحو استخدام أساليب احتكارية لتحقيق أكبر قدر من المكاسب قد قوى الصراع الطبقي في المدينة والريف ، كما ساهم الرفاه الاقتصادي والتطور الفكري في تقوية الوعي الطبقي في الوسط العمالي والفلاحي مما أدى إلى تحويل ميزان القوى السياسية لصالح الأحزاب اليسارية .

" في عام ١٩٥٤ دخلت سورية سنتها العاشرة في الوجود كدولة مستقلة ، وقد بدت دولة قوية بمواردها الاقتصادية قوية بشعبها النشيط . دولة أنجزت الكثير خلال مدة قصيرة ، بيد أن مستقبلها ما يزال قلقاً إلى أن تصل إلى استقرار سياسي يضمنه حكم ديمقراطي قوي وثابت " [٢] .

---

(١) - United Nations , Department of Economic and social affairs "Economic development in the Middle-East" , 1945 to 1954, New York 1955 p. 183, "Economic development in the Middle-East" , 1955 to 1957 , New York 1958 , p.87 - 90 .

(٢) – بهذه العبارات أنهى السفير البريطاني تقريره السنوي حول سورية عام ١٩٥٤ . راجع : F. o / 371/ 115942 / No 19 , 14/2/1955 , p.12 .

القسم الثالث

سورية ما بين عامي

١٩٥٤ - ١٩٥٨

عصر الديمقراطية البرلمانية الحرة

الفصـــل الأول

=============

" طريق الديمقراطية الشائك "

سورية منذ رحيل الشيشكلي حتى الانتخابات الرئاسية

١ آذار ١٩٥٤ - ١٨ آب ١٩٥٥

تمهيـــــد :

إذا ما وجدت دولة عربية تمتعت بحكم برلماني وديمقراطية حقيقية فتلك الدولة كانت الجمهورية العربية السورية .

بعد سقوط النظام الديكتاتوري تشكّلت حكومات برلمانية عملت طبقاً للأنظمة الدستورية فمنحت الحريات للأحزاب السياسية والصحافة وأتاحت لكل طبقات المجتمع حرية التعبير عن آرائها والمطالبة بحقوقها ونظّمت انتخابات برلمانية طبقاً لأصول الديمقراطية الغربية انبثق عنها مجلس تنافست داخله الهيئات السياسية والمنظمات الحزبية .

عاشت سورية في هذه الحقبة حياة سياسية مفعمة بالحرية ، ومع ذلك لم تصل إلى الإستقرار المنشود ، وكما قدمت هذه الدولة برهاناً ساطعاً على فشل الحكم العسكري في تحقيق التقدم والإستقرار كذلك دعم الحكم البرلماني الرأي القائل " بأن لعبة الديمقراطية في دولة عربية قد تؤدي إلى تفككها وضياعها " (١) .

في إطار هذه الديمقراطية قام مجلس نيابي منقسم إلى كتل وأحزاب متنافرة، أوصلت صراعاتها إلى تردي فعاليته ، كما قادت تلك الصراعات إلى توجه الفعاليات السياسية لتثبيت مواقعها نحو الجيش فأقحمته من جديد في عالم السياسة ، وزادت من أزمة انقسامه .

---

(١) - E. Be'eri, Army officers , p.130 .

وفي إطار هذه الديمقراطية نمت الأحزاب اليسارية واستطاعت أن تقلص قوة الأحزاب والفعاليات اليمينية التقليدية ، وانعكس هذا على علاقات سورية الخارجية حيث قويت الموجة المعادية للغرب والداعية إلى الحياد وقادت إلى بداية علاقات أوثق مع الكتلة الشيوعية ، كما تراجع على صعيد تركيبة الصراعات العربية – العربية النفوذ العراقي لصالح النفوذ المصري – السعودي .

– العودة إلى الحكم المدني :

تمَّ الاتفاق في مؤتمر حمص على الترتيبات الأساسية لتوطيد دعائم الحكم البرلماني واستئناف ما انقطع من الحياة الدستورية منذ انقلاب كانون الأول ١٩٥١ ، وذلك بدعوة مجلس النواب المنتخب في تشرين الثاني عام ١٩٤٩ لاستئناف مهامه ودوره وعودة هاشم الأتاسي إلى كرسي الرئاسة الأولى .

إن استبدال النظام الفردي باتفاق بين الأحزاب والفئات السياسية الفاعلة قد فشل في أن يوصل إلى الشعور بحس المسؤولية لدى القادة السياسيين ليدفع بهم إلى العمل متحدّين في تلك الظروف الانتقالية القلقة . وكان من المفترض أن تتشكل حكومة ائتلاف وطني تضم القوى السياسية التي شاركت في الإطاحة بالنظام السابق ، بيد أن الحكومة التي تشكلت في الأول من آذار برئاسة صبري العسلي [1] كانت حكومة تحالف يميني

(١) – ولد العسلي في دمشق عام ١٩٠٣ درس الحقوق في المعهد العربي ونال الإجازة عام ١٩٢٤ شارك في الثورة السورية ثم تنقل بين السعودية ومصر والأردن حتى عام ١٩٣٤ تاريخ عودته إلى دمشق حيث مارس المحاماة ثم انتخب نائباً عام ١٩٣٦ ثم عام ١٩٤٧ . ساهم في تأسيس عصبة العمل القومي وانضم إلى الكتلة الوطنية عام ١٩٤٦ وفي عام ١٩٤٨ أصبح أميناً عاماً للحزب الوطني ، تقلد عدة حقائب وزارية ، وفي سنوات الديكتاتورية العسكرية اتصل بالعراقيين وكان من العناصر البارزة التي شاركت في المؤامرة ضد الشيشكلي : راجع : من هو في سورية عام ١٩٤٩ ، ص٢٩٥ . ومحمد حسنين هيكل ، ما الذي جرى في سوريا ، ص ٧٦ – ٧٩. وباتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص٢١٩ – ٢٢٠ .

أُقصي عنها حزب البعث [1] . واقتصرت على أعضاء الحزبين الشعب والوطني وبعض المستقلين [2] .

وفي غمرة أوهام قادة سورية العتيدين أن بالإمكان قطع سير الزمن والعودة إلى الماضي افتتح ناظم القدسي جلسات المجلس النيابي في ١٥ آذار [3] وتقدم العسلي ببيانه الوزاري الذي أكّد أن الحكومة ستقوم على دعامتين : الحرية الكاملة ضمن حدود القانون،

---

(١) – ذُكر أن سبب إقصاء حزب البعث معارضة حكومة العراق إشراكه في السلطة ، وقيل أنه رغب عن ذلك ، أو أنه أمعن في المزايدة مطالباً بأكثر من حصته . راجع : جلال السيد ، حزب البعث العربيء ص ١٢٢ – ١٢٦ .

(٢) – تشكلت الوزارة بموجب المرسوم رقم /٢/ الصادر في ١٩٥٤/٣/١ وضمت : فاخر الكيالي (حزب وطني) وزارة الاقتصاد الوطني . من حلب حائز على دوكتوراه في القانون من جامعة باريس ولم يشغل أي منصب سياسي من قبل . محمد سليمان الأحمد ، الشاعر المعروف ببدوي الجبل ، (حزب وطني) وزارة الصحة ، انتخب نائباً عامي ١٩٣٦ و١٩٤٣ ولم يتسلم من قبل حقيبة وزارية . رشاد جبري وزارة الأشغال العامة . من دمشق تلقى علومه في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم في انكلترا ونال شهادة مهندس ميكانيكي من الولايات المتحدة . عمل في شركة الأبي سي من عام ١٩٣٦ حتى ١٩٤١ وصُرف من الخدمة لاتهامه بالرشوى ، عُين من عام ١٩٤٥ – ١٩٤٩ مديراً عاماً للشركة الخماسية وهو من قادة (حزب الشعب) . عزت الصقال . من حلب حائز على إجازة في الحقوق من الجامعة اليسوعية في بيروت ، مستقل ، تولى وزارة العدلية . عفيف الصلح . من صيدا درس الحقوق في استانبول وشارك في معارضة الأتراك ، اتهم ، دون دليل ثابت ، بأنه أعطى جمال باشا لائحة بأسماء الأحرار الذين أعدموا ، انضم إلى الكتلة الوطنية وشارك في النضال ضد الافرنسيين ، انتخب نائباً عن دمشق عامي ١٩٣٦ و ١٩٤٣ وشغل منصب وزير مفوض في بغداد عامي ١٩٤٧ و١٩٤٩ أصبح وزير دولة في وزارة العسلي . معروف الدواليبي (حزب الشعب) وزارة الدفاع ، فيضي الأتاسي (حزب شعب) وزارة الخارجية ، منير العجلاني (مستقل) وزارة المعارف . حسن الأطرش (مستقل) وزارة الزراعة . علي بوظو (حزب الشعب) كردي من دمشق ومن كبار ملاكيها تولى وزارة الزراعة عام ١٩٥٠ وشغل في وزارة العسلي حقيبة وزارة الداخلية . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٣٧٩ – ٣٨١ . وراجع :

F. o / 371/ 111143/ Sec Mes / No 54 , dated 9 Mars 1954 .

(٣) – للتدليل على عدم شرعية عهد الشيشكلي استأنف المجلس النيابي جلساته في دورته العادية الثالثة ، وألقى رئيس المجلس خطاباً توجه فيه بالشكر إلى الجيش " لوقفته النبيلة مع الشعب في محنته". راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٣٧٨ – ٣٨١ .

وسيادة القانون على الحاكم والمحكوم ، وأنها ستعمل على استكمال المؤسسات الدستورية وتنظيم انتخابات نيابية حرة ، وتعديل دستور ١٩٥٠ بما يكفل توازن السلطات [١] . وفي جلسة ١٧ آذار تمّت مناقشة البيان الوزاري وحمل حزب البعث لواء المعارضة ، وهدد الحوراني بحشد الفلاحين وصغار الكسبة لتحطيم نير الإقطاع والرأسمالية إذا ما تلكأ النظام في استئناف مسيرة الإصلاحات الاجتماعية – الاقتصادية . وقد نالت الحكومة الثقة بنسبة ٨٥ صوتاً مقابل ١٥ [٢] . اهتمت حكومة العسلي بثلاث قضايا : استبعاد بقايا النظام السابق ، ابعاد الجيش عن السياسة ، تقليص دور حزب البعث .

ألغى العهد الجديد القوانين والمراسيم الصادرة في عهد الشيشكلي مثل : قانون الأحزاب ، قانون الصحافة ، قانون الانتخابات وأقرّ المجلس النيابي قانون إعادة الضباط المسرحين أو المحالين على التقاعد [٣] . واعتمدت الحكومة سياسة عنيفة تجاه المتعاونين والمتعاملين مع النظام السابق ، فأقالت النواب الذين أقسموا يمين الولاء لدستور ١٩٥٣ وأجرت تطهيرات واسعة في المناصب الإدارية ودوائر الشرطة وطبقت قانون الثواب والعقاب بحق وزراء سابقين وكبار الموظفين وطالبت بإعادة ما قبضوه من رواتب . وألغت رخصة حزب حركة التحرير وأوقفت نشاطاته في كل البلاد . وعزلت بعض الضباط من جماعة الشيشكلي وأبعدت آخرين عن مراكزهم . ومن ثم تضاءل تدريجاً اهتمام الحكومة بهذه القضية واستعادت حركة التحرير شرعيتها في المحاكم واحتل بعض الضباط الموالين للشيشكلي مواقع نافذة داخل الجيش [٤] .

---

(١) – مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٣٨٤ – ٣٨٦ .

(٢) – م . ن ، ص ٣٩٦ – ٤٢١.

(٣) – من هؤلاء الضباط نذكر : العقيد توفيق نظام الدين ، المقدم عبد الغني قنوت ، المقدم عدنان المالكي، المقدم هشام السمان ، المقدم نوفل شحم ، المقدم زياد الأتاسي . راجع : م . ن ، ص ٤٣٦ .

(٤) – سرّحت الحكومة ، عبد الحميد خليل أمين عام وزارة الداخلية ، حمدي الصالح مدير الشرطة والأمن العام ، فؤاد الشايب مدير الإذاعة ، العمداء في الجيش : رسمي القدسي ، عمر تمرخان ، وقاسم الخليل ، وأبعدت كل من الضباط ، عبد الحميد السراج ، أحمد عبد الكريم ، وأحمد المصري ، بعد أن تراجعت عن مرسوم تسريحهم عندما رأت في هذا ما يقوي الجناح البعثي في الجيش وقررت تعيين أمين النفوري ملحقاً عسكرياً في بغداد وأحمد عبد الكريم في أركان المنطقة الشمالية وأحمد المصري في سلاح المدفعية . راجع : مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص ٣٥٥ .

وسعى أقطاب الحكم إلى إضعاف نفوذ البعث في صفوف الضباط ، فأصدر وزير الدفاع قراراً بتعيين الضباط البعثيين البارزين ملحقين عسكريين في الخارج . فاحتج هؤلاء ورفضوا تنفيذ الأوامر وصمموا على الاطاحة بالنظام ، وقد تحكم الحوراني بتهورهم إدراكاً منه أن أي انقلاب لن يُكتب له النجاح بسبب انقسام الجيش وربما بسبب تجربته المريرة مع الشيشكلي ، وبالتالي نفذ مصطفى حمدون الأوامر والتحق بالكلية العسكرية في القاهرة وكذلك فعل العقيد البعثي نبيه صبّاغ الذي تعين ملحقاً عسكرياً في باريس [١] ، ومع أن الحوراني طالب الضباط بالتعاون مع الحكومة إلا أنه استمر يقوي نفوذ حزبه داخل الضباط كثقل أساسي ضد خصومه السياسيين ، كما عوّل على تمتين دور البعث داخل البرلمان واستخدم كعادته أساليب الضغط على الحكومة . وقد كثّف حزب البعث حملته الدعائية في أوساط الطلبة والجماهير والتفت نحو الحزب الشيوعي السوري الذي بدا عام ١٩٥٤ حزباً فعالاً جيد التنظيم واستفاد من جو الحرية الذي تلا سقوط الشيشكلي ليسجل عدة نقاط لصالحه في المدن الكبرى [٢] .

ومع بداية انتشار ميل عام نحو اليسار في سورية كان على القادة اليمينيين والتقليديين رصّ صفوفهم لمواجهة الموجة اليسارية المتصاعدة ، لكن هذا لم يحدث قط ، فما إن انطلق سهم العودة إلى الحياة الدستورية حتى بدأ يتصدع التحالف الوزاري الهش وعادت الحزازات والخلافات الحزبية والشخصية حول قسمة المناصب العليا لتشق الصف بين الحزبين اليمينين ، الشعب والوطني ، ووصل الخلاف إلى مأزق بسبب مسألة عودة الرئيس الأسبق ، شكري القوتلي ، إلى سورية بعد نفي دام خمسة أعوام وقد عارض حزب الشعب عودته وكذلك فعل الجيش وحزب البعث [٣] .

---

(١) – راجع حول الاجتماع الذي عُقد في منزل عبد الغني قنوت وضم الضباط البعثيين والحوراني: سلامة ، البعث من المدارس إلى الثكنات ، ص ١٢ .

(٢) – - W. Z. Laqueur , Communism and Nationalism in the Middle-East , p.161.

(٣) – في ١٢ نيسان نظم حزب الشعب تظاهرة في حلب ضد الدعوة الموجهة للقوتلي ، وكذلك فعل حزب البعث ، ووصفت الصحف الدمشقية القوتلي بأنه أداة في أيدي الأمريكيين وممثل للحلف السعودي – المصري . راجع :

"Developments of the Quarter", in Middle-East Journal , vol VIII 1954, p.89 .

راجع صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٣٢ ، ٢٣ نيسان ١٩٥٤ .

وفي ظل انقسام الوزارة تابعت المعارضة وضع العراقيل في وجهها وطالبت بحكومة حيادية للإشراف على الانتخابات ، واتسعت الإشاعات في بداية شهر حزيران حول احتمال قيام انقلاب عسكري وأجبرت العسلي على تقديم استقالته في العاشر منه [١]. ومما لاشك فيه أن الجيش قد لعب دوراً مهماً في إسقاط الحكومة وذلك رداً على المشروع الذي طرحته على المجلس والقاضي بالإبقاء على المرسوم الصادر في عهد الشيشكلي الذي يمنح وزير الدفاع صلاحية عزل الضباط أو إحالتهم على التقاعد ، وكان الجيش يُطالب بإلغائه كونه يعزز إلى حدٍ بعيد سيطرة الحكومة على المؤسسة العسكرية [٢] .

في الثامن عشر من حزيران ، وقبل صدور مراسيم الوزارة الجديدة ، تسلّل من لبنان العقيد محمد الصفا وتمَّ اعتقاله مع ستة ضباط آخرين ووجهت إليهم تهمة خلق فتنة داخل الجيش لاستلاب السلطة بمعونة دولة أجنبية [٣] . ولما كان العقيد الصفا قائد حملة المعارضة ضد الشيشكلي من العراق ، يمكن الافتراض أن حكومة بغداد كانت وراء حركته وذلك للضغط على السياسيين السوريين للتحرك باتجاه الإتحاد مع العراق [٤] . تلك القضية التي كانت مؤهلة لتشغل حيزاً واسعاً في السياسة السورية نظراً للمساعدة الفعّالة التي قدمتها العراق للمعارضة السورية ، وقد تجنب القادة السوريون التطرق لهذه المسألة . وعندما لمّح العسلي إلى إمكانية مشاركة سورية في المباحثات الجارية حول

---

(١) – صحيفة الرأي العام ، عدد ٤٤ ، ١٥ أيار ١٩٥٤ .

(٢) – راجع مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٨٠٥ – ٨٠٦.

(٣) – لقد أنكر العقيد الصفا تهمة تآمره مع العراق وصرح عشية اعتقاله أنه " شكل حركة المقاومة ضد الشيشكلي بمساندة السوريين المعارضين للحكم وبأوامر من الرئيس هاشم الأتاسي ، وأنه ليس لديه أية مطامع سياسية ، ولا هو عميل للعراق بل مواطن سوري مخلص" . راجع صحيفة السوري الجديد، حمص ، عدد ١٨ حزيران ١٩٥٣ . وبعدما أطلق سراحه قسّم الصفا وقته منذ عام ١٩٥٥ بين بغداد وبيروت ونظّم مع رئيس الأركان العراقي " الجيش السوري الحر " الذي أعد لغزو سورية عام ١٩٥٦ . وقد كشفت الخطة محاكمات الضباط العراقيين في محكمة الشعب برئاسة المهداوي . وذُكرَ أنه أقيم مخيم سري في قبرص لتدريب الجيش ومُنع الضباط والجنود من مغادرة المخيم حتى لا تنتهك الأسرار . راجع : محكمة الشعب ، محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة ، ج١ ، ١٩٥٩، ص ٦٤ ، ٢٩٩ .

(٤) – حول تفاصيل هذه القضية راجع : باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص ٢٢١ – ٢٢٣ .

الحلف التركي – العراقي. أثار تصريحه احتجاجاً عنيفاً أجبره على التزام الوعد الذي قطعه في بيانه الوزاري بألاً يورط البلاد بالتزامات سياسية خارجية قبل الانتخابات البرلمانية [١] .

في ١٩ حزيران صدرت مراسيم وزارة سعيد الغزي [٢] ، وزارة حيادية ضمت أعضاء من خارج البرلمان من محامين وقضاة تمتعوا بالنزاهة والسمعة الطيبة [٣] . وقد أعلن الغزي في بيانه الوزاري المختصر أن حكومته ستلتزم " إطار الحياد التام الذي سيكفل إجراء انتخابات حرة ونزيهة ، وستسعى إلى الحفاظ على الصلات الأخوية بين الدول العربية في إطار الجامعة العربية " [٤] .

عكفت الحكومة الجديدة على تهيئة الأجواء الملائمة للانتخابات النيابية ، وراح المجلس يناقش التعديلات المقترحة على مواد قانون الانتخابات الصادر في ١٠ أيلول ١٩٤٩ في جلسات صاخبة امتدت حتى ٢٦ حزيران تاريخ صدور القانون الجديد [٥] الذي يُعدُّ خطوةً تقدمية في مضمار التجربة الديمقراطية ، إذ نصت المادة الثانية المعدلة للمادة ١٨ من القانون السابق ، على حق كل سوري أن يعترض على الخطأ في البيانات الانتخابية بما يخص قيده أو قيد غيره ، ونصت المادة السادسة على وجوب حصول كل مرشح للمقعد النيابي على ترخيص من المحافظ أو القائمقام طبقاً للشروط المنصوص

---

(١) – F. o/ 371/ 115942/ Syria , Annual report for 1954 , cofidential No19 , Feb 4 , 1955 , p.9 .

(٢) – سعيد الغزي من كبار العائلات الدمشقية المالكة ، حقوقي من الاستانة ، زاول المحاماة في دمشق ، انتخب نائباً في الجمعية التأسيسية عام ١٩٢٨ ، تقلد وزارتي العدلية والمالية عام ١٩٣٦ ، انتخب نائباً في العوام ١٩٤٣ و ١٩٤٧ و ١٩٤٩ . وهو مستقل سياسياً . راجع من هو في سورية عام ١٩٤٩ ، ص ٣٢٨ .

(٣) – سعيد الغزي رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع ، اسماعيل القوتلي وزير الداخلية (كردي من دمشق قاضي سابق) ، أسعد كوراني وزير العدل والاقتصاد ، عزت الصقال وزير الخارجية والمالية، نهاد القاسم وزير الزراعة والمعارف ، نبيه الغزي وزير الأشغال العامة والصحة . راجع: مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم ٢ للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ٩٥٤ – ٩٥٥ .

(٤) – راجع نص بيان الغزي في المصدر نفسه ، ص ٩٥٥ – ٩٥٧ .

(٥) – راجع نص قانون الانتخابات المعدل في المصدر نفسه ، ص ١٠٦٩ – ١٠٧١ .

عليها في القانون ويحق لكل سوري أن يطعن بصحة نيابة أي مرشح أمام المحكمة العليا، ونصت المادة السابعة على عدم إقامة مركز في الأماكن التي لا تتأمن فيها حرية الناخبين. وقضت المادة الثامنة بأن تكون مغلفات التصويت على نمط واحد وبلون واحد ومن النوع الذي لا تظهر الكتابة من خلالها " وأن يضع الناخب ورقة التصويت بنفسه في حجرة التصويت المغلقة ويلصق المغلف قبل مغادرة الحجرة " .. " وبعد الانتهاء من عمليات الاقتراع تحصي الهيئة الانتخابية المغلفات التي يحتويها الصندوق فإذا تبين أن عددها يزيد عن عدد المقترعين المسجلين بأكثر من ١٠٪ يُلغى مركز الاقتراع أما إذا كانت أقل من ٥٪ تتلف هذه النسبة دون النظر إلى مضمونها [1] .

قدّم اعتماد الغرفة السرية ضمانة لنزاهة العملية الاقتراعية إذ جعلت الناخب بمعزل عن وسائل التهديد والارهاب التي كانت تمارس سابقاً وفي٢٨ تموز صدر مرسوم رئاسي حدّد موعد الانتخابات في ٢٠ آب وزاد عدد النواب من ١٣٩ إلى ١٤٢ نائباً [2] .

إن أول مشكلة واجهتها حكومة الغزي هي تعاظم الحركة النقابية التي عانت من تسلط نظام الشيشكلي وبدأت ترفع صوتها عالياً حال سقوطه . وقد شهدت سورية منذ آذار اضرابات عمالية تطالب برفع الأجور وتحسين ظروف العمل وشروطه ، وتعاظمت هذه الموجة نتيجة الأوضاع الاجتماعية – الاقتصادية السيئة وتواني الحكومة عن اتخاذ إصلاحات جذرية وبسبب تغلغل الأحزاب اليسارية داخل الاتحادات النقابية [3] في ٢٨ آذار أضرب عمال شركة الكهرباء في دمشق مطالبين برفع

---

(١) – من الجدير ذكره أن قانون الانتخابات قد أبقى على أحكام المرسوم التشريعي رقم ٨٢ الصادر في (٢تشرين الثاني ١٩٤٩) الخاص بانتخابات البدو وذلك لدورة انتخابية واحدة ريثما يتم إحصاء العشائر الرحل . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم/٢/ للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، جلسة ٢٤ حزيران ، ص١٠٦٩ – ١٠٧١ .

(٢) – صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ١٥٠ ، ٢٩ تموز ١٩٥٤ .

(٣) – تطور الحركة النقابية في سورية :

	عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٤
أرباب عمل	٢٣٤	٢٥٩
عمـــال	٢٠٤	٢١٨
الاتحادات النقابية	عام ١٩٥٣	عام ١٩٥٤

أجورهم [١] . وفي١٤ نيسان أضرب عمال ١٩ مصنع غزل ونسيج في حلب وفي الأول من أيار شهدت المدن السورية الكبرى تظاهرات عمالية بتوجيه من الحزب الشيوعي[٢]. وكان أكثرها خطورة إضراب عمال النسيج في دمشق الذي استمر من ٢٥ حزيران حتى ٢٨ تموز وهدد أصحاب المصانع بإغلاقها أو نقلها إلى خارج البلاد وتحويل المباني والأراضي التابعة لها إلى الدولة ، فردَّ العمال بتظاهرة صاخبة في ١٢ تموز وفي ١٨ منه عقدت الحكومة اجتماعاً تقرر فيه أن تتولى إدارة المصانع إلى أن يقبل أصحابها توصيات اللجنة البرلمانية المكلفة بحل القضية [٣] .

وفي ٢٨ تموز صدّق المجلس النيابي على مشروع تعديل قانون العمل القاضي بزيادة الحد الأدنى لأجور العمال من ٢٠٠ إلى ٢٧٥ قرش سوري في اليوم ومنح التعديل الحكومة حق إعطاء الإذن بالاضراب وإجبار أرباب العمل على فتح مصانعهم والعمال على العودة عن إضرابهم [٤] .

وفي ٦ شباط ١٩٥٥ قامت في حلب تظاهرة عمالية ضد التشريع رقم ٢٤٣ الصادر في عهد الشيشكلي والقاضي بمنع أعضاء النقابات من الانتساب إلى أي حزب أو منظّمة [٥] وقد بلغت الحركة العمالية أوج نضالها مطلع عام ١٩٥٥ عندما قدمت إلى حكومة فارس الخوري برنامج عمل شامل لنظام الضمان الاجتماعي لحماية الطبقات الكادحة في حالات المرض والشيخوخة وعند حدوث طوارئ العمل والأمراض المرتبطة

أرباب عمل	٦	٧
عمال	١٠	١٠

راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٤ – ٥٥ ، ص ١٥٨ .

(١) – - "Developments of the quarter" in Middle-East Journal, vol VII, 1954 , p.335 .

(٢) – - Op, cit , p.89 - 457 - 458 .

(٣) – راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم/٢/ للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، ص ١١٢٣ - ١١٣٠ .

(٤) – "Developments of the Quarter" , vol IX , 1955 , p.65 .

(٥) – لقد ألغى مجلس النواب المرسوم في ١٣ شباط بعد سبعة أيام من إضراب العمال في حلب ودمشق . راجع : . Op. cit , vol X , 1956 , p.192

بالمهنة ، ولاقت هذه المطالب دعماً من المد اليساري الذي وسع نفوذه داخل إتحادات العمال [1] .

- انتخابات خريف عام ١٩٥٤

بمجيئ حكومة الغزي الحيادية ، ساد مناخ من التفاؤل بحدوث تطور نحو نظام برلماني مستقر وثابت الأركان ، بيد أنه ما إن تحدد موعد الانتخابات حتى سادت الفوضى السياسية وسقطت التحالفات ، وتشظت الأحزاب والقوى السياسية التقليدية . وحدثت صدامات في المناطق الشمالية بين أنصار البعث وجماعة الاخوان المسلمين [2] وفي حماه بين البعثيين وأنصار حركة التحرير [3] وتتالت الصدامات مما دفع بالحكومة إلى إصدار قرار بمنع التظاهر [4] . وقد سرت بعض الشكوك حول مدى قدرة الدولة على تأمين انتخابات حرة بعيدة عن تدخل الجيش كما وعدت ، هذه الشكوك دفعت بحزب الشعب إلى الإعلان عن عزوفه خوض الانتخابات ، وقد أصدر في الرابع من تموز بياناً نوه فيه بالأسباب التي دفعته إلى اتخاذ هذا الموقف [5] . مما دفع الحكومة إلى تأجيل موعد الانتخابات حتى ٢٤ أيلول وقد بررت ذلك بإضراب القضاة المكلفين البت في

---

(١) - Francois Chevalier , "Forces en presence dans la Syrie d'aujourd'hui" , Orient No4 , 1957 , p.181 .

(٢) - في ٨ تموز تظاهر الأخوان المسلمون ضد حزب البعث في حلب واتهموا البعثيين بالكفر .

راجع :

"Developments of the Quarter" , in Middle-East Journal , vol VII 1954 , p.457 .

وفي ١٢ تموز نشر رجال الدين في دمشق عريضة تدعم موقف القادة الدينين في حلب وتهاجم بعنف البعثيين . راجع :

Op. cit , p.458 .

(٣) - راجع : صحيفة الصرخة ، عدد ٣/٦١ تموز ١٩٥٤ .

(٤) - "Developments of the quarter" , vol VIII . 1954 , p.89 .

(٥) - راجع النص في كتاب الاحزاب السياسية ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

الدعاوي المقدمة من المرشحين المرفوضة أسماؤهم [١] وبالتالي عاد حزب الشعب عن سياسة الانكماش وحاول إقامة ائتلاف مع الحزب الوطني وبعض المستقلين إلا أن عودة القوتلي إلى دمشق قد حالت دون نجاح هذه المحاولة . هذا وقد انقسم الحزب الوطني إلى جناحين واحدٌ بزعامة لطفي الحفار ومخائيل اليان ومجد الدين الجابري دعا إلى خوض الانتخابات بالتحالف مع حزب الشعب في حين قاد فاخر الكيالي حملة مؤيدة للقوتلي وتوجهاته نحو السعودية وتظاهر العسلي بالحياد بينما كان يوالي اجتماعاته مع الزعماء العراقيين [٢] .

في السابع من آب عاد القوتلي إلى سورية وأثارت عودته حملة احتجاج عنيفة . فقد كان في نظر قطاع واسع من السوريين رمزاً لإفلاس النظام القديم ، عاد المناضل العتيد يحدوه الأمل في أن يستعيد ما انتزع منه بالقوة ، عاد متخذاً لنفسه صفة الحيادي الساعي إلى جمع شمل الفئات اليمينية لخوض الانتخابات في جبهة موحدة لمواجهة المد اليساري وضغط الجيش، وقد وجّه دعوات ملحة إلى الاتفاق وعقد عدة اجتماعات وأصدر عدة بيانات ، ولما فشل في مسعاه عاد من حيث أتى [٣] .

خاض حزب الشعب المعركة الإنتخابية بحذر فتجنب إثارة موضوع الإتحاد مع العراق وأكد على استقلال سورية ونظامها الجمهوري ، وقد اتهم بأنه تلقى أموالاً من العراق لدعم حملته [٤] . أما الحزب الوطني فقد ركز على ماضيه المجيد ضد الانتداب

---

(١) — مارس حزب الشعب ضغطاً على الحكومة لحملها على تأجيل الانتخابات حتى يتسنى له تحديد سياسته وتوجهاته ، ولإبعاد احتمال تدخل الجيش في المعركة الانتخابية . راجع :
F. o / 371/ 115942 , Syria , Annual report for 1954 , confidential , No19, Feb 4/1955 , p.2 .

(٢) — اجتمع العسلي ومخائيل اليان في بيروت في ٨ حزيران مع الجمالي وبابان وبحثوا امكانية تنفيذ وحدة الهلال الخصيب عن طريق هجوم عراقي مسلح على سورية. راجع : محكمة الشعب ، محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة ، ج١ ، بغداد ١٩٥٩ ، ص٦٤ .

(٣) — حول عودة القوتلي وتحركاته راجع : نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤٤٩ – ٤٥٠ .. وغسان التويني ، منطق القوة ، ص ٩٧ – ٩٨ .

(٤) — صحيفة الصرخة ، دمشق ، عدد ٦١ ، ٣ تموز ١٩٥٤ .

ودعا إلى تقوية النظام الجمهوري الديمقراطي . واتُهم بأنه تلقى دعماً من كبار رجال الأعمال والصناعيين ومن السعودية والولايات المتحدة [1] . هذا وقد تحالف الحزبان التقليديان في المناطق التي واجها فيها نفوذ حزب البعث وتنافسا في مناطق أخرى واستمرا يعتمدان الأساليب السياسية البالية مما أفسح المجال أمام بروز القوى الجديدة التي كان أنصارها أكثر مهارة وتدريباً وتنظيماً عقائدياً [2] .

أطل خالد العظم على المعركة الانتخابية في أواخر تموز وشكل قائمة من المستقلين وأعلن عن برنامج عمل سياسي قائم على رفض التعاون مع القوى الغربية الداعمة لإسرائيل ، وطرح منهاجاً اقتصادياً – اجتماعياً لتحديث الزراعة والصناعة ورفع مستوى العمال وتحسين أوضاع العمل [3] . ولما كان العظم تواقاً إلى كرسي الرئاسة ويكن حقداً شخصياً لزعماء الحزبين اليمينيين التفت نحو اليسار وتحالف في دائرة دمشق مع مرشح الحزب الشيوعي خالد بكداش ودعم المرشح البعثي صلاح الدين البيطار [4] .

دعا الحزب الشيوعي السوري ، الذي لم يكن مرخصاً له حتى ذلك التاريخ ، إلى خوض الانتخابات في جبهة وطنية تقدمية ، ولما رفض حزب البعث التحالف معه ، خاض الانتخابات بمرشحين مستقلين تحت شعار محاربة الاقطاع والرأسمالية والامبريالية [5] . ودخل حزب البعث المعركة بحيوية ونشاط فائقين : حملة دعائية

---

(1) – راجع ، صحيفة الشباب ، حلب ، عدد ١١ تموز ١٩٥٤. وما كتبه العظم حول دعم الشركة (الخماسية) للحزب الوطني ، في مذكراته ، ج٢ ، ص٢٩٤.

(2) – F. o. 371/115942/ Annual Report for 1954 , Confidential No19, Feb 4, 1955 - p.4 - 5 .

(3) – راجع : العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص٢٩٣ – ٢٩٤ .

(4) – F. o/ 371/ 115942 , Syria , Annual Political Report .. , p.5 .

(5) – - Op, cit , p.3 .

في عام ١٩٥٤ قُدر عدد أعضاء الحزب الشيوعي بألف عضو عامل ، بيد أن أنصاره فاقوا هذا العدد بثلاثة أضعاف وتركزوا في المدن الكبرى ، والاتحادات العمالية ، وبين شرائح المثقفين من طلاب وأساتذة ومحامين ، وقد استطاع الحزب أن يتوصل إلى اختراق بسيط في صفوف قوات الأمن والجيش . راجع :

W. Laqueur , Communism and nationalism , p.161, cf. his book , the Soviet union and the Middle-East , London (1959), p.130, 300 .

مؤثرة حول برنامجه القومي الاشتراكي التحريري ، سباق قاس مع منافسيه الأقوياء من التقليديين والتنظيمات الدينية خطة عمل فعالة ومنظمة للحد من إذعان الفلاحين لأسيادهم. هذا وقد قاطع الاخوان المسلمون الانتخابات واستقال بعضهم من التنظيم ليخوض المعركة كمستقل . أما الحزب السوري القومي الاجتماعي فقد دخل المعركة تحت شعار " الحرب على الشيوعية " وقد قلصت علاقاته الوثيقة مع الشيشكلي فرص إيصال عدد من مرشحيه إلى البرلمان على الرغم من تنظيمه الفعّال وتضامن أعضائه وبرنامج عمله التقدمي سياسياً واجتماعياً [١] . وقد أحيت حركة التحرير الشيشكلية نشاطها بعد أن استردت رخصة عملها ، وذلك بفضل أمينها العام مأمون الكزبري ، وخاضت الانتخابات بـ١٥ مرشحاً وتضامنت مع قوائم المحافظين في دمشق وحماه وأخيراً رشح الحزب التعاوني الاشتراكي زعيمه فيصل العسلي وأعضاءه البارزين مثل : المحامي سيف الدين مأمون والصحفي منير الريس وتركز نشاطه في دمشق وحماه .

جرت الانتخابات على جولتين الأولى في ٢٤ و ٢٥ أيلول والثانية في ٤ و ٥ تشرين الأول وسط أجواء من الحياد والنزاهة جديرة بأرقى الشعوب الديمقراطية : الجيش لازم ثكناته، قوات الأمن تولت الإشراف على حسن سير العملية ، الحكومة اتخذت التدابير الفعّالة لصيانة حرية الناخب فقامت عشية الانتخابات بنقل جميع الموظفين من المحافظات إلى مراكز جديدة لئلا تقود علاقاتهم السابقة مع الوجهاء المحليين إلى المساس بحياد الحكومة ، وباستثناء كون القوائم الانتخابية غير عصرية ولم تنقح أو تراجع منذ سنوات ، وبالتالي لم ترد فيها أسماء عدد لا بأس به من المقترعين المؤهلين ، فقد بلغت نسبة الاقتراع ٤٥٪ وأجمعت الآراء على أنها أول انتخابات حرة في العالم العربي .

كشفت نتائج الانتخابات عن تبدل في ميزان القوى السياسية تمثل في انطلاقة قوى جديدة على المسرح السياسي [٢] فقد انبثق عنها مجلس مختلف عن مجلس عام

(١) – راجع برنامج الحزب في كتاب الاحزاب السياسية في سورية ، ص ٧٠ – ١٢٧ .

(٢) – المعلومات حول انتخابات خريف ١٩٥٤ مستقاة من المصادر التالية :الصحف السورية الصادرة بين نهاية أيلول حتى السابع من تشرين الأول . خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٢٨٥ – ٣٠٧ . باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص ٢٢٧ – ٢٥٤ . وراجع الدراسة التي أعدها :
R. Crow, Astudy of the political forces in Syria, p.12 -19, cf. f. chevalier, "Forces en presence dans la Syria ..", p.175 - 185 . cf, G. Torrey, Syrian Politics .., p.252 - 263

١٩٤٩ حيث هيمن حزب الشعب وفرض ذاته كقوة سياسية بمواجهة الجيش ، أما مجلس عام ١٩٥٤ فقد اتسم بتعددية كتلة وتباين اتجاهاتها مما أفقده القدرة على اتخاذ قرارات بالاجماع وقلص دوره كمؤسسة مجسدة للنظام الديمقراطي .

كانت خسارة حزب الشعب ملموسة : ٣٠ مقعداً تشكل ٢٤٪ من البرلمان الموسع مقابل ٤٠٪ في برلمان ١٩٤٩ . ونال الحزب الوطني ١٣ مقعداً ، وحزب البعث ١٦ بالاضافة إلى ستة أعضاء مناصرين له وبذلك حقق هذا الحزب نصراً لا سابق له لأي حزب راديكالي في العالم العربي ، ويرجع الفضل في ذلك إلى الاكتساح الكامل الذي حققته قائمة الحوراني في حماه ومعرة النعمان ضد قائمة المحافظين بزعامة حسني البرازي وعبد الرحمن العظم ، كذلك إلى اتساع نفوذ الحزب في دوائر انتخابية أخرى مثل اللاذقية وجبل الدروز وخاصة في الأوساط الريفية التي انفتحت على الأفكار العقائدية الثورية . وقد وصل إلى البرلمان تسعة من مناصرين الشيشكلي ومرشحان عن الحزب السوري القومي الاجتماعي (بديع اسماعيل وحنا الكسواني) وفشل الحزب في إيصال أمينه العام عصام المحايري وغيره من المرشحين ويعزى ذلك إلى اتساع الموجة المعادية للغرب في سورية . ونال الحزب التعاوني الاشتراكي مقعدين (فيصل العسلي وأحمد اسماعيل) وأوصل الحزب الشيوعي أمينه العام ، خالد بكداش ، إلى البرلمان ، ومن المؤكد أن تدخل الحكومة قد حال دون نجاح خمسة مرشحين شيوعيين[١]، وبذلك أصبح بكداش ثاني نائب يُنتخب في برلمان عربي (كان الأول عبد القادر اسماعيل انتخب في العراق في انتخابات ١٩٣٧) ، وقد حصل بكداش على المرتبة الثالثة من الأصوات في دمشق ويرجع ذلك إلى أصوله الكردية وشخصيته ، كما يرجع ذلك إلى الظروف الاجتماعية التي ساهمت في شيوع المبادئ الشيوعية في سورية " [٢] . أما باقي المقاعد فكانت من نصيب المستقلين (٦٣ نائباً) وستة نواب للعشائر .

---

[١] – ذكرت في عدة مراجع :

M. Halpern , "the Middle-East and North Africa" , in Black and thorntan (ed): Communism and Revolution . Princeton N. J. 1964 , p.314. cf. F. chevalier , Forces en presence .. , p.140 , cf. T. Petran , Syria , p.108 .

[٢] – F. o/ 371/ 115942 , Syria , Annual Political Report for 1954 , Feb 4 , 1955 . p.5 - 7 .

سرعان ما توزع النواب على عدة كتل برلمانية منها ما يمثل قوى جديدة مثل الكتلة البرلمانية التي ضمت ٣٨ نائباً ، ولم تكن حزباً منظماً ولا حركة سياسية ذات برنامج محدد واديولوجية اجتماعية بل كانت تجمعاً حول خالد العظم ضمَّ عناصر متنوعة ذات جذور اجتماعية محافظة من ملاكي الأراضي وأعيان الأرياف ومن أصحاب الشركات وكبار التجار الدمشقيين . وتشكل تجمع آخر حول مأمون الكزبري تحت إسم " الكتلة الحرّة " ، ثم الكتلة الاسلامية بزعامة محمد المبارك ، فكتلة المستقلين " بزعامة منير العجلاني وسعيد الغزي ، وأخيراً كتلة العشائر ، والتجمعات الحزبية العقائدية المعروفة [١] .

كانت هذه التكتلات نظرية لا تكشف عن الواقع الحقيقي للقوى السياسية ، ويمكن القول أن اليساريين كانوا الكتلة المتفوقة بمثليها داخل البرلمان ، الحوراني وبكداش اللذان اكتسحا الساحة البرلمانية كأفصح الخطباء وأقواهم حجة ، وقد أتاحت المواهب الفردية لزعيمي اليسار إسماع أصوات اليسار في البرلمان كما بين جماهير الشعب السوري الشابة . ولم تكن تلك الانطلاقة الحديثة لليسار السوري ذات وزن سياسي بارز قياساً بالقوى اليمينية المنافسة له التي سيطرت على مراكز السلطة العليا وفي المناصب الإدارية، وكان نفوذها قوياً في الجيش والشرطة والأمن الداخلي والاتحادات النقابية هذا بالاضافة إلى هيمنتها الكاملة على القطاعات الاقتصادية في الأرياف والمدن [٢] ، ولقد تجلت هذه الحقيقة على الأرض يوم افتتح المجلس الجديد أول جلساته في ١٤ تشرين الأول ١٩٥٤ حيث نجحت القوى القديمة في إيصال ناظم القدسي إلى رئاسة المجلس بأغلبية ٧٨ صوتاً مقابل ٣٤ نالها سعيد الغزي مرشح كتلة العظم وحزب البعث العربي الاشتراكي [٣] وعندما كلف الأتاسي خالد العظم ، زعيم أكبر الكتل الجديدة ، تشكيل الوزارة ، رفض حزب الشعب والوطني وكتلة منير العجلاني تأييده فاضطر إلى

---

(١) - قدم العظم في مذكراته لوحة كاملة للتكتلات السياسية البرلمانية.راجع الجزء الثاني منها، ص٣٠٢-٣٠٧ .

(٢) - F. Chevalier , Forces en presence .., p.181 .

(٣) - مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم ٢ للعام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، ص ٣ - ٥ .

الانسحاب من الميدان [1] لتتشكل في ٢٩ منه حكومة يمينية برئاسة السياسي المسيحي المخضرم ، فارس الخوري، سيطر على حقائبها العشر حزب الشعب [2] ، هذا وإن التحول في ميزان القوى قد تسارع عام ١٩٥٥ لصالح القوى الجديدة ولا يمكن أن يُعزى ذلك إلى تطوّر اجتماعي مماثل في أوساط الطبقات الوسطى والصغيرة التي كان يمثلها حزب البعث بل كانت نتيجة التقلص المنهجي للقوى اليمينية الناجم عن انقسامها إلى كتل متصارعة ذات توجهات سياسية متباينة وقابلة للاختراق حيال سياسة سورية العربية والضغوط الغربية لاخراج دول الشرق الأوسط في الحرب الباردة .

– سورية أمام قضية " حلف بغداد "

كانت الانتخابات مرحلة حاسمة في مسيرة نظام ديمقراطي سليم ، وقد تطلب تطوره قيام تكتل نيابي يؤمن أكثرية متماسكة ومتحدة في نهجها السياسي ، ولم يكن بين الكتل القوية خلافات عقيديّة تحول دون ذلك ، بيد أن غلبة التحزبات الأنانية الضيّقة والمطامع الشخصية جعل قيام هذا التكتل مستحيلاً ، وبالتالي فشل المجلس الجديد في أن يكون مجلساً منتجاً يناقش بهدوء واتزان القضايا الداخلية والخارجية وفق مصلحة البلاد الحقيقية . وفي ظل هذا التشرذم، عادت سورية لتصبح من جديد بؤرة تنافس حاد بين حكام القاهرة وحكام بغداد حول زعامة العالم العربي .

---

(١) – لعبت بعض الاعتبارات الداخلية والدولية دورها في فشله بعد أسبوعين من المشاورات . وقد تهجمت بعض الصحف السورية على العظم متهمة إياه بالعمالة للافرنسيين . راجع : صحيفة الانشاء، دمشق، عدد٣٩٤٠، ٤ تشرين الأول ١٩٥٤. وراجع : مذكراته ج٢، ص ٣٠٧–٣١٠

(٢) – الرئاسة فارس الخوري (من خارج البرلمان) . الخارجية فيضي الأتاسي (حزب شعب) . العدلية علي بوظو (حزب شعب) . الداخلية أحمد قنبر (حزب شعب) . الصحة محمد سليمان الأحمد (حزب وطني) . التربية والتعليم د. منير العجلاني (مستقل) . الأشغال العامة والمواصلات مجد الدين الجابري (حزب وطني) . المالية د. رزق الله انطاكي (حزب شعب) . الاقتصاد الوطني د. فاخر الكيالي (حزب وطني) . الزراعة عبد الصمد الفتيح (كتلة العشائر) . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ . مرسوم رقم ٢٣٠٦ ، ص ٢٩ .

تزامنت عـودة النظـام الديمقـراطي إلـى سوريـة مـع قيـام التحـالف الـتركي – الباكستاني (٢ نيسان ١٩٥٤) برعاية بريطانيا وقد تُرك بابه مفتوحاً لمن يرغـب مـن دول منطقة الشرق الأوسط [١] . ولمـا كـانت المعـاهدة البريطانيـة – العراقيـة قد اقتربت مـن نهايتهـا ، شـجعت حكومـة لنـدن العـراق علـى الدخـول فـي الحلـف للحفـاظ علـى النفـوذ البريطـاني وللحد من التعدي الأمريكـي علـى قواعدهـا فـي الشـرق الأوسـط [٢] . وأرادت بغداد بدورها أن تأخذ دور قيادة العرب في ميثاق دفاع إقليمي مدعوم من الغرب .

كان حلف بغداد في بداية تكوّنه وكان من المتوقـع أن تنضـم إليـه لبنـان والأردن وربما سورية بعـد أن أعادهـا النظـام الجديـد إلـى أحضـان العـراق وبـدا مـن الواضـح أن منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط ستتكوّن رغماً عن مصر وستحظى بالمساعدات الغربية وسيعترف الغرب للعراق بالزعامة على العالم العربـي " . وأمـام هـذه المعطيـات تحـرك قادة مصـر لمنع العـراق مـن الدخـول فـي الحلـف الـتركي – الباكسـتاني وإقنـاع الولايـات المتحدة أن الدفاع عن الشرق الأوسط يمكن أن يُنظم في إطار جامعة الـدول العربيـة دون استبعاد قيام تعاون وثيق مع تركيا ، هذا المخطـط سيتيح لمصـر ، أن تبقـى أمينـة علـى مبادئ القومية العربية المعادية للتحالفات الغربيـة وبذلـك تجسـد علـى الأرض تفوقهـا فـي العالم العربي [٣] . وعليه وخلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٥٤ لم يترك جمال عبد الناصـر مناسبة إلاّ ودعـا فيها الدول العربية إلى الاعتماد على ذاتهـا للدفـاع عـن كيانهـا ، وراح يذكّر دائماً بميثاق الدفاع العربي الاجماعي ويهاجم المنافقين المدعين العروبة الذيـن يفضلون الدخول في تحالفات غير عربية لا تخدم إلاّ المشـاريع الامبرياليـة ، وفـي الزمـن نفسه قدم عبد الناصر للغـرب براهيـن عـن مـدى تفهمـه للمصـالح الغربيـة فـي المنطقـة ، وضـاعف نداءاتـه إلـى الولايـات المتحـدة لكسبها إلـى جانبـه فـأعلن بوضـوح حربـاً علـى الشيوعيين العرب ، وذهب أبعد من ذلـك عندمـا صـرّح " أن الخطـر الوحيـد الـذي يهـدد الشرق الأوسط هو الاجتياح السوفياتي وأن الحياد مسـتحيل وعلـى مصـر أن تتعـاون مـع

---

[١] – راجع نص ميثاق الحلف في : Middle-East Journal , vol VIII , 1954 , p.337

[٢] – للتوسع حول السياسة البريطانية بما يخص المسألة العراقية . راجع :
Sir Anthony Eden , his Memoirs , Vol III , full circle , London 1960 , p.221 - 223 .

[٣] – M. Colombe , l'Egypte et le nationalisme arabe , p.123 .

الغرب ضد التهديد المزدوج للشيوعية والسوفيات " [١] . هذا التراجع الصريح عن سياسة الحياد ترافق مع مرحلة شهدت تأزماً في العلاقات بين دمشق والقاهرة ، إذ لم ينس السوريون تهجم القاهرة العنيف على الجبهة السياسية المتحالفة التي أطاحت بصديق مصر الشيشكلي ، كما لم ينظر السوريون الديمقراطيون بعين الود إلى النظام العسكري القائم في القاهرة ، وقد اصطفوا إلى جانب محمد نجيب في صراعه ضد ديكتاتورية عبد الناصر ، وبرز الموقف السوري في ذلك الاستقبال الحافل الرسمي للصحفيين المصريين أحمد ومحمود أبو الفتح عندما التجأا إلى سورية في منتصف أيار بعد أن صادرت حكومة الضباط أملاكها وألغت جنسيتهما بسبب دفاعهما من مبادئ الديمقراطية وحرية التعبير[٢]، ولما تأزمت العلاقات بين قيادة الثورة وتنظيم الاخوان المسلمين مع اقتراب نهاية المفاوضات الدائرة بين القاهرة ولندن حول مسألة القناة ، لاقى حسن الهضيبي المرشد الأعلى للإخوان المسلمين ترحيباً بالغاً من السوريين خلال زيارته لدمشق في الأسبوع الثاني من شهر تموز [٣] . وقد أثارت اتفاقية الجلاء ، الموقعة في ٢٧ تموز بين مصر والمملكة المتحدة ، عاصفة من النقد في الصحف السورية ، ورأت صحيفة البعث أن هدفها تقوية النظام المصري القائم وأن ثمن الجلاء سيورط العرب في حبال التحالفات الامبريالية [٤] . ولما فجرت اتفاقية القناة الأوضاع داخل مصر ، حيث اعترضت على

---

(١) – نص هذه التصريحات في :
Cahiers de l'Orient contemporain , Vol XXVII , 1954 , p.124 - 125 .
راجع أيضاً : تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٤٨ – ٥٥ ، ٦٧ – ٦٨ .

(٢) – كان أحمد أبو الفتح صاحب صحيفة " المصري " الناطقة باسم حزب الوفد ، وعندما التجأ مع أخيه إلى سورية أقيمت على شرفهما عدة مآدب حضرها رئيس مجلس الوزراء والوزراء ، وشنت الصحف السورية حملة ضد ضباط الثورة تناولت المعاملة التي عومل بها الاخوان " أبو الفتح " اللذان غادرا سورية إلى العراق حيث منحهما نوري السعيد الجنسية العراقية . حول هذه النقطة راجع : أحمد أبو الفتح ، جمال عبد الناصر ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٢٣ .

(٣) – أمضى الهُضيبي خمسة أسابيع في دمشق وقد استقبل عند وصوله في ٨/٧/٥٤/ استقبالاً رسمياً حافلاً . راجع : صحيفة الأخبار ، دمشق ، عدد ٣٤٦٢ / ١٠ تموز ١٩٥٤ .

(٤) – البعث ، دمشق ، عدد ٢٩ تموز ١٩٥٤ . وقد علقت صحيفة النصر ، حلب ، بأن الاتفاقية

بنودها ، منظمة الاخوان المسلمين التي تمتعت بدعم اللواء محمد نجيب ، سارعت حكومة الضباط إلى إبرام معاهدة الجلاء (٥٤/١٠/١٩) التي وضعت حداً للاحتلال العسكري البريطاني لمصر مع التأكيد على حق عودة القوات البريطانية إلى القناة في حال تعرض أية دولة عربية أو تركيا إلى هجوم مسلح من قبل قوى أجنبية ، وقد ظهرت الاتفاقية وكأنها رباط مع حلف الناتو [١] ، وكان التنازل كبيراً لدرجة أن لم يتجرأ عليه أي رئيس وزراء مصري سابق وقد أقدم عليه عبد الناصر لقاء وعد من واشنطن بأنها ستترك لمصر دور القيادة في تنظيم ميثاق إقليمي عربي غير متحالف مباشرة مع الغرب أو تركيا [٢] ، وفي صباح ٢٦ تشرين الأول ردّ الاخوان المسلمون على هذه التنازلات بثماني رصاصات أطلقها محمود عبد اللطيف على عبد الناصر وهو يلقي خطاباً في الإسكندرية فأخطأه ، وبدأت عقب ذلك حملة اعتقالات واسعة في صفوف التنظيم دفعت قادته إلى نقل مركز قيادتهم إلى سورية ، ومنها قادوا حملتهم ضد نظام القاهرة ، وقد رفضت الحكومة السورية الانحناء أمام المطالب المصرية بتسليم المطلوبين أو طردهم من البلاد [٣] .

تأزمت العلاقات بين دمشق والقاهرة في الأيام الأولى لحكومة فارس الخوري فقد عمت التظاهرات العنيفة المدن السورية احتجاجاً على أحكام الإعدام الصادرة بحق الهضيبي وستة من قادة التنظيم وتتالت من ٧ إلى ١٠ كانون الأول على أثر تنفيذ الحكم بالستة المحكومين ، وقد أثيرت القضية في جلسة مجلس النواب واستنكر أكثرية النواب ما أطلقوا عليه " المجزرة " ... وتدريجياً تبددت الغيوم من سماء العلاقات السورية –

ستربط مصر بالمعسكر الغربي مدة سبع سنوات راجع عدد ٣٠ تموز ١٩٥٤ ، ص ١ .

(١) – لمزيد من التوسع حول دور الولايات المتحدة في دفع مصر إلى قبول الاتفاقية ، راجع :
P. Rondot "Les Etats Unis devant l'Orient d'aujourdhui" 2eme Partie (1953 - 1955) dans Orient , No3 , Juillet 1955 , p.31 - 71 , p.47 - 49 .

(٢) – Newyork times , 4 April 1955 .

(٣) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، جلسة ٤ كانون الأول ١٩٥٤ ، ص٢١٩ – ٢٢٠ .

المصرية وراحت القاهرة تتقرب من السوريين لكسبهم إلى جانبها في معركتها المقبلة ضد حلف بغداد [1].

في شهر كانون الأول ١٩٥٤ وقبل أن يرى النور مشروع اتفاق نوري السعيد – عدنان مندريس ، دعت مصر إلى اجتماع لوزراء الخارجية العرب في القاهرة ، وتوصل المؤتمرون ، بتوجيه من عبد الناصر ، إلى إقرار التوصيات التالية : " ١ – تتركز السياسة الخارجية للدول العربية على ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي وميثاق الأمم المتحدة ولا تقر عقد أحلاف غير ذلك " ، (وقد تحفظ العراق على الفقرة الأخيرة) ، ٢ – إن التعاون مع القوى الأجنبية يجب أن يستند على أساس حل القضايا العربية حلاً عادلاً وإتاحة القوة اللازمة للبلاد العربية للحفاظ على سلامتها وكيانها دون أن تنتقص تلك المساعدات في سيادتها " . وكانت سورية الدولة الوحيدة التي اعترضت على مسألة قبول المساعدات الغربية [2] .

هذه القرارات فرغت من محتواها عندما أعلنت تركيا والعراق في ١٥ كانون الثاني ١٩٥٥ عن نيتهما بعقد ميثاق تعاون مشترك ، وهكذا وبضربة واحدة تبددت آمال القاهرة في إقامة ميثاق عربي تحت زعامتها مدعوم من الغرب ، فها هي العراق قد رسمت سياستها الخارجية ، وها هي بريطانيا تقدم دعمها الكامل للعراق فيما لزمت واشنطن جانب الصمت والتحفظ . وللتو ردَّ عبد الناصر بدعوة رؤوساء الحكومات العربية ووزراء خارجيتها إلى عقد مؤتمر استمر من ٢٢ كانون الأول حتى ٦ شباط بغياب نوري السعيد ، وكانت قراراته خيبة مريرة وقاسية لحكام مصر ، الذين فشلوا ، كما فشل سابقوهم عام ١٩٥٠ في التوصل إلى إدانة الأردن وفي وضع العراق خارج

---

(١) – في ١٣ تشرين الثاني استدعت مصر سفيرها من دمشق وفي ١٩ منه توجه الخوري برفقة شوكت شقير إلى القاهرة للتباحث حول قضية الاخوان ، ولم يصدر عن لقاء القادة السوريين والمصريين أي تصريح . إلا أن الخوري وعد بوضع حد لتحركات الاخوان داخل سورية . وأصدرت حكومته مرسوماً يمنع طلاب المدارس من التظاهر ، وقد اعترضت كتلة العظم وحزب البعث على هذا المرسوم . مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم ١ للعام ١٩٥٤ / ٥٥ ، ص ٣٠ .

(٢) – راجع النص بالعربية في : م . ن ، ص٨٥٠ والنص بالافرنسية في :
Cahiers de l'Orient Contemporain , Vol XXX 1955 , p.22

إطار الدول العربية [١] وبذلك أصبح الانفصال بين بغداد والقاهرة مؤكداً خاصة بعدما فشلت المساعي التي قام بها وفدٌ عربي لاقناع نوري السعيد بالتراجع عن موقفه [٢] وأصبح الانفصال فعلياً عشية التوقيع على الحلف في ٢٤ شباط ١٩٥٥ الذي أصبح يُعرف " بحلف بغداد " .

لم تتأخر بريطانيا في الانضمام إلى الحلف ولحقتها إيران وباكستان ، وتحفظت الولايات المتحدة عليه ورأت فيه تحقيقاً جزئياً ومرحلياً لأهدافها بإنشاء منظمة دفاع جماعي تشمل منطقة الشرق الأوسط بكاملها ، وقد حددت سياستها حيال قضايا العرب في اجتماع للدبلوماسيين الأمريكان عقد في دمشق من ١٤ إلى ١٩ كانون الأول ١٩٥٤ وصدرت عنه قرارات متحفظة وحذرة أهمها : الحفاظ على الحياد بين العرب وإسرائيل ، تقديم المساعدات للدول العربية لإقامة حكومات قوية ومستقرة [٣] ، ومن ثم راحت واشنطن تتابع مراحل تطور الحلف ورحبت بالخطوات المتخذة في هذا المجال ، ومع الإعلان عن قرب عقد الحلف وجَّه فوستردالس في ١٤ كانون الثاني ١٩٥٥ رسالة تهنئة إلى عدنان مندريس أعرب فيها عن سروره لتلقي خبر عزم الحكومتين التركية والعراقية على إبرام ميثاق هدفه تدعيم الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط [٤] . ويمكن القول أن الولايات المتحدة رحبت بكل انضمام إلى الحلف وآثرت أن تبقى خارجه ، " لأنها بذلك – حسب تصريح سفيرها في بغداد – تستطيع مساعدته بصورة أفضل من حيث أن انضمامها إليه قد يؤدي إلى ابتعاد مصر وحلفائها عن الغرب وقد يوصلها التحالف مع العراق إلى مزيد من التعقيد في علاقاتها مع اسرائيل " [٥] ... وعلى الرغم من تحفظات

---

(١) – F. Bertier , "l'Egypte et le Pacte de Bagdad" , dans Politique Etrangere , No5 , 1957, p.535 - 551 , p.535 - 540 .

(٢) – قرر المؤتمرون تشكيل وفد يضم كل من سامي الصلح وصلاح سالم وفيضي الأتاسي ووليد صلاح للتوجه إلى بغداد وإقناع الحكومة العراقية تأجيل توقيع الحلف في الوقت الحاضر . وقد أخفق الوفد في مهمته بعد مباحثات مطولة . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد ، للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، جلسة ٢٢ شباط ١٩٥٥ ، ص ٨٠٨ .

(٣) – - Cahiers de l'Orient Contemporain , Vol XXXI , 1955 , p.49 .

(٤) – -Op, cit , p.51 .

(٥) – - l'Orient , Beyrouth , 15 No V , 1955 .

واشنطن حول الحلف ، فقد أدركت مصر أن الغرب قد اختار بغداد وأنقرة لينظم معهما وخارج إطارها وبعيداً عنها مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط .

ما لبثت نتائج حلف بغداد أن ظهرت سريعاً : أولها كسر العراق لإطار جامعة الدول العربية التي حكم عليها سابقاً بأنها مؤسسة مشتتة وعاجزة ، وثانيها إحياء الصراعات العربية – العربية وإتخاذها أبعاداً حادة وخطيرة فتحت صفحة جديدة في تاريخ الدول العربية ورسمت مصيراً جديداً لهذه المنطقة من العالم .

ها هي مصر المجروحة في صميمها والمشتعلة حقداً ومرارة ، ها هي تندفع بكل طاقاتها لفرض العزلة العربية على العراق ولتبرهن للغرب أن أي تنظيم دفاعي عربي لن يكتب له النجاح بمعزل عنها ، وعليه لم تكتف برفض الانضمام إلى الحلف بل ضاعفت جهودها للحيلولة دون توسعه ، وشنت منذ مطلع عام ١٩٥٥ حملة إعلامية عنيفة وصلت إلى مستوى الطعن البزيء المطلق له العنان ، انطلقت من إذاعة صوت العرب ومن بث سري حمل إسم " صوت العراق الحر " ومن الصحف والتصريحات والخطب الرسمية ووصفت الحملة نوري السعيد بملحد وخائن للعروبة وعميل للاستعمار وأداة في أيدي الانكليز ، وصورت الحلف أمام الجماهير على أنه حلف عدائي هدفه جر الأمة العربية إلى المحور الغربي وإبقاء الشرق العربي رازحاً تحت عبء الامبريالية وبأنه الوسيلة لدفع العرب نحو عقد سلام مع إسرائيل [١] . " وقد لاقت هذه الحملة المبتذلة آذاناً صاغية لدى رأي عام عربي يميل دائماً إلى تحميل الغرب مسؤولية كل مصائب الأمة العربية " [٢] .

ولما كان جمال عبد الناصر مدركاً لبعض جوانب الخلاف بين السياسيين الأمريكان والبريطانيين ، ركز حملته ضد بريطانيا والعراق ، وجذب إلى صفه المملكة العربية السعودية التي جاهرت دائماً بعدائها للهاشميين ، فأعلنت بدورها تحفظها على الحلف ، وراحت أموال النفط السعودي تمول الحملة ضد الحلف ، وانصبت في جيوب

---

(١) – لمزيد من التوسع حول سياسة مصر تجاه حلف بغداد راجع :

F. Bertier , l'Egypte et le Pacte de Bagdad , p.535 - 551 .

(٢) – F. o/ 371/121856/ Syria , Annual Report for 1955 , Confidential No 16 , 24/1/1956, p.4 .

الضباط والسياسيين ورجال الصحافة في سورية ولبنان والأردن بحيث أصبحت النشاطات السعودية والتحالف الغريب بين عملائها واليسار مسار تعليق بعض الصحف السورية واللبنانية [1] . وقد حمَّلت لندن وبغداد حكومة واشنطن مسؤولية الحملة السعودية وحاولت لندن عبثاً إقناعها بالضغط على الرياض لإيقاف تدفق الأموال لصالح الحملة المعادية لبغداد [2] .

تحت ضغط هذه الحملة سقطت حكومة فارس الخوري ، سقطت هذه الحكومة لأنها عجزت عن الصمود أمام المعارضة لسياسة الأحلاف .

كشف الائتلاف الحكومي اليميني عن مدى هشاشته لَدُن اجتماع المجلس النيابي في الثالث من تشرين الثاني لمناقشة البيان الوزاري والتصويت على الثقة [3] فقد جرت خارج مبنى البرلمان تظاهرة طلابية نادت بحجب الثقة عن الحكومة [4] ، وتلا ذلك مناقشات حادة في المجلس ، حيث هاجم نواب البعث وبعض النواب من كتلة خالد العظم سياسة الوزارة الخارجية ، وطالبوا الخوري الادلاء بتصريح يشجب فيه كل حلف ويؤكد امتناع الحكومة عن الدخول في أية مفاوضات مع الدول الأجنبية [5] . " وعلى الرغم من

---

(1) – صحيفة البناء ، دمشق ، ٢ شباط ١٩٥٥ ، صحيفة الصرخة ، دمشق ٢١ كانون الثاني ١٩٥٥ .

l'Orient , Beyrouth , 23 Mars 1955 .

(2) – A. Eden , full circle , p.334 , 341 - 343 .–

(3) – استعرض الخوري في بيانه المسهب مراحل الحياة الدستورية في سورية وشدد على أهمية التقيد بنصوص الدستور ، وأكد أن سياسة سورية العربية مقيدة بميثاق جامعة الدول العربية . وأن علاقة سورية مع الخارج تحددها مصلحة الأمة العربية وسورية خاصة . وأن حكومته ستبتعد عن كل اتفاق يخل بهذه الأسس . راجع النص الكامل في ، مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٣ – ٥٤ ، ص٣٤ – ٣٨ .

(4) – "Developments of the Quarter" in Middle-East Journal , Vol IX , 1955 , p.65 . –

وصحيفة الحياة ، بيروت ، ٤ تشرين الثاني ١٩٥٤ .

(5) – حول وقائع هذه الجلسة ، وكلمات كل من الحوراني وبكداش وخالد العظم ، راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص ٦٧ – ٧٣ .

ثقافة الخوري وماضيه الجهادي فقد كانت تنقصه الجرأة والمهارة السياسية وصلابة الموقف دفاعاً عن آرائه ، فانحنى أمام المعارضة وأدلى بالتصريح المطلوب ... " [١] .

كانت حكومة الخوري تؤيّد عقد حلف دفاعي مع الغرب وتناصر السياسة العراقية ، بيد أنها كانت مكبلة بسلاسل ثقيلة ، ليس فقط لأنها لم تحصل على أغلبية برلمانية (٧٤ صوتاً مقابل ٤٨) بل أيضاً لأنها كانت مجبرة على مراعاة المشاعر العامة في بلاد أصبح فيها صوت الشعب المؤيد للحياد مسموعاً ، وعليه سارت هذه الحكومة في منزلقات التردد ، فتغاضت عن تصريحاتها ومالت إلى جانب الغرب مدعية أنها تعمل في إطار الجامعة العربية وأنها تتجنب الانحياز لأي معسكر عربي . ومباشرة بعد الاتفاق التركي العراقي حول مشروع الحلف ، بدأت التحركات الهادفة إلى جذب سورية إليه ففي ١٥ كانون الثاني عرَّج الوفد التركي القائم من العراق برئاسة عدنان مندريس على دمشق في طريق عودته إلى أنقرة ، وقد أجرى الوفد مباحثات إيجابية مع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء حول احتمال دخول سورية في الحلف [٢] وفي ٢٠ منه زار فاضل الجمالي دمشق ثم بيروت لتنسيق وجهات النظر بين الحكومات الثلاث [٣] وقد تجلى موقف سورية المناصر للعراق في جلسات مؤتمر رؤوساء الوزراء العرب حيث صرَّح الخوري " أن سورية تدعو إلى الحياد أيام السلم أما في حالة الحرب فإنها ستتبع مصالحها " [٤] وقد تجنب الوفد السوري إدانة موقف العراق لا بل رفض التوقيع على اقتراح أردني ينص على وضع معاهدة الدفاع المشترك موضع التنفيذ ، وتشكيل جيش

---

[١] – بهذه العبارات وصف السفير البريطاني في دمشق رئيس الوزراء الجديد .
F. o/ 371/ 115942/ Syria Annual Report for 1955 , No16 , 24 Jan 1956 p.4 - 5 .

[٢] – أكدت وكالة أنباء الأناضول مناصرة الحكومة السورية للحلف في بيان صادر بتاريخ (٦ شباط ١٩٥٥) جاء فيه : " ربما لم تخل حملة التهويش المثارة في العالم العربي بسبب الحلف من فائدة، وهي معرفة مَنْ من الدول العربية يحمل نحونا مشاعر الصداقة الحقيقية .. أنها سورية، التي قابلت بروح الصداقة والتعقل والثبات هذا التردد الذي ظهر في بعض الدول العربية بشأن القرار المتخذ بعزم وثبات بين تركيا والعراق " . النص في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٤، ٥٥ ، ص ٨٣٣ .

[٣] – صحيفة الصرخة ، دمشق ، عدد ١٧٢ ، ٢١ كانون الثاني ١٩٥٥ .

[٤] – صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٥ .

عربي بقيادة موحدة ورفض الجامعة كل انضمام إلى حلف تركيا – العراق "[1] . ونشطت الصحف المؤيدة للحكومة في تصوير الخلاف حول الحلف على أنه صراع بين مصر والعراق على زعامة العالم العربي [2] .

تفاقمت الضغوط على الحكومة السورية من جراء الحملة المصرية التي وجهت إلى الخوري تهمة السعي للانضمام إلى حلف بغداد الذي سيسلب سورية استقلالها ويحقق وحدة الهلال الخصيب لصالح الغرب ، واتهمته الصحف المصرية بأنه يتواطأ مع نوري السعيد لإضعاف جهود الجامعة العربية لتقوية الدفاع العربي ضد الدولة اليهودية [3] . ولما كانت المسألة الفلسطينية قد تحكمت دائماً بتوجهات السياسة الخارجية السورية ، جاءت المناوشات بين الجيشين السوري والإسرائيلي على الحدود لتعقّد موقف الحكومة وتوجهاتها لصالح التحالف مع الغرب ، وازداد الوضع تأزماً عندما أجبرت حكومة تل أبيب طائرة مدنية سورية على الهبوط في مطار اللد أثناء رحلتها إلى القاهرة وذلك رداً على اعتقال السوريين خمسة جنود إسرائيليين [4] . وفي ظل تلك الأجواء المتلبدة ، كان على حكومة الخوري أن تواجه اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية التي برز فيها النفوذ اليساري والمعارضة للحلف التركي – العراقي ، وتلاقت الضغوط الخارجية مع ضغوط برلمانية تمثلت في مطالبة حزب البعث بسن قانون جديد للأرض [5] وإعادة النظر في توزيع أراضي الدولة وتعديل الاتفاق مع شركة التابلان والضغط على شركة الابي سي في المباحثات الدائرة مع الحكومة لرفع رسوم المرور بنسبة ٥٠٪ من أرباح الشركة [6]

---

(١) – راجع النص في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم ١ للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص ٨٥٢ .

(٢) – صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ٣١ كانون الثاني ١٩٥٥ .

(٣) – صحيفة الجمهورية ، القاهرة ، عدد ٦ شباط ١٩٥٥ .

(٤) – للتوسع حول تفاصيل هذه القضية راجع : لفيا روكاج ، دراسة في يوميات موشى شاريت ، ووثائق أخرى ، منشورات منظمة الشعب العربية الإسرائيلية ، الشارقة ، ١٩٩٢ ، ص ٣٣ – ٣٧ ،

(٥) – نص القانون الذي قدمه الحوراني إلى المجلس في صحيفة الصرخة ، عدد ١٧٢ ، ٢١ /١٩٥٥/١ .

(٦) – حول المطاليب التي تقدم بها النواب والتي تناولت إعادة توزيع أراضي الدولة ، وقضايا شركات النفط راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٣ – ١٩٥٤ ، جلسة ١٩٥٥/١٢/٤ ، ص٢١٨ – ٢٢٠ ، مجلد رقم ١ للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، جلسة ٥٥/١/٣ ، ص٥٥ –

وأخيراً رفض المجلس النيابي التصديق على الميزانية التي قدمتها الحكومة وتضمنت حيثيات دقيقة ومعطيات اجتماعية اقتصادية هامة جداً [1] وكان العامل السياسي وراء ذلك بهدف إحراج الحكومة ودفعها إلى الاستقالة ، ومع ذلك لم تسقط الحكومة إلا بعد أن تمكنت قوى المعارضة أن تجد حلفاء لها داخل الحزب الوطني ، فقد استغل خالد العظم وحزب البعث الصراعات التقليدية بين الحزبين الرئيسيين لشق التحالف الوزاري [2] ، ومن المؤكد أن دور الجيش لم يكن هامشياً في اسقاط الحكومة ، فقد أقلقته تحركات فيضي الأتاسي وزير الخارجية المعروف بميوله نحو الاتحاد مع العراق تلك القضية التي أثارت دائماً حساسية الجيش السوري ، وقد أشار العظم في مذكراته إلى الدور الذي لعبه شوكت شقير في هذا الصدد [3] وكان رئيس الأركان يعكس في تفكيره السياسي آراء فريق من كبار الضباط المؤيدين لمصر والسعودية ، وكذلك آراء فريق صغير من الضباط القوميين بزعامة عدنان المالكي الذين كانوا حذرين من مشاريع القوى الغربية في المنطقة ، وربما كان لفرنسا دور في إسقاط الحكومة ، فقد اعتادت ، كما أشار السفير البريطاني بدمشق ، "إن تميّز دائماً بين مصالحها ومصالح القوى الغربية ، وبخاصة تلك الداعمة لحلف بغداد " [4] . هذا وإن الثقل الكبير الذي أطاح بوزارة الخوري هو التفات

---

٥٤ ، كلمة خالد بكداش ، عبد اللطيف اليونس ، حسين مريود ، عبد الهادي عباس ، ص ١١٨ – ١٢٥ . وحول المباحثات الجارية بين الحكومة وشركة الابي سي راجع :

F. o / 371/ 115968 / Confidential No 71 , 1 June 1955 , p.1 - 2 .

(١) – راجع نص مشروع الموازنة في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ص ١١٣٦ – ١١٦٩ .

(٢) – بدأت الخلافات بين الحزبين بسبب قضية الوزير فاخر الكيالي الذي اتهمه نواب من حزب الشعب وحزب البعث باستغلال منصبه كوزير للاقتصاد من أجل غايات خاصة ، وتركز الطعن حول المسؤول عن إدارة مرفأ اللاذقية الذي عينه الكيالي . كذلك أججت مسألة الطعون في الانتخابات الحزازات القديمة حيث ألغت المحكمة العليا عضوية بعض النواب المنتخبين في مناطق اللاذقية وحلب وخاف الحزب الوطني أن تجري انتخابات فرعية في ظل وزير الداخلية الشعبي احمد قنبر . حول قضية فاخر الكيالي ، راجع : صحيفة الصرخة ، دمشق ، عدد ١٧٢ ، ١٩٥٥/١/٢١ .

(٣) – راجع مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص ٣١٧ – ٣١٩ .

(٤) – - F. o / 371/ 121856/ Syria , Annual Report for 1955 , No 16 , 24 /1/1956 , p.6 .

بعض السياسيين والضباط إلى القاهرة عسكرياً وسياسياً ، والبعض الآخر إلى أموال السعودية .

– حكومة صبري العسلي (١٣ شباط – ٦ أيلول ١٩٥٥)

كانت الخلافات المستمرة بين الحزبين الشعب والوطني قد عقدت قيام تحالف بينهما وقادت إلى تشكل تحالفات جديدة وقوية ، كان أولها التحالف بين الحزب الوطني وكتلة خالد العظم وحزب البعث أنبثق عنه وزارة جديدة برئاسة صبري العسلي كانت أكثر تمثيلاً لنتائج الانتخابات من الحكومة السابقة [١] .

في ٢٢ شباط تلا العسلي بيانه الوزاري وتضمن مشاريع تقدمية في مضمار السياسة الداخلية والاجتماعية – الاقتصادية الانمائية ، وأكد على ضرورة إعداد دراسة لمجمل التشريعات واستبدالها بقوانين وأنظمة عصرية ، وركز على قانون العمل ومسألة توزيع الأراضي على الفلاحين ، وعلى أنه " لن يدخر جهداً للقيام بكل ما من شأنه تعزيز الجيش وتزويده بالأسلحة " وشدّد على مبدأ استقلال سورية وسيادتها في ظل نظام جمهوري ديمقراطي حر ، وأن حكومته ستعمل على خدمة قضايا القومية والسير نحو الوحدة العربية ، وأن سياستها الخارجية ستعتمد على توصيات مؤتمر رؤوساء الحكومات العربية الأخير التي نصت على "عدم الإقرار بالاحلاف ورفض الحلف التركي العراقي لأن مصلحة الأمة في الظروف الراهنة تقضي ذلك " وأخيراً أكد العسلي أن حكومته ستوثق العلاقات مع دول المؤتمر الأسيو – افريقي وتأمل أن يتحسس هذا الجزء الواسع من العالم بعدالة قضايا العرب لاسيما مشكلة فلسطين [٢] .

---

[١] – لم يشارك حزب الشعب في هذه الوزارة التي ضمت عن حزب الوطني ، صبري العسلي الرئاسة والداخلية ، فاخر الكيالي الاقتصاد ، ليون زمريا المالية ، وعن كتلة العظم : خالد العظم الخارجية ، عبد الباقي نظام الدين الأشغال العامة ، رئيف الملقي التربية . وعن حزب البعث وهيب الغانم وزير دولة ووكيل وزارة الصحة ، وعن المستقلين ، مأمون الكزبري العدلية ن حامد الخوجه وزارة الزراعة . راجع : م . ن . ص٧٨٤ .

[٢] – النص في مذكرات المجلس النيابي- مجلد رقم١ للعام١٩٥٤-١٩٥٥، ص ٨٠٥ – ٨٠٨ .

في ٢٤ شباط ، وقبل بضع ساعات على إبرام حلف بغداد ، جرت جلسة التصويت على الثقة ، واعترض بكداش على ميثاق الضمان العربي لأنه يضم دولاً مرتبطة بمعاهدات مع الأجنبي مثل مصر ، أو على أرضها جيوش أجنبية مثل العراق والأردن ، وعلق على مشروع جونستون ، وعده مشروعاً إمبريالياً هدفه تغلغل الرأسمال الأمريكي إلى المنطقة . وانتقد إغفال البيان الوزاري لمسألة السلم والحرب وطالب الحكومة بالعمل على تعزيز السلم العالمي [1] ووقف النائب فرزت المملوك يدعو الحكومة بجرأة إلى التعاون مع الغرب والتفاهم مع لندن وبغداد ونوه إلى أن الوزارة تميل إلى هذا المنحى وإن لم تتجرأ بالافصاح عن ميولها ، وأخيراً وبعد جلسة طويلة نالت الحكومة الثقة بأغلبية ثلاثة عشر صوتاً : ٦٦ مقابل ٥٥ [2] . ويمكن القول إن مصر خطت أول خطوة في طريق نفوذها في سورية ، وذلك بوصول وزارة أقل التحاماً من سابقتها مع العراق وأكثر قدرة على مقاومة ضغوطه .

كانت حكومة العسلي مجمعة الرأي على التمسك باستقلالية القرار السوري بين المد والجزر القادم من هنا وهناك ، كما كانت تواقة إلى التعامل مع الغرب على نطاق واسع ، وغير معارضة بصلابة لحلف بغداد . ذلك ما أكده خالد العظم للسفير البريطاني بدمشق حيث قال : " إن الحكومة ، وهو شخصياً ، لن تسعى إلى الوقوف ضد حلف بغداد ولن تعمل على إحباطه ، لا بل ستدخل لدى مصر للتخفيف من حملتها "وطالب العظم بالمقابل : " أن تتضمن المعاهدة التركية – العراقية تأكيداً على تضامنها سياسياً وعسكرياً مع العالم العربي. وبرر ورود العبارات المعادية للغرب على لسان بعض النواب قائلاً " هذا هو الواقع السوري وهو أمر لا يمكن تجنبه في برلمان دستوري " وأخيراً أكد العظم أن حكومته ستكون أكثر قدرة على السير في ركاب الغرب لكونها غير موصومة كسابقتها بمحاباته " [3] . وعندما قامت في دمشق تظاهرة طلابية معادية لحلف

---

(١) – راجع كلمة بكداش في مذكرات المجلس النيابي، مجلد رقم١عام١٩٥٤– ٥٥، ص٨٣٢–٨٣٤

(٢) – حجب الثقة عن الحكومة كل من : كتلة نواب حزب الشعب ، الكتلة الاسلامية ، وبعض المستقلين ، وبعض نواب كتلة العشائر : راجع وقائع جلسة الثقة في: م . ن ، ص ٨٢٠ – ٨٥٥ .

(٣) – - F. o/ 371/ 115950 / a Report , No 26 , From J. Gardener to A. Eden , Feb 22,1955 , p.1 - 2 .

بغداد ، رفض العظم إدانة العراق وأعلن أمام المتظاهرين ان هذه الاعمال تسيئ كثيرا إلى سورية [١] .

وفي سياق ميل الحكومة نحو الزاوية الغربية ، وحتى تضمن استمرار حصول سورية على المساعدات الأمريكية ، قابل العسلي والعظم السفير الأميركي في دمشق في ٢٦ شباط وقد أوضح السفير في هذا اللقاء " أن حكومته تأمل أن تتصرف الحكومة الجديدة بشكل يجعل الطريق مفتوحاً أمام إمكانية انضمامها في المستقبل إلى منظمة دفاعية على أساس حلف بغداد، وأن وزارة الخارجية الأمريكية قد رحبت بالاتفاق كخطوة أولى نحو قيام منظمة واسعة تضم باكستان وإيران والدول العربية الواقعة خلف منطقة خط الدفاع الشمالي ، وستكون حكومته مستعدة لتقوية دفاع الدول المنظمة إلى هذه المنظمة ، وأن ضرورة قيام هذه الترتيبات الدفاعية تفترض تحسين العلاقات العربية – الإسرائيلية من حيث أن حكومته غير مستعدة لتبديد مواردها على قوى غير متجانسة في سباق التسلح بين العرب وإسرائيل " [٢] . كان من الواضح أن تلك المنظمة التي سيكون حلف بغداد نواتها ، سوف تقسّم العالم العربي إلى منطقتين : الأولى تضم سورية والعراق والأردن ولبنان والثانية مصر والسعودية واليمن . وقد كانت تلك المقترحات مقبولة من العسلي ومن العظم أيضاً الذي كان شغوفاً بالسلطة وجاهزاً للتضحية لأجلها وقادراً على دفع سورية نحو الحلف التركي العراقي [٣] .

لعبت الإنقسامات السياسية الداخلية دورها في تحول سياسة حكومة العسلي ، إذ واجهت ، تلك الحكومة الميالة إلى الغرب ، الفريق الجديد المدعوم من الجيش والمتطلع إلى استلاب السلطة والذي كان يرى أن الطريق إليها هو في دفع البلاد نحو سياسة الحياد التي ستكسبه تأييد قطاع كبير من الجماهير السورية التي ساد فيها غليان وتطلع إلى التغيير والأفكار الثورية ، وتدريجياً قاد هذا الفريق سورية نحو المعسكر المصري ، وإن

---

(١) – صحيفة الصرخة ، دمشق ، عدد ١٩٧ ، ٢٤ آذار ١٩٥٥ ، الرأي العام ، دمشق ، عدد ٢٧٣ ، ٦ نيسان ١٩٥٥ .

(٢) – نقلاً عن بيان العظم أمام مجلس النواب حول سياسة حكومته الخارجية ، راجع ، مذكرات المجلس النيابي ، جلسة ٩ حزيران ١٩٥٥ ، مجلد رقم ٢ للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص ١٩٧ – ٢٠٠ .

(٣) – F. o / 371 /Syria a Report / No 26 / Damascus Feb 22 , 1955 , p.2 - 3 .

اتسمت خطوات الحكومة ، في هذا الإتجاه ، بالحذر والتردد ولم تتجه نحو المنحى المصري إلاّ على أثر أحداث داخلية وخارجية فرضت نفسها على توجهات السلطة .

رداً على إبرام حلف بغداد ، وللحؤول دون انضمام سورية إليه ، بدأ نظام القاهرة العمل على محاصرة حكومة العسلي ، ففي ٢٦ شباط وصل صلاح سالم وزير الإرشاد القومي إلى دمشق وطرح على السوريين مشروع اتحاد فيدرالي بين الدول المعارضة للأحلاف الغربية ، وتحت تأثير ضغط الجيش ، وعلى أثر الهجوم الإسرائيلي على غزة في ٢٨ منه ، استجابت حكومة العسلي للمطالب المصرية،وأعلنت في٢ آذار أنها وافقت على الانضمام إلى مشروع "الميثاق العربي لتوحيد الخارجية والعسكرية والاقتصادية" وسوف توجه الدعوة إلى جميع الدول العربية إلى الالتفاف حوله [١].ومن ثم توجه العظم وصلاح سالم إلى الأردن ومنهما إلى لبنان لعرض أسس المشروع وإقناع حكومتيهما بالانضمام إليه ، وقد آثر الأردن التريث وحذا لبنان حذوه بينما أعلنت الرياض في٥ آذار موافقتها واقترحت تسميته بالميثاق الثلاثي[٢].

ولما كانت حكومة العسلي تخشى أن يتهمها المؤيدون للعراق بالعمل على جر سورية نحو الشيوعية وحرصاً على تجنب غضب العراق ، توجه خالد العظم في ١٤ آذار على رأس وفد إلى بغداد لتوضيح الأسباب التي حدت بالحكومة إلى قبول أسس مشروع الميثاق الثلاثي ، وللتأكيد أن القصد منه دعوة العراق إلى القيام بدوره القومي

---

(١) – في الأول من آذار عقد شوكت شقير اجتماعاً للضباط أعلن فيه أن الحكومة السورية قررت إقامة حلف وقيادة عسكرية مشتركة مع مصر ، وفي ٢ منه صدر بيان مشترك حمل توقيع صلاح سالم وخالد العظم وصبري العسلي ورد فيه التالي : ١ – عدم الانضمام إلى الحلف التركي العراقي أو أية أحلاف أخرى ، ٢ – إقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادي مشترك ، ٣ – الاتصال بالحكومات العربية لعرض الأسس والمبادئ المتفق عليها ودعوتها إلى عقد مؤتمر توضع فيه النصوص مع تفاصيلها خلال شهر آذار على أن يضم المؤتمر رؤوساء الحكومات ووزراء الخارجية والدفاع والمالية والاقتصاد ورؤوساء الأركان العامة ، راجع النص في مذكرات المجلس النيابي، مجلد رقم٢ للعام ١٩٥٤–٢٥٥، ص ٢٠٠–٢٠١. راجع أيضاً ما كتبه باتريك سيل حول هذه المباحثات في : الصراع على سورية ، ص ٢٨٩ – ٢٩٣ .

(٢) – راجع مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٤ – ٥٥ ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ . وراجع نص البيان الصادر من الرياض في ٥ آذار في مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص ٣٩٢ .

ضمن المجموعة العربية وليس عزله عن محيطه العربي . وفي المباحثات التي جرت بين الوفد السوري ونوري السعيد أكد هذا الأخير أن الإتفاق العراقي – التركي هو تعاون بين جارين محدد بنقطتين : حرية عبور الأجهزة والأعتدة إلى تركيا عن طريق العراق وبالعكس ، وإطلاع تركيا على خطوط الدفاع عند الحدود الشرقية وبالعكس ، هذا وقد كانت المباحثات إيجابية وصدر عنها بيان مشترك أكد فيه الجانبان على ضرورة استمرار التعاون بينهما وتمسكهما بميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع والتعاون الاقتصادي المشترك ، وبأنه لا يوجد تعارض بين هذه المواثيق والميثاق التركي العراقي [1] .

آثار التفاهم بين سورية والعراق قلق القاهرة ، وراح محمود رياض ، السفير المصري المعين حديثاً في دمشق (٢٦ آذار) ، يحث الحكومة السورية على التوجه نحو القاهرة لابرام الاتفاق الثلاثي ، وراح الجيش يضغط بدوره ويهدد الحكومة بالقيام بانقلاب عسكري ما لم يتم إبرام الاتفاق . وتحت تأثير هذه الضغوط توجه العظم إلى القاهرة على رأس وفد ضمَّ فاخر الكيالي ومخائيل إليان وشوكت شقير وحمل معه هذا الأخير مشروع قيام قيادة عسكرية مشتركة في السلم والحرب ، وقد شارك الأمير فيصل بن سعود في المباحثات وظهرت خلافات حول مسألة الإنفاق على الجيش المشترك والمنشآت العسكرية [2] . وقد استطاعت الحكومة السورية أن تفلت من الضغط المصري –

---

(١) – لمزيد من التفاصيل حول هذه المباحثات راجع : مذكرات المجلس النيابي مجلد/٢/ للعام ١٩٥٤–٥٥ ص١٩٩ – ٢٠١ ، العظم مذكرات ، ج٢ ، ص ٤٠٢ – ٤٠٤ . وراجع آراء الصحف السورية بصدد مباحثات العظم في : صحيفة القبس ، دمشق ، عدد ١٤ آذار ١٩٥٥ ، الشعب ، عدد ١٥ آذار ١٩٥٥ ، النصر ، ١٥ آذار ١٩٥٥ ، الرأي العام ، ٥ نيسان ١٩٥٥ .

(٢) – طالبت سورية إحداث صندوق مشترك خاص بالجيش الموحد يمول سنوياً من الدول الأعضاء بنسبة ١٠٪ من موازنة كل دولة . أما بالنسبة للمنشآت العسكرية فنصيب مصر ٤٥٪ وسورية ١٥٪ والسعودية ٤٠٪ . بينما أراد المصريون أن تتحمل كل دولة نفقات جيشها وأن تكتفي القيادة المشتركة بوضع الخطط الحربية . ومن ثم قبل المصريون احداث صندوق مشترك يُنفق منه على المنشآت التي تقررها القيادة المشتركة . ورفضت سورية الفكرة لأن وضعها المالي لا يتحمل مثل هذه النفقات وانتهت المباحثات دون التوصل إلى اتفاق . راجع : العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص٤٠٢ – ٤٠٧ . وقد أشار تقرير صادر عن السفارة البريطانية بدمشق إلى أن المصريين وجدوا صعوبة في تقبل فكرة دفعهم ١٠٪ من ميزانيتهم السنوية ، أي حوالي ٢٠٠ م دولار ، وكذلك لم يكن السعوديون مسرورين بدفع

السعودي ومن الضغوط الداخلية خاصة من الضباط الموالين لمصر ومن حزب البعث ، وراحت تؤجل إبرام الاتفاقية لأن هاشم الأتاسي عارضها بعنف [١] وأيضاً " لأن العسلي كان يفضل التحالف مع العراق ويقدر أهميته بالنسبة للاقتصاد السوري ، كما كان يعتقد أن الميثاق الثلاثي سوف يجعل مصر تكسب نفوذاً معتبراً في الشؤون الداخلية السورية انطلاقاً من نفوذها الصلب داخل الجيش وسيؤدي هذا بالضرورة إلى ازدياد نفوذ الجيش على الساحة السياسية ... وفي الواقع ، وباستثناء الوزير البعثي ، كان كل الوزراء معارضين للميثاق ومؤمنين بعدم فعاليته وبضرورة التهرب من الضغط المصري والسعودي المتزايد على الحكومة " [٢] .

بسبب تعرض حكومة العسلي إلى ضغوط خارجية للحؤول دون إبرامها الاتفاق ، وجهت المفوضية العراقية بدمشق مذكرة إلى الحكومة السورية أعلنت فيها أنها تعتبر الميثاق الثلاثي موجهاً ضدها ومخالفاً لميثاقي الجامعة العربية والضمان العربي [٣] كما شنت أنقرة حملة ضغط وتهويش ضد سورية ، فبعد أن وجهت مذكرة عنيفة اللهجة إلى الحكومة السورية عمدت إلى حشد قواتها على طول الحدود المشتركة مع سورية وراحت تقوم بالمناورات العسكرية لتهديد سورية عسكرياً ، فردت الحكومة السورية بمذكرة أكدت فيها أن الميثاق الثلاثي موجه فقط ضد إسرائيل وأنه لم يبرم حتى الآن على الرغم من الضغط الذي تواجهه الحكومة [٤]، وأخيراً تدخلت العراق لإنهاء الأزمة بين دمشق وأنقرة . وبدورها أعربت الدول الغربية عن عدم رغبتها في انضمام سورية إلى الميثاق الثلاثي ، فقد أبلغت حكومة لندن، التي أصبحت منذ الرابع من نيسان شريكة في حلف بغداد ، سورية رسمياً بأنها تعتبر الميثاق موجهاً ضد سياستها في الشرق

٢٥٠مليون . دولار على الجيش العربي المشترك ، وذلك مقابل دفع سورية ٢،٥ مليون دولار، راجع : F. o / 371/ 115945/ Secret Report No 55 , May 3 , 1955, p.3

(١) – حول موقف الأتاسي راجع : صحيفة الشباب ، حلب ، عدد ٩ آذار ١٩٥٥ .

(٢) – - F. o/ 371/ 121856/ Syria , Annual Report for 1955 , No 16 , 24 Jan 1955 , p.4 .

(٣) – النص في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص٢٠١ – ٢٠٢ .

(٤) – تفاصيل الأزمة السورية التركية في مذكرات العظم ، ج٢ ، ص ٤٦٨ – ٤٧٥ .

الأوسط . كذلك أعلمت واشنطن الحكومة السورية بأنها إذا كانت لا تريد إحراج سورية والضغط عليها للدخول في ميثاق بغداد فإنها على الأقل تسألها عدم التورط في سياسة الميثاق العربي [1] .

– الضغوط المتراكمة على سورية دفعتها إلى التقارب من الإتحاد السوفياتي وإلى تبني سياسة عدم الإنحياز .

– منذ سقوط الشيشكلي نمت العلاقات بين سورية والكتلة الشرقية باطراد ، فقد ازداد عدد العاملين في السفارة السوفياتية بدمشق بشكل ملحوظ خلال العام ١٩٥٤ . وافتتحت باقي دول الكتلة السوفياتية بعثات هامة في سورية ، واتسعت الدعاية السوفياتية وبدأت عدة صحف سورية تنشر مواقف وآراء مؤيدة للسوفيات ، وراح المد الشيوعي ينتشر في سورية ، ويتقدم بخطاً منهجية في ظل التحول في السياسة السوفياتية بعد وفاة ستالين [2] وشاعت العقائد الماركسية لدى الشباب من المثقفين الذين كانوا يفتشون عن شكل من أشكال الاحتجاج ضد مواقف الغرب – خاصة الولايات المتحدة – من القضية الفلسطينية ، وتحولت سورية إلى مسرح نشط للدعاية الشيوعية وراحت مؤلفات ماركس ولينين المترجمة إلى العربية تباع بأسعار بخسة واتخذ الأدب الشيوعي مكانه في

---

(١) – راجع : F. o/ 371/ 128224/ Secret report No 55 , 6 June 1955 , p.3

(٢) – منذ عام ١٩٥٣ بدأت بوادر هذا التحول وذلك عندما أخذت الحملة ضد إسرائيل والصهاينة أبعادها في الإذاعة والصحف السوفياتية وأوصلت إلى قطع العلاقات بين موسكو وتل أبيب في شباط ١٩٥٣ قبل وفاة ستالين ببضعة اسابيع . ثم راحت موسكو توزع ابتساماتها على العرب وخففت حملاتها الإعلامية ضد الحكومات الشرق أوسطية التي وصفتها سابقاً بالعمالة للإمبرياليين ، ودعمت القادة السياسيين الجدد الذين أعلنوا عداءهم للأحلاف الغربية ووجوب اعتماد سياسة الحياد ، وراح خلفاء ستالين يتخلون عن سياستهم الحذرة تجاه حركات التحرر ، واستفادوا من ضعف النظام الاستعماري القديم والتنافس ما بين دوله ليثبتوا أقدامهم في المناطق ذات الظروف التاريخية الملائمة حيث وجدت نقاط التجابه المحتملة كما في الشرق الأوسط . ولمزيد من التوسع حول هذه السياسة راجع كتاب :
H. Carrere d'Encausse , la Politique Sovietique au Moyen , Orient (1955 - 1975), Paris 1975 p.30 - 114 .

واجهات المكتبات كما كثفت بعثات دول الكتلة السوفياتية توزيع النشرات الدعائية المجانية [١] .

– لم تكن الموجة اليسارية قوية ولا تشكل تهديداً جدياً للفعاليات السياسية اليمينية والمحافظة وكان يحتاج كبحها وجود حكومة قوية ومتماسكة ، بيد أن طبيعة التحالف الحكومي الهش وانشقاقه في مواقفه حول حلف بغداد كان لصالح التقارب السوفياتي السوري ، ومنذ الإعلان عن حلف بغداد راحت موسكو تتخذ صفة الداعمة للسوريين تجاه التهديد التركي فعندما تمركزت الفرق العسكرية التركية على الحدود السورية سارع مولوتوف وزير الخارجية السوفياتي في الإعلان عن دعم حكومته الكامل السورية ، بيد أن الخطوات العملية التي قامت بها الحكومة السورية باتجاه موسكو كانت حذرة جداً ، فباستثناء بعض الاتفاقيات التجارية وصفقة دبابات روسية ، فقد استمرت سورية تدق أبواب الغرب للحصول على الأسلحة والمساعدات [٢] .

كان خالد العظم أول من افتتح المباحثات مع السوفيات لطلب السلاح ففي آذار ١٩٥٥ أجرى مباحثات بهذا الصدد مع السفير السوفياتي في القاهرة . وفي حزيران من نفس العام ، وابّان ترأسه الوفد السوري إلى اجتماعات الأمم المتحدة في الذكرى العاشرة لميلاد المنظمة قابل في العشرين منه مولوتوف وبعد أن أكد له أن سورية لن تنضم إلى حلف بغداد وأنها تريد الحصول على حاجاتها من السلاح من المعامل الروسية ومن دول المنظومة الشيوعية ، أكّد مولوتوف على دعم بلاده لسورية ضدّ أي عدوان تركي وبأنه سيدرس مسألة تزويد سورية بالأسلحة مع المراجع المختصة [٣] .

---

(١) – كتب السفير البريطاني في دمشق في تقريره السنوي حول سورية ما يلي :
"Syria, throughout 1954 , Was in fact a special target for Soviet propaganda and communist activity"the banning of the communist party in same neighbouring Arab countries seems tohave made Syria the pivot point of the Cold War in this area" .
F. o/ 371/ 115942, Confidential . No 19 , Feb 4 , 1955 , p. 6 .

(٢) – حول طلبات الحكومة السورية للأسلحة والمساعدات من الغرب راجع التقارير التالية :
F. o/ 371/ 115950/ Sec Mes , No 26 , . Feb 22 , 1955 , p. 2 - 3 , cf. 115966 , Sec Mes , No 541, No 24 , 1955 , p.1 , cf . Report about "aid for Syria", 30 Nov 1955 , p.5 - 6 .

(٣) – راجع تفاصيل هذا اللقاء في مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص ٤٢٧ – ٤٣٢ .

منذ ربيع عام ١٩٥٥ أصبحت الساحة السورية محضّرة بشكل جيد أمام النفوذ الروسي وقد وصف تقرير صادر عن السفارة البريطانية هذا الواقع كما يلي " راح السياسيون السوريون ، الذين أعرضوا في الماضي عن السفير السوفياتي ، يترددون على أبواب السفارة دون غضاضة وهم يعتبرون أن للروس فضيلة كونهم لا يملكون تاريخاً استعمارياً في العالم العربي ، كما أنّ العديد من السوريين يعدّون الخط السوفياتي الجديد مؤيداً للعرب ضدّ إسرائيل وأن قلة منهم ترى في تقرّب السوفيات من العرب عامة وسورية خاصة خطة لتنمية دورهم السياسي والاقتصادي والحؤول دون دخول سورية في المعسكر الغربي " [١] .

الصراع على حلف بغداد ، وحول مشروع الميثاق الثلاثي ، خلّف انعكاسات داخل سورية برزت في قضية اغتيال العقيد عدنان المالكي [٢] .

---

(١) - F. o/ 371/ 121856, Syria , Annual Report for 1955 , Confidential No 16 , Damascus , 24/1/1956 , p.3 .

(٢) - ولد عدنان المالكي في دمشق عام ١٩١٨ دخل الجيش عام ١٩٣٩ ، شارك في المعركة التي خاضها الجيش السوري في شمال فلسطين في مناطق سمخ والحولة والجليل الأعلى عام ١٩٤٨ ، وشارك في انقلاب حسني الزعيم وارتبط به ارتباطاً وثيقاً ، تابع علومه العسكرية في فرنسا حيث أكمل بنجاح دورة المدرسة الحربية العليا ، اعتقل عام ١٩٥٢ لمشاركته في " مؤامرة الضباط " ضد الشيشكلي وأفرج عنه في تموز ١٩٥٣ ، وسجن ثانية عام ١٩٥٤ ، وبعد طرد الشيشكلي تولى وهو في سن السادسة والثلاثين مركز رئيس الشعبة الثالثة برتبة عقيد ، ولم يكن المالكي حزبياً لكنه كان من المنادين بالقومية العربية ومتأثراً بأفكار شقيقه الحزبي البعثي المحامي رياض المالكي ، وقد اصبح أشهر الضباط وأنفذهم داخل الجيش حيث أقام مجلس ثورة " على النمط المصري هدفه استئصال نفوذ الضباط المؤيدين للهلال الخصيب ولسياسة الأحلاف . وقد عده الكثيرون رجل المستقبل . راجع : رياض المالكي ، ذكريات على درب الكفاح والهزيمة ، ص ٢٣ - ٢٧ ، ١٠٤ - ١٠٦ ، ١٢٦ - ١٢٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ - ١٦٦ .

- مصـرع المـالـكي

بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٢٢ نيسان قتل العقيد المالكي نائب رئيس الأركان العامة ورئيس الشعبة الثالثة (العمليات) أثناء حضوره مع عدد من القادة الضباط مباراة في كرة القدم بين الفريقين المصري والسوري بعد ٢٠ دقيقة عن بداية المباراة (الساعة الرابعة) وتحت أعين حشدٍ غفير ، وفي ظل الاستعدادات المنظمة ، والحراسة الشديدة المسلحة شوهد عريف من الشرطة العسكرية يقف وراء المالكي ويصرعه برصاصتين وينتحر للتو عندما أصبح على وشك أن يعتقل [1] . ومباشرة أصدرت السلطات العسكرية بياناً مفاده " أن العريف يدعى يونس عبد الرحيم من قرية بعمرة في قضاء صافيتا علوي وعضو في الحزب السوري القومي الاجتماعي " .

وحالاً بعد عملية الاغتيال قامت زمرة الضباط البعثيين تحتٌ قادة الجيش على تحطيم الحزب السوري القومي واضطهاد أعضائه بتهمة التحريض على الجريمة كخطوة أولى نحو عملية انقلاب عسكري ، وألقى رئيس الأركان أثناء تشييع جنازة المالكي خطاباً تأبينياً تبنى فيه هذه التهم [2]،وكذلك فعل رئيس الوزراء،فقد أعلن أمام مجلس النواب

---

(١) - المعلومات الواردة حول قضية المالكي مستقاة من المصادر التالية : وثائق محكمة أمن الدولة، دمشق ، محاكمة المتهمين بقضية المالكي ، ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار وكيل الدفاع عن المتهمة السيدة جولييت المير . وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، التقارير التالية الصادرة عن السفارة البريطانية بدمشق وهي :

F. o/ 371/ 115945/ Confidential Report No 61, 27 April 1955 , p.1 - 5 . cf. Report of May 3 , 1955 , p. 1 - 4 , cf. Report of Sep 28 , 1955 , p.1 - 2 .

الصحف السورية الصادر من ٢٥ نيسان ١٩٥٥ حتى ٣٠ نيسان ١٩٥٦ . وكتاب رياض المالكي ، ذكريات على درب الكفاح والهزيمة ، ص ١٧٣ - ١٩٦ وكتاب : محمد نمر مدني عدنان المالكي " ثلاث رصاصات في الملعب البلدي ، منشورات الدار الحديثة ، دمشق ٩٦/٧/١١ .

(٢) - راجع نص الخطاب في صحيفة الصرخة ، عدد خاص بعدنان المالكي : ٢ تموز ١٩٥٥ .

ثبوت التهمة على الحزب السوري القومي وأكد أن المالكي خسر حياته دفاعاً عن أهداف سورية القومية العربية [1] .

فتحت قضية المالكي حملة عشواء ضد حزب يعمل برخصة رسمية وقد انتخب بعض أعضائه (حنا الكسواني وبديع اسماعيل) نواباً في المجلس بصفتهم الحزبية ، وكانت مراكزه منتشرة في كل المناطق السورية ، كما كان من المعروف جداً أن خلاياه تشكل قطاعاً قوياً ونافذاً داخل الجيش [2] وكان أعضاؤه يكتبون وينشرون المقالات المعبّرة عن آرائهم السياسية في عدّة صحف وخاصة في صحيفة " البناء " الناطقة باسم الحزب [3] وكان الحزب قد نشر برنامجه السياسي مع باقي الأحزاب السورية قبل الحادثة بأربعة أشهر [4] . هذا الحزب الناشط الفاعل على الحلبة السورية تحول بعد عملية اغتيال المالكي إلى حزب مخرِّب هدّام وعنيف يضم مجموعة من القتلة والخونة ودعاة التفرقة ، والأحلاف العسكرية مع الغرب وأصحاب التعصب والنعرات الطائفية .

وتماماً ، ومثلما استغلّ جمال عبد الناصر محاولة اغتياله في تشرين الأول ١٩٥٤ كحجة وزريعة لتحطيم تنظيم الإخوان المسلمين تبعت قضية المالكي حملة تعسف واضطهاد ضد كل عضو أو نصير للحزب السوري القومي الاجتماعي . وقد تمَّ اعتقال

---

(١) – راجع : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، جلسة ٢٦ حزيران ، ص٢٦٥ .

(٢) – - F. o/ 371/ 115945/ Confidential report No 61 , 27 April 1955 , p.1 , 3 .

وبهذا الصدد كتب مطيع السمان : " كان الحزب السوري القومي أقوى التكتلات داخل الجيش وكان له أضعاف أضعاف ما للآخرين من ضباط وصغار ضباط في مراكز جيدة ولولا القضاء على هذا الحزب بعد اغتيال المالكي لكان السوريون القوميون الأكثرية الحزبية في صفوفه والتي حاز عليها آخرون من بعده " . راجع كتابه : وطن وعسكر ، ص٣٦٠ – ٣٦٢ .

(٣) – ليل ٢٢ نيسان توقفت صحيفة البناء عن الصدور بعد الحريق الذي أصاب المطبعة ، وذكر أنه ربما كان الحزب وراء الحريق وذلك كوسيلة لحرق الوثائق الخاصة بالحزب والمثيرة للشكوك . أو ربما كان الجيش قد دبر الحريق كعمل انتقامي . راجع :

F. o/ 371/ 115945/ Confidential Report No 61 , 27 April 1955 , p.1 .

(٤) – أعد البحث الخاص بهذا الحزب ياسين عبد الرحيم وعيسى اليازجي ، راجع كتاب الأحزاب السياسية في سورية ، ص ٦٩ – ١٢٧ .

٢٢ ضابطاً وفاق عدد المعتقلين المدنيين من زعمائه وأعضائه المائة ، وأعلن رسمياً أن الوثائق التي تدين الحزب أصبحت بأيدي المحققين بعدما اقتحمت الشرطة العسكرية مراكز الحزب في دمشق وباقي المحافظات .

سارت التحقيقات مع المعتقلين بمعزل عن محامي الدفاع ولم تراع فيها أصول اجراءات المحاكمة ، وجرَت الاستجوابات تحت الضغط والضرب ومختلف أشكال التعذيب ولم يطلع المحامون على ضبط الكشف عن الرصاصات التي أودت بحياة المالكي ويونس عبد الرحيم ولا عن ضبط تفتيش جيوب هذا الأخير ، هذا عدا عن عدَّة فجوات في ملف التحقيقات التي انحصرت فقط باتجاه الحزب دون الالتفاف إلى جهات أخرى كان لها مصلحة في إزاحة المالكي ، لا بل عندما كانت تبرز هذه الاتجاهات أمام المحققين بوضوح كانوا يتجاهلونها ، خوفاً أن تكون الحقيقة خلافاً لما يريدون [١] . وفي الواقع ، إن مصرع المتهم قد جعل من الصعب تحديد الجماعات المحرضة والمدبرة للجريمة ، بيد أن كون الضحية شخصية بارزة في الجيش فإن الدافع السياسي وراء الجريمة كان واضحاً ، فقد كان المالكي يميل سياسياً نحو أفكار حزب البعث العربي الاشتراكي وتوصل بنشاطه ومهارته إلى تزعم زمرة ضباط هذا الحزب ، وجعل رئيس

---

[١] – كانت الثغرات عديدة في جميع مراحل التحقيق مثلاً إن يونس عبد الرحيم لم يعلم ولم يبلغ أمر تعيينه بين رجال الشرطة المكلفين بالحراسة إلا في الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الجريمة . ولم تكن الفترة كافية لتدبير مؤامرة مع جماعة ما ولم يرد في التحقيق ما يشير إلى أن يونس قد اجتمع مع أي من المتهمين بالتحريض في فترة هذه الثلاث ساعات . كما أوردت التحقيقات رسالة مؤرخة في ٢٠ نيسان موجهة إلى المالكي من الرقيب محمد غفره من جبلة وفيها ينقل حديثاً دار بين الرقيبين نديم أمون وماجد ديوب حول استيائهما من تسريح غسان جديد ومن مسؤولية المالكي عن ذلك ولم يحقق بهذه الرسالة . وثيقة أخرى نوه بها الشاهد ناصر هزبر ومفادها أنه حضر إلى الملعب البلدي شخص بلباس عسكري وتحدث مع يونس وسلمه رسالة . وضاعت الرسالة في متاهات التحقيق ، شاهد آخر هو حسن خلف يقول أنه رفع تقرير حذرفيه من عنف يونس عبد الرحيم واندفاعه الحزبي واقترح نقله من الفوج ومع ذلك تعين يونس في الفوج وعهد إليه حراسة المالكي . شاهد آخر هو كامل البني الذي وصف كيف كان صف المقاعد خلف المالكي خالياً وأنه لاحظ أحد العسكريين يمنع الناس من الجلوس على المقاعد الفارغة لماذا ؟ كل هذا أهمله التحقيق . راجع : وثائق محكمة أمن الدولة ، دمشق ، ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار . قضية المالكي .

الأركان تحت نفوذه ، ثم راح يضع جماعته في مراكز القوة وينقل ويعزل أعداءه السياسيين كما يحلو له ، وقد استطاع بحكم منصبه ، استئصال العناصر الموالية للحزب السوري القومي من الجيش ، وكان المالكي ، حسب رأي السفير البريطاني ، يكن عداءً وحقداً شخصياً لعميد ضباط هذا الحزب ، العقيد غسان جديد ، فألصق بحقه وحق ثلاثة ضباط قوميين سوريين ، تهمة الاحتيال والاختلاس والتشجيع على الأنشطة الحزبية داخل الجيش ، والتعاون مع الفئات المتآمرة على سلامة الوطن (المقصود السفارة الأمريكية)، وتمّ تسريح هؤلاء الضباط دون إحالتهم على القضاء ، ولما اعترض فريق من الضباط على هذا التسريح الكيفي ، برّأ رئيس الأركان نفسه من العملية وألصقها بالمالكي ، وان من المرجح أن سبب التسريح هو كون ضباط هذا الحزب معادين لمشروع الميثاق الثلاثي المقترح مع مصر والسعودية الذي كان يدعو إليه المالكي [1] .

إن تسريح العقيد جديد من الجيش كان سبباً جوهرياً لالصاق تهمة الاغتيال بالحزب السوري القومي ، من حيث أن يونس عبد الرحيم كان معروفاً بارتباطه المتين بالعقيد جديد عقائدياً وطائفياً وإقليمياً إذ كان كلاهما ينتميان إلى محافظة اللاذقية التي شهدت منذ الأربعينات منافسة قوية بين حزب البعث والحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كان من الأحزاب الأولى التي صاغت برنامجاً ايديولوجياً سياسياً – اجتماعياً وبنية سياسية منظمة تنظيماً جيداً ، ومنذ الخمسينات التحق عدد من الضباط بهذا الحزب وأصبح السباق بين الحزبين قائماً على قدم وساق داخل المؤسسة العسكرية ، وفي عدة قطاعات من المجتمع السوري [2] وسواء كان الاغتيال عملاً فردياً ، أم بتوجيه من غسان

---

(١) - F. o/ 371/ 115945, Confidential Report No 61 , 27 April 1955 , p.2 , 5 .

(٢) – راجع مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الداخلية ، قسم " الأحزاب السياسية " ، وثيقة رقم ٢٢ /٥١/٧/١٤ ، قسم " تقارير إدارية تتعلق بالأمن والشرطة " وثيقة حول حوادث الصدام في منطقة اللاذقية بين البعثيين والسوريين القوميين رقم ٥٠/٧٠/ تاريخ ٥/٩/١٦. وثائق وزارة الدفاع قسم " قرارات وقضايا مختلفة ، وثيقة رقم /د ٦٠/ تاريخ ١٩٥٤/١٢/٢٦ . راجع أيضاً

M. H. Van Dusen , "Political integration and regionalism in Syria" op , cit, p.132 - 133 , cf. E. Be'eri , Army officers , op, cit, p.404 - 405 .

جديد وجورج عبد المسيح [١] فقد ركزت التحقيقات على أنه جزء من مؤامرة مدبرة من قبل الحزب السوري القومي لاغتصاب السلطة وتغيير سياسة البلاد باتجاه الانخراط في الأحلاف الغربية ، وأن مصرع المالكي هو خطوة في عملية الإطاحة بالسلطة وتنفيذ الانقلاب الذي سيتلقى منفذوه كل الدعم من القوى الغربية . وقد كانت هذه التهمة خيالية إلى حد بعيد فمع أن السوريين القوميين قد أعلنوا بصراحة وجرأة تأييدهم لفكرة الهلال الخصيب كونها تشكل جزءاً من مبادئ الحزب الأساسية ، إلا أنه من المؤكد أنهم ليسوا تلك القوة القادرة على القيام بانقلاب عسكري وقد فشل الجيش في نشر أي مستند يؤكد تورط الحزب بالجريمة أو بالانقلاب المزعوم [٢] . ومهما كانت الحقيقة الكامنة وراء هذه القضية التي استمرت حتى اليوم محاطة بالألغاز والأسرار من كل شكل ولون ، وقد تعددت فيما بعد الاتهامات الموجهة إلى هذه أو تلك من الجماعات السياسية داخل سورية وخارجها [٣]، فقد أصبحت قضية المالكي مصدراً جديداً للقلق وعدم الاستقرار في

---

(١) – صدر قرار الاتهام متسلسلاً : نقطة أولى غسان جديد ثم جورج عبد المسيح ، اسكندر الشاوي، سامي الخوري ، عبد الكريم الشيخ وصولاً إلى الهيئتين التشريعية والتنفيذية في الحزب . ومن الجدير ذكره أن المحايري شهد شهادة تفيد بأن جورج عبد المسيح هو الذي خطط للجريمة وطلب منه مغادرة سورية . عن : وثائق محكمة أمن الدولة ، دمشق ، محاكمة المتهمين بقضية المالكي ، ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار .

(٢) – اتهم الحزب بأنه حدد يوم عيد الجلاء موعداً لحركته الانقلابية وخطط لتنفيذ عدة جرائم في مختلف أنحاء البلاد ليجعل منها نقطة الإنطلاق للفتنة العامة . هذا وأن بقاء الإداريين الحزبيين في دمشق يوم الجريمة وما بعدها ودعوتهم الأعضاء اللبنانيين لعقد اجتماع في دمشق في نفس الساعة التي تمت فيها الجريمة ، وبقاء وثائق الحزب مكانها دون العمل على إتلافها من قبل حزب اشتهر بدقة تنظيمه لهو دليل قاطع على أن التهمة ملفقة . راجع وثائق محكمة أمن الدولة ، ملفات الأستاذ هاني البيطار ، راجع أيضاً : F. o/ 371/ 115946/ Confidential No55, 28 Sep 1955 , p.1

(٣) – اتهم رياض المالكي رئيس الأركان شوكت شقير بالتدبير لعملية الاغتيال ، كما نوه بدور السفارة المصرية في هذه القضية . راجع كتابه، ذكريات ، ص ١٧٥-١٧٦ ١٨٦- ١٨٧ . واتهم مصطفى طلاس أكرم الحوراني ومحمد رياض وعبد الحميد السراج بتدبير الجريمة ، راجع كتابه " مرآة حياتي"، ص٤٨١ – ٤٨٣، دمشق ١٩٨٦. وأشار Torrey إلى أن يد البعث لم تكن بعيدة عن العملية فقد اغتالت سابقا، غالب الشيشكلي ، في حماه. راجع كتابه : Syrian Politics , p.280 No 64 واتهمت أوساط الجيش السوري أكرم الديري بالعملية ومن ورائه السرّاج ومحمود رياض . راجع :

سورية، واستغل الجناح القومي العربي المؤيد لمصر في الجيش موجة الغضب العارمة التي عمّت الجماهير لخلق مناخ ملائم للحلف الثلاثي ومعادٍ للعراق وحلفها الجديد ، وراح هذا الفريق يُروج الإشاعات عن دور القوى الغربية في قضية المالكي ، ووسّع شبكة الاعتقالات لتشمل أشخاصاً معروفين بميولهم العراقية ممن ليسوا أعضاءً في الحزب السوري القومي وذلك انطلاقاً من أن المالكي كان رمزاً للتقدميين المتطلعين للتحرر من السيطرة الأجنبية والرافضين للأحلاف مع الغرب وعليه صُنِّف كل معارض لهذا الاتجاه، بأنه عميل للاستعمار والهدف من ذلك إسقاط الفعاليات السياسية والعسكرية المعادية لمشروع الحلف الثلاثي ودفع الحكومة إلى إبرامه بأقصى سرعة [1] . " وبالمقابل ظهرت ردود فعل معارضة لهذه الاجراءات فقد توجه فريق من الضباط مطالباً رئيس الوزراء إيقاف عملية طرد الضباط السوريين القوميين وإلاّ يتوجب بالمقابل طرد الضباط البعثيين أيضاً [2] ، وعندما طالب الجيش بإعلان الحكام العرفية في محافظتي دمشق واللاذقية هدّد الوزير ليون زمريا بالاستقالة إذا وافقت الحكومة على هذا الطلب الذي عارضه بعنف رئيس الجمهورية وكتلتا حزب الشعب والدستورية وعدد من نواب الحزب الوطني المعارض لسياسة العسلي والكيالي ، وأصرَّ المعارضون على إسقاط الحكومة إذا ما خضعت لرغبات الجيش ، وذلك خشية أن تستغل المؤسسة العسكرية الصلاحيات الواسعة التي ستتمتع بها في ظل الأحكام العرفية .

وأمام هذه المواقف الصلبة سارع العسلي باستدعاء خالد العظم الذي كان يترأس الوفد السوري إلى مؤتمر باندونغ [3] . ومن المؤكد أن البعثيين قد طالبوا بعودة حليفهم القوي القادر على دعم مطاليبهم ، وتمَّ التوصل بعد عودة العظم في ٢٩ نيسان إلى حل وسط وهو إقرار المجلس النيابي مشروع قانون يعدل من خصوصية قانون أصول

مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص ٣٦١ .

(١) — F. o/ 371/ 115945/ Confidential Report , No 61, 27 April 1955 , p.2 .

(٢) - F. o/371 , Secret Report No 49 , 3 May 1955 , p.1 - 2 .

(٣) — خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٣٧٧ . صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٢ أيار ١٩٥٥ .

المحاكمات العسكرية ليشمل محاكمة المدنيين المتهمين في قضية المالكي [١] . وقد ظهرت، في دولة ديمقراطية مثل سورية آنذاك ، انتقادات في الصحف حول أساليب القوة التي تستعملها الشرطة العسكرية مع المعتقلين ، كما شهدت دمشق أعمال عنف ضد القضاة العسكريين مثل نسف واجهة منزل قاضي ومحاولة اغتيال آخر [٢] .

دارت المحاكمات يوماً بعد يوم وسط اهتمام شعبي بلغ ذروته مدةً من الزمن ثم تضاءل تدريجاً بسبب الأزمة الاقتصادية وانشغال الصحافة في الانتخابات الرئاسية المقبلة، وعليه ، ولإعادة إثارة اهتمام الجماهير، أقحمت التحقيقات الولايات المتحدة في القضية فأبرزت جهة الإدعاء بيّنة حول تدخل السفارة الأمريكية في جريمة القتل وفي المؤامرة للإطاحة بالنظام ، وقد أنكر السفير الأمريكي في دمشق هذه التهم وأكّد أن تلك القرائن قد لفقها الجناح اليساري في الجيش كي يتمكن من إصدار أحكام شديدة على المتهمين مع غياب الأدلة الثبوتية ، وأن المدعى العام توجه نحو وصم الحزب السوري بالتآمر مع سلطة أجنبية حتى يحكم على قادته بتهمة الخيانة العظمى ، كذلك رغبة جهة الادعاء بتشويه سمعة الولايات المتحدة لإثارة الشعب السوري المصاب بداء الكره للأجانب ، ومن ثم راحت الصحف السورية تشن حملة ضد الامبريالية حتى أن بعض الصحف اليسارية طالبت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن ولندن وباريس [٣] .

---

(١) – مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ ، ص ٨٩ .

(٢) – ومن الجدير ذكره أن العسلي وقف يدافع عن الإجراءات التي تقوم بها الشرطة العسكرية وطالب الصحفيين تحاشي نشر الأنباء التي تثير الرأي العام ، وأكد أن كل صحيفة ستتعرض لمسألة تعذيب السجناء سوف تعاقب . كان العسلي مجرد صدىً لأفكار المكتب الثاني الذي أصبح المسيطر على الجيش والحلبة السياسية . راجع :

F. o/ 371/ 115856, Secret Message No 55 . 28 Sep 1955 . p.1 .

(٣) – أشارت التحقيقات إلى الاتصالات التي جرت بين العقيد غسان جديد والسفارة الأمريكية ، وقال بعض الشهود أن زوجة الملحق العسكري الأمريكي قد وجهت ملاحظة للعقيد المالكي يمكن أن تفسر على أنها تهديد أو إنذار وأنها تثبت معرفتها المسبقة بمصرعه . وقال شهود آخرون إن الملحق الثقافي الأمريكي قد حاول رشوة العقيد المالكي واستمالته كي يتخلى عن معارضته لحلف بغداد . وقدم ضباط من الجيش أدلة عن اتصالات هاتفية جرت بين السفارة الأميركية وبين أعضاء بارزين من الحزب السوري القومي في بيروت ، وأن شبكة التجسس قد كشفتها المخابرات بداية العام ١٩٥٥ ، وأن

في ١٢ كانون الأول ١٩٥٥ أصدرت المحكمة العسكرية حكمها بإعدام ثمانية متهمين، ثلاثة منهم معتقلون والباقون فارون ، وأحكاماً بالسجن من ١٢ إلى ٢٥ عاماً مع الأشغال الشاقة بحق ١٨ عضواً قيادياً ، وثبتت محكمة التمييز الأحكام في ٢٤ كانون الثاني ١٩٥٦ ، وفي ٢٨ نيسان أصدرت محكمة النقض الأحكام النهائية فخففت بعضها ورفضت قبول استدعاءات جديدة [١] .

الحزب السوري قد عمد إلى تزويد مكتب المعلومات الأمريكي في سورية ولبنان بمعلومات حول نشاط الحزب الشيوعي والاخوان المسلمين . وعُرض في المحكمة رسالة موجهة من هشام شرباتي أحد أعضاء الحزب السوري المقيم في الولايات المتحدة يطالب فيها الحزب بالتعاون مع السفارة الأمريكية . وطالبت المحكمة مثول شارل مالك سفير لبنان السابق في واشنطن للادلاء بشهادته حول المفاوضات التي كانت جارية بين الحزب والحكومة الأمريكية للتحضير لانقلاب عسكري في سورية . وتحدثت الصحف السورية عن دور مالك الذي كلف إبلاغ القادة السوريين القوميين شروط واشنطن . وقد رفض مالك المثول أمام المحكمة . وأخيراً قدم ضباط المخابرات بينة عن محادثة هاتفية جرت بين السفارتين الأمريكيتين في دمشق وبيروت وفيها أشير إلى فشل الانقلاب . راجع : وثائق محكمة أمن الدولة ، دمشق ، محاكمة المتهمين بقضية المالكي ، ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار . راجع أيضاً :

F. o/ 371/ 115946/ Secret Message No 55 , 28 Sep 1955 , p.1 - 2 .

راجع : صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٤٣٧ و ٤٧١ في ١٩٥٥/١١/٤ ، ١٩٥٥/١٠/١١ .

وبعد أن راحت الصحف اليسارية تهاجم بعنف الولايات المتحدة زار السفير الأمريكي رئيس الوزراء طالباً منه إيقاف الحملة لصالح استمرار العلاقات بين الدولتين ، ولم يظهر العسلي أي تعاون بهذا الصدد وبالمقابل لم يفكر الأمريكيون بقطع علاقاتهم الدبلوماسية مع سورية . راجع :

F. o/ 371/ 115946/ Secret Message No 55 , s8 Sep 1955 , p.2 .

(١) – حكم بالاعدام على منعم الدبوسي الذي يرتبط عائلياً مع شوكت شقير ، وبديع مخلوف وجرمهما تأمين التغطية ليونس عبد الرحيم ، وعلى فؤاد جديد شقيق غسان جديد ، وكان مرشحاً للانتخابات العامة خريف ١٩٥٤ ، وقد اعترض عفيف البزري ، عضو المحكمة العسكرية على هذا الحكم واعتبر المتهم متدخلاً فرعياً . وحكم على غسان جديد وجورج عبد المسيح أمين عام الحزب بالاعدام غيابياً ، وكانا قد غادرا دمشق قبل الجريمة بأربع ساعات ، هذا ولم تستجب الحكومة اللبنانية لطلب تسليم الفارين المحكومين مما سبب أزمة في العلاقات بين الدولتين ، وفيما بعد حاول عملاء المخابرات السورية اختطاف غسان جديد ولما فشلوا سددوا حسابهم معه بأسلوبهم الخاص فأطلقوا عليه الرصاص في ١٩ شباط ١٩٥٧ وأردوه قتيلاً في أحد شوارع بيروت وحكم على كل من جوليت المير

النتيجة الأولى لمصرع المالكي تطهير شامل لاتباع الحزب السوري القومي الاجتماعي في الجيش والادارات العامة ، وتحظير نشاطه السياسي ، واستئصاله في الحياة العامة في سورية . ومع ذلك فإن مباده لم يطوها النسيان إذ بعثت بعد بضع سنوات في عهد البعث الجديد ، عندما طبق اللواء صلاح جديد منهاجاً سياسياً أكثر انسجاماً وتقارباً مع مفاهيم الحزب السوري القومي عما هو مع أفكار البعث القديم الذي قاد سورية نحو الوحدة مع مصر. فالبعث الجديد ، وعلى الرغم من تأكيده على الوحدة والقومية العربية ، سار في خط مستقل في علاقاته مع العالم العربي ، وشدد على هوية الكيان السوري ، وعلى خاصية سورية كونها أكثر الدول العربية تقدماً وتطوراً ، واقترب البعث الجديد في سياسته الداخلية من الأفكار العلمانية للحزب السوري القومي وتحرك بجرأة نحو فصل العروبة عن الإسلام والدولة عن الدين ، بينما كان بعث عفلق أكثر حذراً في هذا المضمار [1] .

النتيجة الثانية لمصرع المالكي تمثلت في ازدياد انقسام الجيش وتشرذمه ، وخروج قوة من داخله هي شعبة المخابرات العسكرية ، التي انغمست في العمل السياسي

خمس سنوات إقامة جبرية في تدمر وعصام المحايري وفؤاد الشواف وكامل حسن بالسجن مدة ١٥ عاماً بتهمة التآمر على أمن الدولة . وقبل صدور الأحكام النهائية سرت إشاعات مشككة بصحة الأحكام، وبتردد القوتلي بالتصديق على تنفيذ أحكام الإعدام . فقامت المخابرات العسكرية ودبرت تهمة جديدة للحزب هي التخطيط لاغتيال بعض القادة العسكريين ورجال السياسة . وتم اعتقال عدد آخر من الضباط ، ولما ازدادت الضغوط على القوتلي تخلى عن حقه الدستوري بالعفو أو تخفيض الأحكام وأحاله إلى لجنة إدارية لتمحيص الأحكام ، وفي ١٩٥٦/٨/٣٠ صدر عن رئاسة الجمهورية قراراً بالتصديق على الفقرة المتعلقة بإعدام الدبوسي ومخلوف كونهما شريكا القاتل ورفع الحكم عن فؤاد جديد واستبدل بالأشغال الشاقة . راجع : وثائق محكمة أمن الدولة ، دمشق ، محاكمة المتهمين بقضية المالكي، ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار. ومطيع السمان، وطن وعسكر، ص٣٦١-٣٦٣. ورياض المالكي، ذكريات، ص١٩٣- ١٩٤ وصحيفة الرأي العام، دمشق عدد ٤٣٧: في ١٩٥٥/١١/٤ وعدد ٥٨٣/ ٣٠ نيسان ١٩٥٦ . و :

G. Torrey , Syrian Politics , p. 296 . 309 - 311 , cf. Lenczowesski, Middle -East , p.360 - 361 , cf. L.Z. Yamak, the Syrian Social Nationalist Party, Cambridge,1966, p. 70.

(1) - M. Ma'oz, Attemps at Creating a Political community in modern Syria, p.400-401.

أكثر بكثير من الحدود المرسومة لها قانونياً ، وراحت تتعامل مع السلطة المدنية بأساليب ملتوية ، فادّعت حماية النظام من أي احتمال قيام انقلاب عسكري ، واستغلت بمهارة صراع الفئات السياسية على السلطة واستطاعت أن تتحكم بتوجهات السياسة السورية، هذه المؤسسة كانت منجذبة نحو النظام العسكري القائم في مصر بعدما تولاها في آذار ١٩٥٥ العقيد عبد الحميد السرّاج [1] الذي علا نجمه في سماء سورية منذ مصرع المالكي ، كان السراج متأثراً بشخصية وأفكار جمال فيصل حول العروبة الشاملة منذ أن كان أستاذه في الكلية العسكرية ، واستمر التعاون قائماً بينهما بعدما تولى فيصل رئاسة الشعبة الأولى (الدائرة الشخصية) والسراج الشعبة الثانية . ووطد كلاهما علاقاته مع ممثلي النظام المصري في سورية وخاصة السفير محمود رياض .

برز السراج لمهارته في إدارة مؤسسته ، فقد غمر سورية بشبكة من رجال الأمن وعملاء المخابرات وضبط الأمن على أكمل وجه . وأصبح زعيماً لزمرة الضباط البعثيين بعد مصرع المالكي ، وتحالفت زمرته مع فريق صغير من الضباط الشيوعيين ، وشكلت كتلة الضباط التقدميين وأصبحت كتلة قوية وإن بقيت واحدة من الزمر المتعددة من جماعة الضباط اليمينيين أو المستقلين . وقد قادت زمرة السراج حملة منظمة لإبعاد العناصر المعارضة لتوجهاتها داخل الجيش وانطلقت بسرعة بحيث لم يعد من السهولة بمكان إيقاف انطلاقتها [2] .

---

[1] – السرّاج من مواليد حماه ١٩٢٥ ، عمل في سلك الدرك ثم التحق بالكلية العسكرية في حمص عام ١٩٤٧ ، شارك في حرب فلسطين في جيش اليرموك ، وكان له دورٌ ثانوي في انقلاب الزعيم والشيشكلي ، وتعاون مع هذا الأخير وأصبح من جماعته ، وقد أرسله الشيشكلي إلى فرنسا عام ١٩٥٢ لاستكمال دراسته العسكرية . وبعد رحيل الشيشكلي أصدرت الحكومة مرسوماً بتسريحه مع جملة من الضباط من جماعة الشيشكلي . ثم تراجعت عن موقفها وقد تحالف السراج مع الضباط البعثيين ، وحافظ على صلاته الوثيقة بالبعث حتى قيام الوّحدة . راجع : من هو في العالم العربي ، نشر جورج فارس ، ج١ ، سورية ، دمشق ١٩٥٧ ، ص٢٣٠ . مطبع السمان ، وطن وعسكر ، ص٣٥٥ - ٣٥٦ , ٣٦١ و
E. Be'eri , Army officers .. , p.133, 405 .

[2] – كتب السفير البريطاني في دمشق حول التكتلات داخل الجيش ما يلي : " إن الجيش الذي

وأخيراً مع قضية المالكي كسب حزب البعث بشكل حاسم ونهائي سباقه مع الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وأصبح البعث الحزب الأكثر حسماً على الحلبة السورية بعدما تحالف مع الحزب الشيوعي . واستغل الحزبان المشاعر المعادية للغرب وغضب الجماهير من دعم الغرب لاسرائيل ، فسيطرا على الشارع وأشعلا التظاهرات المعادية للغرب وللعراق في كل المدن السورية . وراح البعث منذ ذلك التاريخ يشدد على الشعارات الاشتراكية بينما حمل الشيوعيون لواء القومية العربية وأصبح الشعاران متلازمان بحيث اتخذ البعث وجه منظمة من المنظمات الشيوعية التي تحمل إسماً آخر وكثف الحزبان الإعلام اليساري في سورية ، فشنت الصحف الناطقة باسمهما حملة إعلامية كرّس فيها الكتاب اليساريون أقلامهم لنشر أفكار القومية العربية التي أصبحت متلازمة مع سياسة الحياد والدعوة إلى التحالف مع السوفيات . وأشعلت هذه الحملة في سورية وفي محيطها نيران قومية متطرفة يسارية ، وأصبحت سورية الديمقراطية الحرة مركز جذب للمبعدين اليساريين والقوميين من البلاد العربية المجاورة .

وفي هذه الحقبة بدأ التصدع يبرز بوضوح داخل حزب البعث ، فانسحبت منه عناصر من المؤسسين القياديين من أمثال جلال السيد الذي لم يكن راضياً عن توجهات الحزب الجديدة [1] كما نما داخل الحزب الجناح الاشتراكي على حساب جناح عفلق الذي كان معارضاً للتحالف مع الشيوعيين ولتوسيع العلاقة مع

أصبح أكثر فعالية بعد مصرع المالكي ، ما يزال منشقاً بين القطاعات السياسية ، وأكثرها عدداً التكتلات اليمينية التي ليس لها نفوذ بارز إلا من حيث أنها تشكل كابحاً للتيار اليساري داخل الجيش الذي أصبح يضم عدداً قليلاً من الشيوعيين الذين يعملون من خلال كتلة ضباط حزب البعث التي أصبحت أكثر الزمر نفوذاً " راجع :

F.o/371/121856/ Syria, Annual Political report for 1955, confidential No 16, 24/11/1956, p.1.

- W. Laqueur, the soviet union and the Middle-East , p. 500 .

وحول التحالف بين حزبي البعث والشيوعي داخل الجيش راجع :

I. Rabinovich , Syria Under the Ba'th , p.14, cf, E. Be'eri , Army officers .. op, cit, p. 72 - 75, 132 .

[1] - لمزيد من التفاصيل راجع كتابه ، حزب البعث العربي ، ص ١٢٧ – ١٥٥ .

الضبـاط [1] ومع ذلك استمر الجناحان يتطلعان إلـى السيطـرة علـى سياسـة سوريـة الداخلية والخارجية وإلى الهيمنة في دوائر الدولة لتنفيذ برنـامج الحـزب التقدمـي وفـرض نظريته الثورية الانقلابية .

- بعد مصرع المالكي قـاد الحلـف اليسـاري حملـة لدفـع الحكومـة إلـى تنفيذ مـا وعـدت بـه مـن اصلاحـات اجتماعيـة - اقتصاديـة ، وتزامنـت الحملـة مـع تفـاقم الأزمـة الاقتصادية في سورية بسبب شتاء وربيع قاحل أضاع قسماً من محصول الحبـوب وجعـل سورية لأول مرة في تاريخها مستوردة للقمح ، واضطرت الحكومة إلى الاسـتقراض مـن المصارف لتلبية حاجات السكان ، وحدثت بلبلة في حقل التجارة وسـاد خـوف مـن عـدم قـدرة الحكومـة علـى إيجـاد سـوقٍ لتصريـف فـائض إنتـاج القطـن . وقـد أكـدت الأزمـة الاقتصادية ضرورة الاصلاحات ، بيد أن الحكومة المنشقة لم تستطع التوصل إلى أغلبيـة برلمانية لابرام مسودة قانون الاصلاح الزراعي الذي أحاله الحوراني على المجلس والذي يضمن حماية العمال الزراعيين والمستأجرين والمحـاصصين مـن الطـرد التعسـفي ويتيـح لهم الحصول على قروض مـن البنـك الزراعـي وبعـد رفـض المجلـس النيـابي لمشـروع القانون هدد نواب البعث الستة عشر بالاستقالة والعودة إلى صفوف الجماهير للنضال مـن أجل تحريرها من نير الاقطاع ، واتهـم الحورانـي نـواب حـزب الشـعب بقبولهـم الرشـوة لاسقـاط مشـروع قانونـه ولإقـرار البرلمـان بأغلبيـة سـاحق لقـانون حمايـة الملكيـات الكبـرى [2] كـذلك رفـض البـرلمان التصديـق علـى مطالـب اليساريـين فـي منـح النسـاء حقهـن بالترشيـح لانتخابات مجالس البلديات القادمة [3] . ومنذ أن أصبحـت شـركة الأبـي

---

(1) - حول انشقاق حزب البعث ، ورد عفلق على هذه الاشاعات راجع صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد٣٤١، ١١ تموز ١٩٥٥ . وللتوسع راجـع ، منيف الرزاز ، التجربة المرة ، ص ٣١ - ٣٦ . السيد ، حزب البعث ، ص ١٣٦ - ١٥٤ .

(2) - كان الحوراني قد قدم مسودة القانون إلى المجلس في ١٩٥٥/١/٢ ثم سحبه ليطرحه ثانية في ظل حكومة العسلي : راجع النص في ، صحيفة الصرخة ، دمشق ، عدد ١٧٢ ، ١٩٥٥/١/٢١ .

(3) - من الجدير ذكره أن نواب البعث لم ينفذوا تهديدهم لكنهم طالبوا رئيس المجلس بفتح التحقيق حول تهمة الرشوة الموجهة بحق أعضاء من حزب الشعب ، وأصبح الصراع بين الحزبين على أشده . للتوسع راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم /٢/ للعام ١٩٥٤ - ١٩٥٥ ، جلسة ٦ حزيران ،

سي أكبر الشركات الأجنبية في سورية ، أصبحت هدفاً للاشتراكيين القوميين وحلفائهم الشيوعيين ونشروا في الصحف والبرلمان موجة سخط ضد هذه الشركة ودعم المكتب الثاني هذه الحملة وراح رجاله يمارسون الضغوط على موظفيها واتهمت المخابرات الشركة بالتورط في قضية المالكي وبأنها استخدمت مراكزها لعقد اجتماعات سياسية ، وبأنها قدمت سلاحاً للمتآمرين ، وطالبت بتسريح ٥٠ موظفاً من رؤوساء الورشات بحجة انتمائهم إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي المنحل . وقد راحت العناصر اليسارية تضغط على الحكومة لقطع مباحثاتها الدائرة مع الشركة لتعديل رسوم المرور ، واقلقت هذه الضغوط لندن ، ودفعت الشركة إلى اتخاذ التدابير الاحتياطية تحسباً لقيام الجماهير ومن ورائها المخابرات بأعمالٍ تخريبية ضد أنابيب الشركة ومنشآتها في سورية .

تلاءمت المطالب الاقتصادية لليسار السوري مع تطلعات قطاع كبير من الشعب واصبح بامكان الجناح اليساري في السلطة الاعتماد على تأييد شعبي كبير يشاركه أفكاره وآراءه السياسية وظهر حزب البعث كبطل يناضل لأجل أهداف وتطلعات الجماهير الكادحة وتحولت الأحزاب التقليدية إلى الدفاع عن نفسها وستصبح فيما بعد عاجزة عن احتواء حزب البحث وحلفائه ... وحتى يحين ذلك الزمن بقيت السلطة في سورية في أيدي القوى التقليدية الموالية للغرب ، بيد أن ارتفاع الأصوات اليسارية في البرلمان والصحافة أثار غضب العراقيين وقلق دول الغرب ، كذلك لم ينظر عبد الناصر بعين الرضا إلى تلكؤ الحكومة السورية في إبرام الميثاق الثلاثي [١] ولا إلى سياستها الخارجية التي أبرزت سورية كدولة ذات شخصية مستقلة عندما مثلها خالد

ص ١٣١ - ١٥٠ .

- راجع نص مسودة قانون إنتخابات المجالس البلدية في صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٣٤٤ ، ١١ تموز ١٩٥٥ . وقد أقر مجلس النواب شرط البطاقة الانتخابية ورفض إقرار حق المرأة في ترشيح نفسها للانتخابات كمقدمة لمنحها عضوية البرلمان كما كان يطالب النواب البعثيون ، راجع نص القانون المبرم في م . ن ، جلسة ٨ آب ، ص ٩٤٢ - ٩٤٣ .

(١) - من القاهرة صرح "عبد الناصر أن الحكومة السورية اضعفت الميثاق الثلاثي وقللت من أهميته " راجع : صحيفة الفيحاء ، دمشق ، عدد ١٣ آب ١٩٥٥ .

العظم في مؤتمر باندونغ [1] كما عارضت القاهرة والرياض بداية تطور العلاقات السورية مع كتلة الاتحاد السوفياتي ، وقد برزت تلك المواقف في معركة الانتخابات الرئاسية .

- الانتخابات الرئاسية (١٨ آب ١٩٥٥) [2]

تجاوزت أهمية هذه الانتخابات إطار الصراعات الداخلية السورية واتخذت ابعاداً عربية ودولية في ميدان الصراع على النفوذ في سورية .

تزاحم على كرسي الرئاسة كلّ من خالد العظم والرئيس الأسبق شكري القوتلي الذي عاد ليسترد اعتباره ومنصبه الذي انتُزع منه بالقوة غداة انقلاب ٣٠ آذار ١٩٤٩ . عاد القوتلي الذي حكمت عليه سورية باجماع فريد بأنه رمز لعهد فاسد . ومع ذلك استمر يتمتع برصيد محترم لدى بعض السياسيين السوريين ممن اعتقدوا أنه قادر على مواجهة الاعصار وكبح جماح الجيش .

لم يكن القوتلي مدعوماً بكتلة برلمانية قوية ، فإذا ما استثنينا الحزب الوطني ، الذي كان ما يزال يدين له بالولاء ، والذي كان منقسماً في مضمار السياسة العربية إلى جناحين متعارضين : واحد يدعو إلى الميثاق الثلاثي والثاني ، وهو الأكبر ، يناصر واقعية نوري السعيد ، ويدعو إلى التعاون مع العراق [3] فإن حزب الشعب الذي أقام

---

(١) - راجع التفاصيل في مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص٣٦٦ - ٣٨٦ .

(٢) - المعلومات حول معركة رئاسة الجمهورية مستقاة من المصادر التالية : خالد العظم ، مذكرات ٩ - ٢، ص٤٤٤ - ٤٦٦ ، نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤٦٠ - ٤٦٣ .

F. o/ 371/ 115946/ "the New president of Syria" Sec/ Rep No 68 , August 19, 1955 , p.1 - 2 .

الصحف السورية : الرأي العام ، عدد ١٣ و ١١ تموز ١٩٥٥ ، عدد ٢٧ و ٩ أيلول ، الصرخة ، عدد ٢٣ أيلول ١٩٥٥ومذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ، ص ١٢٠٢ - ١٢٠٥ .

(٣) - - F. o/371/115945/ Sec Mes/ No49, From British Embassy to Foreign office, May3, 1955,p.3.

مجده السياسي على معارضة القوتلي ، كان يقف بصلابة ضد عودته إلى الرئاسة كذلك كان موقف حزب البعث العربي الاشتراكي والجيش ، " وقد دفع موقف الجيش ، المعادي القوتلي ، أديب الشيشكلي إلى العودة سراً إلى سورية أملاً باستعادة دوره بالصيد في المياه العكرة التي قد تحدث من جراء انتخاب رئيس غير مرغوب به من قبل الضباط " [١] .

ومع أن القوتلي لم يكن قادراً على مواجهة منافسه العظم على الصعيد الداخلي ، إلا أنه تمتع بفضيلة كونه أقل خطراً منه على سياسة الغرب ومشاريعه في سورية .

كان العظم يملك كتلة برلمانية قوية ودعماً من البرلمانيين اليساريين وأملاً كبيراً في أن يحظى بقبول الجيش . ولم يكن العظم شيوعياً ولا حتى اشتراكياً ، بل كان يرى أن على سورية تجنب خطر انتشار بممارسةٍ سليمة للديمقراطية وتحسين ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وأن طريق القمع الذي يمارسه نوري السعيد ضد الشيوعيين في العراق غير فعّال ولا مجدٍ . وكان العظم متطلعاً دائماً إلى التعاون مع الغرب دون أن يمس ذلك القرار السوري المستقل . فهو الداعية الأول لاستقلال سورية بحدودها القائمة والمدافع الصلب عن شخصيتها ضمن محيطها العربي . والواقع هو أن الدبلوماسيين الانكلو-ساكسون قد صرفوا أنظار حكوماتهم عن العظم ووصفوه في تقاريرهم بأنه "إنتهازي ، بلا مبادئ يريد الرئاسة بأي ثمن ، ويريد أن يحكم بدافع طموح شخصي ، ولكي يلعب لعبة اليسار ويتعامل معه " [٢] .

وإذا كان من الصحيح أن العظم تعاون مع اليسار وتقرب من الاتحاد السوفياتي فذلك يعود إلى اقتناعه بأن إسرائيل ستحظى دائماً بدعم الغرب وكان يرى أن على السوريين أن يتسلحوا ويحضروا العدة لمواجهة أي هجوم إسرائيلي محتمل . ولقد أثارت تلك القضية اهتمامات العظم وحددت مسار سياسته ودفعته إلى تبني سياسة الحياد المعادية للاحلاف العسكرية الغربية ، وبذلك دقّ العظم بنفسه المسامير في نعش مطامحه ، حيث

---

(١) - F. o/ 371/ 121856/ Syria Annual Report for 1955 . confidential No16, 24 Jan 1956 , p.2 - 3 .

(٢) - F.o / 371 /Op,cit , p.2 and 115950 / Sec Mes No 26 , 22 feb 1955 p.3-4.

أن تحركاته ومواقفه أقلقت الحلف الانكلو-ساكسوني وفرنسا أيضاً التي سحبت تأييدها لحليفها العتيد بعدما بدا لها واضحاً أن التيار يسير عكسه [1] . وكان خطأ العظم في عدم إدراكه لمدى رسوخ جذور النفوذ الغربي في المنطقة العربية .

وهكذا اصبح القوتلي مرشح حكومات الغرب التي اعتقدت أن سيعمل جاداً على تقليص نفوذ اليسار في سورية وفي الوسط العسكري . وهو أيضاً مرشح السعودية ومصر حيث عاش في منفاه تحت رعاية الأسرة السعودية ، ومن منفاه كوَّن علاقات حميمة مع الضباط المصريين وسار في ركاب سياستهم المعارضة لحلف بغداد . أما العراق التي لم تكن تثق بكلا المرشحين فقد انحازت أخيراً إلى القوتلي لما تبين لها عدم قدرة حزب الشعب على إيصال مرشحه إلى الرئاسة .

في ٦ آب أعلن الحزب الوطني ترشيح القوتلي وراحت بالتالي أموال السعودية تلقى لصالحه علناً أو بالخفاء . ومارست مصر لصالح القوتلي نفوذها داخل الجيش الذي حامت الشكوك حول موقفه وتحول أخيراً عن العظم لصالح القوتلي الذي قدم للجيش وعوداً وتنازلات قيمة . وأخيراً فإن موقف حزب الشعب قد جرد العظم من فرصته ، وذلك عندما سدَّ الطريق أمام من عدّه دائماً عدوه الأكبر الألد الذي عرقل مشاريعه وتوجيهاته لتحقيق وحدة الهلال الخصيب ، وكان لتأييد هذا الحزب للقوتلي دور بارز في وصوله إلى كرسي الرئاسة .

في ١٨ آب انتخب البرلمان السوري شكري القوتلي رئيساً للجمهورية بأغلبية ٩١ صوتاص مقابل ٤١ نالها العظم [2] .

لم يكن القوتلي شخصية مؤهلة لقيادة دفة البلاد في ظل تلك الأوضاع الدولية المعقدة ، ولا يملك تلك القدرات التي تتيح له مواجهة التغيرات الداخلية والتحكم بالجيش . وبالتالي فشل في توحيد الأمة ومواجهة العواصف .

---

(١) - F. o/ 371/ 121856/ Syria, annual report for 1955 , Confidential No 16 , 24 Jan 1956, p.2-3.

(٢) - جرى الاقتراع على دورتين ، وشارك في الجلسة كل النواب . راجع تفاصيلها في مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٥ - ١٩٥٦ ، ص ١٢٠٢ - ١٢٠٥ .

وعلى عكس ما بدا للوهلة الأولى أن انتصار القوتلي هو انتصار لسياسة الغرب. فسرعان ما تبدّد هذا الوهم ، وعليه ، وقبل أن يتسلم القوتلي مهام ولايته راحت كل من لندن وبغداد تخططان لبدائل أخرى مثل قيام انقلاب عسكري وعودة الشيشكلي إلى السلطة بدلاً من رئيس يميني لن يكون قادراً قط على مواجهة المد اليساري وسيعمل بالتأكيد لصالح مصر والسعودية [1] .

× × ×

قدّمت الأحداث التي كتبناها في هذا الفصل نموذجاً لحالة عودة النظام الديمقراطي في بلاد قُمعت فيها الحياة السياسية خمسة أعوام ولم تكن تملك أصلاً خبرات حقيقية في فن ممارسة الديمقراطية .

في هذه المرحلة التي امتدت عاماً ونصف توضّحت خلالها الملامح الأولية للتاريخ السوري حتى عام ١٩٥٨ : فقد مثلت عملية انسحاب الجيش من الساحة السياسية التكامل بين القوتين الحاسمتين في المجتمعات حديثة التكوّن : الجيش والجماهير . وكما في تلك المجتمعات استمر الجيش يمارس في إطار النظام المدني القائم حق التدخل في الحياة السياسية وأصبح هذا الحق معترفاً به لدى الفعاليات السياسية وسيزداد بروزاً في السنوات اللاحقة نتيجة فشل السياسيين في بناء ديمقراطية سليمة لا تحتاج إلى الجيش لحل مشاكل الدولة ولا يضطر معها إلى التدخل في الحياة السياسية .

في هذه المرحلة قامت معركة غامضة ومختلسة الخطا بين قوى جديدة راحت تعمل لتفكيك أسس المجتمع القديم وبين القوى التقليدية التي ما تزال تمسك بخيوط اللعبة السياسية ، إلا أن انقسامها وافتقادها إلى قيادات قادرة مدركة للمستجدات سيجعلها معاقة تدافع متراجعة عن نظام يُجسّد مصالحها .

تزامنت عودة الديمقراطية إلى سورية مع بروز مظاهر أشد تعقيداً من السابق على الصعيد الخارجي . وقد واجه النظام القائم تيارات دولية وإقليمية

---

(1) - F. o/ 371/ 115946/ "the New president of Syria" , p.2 .

متضاربة بسياسة تدور في حلقة مفرغة ، وتسير وسط سطوح متدرجة تجسد الواقع الداخلي المتزعزع ، هذه السياسة ستترك بصمات على مستقبل البلاد وكيانها .

وبعد ، ومع انقضاء المرحلة الأولى من عصر الديمقراطية استمرت سورية تفتقد إلى المسؤولية القيادية ، إلى الرغبة في العمل الجماعي للوصول إلى خير البلاد وازدهارها ، أي ، إلى حكم قوي وثابت الأركان .

× × ×

× ×

×

الفصل الثاني

==========

عصر المخاض التاريخي

سورية من الحلف العسكري مع مصر إلى تشكل جبهة التجمع القومي

[٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥– ٨ كانون الأول ١٩٥٦]

تمهيـــــد :

في هذه المرحلة وفي ظل مناخ داخلي مفعم بالتناقضات عاشت سورية أحداثاً شديدة التسارع من أبرزها : تدهور نفوذ القوى اليمينية–التقليدية لصالح اليسار الذي مكنته أحداث خارجية من إزاحة النخبة السياسية القديمة تدريجاً وتوجيه سياسة البلاد . وانعكس ذلك على علاقات سورية الخارجية فأصبحت وثيقة مع دول الكتلة الشيوعية وكان لذلك أصداؤه على الساحتين العربية والدولية ، أما على صعيد تركيبة العلاقات العربية–العربية فقد أحرزت مصر ، على حساب العراق نصراً مبيناً قام على زعامة جمال عبد الناصر وعلى العلاقات الوثيقة التي أقامها نظامه مع فريق من الضباط السوريين ومع حزب البعث الذي وجد في الناصرية الداعية إلى الوحدة العربية وسياسة الحياد شريكاً ملائماً لأفكاره ، وراح يطلق ، منذ مطلع عام ١٩٥٦ ، النداءات نحو شكل من اشكال الاتحاد مع مصر التي توالت منجزاتها السياسية بعد تأميم القناة ونصرها الدبلوماسي على فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ، ووالى الفريق المؤيد لها نجاحاته في سورية ، ودخل في جبهة تقدمية قومية قادت دفة الحكم حتى قيام الوحدة مع مصر . سنتحرى في هذا البحث بالتفصيل الدقيق تطورات هذه المرحلة ، مرحلة التغييرات المتسارعة في التاريخ السوري المعاصر .

أ – وزارة سعيد الغزي (١٣أيلول١٩٥٥–٢حزيران١٩٥٦) :

منذ أن صوّت البرلمان السوري بالاجماع على الحلف العسكري مع مصر وحتى قيام وزارة صبري العسلي ، تحركت حكومة الغزي بخطى قلقة لمواجهة أزمات البلاد الداخلية التي ازدادت حدة بسبب الصراعات العربية – العربية للتحكم بسياسة سورية الخارجية .

في ١٣ أيلول صدرت مراسيم الوزارة وهيمن على حقائبها الرئيسية اليمين السوري متمثلاً بحزب الشعب والمستقلين المحافظين وأعضاء من الكتلتين الدستورية والديمقراطية [١] وفي جلسة ٢٠ أيلول تلا الغزي البيان الوزاري وجاء واعداً ببريق أمل في التوصل إلى الاستقرار والنمو ، فقد رسم البيان سياسة واعية على الصعيدين الداخلي والخارجي . فعلى الصعيد الداخلي جاء فيه أن من أولويات هذه الحكومة العمل على سيادة القانون وصيانة الحريات العامة وتقوية دعائم الديمقراطية بطرح مشاريع قوانين لتنظيم الإدارة وتلافي النقص في قانون الانتخابات العامة ، وأكّد البيان على سياسة الحكومة في مضمار تنمية الاقتصاد وحل الأزمة التي يعاني منها عن طريق حماية الرأسمال الوطني وتشجيعه وتأمين الأسواق وإحداث المجلس الاقتصادي الدائم ومؤسسة الإنماء الإقتصادي ، وتزويد البلاد بالنقد الأجنبي عن طريق الإقتراض من البنك الدولي للإنشاء والتعمير . وجاء في البيان أن الحكومة ستطبق مبادئ الضمان الاجتماعي تدريجياً وستسد الثغرات الموجودة في قانون العمل ، وستعمل على تطبيق الأسس

---

(١) – تشكلت الوزارة على الوجه التالي : الغزي رئيساً ووزير خارجية ، منير العجلاني العدلية ، حسن الأطرش وزير دولة (وعهد إليه صلاحية الوزير المختص بشؤون المديرية العامة للخط الحديدي الحجازي) ، عبد الباقي نظام الدين وزيراً للأشغال العامة والمواصلات ، رشاد برمدا للدفاع ، علي بوظو الداخلية ، عبد الوهاب حومد المالية ، محمد سليمان الأحمد وزير دولة (عُهد إليه بصلاحيات الوزير المختص بشؤون مديرية الدعاية والأنباء والإذاعة السورية) ، رزق الله إنطاكي وزيراً للاقتصاد الوطني ، مأمون الكزبري للمعارف ، أسعد هارون وزير دولة ، د. بدري عبود وزارة الصحة ، مصطفى ميرزا وزيراً للزراعة . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٥/٥٦ ، ص ١٢١٣ – ١٢١٤ .

العصرية في ميدان التربية والتعليم والصحة ... وأخيراً لن تدخر الحكومة جهداً لتقوية الجيش وتجهيزه وإيجاد السبل للوصول إلى هذه الغاية . أما في الحقل الخارجي فقد أعاد البيان المقولات التقليدية : " سورية جزء لا يتجزأ من الأمة العربية وستستأنف الحكومة المباحثات حول مشروع الميثاق الثلاثي على أن يكون أساساً لميثاق عربي قومي " وأن لا مصلحة لسورية في الانضمام إلى الحلف التركي العراقي وما هو جديد في هذا البيان ، التفاته نحو لبنان : " إن الحكومة ترحب في أن تشكل سورية ولبنان وحدة دفاعية تامة وأنها ستسعى جاهدة إلى تقوية علاقاتها مع هذا القطر الشقيق للتوصل إلى توحيد سياسة الدولتين في القضايا العربية والدولية وتحقيق الوحدة الاقتصادية " [1] .

استغرقت مناقشة البيان عدة جلسات مطولة ، شنّ فيها نواب اليسار ، وخاصة البعثيون ، حملة عنيفة ضد الغرب ومشاريعه وأحلافه [2] . وبدا واضحاً في جلسات الثقة أن اليسار رصّ صفوفه بإحكام لمعارضة الوزارة بينما أصبح الانشقاق بارزاً بين القوى اليمينية إذ اصطف نواب الحزب الوطني إلى جانب اليسار وحجبوا الثقة عن الحكومة التي حظيت بثقة ٨٨ نائباً مقابل ٣١ [3] .

كان على حكومة الغزي أن تعمل في أجواء ضغوط المعارضة السياسية ، ونتيجة ذلك أصبحت إدارة البلاد غير فعّالة ، وفقدت الحكومة قدرتها على توجيه سياسة البلاد . وهكذا وفي ظل هذه الحكومة الضعيفة كانت انطلاقة النفوذ المصري في سورية وجنوحها نحو المعسكر الشيوعي .

---

(١) - راجع نص البيان في : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٥/٥٦ ، ص ١٢١٥ - ١٢١٨ .

(٢) - راجع الكلمات التي ألقاها كل من خالد بكداش ، خليل كلاس ، رئيف الملقي ، أكرم الحوراني، عبداللطيف اليونس ، صبري العسلي في المصدر نفسه ، ص ١٢٤١ - ١٢٨٢ .

(٣) - مذكرات مجلس النواب مجلد رقم ١ ، للعام ٥٥/٥٦ ، ص ١٢٨٣ .

الاتجاهات المصرية نحو القومية العربية وأصداؤها في سورية : في الرابع من تموز عام ١٩٥٤ ، ومن محطة إذاعة صوت العرب [١] أطلق عبد الناصر لأول مرة شعار وحدة الأمة العربية ، ومن ثم استدارت حكومة الضباط الأحرار من القومية المصرية الصرفة إلى القومية العربية في موجة تصاعدية بلغت أوجها في نص الدستور المصري الصادر في ٢٣ حزيران ١٩٥٦ [٢] .

لسنا هنا في صدد دراسة العوامل والظروف التي كانت وراء تبني النظام المصري الإتجاه القومي العربي فتلك مسألة بُحثت باستفاضة في العديد من المؤلفات [٣] وسنكتفي هنا بالإشارة إلى أن عبد الناصر قد أدرك مدى عمق الجذور العاطفية والتاريخية للوحدة العربية في نفوس الشعب العربي ، ومدى قوة الإتجاه السائد نحو تكتل دول العرب الذي نما نتيجة التطور السريع لوسائل الاتصال وازداد قوة بعد قيام دولة إسرائيل التي شكل وجودها شعاع أمل في دمج العرب ضمن دولة واحدة ، وقد أكد

---

(١) – هو العيد السنوي الأول لتأسيس إذاعة صوت العرب التي أمسكت بزمام الدعاية الإذاعية للنظام المصري وقد أسستها الـ C. I. A التي تولت تنظيم شؤون الدعاية لتدعيم شعبية ناصر في مصر والعالم العربي . راجع : ولبركرين ايفلاند ، حبال من رمل ، قصة اخفاق امريكا في الشرق الأوسط، تعريب د. سهيل زكار ، دمشق ، طلاسدار ١٩٨٠ ، ص ١٧٠ – ١٧٢ .

(٢) – جاء في المادة الأولى من الدستور : " مصر دولة عربية والشعب المصري جزء من الأمة العربية ، يعمل على تحقيق وحدتها الشاملة " كما جاء في ديباجيته : " الوحدة ، أمل أمتنا العربية ، الوحدة العربية نداء ، تاريخ ، دعوة ومستقبل وضرورة ومصير .. " راجع : روح الدستور ، نشر عبد القادر حاتم ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٠١ .

(٣) – صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة . دار الوطن العربي ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٦٠ – ١٠٧ . أحمد حرموش ، " فكرة القومية العربية في ثورة يوليو " في سعد الدين ابراهيم وآخرون ، مصر والعروبة وثورة يوليو ، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٢ ، ص ٨٣ – ٩٣ . راجع أيضاً :

J. Lacouture , Nasser , (Paris 1971), p.101 - 131, cf. P. J. Vatikiokis , the Egyptian army in Politics . (Indiana univ press 1961) p.39 et suiv . ck. E. Be'cri , Army officers .. , p.373 - 387 , cf. F. Bertier , "Reflexion sur la Politique exterieure et interieure de l'Egypte" dans Orient , Paris , No 9 , 1959 , p.31 - 41 .

ناصر في تصريحاته وكتابه "فلسفة الثورة " أن لمصر دوراً رائداً لتغيير واقع العالم العربي ليصبح قوة سياسية ذات وزن عالمي [١] .

تبلورت إيدولوجية مصر القومية إبان معركة الأحلاف العسكرية مع الغرب ، وقادتها عقيدة الأمن المصري التقليدية نحو سورية ، للحؤول دون قيام أي ارتباط محكّم أو متراخٍ بينها وبين العراق ، وعليه وضعت مصر نفسها على رأس الحربة المعارضة لحلف بغداد وتوصلت بالتعاون مع فريق من الضباط السوريين وحزب البعث إلى إبعاد سورية عن الحلف دون أن تتمكن من دفع الحكومة السورية إلى إبرام الاتفاق الثلاثي ، ولا إلى استئصال النفوذ العراقي من الساحة السورية . وحتى يتم لها ذلك الانتصار الساحق على بغداد ، كان على مصر أن تقطع كل روابطها مع الغرب ، وعليه أوحى مؤتمر باندونغ (نيسان ١٩٥٥) إلى عبد الناصر بالرهان الذي سيكسبه في صراعه مع العراق للسيطرة على سورية ومنها على العالم العربي ، وعليه أصبح الحياد الايجابي مذهباً عملياً يتلاءم مع أهداف ناصر وتطلعاته ، ومنذ عودته من جاكرتا " تكرس زعيماً وطنياً بلا منازع وسجل التاريخ بدء ارتباطه بالجماهير المصرية ، وانتفت عنه إلى الأبد صفة العميل الانكلو– ساكسوني ليصبح رمزاً للاستقلال والكرامة الوطنية " [٢] كذلك خلّفت سياسة مصر الجديدة أصداءً قوية في سورية ، ومنحت زخماً لحزب البعث المنادي بالحياد ، ورأى في الناصرية امتداداً لمبادئه إلى مدى أبعد مما كان يحلم به ، إلى مصر ، ومنها إلى عالم يمتد من المحيط إلى الخليج .

في ٢٧ أيلول عندما أعلن عبد الناصر في خطاب رنان عن صفقة الأسلحة التشيكية ، التي كسرت طوق احتكار الغرب لصفقات الأسلحة في الشرق العربي ، أصبح بين ليلة وضحاها بطل القومية العربية بلا منازع ، وقد حركت هذه الصفقة في سورية

---

(١) – أشار عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة الفصل الثالث ، ص ٦١ – ٦٢ أن مصر محاطة بثلاث حلقات : العربية الافريقية والاسلامية . وبين هذه الحلقات الحلقة العربية هي الأكثر أهمية وهي التي نحن مرتبطين بها الآن بشكل وثيق ، وهذه الحلقة تفتش عن دور ، عن بطل لانجاز عمل خارق .. قال " لا أعلم يبدو لي أن هذا الدور قد استقر قرب حدود بلادنا ويشير إلينا أن نتحرك " .

(٢) – J. Lacouture , Nasser , p.158 . et son livre , 4 Hommes et leurs peuples sur - pouvoir et sous - developpement , ed le Seuil . Paris 1969 . p.108 - 109 .

تياراً شعبياً مؤيداً لمصر ، وقوّت موقع التيار القومي المنادي بالتحالف مع مصر داخل البرلمان ومن ورائه زمرة الضباط القوميين العرب بزعامة السرّاج ، وانساقت الحكومة وراء هذا التيار ، ففي ٢٠ تشرين الأول وقعت الحكومة على اتفاق دفاعي ثنائي بين سورية ومصر ، وأذيع نصه في بيان مشترك من دمشق أشاد بالجهود التي بذلها المفاوضان : رشاد برمدا وزير الدفاع السوري ، والأمير الاي محمود رياض السفير المصري بدمشق ، وفي الخامس من تشرين الثاني أقرَّ البرلمان السوري الاتفاق بإجماع ساحق ولم يتجرأ أي نائب على الاعتراض عليه [١] .

نص الاتفاق على قيام مجلس دفاع أعلى ، وهيئة عسكرية عليا ، وقيادة عسكرية مشتركة تقدر السياسة العسكرية برئاسة عبد الحكيم عامر وزير الدفاع المصري وعضوية الزعيم جمال فيصل وأحمد عبد الكريم من سورية . ومدة الاتفاق خمس سنوات تتجدد تلقائياً وهو لا يتعارض مع التزامات سورية الدولية والعربية [٢] . وفي ٢٧ تشرين الأول تم التوصل إلى اتفاق مصري – سعودي مشابه انضمت إليه اليمن في ٢١ نيسان [٣] .

نالت سورية للتو مكافأة على توجهها السياسي الجديد ، فبعد أربعة أيام على إبرام البرلمان للاتفاقية ، توجه وزير الاقتصاد إلى السعودية ، ووقع في جدة على اتفاق تجاري قضى بشراء السعودية البضائع السورية المصنّعة وإعفاء غالبية المنتجات السورية من الرسوم الجمركية وتخفيض نسبتها على البضائع الأخرى ، وتأجيل دفع قرض ١٩٥٠، ونيل سورية قرضاً آخر بقيمة ١٠ مليون دولار تسلمت منهم أربعة ملايين [٤] ، وأعلنت الحكومة بعد ذلك رفضها قرض البنك الدولي لأن شروطه تمس باستقلالية القرار السوري . " مع أن نصوص معاهدة الدفاع المشترك لم تطبق فعلياً إلا أنها أعطت مصر نفوذاً معتبراً في الشؤون العسكرية السورية ، ولما كان الجيش يسيطر

---

[١] – أعلن الحوراني "إن الاتفاق العسكري مع مصر ناقص وحتى يكون ذا مفعول مجد يجب أن يرفق باتفاق سياسي" . إلا أن الوزراء الشعبيين أصروا على حصره بالنطاق العسكري وضد اسرائيل وإلا سيتركون الحكم . راجع : صحيفة الرأي العام ، عدد ٤٣٧ / تاريخ ٤/١١/٥٥ / .

[٢] – راجع النص في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام /٥٥/٥٦ ، ص٤٠١ – ٤٠٢

[٣] – Middle-East Journal , Vol V. No10, Winter 1956 , p.77 - 79 .

[٤] – نص هذه الإتفاق التجاري في مذكرات مجلس النواب ، المصدر نفسه ، ص ٤٧٤ – ٤٨٤ .

على السياسة السورية فسوف يوصل هذا الحلف إلى تحكم القاهرة بسياسة سورية الخارجية " [١] . وفي الواقع انفتحت منذ ذلك التاريخ صفحة جديدة في علاقات سورية مع جيرانها وانتزع الحلف من حلف بغداد مبررات وجوده ، ووسع شقة الخلافات العربية - العربية ، ومكّن السوفيات من القفز إلى ما وراء خطوط دفاع الغرب التقليدية ، وعرقلة مشاريعه ومخططاته في المنطقة .

سورية وجيرانها بعد الحلف العسكري مع مصر : أعقب النجاح الذي حققته مصر في سورية فشل ذريع للجهود التي بذلتها بغداد لتحويل اتجاه السياسة السورية ، ولإقناع الدول العربية غير المرتبطة مع مصر بالدخول في حلفها . إذ أن سورية راحت تعمل لتوسيع دائرة حلفها الجديد فاتجهت أولاً نحو لبنان ، وكانت العلاقات بينهما متوترة بسبب القضايا الاقتصادية وتردد الحكومة اللبنانية بتسليم المطلوبين من أعضاء الحزب السوري القومي الاجتماعي إلى السلطات السورية ، كما بسبب اشتباه السوريين بأن المعارضة اللبنانية لحلف بغداد كانت صورية [٢] .

في نهاية تشرين الأول افتتحت الحكومة السورية مباحثاتها مع الحكومة اللبنانية ، ولم يتوصل السوريون إلى إقناع المسؤولين اللبنانيين بتغير موقفهم الحيادي من القضايا المتعلقة بالشؤون الخارجية والعسكرية وبعد سلسلة من اللقاءات التي أجراها سعيد الغزي في بيروت وشتورا للتوصل إلى عقد اتفاق دفاعي ثنائي توصل الطرفان في مؤتمر بلودان إلى التفاهم على مسودة اتفاق دفاعي ، بقيت حبراً على ورق لأن الحكومة اللبنانية أعلنت أنها " لن توقع على أي اتفاق ما لم يتضح موقف العراق منه " [٣] . وهكذا فشلت سورية في دفع لبنان إلى اعتماد المقولات المصرية .

---

(١) - F. o / 371/ 121856/ No16 / dated 24 Jan 1956 / p.4 .

(٢) - ظهرت بعض المقالات في الصحف السورية تدين موقف الحكومة اللبنانية وتصفه بالخيانة لقضايا الأمة العربية . راجع : الرأي العام ، دمشق ، عدد ٣٤٤ ، ٢١ تموز ١٩٥٥، وعدد ٤٧١/١١/١٠/٥٥ ، وعدد ٤٩٧ ، ٥٦/١٢/١٧ . راجع النصر ، دمشق ، عدد ٣٣٦٢ ، ٢٠ آذار ١٩٥٦ .

(٣) - راجع مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٥/٥٦ ، ص ٤٨٥ -٤٨٦، والحياة ،

الخطوة التالية كانت باتجاه الأردن المؤيد لحلف بغداد والمتردد في الانضمام إليه، ولاحقاً لزيارة الجنرال سير جيرالد تميلر رئيس هيئة الأركان البريطانية العامة عمان في ٣ كانون الأول قررت الأردن الانضمام إلى الحلف وبدأت بالتالي حملة اعتقالات في صفوف المعارضين لهذا الاتجاه ، وعلى اثرها اندلعت في أجواء الأردن عاصفة هوجاء كشفت عن مدى اتساع شعبية السياسة الحيادية التي أعلنتها مصر وقوة تأثيرها . فخلال شهر أصبحت عمان والزرقاء والقدس مسرحاً لتظاهرات عنيفة تعالت فيها الهتافات المنددة بحلف بغداد والعراق وبريطانيا ، وأحرق المتظاهرون مؤسسات أمريكية وحطموا مراكز البعثات الدبلوماسية الغربية ، وسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى وذبح بعض الجنود البريطانيين ، وقد لعب طلاب المدارس الثانوية الذين جندتهم الفئات المناصرة لحزب البعث والخط المصري الدور الأول في هذه الأحداث التي كان هدفها إقامة حكومة في الأردن مناصرة لمحور القاهرة – الرياض – دمشق . وفي شباط تحول الوضع إلى عصيان مسلح وأصبح الملك مثار هجوم عنيف عندما رجم المتظاهرون سيارته بالحجارة ونادوا بقيام الجمهورية واصطدموا مع رجال الشرطة وأحرقوا السيارات العسكرية [١] ، ومن ثم فرض الملك الأحكام العرفية وأنزل الجيش إلى الشوارع ، ومع ذلك لم يهدأ المرجل تماماً إلا بعد ثلاث أزمات وزارية ، وبعد أن استجاب الأردن لضغوط سورية والسعودية وضغوط البعثيين الأردنيين والقوميين الناصريين وتشكلت وزارة برئاسة سمير الرفاعي الذي أعلن أن بلاده لن تدخل في أي

بيروت ، عدد ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، والرأي العام ، دمشق عدد ٥٥/١١/١٠/٤٧١ .

(١) — حول أحداث الأردن راجع الصحف السورية الصادرة في الأشهر كانون الثاني وشباط وآذار وبخاصة اليسارية الميول نذكر : الرأي العام ، عدد ٤٩١ ، في ٥٦/١/١٠ ، ص ١ و ٤ . صحيفة الكفاح ، دمشق ، عدد ٣١٤٨ ، ٤ آذار ، ص ٢ و ٤ . وحول التظاهرات التي قامت في سورية احتجاجاً على حلف بغداد وتأييداً لشعب الأردن راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الداخلية ، قسم " التقارير الشهرية الادارية ، حافظة رقم ١٢ وثيقة رقم ٣٣٦/٦٠ / تاريخ ١٩٥٥/١٢/٢٦ .

حلف أجنبي ، وفي ٢ آذار عزل الملك حسين الليفتنات – جنرال سيرجون باجرت غلوب قائد الجيش العربي من منصبه مع عدد من الضباط البريطانيين [١] .

على أثر أحداث الأردن عُقد في القاهرة من ٦ إلى ١٢ آذار مؤتمر ضم قادة سورية والسعودية ومصر وصدر عنه بيان مشترك أكد على ضرورة دعم الأمن العربي والدفاع عنه ضد الاعتداءات الاسرائيلية والسيطرة الأجنبية ووضع الخطط لمواجهة الضغوط العراقية ، ووجّه المؤتمرون مذكرة إلى الملك حسين عرضوا فيها معونة مالية يستعيض بها الأردن عن المساعدات البريطانية ، وقد رفض الملك العرض وظل محتفظاً بروابطه مع لندن [٢] .

بعد اقصاء غلوب باشا توثقت العلاقات بين دمشق وعمان ، وفي ١١ نيسان زار الملك حسين سورية حيث أمضى ثلاثة أيام استقبل فيها في كل مكان بتظاهرات الترحيب، وفي ختام الزيارة صدر بلاغ مشترك أكّد رفض الانضمام إلى الأحلاف العسكرية الأجنبية وعلى حق الدول العربية في الدفاع عن نفسها والعمل على تحقيق وحدتها الشاملة. وقد رفض الملك إبرام أي اتفاق عسكري مع سورية وجدّد رفضه قبول المساعدات المالية المقترحة سابقاً [٣] . في ٣١ أيار ، وعلى أثر الزيارة التي قام بها القوتلي إلى الأردن ، أعلن ناطق رسمي أن المباحثات بين الفريقين السوري والأردني قد أوصلت إلى اتفاقية عسكرية تتضمن توحيد الجيشين بإقامة مجلس حربي مشترك وهيئة عمليات مشتركة ودائمة ، وتقرر رفع درجة التمثيل الدبلوماسي إلى مرتبة سفارة وإلغاء

---

(١) – من الجدير ذكره أن مجلس النواب السوري قد خصص جلسة ٣ آذار لتمجيد خطوة الملك حسين ، راجع وقائع هذه الجلسة في مذكراته ، مجلد رقم /٣/ للعام ٥٥/٥٦ ، ص ٦٧ – ٦٨ .

(٢) – حول وقائع هذا المؤتمر راجع : صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ١٣ آذار ١٩٥٥ ، الكفاح ، دمشق عدد ٣١٥٥ ، في ١٤ آذار ١٩٥٦ . وحول موقف الملك حسين راجع
F. o / 371/ 128219 / Syria , Annual Report for 1956 , From J. Cardener to Slwgn Lioyd , 13 Nov 1957 / p.1 - 2 .

(٣) – راجع تفاصيل هذه الزيارة في كتاب نصوح بابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤٨٢ – ٤٨٣ . وأيضاً مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم /٣/ للعام ٥٥/٥٦ ، ص ٣٢٤ . الصحافة السورية من ١٠ نيسان ١٩٥٦ حتى ١٥ منه .

جواز السفر والاكتفاء بالهوية الشخصية ، كما تمّ إقرار المبادئ العامة للوحدة الاقتصادية والمالية والجمركية ، وحل قضايا الترانزيت على ضوء المصلحة القومية [١] .

وفي إطار العلاقات السورية العراقية ، قامت حكومة الغزي بخطوات للتوصل إلى اتفاق اقتصادي مع العراق يُلحق به اتفاق عسكري ، ورحبت العراق بهذه الخطوات ففي مذكرة إلى رئيس مجلس الوزراء أعلنت الحكومة العراقية عن استعدادها لعقد ميثاق عسكري ثنائي مع سورية أو ثلاثي يضمهما ولبنان ، الا أن هذه الخطوات بُترت بسرعة نتيجة تطور نفوذ الموالين للقاهرة في سورية [٢] ، وبالتالي بدأ العراق يشعر بوطأة عزلته عن محيطه ، وبدأ يتحرك دفاعاً عن أمنه أمام الهيمنة المصرية على سورية ، وتطور نفوذ القوى اليسارية على الساحة السياسية ، والتفات دمشق نحو دول المنظومة الشيوعية .

تطور العلاقات السورية مع دول الكتلة السوفياتية : في الحادي عشر من كانون الأول ، وبعد اسبوعين على توقيع معاهدة الدفاع المشترك مع مصر ، تعرضت المراكز السورية في منطقة بحيرة طبرية إلى هجوم اسرائيلي واسع ، وذلك بهدف اختبار فعالية الميثاق الدفاعي الجديد مع مصر [٣] وربما لدفع سورية وحليفتها إلى الرد على العدوان مما يتيح لإسرائيل فرصة اجتياح أراضٍ جديدة [٤] .

---

(١) – راجع : صحيفة الرأي العام ، دمشق عدد ٦١٠/ ٢ أيار ١٩٥٦ ، وألف باء ، دمشق ، عدد ٩٦٠١ / تاريخ الأول من أيار ١٩٥٦ .

(٢) – - F. o / 371/ 1282/ Syria , Annual Report for 1956, p.2 .

وراجع : تصريح وزير الاقتصاد السوري رزق الله انطاكي في صحيفة الرأي العام : دمشق، عدد ٤٤٩ / تا ١٨ / ١٨/١١/٥٥/ وبابيل ، صحافة وسياسة ، ص ٤٦٧ – ٤٦٨ .

(٣) – هاجمت الفرق الاسرائيلية في ٢٢ تشرين الأول المواقع السورية عند جسر بنات يعقوب . ولكي تتمكن الدولة من تسوية وضعها المالي ولإرضاء الحماس الشعبي دعا القوتلي إلى " أسبوع التسلح " في ١٠ كانون الأول وقبل يوم على افتتاح الحملة الإذاعية شنت إسرائيل هجومها الأوسع على سورية . وقد تم جمع ٤٠٠ مليون ل. س. ورفعت الحكومة بالتالي مدة الخدمة العسكرية الاجبارية إلى ١٨ شهراً : راجع : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، وزارة الدفاع ، قسم " قرارات

تماماً مثلما وجّه الهجوم الإسرائيلي على غزة في شباط ١٩٥٥ جمال عبد الناصر نحو شراء الأسلحة السوفياتية ، دفع هذا الهجوم سورية إلى مزيد من التهافت على شراء السلاح لمواجهة الاعتداءات الاسرائيلية ، وعلى غرار الحكومات السورية السابقة ، انشغلت حكومة الغزي بمسألة تسليح الجيش ، واستأنفت منذ تشرين الأول اتصالاتها مع سفراء الدول الغربية للحصول على السلاح والمساعدات المالية [١] . وفي العاشر من تشرين الثاني تقدم القوتلي بمذكرة إلى السفارة البريطانية تضمنت شروطه لبقاء سورية في المعسكر الغربي وهي : تزويد سورية بالأسلحة ، أن تشكل الدول الغربية ذات المصالح النفطية لجنة لدراسة مشاريع التنمية وفريقاً مالياً لدعم الاقتصاد السوري ، وأن تزود بريطانيا سورية بالطائرات الحربية بشروط مالية مرنة [٢] . ردت الخارجية البريطانية على هذه المقترحات بقبول تزويد سورية بالطيّارات المطلوبة دون أية تسهيلات مالية ، " وبأن حكومة لندن ترى أن ليس هناك سبب سياسي يدفع الغرب إلى مساعدة سورية التي تقودها سياستها إلى الجانب الخطر من السور ، وأنها ترى أن العراق هو وحده القادر على حل أزمات سورية الاقتصادية " [٣] .

وقضايا مختلفة لدفاع السنين " وثيقة رقم ١١٧ تاريخ ١٩٥٥/١١/٢٢ عدد أوراقها ٣٩ ، ووثيقة رقم ١١٩/ تاريخ ٥٥/١٢/٢ ، عدد أوراقها ١٧ .

(٤) – للتوسع راجع :

Elmo Hutchison , Violent truce , Newyork 1956 , p.109 - 110 .

(١) - F. o / 371 / "Military and Economic assistance to Syria" Secret Report No- 591/Nov7/1955/ .

(٢) – راجع نص المذكرة في :

F. o / 371 / 115966 / Top Secret Report "aid for Syria , No 451 , Nov 24 , 1955 p. 3 - 4 .

وحول طلب سورية من السفير الأمريكي شراء الأسلحة من بلاده ، وتشديد السفير موز على الموافقة على هذا الطلب وظروف رفضه راجع ما كتبه : ولبركرين ايفلاند ، في كتابه حبال من رمل ، ص ٢٢٧ – ٢٤٧ .

(٣) - F. o / 371 / 115966 / Report from F. O to British Embassy , Dec 1 / 1955 . p. 1 .-

ولما طالبت فرنسا مقابل السلاح السكوت عما يجري في الجزائر ، وبريطانيا دخول سورية في حلف بغداد ، وأرادت الولايات المتحدة من السوريين توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل . استدارت سورية ، نحو العالم السوفياتي .

كما اختارت مصر سورية نقطة انطلاق لنشر نفوذها في المشرق العربي ، اختارها السوفيات أيضاً مركزاً لتواجدهم الجديد في الشرق الأوسط . وكانت الساحة السورية قد حُضرت منذ العام ١٩٥٤ لمثل هذه الانطلاقة ، وارتسمت معالمها في ظل حكومة الغزي اليمينية .

في أيار ١٩٥٥ طلبت المفوضية السوفياتية في دمشق من الحكومتين السورية واللبنانية قبول ملحق عسكري سوفياتي ، وفي الأول من أيلول قدم أول ملحق عسكري (G.Zasorin) وتسارع بعد ذلك التغلغل السوفياتي في سورية ففي ١٦ تشرين الثاني وقعت الحكومة السورية اتفاقاً تجارياً مع موسكو وفي ٢١ منه رفعت موسكو درجة التمثيل الدبلوماسي إلى مستوى السفارة ، وكان التقارب على المستوى العسكري باهر النتائج . فمنذ الهجوم الاسرائيلي على غزة في شباط ١٩٥٥ أبلغ مولوتوف الوزير السوري المفوض في موسكو أن حكومته تدعم سورية تجاه التهديدات التركية وهي مستعدة لتقديم المساعدة التي تتيح لسورية الحفاظ على استقلالها وسيادتها وفي الخريف كانت المباحثات لتسليم شحنة الأسلحة بواسطة العملاء التشيكيين جارية على قدم وساق [١] وأخيراً في ٢٧ كانون الأول أعلن ناطق باسم الحكومة أن بعثة لشراء الأسلحة قد وصلت بمفاوضاتها المراحل النهائية ، وكان الاتفاق قد أبرم في الواقع. ومنذ شباط ١٩٥٦ راحت السفارات الغربية تتلقى تقارير حول التجهيزات والمعدات العسكرية السوفياتية المنشأ التي تصل إلى سورية [٢] ومن ثم ظهرت هذه الأسلحة في العرض العسكري بمناسبة ذكرى

---

[١] – أثيرت مسألة استيراد الأسلحة التشيكية في جلسة مجلس النواب في ٦ تشرين الأول ١٩٥٥ وراح الحوراني يحثّ الحكومة على الاسراع في ابرام الصفقة وانتقد الغموض في توجهاتها راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم١ للعام ٥٥/٥٦ ، ص ٩٩ – ١٠٢ .

[٢] – إن مسألة التغلغل السوفياتي في سورية كانت موضع بحث مستفيض في عدة تقارير صادرة عن السفارة البريطانية بدمشق . أهمها :

F. o/ 37/ 115976/ Report of 16 May and 13 Sep 1955 / and /12186/ Annual Report for 1955 , 24 Jan 1956/ p.7/ 128219/ Annual Report for 1956 , 13 Nov 1957 , p.2 - 3 . and

عيد الجلاء (١٧ نيسان) . وهكذا قدم السوفيات لسورية ما رفض الغرب تقديمه بسبب تعاطفه مع إسرائيل ، وكان لصفقة السلاح هذه وما تلاها دور بارز في تحويل الرأي العام السوري لصالح السوفيات .

منذ مطلع عام ١٩٥٦ كثّفت الحكومة السورية اتفاقياتها التجارية مع بلدان المنظومة الاشتراكية والصين الشعبية وبدأت بعثات الضباط السوريين تتجه إلى بلدان الشرق الأوروبي للدراسة والتدريب ، وقد مسّ هذا التغلغل الشيوعي الجديد ليس فقط استراتيجية الغرب ومشاريعه في سورية بل مصالحه النفطية أيضاً ، فمع استئناف حكومة الغزي مباحثاتها للتوصل إلى اتفاق مع شركة نفط العراق ، نظم الشيوعيون واليساريون القوميون في ٢٦ أيلول تظاهرات عنيفة ضد هذه الشركة ، وتوالت التهديدات في البرلمان والصحافة بالغاء امتيازها واستبدال الموظفين السوريين بالموظفين البريطانيين ، وهيأت هذه الحملة قطاعاً واسعاً من الشعب السوري لصالح عمل تخريبي ضد منشآت الأ بي سي في سورية . واستمرت المعارضة اليسارية ، التي زادت العلاقات مع الروس من شعبيتها ، تضغط للحؤول دون التوصل إلى اتفاق جديد مع الشركة ، إلاّ أن السياسيين اليمنيين وعلى رأسهم القوتلي كانوا يعملون لصالح إبرام الاتفاقية ، وتمّ ذلك في ١٩٥٥/١١/٢٩ [١] ، وقد أقرها البرلمان في ١٢/٥ وبموجبها ارتفعت عائدات سورية النفطية من ١٤ مليون ل. س عام ١٩٥٤ إلى ٢٥ عام ٥٦ وحصلت من الشركة على الاعتراف بقسمة أرباحها الناجمة عن نقل النفط عبر الأراضي غير المنتجة مناصفة مع سورية ، كما أمن الاتفاق ما قيمته ٦٠٠ ألف طن من النفط الخام لسورية مما أعاد من جديد طرح فكرة بناء مصفاة النفط . وفي ٥ أيار جرت المناقصات حول العقود بين شركة بريطانية – أمريكية (Procon) وشركة تشيكية ، وكان من المفترض أن تنال بروكون العقد ، إلا أن تطور نفوذ التيار اليساري سيحول دون ذلك .

/121867/ Report of 27 June 1956 , p.1 - 4 .

[١] – حول هذه المباحثات راجع التقارير التالية الصادرة عن السفارة البريطانية بدمشق :
F. o / 371/ 121856/ Annual Report for 1955 , 24 Jan 1956 , p.6 - 7 , and /115968/ Report No 11 June 1/1955/ p.1 - 2 , and secret Report No 115 , Oct 11/1955 , p.1 - 2 /115969/ Report of 4 Dec 1955 , p.1 .

توطدت أسس العلاقات السورية السوفياتية على أثر زيارة وزير الخارجية السوفياتي سورية في ٢٢ حزيران ، وقد حظيت هذه الزيارة باستقبال رسمي وشعبي حافل وبتغطية اعلامية كثيفة [١] . وقد أمضى شيبيلوف ثلاثة أيام في دمشق أجرى خلالها لقاءات مكثفة مع كبار المسؤولين السوريين درس خلالها موقف سورية من حلف بغداد ، ومسألة المساعدات الروسية لسورية ، وقد أعرب عن أمله بأن تؤدي هذه الزيارة إلى توطيد دعائم الصداقة بين الدولتين ، وأكد أن سياسة بلاده قائمة على أساس المساواة بين الشعوب وعدم التدخل في شؤون الدول الأخرى وتجنب أي تصريح يشير إلى احتمال دعم بلاده لسورية ضد اسرائيل [٢] ، وبدا واضحاً أن هناك خلافاً في وجهات النظر بين السوريين والمسؤول السوفياتي بشأن القضية الفلسطينية فقد أراد السوريون أن يصدر عن موسكو قراراً لصالح العرب بينما نصح شيبلوف السوريين بالتحلي بالصبر ، وتفادى الاشارة إلى احتمال تقديم حكومته مساعدة في هذه القضية في المستقبل ، وعرض على السوريين بالمقابل السلاح بالشروط التي يضعونها ، " وقد اعتقد القادة السوريون أن عليهم الاستفادة قدر الإمكان من رغبة السوفيات القوية في إيجاد موطئ لاقدامهم في الشرق الأوسط مع تجنب الوقوع تحت المظلة الشيوعية وأنه إذا ما وصلوا إلى تلك الحافة فسيهب الغرب لانقاذ سورية من هذه الورطة " [٣] تلك هي المقولات التي هيمنت على المباحثات النهائية في ٢٥ حزيران وشملت خطط التنمية وقضايا التسويق والمساعدات الاقتصادية دون التطرق إلى اتفاقيات سياسية وعسكرية ووعد المسؤول

---

[١] – تفاصيل هذه الزيارة في الصحف الدمشقية الصادرة من ٢٢ حزيران حتى ٢٧ منه . كذلك التقارير الدبلوماسية الصادرة عن السفارة البريطانية بدمشق والتي استقت أدق التفاصيل من قبل بعض المسؤولين السوريين . راجع :

F. o / 371/ 121867/ "Shepilov arrives in Damascus" secret Report about his visit and its significance , No 1035/ 27 June 1956 / p.1 - 8 .

[٢] – من الجدير ذكره أن سورية كانت قد استقبلت في ٢١ – ٢٢ حزيران رئيس وزراء الهند نيرو وهو من المعارضين لحلف بغداد وسياسة فرنسا في الجزائر ، لكنه رفض الإدلاء بأي تصريح لصالح العرب ضد الدولة العبرية . راجع :

F. o / 371/ 128219 / Annual Report for 1956 / 13 Nov 1957 / p. 2 .

[٣] – هذا هو تعليق السفير البريطاني على موقف السوريين في تقريره

F. o / 371 / 121867/ "Shepilov arrives in Damascus" No 1035/ 27 June 1956 , p. 6 .

الروسي بتقديم الدعم المالي والتقني بعد دراسة المطالب السورية والاطلاع على موقف حكومته . وأسفرت المباحثات عن اتفاق ثقافي وقبول القوتلي دعوته إلى زيارة موسكو [١] .

خلفت هذه الزيارة أثراً في مستقبل سورية السياسي ، اذ فتحت آمالاً كبيرة أمام السوريين وكان أولها موافقة موسكو على تزويد سورية بكل ما تحتاجه من الأسلحة ، وأتاحت للسوفيات فرصاً ملائمة لتثبيت أقدامهم ، وبالتالي للمد اليساري السوري اكمال مسيرة صعوده مستغلاً مشاعر الخوف من إسرائيل ، ومعها موجة الرفض لمشاريع الغرب ومخططاته .

طروحات السلم الأمريكية ورد الفعل السوري عليها : دفع التوتر المستمر بين اسرائيل وجيرانها ، والانطلاقة الجديدة للسوفيات في المنطقة بحكومة واشنطن إلى دراسة الطرق الكفيلة باحلال السلام والأمن في الشرق العربي ، ففي ٢٦ آب ١٩٥٥ ألقى فوستر دالس أمام هيئة العلاقات الخارجية في نيويورك بياناً مطولاً حول انشغال حكومته بالتوصل إلى حل للصراع العربي – الاسرائيلي واقترح لذلك حلاً لمشكلة اللاجئين إما باستقرارهم في أمكنة تواجدهم أو بإعادتهم إلى أراضيهم وهذا يتطلب توفر أراضي صالحة للزراعة ودفع تعويضات كافية لاستغلالها . ومن ثم ، أكد أن الرئيس ايزنهاور مستعدٌ للتوصية بمساهمة الولايات المتحدة في إقامة مشروعات للري تمهد السبيل لايجاد أراضٍ صالحة للزراعة ، وفي عقد قرض دولي لدفع التعويضات ، كما اقترح وزير الخارجية الأمريكي إقامة خطوط دائمة للحدود بين إسرائيل وجيرانها تحدد وفق اتفاق الأطراف على معاهدة للحؤول دون استخدام أي طرف القوة لتغييرها ،

---

(١) – نص المذكرة النيابية في : صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٦٢٣ / في ٢٦ حزيران ١٩٥٦ .

ووضع دالس نفوذ دولته وقواعدها العسكرية كضمان لتنفيذ هذه التسوية ، كما دعا حلفاء الولايات المتحدة وهيئة الأمم المتحدة للاسهام بتطبيق هذه المقترحات [١] .

رحّبت حكومتا لندن وباريس والأمانة العامة للأمم المتحدة بهذه المقترحات ، وأعلن السفير الإسرائيلي في واشنطن في ٧ و ١١ أيلول أن حكومته وجدت هذه المقترحات بنّاءة وإنها جاهزة لإقامة تسوية دائمة لخطوط الهدنة الحالية [٢] ومع أنه لم يصدر ردّ عربي رسمي بهذا الخصوص إلا أن الصحافة المصرية واللبنانية وحتى العراقية أدانت طروحات دالس واعتبرتها مشروعاً هدفه تقوية إسرائيل على حساب العرب [٣] وشنّت الصحف السورية حملة عنيفة ضد المشروع . وفي البرلمان السوري ، هاجم النواب اليساريون والقوميون مشروع دالس ، فقد وصفه النائب البعثي خليل كلاس بأنه وسيلة لتحقيق مطامع الامبريالية الامريكية في المنطقة .. لأنه يقضي بالضرورة تمركز القوى العسكرية الأمريكية في الوطن العربي وإسرائيل بحجة ردع العدوان والحفاظ على الأمن " [٤] هذه المواقف العربية أوصلت إلى اقتناع قطاع واسع من الرأي العام الامريكي بأن كل جهد لاحلال السلام بين العرب وإسرائيل مصيره الفشل ، وأن الوسيلة الوحيدة للتوصل إلى ذلك السلام هي في تسليح إسرائيل [٥] . إلا أنه رغم ارتفاع الأصوات المؤيدة لهذا التوجه ، بقيت الحكومة الأمريكية متمسكة بمبدأ المساواة بين العرب وإسرائيل ، وبعد إبرام صفقة السلاح المصرية – التشيكية في أيلول – وما رافقها من ضجة ، وما تلاها من إعلان واشنطن عن دراستها بعين العطف طلب إسرائيل

---

(١) – راجع نص البيان في :
(M. E. A) , Aug - Sep , 1955 , p. 270 - 273 .cf C. O. C. Vol XXXII , 1955 , p. 180 - 181 .

(٢) – C. O. C, Vol xxx11,1955, p. 182 .

(٣) – البلاد ، بغداد ، عدد ٣ أيلول ١٩٥٥ . الشرق ، بيروت ، عدد ٣٠ تموز ١٩٥٥ . الشعب ، القاهرة، عدد ٨ تشرين الثاني ١٩٥٥ . بيروت المساء ، ٧ ايلول ١٩٥٥ وقد أجمعت كلها على رفض العرب للتفاوض مع إسرائيل ، وأن العرب سيصبحون ذات يوم أقوياء كفاية لدحر اليهود عن هذه المنطقة .

(٤) – راجع مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٥٦/٥٥ ، ص١٢٥٨ – ١٢٦٦ .

(٥) – P. Rondot , "Les Etats unis devant l'Orient d'aujourd'hui" ds , Orient No 4 , 1957 , p. 63 - 75 .

للأسلحة الدفاعية ، استمرت الحكومة الأمريكية تدعـو إلى وضـع تنظيم سلمي للصـراع العربي الاسرائيلي وتشـدد على ضرورة تجنب سباق التسلح في المنطقة [١] وقد أكد فوستر دالس في عدة تصريحات أن السلاح السوفياتي سيقلب توازن القوى وأن السلام الدائم في المنطقة لا يتوقف على التسلح بل على سيادة القانون في العلاقات الدولية ، وعلى قيام علاقات ودية بين الدول المجاورة وأن سياسة حكومته الثابتة هي أن تكون صديقة للطرفين " [٢] . كما شدد الرئيس ايزنهاور على ضرورة تجنب سباق التسلح بين العرب واسرائيل وأعلن في ٩ تشرين الثاني : " إن الشعب الامريكي قد تابع بقلق بالغ التطورات الأخيرة في الشرق الأوسط ... ونحن نعتقد أن الأمن الحقيقي أساسه تسويه عقلانية وعادلة " ... وبعد أن ذكّر بمقترحات ٢٦ آب وبالمستجدات على ساحة الشرق الأوسط أضاف : " أن الولايات المتحدة سوف تستمر بلعب دورها بالكامل معتمدة بصلابة على الأمم المتحدة واني آمل أن تتعاون دول أخرى معنا في هذا الإطار وبذلك تسهم في إحلال السلم العالمي " [٣] . وفي نفس التاريخ ألقى رئيس الوزراء البريطاني ،

---

(١) - P. Rondot , les Etats .. , p.78 - 86 .

راجع أيضاً مقال في صحيفة الرأي العام الدمشقية تحت عنوان "اسرائيل تطلب الأسلحة والولايات المتحدة تدرس الطلب بعين العطف " ، عدد ٤٤٩/ في ١٩٥٥/١١/١٨ .

(٢) - راجع تصريحات دالس ، وخاصة الصادرة في ١١/١٦ و١٩٥٥/١٢/٦ في :
C. O. C. , Vol XXXIII , 1956, p.36.
وتصريحه الصادر في ٥٦/٢/٢٤ في مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الخارجية ، وثيقة رقم خ/١٠/١٠ .

(٣) - ونفس المنطلقات كانت في رسالته الثانية بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٥ التي طرحت إمكانية اعداد ما يشبه مشروع مارشل لصالح الشرق الأوسط ، وإيجاد حل لثلاث قضايا : ١) الأمن استناداً إلى البيان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ . ٢) إن فصل الخلاف بين العرب وإسرائيل مرتبط بقبول الطرفين اقتراحات الأمم المتحدة بشأن إدخال تعديلات على الحدود وعقد اتفاقيات مباشرة بين الدول العربية وإسرائيل . ٣) إن الولايات المتحدة على استعداد للاعلان عن تعيدها بالحفاظ على الحدود الجديدة بمعاهدة رسمية ، كما أنها مستعدة لتزويد دول المنطقة بالسلاح للدفاع المشروع عن أراضيها. وأكدت الرسالة أن واشنطن ستحافظ على صداقتها الثابتة مع اسرائيل وكل بلدان الشرق العربي وستستمر في المساهمة بإحلال السلم العالمي . راجع نص الرسالتين في :
Middle-Estern Affairs , December 1955 , p.392 .

السير انطوني إيدن بياناً حول النزاع العربي الإسرائيلي وضرورة التوصل إلى سلام في المنطقة ، وألمح إلى أن الحكومة الأمريكية تشاركه وجهات نظره حول ضرورة العودة إلى قرارات الأمم المتحدة الخاصة بقسمة فلسطين وأن تتخلى إسرائيل للعرب عن الأراضي التي تتصرف بها الآن مخالفة بذلك قرارات الأمم المتحدة [١] . ردّ رئيس وزراء إسرائيل على هذا الاقتراح بأن بلاده ترفض المشروع ولن تتخلى عن شبر واحد من الأراضي ، بينما دعت الحكومات العربية إلى اجتماع اللجنة السياسية في الجامعة العربية لدراسة البيان والرد عليه " هذا وقد رحبت الحكومة السورية بمقترحات إيدن ووجدت فيها بريق أمل يعيد للمنطقة عامة ولسورية خاصة الاستقرار المنشود [٢] . ومن ثم جاء الهجوم الإسرائيلي على منطقة جسر بنات يعقوب في ٢٢ تشرين الثاني ليزيد من تصلب القوميين واليساريين وليضعف موقف حكومة الغزي لصالح المعارضة التي حملت بعنف على تلك المقترحات التي تتعارض –حسب رأيها– مع مصلحة العرب .

إن تكرار الحوادث الحدودية بين اسرائيل وسورية ومصر والأردن ، وتدفق الأسلحة السوفياتية إلى المنطقة ، قد زادا من تصميم الولايات المتحدة وحلفائها على حل النزاع العربي الإسرائيلي والحد من " هذا الانزال الشيوعي " ، وفي هذا الإطار صدرت في الأول من شباط مذكرة مشتركة انكليزية – فرنسية – امريكية ، دعت إلى ضرورة قيام تفاهم بين اسرائيل وجيرانها وذلك ممكن إذا ما عمد الطرفان إلى إعادة النظر في مقولاتهما ، وأن تعلن هذه الحكومات عن استعدادها الكامل للتعاون لضمان المعونة المالية للاجئين وسلامة الحدود المتفق عليها .. وأكدت المذكرة أن أمن المنطقة لا يعتمد على السلاح بل على سلطة القانون الدولي وعلى أساس علاقات الصداقة بين الدول الجيران .. وعليه فتدفق السلاح السوفياتي قد زاد من فرص قيام حرب ، ونحن نقترح تقليص هذا الخطر [٣] . وفي ٨ شباط عاد الدبلوماسيون الغربيون وأكّدوا في اجتماعهم في

---

(١) – نص خطاب رئيس الوزراء البريطاني في :
The times , London , Nov 10 , 1955 .

(٢) – راجع : F. o/371/Sec Rep, No 10 , 24/1/1956, p.6 .

(٣) – The Times , London , Feb 2 , 1956 .

واشنطن هذه النقاط [١] . وفي ١٥ آذار اتخذت الحكومة الأمريكية مبادرة جديدة وذلك عندما دعت مجلس الأمن إلى دراسة المسألة الفلسطينية وتكليف الأمين العام المنظمة الأمم المتحدة السيد داغ همرشولد فحص الوضع على الأرض ووضع تقريره على ضوء ذلك [٢] ، وجاء القصف الإسرائيلي على غزة في ٨ نيسان وما تلاه من توصل همرشولد إلى هدنة بعد عشرة أيام ليحبط المبادرة الأمريكية . ولاقت مهمة إيريك جونستون نفس المصير ، وكانت خطواته لتنفيذ مشروع قسمة مياه وادي نهر الأردن شاهداً على حسن نوايا الأمريكان تجاه مشاريع السلام . فقد كان مشروع جونستون مؤهلاً لتحضير الأرضية الملائمة لقيام سلام دائم في المنطقة ، ومع أن خطته لاقت أذاناً صاغية لدى بعض الحكومات العربية المعنية ، وطالبت بعض الصحف المعتدلة بدراسة جوانبها الإيجابية بعناية ، فإن الرأي العام العربي كان قد وجّه نحو رفضها . فمنذ صيف ١٩٥٥ أعلنت مذكرة صادرة عن الجامعة العربية " أن في نجاح مهمة جونستون مصلحة حيوية لإسرائيل إذ تتيح لها حل مشاكلها " [٣] وفي التاريخ نفسه سلّم اللاجئون الفلسطينيون في الأردن قائمة بمطاليبهم تضمنت ، رفض الخطة " لأنها تؤدي إلى استقرارهم نهائياً خارج فلسطين وتحرمهم من المطالبة بحقوقهم في العودة إلى أراضيهم " [٤] .

في خريف عام ١٩٥٥ كانت جولة جونستون الأخيرة على المنطقة ، وكانت سورية محطته الأولى حيث وصلها في ١٤ أيلول واجتمع في دمشق في ٢ تشرين الأول مع رؤوساء وزارات سورية ولبنان والأردن لمناقشة مشروعه ، وقد أثارت تحركاته

---

(١) - Newyork Times , Feb 9 , 1956 .

(٢) - تحدث التقرير بإسهاب حول مقترحات الأمم المتحدة للوصول إلى سلام بين العرب وإسرائيل. واقترح تأليف لجنة تعمل لدى الطرفين فإذا ما لاح خطر الحرب تُبلغ مجلس الأمن ، ومن وظائفها تنفيذ التوصيات الصادرة عن الأمم المتحدة بشأن مشاكل الحدود واللاجئين . راجع حول مهمة همرشولد :
L'Orient ,Beyrouth , 6 Avril 1956 . Newyork Times , Mars 15 , 1956 .
الرأي العام ، دمشق ، عدد ٥٧٣/ ١٨ نيسان ١٩٥٦ . وراجع : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الخارجية ، "قسم تقارير الصحف والمجلات الأجنبية " حافظة رقم /٢/ وثيقة رقم خ/١٠/٣١ .

(٣) - L'Orient , Beyrouth , 25 Juin 1955 .

(٤) - بيروت المساء ، ٢٦ حزيران ١٩٥٥ .

شكوك اليساريين والقوميين فراحوا يعبؤون الرأي العام بنشر القصص المألوفة حول كون الخطة ليست إلاّ شكلاً من أشكال الدعم الغربي لإسرائيل [١] . وفي ٨ منه توجه الغزي إلى القاهرة لدراسة الخطة في مجلس الجامعة العربية ، وتحت وطأة رأي سوري عام معادٍ لها وكنتيجة للهجوم الإسرائيلي على منطقة جسر بنات يعقوب ، أعلنت سورية في ٢٢ منه رفضها الخطة ، وردَّ وزراء الخارجية العرب المجتمعون في القاهرة على المبعوث الأمريكي بمذكرة أعلنوا فيها : " أن انسحاب سورية قد حال دون التوصل إلى إجماع عربي ، وأن بعض نقاط الخطة تحتاج إلى دراسة أعمق ، وأنهم في صدد الإعداد لمشروع عربي مشترك بدلاً من هذا المشروع الأمريكي " [٢] . هذا وقد هددت تل أبيب باستئناف أعمال التجفيف إذا ما تأخر الرد العربي على مشروع جونستون، ولما جاء الرد مبهماً قررت تنفيذ تهديدها ، وتجنباً لذلك ، وجهت حكومات واشنطن ولندن وباريس في ١٢ آذار مذكرة إلى الحكومات العربية المعنية تعلن فيها : "أنه نظراً لخطواتها لدى إسرائيل قررت الحكومة الإسرائيلية تأجيل الموعد المحدد لاستئناف أعمال التجفيف ، وقد اعتبر العرب هذه المذكرة تهديداً غير مقبول " [٣] وبالتالي عاد الدبلوماسي الأمريكي إلى بلاده بعد أن عيل صبره ، وضاعت مشاريع الولايات المتحدة لاحلال السلام العادل ادراج الرياح . وقيل " أن ذلك يرجع إلى أن القوميين العرب لم يتراجعوا عن مقولاتهم الثابتة وهي أن هدف التحركات الأمريكية تقوية اسرائيل وانقاذها وأن المخرج الوحيد أمام العرب يكمن في صداقة السوفيات والحصول على أسلحتهم " [٤] . وهكذا أضاعت الحكومات العربية فرص تحسين أوضاعها الاقتصادية في متاهات المفاهيم السياسية السائدة .

---

(١) – الرأي العام عدد ٣٩٤ في ١٤/ أيلول ١٩٥٥ . وعدد ٤٧٣ في ٥٥/١١/٤ . النصر ، دمشق، عدد ٣٢٧٥ ، ٣٠/ أيلول ١٩٥٥ . وصحيفة نداء الوطن ، بيروت ، ٨ أيلول ١٩٥٥ ، الأحرار ، بيروت ، ٢ آذار ١٩٥٦ .

(٢) – الأهرام ، القاهرة ، عدد ٢٢ تشرين الثاني ١٩٥٥ . الرأي العام ، دمشق ، عدد ٤٧٣ ، في ٥٥/١١/٤ .

(٣) – L'Orient , Beyrouth , 22 Mars 1956 .

(٤) – F. o/ 371 / 121856 / Annual Report on Syria for 1955 , No 16 , Jan 24 , 1956 , p. 9 .

أزمة الحكم وسقوط وزارة الغزي : بعد أن كسب البعث سباقه مع الحزب السوري القومي الإجتماعي ، تابع غزواته الناجحة داخل سلك الضباط ، واستطاع، بفعل مناشدته للوجدان القومي العربي ومعاداته لتلك القومية السورية التي ارتبطت بمقولة الهلال الخصيب وبالتالي بالأسرة الهاشمية ، ولتأصل فكرة العروبة في التقاليد الإسلامية ، مقابل النظرة العلمانية للحزب السوري القومي الإجتماعي، استطاع البعث أن يُصبح الأكثر حسماً في أوساط الضباط ، ثم وسع من اختراقه للجيش عندما تحالفت زمرته برئاسة ضباط مثل مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت مع الضباط القوميين بزعامة السراج والضباط اليساريين بزعامة عفيف البزري [1] وحظي هذا التحالف بدعم معتبر من القاهرة التي أصبح ممثلها في سورية ، محمود رياض ، أكثر الدبلوماسيين نفوذاً ومنزلةً داخل سلك الضباط . كذلك اتسع نفوذ البعث على مستوى الجماهير عندما راح يؤكد ، إلى جانب تمسكه بالأهداف القومية ، على ارتباطه بالحركات العمالية والأحزاب اليسارية العالمية ، وظهر كحزب عربي اشتراكي غير شيوعي مستقل ومعادٍ للإمبريالية لأفكار الموجة الجديدة التي اكتسحت سورية بفعل الصراع المستمر على الحدود مع إسرائيل .

قاد البعث متحالفاً مع الجناح المؤيد لمصر والسعودية في الحزب الوطني حملة المعارضة ضد حكومة الغزي التي قادت سفينة الحكم في ظل ظروف صعبة واجهت خلالها عقبات ومستجدات استطاعت تجاوزها بفعل الدعم الذي تلقته من شوكت شقير رئيس الأركان [2] ومنذ مطلع عام ١٩٥٦ بدا واضحاً أن البعث يعملُ على الإطاحة بالحكومة ، فلتقليص مكانة حزب الشعب الممثل فيها بقوة ، بدأت خطواته لربط سورية بإحكام مع نظام جمال عبد الناصر وراح ينظم حملات دعائية مدعّمة باضرابات وتظاهرات طلابية أشعلت لهيباً لن تتمكن الحكومة الافلات من جحيمه [3] . ولما اشتد

---

(١) – لمزيد من التوسع حول هذه النقطة راجع ما كتبه E. Be'eri في فصل بعنوان " الضباط والبعث " في كتابه :

Army officers , p401 - 407 .

(٢) – راجع : مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص ٣١٤ .

(٣) – مطلع شباط أصبحت حلب مسرحاً لاضرابات وتظاهرات عمالية وفي ٤ شباط أيدها كل

الصراعُ بين المعارضة والحكومة ، وبين الأحزاب والكتل السياسية وافشل بالتالي عمل الحكومة وتقهقرت الإدارة ، برزت حاجة ملحة للتوصل إلى تفاهم وطني فقام رئيس الجمهورية يدعو، في كلمة وجهها في ١٥ شباط إلى المجلس النيابي، إلى الإتحاد الوطني وقيام حكومة تحالف وطني [١] . وتألفت إثر ذلك لجنة لصياغة " الميثاق القومي " ضمت ممثلين عن جميع الفعاليات السياسية بما فيها حزب البعث الذي أصدر في ١٧ شباط بياناً شدّد فيه على أهمية قيام ميثاق وطني " يتيح الفرصة لقيام حكومة وطنية قوية وقادرة على تنظيم قدرات البلاد المادية وتوسيع نطاق الميثاق الثنائي مع مصر ليشمل العلاقات الاقتصادية والعسكرية " [٢] .

سعت لجنة الميثاق أن يتضمن الميثاق مبادئ يوافق عليها الجميع وتعمل الحكومات في المستقبل على هداها وفي ٧ آذار وقع جميع النواب على الميثاق الذي ركّزت نصوصه على العداء لإسرائيل ورفض السلام معها ومعارضة الأحلاف العسكرية الأجنبية ، وتبني سياسة الحياد الإيجابي ، ودعم دول المغرب العربي في صراعها ضد الامبريالية ، تحسين العلاقات مع الدول الإسلامية ، تحصين حدود سورية وتقوية دفاعها بانشاء " الدفاع المدني " . ودعا الميثاق إلى توسيع الحلف العسكري مع مصر ليشمل الاقتصاد والسياسة ، واقترح الميثاق في الحقل الداخلي تطبق العدالة الاجتماعية والتصدي

عمال سورية وذلك لأن نقابياً رفض الادلاء بالقسم الذي نص عليه مرسوم ٢٤٣ الصادر في عهد الشيشكلي فأبطلت الحكومة انتخابه كممثل من نقابات العمال . وقام حزب البعث يحرض العمال على التظاهر ، واتهم نوابُه الحكومة بالتدخل في الحياة النقابية وطالبوا بالغاء مرسوم يُحرم على النقابات العمل في السياسة وفي ١٣ شباط ألغي المجلس النيابي المرسوم وعدّل المادة ٤٨ من قانون العمل الخاصة بانتخابات مجالس النقابات . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم (٣) للعام ٥٥/٥٦ جلسة ٦ و ١٣ شباط ، ص ٤٩٥ – ٤٩٩ ، وص ٧٢٢ .

(١) – المصدر نفسه ، ص ٧٢٢ – ٤٢٤ .

(٢) – صحيفة البعث ، دمشق ، عدد ١٧ شباط ١٩٥٩ ، الحياة ، بيروت ، عدد ١٨ شباط ١٩٥٩ .

للمؤسسات الإعلامية الأجنبية وتصحيح النظام الضريبي وتخصيص ضريبة استثنائية للحاجات الدفاعية وتدعيم الاقتصاد الوطني [١] .

هذا البرنامج تضمن توجهات حزب البعث في حقل السياسة الخارجية : من مقاومة الإمبريالية إلى استيراد السلاح من أية دولة تبيعه دون شروط مسبقة ، إلى تحضير الأرضية للوحدة العربية والدخول في تحالف وثيق مع مصر سيؤدي إلى شكل من أشكال الإتحاد ويستبعد منه العراق والأردن صنيعتي الغرب ، ومع ذلك لم يكن كل هذا كافياً ومقبولاً لدى حزب البعث بل استمر ينظم الاضرابات والتظاهرات ومن ورائه المخابرات والشرطة العسكرية لافتعال أزمة حكم [٢] وفي جلسة ٢٣ آذار شنّ النواب البعثيون هجوماً عنيفاً على الحكومة لاعتمادها العنف لتفريق تظاهرة طلابية ، فردّ وزير الداخلية بأنه لم يعط أوامر كهذه للشرطة إلا أن ضباط الشرطة فعلوا ذلك للقضاء على النظام الديمقراطي وإقامة نظام ديكتاتوري عسكري [٣] .

كان من المفترض أن ينبثق عن الميثاق الجديد حكومة جديدة برئاسة حيادي تمثل جميع الاتجاهات السياسية ، ومنذ نيسان عقدت لجنة الميثاق سلسلة من الاجتماعات مع رئيس الجمهورية للاتفاق على شخصية رئيس الوزراء . أراد البعث والجناح القومي في الجيش بزعامة السرّاج أن يفرضا على الحكم موضوع الاتحاد مع مصر ، وفي ٢١ نيسان أعرب ممثلو البعث عن استعدادهم للمشاركة في أية وزارة تتبنى مقولة الاتحاد مع مصر دون إبطاء [٤] وقد أصبح هذا الشعار رائجاً لدى الجماهير اعتقاداً منها أن مصر قادرة عسكرياً على رد العدوان الإسرائيلي عن سورية ، وتقوت تلك الأفكار مع تكاثف المقالات في الصحافة المصرية التي تتحدث عن دعم مصر المطلق لسورية في حال حدوث اعتداء إسرائيلي على أراضيها ، ووجّه عبد الناصر ، بدوره ، في ١٨ شباط ،

---

(١) – راجع النص ، في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٣ للعام ٥٥/٥٦ ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

(٢) – - F.o / 371/128219 / Annual report on Syria for 1956, Nov 13 , 1957, p2 .

(٣) – مذكرات مجلس النواب مجلد رقم /٣/ للعام ١٩٥٥/٥٦ / الدورة العادية الرابعة / ص٣١٥– ٣١٨ .

(٤) – النصر ، دمشق ، عدد ٣٣٩٠/ ٢٣ /٤/ ١٩٥٦ ، الرأي العام ، دمشق ، عدد ٥٧٥، ١٩٥٦/٤/٢٢ .

من على منصة مبنى القوى الجوية خطاباً أكد فيه أن مصر تعد كل هجوم على سورية هجوماً على أراضيها وأنها ستهب لرد العدوان بكل قواها وبالتعاون مع باقي الدول العربية [1] ، وفي ١٧ نيسان ظهرت وحدات مصرية في العرض العسكري التقليدي وذلك للتدليل على نية مصر في تفعيل نصوص معاهدة الحلف العسكري [2] ، وقد ظهرت مقولة الوحدة مع مصر كأساس للوحدة العربيــة في مؤتمر اتحاد نقابات العمال العرب الذي انعقد في دمشق في شهر آذار بدعوة من النقابات العمالية في الأردن وسورية شاركت فيه النقابات المصرية والليبية ونجم عنه قيام " اتحاد العمال العرب " وقد تعهد دستوره بالعمل من أجل وحدة الأمة العربية وتحرير العرب من الامبريالية . وانتخب صبحي الخطيب النقابي السوري العتيد أول رئيس لهذا الاتحاد [3] .

بينما راح البعث يصعد ويتألق ، راحت العناصر اليمينية تسعى إلى إبعاده عن الحكومة ، وقد عمل القوتلي جاهداً لاحلال الوئام بين الحزبين الوطني والشعب لتشكيل وزارة يمينية قوية وقادرة على الحد من نفوذ البعث في أوساط الجيش والسلطة المدنية [4]، ورداً على هذه الخطوات ، اتهم نواب البعث الحكومة بإعاقة قيام الوحدة العربية وإهمالها متابعة العمل لانجاز الإتحاد مع مصر. وبالمقابل ارتفعت في البرلمان أصواتٌ معارضة لهذا التوجه ، وذلك عندما طالب إحسان الجابري بتشكيل لجنة ينحصر عملها بالاعداد لقيام " اتحاد عربي " لأن الاتفاقيات الثنائية ضيقة المدى ولن تسد الثغرات السياسية ، وعليه يجب ألا ينحصر عمل اللجنة فقط لإقامة الوحدة مع مصر والسعودية بل مع كل البلدان العربية [5] .

---

(١) - F. o / 371/ 121864/ "Egyptian Syrian relations" Report No55 of Feb 20 , 1956 . -

(٢) - في ٥ نيسان أعرب عبد الناصر عن رغبته في جعل الحلف العسكري مع سورية فعّالاً . راجع : صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ١٧ نيسان ١٩٥٦ .

(٣) - صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٥٥٧ ،٥٦/٣/١٥ ، الكفاح ، دمشق ، عدد ٥١٣ ، ٥٦/٣/١٠ .

(٤) - صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ٣٣٩٠ ، ٢٣ نيسان ١٩٥٦ .

(٥) - مذكرات المجلس النيابي ، وقائع جلسة ٢٤ نيسان ، وقد أيد النواب حسين مريود وأحمد الحاج يونس وحسين الشعباني رأي النائب الجابري . راجع مجلد رقم ٣ للعام ٥٦/٥٥ ، ص ٦٢٠ -

منذ شهر أيار راحت الحكومة تترنح تحت تأثير تلك المؤامرات السياسية التي نظمتها بدقة وبراعة الدبلوماسية المصرية بدعم من الأموال السعودية وبتنسيق مع المخابرات العسكرية ، واعتماد على المواهب البعثية والشيوعية في تحريك الجماهير [١] ففي ٢ حزيران انطلقت في دمشق تظاهرة عنيفة ضد أعمال فرنسا في الجزائر ، واستقالت على إثرها حكومة سعيد الغزي ، واستمرت في تصريف الأعمال ريثما تتشكل حكومة جديدة .

ب - سورية في ظل حكومة العسلي الائتلافية(١٤حزيران-٢٢ كانون الأول)

مرت البلاد بأزمة وزارية استمرت ١٢ يوماً ، حاولت خلالها الفعاليات السياسية اليمينية تجاهل حزب البعث ، ففي ٦ حزيران كلّف القوتلي لطفي الحفار تشكيل الوزارة [٢] ، وللتو أعلن البعث رفضه المشاركة في وزارة يرأسها الحفار [٣] ، وساد الاعتقاد في أوساط الضباط أن المراد بهذا التعيين قيام حكومة موالية للعراق فضغط الجيش على القوتلي وأجبر الحفار على التنحي [٤] ومن ثم وفق العسلي ، نتيجة تحالفه مع حزب البعث بتشكيل وزارة ائتلاف وطني شارك فيها حزب الشعب بثلاث حقائب

---

٦٢٣ .

(١) - راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، وزارة الداخلية ، قسم " الأحزاب السياسية " حافظة رقم ٢٠ / وثيقة رقم ٤٠ تا /٥٦/٤/٢٣ ، ووثيقة رقم ٤٥ تا /٥٦/٤/٣٠ .

(٢) - الحفار من رجال السياسة المستقلين من خارج البرلمان الحالي وقد انتخب عدة مرات عن دائرة دمشق وعرف بتأييده لفكرة الهلال الخصيب . راجع : من هو في سورية عام ١٩٤٩ ، ص١١٨ - ١١٩ . ومن هو في سورية عام ١٩٥١ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ . استقال الحفار من الحزب الوطني عام ١٩٥٦ ، وقد كشفت محكمة الشعب (المهداوي) ارتباط الحفار بالدبلوماسيين العراقيين في بيروت ، راجع : محكمة الشعب، محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة ، ج١ ، ص٣١٣ .

(٣) - راجع بيان البعث في ، صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٩ حزيران ١٩٥٦ .

(٤) - حول دور الجيش في تنحية الحفار راجع :

F. o / 371 / 128219 / Annual Report for 1956 , Nov 13 , 1957 , p.2 , p.2 . cf. G. Lenczowoki . the Middle East , p.365.

والوطني بحقيبتين ونال مثله كل من الجبهتين الدستورية والديمقراطية وحقق البعث أهم انتصاراته السياسية ونال وزارتي الخارجية والتربية مستفيداً من ضعف منافسيه وانقساماتهم [1] . " وظهر إثر ذلك متقداً مندفعاً وراح يضغط على العسلي ليُضمن برنامج عمل الحكومة الجديدة الاتحاد بين سورية ومصر وأن يكون منفتحاً على دول عربية أخرى ليس لها ارتباطات مع الغرب والهدف من ذلك استبعاد العراق والأردن من ذلك الاتحاد المزمع قيامه ، وإدانة حلف بغداد والمعاهدة البريطانية – الأردنية ، وبالتالي تقليص نفوذ حزب الشعب والقوى السياسية المؤيدة للهاشميين " [2] .

أثار نص البيان الوزاري أزمة جديدة حين ألحَّ الوزراء ، غير البعثيين ، على أن يقتصر فقط على الإشارة إلى الوحدة العربية ، وحُل الاشكال في ٢١ حزيران عندما وافق الجميع على نص يتضمن قيام الحكومة بمباحثات فورية مع القاهرة لإقامة وحدة سياسية ودعوة الحكومات العربية المتحررة إلى الانضمام إليها كخطوة أولى لتحقيق الوحدة العربية الشاملة [3] .

عكس تركيب الوزارة القلق السياسي في سورية وانقسامات رجال السياسة وفشلهم في الارتقاء فوق الصغائر . وقد واجه هذا الخليط الوزاري أحداثاً لم تعرف البلاد بمثل خطورتها منذ العام ١٩٤٨ . فلنستعرضها أدناه :

---

(١) – تألفت الوزارة على الوجه التالي : العسلي رئيس ووزير مالية ، مجد الدين الجابري وزير الأشغال العامة والمواصلات ، (الحزب الوطني) . أحمد قنبر الداخلية ، عبد الوهاب حومد التربية ، رشاد جبري الزراعة (حزب الشعب) . صلاح الدين البيطار الخارجية ، خليل كلاس الاقتصاد الوطني (حزب البعث) . محمد العايش وزير بلا حقيبة ، عبد الباقي نظام الدين وزير الصحة ، (الكتلة الديمقراطية) . مصطفى الزرقا العدلية وعبد الحسيب ارسلان الدفاع (الكتلة الدستورية) . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم /٤/ للعام ٥٥ – ٥٦ ، ص ٣ .

(٢) – F. o / 371 / 128219 / Annual Report for 1956 / Nov 13 , 1957 / p.2 - 3 .

(٣) – راجع نص بيان العسلي في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٤ للعام ٥٥ – ٥٦ ، ص ٩، وقد استغرقت مناقشته سبع ساعات نالت بعدها الوزارة الثقة بأغلبية ساحقة ١١٠ صوت من أصل ١١١ نائب حاضر في جلسة ٢٧ حزيران ، راجع وقائع الجلسة في م . ن ، ص ١٨ – ٢٨ .

قضية رئاسة الأركان : تلك كانت أول قضيــة داخلية واجهتها الحكومــة ، فقد أصرت القوى السياسية اليمينية على الحد من تدخل رئيس الأركان شوكت شقير وضباطه في الشؤون السياسية ، " وكذلك تحضرت العناصر اليمينية في الجيش ، التي تضم الضباط القادة المنتمين إلى كبريات العائلات السورية ، لتطهير الجيش من العناصر اليسارية الشابة ، وراحت تخطط لإثارة أزمة ما تتيح لها الفرصة للإستعانة بالعراق حتى إلى حد تدخله عسكرياً إذا اقتضت الضرورة ، وكان هاشم الأتاسي ، رئيس الجمهورية السابق ، على اتصال بهؤلاء الضباط وحضر إلى دمشق لتشجيعهم" [١] . وفي ٢٧ حزيران طالب وزير الدفاع الحكومة المصادقة على قراره بتنحية شقير عن رئاسة الأركان ، وعبد الحميد السراج عن رئاسة المكتب الثاني ومعه عدد من الضباط اليساريين المتطرفين وبعض العناصر اليسارية المعتدلة [٢] .

وقد أمن ارسلان موافقة الوزراء البعثيين على إزاحة شقير [٣] في حين فشل هذا الوزير في زحزحة السراج والضباط الآخرين ولا حتى نقلهم كملحقين عسكريين خارج الساحة السياسية . وقد خاب أمل العناصر القومية واليسارية عندما أصدر مجلس الوزراء في ١٨ تموز قراراً بتعيين الزعيم توفيق نظام الدين رئيساً للأركان العامة وهو يمثل الزمرة اليمينية التي شكلت دعامة القوتلي داخل الجيش [٤] .

---

(١) – المعلومات مستقاة من التقرير السنوي الذي أعده السفير البريطاني حول أحداث سورية في العام ١٩٥٩ ولا توجد في مصادر أخرى . راجع :
- F. o / 371/ 128219 / op.cit , p. 2 .

(٢) – - F. o/ 371/128219/ p.2 - 3 , cf. G. Torrey , Syrian Politics , p.310 .

(٣) – شوكت شقير درزي لبناني حصل على الجنسية السورية في عهد حسني الزعيم ، وقد رقاه الشيشكلي وعينه قائداً للمنطقة الوسطى متجاوزاً ثلاثة ضباط أقدم منه ولما سئل عن السبب قال " إن شقير بلا ماض ولا مستقبل لأنه درزي ولبناني " وعندما أمر الشيشكلي بضرب جبل الدروز نفذ شقير الأوامر دون اعتراض على ما سيحل بطائفته . راجع : مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص٣٩ . وقد وصف شقير بأنه ضابط كفوء ومثقف ، لكنه راح يتحدى القوتلي ويضغط عليه لتشكيل الحكومة التي يريدها . راجع :
E. Be'eri , Army officers .. , p.133 .

(٤) – كتبت صحيفة الأيام الدمشقية في عددها الصادر في ٨ تموز تصف توفيق نظام الدين كما

إن فشل المخطط اليميني في زعزعة السراج وزمرتـه ، وقبـول القـادة التقليديين بانصـاف الحلول ، قد دفـع بالعنـاصر اليسـارية إلـى التكـاتف والتضـامن وتحصيـن الـذات لمواجهة أية عاصفة جديدة .

الخطوات نحو الاتحاد مـع مصـر : منـذ أن نـالت الحكومـة الثقـة ، بدأ البعثيون يضغطون على العسلي لفتح المباحثـات مـع القاهـرة لإقـامة شكل مـن أشكـال الإتحاد بين القطريين [1] وفـي ٣٠ حزيـران ترأس العسلي وفـداً ضـم الوزيريـن صـلاح الدين البيطار ومحمد العايش لتهنئة عبد النـاصر بتوليـه رئاسـة الجمهوريـة وفـي اللقـاء الذي جرى بين ناصر والوفد السوري تطرق العسلي لمسألة الاتحاد وأظهر ناصر بعض الحذر ونقل عنه القول : " أن مصر تؤيد الفكرة إلا أن انقسـام الـرأي السـوري حولها قد يحول دون تنفيذها " [2] ومن ثم بحث البيطار مع صلاح سـالم فـي الخطـوات التـي يجـب اتخاذها لتحقيـق هـذا المشـروع ، وشـدد المسـؤول المصـري علـى أهميـة إجمـاع الشـعب السوري بكامله حول فكرة الاتحاد ، وأعلن الوزيران " أنـه سـوف تتشـكل لجـان مشـتركة للتحضير للاتحاد المرتقب في الحقول الثقافية والاقتصاديـة والسياسية وأن علـى الجامعـة العربية أن تعترف به وتتعاون معه " [3] وفي الأول من تمـوز أذاعـت صـوت العـرب أن المباحثات السورية المصرية ستستأنف قريباً وستصل بعثة سورية إلى القاهرة مباشرة بعد إقرار البرلمان السوري لمشروع الاتحاد [4] . وفي الثالث مـن تموز اقـترح القوتلـي قيام

يلي: "هو ينتمي إلى أعرق عائلات الجزيرة التي لعبت دوراً في النهضة الوطنية ومقاومة الانتداب وقـد عُرف عنه خلقه القويم ووطنيته واهتمامه بالجيش ودماثته وتهذيبه " . ووصفـه ولـبركرين ايفلانـد" بأنـه كعظمة الرأس سيظل يتحرك كما يريد السرّاج" . راجع كتابه حبال من رمل ، ص ٣٣١ .

(١) – صحيفة البعث ، دمشق ، عدد ٢٨ حزيران ١٩٥٦ .

(٢) – نشرت وقائع المقابلة صحيفة الشعب ، القاهرة ، عدد الأول من تموز ، ١٩٥٦ .

(٣) – F. o/ 371/ 121864 / a Report of "Egyptian Syrian relations , "Union with Syria" No 1154, From Cairo to F. o/ July 2 , 1956 / p.1 - 2 .

(٤) – وفي نفس التاريخ (الأول من تمـوز) توجهـت بعثـة عسكرية سـورية لتفقد خطـوط الجبهـة المصرية في غزة ، وأعلن نوفل شحم أحد أعضائها " أن سورية تسير نحو الاتحـاد التـام مـع مصـر ،

إتّحاد فيدرالي بين سورية ومصر وعرض على وزرائه مسودة دستور الدولة الاتحادية، وأكدت النصوص على وجوب تمتع كل قطر باستقلال ذاتي واحتفاظه بنظام الحكم القائم فيه وتكون مجالسه وتنظيماته ومؤسساته مستقلة عن تلك القائمة في السلطة الاتحادية" [١].
وفي الخامس منه خصصت الحكومة الجلسة البرلمانية لمناقشة مشروع الاتحاد مع مصر، وقد أقر المجلس بالاجماع نصاً أعدته الحكومة هو التالي : " إن مجلس النواب السوري تمشياً مع الفقرة الثالثة من المادة الأولى للدستور التي تنص بأن الشعب السوري جزء من الأمة العربية يدعم القرار الذي أعلنه رئيس الوزراء والقاضي بأن الحكومة اتخذت قراراً بالاجماع بتفويض لجنة وزارية لمباشرة المباحثات مع الأشقاء المصريين توصلاً إلى اتحاد فيدرالي بين قطرينا يجب أن يبقى مفتوح الأبواب أمام الدول العربية المتحررة ونأمل أن تتحقق هذه الخطوة المباركة حتى إذا ما تم الاتفاق على هذا الاتحاد سوف نتقدم بمشروعه إلى مجلسكم الموقر لاقراره [٢] ".وقد أشارت عدة صحف سورية إلى ترحيب ناصر بهذا القرار الذي هو " تحقيق للمادة الأولى من الدستور المصري ، وهو خطوة لقيام وحدة تكون ذات قوة في الميدان الدولي " [٣] . وفي السادس من تموز تشكلت لجنة برئاسة العسلي عن الحزب الوطني ، وأحمد قنبر عن حزب الشعب والبيطار عن البعث العربي الاشتراكي ، وبعد مباحثات قصيرة في القاهرة ، حاول العسلي تجاوز ذلك التوجه دون إثارة غضب القوميين فأعلن أن لجاناً مشتركة ستتولى التحضير لدولة الاتحاد

وسوف يتحقق ذلك قريباً " راجع ، صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٢ تموز ١٩٥٦ .

(١) – انفردت صحيفة الرأي العام الدمشقية في نشر مسودة الدستور في عددها الصادر في ٥٦/٧/١٧ .

(٢) – هلل النواب للفكرة ، وهنأ رشاد برمدا الحكومة بلسان حزب الشعب على خطوتها المباركة وكذلك فعل خالد العظم ، وطالب منير العجلاني ونوفل الياس بوجوب ضم العراق إلى دولة الاتحاد.راجع : وقائع الجلسة في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٧/٥٦ ، ص١١٥ – ١١٩ .

(٣) – الأيام ، دمشق ، عدد ٨ تموز ١٩٥٦ . الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩ تموز ١٩٥٦ .

ومن ثم أجل البحث في المشروع [1] وجاءت أزمة السويس لتوقفه برمته ، ومن ثم لتسكت إلى الأبد أصوات المطالبين بوحدة الهلال الخصيب .

أصداء تأميم قناة السويس على سورية : اثارت مسألة تأميم القناة والتطورات التي لحقت بها ردود فعل في كل أرجاء العالم العربي [2] واتخذت في سورية أشكالاً مختلفة حيث انفتح المرسح أمام أحداث درامية متسارعة وعنيفة أحياناً ، قلبت مجريات السياسة السورية رأساً على عقب . ففي هذه البلاد حيث تحضر الرأي العام مسبقاً لفكرة التلاحم مع مصر ، ونمت في أوساطه مشاعر قومية عربية معادية للغرب ، تأججت بفعل تراجع الولايات المتحدة عن تمويل سد أسوان [3] ، وجاءت مسألة القناة لترفع الموجة المتطلعة إلى مصر ومعها المد اليساري إلى أقصى مداها .

ما إن ألقى عبد الناصر خطاب التأميم حتى سارعت الحكومة السورية في الإعلان عن دعمها المطلق لذلك القرار التاريخي ، وخصصت جلسة مجلس النواب في

---

(1) - F. o / 371/ 128219 / Annual Report for 1956 , Nov 19, 1957 , p.3 .

(2) - في ٢٦ تموز وبمناسبة الذكرى الرابعة لسقوط الحكم الملكي ألقى عبد الناصر في ميدان التحرير بالإسكندرية خطاباً باللهجة العامية المصرية أعلن فيه تأميم قناة السويس . وكان البريطانيون والفرنسيون يملكون أغلبية أسهم الشركة منذ تأسيسها عام ١٨٨٨ وكانت حقوقهم ستنتهي عام ١٩٦٨ . وقد أعيد تثبيت هذا التاريخ في الإتفاق الإنكليزي المصري لعام ١٩٥٤ . وللتوسع حول أصداء تأميم القناة في البلاد العربية على المستويات الرسمية والإعلامية والشعبية راجع :

"Les Etats Arabes devant la Crise du Suez" dans Orient, Paris, No1,1957, Documents, p.288 - 314, et No2 , 1957 , p.153 - 186 , 187 - 202 .

(3) - كانت مصر قد قررت بناء السد العالي بمساعدة أمريكا وبريطانيا والبنك الدولي ، وقد رفض عبدالناصر الشروط التي وضعها (E. Black) مدير البنك القاضية بممارسته الاشراف على تنفيذ المشروع وعلى ماليةِ مصر واقتصادها ، وفي ٥٦/٧/١٩ سحبت واشنطن عرض المساهمة وتبعتها بريطانيا والبنك الدولي وعلى الرغم من تراجع مصر وقبولها بشروط أوجين بلاك ، استمرت واشنطن على موقفها ، وقد علقت الصحف الغربية أن اسباب الرفض تعود إلى استيراد مصر للسلاح السوفياتي الذي جعلها غير صالحة للحصول على مساعدات الغرب . وللتوسع حول دور مسألة السد في اعلان تأميم القناة راجع :

J. et S. Lacouture , l'Egypte en mouvement , Paris 1956 , p.170 - 377 , 446 - 448 .

٢٨ تموز لمناقشة القضية ، وفيها قال العسلي " إن حكومتي تؤيد هذا القرار الذي سيحرر مصر من غل من أغلال الاستعمار .. سنعلن أمام الدنيا أننا سنقف إلى جانب مصر في السراء والضراء ... لقد آن للدول الاستعمارية أن تبدل عقليتها وأن تنظم علاقاتها مع العالم العربي على أساس الحق الدولي والمساواة " . وقد أقر المجلس نصاً بهذا المضمون وكلف وزير الخارجية تبليغه إلى ممثلي البعثات الدبلوماسية العربية بدمشق [١] وفي ٢٩ منه على اثر اجتماع الوزارة بحضور رئيس الأركان صرح وزير الدفاع " أن الحكومة السورية تدرس الاجراءات العسكرية والسياسية التي ستتخذها لدعم مصر عسكرياً وسياسياً [٢] . وكانت مواقف حزب البعث الأكثر اندفاعاً وعنفاً قياساً بالفعاليات السياسية الأخرى ، ففي احدى خطب الحوراني في البرلمان أطلق أول دعوة لوقف ضخ النفط العربي إلى الغرب قال " على الدول العربية واجب قومي يقضي بتهديم المنشآت البترولية كي لا يستخدم الغرب نفط العرب ضد مصر " وما إن قررت لندن تجميد ممتلكات مصر حتى طالب الحوراني الحكومة بإغلاق المصارف الانكليزية والافرنسية وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية مع فرنسا " [٣] . وقد مجدت الصحافة السورية القرار البطولي الذي اتخذه جمال عبد الناصر وشنت الصحف اليسارية حملة عشواء على الامبريالية والاستعمار ، وبعضها راح يحث على القيام بعمل ما ضد المنشآت النفطية في سورية [٤] وفي ٧ آب دعا اتحاد نقابات العمال عمال سورية إلى التطوع في منظمات شعبية استعداداً للدفاع عن مصر في حال تعرضها لأي هجوم ، وحدد يوم ١٦ آب يوم الاضراب العام [٥] . هذا وقد قدمت السفارات البريطانية والأمريكية والافرنسية مذكرة احتجاج إلى رئيس الوزراء تطالب بتأمين الدولة حماية فعالة على المنشآت النفطية

---

(١) – راجع وقائع الجلسة التي تبارى فيها النواب لإظهار عواطفهم القومية . في مذكرات مجلس النواب مجلد رقم واحد للعام ٥٦/٥٧ ، ص ١٥٥ .

(٢) – الرأي العام ، دمشق ، عدد ٣٠ تموز ١٩٥٦ .

(٣) – مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم (١) للعام ٥٦/٥٧ ، ص ١٥٥ .

Orient . Paris . No 1 . 1957 , p.288 .

(٤) – راجع صحيفة الأنباء . عدد ٢٧ تموز ١٩٥٦ . الرأي العام عدد ٢٩ تموز ١٩٥٦ .

(٥) – حول وقائع هذا المؤتمر والقرارات الصادرة عنه راجع : صحيفة الرأي العام في عددها الصادر في ٥ آب ١٩٥٦.

والمؤسسات الغربية . واتهم السفير البريطاني المصريين بتحريض السوريين على نسف أنابيب شركة نفط العراق وقال معلقاً : " إذا ما نفذ السوريون ما يدور بأذهانهم فإنهم بذلك كمن يقطع أنفه نكاية بوجهه . لأنه منذ أوائل آب لن يكفي مخزون سورية من الطاقة لأكثر من ثلاثة أسابيع ، وأن من المؤكد أن المصريين لن يتأثروا قط بالخسائر الناجمة عن نسف الأنابيب النفطية وعليه بدأوا التحضير لهذه الخطوة وقد علمت من مصدر ثقة أن ضابطاً مصرياً قد كُلف بالتنسيق مع السوريين في هذا المضمار " [1] . استمر الوضع السوري بالتأزم والمشاعر الشعبية بالاندفاع مع تفاعل أزمة القناة ، فعلى اثر المباحثات الثلاثية بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في لندن لتقرير مصير إدارة القناة ، وصدور بيان مشترك ينكر حق مصر بتأميمها ، ويطالب ببقائها ممراً مائياً دولياً حراً " [2] ، تحركت دول المنظومة الشيوعية لمساندة مصر [3] واستغلت قوى اليسار السوري هذا الموقف وتوصلت إلى إحراز سيطرة فعالة على الجيش والرأي العام وحتى على توجهات الساسة السوريين من العناصر المعتدلة التي راحت بدورها تشجب الامبريالية الغربية خوفاً من أن تتهم بالتعاون معها أو مع عملائها ، وتحت ضغط هذه الموجة أصدر وزير الدفاع في ١١آب مذكرة تنص على إنشاء قوة مقاومة شعبية تعمل

---

(١) - F. o / 371/ 121891/ Secret Report , No 56 / Aug 8 / 1956 .

(٢) – وجه البيان الختامي للمؤتمر الثلاثي الدعوة إلى ١٨ دولة لحضور مؤتمر يعقد في لندن في ١٦ أيلول لتشكيل منظمة " مستخدمي قناة السويس " التي ستقوم بإدارة القناة لصالح مصر ونيابة عنها . وقد امتنعت مصر عن حضور هذا الاجتماع ، وقال ناصر " أنه سيدان إذا قبل أن تشرح له الدول الثلاث كيف أن تعطيله لخططها قد هدد مستقبل مصر " . راجع : صحيفة الجمهورية ، القاهرة ، ١٨ آب ١٩٥٦ . وقد هاجمت الصحف السورية مشروع تدويل القناة ، فرأت فيه صحيفة الرأي العام الدمشقية " ضربة إسبانية مصر التي أعلنت عن حرية الملاحة" ، عدد ٣٠ آب ١٩٥٦ ، كذلك انتقدت صحيفة بردى هذه القرارات (عدد ١٥ أيلول ١٩٥٦) واعتبرت الألف باء:" أن فشله يعود إلى تمنع مصر عن حضوره"،(عدد ١٦ أيلول) . بينما هاجمت صحيفة الحضارة البعثية مؤتمر لندن وقراراته بعنف (عدد ١٧ أيلول ١٩٥٦) .

(٣) – حول مواقف السوفيات من أزمة السويس راجع :

H. Carrere d'Encausse , la Politique Sovietique au Moyen Orient , p.100 - 120 .

تحت إمرة الجيش ، وعلى فتح باب التطوع في ٢٠ منه [١] . ورداً على ما أسمته القوى اليسارية الموقف البارد للحكومة من أزمة مصر ، نظم الحوراني والعظم وبكداش عملاً مشتركاً قضى بتشكيل لجنة من النواب من كل الأحزاب والكتل السياسية تأخذ على عاتقها تنظيم مؤتمر شعبي والدعوة إلى التضامن مع مصر في كافة البلاد العربية [٢] . وفي ١٤ آب عُقد في الملعب البلدي بدمشق مهرجان شعبي حضره مائة ألف شخص وألقى كل من خالد العظم وعبد الوهاب حومد خطباً حماسية وانطلقت هتافات البعثيين " علم واحد ، شعب واحد ، وطن واحد " ، وأعلنت اللجنة يوم ١٦ آب يوم إضراب عام ، وفي هذا اليوم أقفلت المدن السورية وشددت الدولة إجراءات الحماية على مراكز البعثات الدبلوماسية ومنعت عمال النفط من الإضراب ، ومع ذلك توقف تدفق النفط من محطات ضخ ألا بي سي بضع ساعات [٣] .

جاء إنزال الفرق الافرنسية في جزيرة قبرص في ٣٠ آب ليثير انعكاسات عنيفة في سورية وبشكل أقل في لبنان [٤] فعلى الرغم من تأكيدات السفير الافرنسي في دمشق

---

(١) – حسب صحيفة الأهرام القاهرية الصادرة في ٢٨ آب فإن ٥٠ نائباً سورياً قد تطوعوا في الجيش الشعبي . وقد وصل عدد المتطوعين إلى ١٠٠ ألف سوري والتحق بالجيش الشعبي عدد من الشيوعيين واليساريين الذين سُلحوا بالأسلحة التشيكية التي وصلت إلى سوريه في ٥٦/١٢/٦ . راجع :
Orient , Paris , No 1 , 1957 , Documents , p.290 - 291 .

(٢) – ضمت اللجنة معروف الدواليبي رئيساً بعضوية : خالد العظم ، علي بوظو، أكرم الحوراني ، محمد مبارك ، خالد بكداش ، ظافر القاسمي ، وكان يحضر الاجتماعات فؤاد جلال المكلف من الحكومة المصرية متابعة هذه الجهود . راجع : مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص٤٧٨ – ٤٧٩ . وقد اتخذت اللجنة عدة قرارات منها : ١ – ان الأمة العربية بكاملها ستحارب ضد أي إعتداء على مصر . ٢ – ان الأمة العربية تدين المحاولات الغربية لجعل القناة دولية أو أن تكون الملاحة فيها تحت إشراف دولي لأنها ترى في ذلك انتهاكاً للقانون الدولي ولميثاق الأمم المتحدة . ٣ – ستمنع سورية تدفق النفط إلى الغرب في حال الاعتداء على مصر . ٤ – تطالب سورية الدول العربية والإسلامية بتبني تلك القرارات . راجع :
Orient . N01..1957, p.292 - 299 .

(٣) – بردى ، دمشق ، عدد ١٥ آب ١٨٥٦ ، الأيام ، دمشق ، عدد ١٥ آب ١٩٥٦ .

(٤) – راجع مقالات الصحف السورية . بردى ، دمشق ، عدد ٣٠ آب ١٩٥٦ ، لسان الشعب ، دمشق ، عدد ٣١ آب . النصر ، دمشق ، عدد ٥ أيلول . الأيام ، دمشق ، عدد ٣ أيلول .

السيد كلارك لصبري العسلي أن هذا التمركز ليس موجهاً ضد سورية ولبنان وأن حكومته لا تنوي قط المساس باستقلال الدولتين ، فقد وجهت حكومتا سورية ولبنان مذكرة احتجاج إلى مجلس الأمن تطالب بوجوب انسحاب هذه الفرق لأن استمرارية الوجود العسكري الافرنسي تنطوي على تهديد مؤكد للسلم والأمن في هذه الأقاليم [1] . وجاءت أحداث ٢٨ أيلول في حلب لتظهر كما كان كبيراً صدى أزمة السويس لدى جماهير المدن، ففي هذا اليوم تحولت حلب إلى مرسحٍ لأعمال عنف طائفي ، بدأت إثر اعتقال السلطات الافرنسية لخمسة من قادة حركة التحرير الجزائرية [2] واشتغلت التظاهرات في دمشق والمدن السورية الأخرى وألقى المتظاهرون في حلب القنابل على مركز القنصلية الافرنسية وأحرقوا كنائس ومدارس فرنسية ، ثم هاجموا الأحياء المسيحية ودارت فيها صدمات عنيفة وسقط عدد من القتلى والجرحى ، وقد تحركت الدولة بسرعة درءاً لحدوث فتنة طائفية شاملة ، فاتخذت التدابير الفعّالة لتوطيد الأمن وأصدرت بلاغاً بمنع التجمعات والتظاهرات ، ولما طُرحت القضية للمناقشة أمام البرلمان في ٢٩ أيلول ، وضعت المعارضة السياسية اللوم على وزير الداخلية الشعبي واتهمته بالعجز عن ضبط الأمن بينما اتهمت الفعاليات اليمينية الاشتراكيين والشيوعيين بالتحريض على هذه الأعمال [3] . وقد كشفت أحداث حلب عن الأثر السلبي للتطاحن الحزبي على الأمن

صوت العرب ، دمشق ، عدد ٩ أيلول . أما في لبنان فقد نظم حزب النجادة من ٣١ تموز حتى ٣ آب تظاهرات دعماً لمصر واحتجاجاً على الانزال الافرنسي . راجع :

Orient , No 1 , 1957, Documents , p.302 - 309 .

(1) – راجع نص المذكرة بالعربية في صحيفة الأنباء ، دمشق ، عدد ٣٨٦ ، ١٨ /٩/ ١٩٥٦ وبالافرنسية في :

Orient , Paris , No 1 . 1957 , Documents , p.298 .

(2) – حول ملابسات هذه القضية . راجع : صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٢٦ أيلول ١٩٥٦ .

(3) – تكلم النائب نوفل الياس وذكّر بمواقف البطريرك غريغوريوس من العروبة وبمواقف البطريرك حويك من الاستقلال ، ونفى وزير المعارف أن يكون أساس الموضوع طائفياً لا في تطوراته ولا في المظهر الشنيع الذي اتخذه قال : " المسيحيون في حلب عرب وهم الذين أحيوا اللغة العربية وكانوا المشعل المنير لتفتح القومية العربية " . راجع وقائع الجلسة في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٦/٥٧ ، ص٢٤٧ – ٢٥٠ .

الداخلي وتعدّي الجماهير على حرمة القوانين والأنظمة [١] وفي ٣٠ تشرين الأول أصدرت الحكومة المرسوم رقم ٣٦٩ القاضي بإعلان الأحكام العرفية في الأراضي السورية [٢] .

سورية إبان حرب السويس : في خضم هذا المرجل المتقد ضد الغرب حدث الهجوم الثلاثي على مصر ، وفتح الساحة السورية أمام تغييرات سياسية عميقة .

ما إن شاعت أخبار اجتياح فرق موشي ديان فجأة الجبهة المصرية نحو سيناء وغزة ثم القصف البريطاني الافرنسي للمدن المصرية وللطيران المصري وقواعده [٣]

---

[١] – حول ملابسات هذه القضية ، والأحكام المخففة التي صدرت بحق المتهمين (١٨ شهر سجن) والتي تدل على انحياز القضاة العسكريين ، وربما على دور المخابرات الخفي من هذه المسألة . راجع: مقال في صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٨ شباط ١٩٥٧ .

[٢] – مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الدفاع ، قسم " قرارات وقضايا مختلفة لدفاع السنين " . وثيقة رقم د/١٢٠: و ١٠٦/تاريخ ٣٠/١٠/٥٦ .

[٣] – بدأ الهجوم ليل ٢٩/١٠ ، وذلك بناءً على اتفاق مسبق بين تل أبيب والحكومتين البريطانية والفرنسية وذلك كمبرر لتدخلهما العسكري . وفي ٣٠ منه صدر الانذار البريطاني الفرنسي بوقف العمليات العسكرية وسحب مصر وإسرائيل لقواتهما عشرة أميال من القناة للسماح بانزال الفرق . رفضت مصر الانذار ومساء ٣١ منه بدأ قصف القاهرة والاسكندرية وبور سعيد، وفي ١١/٢،اجتاحت اسرائيل قطاع غزة وانسحبت من أمامها القوات المصرية التي حاربت بمهارة وشجاعة أقل بكثير مما كان عليه الأمر زمن فاروق . وفي ٥ منه تم الانزال البريطاني الافرنسي في بور سعيد وفي اليوم التالي احتلت المدينة وكانت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قد اتخذت في الأول من تشرين الثاني قراراً بوقف العمليات العسكرية . وفي ٤ منه قررت تشكيل قوة طوارئ تابعة لها وارسالها إلى مصر وفي ٥ منه وجّه بولغانين إنذاره الشهير بعزم حكومته " استخدام القوة لسحق المعتدين وإعادة السلام إلى الشرق الأوسط " وفي ليل ذلك اليوم أعلن داغ همرشولد أن بريطانيا وفرنسا وافقتا على قرار الأمم المتحدة . وفي ٦ منه توقف إطلاق النار وفي ٧ منه وصلت أول كتائب الأمم المتحدة وفي ٢٣ أعلن عن اتفاق الاخلاء وفي ١٢/٢٢ رحلت آخر القوات الافرنسية والبريطانية عن مصر. وظل " بن غوريون " رافضاً سحب قواته من القناة حتى يضمن حرية الملاحة في خليج العقبة ووقف غارات الفدائيين من قطاع غزة . وأخيراً أجبر الضغط الأمريكي الاسرائيليين على الانسحاب مقابل قيام قوة تابعة للأمم المتحدة بحراسة شرم الشيخ وسكتت المدافع التي كانت تغلق خليج العقبة وبالتالي استخدمت اسرائيل

حتى هبت سورية بغضب عارم تعلن أن المعركة معركتها ، وأن العداوان على مصر عدوان على الأمة العربية كلها . وتأهبت للتو الفصائل العسكرية السورية والأردنية لاقتحام المعركة بالهجوم على إسرائيل في حركة سريعة وقطعها إلى نصفين . إلا أنها تلقت أوامر القائد عبد الحكيم عامر بوجوب التريث والترقب خوفاً من غزو ثلاثي لسورية، وبناءً على أوامره دخلت فرقة عسكرية سورية الأردن [١] .

في الأول من تشرين الثاني عقد مجلس النواب جلسة لمناقشة المستجدات وفيها أكد العسلي أن حكومته تقف إلى جانب مصر ، " لا لتنفيذ اتفاق عسكري فحسب بل كواجب قومي مقدس" [٢] وفي اليوم التالي قطعت سورية علاقاتها الدبلوماسية مع باريس ولندن وأعلن وزير الخارجية تعقيباً على هذا القرار أن الدولة ستؤمن حماية أنابيب النفط والمنشآت النفطية والرعايا الأجانب العاملين فيها أو في المؤسسات التجارية ، وأنها ستسمح للدول الأوروبية ، دون استثناء فرنسا وبريطانيا ، بالتزود بالنفط من صهاريج مرفأ بانياس [٣] وفي ليل ٢ – ٣ منه اجتاحت عناصر من المخابرات السورية محطات

مرفأ إيلات على أكمل وجه . وفي ١٩٥٧/٣/٧ عادت إسرائيل إلى خطوط هدنة عام ١٩٤٩ . ومع أن مصر خسرت الحرب لكنها ربحت معركة الدبلوماسية . هناك العديد من المؤلفات حول قضية السويس. اعتمدنا الوثائق المنشورة في مجلة Orient وما كتبه مراسل صحيفة نيورك تايمز الذي كان يتابع الأحداث على الأرض

Orient, No 2 Documents , April 1957 , p.121 - 151, Kennet Love , Suez, the twice fought war, Newyork 1969 .

(١) – على أثر أزمة السويس وقّعت عمان على حلف عسكري مع سورية ومصر في ٢٣ تشرين الأول ولم يطبق وبالمقابل دخلت الفرق العسكرية العراقية في ٢٠ تشرين الأول الأردن مما أثار المصريين فأمروا بإرسال ألوية سورية إلى المملكة كما تحركت نحو حدودها فرق سعودية . راجع : بيان العسلي حول احداث القناة في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٦/٥٧ ، ص ٣٠٢ – ٣٠٩ و :

Orient, No2 Documents, April 1957, P.154, J. et S. Lacouture, l'Egypte en mouvement, p.404.

(٢) – مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٦/٥٧/ ص ٢١٠ .

(٣) – ابقت سورية على علاقاتها التجارية ، بعد قطع علاقاتها الدبلوماسية ، مع فرنسا وبريطانيا ، واستمر ذلك حتى ١١/٢٣/ عندئذ طالبت الملحقين التجاريين بمغادرة أراضيها ، وأعلمت المفوضية السويسرية بأنها لن تستعيد علاقاتها الطبيعية مع هاتين الدولتين حتى تقوم مصر بذلك . راجع :

ضخ نفط العراق الثلاث ونسفت الأنابيب وانقطع ضخ نفط كركوك – طرابلس إلى الخارج [1] ، وقد فاخر فيما بعد ، عبد الحميد السرّاج ، بأنه أعطى الأوامر لعناصره دون الرجوع إلى الحكومة ، وذلك مساهمة منه في معركة القناة [2] .

في ٣١ تشرين الأول طار القوتلي إلى موسكو بناءً على دعوة مرتبة سابقاً ، وقد اتخذت تلك الزيارة معنىً خاصاً لكونها قد سبقت بقليل إنذار بولغانين ، ورافق القوتلي وفدٌ ضمَّ وزراء الخارجية والدفاع والزراعة ورئيس الأركان ، وقد دارت المفاوضات مع الروس في أجواء السرية التامة ، ودلت المذكرة الصادرة بشأنها أن سادة الكرملن أرادوا الإيحاء للسوريين أن بإمكانهم الإعتماد على أصدقاء أقوياء ، " إذ نوّهت أن القادة السوفيات مستعدون لتزويد سورية بكل المساعدات الضرورية لتحقيق استقلالها الكامل " [3] ، وعند انتهاء الزيارة أذيع من موسكو بيانٌ مشترك شدّد على سخط الطرفين واستنكارهما للتدخل الأجنبي المسلح في مصر "التي غدت ضحية اعتداء سافر لا مبرر له قط " وطالب البيان بانسحاب القوات المعتدية عن أراضي مصر [4] . رحب السوريون بالضمانات السوفياتية التي تحدث عنها القوتلي لدُن عودته إلى دمشق في ٣ تشرين الثاني فقد أعلن أمام الجماهير التي كانت في استقباله على أرض المطار " لقد أتيتكم بالسلاح والعتاد الحربي .. سنكافح من أجل كل منزلٍ وكل قطعة أرض فهلموا

F. o / 371/ 121895/ Report No683, Nov 2 , 1956 , and Report From Beirut No 30/ Nov 21 , 1956 .

(١) – وفيما بعد قطعت الأنابيب في الأرض اللبنانية على بعد بضعة كيلومترات من مصفاة طرابلس، ولم تُمس قط أنابيب نفط التابلاين ، وفي ١٢/١٤ توجهت سفارة الولايات المتحدة بدمشق بمذكرة إلى الحكومة السورية تطالب بالإسراع في اصلاح خطوط النفط . راجع :

F. o / 371/ 121891/ Secret Report , No 3318 , From Bagdad to F. o / Dec 8 , 1956 .

وحول انعكاسات هذه القضية راجع :

Annual Report for Syrian on 1956 , 128219/ 13 Nov 1957 , p. 4 .

(٢) – راجع : هيكل ، "ما الذي جرى في سورية"، ص ١٠٥ .

(٣) – حول هذه الزيارة راجع التقارير الصادرة عن السفارة البريطانية في موسكو :

F. o / 371/ 121867/ No 103 , Nov 5 / 1956 , and No 117 , Nov 7 , 1956 .

(٤) – راجع نص البيان بالافرنسية في :

Orient , Paris , No 2 , 1957 , p.164 - 165 .

وبالعربية في صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ .

للتطوع " [1] وفي ٩ منه ألقى القوتلي كلمة حيّا فيها نضال الشعب المصري وقال " كنت أصلي في جامع موسكو ، وبعد خروجي شاهدت تظاهرة تضم آلاف المسلمين الذين كانوا يهتفون : " إننا مستعدون للذهاب إلى البلاد العربية في حملة لدحر الاستعمار " ثم دعا السوريين إلى التطوع في المقاومة الشعبية [2] .

إن الهجوم الثلاثي على مصر قد أوصل إلى ازدياد ترسخ النفوذ المصري في سورية حيث أصبح للمصريين قاعدة قوية داخل الجيش تمتعت بتأييد الحوراني وبكداش اللذين شددا من ترابط حزبيهما ، وأصبح من العسير التمييز بين مواقف الناصري والشيوعي ، إذ سعت تلك الأطراف مجتمعة إلى خلق صدى شعبي صاعق تجاه مواقف السوفيات من أزمة السويس وإلى التعتيم قدر الإمكان على الدور الأمريكي الكبير في إنهاء الأزمة [3] .

وقد استغل هذا الحلف مناسبة حرب السويس لشن هجوم عنيف على النظام العراقي ولتحويل حلفاء هذا النظام ، خاصة حزب الشعب ، إلى حال انعدام الوزن والشعور بوطأة ارتباطاتهم العتيدة ، إذ عرّضت حرب السويس قادة العراق إلى اختبار قاس لم يعرفوه منذ حركة رشيد عالي الكيلاني ، ومنذ مطلع تشرين الثاني أصبحت بغداد وسائر المدن العراقية مسرحاً لتظاهرات عنيفة طالب فيها الطلاب بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا وإيقاف ضخ النفط إليهما والإنسحاب من حلف بغداد ومشاركة الشعب العراقي الشعب المصري في كفاحه ضد الامبريالية والصهيونية ، وقد حدثت صدامات عنيفة بين المتظاهرين ورجال الأمن سقط فيها عدد من القتلى والجرحى وفي٣ منه أعلنت الأحكام العرفية وفي٩ منه قطعت بغداد علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا وأعلنت أنه لن يتواجد بعد الآن أي عراقي في اجتماعات دول حلف بغداد بحضور

---

(١) – الأيام ، دمشق ، عدد ٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ .

(٢) – الألف باء ، دمشق ، عدد ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٦ .

(٣) – من المفيد أن نذكر أن بعض السياسيين اليمينيين قد تحدى هذا التوجه ونوّه بأهمية مواقف الولايات المتحدة في دعم القضية المصرية . من هؤلاء كان منير العجلاني . في كلمته في جلسة مجلس النواب في ١٧ تشرين الثاني . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد ، للعام ٥٦/٥٧ ، ص ٢٩٢ – ٢٩٥ ، وص ٥٨٣ .

مندوبين بريطانيين [1] ، ونهج حلفاؤها في الدول الإسلامية نهجها ففي اجتماعهم في طهران (٥ – ٨ تشرين الثاني) الذي غابت عنه بريطانيا ، أدانوا الإعتداء الإسرائيلي على مصر ، وطالبوا الحكومتين الافرنسية والبريطانية بسحب فرقهما من البلاد" [2]، وفي ١٣ منه أصدرت الحكومة العراقية مذكرة أكدت فيها رفض العراق أي سلام مع اسرائيل أو أي حل للمشكلة الفلسطينية الا بحذف اسرائيل عن الخريطة وعودة اللاجئين إلى أرضهم " ، وقد هدفت تلك المواقف إلى التخفيف من غضب الشعب العراقي ، إلا أن تلك الإجراءات لم تجد نفعاً ، إذ تتالت منذ ٢١ تشرين الثاني التظاهرات في بغداد والبصرة تطالب بسقوط نوري السعيد ، واتخذت الحكومة اجراءات أمنية مشددة حول المنشآت النفطية وامتدت الاضطرابات بين ٢٤ و٢٧ منه إلى النجف وكربلاء وأجبرت الدولة على اتخاذ تدابير قمعية دامية واعتقالات واسعة في صفوف المعارضة [3] . هذه الأحداث كانت مثار حملة إعلامية عنيفة قادتها دمشق بتوجيه من القاهرة التي كانت منشغلة بالأحداث الجارية على أرضها ، فتركت للسوريين مهمة إثارة جماهير العرب ضد حكومة العراق : فمنذ الأيام الأوائل من تشرين الثاني شنت الإذاعة السورية حملتها ضد نوري السعيد ووصفته " بالسياسي ذي الماضي المريب " " حليف اليهود " " العميل الخائن" " خادم الاستعمار" ، ومجدت الصحف الموالية لمصر " انتفاضة الشعب العراقي ضد جلاديه " وضخّمت أعمال القمع بما أسمته " السجازر الجماعية " والاعتقالات العشوائية " وروّجت الجماعات اليسارية إشاعات حول ضخ العراق النفط لإسرائيل ، وأن

---

(١) – حول أحداث العراق راجع :

Orient, No 2 , 1957 " Etat de siege et loi martial en Irak" Documents p. 185 - 186 .

راجع : وجهة نظر الصحف السورية من هذه الأحداث في ألف باء ، عدد ٩٧٠٧ ، في ٥٦/١١/٦ ، صوت العرب ، دمشق ، عدد ٧٦٠ ، في ٥٦/١١/١١ ، النصر ، عدد ٣٥٤٦ و ٣٥٥٠ في ١١ و٥٦/١١/١٥ .

(٢) – "Reunion des Etats signataires du Pacte de Bagdad a Teheran, Bagdad et Ankara" dans Orient No 2 , 1957 , p.153 - 154 .

(٣) – "Rivalites et luttes d'influence dans le Moyen Orient "Documents dans Orient No 2 /1957 / p.187 - 202 , p. 191 .

طيّارات بريطانية مموهة قصفت مصر انطلاقاً من قاعدة الحبانية في العراق [1] . وقد اصطفت الأردن إلى جانب سورية ومصر في حملتهما ضد سياسة نوري السعيد ، ففي ٤ تشرين الثاني وجّه البرلمان الأردني رسالة إلى الملك فيصل الثاني تدين سياسة رئيس وزرائه وفي ٨ منه طالب وزير الدفاع الأردني بانسحاب الفرق العراقية المتمركزة شمال الأردن بسبب رفض العراق وضعها تحت إمرة القيادة العسكرية المشتركة [2].

لم يقف العراق متفرجاً أمام هذه الحملة ، لا بل رد عليها قادته بصلابة متهمين السوريين بأنهم جعلوا بلادهم معقلاً للشيوعية ، وأدخلوا إلى الشرق العربي الإسلامي مبادئ الامبريالية الحمراء الهدّامة ، وأسف العراقيون لمواقف الأردن التي لا تنسجم مع المنطق وحقيقة الرباط القائم بين الدولتين ، وعدّوا عملية تخريب أنابيب النفط بأنها سياسة شيوعية هدفها نشر الخراب وزيادة البؤس ، ووجهت الحكومة العراقية عدة مذكرات ملحة إلى الحكومة السورية لاصلاح المحطات التي خرّبت " بأمر من عملاء الشيوعية الدولية " [3] .

---

(١) – حول هذه الشائعات راجع : كلمة الوزير البعثي صلاح الدين البيطار في مذكرات مجلس النواب ، جلسة ٥٦/١٢/١٧ في مجلد رقم واحد للعام ٥٧/٥٦ ، ص ٥٩٨ – ٥٩٩ ، وكلمة النائب الشيوعي خالد بكداش في المصدر نفسه ، ص ٥٧٩ . راجع أيضاً : صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ٣٥٤٩ في ٥٦/١١/١٣ وعدد ٣٥٥٥ في ٥٦/١١/٢١ . وعدد ٣٥٥٧ في ٥٦/١١/٢٣ ، صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ٧٦٢ ، في ٥٦/١١/١٣ . ألف باء ، عدد ٩٧٩ ، في ٥٦/١١/١٠ . والرأي العام ، عدد ٧١٣ ، في ٥٦/١١/١٥ .

(٢) – بعد طرد غلوب باشا عين الملك حسين علي أبو نوار قائداً للجيش العربي . وفي شهر أيلول تباحث أبو نوار مع السوريين في مسائل عسكرية ، وفي ٢٥ تشرين الأول توصل أبو نوار إلى اتفاق بوضع الجيوش الأردنية زمن الحرب تحت إمرة القيادة المشتركة لحلف الدفاع السوري – المصري، ودخل الأردن فعلياً حوالي ٧ آلاف جندي . وقد اتهم اليساريون السوريون العراق بأنه أدخل قواته للتدخل في شؤون الأردن الداخلية . راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٧/٥٦ ، ص ٥٧٩ – ٥٩٩ . راجع : صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩ تشرين الثاني ١٩٥٦ .

(٣) – راجع حول موقف العراق :
"Rivaliles et luttes d'influence" dans Orient No 2 , 1957, Documents, p.191 - 192 .

في ظل تلك الأجواء ، وفي ١٣ تشرين الثاني ، افتتح مؤتمر ملوك ورؤساء العرب جلساته في قصر اليونسكو في بيروت بناءً على اقتراح كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية، وذلك لكي تتخذ حكومات الدول العربية موقفاً موحداً من القضايا التي أثارتها أحداث العدوان الثلاثي على مصر [1] . ومع أنه لم تعرف الدول العربية في تاريخها الحديث اجماعاً تاماً حول مسألة ما ، فيمكن القول أن كل الحكومات العربية قدمت دعمها لمصر وأدانت بعنف الاعتداء الاسرائيلي على أرضها ، إلاّ أن المسألة التي أوجبت انعقاد هذا المؤتمر ، هي تبني موقف موحد في مسألة العمل العسكري الافرنسي – البريطاني ، الذي وإن أجمع العرب على الاعتراض عليه فإنهم لم يجمعوا على موقف واحد تجاه العلاقات مع هاتين الدولتين [2] . وعندما طُرحت تلك القضية على المؤتمرين طالب الوفد السوري المتبني للرأي المصري ، بقطع العلاقات مع لندن وباريس كما أثار مسألة الأحلاف الأجنبية لوضع العراق في مأزق صعب وقد ساند الوفد السعودي الموقف السوري برخاوة بسبب بداية فجوة في العلاقات المصرية السعودية ، إذ لم يكن الملك سعود محبذاً لسياسة التقارب مع السوفيات كما أقلقته شحنات أسلحتهم إلى مصر وسورية ، وهو لم يتلق بترحاب نبأ تأميم القناة الذي اتخذته مصر دون استشارته أما الوفد

---

[1] – حضر المؤتمر الملك سعود على رأس وفد بلاده ومثل العراق الملك فيصل ، والأردن الملك حسين، والقوتلي سورية وكان الإمام اليمني على رأس وفد بلاده وشمعون عن لبنان ورئيسي وزراء كل من ليبيا والسودان . وقد مثل مصر سفيرها في لبنان ، ولم يحضر نوري السعيد المؤتمر الذي أنهى أعماله في ١٥ تشرين الثاني . للتوسع راجع :

"Conference des souverains et chefs arabes a Beyrouth , 13-14 Nov 1956" dans Orient , Documents , No2 1957 , p.154 - 156 .

وراجع : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، مجموعة وزارة الخارجية ، قسم "تقارير الصحف والمجلات عن مديرية الإذاعة والأنباء " ، جافظة رقم /٢/ وثيقة رقم خ/١٠/١٥ ، تاريخ ٥٦/١١/١٥ .

[2] – اتخذت كل دولة عربية موقفاً مختلفاً من العمل العسكري الافرنسي البريطاني ، سورية قطعت علاقاتها الدبلوماسية في ١ – ٢ تشرين الثاني ، الأردن مع فرنسا فقط في الأول منه ، والسعودية مع فرنسا وبريطانيا في ٦ منه ، والعراق مع فرنسا فقط في ٩ منه . واكتفت لبنان بالاقتراح بعقد المؤتمر في بيروت ، راجع :

"Conference des souverains .." . Orient , Op. cit, p.154 .

الأردني فكان منقسم الرأي ، بينما رأى الوفد اللبناني أنه لم يعد هناك مبررّ لقطع العلاقات مع فرنسا وبريطانيا بعد قبولهما بوقف إطلاق النار [١] .

كانت صيغة البيان الختامي للمؤتمر انتصاراً للمقولات المعتدلة فبعد أن أعرب المؤتمرون عن تقديرهم واعجابهم بعبد الناصر وبالجيش والشعب المصريين ، أعلنوا ضرورة تنفيذ قرار الأمم المتحدة بانسحاب الفرق الأجنبية دون قيد أو شرط عن الأراضي المصرية وعودة الإسرائيليين إلى ما وراء خطوط هدنة ١٩٤٩ ، أما في حال استمرار العدوان فإن كل دولة ستبادر إلى اتخاذ التدابير المتاحة لها ووفقاً لالتزاماتها بمقتضى المادة الثامنة من معاهدة الدفاع المشترك . ونصّ البيان على فصل قضية السويس عن الظروف التي أحاطت بالعمل العسكري ضد مصر ، والعمل على حلها بما يتفق وسيادة مصر وكرامتها على أساس المبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن في ١٩٥٦/١٠/١٣ ، وأخيراً أكّد البيان على حق الشعب الجزائري في تحقيق أمانيه في الاستقلال والسيادة [٢] .

إن هذا المؤتمر الذي انعقد بهدف تقليص الخلافات بين الدول العربية ، قد قاد إلى انقسامها بين فريقين : قومي تقدمي أراد التحرر من الارتباط مع الغرب فتطلع إلى مساعدة الاتحاد السوفياتي وآخر أقلقه النمو المتسارع للنفوذ الشيوعي فالتفت نحو الولايات المتحدة طالباً الدعم والمساعدة . وستتسع الفوهة بين الفريقين عندما ستطرح واشنطن على العرب مطلع عام ١٩٥٧ " مبدأ ايزنهاور " .

التقارب السوري – السوفياتي : طرحت زيارة القوتلي إلى موسكو أمام العالم الغربي مسألة الاختراق السوفياتي لسورية التي صورتها تقارير الدبلوماسيين الغربيين وكأنها على وشك أن تصبح نصراً شيوعياً في العالم العربي على غرار

---

(١) – M. Colombe : "l'Egypte et le nationalisme arabe" dans Orient , paris, No5 , 1958, p.129 - 130 .

(٢) – راجع النص بالافرنسية في : Documents dans Orient , No2, p.155 - 56 .
وبالعربية في : صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ٣٥٥٥/ في ٥٦/١١/١٧ .

تشكوسلوفاكيا " (١) وتحدثت تلك التقارير عن المعاهدة العسكرية التي وقعها وزير الدفاع السوري مع نظيره السوفياتي تشيكوف، وفيها يتعهد السوفيات بتزويد سورية بالطائرات الحربية والدبابات ومختلف أنواع الأسلحة الثقيلة ، وبإقامة جسر جوي للتبادل السريع ، وتطوير المهنيين الروس للمطارات السورية الأربعة القائمة وإنشاء ثلاثة جديدة وإعداد وتدريب الطيارين السوريين في الاتحاد السوفياتي ، وقد ألحق بالاتفاقية العسكرية أخرى اقتصادية نصت على تقديم السوفيات مساعدة اقتصادية لتنمية سورية مقابل تسهيلات عسكرية في الأراضي السورية . وقد وعد السوفيات السوريين بمساعدتهم لتعديل حدودهم مع لبنان والعراق وتركيا وإسرائيل والمساهمة في خلق "سورية الكبرى " (٢) . كذلك بثّت البرقيات الصادرة عن السفارات الغربية في بيروت وأنقرة وبغداد وتل أبيب وموسكو معلومات حول حشود سوفياتية إبان حرب السويس وتحركات القوى الجوية السورية ، والكميات الهائلة من الأسلحة والأعتدة التي تصل سورية تباعاً (٣) .

وأثارت أجهزة الاعلام الغربية ، بدورها ، ضجة كبيرة حول التغلغل الشيوعي في سورية ، وشحنات الأسلحة الواردة إلى مرفأ اللاذقية منذ ٨ تشرين الثاني (٤) وأشارت

---

(١) - - F. o / 371 / 128224 / Secret Report to F. Dullas From H. Macmillan , Feb 2 , 1957 .

(٢) - أشار تقرير صادر عن السفارة البريطانية في موسكو إلى أن هذه المعلومات قد حصل عليها الملحق الجوي البريطاني من نظيره التركي الذي يدعي أنها من مصادر ثقة .

- F. O, 371/121867/ Sec Rep, No 561, Nov 15/ 1957 .

(٣) - Op, cit , / 121867/ top Secret Report , No 37 / Dec 7 , 1956 / p.1 - 3 .

(٤) - قدم مراسل صحيفة Daily telegraph اللندنية في عددها الصادر في ٢٤ تشرين الثاني تقريراً منصلاً حول الأسلحة التي دخلت سورية عشية التدخل الانكلو- فرنسي في السويس وتحدث مراسل الـ Daily Mail اللندنية عن وصول عسكريين سوفيات وأن الأسلحة التي أفرغت في مرفأ اللاذقية ضمت ٢٠ طائرة ميغ ١٧ و ٥٠ دبابة T.34 وتجهيزات لواء مشاة ، وعدداً من المصفحات وأن سورية تنتظر وصول أربع سفن حربية وغواصات حديثة . راجع العدد الصادر في ١٤ كانون الثاني ١٩٥٧ . وأشارت الصحيفة الأمريكية Newyork Herold tribune في عددها الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٦ . ان وزارة الخارجية الأمريكية وجهت مذكرة إلى الحكومة السورية أعربت فيها

بعض الصحف " إلى أن مدينة الرصافة (وسط الصحراء السورية) أصبحت قاعدة عسكرية سرية للروس " [1] ورافق هذه الحملة شيوع أخبار حول احتمال قيام انقلاب عسكري في سورية ، واشترطت موسكو مقابل مساعداتها ، أن يكون النظام الجديد ديمقراطياً شعبياً وأن يتخذ طابعاً صريحاً في معاداته للغرب ، وأن يبعد العناصر المشبوهة بولائها للمعسكر الغربي عن المراكز القيادية في الجيش [2] وأن يضع فنيين سوفيات في مراكز قيادة وحدات الطيران القديمة ، وأن تتشكل وحدات جديدة بقيادة ضباط سوفيات أو سوريين متدربين في روسيا [3] .

انشغلت القيادات السورية في تكذيب هذه الإشاعات ، فقد أكّد القوتلي التزام بلاده بسياسة الحياد ونفى بإصرار الأنباء التي تحدثت عن وجود قاعدة سرية سوفياتية في سورية عن شحنات الأسلحة الكبيرة " [4] ، وعدَّ الحوراني هذه الإشاعات " اختراع امبريالي هدفه عزل سورية " وقال " لا يوجد في سورية شيوعيون بل شعب يريد محاربة الامبريالية حتى النهاية " [5] . وشجب القادة السوريون اليمينيون تلك الدعايات وشددوا على أنها يهودية هدفها الإبقاء على أمريكا إلى جانب إسرائيل [6] . وشنت أجهزة الاعلام السورية حربها ضد ما أسمته " إشاعات الخطر الشيوعي على سورية الذي تروج له أجهزة الدعاية الانكلو- ساكسونية كحجة لفرض هيمنتها على العالم العربي " [7] . هذا

عن قلقها إزاء وصول شحنات الأسلحة السوفياتية إلى سورية وأنها ترى في ذلك ما يخلق أوضاعاً تزيد من حدة التوتر في الشرق الأوسط .

(1) - Daily mail , London , 19 Jan 1957 .

(2) - ركزت تقارير الصحف على شخصية السراج الذي لُقب بـ L'homme fort ، ووصفه بعض المراسلين بأنه قومي يعتمد على السوفيات للحفاظ على استقلال بلاده وسيادتها ، فيما رأى آخرون أنه شيوعي يعمل على ربط بلاده بالشيوعية العالمية . راجع هذه التقارير في :

Orient , No 2 , 1957 Documents, p.166 - 167 .

(3) - Newyork Herold tribune , 6 Jan 1957 , Daily Mail , 14 Jan 1957 .

(4) - الأيام ، دمشق ، عدد ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٦ .

(5) - نفس المصدر ، عدد ١٣ كانون الأول ١٩٥٧ .

(6) - صحيفة الشعب ، دمشق ، عدد ١٩ شباط ١٩٥٧ ، الأيام عدد ٥٦/١٢/٢ .

(7) - صحيفة الرأي العام ، عدد ٨ كانون الأول ١٩٥٦ . النصر ، دمشق ، عدد ٥٦/١٢/٣ .

وقد وجدت مصادر موضوعية تؤكد أن هذه الإشاعات ملفقة أو مبالغ فيها . فقد أشار تقرير صادر عن السفارة البريطانية في موسكو في ١٢/٧ إلى عدم وجود أي دليل ثابت حول تورط السوريين مع الروس .. " وأن التقارير التي تحدثت عن الحشود العسكرية – الروسية ، وتحضر المطارات السورية لاستقبال الطيران الروسي ليست مصادر ثقة بل هي معلومات مستقاة من القوى الجوية التركية ومن المؤكد أن المراقب التركي ليس مصدراً موثوقاً لأنه قليل البراعة ويميل إلى تضخيم الأمور " [١] . وتقرير آخر كتبه شاهد حيادي هو (Kennet Love) مراسل صحيفة Newyork Times قال " إن السفارة الأمريكية في دمشق تسترت على تقارير مزورة صدرت عبر القنوات الصحافية والدبلوماسية في لندن وواشنطن بأنه وصل إلى سورية أكثر من ١٢٣ طائرة ميغ . وأن السرّاج يخطط لانقلاب لصالح الروس ... " قال لاف... " تجولت في سورية بين أواخر تشرين الثاني وأوائل كانون الأول ووجدت أن ليس هناك أي دليل حقيقي على وصول شحنات كبيرة من الأسلحة الثقيلة إلى سورية ، وأن وصول دبابات T. 33 يعود إلى صيف عام ١٩٥٦ ... وليس هناك من انقلاب .. بل إن بعض المراسلين في بيروت يتلقون معلومات خاطئة من زائري السفارة الأمريكية بدمشق أو من عملاء الـ (C.I.A.) " [٢] .

وسواء كانت تلك الإشاعات مشوشة أم مبالغاً فيها ، فقد اتخذت السياسة السورية منذ أزمة السويس منحى مناصراً للسوفيات ، فقد تضاعفت الاتفاقيات التجارية بين سورية ودول الكتلة السوفياتية ، وتبادل الوفود البرلمانية والتجارية والثقافية ، ومع الاجتياح الثلاثي لمصر هيمن على توجهات السياسة الخارجية قادة حزب البعث ومن ورائهم زمرة الضباط القوميين المتجمعين حول رئيس المكتب الثاني ، وكانت تحرك هذا الثنائي قومية متحمسة عبّرت عن ذاتها بحقد بارز على الغرب المسؤول الوحيد عن مصائب الأمة العربية ، وقد وجّه هذا الفريق وسائل الإعلام والتظاهرات ضد الاستعمار الغربي ومناصريه من الدول العربية ، وراحت الإذاعة والصحف تستخدم نفس التعابير

---

(١) – F. o / 371 / 121867 /Report No 37 , p.2 .

(٢) – راجع تقريره في صحيفة :
Newyork Times, Dec. 6, 1956 .

والمفاهيم المستعملة في البلاد الشيوعية . وبالمقابل لم يرتفع في سورية أي صوتٍ ضد اجتياح الفرق الروسية لهنغاريا والذي حدث في نفس الزمن الذي أغارت فيه الطائرات البريطانية والإفرنسية على المدن المصرية [1] . وفي الواقع لم تكن صورة سورية في أواخر عام ١٩٥٦ صورة دولة تدور في فلك السوفيات ، بل كانت بحكم تطلعاتها القومية، دولة قائمة على منزلق خطر سيقودها أكثر فأكثر إلى أحضان السوفيات [2] .

إن التوجه التقدمي نحو نظام يساري قد ازداد حدة عند اكتشاف المؤامرة العراقية التي كانت بريطانيا والولايات المتحدة متورطةً بها والتي اعتبرها الفريق القومي تكملة للمؤامرة الامبريالية ضد مصر .

المؤامرة العراقية الفاشلة وقيام الجبهة القومية : مع استمرار انزلاق سورية نحو مصر ، وتوسع علاقاتها مع السوفيات ، أعدَّ نوري السعيد بالتنسيق مع أنطوني إيدن ووكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية مخططاً لقلب نظام الحكم في سورية [3] ، وقد انضم إلى المخطط عدة مجموعات من الضباط السوريين المنفيين ،

---

[1] – في ٣١ تشرين الأول اجتاحت الدبابات الروسية المحملة بـ ٢٠ ألف جندي هنغارياً لقمع حركة تمرد قومية قامت في بودابيست منذ ١٩ منه واتخذت طابعاً معادياً للسوفيات فطالبت بسحب الفرق الروسية من هنغاريا ، وبعلاقات متوازنة مع موسكو ، وبدأت الاضطرابات بمظاهرات طلابية وتحولت إلى ثورة في ٢٣ منه وضع التدخل السوفياتي العسكري حداً لها خلال تشرين الثاني . ومن الجدير ذكره أنه من بين ٢٢ صحيفة دمشقية كان هناك ١٢ مناصرة علناً للسوفيات ، وصحيفتا الطليعة والنور شيوعيتان .

[2] – هذا هو الاستنتاج الذي توصل إليه (Hans Baldwin) مراسل صحيفة (Newyork Times) نتيجة تحقيقاته الميدانية في سورية فقد كتب في العدد الصادر في ٣ شباط ١٩٥٧ ما يلي " إن الخطر الكبير هو في كون جيش سورية المدرب من قبل التشيكيين والروس ، لا يزال الأقوى على الساحة السياسية ، وأن استمرار إرسال الروس لأسلحتهم قد يتيح المجال لنوع آخر من الاختراق أكثر عمقاً بكثير من تسليح الجيش " .

[3] – حول هذه المؤامرة راجع الآتي : " النص الكامل لقرار الاتهام الصادر عن لجنة التحقيق العسكرية بمؤامرة الأسلحة " في صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ٧٩٥ و ٧٩٦ ، في ٢٤ و٥٦/١٢/٢٥، والذي نشره مكتب الوثائق العربية بدمشق في ٦٦ صفحة (آذار ١٩٥٧) . وراجع

وقادة الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وراح هؤلاء يخططون لعملية الانقلاب بالتنسيق مع الملحق العسكري العراقي في بيروت العقيد صالح مهدي السامرائي ، وسرعان ما توسعت حلقة الدائرة لتشمل عدداً من السياسيين السوريين المنتمين إلى تنظيمات أو أحزاب سياسية محافظة ، مثل حزب الشعب ، الكتلة الدستورية ، الكتلة الوطنية وقلائل من الحزب الوطني [1] ومن ثم كلفت الحكومة العراقية معاون رئيس الأركان اللواء غازي الدغستاني إعداد الخطة بتفاصيلها العملية ، وقام الدغستاني بجذب الرئيس السوري الأسبق أديب الشيشكلي إلى حلقة المؤامرة ، وبعد أن تورط فيها انسحب منها دون أن يؤثر ذلك على استمرارها ، ولربما كان اشتراك الشيشكلي في العملية عاملاً من عوامل فشلها [2] ، كما أشرف الداغستاني على إعداد جيش في معسكر سري في

الوثائق المنشورة حول هذه القضية في مجلة :

Orient, Paris, No 2, 1957,Documents, p.170 - 176 .

وراجع : محكمة الشعب ، محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة ، بغداد ، ج١ ، ١٩٥٩ .
كذلك قدم باتريك سيل تفاصيل دقيقة حول هذه القضية في كتابه . الصراع على سورية ، ص ٣٤٥ – ٣٧١ . وراجع : نص دفاع المتهم د. منير العجلاني أمام المحكمة العسكرية بدمشق ، نشر في ١١١ صفحة (دمشق ١٩٥٧) .

(١) – كان مخائيل إليان من كبار قادة الحزب الوطني ومن أبرز المتورطين في المؤامرة ، وقد اشتهر بصداقته العميقة مع الأسرة الحاكمة في العراق ، وكان يتمتع بشخصية بارزة وبطاقات كبيرة " وهو الذي نسق مع عميل الـ CIA ولبركرين إيفلاند " المكلف بهذه القضية . وقدم له الأموال لتمويل العملية ، وقد أطلق ايفلاند على الانقلاب " إنقلاب إليان " . وبعد فشل الانقلاب أمن الأمريكيون سلامة إليان خوفاً من كشفه عن دورهم . ويمكن مراجعة تفاصيل هذه العلاقة في كتاب إيفلاند ، حبال من رمل ، ص ٣٧٨ – ٤٠٢ .

(٢) – أقر الداغستاني أمام محكمة الميداوي بأنه كان الأداة لجلب الشيشكلي إلى لبنان بعد أن اجتمع معه في سويسرا وأعطاه ١٠ آلاف دينار بدلاً من ٣٠ ألف التي طلبها الشيشكلي ، راجع محكمة الشعب، ص ٦٤ – ٧٢ . وبعد أن وصل الشيشكلي إلى بيروت (منتصف تموز) استدعى ضابطين من جماعته هما برهان أدهم وحمدي صالح لتدارس وضع الجيش ، وطلب من صديقه عبد الحميد الخليل الاتصال بالمقدم أمين النفوري والنقيب أحمد عبد الكريم ، فرفضا التعامل معه ، وقد زار الشيشكلي دمشق وأمضى فيها ليلة واحدة ، وترأس عدة اجتماعات لتنظيم المؤامرة ثم انسحب منها . راجع : هاني الخير ، أديب الشيشكلي ، ص ١٤٩ . سيل ، الصراع على سورية ، ص ٣٥٦ . وقد

تركيا وأولى تدريب فرقه إلى العقيد محمد الصفا [1] . كذلك زود الحزب السوري القومي بالمال والسلاح لتدريب قوة هجوم من ٥٠٠ عنصر في معسكر في بيت مري بلبنان تحت إشراف العقيد غسان جديد . وخلافاً للخطط العراقية السابقة لقلب نظام الحكم في سورية ، تقرر إقحام الجيش العراقي في العملية ، وخوفاً من أن تستغل إسرائيل فرصة حدوث اضطرابات داخلية في سورية إبان تنفيذ الإنقلاب حصل نوري السعيد على ضمانة من لندن وواشنطن بعدم عرقلة تل أبيب لهذا المخطط [2] .

تزامن الإعداد لهذه المؤامرة مع أطوار أزمة السويس (منذ شهر تموز حتى نهاية تشرين الثاني) وتشكلت في بيروت لجنة بريطانية – أمريكية – عراقية لمناقشة الخطط ودرس المقترحات التي تضعها اللجنتان العسكرية والسياسية اللتان ضمتا السوريين المتعاونين [3] وقد وسّع هؤلاء نشاطاتهم باتجاه الأقليات السورية الجاهزة دائماً للتمرد على السلطة المركزية ، فاتصلوا بزعماء الدروز والعلويين والعشائر البدوية وراحت تتدفق إلى مناطق تمركز هؤلاء الأسلحة والأموال وذلك لإشعال الفتنة وإرباك الجيش والحكومة باحتلال الدوائر الرسمية والثكنات العسكرية في الوقت الذي ستجتاح فيه الفرق العسكرية المعدة للهجوم الحدود السورية ويحتل قادتها بالتعاون مع بعض الضباط العاملين في الجيش دمشق وسائر المدن السورية .

أشار قرار الاتهام أن الكشف عن المؤامرة كان بفضل المعلومات التي قدمها كل من حمدي صالح وبرهان أدهم . راجع : ص ٣٥ . ومن الجدير ذكره أن الداغستاني أخبر ايفلاند أنه عندما علم من البريطانيين أن الأمريكان رتبوا عملية اخراج الشيشكلي من لبنان أيقن أن الانقلاب فاشل . راجع كتاب ايفلاند ، ص ٤٠٨ – ٤٠٩ .

[1] – راجع : محكمة الشعب ، محاكمة الداغستاني ، ص ٢٩٩ .

[2] – Waldemar J. Galliman,Iraq under general Nuri. My recollections of Nuri Assaid, 1954 - 1958 , Baltimore 1964, p.161.

[3] – ضمت اللجنة السياسية ، مخائيل اليان، عدنان الأتاسي، حسن الأطرش ، محمد الفاضل ، سعيد تقي الدين ، برئاسة منير العجلاني ثم أضيف اسم جلال السيد بعد أن أعلن غسان جديد أن حكومة العراق تعتبر وجوده ضرورياً . أما اللجنة العسكرية فتشكلت من : محمد الصفا رئيس ، بعضوية : غسان جديد ، محمد معروف ، وحسين الحكيم . راجع : نص قرار الاتهام ، ص ١٥ ، ١٧ – ٣٧.

لم يكن تخطيط العملية محكماً ولا التنسيق بين أفرادها جيداً ، وكان لكل دولة تطلعاتها الخاصة ، كما افتقر السوريون المتآمرون إلى وحدة الموقف والهدف ، وصرفوا طاقاتهم للتوصل إلى تفاهم فيما بينهم أكثر من تلك التي صرفوها في التخطيط الهادئ لانجاح الانقلاب [١] .

كان من المقرر أن ينفذ الإنقلاب في ٢٤ تشرين الأول ، بعد أن تم حشد لواء عراقي على الحدود الأردنية السورية لاستدعائه عند الضرورة ، ومن ثم تأجل التنفيذ إلى يوم ٣٠ منه أي في اليوم الذي تحرك فيه الجيش الإسرائيلي لاجتياح مصر ، واقتضى ذلك تأجيل التنفيذ ثانية " لإن إسقاط الحكومة في ظل ظروف تتعرض فيها دولة عربية للاعتداء الاسرائيلي سيفقد قادة الانقلاب مناصرة الجماهير السورية وتأييد العرب للحكم الجديد" ، هذا وإن تورط لندن وباريس مع تل أبيب في العملية العسكرية ضد مصر دون استشارة حليفتهما قد دفع بواشنطن إلى التراجع عن دعم الإنقلاب ، مع العلم أن فكرة الإطاحة بالحكومة السورية قد طُرحت من قبل شركات النفط الأمريكية والبريطانية والافرنسية كعقاب لتخريب السوريين أنابيب نفط العراق ، إلا أن الإدارة الأمريكية استبعدت الفكرة وعدتها عملاً جنونياً [٢] ،ومن ثم تمكنت سلطات الأمن السورية اكتشاف عملية تهريب الأسلحة إلى جبل الدروز ، وبدأت بتجريد الجبل من السلاح وحل خيوط المؤامرة مع المعتقلين .

ومما لا شك فيه أن فشل العمل العسكري ضد مصر قد أعاد الثقة للفعاليات السياسية والعسكرية الموالية لمصر لقمع معارضيها . ففي ٢٣ تشرين الثاني بث ناطق عسكري من إذاعة دمشق بياناً كشف فيه النقاب عن المؤامرة لقلب الحكم .. " أن جيشاً عربياً قد أعدّ لاقتحام سورية بينما كانت تستعد للوقوف إلى جانب مصر والأردن في حربهما ضد الإمبرياليين " .. وأشار البيان إلى أن كميات كبيرة من الأسلحة قد وصلت

---

(١) – حول الخلافات الحزبية والشخصية التي هيمنت على أجواء التحضير للإنقلاب راجع ما كتبه: باتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص ٣٥٦ – ٣٦٠ .

(٢) – ايفلاند ، حبال من رمل ، ص٣٩٥ – ٣٩٦ .

البلاد من دولة جارة وأن التحقيقات أوصلت إلى اعتقال الذين كانوا يتآمرون لطعن جيشهم ووطنهم وقوميتهم " [1] .

أثار هذا البيان ردود فعل عنيفة ، فقد قادت الصحف السورية حملة شعواء ضد ما أسمته صحيفة الرأي العام " الخيانة الأكثر دناءة في تاريخ الأمة العربية " [2] واتهمت نفس الصحيفة الولايات المتحدة بتدبير المؤامرة بهدف فرض هيمنتها على سورية بحجة حماية المصالح الغربية في الشرق الأوسط [3] وعنونت النصر في صفحتها الأولى "المؤامرة تهدف إلى فرض سيطرة نوري السعيد ومن ورائه الامبريالية واليهودية على سورية " [4] وأجمعت الصحف على اختلاف ميولها على المطالبة بإنزال أقصى العقوبات بحق الخونة المتآمرين . وتحركت الفعاليات اليسارية لقطف الثمرة ، ففي ٢٦ تشرين الثاني عُقدت جلسة برلمانية سرية لمناقشة ما سمي بالمؤامرة الأمريكية [5] وسعى خلالها الحوراني وبكداش لإسقاط الحكومة ، وطالب البيطار أن يتولى الجيش الحكم مع احتفاظ القوتلي والعسلي بمنصبيهما ، وقد استطاعت الحكومة الصمود بعد أن وعدت بالتعديل الوزاري لإحباط التدخلات الخارجية [6] ، وفي كانون الأول أُعلن عن اعتقال ثلاثة نواب متهمين بتورطهم في المؤامرة وهم : منير العجلاني ، عدنان الأتاسي وحسن الأطرش ، مع عدد من المدنيين والعسكريين ، وفي ٣ منه قدم وزير الدفاع حسيب ارسلان استقالته اعتراضاً على إحالة المتهمين أمام محكمة عسكرية ، وطالب أحمد قنبر وزير الداخلية باطلاعه على مجريات التحقيق وعلى التهم الموجهة إلى أعضاء البرلمان ، ولما فشل الوزيران في تأمين دعم سياسي وعسكري تراجعا عن موقفهما [7] ، لا بل اندفع القادة اليمينيون أكثر من منافسيهم في مهاجمة الامبريالية الغربية ، فها هو القوتلي يخطب على

---

(1) – راجع النص بالعربية في صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ ،

(2) – راجع عددها الصادر في دمشق بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٥ .

(3) – راجع عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٨ .

(4) – راجع عددها الصادر في دمشق في ١٩٥٦/١١/٢٧ .

(5) – مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٧/٥٦ ، ص ٥٧٠ .

(6) – صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ١٩٥٦/١١/٢٧ .

(7) – صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٥ كانون الأول ١٩٥٦ .

مدرج جامعة دمشق في ١٢/٦ قائلاً " إن الامبرياليين بعدما فشلوا في مؤامراتهم وأعمالهم ضد الدول العربية المتحررة لجؤوا إلى المؤامرات الخفية لقلب نظام الحكم وطعن الجيش والوطن وتسليح المرتزقة والأجراء " [١] كذلك استخدم وزير التربية عبد الوهاب حومد عبارات قاسية بحق ما أسماه " المؤامرة الإسرائيلية الامبريالية التي دبرها مجرمون وعهدوا بتنفيذها إلى رئيس حكومة تعد نفسها عربية [٢] ، إن هذا التصريح الصادر عن عضوٍ بارز في حزب الشعب المعروف بولائه للعراق يكشف إلى أي مدى أصبحت الفعاليات السياسية اليمينية منقسمة وضعيفة ومكبلة بتهديدات المخابرات والشارع السوري .

تحفز حزب البعث بكل طاقاته ليجني ثمار المؤامرة الفاشلة ، وجند إلى جانبه خالد العظم ومجموعة من النواب المستقلين لاضعاف حزب الشعب والتكتلات الأخرى المناصرة للعراق ، ولم يتردد خالد العظم في اتخاذ جانب الاتجاه اليساري التقدمي . فقد سار في هذا الاتجاه من قبل ، وهدفه دائماً الثمرة المشتهاة ، كرسي الرئاسة ، التي طالما نازعه عليها التقليديون ، وقد أراد العظم بمواقفه هذه أن يركب ما اعتقد أنه أعلى موجات المستقبل ، موجة التيار اليساري ، ليتسلق من خلالها إلى السلطة بدلاً من مقاومتها والغرق في طياتها كما فعل اليمينيون المحافظون .

منذ الأيام الأولى من شهر كانون الأول أطلق البعث والعظم فكرة إنشاء جبهة برلمانية قومية ، وفي ٨ منه أُعلن عن قيام " تجمع قومي " ستنصهر في بوتقته كل الأحزاب والكتل لانتهاج سياسة قومية موحدة فرضتها التطورات العسكرية والسياسية

---

(١) – صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٧ كانون الأول ١٩٥٦ .

(٢) – الأيام ، دمشق عدد ٢٥ كانون الأول ١٩٥٦ . ومن الجدير ذكره أن الصحف السورية اليسارية قادت حملة ضد لبنان واتهمته " بتغطية السلوك الشائن لنوري السعيد " راجع صحيفة الصرخة، دمشق ، عدد ٢٨/تشرين الثاني ١٩٥٦ . وقد نظم العراق حركة إعلامية رداً على أجهزة الاعلام لسورية ، ووصفت الصحف العراقية المؤامرة بأنها وهم لا أساس له ، وأن مسألة تهريب الأسلحة التي اكتشفتها السلطات السورية ، هي مسألة اعتادت القبائل العربية القيام بها .. وأن القضية أصغر مما ضخمته الدعاية السورية اليسارية وذلك بهدف شن حملة ضد العناصر المعارضة للنظام القائم في سورية . راجع صحيفة الشعب ، بغداد ، عدد ٤ كانون الأول ١٩٥٦ .

التي نتجت من أزمة السويس ، وهدف هذا الحلف التصدي للمؤامرات الموجهة من الداخل أو الخارج ضد سلامة البلاد ، وتطبيق سياسة تقشف تجعل سورية قادرة على مجابهة الأخطار التي تهددها والقضاء على التخلف ، ووضع خطة إصلاح للنظام الضريبي ، وتشريع جديد حماية العمال والفلاحين والكفاح ضد حلف بغداد الذي يهدف إلى تشتيت العرب وإخضاعهم ومساعدة البلاد العربية التي لا تزال خاضعة مباشرة أو غير ذلك للسيطرة الامبريالية وخاصة شعب العراق الذي يخوض الآن انتفاضة ضد الامبريالية وعملائها [١] .

كان وراء هذا التجمع السياسي ، الحلف المصري – اليساري العسكري الذي ضمّ ضباطاً مرتبطين مع هذا أو ذاك من مؤسسي الجبهة : السرّاج ، مصطفى حمدون ، عبد الغني قنوت . أصدقاء البعث ، وعفيف البزري وأحمد عبد الكريم وأمين النفوري أصدقاء العظم ، كذلك أعلن الشيوعيون بلهفة تأييدهم لهذه الجبهة [٢] .

تحمست الصحف اليسارية – التقدمية لبرنامج التجمع ورأت في هذه المبادرة تجسيداً لسياسة التحرر العربية [٣] في حين أظهرت الصحف اليمينية والمستقلة شكوكها في مدى فعالية الجبهة وقدرتها على حل مشاكل البلاد [٤] . ومنذ ١١ كانون الثاني ١٩٥٧ سجل ٦٥ نائباً من أصل ١٤٢ أسماءهم في التجمع القومي ، وكان المنتمون الأوائل من البعث وجبهة العظم وحركة التحرير العربي ، والنائب الشيوعي خالد بكداش ، بعض المستقلين ، بينما تردد الحزبان الشعب والوطني في دخولها ، وفي ١٢/١٣ نشر حزب الشعب بياناً سياسياً أعلن فيه رفضه المشاركة بالتجمع أو السماح لأعضائه بدخوله ، لأنه يشكل في نظره انتهاكاً لبنود الدستور ، ولأنه تحرك يهدف إلى قلب الحكومة الائتلافية التي قامت على حلف موقع من كل الأحزاب والفئات [٥] ، هذا وقد تراجع الحزب

---

(١) – الرأي العام ، دمشق ، عدد ١٩٥٦/١٢/١١ . صحيفة الجمهور ، دمشق عدد ٥٦/١٢/١٢ .

(٢) – E. Be'eri, Army officers .. , p.133 - 134, p.404 - 405 , ef, G. Torrey "the Military in the Middle-East" in S.N. Fisher ed, p.60 - 68 .

(٣) – راجع الرأي العام ، البعث ، الصادرتين بين ١٠ – ١٩٥٦/١٢/١٢ .

(٤) – الأيام ، دمشق ، عدد ١٣/ كانون الأول ١٩٥٧ .

(٥) – النص في صحيفة الشهباء ، حلب ، عدد ١٩٥٦/١٢/١٢ .

الوطني عن تردده ودخل في التحالف الجديد في ١٢/١٦/ وبذلك ركب العسلي الموجة الصاعدة وأصبح من الممكن الإطاحة بالحكومة [١] ، وبالتالي بدأت خطوات اليسار لعزل اليمينيين والسيطرة على السلطة .

في ٢٢ كانون الأول نشر الرئيس الأول يوسف شقرا قاضي التحقيق العسكري النص الكامل لقرار الاتهام وشمل أسماء لامعة في تاريخ سورية : نواب ووزراء اسقطت عنهم الحصانة ، زعماء عشائر وزعماء محليين ، وضباط من مختلف الرتب ، وأحال القرار ٤٧ متهماً إلى المحاكمة بجرم التحريض على إثارة العصيان المسلح ، وكتم معلومات متعلقة بأمن الدولة ، والانتساب إلى حزب سياسي محظور ، والاتصال بدولة أجنبية ، والتآمر على استقلال البلاد ، من هؤلاء : أديب الشيشكلي رئيس الجمهورية الأسبق ، وتسعة نواب : منير العجلاني، فيضي الأتاسي، مخائيل إليان ، حسن الأطرش، هايل سرور ، عادل العجلاني ، عدنان الأتاسي ، فضل الله جربوع ، سامي كبارة (صحفي ونائب سابق) ، صبحي العمري (نائب سابق) ، وثمانية ضباط مُسرَّحين هم : العقيد محمد الصفا ، المقدم محمد معروف ، المقدم غسان جديد ، المقدم حسين الحكيم ، والمقدم فضل الله منصور ، والمقدم صلاح الشيشكلي ، والملازم بريدس أنجوق ، وخمسة ضباط عاملين : الرئيس عبده وهبه ، الملازم نشأة مطرود، الملازم شوكت الصفطلي ، الرئيس عز الدين الجراح ، الرئيس منير السلطان . الرقيب الأول منير حداد. وشملت الأسماء عدداً من زعماء البدو والدروز وعدداً أقل من الاسماعيليين والعلويين وأقل من السنيين من سكان دمشق وحماه [٢] .

نشر قرار الاتهام تفاصيل المؤامرة وأدوار ابطالها وأكد " أن المخطط الذي اتبعه المتآمرون قد وضعه سيد واحد هو الاستعمار الانكليزي – الفرنسي العامل عن طريق عميله الأول نوري السعيد " والخطة تقضي القيام بثورة مسلحة ، واغتيال أو اعتقال

---

(١) – صحيفة الألف باء ، دمشق ، عدد ١٩٥٦/١٢/٢١ ، وصحيفة النصر ، ١٩٥٦/١٢/٢٤ .

(٢) – من هذه الأسماء نذكر : زيد الأطرش ، شكيب وهاب ، هايل بلاّن ، مهنا وفارس بن دويعر، ركان بن عوده السرور ، هزاع بن عواد ، عواد المسالم ، غياض بن عثوان السرور ، جاد الله كيوان، محمد بن اسماعيل الحجلي ، علي حسن إبراهيم ، علي المير ، حامد المنتصر ، محمد عدنان العائدي ، فائق الشيشكلي .. راجع : قرار الاتهام ، ص ١ – ٤ .

مسؤولين عسكريين ومدنيين منهم : عبد الحميد السرّاج ، طعمة العود الله ، مصطفى حمدون ، عبد الغني قنوت ، خالد بكداش، أكرم الحوراني، ورئيس الجمهورية شكري القوتلي . وسينظم الحكم الجديد بموجب ميثاق اتفق الفرقاء على نصه ويقضي بقيام حكومة برئاسة منير العجلاني ومجلس ثورة من عسكريين ومدنيين ، وسيتم حل المجلس النيابي وإلغاء الدستور ، وإزالة المكتب الثاني والشرطة العسكرية ، وتنظيم انتخابات موجهة لإقصاء الاشتراكيين والشيوعيين عن السلطة ، وفي حال فشل المخطط سينسحب الثوار إلى جبل الدروز وسيستدعون الفرق الفرنسية والبريطانية لاحتلال سورية من جديد وفرض حكومة الخونة على البلاد [١] " .

ظهرت للتو النتائج السياسية لفشل المؤامرة العراقية ، ففي مساء ٢٢ كانون الأول ، قدم العسلي استقالة حكومته ، وكُلف بتشكيل حكومة جديدة ، واخفقت محاولات القوتلي والعسلي لاشراك حزب الشعب في الوزارة ، بسبب قوة الضغط المصري واليساري التي فرضت إدخال خالد العظم إلى الوزارة رغماً عن إرادة رئيس الجمهورية [٢] .

بعد أزمة وزارية قصيرة ، تشكلت الوزارة الجديدة ، ووزعت المقاعد على أعضاء "التجمع القومي الجديد " فباستثناء وزارة المالية التي تولاها أسعد محاسن من خارج البرلمان ، نال الحزب الوطني ثلاث حقائب (العسلي ، فاخر الكيالي وأسعد هارون) والبعث حقيبتين (البيطار وكلاس) ، وكتلة العظم ثلاث حقائب (خالد العظم ، حامد الخوجا ، وصالح عقيل) وحقيبة لزعيم حركة التحرير العربي مأمون الكزبري وأخرى للمستقل سامي السباعي [٣] . ان الوزارة التجمعية ضمت كل الفعاليات السياسية

---

(١) – قرار الاتهام ، ص ٤ – ٥ ، ١٣ – ١٥ .

(٢) – راجع : العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٤٨٨ – ٤٨٩ .

(٣) – صبري العسلي رئيساً ووزيراً للداخلية ، خالد العظم وزير دولة ووكيلاً لوزارة الدفاع ، هاني السباعي وزيراً للمعارف ، حامد خوجا للزراعة ، فاخر الكيالي وزيراً للأشغال العامة ، صلاح الدين البيطار وزيراً للخارجية ، أسعد هارون وزيراً للصحة ، أسعد محاسن للمالية ، صالح عقيل وزير دولة، خليل كلاس وزيراً للاقتصاد، مأمون الكزبري وزيراً للعدل والعمل.راجع:مذكرات مجلس النواب مجلد رقم واحد للعام٥٦/٥٧، مرسوم رقم٤٤٣ ومرسوم رقم ٤٤٤ تاريخ ٥٦/١٢/٣١ ، ص ٢ – ٣ .

باستثناء حزب الشعب والكتلة الدستورية والحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي ، وقد عكس تركيبها ، رغم توازنه الظاهري ، انزلاق سورية نحو اليسار ، وتراجع العناصر المحافظة ، ويمكن أن نلصق صفة التراجع هذه ليس فقط بحزب الشعب والكتلة الدستورية والمستقلين أنصار العراق بل أيضاً بالحزب الوطني الذي سيصبح أسير البعث والمكتب الثاني المرتبطين بالناصرية ، وأصبح على الفريق التقليدي الموالي للغرب والمشارك بالسلطة أن ينحني أمام الفريق التقدمي القومي ، وأن ينجرف في تياره كي لا يتهم بالخيانة .

× × ×

يتيحُ لنا استعراض أحداث الأشهر الأربعة عشر من تاريخ سورية الديمقراطية استنتاج ما يلي :

في ظل مناخ الحرية ، قادت لعبة القوى البلاد إلى فوضى عارمة ، وكانت الأزمات الوزارية شاهداً على ذلك .

أدّى الصراع المكثّف بين القوى التقليدية وبين القوى الجديدة لإيجاد مرتكز داخل المؤسسة العسكرية إلى انقسام الضباط السياسيين إلى كتل متصارعة أفقدت الجيش قدرته على إنجاز موحّد .

ومما زاد في تأزم الأوضاع ، ظروف خارجية ضاغطة أبرزها مسألة قناة السويس التي خلفت هزّات عنيفة أفقدت القوى اليمنية مركزها لصالح اليسار الذي توصل في النهاية إلى السيطرة على السلطة وتوجيهها .

وبتأثير من طروحات اليسار السوري وصل نفوذ مصر إلى القمة . وانهار دور الدول العربية المؤيدة للغرب وبخاصة العراق ومعها دور حلفائها السوريين .

إن توجهات السياسة الخارجية قادت البلاد إلى انكفاءٍ اقتصادي سيزداد بروزاً في المستقبل مع بقاء حالة عدم الإستقرار السياسي بدون حلٍ جذري ، بعدما أصبح واضحاً أن فشل الديمقراطية محتّم في سورية .

الفصل الثالث

==========

الطريق إلى الوحدة مع مصر- سورية في العام ١٩٥٧

تمهيـــــد :

أصبحت سورية في هذا العام محوراً استقطب أنظار الشرق والغرب ، في هذا العام اجتاحت سورية عواصف عنيفة : محاكمات ضد أمن الدولة ، تطهير منظم للعناصر السياسية والعسكرية المحافظة ، انقسامات في صفوف الضباط وتشرذم السياسيين البرلمانيين .

في هذا العام ، تركزت السلطة في أيدي ثلاثة أقطاب : العظم ، الحوراني والسرّاج ، وفوقهم قبع رئيس خائر القوى ، معتل الصحة ، يشد أزره رئيس وزراء ضعيف الشخصية ، وقد انساق كلاهما وراء أحداث أبعد بكثير مما يرغبان .

في هذا العام ، توثقت العلاقات السورية – السوفياتية ، ومارس الحزب الشيوعي السوري نشاطاته بحرية ، وعمل بمهارة لدفع نفوذه داخل قطاع الجيش ، والحكومة ، وأثار هذا الاختراق الشيوعي لعالم الشرق الأوسط ، المرتبط بالغرب والمتشدد في رفضه للأفكار الشيوعية ، العرب والغرب معاً ، فحشد العراق قواه في الشرق وتركيا في الشمال، وتحركت قطع الأسطول السادس الأميركي على طول السواحل السورية ، ولما اشتدت الأزمة متجاوزة حدود الشرق الأوسط ، أصبحت سورية بؤرة ثانوية في إطار الحرب الباردة ، واعتقد قادة الغرب خطأً أنها سائرة نحو نظام الديمقراطية الشعبية ، فاتفقوا على دفعها نحو أحضان عبد الناصر ، وبالتالي فصم البعثيون تحالفهم مع الشيوعيين وأنصارهم ، واتحدوا مع القادة البرجوازيين ، وقادوا ، مع فريق من الضباط ، سورية نحو القاهرة لجمع الشتات والهروب من الشيوعية .

وهكذا ، وأمام مذبح قومية تقدمية ، وفي ظل أجواء صراعات دولية ، انفتح في سورية مجرى حاد سيطر بأجوائه على مجريات أخطر عام في تاريخها المعاصر .

أ – أحداث النصف الأول من عام ١٩٥٧(٣ كانون الثاني– ١٢ آب)

في الثالث من كانون الثاني تلا العسلي بيان حكومته أمام مجلس النواب ، وأعلن أن حكومته ملتزمة " بسياسة الحياد الإيجابي وأنها ستعمل جاهدة لتحقيق الإتحاد الفيدرالي مع مصر الذي سيكون " خطوة أولية لقيام الوحدة الشاملة " وأكد العسلي التزامه المطلق بمبادئ " التجمع القومي البرلماني " وبالعمل الدؤوب على تطبيقها [1] . وفي هذا اليوم نالت الحكومة الثقة بنسبة ٦٩ صوتاً من أصل ١١٩ نائباً حاضراً وامتناع ٤٨ نائباً عن التصويت هم نواب حزب الشعب والكتلة الدستورية ، وحجب الثقة نائبان واحد من حزب الشعب وآخر من الكتلة الديمقراطية [2] .

ما إن نالت الوزارة الثقة حتى انبثق عن " التجمع القومي " لجنة دائمة مهمتها التنسيق بين النواب والحكومة والسهر على تطبيق مبادئ التجمع وإعادة تصحيح نظامه وإعطاء الرأي في دخول أعضاء جدد إليه ، وتولى رئاسة هذه اللجنة إحسان الجابري بعضوية الحوراني والعظم وبكداش [3] ، ومارست هذه اللجنة ضغوطاً لدفع الحكومة إلى اعتماد نهجها السياسي . فلنتتبع أدناه الأحداث التي شهدتها سورية في هذا النصف الأول من العام ١٩٥٧ .

أحكام المؤامرة العراقية : في الثامن من كانون الثاني ، وعلى مدرج جامعة دمشق ، افتتحت جلسات المحكمة العسكرية برئاسة العقيد عفيف البزري وعضوية المقدمين أمين النفوري وصلاح يوسف آغا . وتولى الإدعاء العام المقدم محمد الجراح وحضر الجلسات بعض الشخصيات السياسية والعسكرية التي كان من المفترض اغتيالها أو اعتقالها من قبل المتآمرين مثل . الحوراني ، حمدون ، قنوت ، بكداش وغيرهم ،

---

(١) – راجع مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم واحد للعام ٥٦/٥٧ ، الدورة الاستثنائية الخامسة ، ص٥.

(٢) – م . ن ، ص ٩ – ١٤ .

(٣) – راجع : صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٥٧/١/٩. وأيضاً
- Orient , Paris , Doc No2 , 1957, p.181.

وتولى الدفاع عن المتهمين عدد من المحامين من جنسيات عربية مختلفة ، واستمعت المحكمة إلى أقوال المتهمين الطويلة والمتشابكة [1] وكانت المحاكمة محاكمة لكل الفعاليات السياسية اليمينية ، وسعت الفعاليات السياسية اليسارية إلى استغلال مجريات الدعوى لتحطيم معارضيها حتى النهاية ، وقد تصدّر حزب البعث حملة صحفية عنيفة طالبت إنزال أقسى العقوبات بحق الخونة المتآمرين وتطهير البلاد من كل فئة تعارض سياسة التحرر العربية [2] وبالمقابل نشرت الصحف اللبنانية تقارير يومية اتّهمت فيها المسؤولين السوريين بالتستر وراء القضية للتخلص من المعارضة وبأن هذه المؤامرة كانت وسيلة اصطنعها الشيوعيون والبعثيون ورجال المكتب الثاني لسحق المعارضين لتوجهات النظام [3] ، وإذا ما امتنعت الصحف اليمينية السورية عن توجيه أي نقد لاجراءات المحاكمة ، فقد ظهرت تحديات للسلطة في مدينة حلب حيث قامت في ٩ شباط تظاهرات عنيفة ألقيت خلالها القنابل على مراكز حزب البعث ، وأماكن إقامة زعماء اليسار ، وقد تمكنت قوات الأمن من تفريق المتظاهرين واعتقلت حوالي ٢٥٠ شخصاً ، واتهمت الدولة السوريين القوميين بإثارة أعمال الشغب والعنف للتحضير لثورة أهلية ،

---

(١) – كرر كل المتهمين اعترافاتهم السابقة ، باستثناء النائب منير العجلاني ، الذي تراجع عن أقواله وأكد أنها كانت تحت التعذيب وألقى مسؤولية تدبير المؤامرة على عاتق الحوراني والكيالي والمصريين . راجع دفاعه ، ص١٥ . وكان الشاهد الأساسي حول العلاقات بين زمر المتآمرين عدنان العائدي ، وأهم الأدلة شهادة الضابطين برهان أدهم وحميد صالح وقد أقحم هذا الأخير حكومة فرنسا في هذه المؤامرة . للتوسع راجع :

- Orient Doc No2 , 1957, p.175 - 176 .

(٢) – كتب ميشيل عفلق في مقال نشرته صحيفة البعث في ٥٧/١/١٨ ، " يخطئ من يعتقد أن المتهمين السبعة والأربعين وحدهم المتآمرون ، فمسؤولية المؤامرة تقع على عاتق طبقة اجتماعية قوية تدفعها مصالحها حتى إلى خيانة أمتها " . وقد طالبت صحيفة العروبة في حمص . بحل برلمان "لا يضم إلا الخونة " ، لا بل نوهت تلك الصحيفة إلى تورط العسلي ، رئيس الوزراء بالمؤامرة ، استناداً إلى شهادة العجلاني . راجع عددها الصادر في ٥٧/١/١٦ .

(٣) – عنونت صحيفة النهار البيروتية في عددها الصادر في ٥١/١/١١ : " قضية دمشق محاكمة لكل من يقف ضد الشيوعية " .

وتلا إعادة الجيش الهدوء إلى حلب تدابير إدارية قضت بعزل المحافظ سعيد السيد وتعيين إسماعيل القولي مكانه بمهام نائب الحاكم العسكري [١] .

إن التطورات التي رافقت " قضية دمشق " جعلت حزب الشعب يشعر بأنه محاصر ومجبر على تبديل سياسته جذرياً كي يستطيع الإستمرار والاحتفاظ ببعض قواه ، وعليه نشر بياناً في ٢٠ كانون الثاني هاجم فيه الإمبريالية الأنكلو- فرنسية والإستعمار وحدد بوضوح سياسته الجديدة الداعية إلى وحدة شاملة مع مصر ومساعدة شعوب الدول العربية التي تكافح للتحرر من الإستعمار ورفض أي شكل من أشكال الأحلاف العسكرية وتبني سياسة الحياد بين العسكرين [٢] . وفي ٣١ منه أعلن الحزب قبوله بمبادئ ميثاق " التجمع القومي " وأعاد تنظيم لجنته التنفيذية ، ولقد أثار هذا الخط السياسي لحزب الشعب دهشة المراقبين وعزا البعض هذا التحول إلى ضغط التهديد بحل الحزب واعتقال غالبية قادته [٣] وهكذا تمكن حزب البعث والمخابرات من تحطيم أقوى حزب يميني عراقي رفع لواء المعارضة لتوجهات الحكومة السياسية .

في ٢٧ – ٢٨ كانون الثاني ، أدلى المدعي العام بمطالعته الطويلة ، وطالب بإعدام سبعة متهمين استناداً إلى المادة الثامنة من القانون الجزائي رقم ١٥٠ التي تعاقب بإعدام كل من يقوم بثورة مسلحة في ظل الحكام العرفية ، كما طالب بالأشغال الشاقة بين ١٥ إلى ٢٠ عاماً لـ١٦ متهماً وتراوحت باقي الأحكام بين ٣ – ٦ سنوات سجناً وفي ٢٦

---

(١) – كتب مراسل صحيفة الشعب القاهرية ، الذي كان موجوداً في حلب إبان الإضطرابات ، " ان ٤١ عضواً من الحزب السوري القومي الإجتماعي حاولوا إثارة فتنة في المدينة لكن السكان أفشلوا المحاولة لا بل ساعدوا الشرطة في إلقاء القبض على المشبوهين" . راجع : عدد ٥٧/٢/١٢ . بينما عزا مراسل صحيفة الحياة البيروتية أسباب أحداث حلب إلى سخط الشعب في هذه المدينة من الإتهامات الموجهة ضد قادة حزب الشعب ، من حيث أن حلب معقل هذه الحزب ويحظى عدة متهمين في قضية دمشق بشعبية فائقة في هذه المدينة . راجع العدد الصادر في ٩ شباط ١٩٥٧ .

(٢) – راجع نص المنشور بالعربية في : المنار ، دمشق ، عدد ٥٧/١/٣٠ . وبالافرنسية في :
- Orient , Paris , Documents , No2, 1957, p.181-182.

(٣) – راجع مقال صحيفة الدراَة البيروتية المعروفة بولائها للأسرة الهاشمية ، الذي اتهمت فيه السراج بأنه " يقود بنفسه عملية سحق أعضاء حزب الشعب والمحافظين " راجع عددها الصادر في ٥٧/١/٣١ .

شباط أصدرت المحكمة العرفية الأحكام النهائية وقضت بالحكم بالإعدام حضورياً على المتهمين الرئيسيين : حسن الحكيم ، صبحي العمري ، عدنان الأتاسي ، سامي كبارة ، هايل سرور ، وغيابياً على كل من : مخائيل اليان ، حسن الأطرش ، شكيب وهاب ، محمد الصفا ، محمد معروف ، صلاح الشيشكلي ، سعيد تقي الدين . وحُكم على منير العجلاني مدة عشرين عاماً أشغال شاقة وبُرئت ساحة فيضي الأتاسي ، عادل العجلاني ، محمد الكزبري ، منير سلطان ، وقد كانت الأحكام مبرمة وخاضعة لمصادقة خالد العظم بصفته وزيراً للدفاع بالوكالة وبما يقرره العسلي بصفته رئيساً للوزراء والحاكم العسكري في ظل الأحكام العرفية السائدة [١] .

راعت قساوة الأحكام الرأي العام السوري [٢] وأبدى القوتلي تزمره من صرامتها وراح يضغط على العظم لاستبدال الأشغال الشاقة بالإعدام ، وفي ٦ آذار أجمع مجلس الوزراء على قرار الإستبدال وذلك إثر تدخلات أهالي المحكومين وممثلين عن الطوائف الكاثوليكية السورية والبطريرك الماروني ، ورئيس الجمهورية اللبنانية ، وبذل الملك سعود كل جهد للتوصل إلى هذا القرار الذي أيده عبد الناصر أيضاً . هذا وقد أدانت الصحف اليسارية القرار وعدته تشجيعاً على الخيانة ، ورحمة برجال مجرمين ومرتزقة [٣] . وهكذا انتهت أخطر قضية شهدتها المحاكم السورية . وأول المحاكمات السياسية الكبرى في العالم العربي .

---

(١) – راجع الصحف السورية الصادرة في ٢٧ شباط ١٩٥٧ . صحيفة بيروت المساء ، عدد ٢٨ شباط ١٩٥٧ . و Orient , Paris, Doc No2 , 1957, p.176 -

(٢) – كتبت صحيفة الحياة البيروتية في عددها الصادر في ٢٧ شباط مقالاً حول الأحكام في قضية دمشق قالت فيه " هذه القضية فتحت عصراً جديداً في العالم العربي هو عصر " عدالة ستالين " في نفس الزمن الذي يدين فيه خلفاؤه أساليبه .. لقد شهد العالم العربي في السنوات الأخيرة عدة إنقلابات تجنب صانعوها إهراق الدماء ، لكن في دمشق حيث وضع فريق ستالين يده على السلطة ووجه الصحافة والإذاعة والمحكمة العسكرية ، افتتح عصراً جديداً أصبحت فيه المعارضة السياسية جريمة عقوبتها الإعدام .. حقاً لقد قلبت قضية دمشق مفاهيم الشعب العربي" .

(٣) – Orient , Paris , "Chroniques - Syrie" Doc No9 , 1957, p.246. -

وزارة التجمع القومي " ومبدأ ايزنهاور" : كانت الحكومة السورية أول حكومة عربية تشجب مبدأ " فراغ النفوذ " الذي أعلنه الرئيس الأمريكي في خطاب أمام الكونغرس بتاريخ ١٩٥٧/١/٥ ، وفيه أعرب عن نوايا الولايات المتحدة بملء الفراغ في الشرق الأوسط ، وعن رغبتها في منح المساعدات العسكرية والإقتصادية لأية دولة في هذه المنطقة مهددة داخلياً أو خارجياً بخطر الشيوعية العالمية [١] .

في ١٠ كانون الثاني أصدرت الحكومة السورية بياناً انكرت فيه وجود فراغ أو خطر شيوعي وأكدت أن التهديد الرئيسي للأمة العربية هو التهديد " الإمبريالي والصهيوني " ، وأنها ترى في نظرية ايزنهاور ذريعة للتدخل بالقوة لحماية المصالح الإقتصادية الغربية [٢] .

اختارت واشنطن الملك سعود ليكون مرساة السياسة الأمريكية في الدول العربية، وكان هذا الملك أميناً على السياسة التي رسمها والده بخصوص التقارب مع مصر لمواجهة المطامع الهاشمية ، إلا أن أحداث السويس ، التي وضعت عبد الناصر على رأس حربة القومية العربية ، نبّهت سعوداً إلى أن خطر الهيمنة المصرية أصبح يفوق بكثير خطر الهاشميين ، كما أن الجمهورية الثورية ، التي بشرت القاهرة بنشرها في العالم العربي ، دقّت ناقوس الخطر في مملكة طالما أدان الثوريون القوميون نظامها المحافظ [٣] . وعليه فمنذ حرب السويس بدأت حكومة الرياض تقلص ارتباطاتها مع

---

(١) – أعد الخطاب وزير الخارجية فوستردالس وموضوعه مواجهة أطماع السوفيات والحؤول دون توصليهم إلى موطئ قدم في هذه المنطقة الضرورية للدفاع عن الغرب وقد طالب الرئيس الأمريكي الكونغرس منحه صلاحية استخدام القوات المسلحة لحماية أية دولة أوسطية تطلب المساعدة وبعد عدة مناقشات وافق الكونغرس على هذه التدابير وفي ٩ آذار صدر قرار مشترك عن مجلس الشيوخ والنواب خوّل الرئيس الأمريكي صرف ٢٠٠ مليون دولار للمساعدات الإقتصادية والعسكرية وإرسال القوى الأمريكية إلى أية دولة تطلبها لصدّ أي هجوم مسلح من قبل أية دولة تسيطر عليها الشيوعية العالمية " . راُجع النصوص المتعلقة بهذه القضية في :

- United States in the Middle-East , Department of State . Sep 1956, June 1957, Washington 1957. p.15 - 30 .

(٢) – نص البيان في صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ١٩٥٧/١/١١ .

(٣) – - M. Colombe, l'Egypte et le Nationalisme arabe , p.129-130 .

القاهرة ، وبدورها عملت واشنطن على إزالة مخاوف الملك سعود من الهاشميين وإنهاء الخلاف السعودي – الهاشمي .

كانت الأردن تحت ضغط حرب السويس والأحداث الداخلية الدامية قد اختارت مرغمة الدخول في الحلف المصري – السوري – السعودي . ومنذ بداية العام ١٩٥٧ افتتحت عمان المباحثات مع دول هذا الحلف لتحديد شروط وأساليب المساعدة المالية التي ستمنح لها للتخلص من المعونة البريطانية وانتهت المباحثات في مؤتمر القاهرة (٥٧/١/١٨) بالتوقيع على معاهدة التضامن العربي " التي تعهدت فيها السعودية ومصر وسورية بالأخذ على عاتقها الإلتزام المالي البريطاني وقيمته ١٢،٥ مليون جنيه مصري ، تدفع مصر ٥ ملايين ومثلها السعودية والباقي سورية" [١]وقد شجبت الدول الأربع في هذا اللقاء مبدأ ايزنهاور وأكدت على سياسة الحياد الإيجابي وعاد الملك حسين إلى عمان لينهي ارتباطاته مع البريطانيين ، وبعد مفاوضات بين الفريقين امتدت من ٤ شباط وانتهت في ١٣ منه بمذكرة مشتركة أعلنت فيها الدولتان إلغاء معاهدة ١٥ آذار ١٩٤٨ [٢]. وقد لاقت هذه الخطوة ترحيباً بالغاً في دمشق حيث عدها النواب السوريون نصراً مبيناً للعرب في مواجهة الإمبريالية الغربية [٣] ومن ثم راحت حكومة الأردن تتحضر لإقامة علاقات مع الإتحاد السوفياتي والصين الشعبية ، وبدأ الملك حسين يحس بالخطر على عرشه مع ارتفاع الأصوات المؤيدة لمصر والداعية إلى النظام الجمهوري بين وزرائه وقادة جيشه ، وجاء قرار الملك سعود بقبول مبدأ ايزنهاور ، ليمهد للملك الطريق لاستعادة المبادرة والعودة إلى أحضان الغرب ، وقد تجلى موقف الملك سعود ، بعد زيارته للولايات المتحدة في اجتماع قمة الحلفاء الأربعة الثاني في القاهرة ، ما بين ٢٥ و ٢٧ شباط ، والذي انتهى بالتأكيد على الحياد ظاهرياً وآذن في الواقع بانفصام عُرى تحالف هذا المعسكر [٤] . وقد عولت واشنطن كثيراً على نفوذ الملك سعود الواسع

---

[١] – راجع نص المعاهدة في صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ١٩٥٧/١/١٩ .

[٢] – راجع النص في : Orient, Paris, Documents, No2, 1957, p.200 - 201 .-

[٣] – راجع وقائع جلسة ١٦ آذار في : مذكرات المجلس النيابي ، مجلد رقم١ عام ٥٧/٥٦ ، ص١٧٢ – ١٨٢ .

[٤] – في هذا المؤتمر تلا الملك سعود تقريراً حول رحلته إلى الولايات المتحدة وتذمر من عبارة

التأثير في الأوساط السياسية والعسكرية السورية لدفع سورية إلى قبول مبدأ ايزنهاور. وكان صديقا سعود القوتلي والعسلي يرغبان السير في ركابه ، لكنهما كانا يدركان أن تلك الطريق محفوفة بالمخاطر والمنزلقات نتيجة تضعضع القوى اليمينية في سورية مقابل تصدر تلك المناصرة للحياد وأصبح خيار سورية يحدده انتصار هذا الفريق أو ذاك في صراعهما على السلطة .

الصراعات الداخلية : ان تقهقر المعارضة البرلمانية لا يعني أن حكومة " التجمع القومي " قد أزاحت كل العقبات من أمامها ، ومنذ الأسبوع الأول من شهر آذار بدأ جو أزمة وزارية يخيم على البلاد ويبدو أن القوى اليمينية في السلطة قد استعادت شيئاً من المبادرة على أثر نجاحها في تعديل الأحكام في قضية " المؤامرة العراقية " وأرادت إجراء تعديل وزاري بإدخال أعضاء من حزب الشعب إلى الوزارة أو تشكيل وزارة جديدة [1] . وقام صراع بين حزب البعث وحركة التحرير العربية حول حقيبة الشؤون الإجتماعية التي كان يتولاها زعيم الحركة د. مأمون الكزبري لما لهذه الوزارة من تأثير على الحركة العمالية السورية [2] كذلك بدا البعث قلقاً من انعكاسات التعاون الوثيق الذي اتضحت معالمه بين الحزب الشيوعي وخالد العظم ، لكنه سرعان ما عاد إلى التآزر مع هذا الفريق عندما وجد نفسه بمواجهة الفريق اليميني المحافظ ، وتجلى هذا النهج في الأحداث التالية :

"الحياد الإيجابي " المستخدمة في نص البيان المشترك فاستبدلت بالحياد فقط . وطالب سعود بإدانة النشاطات المدمرة في الشرق الأوسط . لمزيد من التفاصيل حول واقع المؤتمر راجع : خالد العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ . صحيفة الأيام ، دمشق، عدد ١٩٥٧/٢/٢٨ .

(١) – راجع : صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ١١ آذار ١٩٥٧ ، والرأي العام ، دمشق ، عدد ١٣ آذار ١٩٥٧ .

(٢) – راجع الانتقادات التي وجهتها صحيفة التحرير الناطقة باسم الحركة إلى المناورات التي يقوم بها الوزراء البعثيون في العددين الصادرين بدمشق في ١٣ و ١٤ آذار ١٩٥٧ .

أزمة انقسام الجيش : في ١٣ آذار وصل إلى دمشق فوزي سلو حاملاً رسالة من الملك سعود إلى الرئيس القوتلي يتهم فيها بعض العناصر السياسية والعسكرية بفتح أبواب سورية أمام الشيوعية العالمية [١] . وكانت هذه الرسالة انعكاساً لازدياد قلق وزارة الخارجية الأمريكية من مسيرة الأحداث في سورية [٢] وتزامنت مع قرار الحكومة السورية بتلزيم عقد بناء مصفاة للنفط إلى شركة تشيكية .

خضعت قضية مصفاة حمص منذ أن طُرحت مطلع العام ١٩٥٦ إلى دراسات مستفيضة للعروض التي تقدمت بها أربع شركات عالمية ، كما نالت نصيباً وافراً من التدخلات والضغوط الخارجية وفي النهاية بقي عرض الشركة البريطانية الأمريكية (Procon Inc) والشركة التشيكية (Techno Export) ، وقد تردد الوزير الشعبي أحمد قنبر، رغم الضغوط التي مارسها البعثيون والمصريون ، في اتخاذ قرار لصالح الشركة التشيكية [٣] وبعد تشكل وزارة " التجمع القومي " تحولت القضية إلى فخري الكيالي وزير الأشغال الجديد والعضو البارز في الحزب الوطني الذي عاد إلى نهج سلفه، لكنه فشل في تحدي إرادة اليسار السوري ، الذي كان لصالح التشيكيين ، ففي جلسة ٢٧ شباط وجه الحوراني أمام مجلس النواب نقداً عنيفاً إلى التردد في إبرام العقد مع التشيكيين واعتبر أن

---

(١) – - Orient, Paris, "Chroniques- Syrie" No3 , 1957, p.247.

(٢) – أعرب السفير الأمريكي في سورية أمام السفير البريطاني في عمان إبان زيارته إلى الأردن عن قلق حكومته البالغ من مسألة توزيع السلاح على أنصاره الشيوعيين في منظمة " المقاومة الشعبية"، ومن احتمال إقدام السوريين على قطع أنابيب ضخ نفط التابلاين إذا ما اتخذت حكومته خطوات نحو إقامة شحن حر للنفط من ميناء ايلات : وإن حكومته طلبت من الملك سعود أن يحمّل القوتلي مسؤولية سلامة الأنابيب المارة عبر سورية . راجع :

- F.o/371/128271/ Sec Rep No57, From British embassy , Aman Feb 2 , 1957 .

(٣) – كلفت الحكومة السورية خبراء مصريين دراسة عروض الشركات : بروكون البريطانية وإنسالدو الإيطالية ، وهيدروكاربون الألمانية ، وتكنو إكسبورت التشكية . وقد عرض الوزير الكيالي أمام مجلس النواب التقرير المفصل الذي أعدّه المصريون وفيه اعتبروا العرض التشيكي أفضل العروض وأقلها كلفة . راجع تفاصيل القضية في التقرير الذي تلاه وزير الأشغال العامة أمام مجلس النواب في مذكرات المجلس ، مجلد رقم ٢٠ للعام ٥٦/٥٧ ، ص٣٧٣ – ٣٧٧ . وحول الضغوط التي مارسها المصريون لصالح الشركة التشيكية ، راجع

- F. o/ 371/128219/ Annual Report on Syria in 1956 , No15/ Nov5/ , 1957 , p.5 .

كل تأخر بهذا الشأن عمل خيانة هدفه تجريد الصناعة السورية وآلة الدفاع العسكرية من الطاقة الضرورية لاستقلال البلاد وصيانة سلامتها [1] وفي اليوم التالي قرر مجلس الوزراء منح العقود لشركة " تكنو- إكسبورت " وفي ١١ آذار وصلت بعثة من قبل الشركة إلى سورية وفي ١٦ منه وقعت الحكومة العقد بعد أن أصدر مجلس النواب قانوناً يخول الحكومة هذا الحق [2] .

الحركة المباشرة التي تلت قضية " مصفاة حمص " ، كانت محاولة القوتلي وضع حدٍ لتنامي نفوذ اليسار داخل المؤسسة العسكرية لتبدأ بالتالي الأزمة المعروفة في مؤلفات الكتاب البعثيين ب " عصيان قطنا " [3] .

كان القوتلي مدركاً أن المؤامرة العراقية قد ثبتت مواقع زمرة البعث – السراج وأصبحت تسيطر على ٣٠٪ من ضباط الأركان البارزين ، وعليه ، ولإعاقة هذه المسيرة، اتفق مع رئيس الأركان توفيق نظام الدين والضباط اليمينيين والحياديين على تعديل مراكز ضباط العناصر اليسارية وإبعاد بعضهم عن المراكز الحساسة . وفي ١٥ آذار أصدر اللواء نظام الدين ، مرسوماً بنقل ١٢٠ ضابطاً إلى مراكز بعيدة أو ضئيلة الأهمية ، وقضت الترتيبات الجديدة تعيين السرّاج ملحقاً عسكرياً في القاهرة وتولية الضابط البعثي أكرم الديري مكانه الذي لا يملك نفوذ السراج ولا شبكة العلاقات التي بناها مدير شعبة المخابرات السورية العتيد ، وتعيين العقيد فيصل الأتاسي في مركز الديري مديراً للكلية العسكرية بحمص ، وذلك لتقليص هيمنة الإشتراكيين على هذه المؤسسة التي أقاموا من خلالها قوتهم داخل الجيش ، ونقل أمين النفوري من رئاسة

---

(١) – راجع : مذكرات مجلس النواب ، م . ن ، ص١٠٢ .

(٢) – مذكرات مجلس النواب . مجلد رقم ٢ للعام ٥٦/٥٧ ، ص٢٧٧ . وراجع :
- Orient , Paris , "Chroniques - Syrie" , p.261 - 262 .

(٣) – حول هذه القضية راجع : عمران ، تجربتي مع الثورة ، ص١٣ ، الجندي ، البعث ، ص٨٥، العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٥٠٠ – ٥٠٣ ، صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص١٠٧ ، ١١٨ . صحيفة الحياة ، بيروت الأعداد ، ٢٢ و ٢٣ و٢٨ آذار ١٩٥٧ . وراجع :
- G. Torrey, "the Military in the Middle-East" in S.N. Fisher ed , p.60 - 66 . cf. Orient, Paris, "chroniques - Syrie" No3, 1956, p.247 -249 .

الشعبة الأولى إلى قيادة لواء المدرعات ، والضابط البعثي نبيه الصبّاغ رئيس الشعبة الثالثة إلى مركز القيادة المشتركة في عمان [١] .

رفض العظم التوقيع على هذا المرسوم ولما أثار القضية في مجلس الوزراء هدد الوزراء البعثيون بالإستقالة ، وبدوره هدّد العظم بإصدار مرسوم تسريح رئيس الأركان إذا ما أصرّ على موقفه ، ورفض هذا الأخير العودة عن قراراته ، وبالتالي تشابكت أيدي البعث والشيوعيين والناصريين من جهة ومن جهة أخرى " الضباط الشوام " من جماعة القوتلي والضباط المؤيدون لحركة التحرير [٢] . وفي ١٧ آذار وبناءً على توصيات الحوراني أعلن الضباط اليساريون تمردهم على الأوامر في ثكنة قطنا وطالبوا باستقالة رئيس الأركان وإلغاء قرارات النقل وهددوا باحتلال دمشق [٣] وفي نفس اليوم أعلن ضباط وحدات قطاع حوران عزمهم على مهاجمة معسكر قطنا والقضاء على الفتنة ، وحشدت الشرطة العسكرية عناصرها على طول طريق " المزّة " وتمركزت قوات " أمين النفوري" في " ثكنة داريا " . وأصبحت سورية على شفير حرب بين قطاعات الجيش ، آنذاك خطت مصر إلى المسرح ، وتدخل عبد الناصر شخصياً لإنهاء الأزمة ، وبالتالي ألغيت مراسيم النقل الخاصة بكبار الضباط ، ونفذ ما هو غير مهم منها [٤] وهكذا فشلت

---

(١) – Orient, Chroniques , Syrie, p.249 .

(٢) – عقد العظم اجتماعاً في منزله لحل المشكلة حضره رئيس الأركان وبعض الوزراء وكبار الضباط ، وشكا الضباط " الشوام " مثل : عبد الرحمن مردم ، سهيل عشي ، توفيق شاتيلا ، حسن العابد (وهم من كبار العائلات الدمشقية) من أن أخصاميم يعملون على اقصائهم عن المراكز الرئيسية ووقف إلى جانبهم زمرة " حركة التحرير " بزعامة أمين النفوري وأحمد عبد الكريم . وأشار العظم إلى أنه تدخل شخصياً لإنهاء الخلاف بين جماعة البزري وجماعة حمدون . راجع مذكراته ، ج٢ ، ص٥٠١ – ٥٠٢ .

(٣) – كان على رأس الضباط الذين أعلنوا التمرد : عبد الغني قنوت قائد الفرقة ٢٤ المدرعة ، مصطفى حمدون قائد اللواء الأول للمشاة ، عدنان مراد آمر الفرقة ٢٥ ، عدنان المصري قائد لكتيبة المدرعة ٢٠ وعدنان حمدون قائد الفوج التاسع . وكلهم من الإشتراكيين . راجع : عمران ، تجربتي مع الثورة ، ص ١٣ . أيضاً صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٢٨ آذار ١٩٥٧ .

(٤) – انتهت المسألة يوم ١٨ آذار باحتفاظ نظام الدين بمنصبه في رئاسة الأركان وتعيين البزري رئيساً للشعبة الأولى والسراج للشعبة الثانية والنفوري للشعبة الثالثة ، وحمدون للشعبة

العملية التي خطط لها القوتلي لاعاقة نمو الحركة المتطرفة داخل الجيش لا بل ثبتت هذه الحادثة نفوذ الزمرة اليسارية وأصبحت أقوى الزمر إطلاقاً . وترتب على الضباط اليميين وحلفائهم المدنيين خوض معركة خاسرة سلفاً ، لتعديل ميزان القوى .

الانتخابات التكميلية : بدأت المعارضة البرلمانية حملتها بالمطالبة بإلغاء الأحكام العرفية . وفي ٢٤ آذار أثار حزب الشعب قضية الحريات الدستورية المنتهكة في ظل هذه الأحكام في مجلس النواب [١] .

" وفي ليل ٢٦ آذار حلقت طائرة مجهولة في سماء جبل الدروز وألقت في "صلخد" مناشير باسم "منظمة الدروز الأحرار" تتهم الحكومة السورية بالقيام بأعمال تعسفية ضد طوائف الأقليات – وتظهر أن كمال جنبلاط عرض في رسالة إلى العاهل السعودي حقيقة الوضع في سورية وطالبه بالتدخل لإنقاذها من بؤرة الفساد التي زجّها بها الشيوعيون " وجاء في المنشور .. " إن المكتب الثاني وزمرة العسكريين الذين تسلطوا على مجلس الأمة وحكم البلاد قد أمعنوا في اضطهاد الأهلين وما حدث مراراً وتكراراً في جبل الدروز وجبل العلويين وفي بعض الأنحاء التي يسكنها مسيحيون لشاهدٌ على ذلك ... " " أيها الاخوان ان مقدساتنا أصبحت معرضة لهتك وتدنيس المكتب الثاني ولم يعد يُسمع صوتنا في الندوة البرلمانية لأن نوابنا حُكم عليهم بالإعدام والأشغال الشاقة أو لاذوا بالفرار .. يا بني معروف ثوروا " [٢] . وقد نال هذا الحادث نصيبه من الإستنكار في الصحف السورية اليسارية [٣] ، ونظمت تظاهرات في جبل الدروز للتدليل على الولاء للحكومة ، بينما اعتبرت المعارضة أن الحادثة مدبرة للإبقاء على الأحكام العرفية،

الرابعة . وانفرد هؤلاء في السيطرة على الجيش وعلى السياسة . راجع ، العظم مذكرات ، ج٢، ص٥٠٣ .

[١] – راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٢ للعام ٥٦/٥٧ ، ص٤٢٤ – ٤٣٠ .

[٢] – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة . مجموعة " جبل العرب " قسم " المخابرات " رقم الحافظة ٤/ وثيقة رقم ٤/٣٣٧ في ٥٧/٣/٢٧ .

[٣] – راجع صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٢٨ آذار ١٩٥٧ والنصر ، دمشق ، عدد ٢٩ آذار.

السلاح المناسب في ايدي اليسار لاستكمال سحق المحافظين والمعتدلين في حملة الانتخابات الفرعية [١] .

في الأول من نيسان أصدرت الحكومة مرسوم اجراء الإنتخابات في الدوائر الأربع : دمشق ، حمص ، السويداء وجبل العرب لملء المقاعد التي شغرت نتيجة الأحكام الصادرة بحق نوابها : العجلاني ، الأتاسي ، سرور وجربوع في قضية المؤامرة العراقية . وقد دفع احساس اليمينيين بمدى الخطر المحدق بنفوذهم ومصالحهم إلى اتخاذ خطوات جدية لجمع الشمل بمواجهة جبهة " التجمع القومي " ، وعليه تشكلت جبهة يمينية تحت إسم " الجهة الوطنية المؤتلفة " ضمت حزب الشعب وحركة التحرير ومنظمة الإخوان المسلمين والقطاع من الحزب الوطني المعارض لتوجهات العسلي [٢] . ولم يكن هذا التحالف متماسكاً وجاء متأخراً وقاصراً عن إيقاف المجرى اليساري القومي .

رشحت جبهة التحالف اليميني الشيخ مصطفى السباعي عميد كلية الحقوق في جامعة دمشق عن دائرة دمشق ، وسعيد التلاوي رئيس فرع الإخوان المسلمين في حمص عن دائرة حمص ، وصباح أبو عسلي عن دائرة السويداء [٣] . وعلى غرار اليمينيين والمحافظين حشد أقطاب " التجمع القومي " قواهم حول مرشح واحد في كل دائرة ، وكشفت الحملة الانتخابية مرة أخرى عن ذلك التناقض بين البعثيين والشيوعيين حيث قاد كل فريق حملة صحفية مناوئة للآخر [٤] ، وبنتيجة عدة مباحثات بين أقطاب اليسار اتفقوا

---

(١) – صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٢٩ آذار ١٩٥٧ .

(٢) – منذ مطلع نيسان راحت الصحف السورية تتحدث عن الإنقسامات داخل الحزب الوطني وسبب ذلك وقوف العسلي إلى جانب مرشحي " التجمع القومي " ضد إرادة قياديي حزبه . وانقسم الحزب إلى إتجاهين ، الأول تمثل بصبري العسلي ، فاخر الكيالي ، وظافر القاسمي ، والثاني في : عبد الرحمن الكيالي ورشيد الدقر ومجد الدين الجابري . وتوزعت أصوات الحزب بين مرشحي الجبهتين . هذا وقد وجه عبد الرحمن الكيالي رسالة إلى العسلي ينتقد فيها أساليبه ونهجه السياسي . راجع نصها في: صحيفة الاتحاد ، حلب ، عدد ١٩ نيسان ١٩٥٧ . ولتفاصيل أكثر حول انقسام الحزب الوطني راجع :

- Orient, Paris, "chroniques- Syrie" No3, 1957, p.253.

(٣) – النصر ، دمشق ، عدد ٢٩ نيسان ١٩٥٧ ، المنار ، عدد ٢٠ نيسان ١٩٥٧.

(٤) – كتبت صحيفة الرأي العام في عددها الصادر في نيسان حول أسباب الخلاف بين البعث

على ترشيح رياض المالكي البعثي عن دائرة دمشق ، وكمال الكلاليب عضو الجبهة الشعبية الاشتراكية في حمص ، ومرشح يساري الميول ، سلطان نصر ، في السويداء [١] .

استغرقت الحملة الانتخابية شهراً كاملاً ، وكان لكل جبهة انصارها وصحافتها وأقلامها . وخاض مرشحو الجبهتين معركتهم تحت نفس الشعارات : الحياد الإيجابي ، رفض الأحلاف العسكرية ومبدأ ايزنهاور ، وبينما شنت صحف اليسار حملة صارخة ضد الرجعية والاقطاع وعملاء أمريكا المشبوهين ، هاجمت الصحف المحافظة المبادئ الهدّامة ، إشارة إلى الشيوعية، وأكدت صحيفة المنار أن السكرتير الأول في السفارة السوفياتية يوجه الحملة لصالح مرشحي جبهة " التجمع القومي " [٢] .

جرت الانتخابات في ٤ أيار في أجواء هادئة نسبياً [٣] . وكانت المعركة حامية جداً في دمشق حيث أصدر العلماء المسلمون بياناً لصالح السباعي كذلك وجه رجال الدين الكاثوليك رعاياهم لصالحه [٤] . هذا وقد عملت القوى الداعمة للسباعي في ظل ظروف صعبة إذ قدّم الجيش ورجال الحكومة دعماً مادياً ومعنوياً علنياً لصالح المالكي وباقي مرشحي التجمع القومي [٥] وكانت النتائج متوقعة سلفاً إذ حققت العناصر اليسارية نصراً

والشيوعيين: " إن الشيوعيين يحاولون إبعاد المرشح البعثي لصالح مرشحيم .. " إن الشعب قد يتحمل مشاركة شيوعية في جبهة " الجمع القومي " لكن لن يقبل أن تتحول الجبهة إلى منظمة شيوعية ، فالشيوعية يرفضها الشعب السوري رغم دعم الإتحاد السوفياتي للقضية السورية " . وقد ردت صحيفة النور الناطق باسم الحزب الشيوعي على هذا المقال بمقال اتهمت فيه " الرأي العام " بأنها تردد آراء الامبرياليين حول النفوذ الشيوعي في سورية . راجع عددها الصادر في ٨ نيسان ١٩٥٧ .

(١) – الرأي العام ، عدد ٢٨ نيسان ١٩٥٧ .

(٢) – آراء اليسار في : الرأي العام ، عدد ٢ أيار ١٩٥٧ . البعث ، عدد ٤ أيار ١٩٥٧ ، وآراء اليمين في المنار عدد ٣١ نيسان وعدد ٢ و٣ أيار ١٩٥٧ .

(٣) – للتوسع حول هذه الحملة الانتخابية راجع : رياض المالكي ، ذكريات .. ، ص ٢٠٤ – ٢١٥. الصحف السورية وبخاصة المنار ، البعث ، الرأي العام ، بردى ، النور الصادرة من ٢٩ نيسان حتى ٦ أيار .

(٤) – - Orient, Paris, "Chroniques- Syrie" , No3, 1957, p.256 .

(٥) – تقدمت الجبهة " الوطنية المؤتلفة " بمذكرة إلى القوتلي والعظم تطالب بالحؤول دون تدخل

حاسماً على منافسيها في الدوائر الثلاث أما في جبل العرب فقد نال المرشح زعّار جمعة المقعد النيابي بالتزكية [1] . ووالي اليسار نجاحاته في انتخابات النقابات العمالية حيث استطاع إلغاء دور حزب الشعب في انتخابات المكتب التنفيذي لاتحاد العمال السوري [2] .

رغم هذه الهزائم المتلاحقة ، تابعت المعارضة اليمينية معركة الدفاع عما اعتبرته " تشيع سورية " وفي هذا السياق هدّد رشدي الكيخيا رئيس مجلس النواب بالاستقالة من منصبه في أوائل حزيران ، بعدما أصر على أنه قد أهين من قبل خالد بكداش الذي وصف نواب حزب الشعب ، الحزب الذي ينتمي إليه الكيخيا ، " بالعمالة للامبريالية " بسبب معارضتهم للميزانية ، وفي ٥ منه قدّم ٤٠ نائباً من حزب الشعب في مختلف مقاطعات سورية استقالتهم وقاطعوا الجلسات البرلمانية ، وقد اقترحت بعض فعاليات " التجمع القومي " ، كالبعث وخالد العظم ، قبول الإستقالة وحل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة تتيح لليسار الهيمنة الفعالة على السلطة التشريعية ، وثانية تدخل المصريون لحل الأزمة ، واستطاع السفير محمود رياض إقناع قادة التجمع بعدم قبول الإستقالة وضغط على الكيخيا لسحب استقالته ، وفي ٦ حزيران رفض البرلمان قبول الإستقالة الجماعية

الجيش في الانتخابات . راجع نصيا في : المنار ، عدد ١٥٦٢ ، ٢٧ نيسان ١٩٥٧ . واستمر السباعي يتهم الحكومة بالتدخل لصالح المالكي. راجع م . ن ، عدد ١٥٧٦ ، ٥ أيار ١٩٥٧ . وأشارت بعض المصادر إلى أن الشرطة قامت بتوزيع المناشير لصالح المالكي ، وتم نقل مناصريه في شاحنات الدولة إلى مراكز الاقتراع . راجع:

- G. Torrey, Syrian Politics .. , p.349 .

(١) – نال المالكي ٢٠٨٠٨ صوتاً مقابل ١٨٤٦١ للسباعي . ونال الكلاليب ١٨٩٣١ صوتاً مقابل ١٤٨٨٤ للتلاوي ، ونال صياح أبو عسلي ٣٦٧١ صوتاً مقابل ٢٦١٠ نالها مرشح اليمين راجع : الرأي العام، دمشق ، عدد ٧ أيار ١٩٥٧ و :

- Orient, "Chroniques - Syrie" , p.257 .

(٢) – حصل الشيوعيون على رئاسة المكتب و٧ مقاعد من أصل ١٢ ، ونال البعث ثلاثة مقاعد والحزب الوطني مقعداً واحداً . راجع :

- F. Chevalier, "Forces en presence dans la Syrie d'aujourd'hui" , Orient, No4, 1957, p.181.

ومرّت الميزانية دون اعتراض ، وتمثل نجاح المعارضة الوحيد في قبول الحكومة إلغاء الأحكام العرفية ، ولم يتم ذلك حتى ٢٢ تموز [١] .

العزلة السورية : بينما كانت سورية تتخبط في أزماتها الداخلية، دخلت في متاهات العزلة عن محيطها، فقد أزكت السياسة الأمريكية من جديد الصراعات العربية – العربية ، وأججت التوترات الخطرة بين الدول الشرق – أوسطية التي التزمت سياسة الحياد وتلك التي انحازت إلى مبدأ ايزنهاور .

في ١٠ آذار أعلن البيت الأبيض أن مساعد رئيس الجمهورية لشؤون الشرق الأوسط السيد(James Richards) سيقوم بجولة على أقطار الشرق الأوسط ليشرح أهداف مبدأ ايزنهاور ومزاياه ويطّلع على آراء الحكومات المحلية بشأنه ... وهكذا خطت واشنطن خطوتها الأولى للحؤول دون إحرازالسوفيات أي تقدم في منطقة كانت تعدها حيوية لأمن العالم الغربي.

كانت باكورة نجاحات المبعوث الأمريكي في لبنان حيث كان شارل مالك وزير الخارجية اللبناني ، قد نصح شمعون أن يكون لبنان أول بلد عربي يوافق على مبدأ ايزنهاور ، وعليه أعلنت الحكومة اللبنانية في ١٦ آذار قبولها بالمبدأ دون تحفظ ، ومن ثم اصطف العراق إلى جانب لبنان بعد دخول الولايات المتحدة في ٢٤ آذار في اللجنة العسكرية لحلف بغداد ، ومن ثم راحت المساعدات العسكرية والمالية تتدفق على هاتين الدولتين ، " وتحولت بيروت إلى مركز إدارة جميع النشاطات السرية لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية " [٢] .

أثار وصول المبعوث الأمريكي إلى المنطقة ردود فعل متناقضة لدى القيادات السياسية السورية ، فبينما أعلن العسلي أن حكومته مستعدة للاصغاء إلى شروحات السيد ريتشارد ودعت الصحف اليمينية إلى التفاهم معه في أجواء ودية ، قاد اليسار السورية حملة ضد سياسة الولايات المتحدة الجديدة ، وراح يشدّد على تعزيز سياسة الحياد

---

(١) – F. o/ 371/ 134381/ Annual Report on Syria in 1957 . No16. Beirut . Feb 6 , 1958 , p.2 , cf. G. Torrey, Syrian Politics . p.352. T. Petran , Syria , p.120 .

(٢) – ولبركراين ايفلاند ، حبال من رمل ، ص ٤٣٤ .

الإيجابي [١] ، وبعد أن أعلن ريتشارد في ٢٠ آذار أنه لن يزور بلاداً حكومتها غير ممثلة بشكل واف ولا قادرة على تفهم شروحاته [٢] حاولت الحكومة السورية التوصل إلى تفاهم مع المبعوث الأمريكي ، فوجهت إليه الدعوة تلو الأخرى لزيارة دمشق [٣] .

وجاء الإنقلاب على الحكومة في الأردن ليخنق الأصوات المؤيدة للغرب في سورية وليدفع بمصر إلى تكثيف ضغوطها للتوصل إلى سيطرة حاسمة في الشؤون السورية .

ففي ٢٠ نيسان نفذ الملك حسين ما عُرف بانقلاب الزرقاء ، فأسقط حكومة النابلسي وسجن بعض وزرائه ، وأمسك بزمام الجيش . وهرب علي أبو نوار وعلي الحياري إلى سورية ، وفي مساء ذلك اليوم ، أذاع الملك حسين أن الأردن مهدد من قبل الشيوعية الدولية ، فأمر الرئيس ايزنهاور الأسطول السادس بالتقدم إلى شرقي المتوسط [٤] .

---

(١) – راجع : الشرق ، دمشق ، عدد ١٩ آذار ١٩٥٧ ، النور ، دمشق ، عدد ١٧ آذار ١٩٥٧.

(٢) – راجع التصريح في صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ٢١ آذار ١٩٥٧ ، ورد عليه الحوراني بالقول إن سورية ، هي مفتاح الشرق الأوسط وأن عدم رضوخها للامبريالية يعني أيضاً عدم رضوخ باقي الدول العربية المتحررة والقومية . راجع صحيفة البعث ، عدد ٢٣ آذار ١٩٥٧.

(٣) – في ١٣ نيسان أعلن البيطار أن سورية وجهت دعوة رسمية إلى السيد ريتشارد لزيارة سورية، وفي ١٧ منه نفى المبعوث الأمريكي تلقيه هذه الدعوة . راجع :

- L'Orient, Beyrouth, 18 April 1957 .

وفي ١٨ منه أبلغت الحكومة السورية سفارة الولايات المتحدة أنها لا تعترض على زيارة السيد ريتشارد . راجع : الأيام ، دمشق ، عدد ٢٢ نيسان ١٩٥٧ ، وفي ٨ أيار أعلن ناطق باسم الخارجية السورية أن الحكومة وجهت مذكرة إلى سفير الولايات المتحدة بدمشق تعلن فيها استعدادها لزيارة المبعوث الأمريكي . وفي ١٤ منه ردّ السيد ريتشارد قائلاً : " ان الدعوة غير مشجعة بشكل كاف ". وفي ١٩ منه وجهت الحكومة الأمريكية مذكرة إلى الحكومة السورية تعلن فيها أنها جاهزة للدخول في مباحثات مع السوريين بواسطة الأقنية الدبلوماسية العادية . راجع :

- Orient, Paris, "Chroniques - Syrie" , No3, 1957, p.258 .

(٤) – منذ ١٠ نيسان سرت إشاعات بأن زمرة الضباط الناصريين والبعثيين بزعامة علي أبو نوار تعتزم القيام بانقلاب عسكري ، بعدما طالب الملك حكومة النابلسي بتقديم استقالتها ، ويبدو أن انقسام المواقف قد أعاق تنفيذ المخطط . وعندما رفضت حكومة النابلسي مبدأ ايزنهاور ، قام الملك حسين

في ٢١ نيسان طالب الملك حسين بانسحاب اللواء السوري المتمركز في الأردن منذ حرب السويس ، علماً بأنه لم يتحرك قط لمساعدة حكومة النابلسي ، فانسحب إلى منطقة المفرق ، على مقربة من الحدود السورية . وراح يتعرض لاستفزازات الجنود السعوديين الذين ساهموا في قمع التحركات المعادية لانقلاب الزرقاء . وكادت هذه الاستفزازات اليومية أن تؤدي إلى صدامات لولا تدخل الرئيس القوتلي [١] .

تابعت الحكومة أحداث الأردن باهتمام بالغ ، وفي ٢٥ نيسان توجه القوتلي على رأس وفد إلى القاهرة للتباحث مع عبد الناصر حول الوضع الأردني . ومنها زار الرياض حيث لم يلق الترحيب المعهود وذلك لتأزم العلاقات بين الرياض والقاهرة المتهمة من قبل الملك سعود بتدبير مؤامرة لاغتياله ، ومن الرياض عاد القوتلي إلى القاهرة لاصلاح ذات البين بين عبد الناصر وسعود [٢] . وإلى القاهرة توجه العقيد عفيف البزري وبرفقته عبد الله الريماوي وزير الخارجية في حكومة الأردن السابقة وضابط أردني رفيع المستوى في محاولة لإقناع عبد الناصر وعامر بضرورة تحريك الفرقة السورية لمساعدة الوحدات الوطنية في الجيش الأردني لإعادة الحكم الساقط ، وقد رفض القادة المصريون إقحام السوريين في الوضع الأردني الداخلي لئلا يكون في ذلك حجة لتدخل الولايات المتحدة في سورية [٣] . " وفي ٢٥ أيار عاد اللواء السوري إلى البلاد ورفضت الحكومة السورية دفع حصتها من الإعانة المالية إلى الأردن وأزاحت بذلك عبئاً ثقيلاً عن عاتق الإقتصاد السوري المنهار " [٤] .

وعزل النابلسي ووجه خطاباً من الإذاعة اتهم فيه هذه الحكومة بالشيوعية عندئذ أنذر الضباط الملك بنشر أسماء الوزارة الجديدة في نشرة أخبار التاسعة مساء يوم ٢٠ نيسان ، فرد الملك بمساعدة الموالين له من الضباط الجنود بانقلابه في نفس الساعة فسجن بعض الضباط وشتت شمل الباقين . حول هذه الأحداث راجع : الصحافة السورية الاعداد من ٢١ - ٢٥ نيسان وراجع ما كتبه ، الفريق عفيف البزري ، في : الناصرية في جملة الاستعمار الحديث ، دمشق ١٩٦٢ ، ص٢٨٦ - ٢٩٤ .

(١) - حول هذه النقطة راجع عفيف البزري ، م . ن ، ص ٢٩١ ، ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٢) - تفاصيل هذه القضية في مذكرات خالد العظم ، ج٢ ، ص٥٠٤ - ٥٠٦ .

(٣) - البزري ، الناصرية .. ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٤) - F. o/371/134381/ Annual Report on Syria in 1957, No16, Beirut, Feb 6 , 1958 - p. 7 .

أصبحت الأردن مثل لبنان ضحية الدعاية السورية اليسارية المنظمة ، ومثلما استخدم السوريون ما أتيح لهم من وسائل لتدمير الحكومة اللبنانية ، كذلك باشروا بأعمال مماثلة وبقوة ونشاط في الأردن ، ولم تتردد الصحف البعثية والشيوعية في توجيه نقد جارح للملك ولا في تحريض الشعب ضده ، وقد نظّم الطلاب ، بتوجيه من اليسار السوري تظاهرات احتجاج على " خيانة حسين " الذي يفرض مبدأ ايزنهاور والامبرياليين على شعبه [1] .

وبالمقابل وقفت الفعاليات اليمينية تدافع عن سياسة الملك الهاشمي وتبرر موقفه ، فقد كشفت صحيفة المنار أن أكرم الحوراني توجه سراً إلى عمان لتنظيم مؤامرة لاغتيال حسين ، ورأت الصحيفة المحافظة " أن من المعيب إثارة الرأي العام ضد عاهل هدف إلى حماية شعبه ومملكته بابعاد العناصر المشبوهة عن السلطة " [2] .

أفرزت أحداث الأردن تبدلات في العلاقات السورية – السعودية ، فقد أثارت روابط الرياض الوثيقة مع واشنطن الشك لدى القادة السوريين اليساريين بأن الملك سعود يحاول فرض مبدأ ايزنهاور في المنطقة ، وجاء انغماس الرياض في انقلاب عمان ، ومساعي الملك سعود المتكررة لتغيير اتجاه السياسة السورية ليثير رد فعل معادياً للسعودية في الأوساط اليسارية السورية المدنية منها والعسكرية ، وبدأت الصحف الناطقة باسم هذا الإتجاه تُلمح إلى تعاون حكومة الرياض مع الإدارة الأمريكية لصالح إسرائيل والامبريالية ، وعلى أثر المباحثات التي جرت بين الملكين سعود وفيصل في بغداد في منتصف أيار شدد اليسار السوري حملته الإعلامية على الملك سعود واتهمه بالعمل على فتح ثغرة في صف الدول العربية المتحررة [3] .. ومع ذلك احتفظ سعود بشعرة معاوية

---

[1] – صحيفة البعث ، عدد ٢١ نيسان وصحيفة الرأي العام ، عدد ٢٧ نيسان ، ١٩٥٧ .

[2] – المنار ، دمشق ، عدد ٢١ نيسان ١٩٥٧ . الأيام ، دمشق ، عدد ٢٢ نيسان ١٩٥٧ .

[3] – كتب ميشيل عفلق : " إن السعودية ، ليست دولة حيادية ، وإن التعابير التي استخدمها قادة العراق والسعودية في هذا اللقاء حول الكفاح ضد المبادئ الهدامة تعني الكفاح ضد الشيوعية وأيضاً ضد السياسة القومية في البلاد العربية المتحررة " . راجع : صحيفة البعث ، عدد ٢٠ أيار ١٩٥٧ .

في علاقاته مع السوريين ، هذا وقد شكلت شعبيته في بعض الأوساط السياسية السورية عائقاً جدياً أمام تطلعات اليسار السوري .

في ١٥ حزيران أثار خالد العظم أزمة مع السعودية ، وذلك عندما هاجم في تصريح صحفي الملكين سعود وحسين واتهمهما بالعمالة للأمريكان وأنذر سعوداً بإيقاف تدخله في شؤون سورية الداخلية ، فرد سعود بتجميد جميع الممتلكات السورية من سندات وأسهم شركات في المملكة السعودية ، وقطع العلاقات مع سورية ، هذا وقد رفض العظم توسط القوتلي للتراجع عن تصريحه أو تعديله ، فحاول القوتلي إقصاء العظم عن الوزارة وفشل ، وفي ٢٨ منه قام الحوراني وأدلى بتصريح مشابه لتصريح العظم وذلك للتأكيد على انتهاء دور السعودية في سورية [1] . وبفضل توسط المصريين ، وحرصاً على احتفاظ القوتلي ، صديق السعوديين، ببعض نفوذه ، أعادت الرياض علاقاتها الدبلوماسية مع دمشق ، إلا أن تلك الأحداث أقنعت العاهل السعودي بألا يتوقع إمكانيات كبيرة للتعاون مع النظام السوري القائم .

مقابل تأزم العلاقات بين سورية وجيرانها لبنان والأردن والعراق والسعودية ، نمت علاقاتها باضطراد مع مصر ، وسعى عبد الناصر لتأمين سيطرة حاسمة على السياسة السورية ، ونشط عملاؤه في دمشق لنشر شباكهم في كل دائرة وبين كل فئة وكل حزب : وفي هذا السياق قام محمود رياض يشدد على أهداف عبد الناصر القومية التحررية وينبه إلى ضرورة استيعاب النفوذ الشيوعي وتقليصه ، بينما راح مستشاره في السفارة السيد غازي رضوان ، الذي كان على صلات وثيقة مع رجال الأعمال والساسة المحافظين ، يؤكد في تلك الأوساط أن الرئيس عبد الناصر قادرٌ على وضع حدٍ لدور الشيوعيين في سورية تماماً كما فعل في مصر . ونشط عبد المحسن أبو نوار الملحق العسكري المصري ومساعده أحمد زكي في أوساط الضباط القوميين ، وراحا يديران بمهارة فائقة شبكة المخابرات المصرية في الجيش السوري [2] . كذلك حقق المصريون

---

[1] – راجع : العظم ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٥٠٦ – ٥٠٧ . صحيفة الأيام ، عدد ١٧ و ٢٢ حزيران ١٩٥٧ .

[2] – راجع عفيف البزري ، الناصرية .. ، Passim وراجع :
- T. Petran, Syria , p.120 - 121 .

هدفاً صائباً عندما توصل القوتلي إلــى الاقتنــاع بـأن الجيش السـوري لـن يتسـامح مــع أي سياسي يُعلن انحيازه إلى الغرب ، فأدار وجهه مرغماً عن أصدقائه فـي الريـاض والتفت إلى القاهرة طالباً المساعدة لتحطيم جبهة " التجمع القومي " .

بدأت ملامح التصدع تظهر داخل الجبهـة بيـن حلفـاء القـاهرة المؤيديـن لعلاقـات طبيعية مع واشـنطن ، وبيـن خـالد العظـم ومناصريـه اليسـاريين المتطرفيـن ، وقـد اتسـع الصدع عندما وقّع خالد العظم اتفاقية التعاون الاقتصادي مع السوفيات .

سورية تجنح نحـو المعسكر الشرقي : فـي السـادس مـن آب ، وإثـر مباحثات جرت منذ ٢٥ تموز بين خالد العظـم والقـادة السـوفيات ، أصـدرت وكالـة تـاس مذكرة تُعلن فيها أن الحكومة السـوفياتية ترغـب فـي المسـاهمة بتنميـة الاقتصـاد السـوري وستعمل على تحقيق أماني السـوريين فـي المشـاريع التـي عرضـوهـا لبنـاء قطـاع السـكك الحديدية والطرق والري ومحطات توليد الطاقة الكهربائية ومعامل .. وغيرها وعلى هـذه الأسس تمّ مبدئياً تحضير اتفاق بين الدولتين [١] .

علل مراقب دقيق هذا التوجه السوري كالآتي : " إن تعاون القـادة السـوريين مـع الإتحاد السوفياتي هو تعبيرٌ عن عدائهم الفطري للغـرب ، وعـن ثقتهـم بموسـكو ، ولأنهـم طموحون وتواقون لإنجاز خططهم الإنمائية التي تفوق بكثير طاقة البـلاد ، وأيضـاً لثقتهـم بمواهبهم التجارية وقدراتهم على التوصل إلى ما يعتقدونه صفقة تجاريـة رابحـة ، وعليـه ليس بمسـتغرب ولا مفـاجئ قبولهـم بالمساعدات السـوفياتية .. لقد بـرروا فـي السـابق استيرادهم للأسلحة الشيوعية بالخوف من التهديد الإسرائيلي للسيطرة على الشرق الأوسط وبرفض الغرب تزويدهم بما يريـدون مـن السـلاح.. ثـم جـاء موقـف الـروس مـن قضيـة السويس .. ليؤكد للسوريين أن التعاون مع موسكو سيكون حتماً لصالحهم . واستغلت هذه المقولات بعض العناصر داخـل الحكومـة ، إمـا لأسـباب عقائديـة أو لمصـالح شـخصية ، لتدفع بسوريـة إلى أحضـان الشيوعيـة ، ومن الواضـح جـداً أن تلـك كـانت سياسـة أقليـة

---

(١) - H. Carrered l'Encausse, la Politique Sovietique .. p.106 .

من القادة السوريين ، وحتى البعث ذاته كان يبدو حذراً من توسع النفوذ الشيوعي في سورية " [1] .

في أجواء الاضطرابات السياسية الداخلية ، شهدت العلاقات السورية السوفياتية منذ مطلع العام ١٩٥٧ نمواً مضطرداً [2] . ففي نيسان افتتح العظم مباحثات مع السفارة السوفياتية حول إمكانية حصول سورية على المساعدات الإقتصادية والعسكرية السوفياتية، وحسب تقارير الخارجية البريطانية ، عقدت الحكومة السورية اتفاقاً عسكرياً مع موسكو في ١٠ حزيران ، وقد أبلغ صبري العسلي رئيس الوزراء السوري سفير الولايات المتحدة بدمشق بعض بنوده مثل : ١) – عدم السماح للولايات المتحدة باستخدام القواعد السورية ٢) – تمتنع سورية عن القيام بأي تحرك دفاعاً عن أية دولة عربية تتعرض لما يُسمى " تهديداً من قبل الشيوعية الدولية " ٣) – تتعهد سورية بألاّ تسمح لأية قوة عربية باستخدام أراضيها أو قواعدها العسكرية ٤) – سيتلقى السوريون بالمقابل شحنات كبيرة من الأسلحة [3] . وبدورها مارست واشنطن ضغوطاً مكثفة ضد النظام السوري ، فمع تحركات الأسطول السادس على مقربة من الشواطئ السورية ، حشدت تركيا ، العضو في حلف الناتو ، فرقها على طول حدودها الجنوبية مع سورية ، وراحت قواها الجوية تنتهك الأجواء السورية مراراً ، وسرت إشاعات حول احتمال حدوث هجوم تركي على الأراضي السورية ، وقدمت سورية في ١٣ أيار شكوى رسمية لدى السفير التركي في سورية ، فردت تركيا بأن الأمر ليس إلا مناورات عادية ومن ثم سحبت جيوشها [4] . كما لجأت الولايات المتحدة إلى الضغوط الإقتصادية لتحطيم الحكومة

---

(١) – - F. o/371/134381/ Annual Report on Syria , From G.H. Middleton to s. Lioyd , No16, Feb6, 1958 , p.5 - 6 .

(٢) – في كانون الثاني ١٩٥٧ تسلم السوريون نفطاً من السوفيات لسد النقص في الطاقة الذي عانى منه السوريون بعد تخريب أنابيب نفط كركوك ، واستقبل الشعب هذه المبادرة الكريمة بكثير من التهليل. راجع : صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ١٩٥٧/١/٥ .

(٣) – - F.o/371/128241/ Sec tele From Anman to Levant Department . No26, 12 June 1957 .

(٤) – حول تفاصيل هذه الأزمة راجع : صحيفة الصرخة ، دمشق ، عدد ١٥ أيار . وصحيفة الرأي العام، دمشق ، عدد ١٦ أيار ١٩٥٧ وأيضاً :

السورية ، فسدت في وجه سورية أبواب تصدير إنتاجها الزراعي والصناعي ، وعمدت إلى مزاحمة القمح السوري في أسواق تصديره التقليدية ، مثل (إيطاليا واليونان) ، كما أوعزت إلى حكومات حلفائها الغربيين بعرقلة شراء المحاصيل الزراعية السورية ، آنذاك كانت سورية ترزح تحت وطأة أزمة اقتصادية وذلك نتيجة الإجراءات التي اتخذتها الحكومات السورية لتسويق انتاجها إلى دولة الكتلة الشرقية لتسديد أقساط مشترياتها من الأسلحة والمعدات العسكرية ، وبذلك افتقرت البلاد إلى العملات الصعبة التي كانت تردها من أسواق فرنسا وبريطانيا ، كما ناءت الميزانية السورية تحت عبء مستحقات عقود شراء الأسلحة التي بلغت قيمتها ثلث الدخل القومي . وفي أوائل تموز وعد العسلي رجال الأعمال السوريين المتذمرين من الوضع بإبقاء التجارة والصناعة خارج إطار السياسة ، وبإرسال بعثات للتفتيش عن أسواق جديدة [1] . إلا أن سياسة التوجه نحو موسكو كان لها الغلبة ، ففي ٢٤ تموز وبدون أن يتخذ مجلس الوزراء السوري قراراً رسمياً بهذا الشأن ، توجه إلى موسكو وفد برئاسة خالد العظم ضم فاخر الكيالي وزير الأشغال العامة واللواء توفيق نظام الدين رئيس الأركان العامة والعقيد أمين النفوري لإجراء مباحثات مع القادة السوفيات حول إتفاقية مساعدات إقتصادية وعسكرية . هذا وقد تناولت مباحثات الوزراء السوريين مع السيد كوسيغين القضايا الإقتصادية وتولى الضباط الشؤون العسكرية مع العسكريين السوفيات ، وفي ٦ آب بثت الإذاعة السورية نبأ التوصل إلى اتفاقية تعهد بموجبها الإتحاد السوفياتي تنفيذ مشاريع التنمية في سورية [2] ، ووجه العظم لدن عودته إلى دمشق بياناً إلى الشعب تحدث فيه عن المشاريع التي سيساهم الإتحاد السوفياتي في تنفيذها لإنماء الإقتصاد السوري ، وعن حل مسألة تسديد أقساط الأسلحة بما تنتجه البلاد من فائض زراعي وبشروط متساهلة جداً ، وشدد العظم على أن الإتفاق لا يلزم البلاد بأي قيد مهما كان نوعه ولن يترتب عنه أي تدخل سوفياتي في الشؤون السورية ولا أية تعهدات سرية ، وندد العظم في بيانه بالبنك الدولي ووصفه بأنه مؤسسة لخدمة سياسة الدول الغربية ، كما هاجم الشركات الصناعية الغربية التي تستغل الدول النامية ، وختم

- Orient . Paris. "Chroniques- Syrie". No3 . 1957. p.257.

(١) – راجع تصريحه في : صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٢٧ حزيران ١٩٥٧ .

(٢) – راجع النص في : م . ن ، عدد ١٧ آب ١٩٥٧ .

البيان بتوجيه جزيل الشكر والعرفان لحكومة الإتحاد السوفياتي والثناء على أعمالها الإيثارية لإنعاش دول مثل سورية دون أن يقترن ذلك بما يمس السيادة والإستقلال والحرية [1] .

ومع أن هذه الإتفاقية لم يبرمها مجلس النواب السوري حتى السادس من تشرين الثاني [2] إلا أنه ترتب عنها تغيرات مباشرة في الحياة السياسية السورية ، فبعد الإعلان عنها ببضعة أيام تمّ الكشف عن ما عُرف " بالمؤامرة الأمريكية على النظام السوري " . وتلا ذلك تبدلات عميقة في ميزان القوى داخل المؤسسة العسكرية لتبدأ على الأثر الأزمة الخارجة المعروفة باسم " أزمة صيف ١٩٥٧ " [3] .

ب – أزمة صيف ١٩٥٧ :

قضيّة " هواردستون " وإفرازاتها : مساء الثاني عشر من آب أذاع ناطق باسم الجيش نبأ الكشف عن مؤامرة أعدتها الولايات المتحدة بالتواطؤ مع الرئيس الأسبق أديب الشيشكلي والملحق العسكري السوري في روما العقيد ابراهيم الحسيني للإطاحة بالحكومة وإقامة نظام مؤيد للغرب تقدم له واشنطن المعونة المالية شرط إحلاله السلام مع إسرائيل [4] .

---

(١) – راجع نص البيان في صحيفة الصرخة ، عدد ٨١٤ ، ٧ آب ١٩٥٧ ، ص ١ – ٤ ، وصوت العرب، دمشق ، عدد ٩٨٤ ، ٢٥ آب ١٩٥٧ .

(٢) – أفرد العظم فصلاً كاملاً في مذكراته ، ج٣ ، ص١٥ – ٣١ حول هذه الإتفاقية هذا وقد تمت مناقشة بنودها في مجلس النواب ، ونشرت في مذكرات مجلس النواب مجلد رقم /٣/ للعام ٥٦/٥٧، ص١٧٣ – ١٧٦ . ونص الإتفاقية في ص ٢٥٦ – ٢٦٢ .

(٣) – - G. Kirk. "the Syrian Crisis of. 1957" in International Affairs, Vol XXXVII, p.59.

(٤) – المعلومات عن هذه القضية مستقاة من المصادر التالية : مكتب الوثائق العربية ، دمشق ، وثيقة رقم٢٨٤ / تاريخ ٢٩ آب ١٩٥٧ ووثيقة رقم ٣١١ تاريخ /٢٨ أيلول ١٩٥٧ ، ووثيقة رقم ٣١٨ تتضمن وقائع محاكمات المتآمرين في ٥٧/١٢/١١ . الصحف السورية الصادرة ما بين ١٥ حتى ٣٠ آب وخاصة الرأي العام ، الصرخة ، الأخبار . مقابلة مع اللواء بديع بشور المسرح من الجيش عقب اكتشاف المؤامرة . صافيتا ، ٢٠ نيسان ١٩٩٧ . راجع ما كتبه عميل ال C.I.A. ولبركرين إيفلاند في

وحسب البيان السوري الرسمي فإن المخطط وضعه " أمهر خبرائهم في التآمر وهو المدعو هواردستون وجندت له السفارة الأمريكية بدمشق كل إمكانياتها وشارك في تنفيذ المخطط بعض موظفيها من أبرزهم الملحق العسكري روبرت مالوي ونائب القنصل فرانسيس جيتون وأعضاء من " عصابة القوميين الخونة " وبعض الضباط السوريين ، وقد انكشفت الخطة قبل البدء بتنفيذها ، وذلك عندما توجه الضباط الذين اتصل بهم الدبلوماسيون الأمريكان وأوكلوا إليهم أدواراً رئيسية وأبلغوا السلطات الأمنية بالعملية وبأسماء الأمريكان وأعادوا الأموال التي أغروهم بها ، وحسب شهادة أحدهم أنه قد تم لقاء بينه وبين الحسيني الذي دخل دمشق متنكراً وبجواز سفر سعودي وراح يقنع الضابط أن من مصلحة سورية قيام نظام موالٍ لواشنطن " وأنه اتفق مع السلطات الأمريكية المختصة للحصول على معونة مالية تتراوح بين ٣٠٠ – ٤٠٠ مليون دولار وأن أمريكا قد وافقت على أن نهاجم لبنان ونحتله ثم سننظر في أمر الأردن فالعراق . وشهد ضابط آخر أنه التقى بأديب الشيشكلي في منزل يعود لأحد الأمريكيين وأن الشيشكلي قال له " لقد جئت إلى هنا مغامراً بدمي ولن أعود إلاّ بعد أن أصفي الأوضاع في سورية " [١] .

في ١٤ آب عمم وزير الخارجية السوري المذكرة التالية : " استقبل أمين عام الوزارة في ١٣ آب القائم بأعمال السفير الأمريكي بدمشق وأعلمه أن الحكومة السورية ترغب بمغادرة ثلاثة أمريكيين موظفين في السفارة الأراضي السورية خلال ٢٤ ساعة ". ومساء أمس غادر هؤلاء إلى بيروت ، ومن ثم بدأت حملة اعتقال السوريين المتهمين بالتواطؤ [٢] .

كتابه : جبال من رمل ، ص ٥٣ – ٤٥٦ . وباتريك سيل ، الصراع على سورية ، ص٣٨١ – ٣٨٥ .
و
- G. Kirk. the Syrian Crisis.., p.58 - 59 . and Orient , Paris , No4 , 1957 , Documents , p.220 - 222. and G. Torrey, Syrian Politics .. , p.365 – 366 .

(١) – نشرت صحيفة الصرخة الحديث الذي بثته الإذاعة السورية مع الضابط عبد الله الشيخ عطية الذي كشف المؤامرة راجع عدديها : ٨١٢ و ٨١٤ في ١٥ و ١٧ آب ١٩٥٧ .

(٢) – - F. o/ 371/ 128245 / tel From Beirut to F.o , No849, Aug 15/1957 .

في ١٤ آب نشرت حكومة واشنطن مذكرة أعربت فيها عن الأسف : " لاتخاذ سورية موقفاً عدائياً تجاه بلادنا انعكس في تصريحات رسمية حول السياسة الأمريكية ووصل هذا الموقف الأوج في ١٢ آب في التهمة الملفقة بوضوح تام لإقحام الولايات المتحدة في مؤامرة ضد الحكومة السورية .. ومع أننا نرغب في الحفاظ على علاقات الصداقة مع سورية إلا أن هذا الموقف أجبر الولايات المتحدة على اتخاذ بعض الخطوات فاستدعت وزارة الخارجية القائم بالأعمال في السفارة السورية ووجهت إليه احتجاجاً عنيفاً ضد تصرفات حكومته وادعاءاتها الأخيرة وسلمته مذكرة تعلن فيها أن السفير السوري فريد زين الدين والمستشار د. ياسين زكريا غير مرغوب بهما ولما كان سفيرها (J.S. Moose) قد غادر دمشق في ٣٠ تموز فلن يعود إليها ثانية " [١] .

ردّ وزير الخارجية السوري على الموقف الأمريكي في مؤتمر صحفي أعرب فيه عن أسفه لكون " الحكومة الأمريكية لم تفهم الفكر السياسي العربي المتحرر " وتحدث عن أهداف السياسة الأمريكية وأغراضها الإستعمارية المتمثلة بمبدأ ايزنهاور " الذي طُرح كحجة ضد الشيوعية وهدفه تجزئة العالم العربي وتجريده من استقلاله وجعله فريسة سهلة أمام الصهيونية " وبعد أن انتقد البيطار العمل الدبلوماسي الأمريكي المشبوه قال " ليس من المستبعد طرح موضوع المؤامرة أمام المجالس الدولية " [٢] وفي ٢٠ آب قدمت الحكومة السورية شكوى إلى الأمم المتحدة تتهم فيها الولايات المتحدة بالتآمر على النظام السوري " [٣] .

عقب ذلك ، وفي قلب المؤسسة العسكرية السورية جرت تبدلات جوهرية : ففي ١٥ آب أجبر رئيس الأركان العامة توفيق نظام الدين على تقديم استقالته ، ولم توجه إليه تهمة محددة بل كان عزله لمقاومته مطلب الجناح اليساري بطرد ضباط غير مدانين بالتواطؤ بل لاعتبارات سياسية [٤] ، وتولى عفيف البزري رئاسة الأركان بعد أن رفع

---

(١) - F.O.371 .. From Department of State to the press . Washington. 14/8/1957 .

(٢) - راجع وقائع هذا المؤتمر المنعقد في ١٩ آب في صحيفة الأخبار ، دمشق ، عدد ٤٤٩٩ ، ٢١ آب ١٩٥٧ .

(٣) - Newyork times. August 22 . 1957 .

(٤) - راجع صحيفة الأخبار ، دمشق ، عدد ٤٤٩٢ ، ٢١ آب ١٩٥٧. وعدد ٤٤٩٠/ ١٧ آب ،

إلى رتبة لواء ، وعزل مساعد رئيس الأركان الزعيم عزيز عبد الكريم وحل محله أمين النفوري بعد أن رفع إلى رتبة لواء وشمل التطهير كلاً من : فيصل الأتاسي ، محمود شوكت ، محمد الداغستاني ، بديع بشور ، عمر قباني ، هشام السمّان ، سهيل العشي [1]. وعليه انتهى دور التشكيلات القديمة التي استطاعت أن تحافظ على بعض نفوذها في العامين الماضيين وتسلم السلطة في الجيش فريق جديد على رأسه قائد متهم بالشيوعية وضباط مناصرون لحزب البعث وآخرون لعبد الناصر كما سيطر هذا الفريق على المراكز الحساسة في الشرطة والأمن العام [2] .

وثانية خابت آمال السراج ، رغم دوره الهام في التخلص من الزمرة اليمينية ، عندما احتل البزري المنصب الذي طالما خطط للتوصل إليه . وجاء اختيار البزري لرئاسة الأركان تأكيداً لروابط العظم مع السوفيات . فقد كان رئيس الأركان الجديد يسارياً، وقد لفت انتباه الشيوعيين وهو يحضر دورات عسكرية في فرنسا العام ١٩٥٥ ، ومن المرجح أنه كان عضواً منظماً في الحزب الشيوعي ، وعليه رمى العظم بثقله وراءه وفضله على السراج [3] .

أتاحت قضية المؤامرة الأمريكية لأصدقاء السوفيات التخلص بضربة واحدة من كبار الضباط اليمنيين ومن ضباط ال C.I.A. الذين كانوا يسعون لتحريك اتجاه داخل

والحياة ، بيروت ، عدد ١٧ آب ١٩٥٧ .

(١) – وضع هؤلاء الضباط تحت الإقامة الجبرية مدة شهر ثم صدر مرسوم احالتهم على التقاعد وترقيتهم إلى رتبة لواء . وكانوا بين سن ال ٣٥ – ٤٠ . نقلاً عن اللواء بديع بشور : صافيتا ، ٢٠ نيسان ١٩٩٧ .

(٢) – كان الضباط المسرحون من كبار مناوئ الشيشكلي عندما كان في السلطة ومن الذين لعبوا دوراً في الإطاحة بنظامه ، أما الذين تسلموا أعلى المناصب " فكانوا من صنائع الديكتاتور ومن كبار أعوانه وقد شكل هؤلاء مجلساً عسكرياً ضم ٢٣ ضابطاً من أبرزهم : السرّاج ، مصطفى حمدون ، طعمة العود الله ، أحمد عبد الكريم ، عبد الغني قنوت ، أكرم الديري ، جادو عزالدين وعفيف البزري " راجع : مطيع السمّان ، وطن وعسكر ، ص٨٦

- G. Torrey "the Military in the Middle East" in S. N. Fisher ed, p.62 .

(٣) – - E. Be'eri, Army officers .. , p.133 -134 cf. G. Kirk "the Syrian crisis of 1957", p.59 .

الجيش لمقاومة التقارب مع السوفيات . وقاموا باتصالات مع بعض الضباط السوريين بقصد تقصي الأوضاع ثم وضع الخطط الملائمة لتحويل مجرى سياسة سورية الخارجية، ولم يتعد الأمر هذا الحد ، والدليل الساطع ، عدا عن تركيبة القصة غير المحبكة ، أنه لم يقدم أي من الضباط المسرحين إلى المحاكمة لينال جزاء تآمره على النظام (١) .

بعد ١٦ آب أمطرت أجهزة الإعلام الغربي الأحداث السورية بوابل من المقالات المكثفة حول التهديد والخطر الشيوعي في سورية ، وفسرت كبريات الصحف الغربية ما جرى في المؤسسة العسكرية على أنه " انقلاب عسكري شيوعي لا يمكن السكوت عنه " في ٢٠ آب عنونت le Figaro " في سورية ، الجيش والحكومة في أيدي الشيوعيين " وتحدثت صحيفة Newyork Herold tribune " في عددها الصادر في ٢٥ آب عن قيام انقلاب أحمر في سورية ، وكتب مراسل صحيفة Newyork times في بيروت : "إن سورية الآن في المعسكر السوفياتي ، ولم يعد ينقصها سوى الشكل النهائي الذي تتخذه السلطة الشيوعية الحاكمة " (٢) .

وتحت عنوان " التبدلات في سورية " كتب مراسل صحيفة Manchester Guardian في عددها الصادر في ٢٤ آب : " إن الزمر اليسارية في الجيش السوري قامت بعمل مشترك ومركّز لإقصاء منافسيها ، وقد أصبح هؤلاء ، بعد عودة الوفد السوري من موسكو ، واثقين بأن الوقت قد حان لخطوة جديدة .. وعليه كان الكشف عن مؤامرة من أنسب الوسائل لتبرير إعادة الأحكام العرفية التي ألغيت مؤخراً ، وقد خسر

---

(١) - بموجب القرار النهائي للمحكمة العسكرية بدمشق التي نظرت في هذه القضية والصادر في ٥٨/٢/١٢ حكم على الشيشكلي والحسيني غيابياً بالسجن المؤبد وطرد الحسيني من الجيش ، وحكم على عشرة مشاركين مدنيين وعسكريين بالسجن مدة أقصاها ستة أشهر راجع : مكتب الوثائق العربية بدمشق ، وثائق أمن دولة ، وثيقة رقم ٣١ وأيضاً :

- Orient, Paris, No8, 1958 , p.282 - 284 .

(٢) - راجع تحليلات الصحف الغربية لأحداث آب مترجمة إلى العربية في : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، مجموعة " وزارة الخارجية " قسم " تقارير الصحف والمجلات " حافظة رقم /٢/ وثائق رقم ١٠ من ٢٠ - ٣٣ وثيقة . راجع أيضاً

- Articles et Documents dans "la Documentation francaise" Series . No545 du 20 Out 1957, et No546 du 22 Aout . et No 547 du 24 Aout et No550 du 31 Aout .

عدد من الضباط مراكزهم .. ويقال أن بعضهم اعتقل .. وحل في رئاسة الأركان أعظم مؤيدي الاتصال بموسكو حماسة .. فهل تعني هذه الحوادث أن سورية الآن دولة تدور في فلك السوفيات ؟ – ردّ كاتب المقال – " لقد ظهر في الشتاء الماضي أن مثل هذه المخاوف مبالغ فيها لكن من المحقق أن الأسلحة السوفياتية تدفقت على سورية قبل التبدلات الأخيرة بمدة طويلة ومعظم السوريين مبتهجون بذلك هذا وإن ورود تلك الأسلحة مفيدٌ سياسياً ، مثل المؤامرات الأمريكية ، لأولئك الذين يريدون توثيق العلاقات مع الروس بصرف النظر عن فوائد هذه الأسلحة ، وسواء كانت حوادث المؤامرة ملفقة أم غير ذلك ، وسواء كان الجيش الأحمر قد ربح موطئ قدم في الشرق الأوسط أم لم يربح، فلاشك قط أن الإتحاد السوفيات قد أحرز نصراً دبلوماسياً دون أن يحرك إصبعاً واحدة، فما هو رد مبدأ ايزنهاور على ذلك " [1] .

لم يتأخر الرد قط ، فما إن أعلن عن المؤامرة والحصار الذي فرضته حكومة دمشق على السفارة الأمريكية هناك ، حتى سارع السيد دالس ، وزير الخارجية الأمريكية، من جزيرة دوك إلى واشنطن إلى الاجتماع بالرئيس ايزنهاور وبسفير بريطانيا في الولايات المتحدة لتدارس المستجدات في سورية . وعلق السفير البريطاني أمام الصحف قائلاً : " إن ما يجري في سورية هو سير نحو موسكو " وأعلن دالس " أن سورية وقعت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي بموجب الشروط التي طرحها مبدأ ايزنهاور " وصنَّفت الدوائر الدبلوماسية في واشنطن التطور الأخير في سورية بأنه أخطر حدث في الشرق الأوسط منذ تأميم القناة " [2] .

في مؤتمر صحفي عقده الرئيس ايزنهاور في واشنطن في ٢١ آب رد على الأسئلة التي طُرحت حول سورية قائلاً : " هناك حدود لمدى قدرتنا على التدخل في الشؤون الداخلية لبلاد أخرى .. إن الوضع في سورية هو أننا اتهمنا بعدة أمور هي ستار من دخان لذر الرماد في عيون شعب لديه ميول يسارية ويحاول بناء قوته الذاتية .. إن

---

(١) – راجع النص منقولاً إلى العربية في : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، الخارجية / قسم " تقارير الصحف والمجلات " حافظة رقم ٢ وثيقة رقم خ/١٠/٢٨ .

(٢) – مديرية الوثائق التاريخية ، وثائق دولة ، الخارجية/ قسم تقارير الصحف والمجلات ، حافظة رقم(٢) وثيقة رقم خ/١٠/٢٨ .

الإتحاد السوفياتي يحاول زرع نفسه في سورية مستغلاً قوة المجرى القومي فيها .. وسورية تشكل نموذجاً لأعماله المتمثلة في تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية ومن خلالها اختراق الدول التي تتلقاها عبر عملائه وذلك بإيصالهم إلى السلطة كي يكونوا الأداة التي تعمل بتوجيهاته " .. وقال الرئيس الأمريكي .. إنه لا يعلم إلى أي مدى توصل هذا النمط من السياسة في سورية وذلك بسبب أجهزة الرقابة هناك ، وبعد أن أعطى تفاصيل حول هذه النقطة الأخيرة رفض الكشف عن معنى التعبير الذي استخدمه عن الشعب السوري "Leftish Leanings" إلا أنه أكد أن لاشيء في سورية يبرر تدخلات تحت مبدأ حماية الشرق الأوسط من الشيوعية العالمية .. ومع ذلك فالوضع يحتاج مراقبة من قبل العالم الحر حتى لا يصل إلى وضع لا يمكن تحمله " [1] وعلى الرغم من تحفظ ايزنهاور فقد اعتبرت دمشق تصريحاته تدخلاً في شؤونها السياسية ، ورد الساسة السوريون مؤكدين التزامهم الحياد ، والتعايش السلمي وعدم التعرض لحقوق الآخرين [2] إلا أن استمرار الحملة العنيفة على البعثة الأمريكية في أجهزة الإعلام السورية ، والتي كانت جديدة على العالم العربي ، دفع إلى الجزم بأن سورية ليست حريصة مثل مصر على أن تأخذ ما تستطيع أخذه من الأمريكان والروس ، وأن البوادر الأولية تشير إلى أن أولياء الأمر في سورية قد تخلوا عن الحياد من أجل تحالف صريح مع الشرق [3] مثل هذا التحالف قد أكدته الأوساط الدبلوماسية التركية فقد ادعى الملحق العسكري التركي في موسكو بأنه حصل على نص الاتفاقية السورية – السوفياتية وملحقاتها ، وحسب هذه الوثيقة ، المختلفة تماماً عن نص مشروع الاتفاق الأصلي [4] ،

---

(1) - F. o/371/ 128245/ Mes From Washigton.No1607 Aug21/1957,Newyork times/Aug 22/1957.

(2) - راجع تصريحات البيطار والنواب : أحمد قنبر ورفيق بشور ، وعبد الوهاب حرمد في صحيفة الأخبار : عدد ٤٥٠٠ و ٤٥٠١ ، ٢٣ و ٢٤ آب ١٩٥٧ .

(3) - راجع مقال في صحيفة منشستر غاريان تحت عنوان " سورية تترك الحياد " عدد ١٩٥٧/٨/٢٢ في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، خارجية قسم " تقارير الصحف والمجلات " حافظة رقم ٢/ وثيقة رقم خ/١٠/٢٧ .

(4) - لمن يهمه الموضوع يمكنه مراجعة النص في : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٣ للعام ٥٦/٥٧ ص٢٥٦ – ٢٦٢ .

فإن الإتحاد السوفياتي يتعهد بتقديم المساعدة السياسية لإقامة " سورية كبرى " وتوسيع مساحتها على حساب لبنان والعراق وتركيا وإسرائيل ، ويتعهد بالإضافة إلى المساعدات الاقتصادية والعسكرية بتأمين التسلح اللازم للعناصر المناصرة للشيوعية في الدول المجاورة وإقامة معسكرات تدريب لهذه العناصر داخل سورية وستقدم سورية بالمقابل : ١ – التعاون مع مصر إغلاق قناة السويس وقطع أنابيب النفط إذا ما تطلبت سياسة السوفيات ذلك ، ٢ – نشر الدعاية الشيوعية ومحاربة الغرب في الإذاعة والصحف ، ٣ – العمل للحؤول دون أن يصبح حلف بغداد أداة عمل فعّالة ٤ – دعم التحرك في قبرص للتحرر من السيطرة البريطانية والوقوف ضد قسمة الجزيرة بين اليونان وتركيا . كما تضمن الملحق التالي : " إن دولة شيوعية معادية للغرب ستقوم في سورية تدريجيا – وإذا رفض الرئيس السوري الحالي وأنصاره الفكرة فسوف يعزل ويستبدل بالكردي خالد بكداش وسيكون العظم رئيساً للوزراء والحوراني وزيراً للدفاع – وكمرحلة أولى سيتم استبدال رئيس الأركان ورؤساء الأمن بأشخاص مناصرين للسوفيات " [(١)] .

في ٢١ آب تلقت وزارة الخارجية السورية أنباء مفادها " أن واشنطن آثرت الانتظار أسبوعاً أو اثنين حتى تتبين بوضوح ما إذا كان وجود رئيس أركان موال للسوفيات ولاءً صريحاً في بلاد يسيطر عليها الجيش يعني مرحلة جديدة في الحياد أو انحرافاً نحو نظام الدولة التي تدور في فلك أخرى وأنه لو انتهى الأمر إلى الجزم بأن سورية أصبحت دولة من هذا النوع فإن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تفعل شيئاً بمفردها وأن من شأن الحكومات العربية أن تقرر ما إذا كانت تستطيع الاستمرار في ارتباطاتها مع دولة يسودها السوفيات ، ويلوح أن هذا الرأي موجه في الأغلب إلى مصر المحايدة والمتحالفة مع سورية ، وقد تلقت وزارة الخارجية الأمريكية أنباءً مفادها أن الرئيس عبد الناصر يعتقد أن سورية سارت نحو اليسار مسافة أبعد بكثير عن سياسته الحيادية " [(٢)] .

---

(١) – F. o/ 371/ 128241/ From Moscow to F. o / top Secret , No1123/ Sept 13 , 1957 - p.1 – 2 .

(٢) – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، وزارة الخارجية ، قسم " تقارير من الخارج " برقية من واشنطن في ١٩٥٧/٨/٢١ " حافظة رقم ٢/ وثيقة رقم خ/١٠/٢٦ .

في الواقع منذ الإعلان عن الاتفاق السوري السوفياتي تحوّل اهتمام الغرب نحو القاهرة التي كان من المعروف جداً بأنها قادرة على لعب دور حاسم في الأوساط السياسية والعسكرية السورية يتيح لها تقليص نفوذ الجماعات المؤيدة للسوفيات ، وفي الواقع تشارك الغرب مع القاهرة منذ منتصف آب في الاهتمام بتطور الأوضاع في سورية وبرزت فكرة الوحدة بين مصر وسورية كعلاج ناجح للقضاء على النفوذ الشيوعي وقد ورد في تقرير صادر عن الخارجية البريطانية في ١٣ آب ما يلي : " إننا نأخذ بعين الاعتبار أهمية فكرة الوحدة بين مصر وسورية ، والتي لا نحبذها لنفس الأسباب التي طرحها شارل مالك ، إلا أن أساليب عبد الناصر الدعائية أتاحت له أن يمسك بيده المبادرة في الشؤون العربية كما جعلته وحده قادراً على اتخاذ خطواتٍ حاسمة لتحويل مسيرة سياسة الحكومة السورية " [١] .

وإلى القاهرة توجه القوتلي في ١٧ آب للتشاور مع ناصر ، ووجد ناصر أكثر منه قلقاً وتخوفاً مما يجري في سورية والذي تخطى حسب رأيه نقطة الحياد التي أعلن عن تمسكه بها ، ولما كان قد انخرط في علاقات مع موسكو سابقة للعلاقات السورية معها ، خاف أن تطغي علاقات سورية على صلاته مع السوفيات ، أو أن تحصل موسكو على موطئ قدم في سورية يسمح لها بتجاوزه [٢] ، ومما أثار مخاوفه ، بخاصة ، أن تدفع المشاعر القومية الثورية لدى السوريين بسورية نحو الشيوعية ، وتصبح سورية أرضاً صالحة لنمو قومية عربية متشيعة أو شيوعية أشد خطراً على مصر من تلك التي تطلعت سابقاً نحو الهلال الخصيب ، وبالتالي كان على القاهرة أن تتحرك للحؤول دون سقوط سورية في المعسكر الشيوعي ، ولكي لا تتحول دمشق ، إلى عاصمة وطن عربي قادر على مجابهة مصر برعاية موسكو ، وكخطوة أولى نصح عبد الناصر القوتلي

---

(١) - F. o/ 371/ 128237/ Sec Rep From H. Beely to G. H. Middleton British embassador in Beirut , August 13 , 1957 .

(٢) - حول هذه الفكرة راجع ما كتبه كل من عفيف البزري في كتابه : الناصرية في جملة الاستعمار الحديث ، ص٢٩٢ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٣٠٠ - ٣٠٢ وأيضاً راجع مذكرات خالد العظم ، ج٣، ص ١٠٩ . وأيضاً :

- Miles copeland , the Game of nations, p.186 . cf. Marcel Colombe, "l'Egypte et le Nationalisme arabe" , p.133 .

بالعودة إلى سورية وألاّ يتنازل عن الرئاسة بل يسعى إلى محاربة العظم باتهامه بأنه بالغ في قذف سورية نحو المعسكر الشيوعي " [١] .

وهكذا أصبحت مصر على رأس الحكومات العربية القلقة جداً من ميل سورية المفرط نحو السوفيات ، كتبت مجلة "The Economist" : "وكما كان العراق يخشى مما قد يلحق بممر نفط كركوك ومن نمو المعارضة الداخلية ، ساورت لبنان والأردن والسعودية المخاوف من أن تصبح جارتهم قاعدة للعمليات العسكرية السوفياتية في الشرق الأوسط ، كذلك خاف عبد الناصر أن تنهار مقولة الوحدة السورية المصرية ومعها زعامة القومية العربية التي انتحلها لنفسه ، أما تركيا وإسرائيل ، فإن أمرهما واضح كل الوضوح ، فالأتراك يخشون الوقوع في كماشة الاتحاد السوفياتي ، وإسرائيل تكره أن يتعزز تسليح الجيش السوري على الرغم من قلة خبرته ، وختمت الايكلونوميست المقال "إن على لندن وواشنطن البحث عن حلول للمشكلة السورية ، وقد يصل بهما الأمر إلى مجاراة عبد الناصر ، ولا تزال الطريق غير واضحة أمامهما ، ولكنهما قد يجدان عزاءً واحداً هو أن روسيا قد تتذوق نفس المرارة التي تذوقاها من قبل ، ولا غرو فإن اليد التي تغذي القوميين الآسيويين ينالها العض أكثر بكثير من التقبيل " [٢] .

العاصفة الأمريكية في الأجواء السورية : لاحقاً لأزمة الدبلوماسية الأمريكية – السورية ، لاحت في عالم الشرق الأوسط بوادر أزمة دولية انبثقت من اعتقاد الساسة الأمريكيين بأن احتمالات السيادة الشيوعية على سورية تزداد بشكل متسارع ، ولتفادي ذلك ، عمدوا إلى وضع الخطط بالتنسيق مع البريطانيين والقوى

---

[١] – راجع مقال في مجلة التايمز الأمريكية في ١٢ أيلول تحت عنوان " حوادث سورية " منقول إلى العربية في : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، قسم " تقارير الصحف والمجلات ، حافظة رقم ٢ وثيقة رقم خ/١٠/٤٧ .

[٢] – مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، الخارجية ، قسم " تقارير الصحف والمجلات" حافظة رقم /٢/ مقال تحت عنوان " سورية تتجه نحو اليسار" في ٥٧/٨/٢٤/ وثيقة رقم خ/١٠/٢٩.

الامبريالية وحلفائهم في الدول الشرق أوسطية لتنفيذ عمل مشترك يطوق مسيرة النظام السوري [١] .

في٢١آب تلقى (H. Macmillan) رئيس الوزراء البريطاني رسالة من (F. Dullas) وزير الخارجية الأمريكية تضمنت التالي : " إنكم معنيون مثلنا تماماً بالتطورات الجارية في سورية ، ويبدو أن الأمل بالتصحيح من الداخل ضئيل ، ولابد من التطلع إلى حلول من الخارج ، وعلينا التحضر لمجازفات خطرة تجنباً لمخاطر أعظم قد تحدث فيما بعد ، وقد أولينا هذه المسألة عنايتنا الفائقة ونرغب في تبادل وجهات النظر معكم " [٢] وفي اليوم التالي أبلغ دالس ماكميلان " أنه بعد دراسة للوضع في الشرق الوسط قرر الرئيس إرسال (Loy Henderson) [٣]الوكيل المساعد للشؤون الادارية في وزارة الخارجية إلى المنطقة وستكون أنقرة محطته الأولى حيث سيتاحُ له الحصول على معلومات عن التطورات الجارية في سورية " وقال دالس : " أمس بعثت برسالة إلى بن غوريون أعربت فيها عن الأمل في ألاّ تتخذ اسرائيل أي عمل عدائي ضد العرب وذلك حتى يتسنى لنا الوصول إلى حل بناء في عالم العرب والإسلام " " ورسالة إلى الملك سعود سألته فيها ، باعتباره حارساً للأماكن المقدسة ، ممارسة نفوذه الواسع لنشر دعاية ضد الشيوعية الملحدة قد تكون ذات أثر في العالم الإسلامي .. " وأشار دالس أخيراً إلى أن الرئيس ايزنهاور يأمل في أن تتجنب الدول الغربية القيام بأية مبادرة بخصوص القضية السورية خارج الإطار الأمريكي " إلا أنه إذا ما أوصلت تلك القضية إلى تهديد

---

(١) - - F. o/ 371/ 134381/ Annual Political Report on Syria in 1957 , From G. H. Middleton to Selwyn Lioyd Confi No16, Beirut Feb 6 , 1958 , p. 3 .

(٢) - -F. o/371 / 128224/ top sec/ August 12 , 1957 .

(٣) - كان لوي هندرسون من أبرز خبراء الخارجية الأمريكية من قضايا الشرق الأوسط عمل في إدارة شؤون الشرق الأدنى وافريقيا بين عامي (١٩٤٣ - ٤٥) ثم سفيراً في العراق (١٩٤٥ - ٤٨) ثم في الهند (١٩٤٨ - ٥١) ثم في إيران (١٩٥١ - ٥٥) وقد أظهر براعة في معالجة أزمة مصدق وأوجد حلاً للنزاع على النفط الايراني عام ١٩٥٣ مما حدا بايزنهاور إلى منحه جائزة وزارة الخارجية للخدمة الممتازة " راجع : ترجمة " مقال عن التايم الامريكية " الصادر في ٢/٩/٥٧/ في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة . قسم " تقارير الصحف والمجلات الغربية " حافظة رقم ٢ / وثيقة رقم خ/١٠/٤٣ .

سلامة الدول المجاورة فعلى الغربيين أن يعلموا بأنهم سيحظون بتأييد حكومتنا في أية إجراءات دفاعية يتوجب عليهم اتخاذها " [١] .

في ٢٣ آب تلقى دالس رد رئيس وزراء بريطانيا ، قال ماكميلان : " إني أوافقك الرأي في الخطوات المباشرة التي أشرت إليها بخصوص القضية السورية : " .. إذ ليس من الممكن السماح بأن تصبح سورية دولة شيوعية . ففي هذا خطر انجذاب دول أخرى في المنطقة إلى هذا المعسكر .. كذلك فإن هناك خطراً في أن الإنتصار الشيوعي في سورية قد لا يكون كافياً لتنبيه الدول العربية الأخرى إلى مدى الخطر المحدق بها وبالتالي لن يتعبد طريق التعاون المشترك للدفاع عن الشرق الأوسط ، وبالإضافة إلى هذا وذاك لا يمكن أن نهمل مسألة إشراف سورية على خطوط النفط .. " " وإذا كان من المتفق عليه عدم السماح بأن تصبح سورية قاعدة للسوفيات فماذا علينا أن نفعل للحؤول دون ذلك " عرض ماكميلان : " بأن على الدول العربية أن تستعد لمعارضة النظام السوري وعلينا أن نشجع تركيا وأصدقاءنا على سلوك نفس الطريق .. ومن الممكن ، كنقطة انطلاق ، أن يقوم العرب حلفاؤنا بإظهار أن ما يجري في سورية خيانة لمبادئ القومية العربية والإسلام التي يدعي النظام السوري العمل لصالحها .. " وأن لبنان قد تقرب منكم ومنا أيضاً كي يحصل على ضمان لوجوده المستقل وعلى نفس الخط علينا أن نمنح كل الضمانات المادية والمعنوية لجيران سورية الذين تساورهم المخاوف وهم يرونها تكاد تصبح قاعدة للشيوعية في قلب الشرق الأوسط " [٢] .

في ٢٤ آب عقد دالس لقاءً مع سفير بريطانيا في واشنطن لبحث المسألة السورية، قال دالس : " هناك عاملان يعقدان الوضع : أولهما إسرائيل ، والثاني الخلاف البريطاني – السعودي ، هذا وإن تعاوننا الدائم مع حكومة جلالتها قد قلص من تجاوب الملك سعود ، وهذا يطرح إعادة ترميم علاقاتنا مع السعودية بالسرعة القصوى " وقد علق السفير البريطاني على هذه المباحثات بالقول " لقد اختار دالس تعابيره بعناية حيث قال .. " إن حكومته لم تتوصل بعد إلى الجزم القاطع بأن الوضع السوري يتطلب تطبيق

---

(١) – F. o/ 371/ 128224/ Sec Tele No.3315/ August 22, 1957 .

(٢) – F. o/ 371/ 128224/ Top sec/ No3316/ August 23 , 1957 .

الشق العسكري من مبدأ ايزنهاور .. إلا أنها تحضرت لمنح الضمانات المقررة في هذا المبدأ .. وإذا ما تبين أن الدول جارات سورية غير قادرة على التحرك لإنهاء الوضع فإن من السهل علينا اتخاذ تلك الخطوة " (١) .

أثار هذا التوجه المندفع قلق الحكومة البريطانية على سلامة خطوط النفط المارة في سورية واعتبرت الخارجية البريطانية أن السوريين ، إذا ما وضعوا تحت ضغوط خارجية شديدة ، سيعمدون إلى تخريب أنابيب النفط على غرار ما حدث إبان أزمة السويس " وقد امتنع البريطانيون عن التعليق على مقترحات دالس بشأن مبدأ ايزنهاور إلا أنهم أعربوا عن رغبتهم في أن يستشاروا مسبقاً بأي عمل قد يعرض سلامة خطوط النفط للخطر " (٢) .

حول هذه النقطة أجابت الخارجية البريطانية : " إن السوريين في الظرف الراهن لا يرغبون في إثارة العراق ضدهم ، ومع ذلك ، إذا ما حدث صراع مكشوف على السلطة في الداخل أو بين سورية وجيرانها فإن خطوط النفط ستكون مهددة ، وأن السراج وجماعته سيلجأون إلى تخريب الأنابيب في أية لحظة يرون في ذلك لصالح سياستهم .. " " كما أن اللجوء إلى الضغوط العسكرية والاقتصادية قد يؤدي إلى نفس المخاطر " .. إلا أنه من غير الممكن اعتبار أمن خطوط النفط يفوق بأهميته اتخاذ مبادرة فعّالة لإعاقة نمو الموجة القائمة في سورية الآن .. لكن من المؤكد أن حكومة الولايات المتحدة ستتشاور مع حكومة لندن قبل اتخاذ أي إجراء قد يمس سلامة خطوط النفط .. وكل عمل يتعلق بالوضع السوري لا يزال قيد الدرس ... وسوف تتضح الأمور على ضوء المعلومات التي ستصلنا من السيد لوي هندرسون " (٣) .

جولة لوي هندرسون (٢٤ آب – ٣ أيلول) : انحصرت مهمة المبعوث الأمريكي في إطار استقصاء المعلومات وتحري الحقائق والاضطلاع على أفكار

---

(١) – F. o/ 371/ 128224/ top sec Dec No 1625 / August 24 , 1957 .

(٢) – Op.cit/128224/ Sec Mes / No3336/ From F. o to Washington , August 26, 1957

(٣) – Op,cit /128224 / Sec Mes No1635/ From Washington to F. o / August 26, 1957 .

المعنيين بالمسألة السورية [١] . وكان تفكيره متجهاً مسبقاً نحو حضّ حكومته على التصرف بحزم أكبر في معالجة قضايا الشيوعية العالمية [٢] ، وأن عليها حصر جهدها لتحسين علاقاتها مع الدول العربية وبنائها على أسس جديدة من دون التخلي عن صداقتها مع إسرائيل [٣] .

في ٢٥ آب وصل هندرسون إلى أنقرة ، وكان قد سبقه إليها ملكا العراق والأردن ، وبعد أن اجتمع ورئيس الجمهورية التركية جلال بايار ورئيس الوزراء عدنان مندريس ، عقد مباحثات مع فيصل والحسين بحضور المسؤولين الأتراك وفي أنقرة وجد هندرسون الأتراك منشغلين جداً بالتهديد القائم على حدودهم ، فقد أكد مندريس للمسؤول الأمريكي أن بلاده تعتبر سير سورية نحو الشيوعية مصدر خطر عليها . وأعرب عن استعداد حكومته لاتخاذ تدابير قاسية للحؤول دون قيام قاعدة للشيوعية في سورية، ولم تكن ردود فعل العراقيين والأردنيين أقل صلابة [٤] .

وفي ٢٨ آب توجه هندرسون إلى بيروت ، وبعد أن قابل شمعون وشارل مالك أكد له الأخير " أنه إذ ما أصبحت سورية شيوعية فإن لبنان المستقل لن يحيا طويلاً " [٥] . وصدر بيان عن السفارة الأمريكية حول اللقاء جاء فيه : " إن هندرسون لم يكلف من قبل حكومته إقناع دول الشرق الأوسط باتخاذ سياسة معينة تجاه المشاكل

---

(١) - F. o/ 371/ 128225/ Sec tele No760 From Common Wealth, Chyper 2 Sep 1957

(٢) - مثل هذا التفكير كان مسيطراً على غالبية السياسيين الأمريكان . فقد نشر هاري ترومان رئيس الجمهورية السابق مقالاً في صحيفة (نيويورك تايمس) في ٥٧/٦/٢٥ حمل فيه على الحكومة واتهمها بالتهاون مع سورية وطالب باتخاذ تدابير حازمة لوقف التغلغل الشيوعي فيها . المقال في : مديرية الوثائق التاريخية ، دمشق ، وثائق دولة ، قسم " تقارير الصحف والمجلات الغربية " حافظة رقم /٢/ وثيقة رقم خ/١٠/٣١ .

(٣) - Newyork times, 27 Aug , 1957 .

(٤) - F. o/ 371/ 128225/ Sec tele No760 .. , p.2 .

(٥) - F. o/ 371/ 128225/ Rep From British Embassy to M. Rose , Cofi No 70, Beirut 3 Sep, 1957.

الجارية بل يريد التعرف على وجهات نظر السفراء الأمريكان حول الأوضاع في سورية ثم تقدير رد فعل البلاد الصديقة " [1] .

أثارت جولة هندرسون قلقاً وبلبلة لدى المسؤولين السوريين وطرحت الصحف السورية تساؤلات حول ما إذا كان ينوي زيارة سورية أو استبعادها من برنامج جولته ، حتى أن بعض الصحف الصادرة في ٢٩ آب دعت هندرسون إلى زيارة دمشق حتى يتسنى له تحري الحقائق عن كثب والحصول على معلومات مباشرة كفيلة بإزالة أية أفكار خاطئة عن الوضع السوري [2] . وانتشرت إشاعات مفادها أن هندرسون قد عقد لقاءً سرياً مع رئيس الوزراء السوري ووزير الخارجية صلاح الدين البيطار في بحمدون (مصيف في لبنان) ، إلا أن المصادر الرسمية السورية كذبت تلك الإشاعات . " وفي الواقع ، أشار التقرير الصادر عن السفارة البريطانية في بيروت ، أن هندرسون زار سورية سراً ، أو على الأقل ، كانت له مباحثات مع الزعماء السوريين في لبنان " [3] . ومهما يكن ؛ فقد عاد هندرسون إلى أنقرة ، حيث التقى ثانية رئيس الوزراء التركي وولي العهد العراقي ورئيس أركان العراق اللواء رفيق عارف ، وذكر تقرير صادر عن القاعدة العسكرية البريطانية في قبرص " أن السيد هندرسون أكد للمجتمعين أن تقديرات وزارة الخارجية الأمريكية للوضع القائم في سورية هو أنه إذا ما أتيح للنظام السوري متابعة مسيرته الحالية بمطلق العنان فإن سورية ستصبح قريباً دولة تدور في فلك موسكو مع كل

---

(١) – النص عن ، صوت العرب ، دمشق ، عدد ٩٩٠ ، الأول من أيلول ١٩٥٧ .

(٢) – الصرخة ، عدد ٣٢٤ في ٢٩ آب ١٩٥٧ . الأخبار ، عدد ٤٥٠٨ ، ٢٩ آب (في مقابلة بين صالح عقيل وزير الدولة للدعاية والإذاعة ومراسل صحيفة (التلينيوز) الأمريكية أجاب الوزير حول سؤال عن زيارة هندرسون قائلاً " لو كان الإخلاص رائد السيد هندرسون في مهمته لوجب عليه أن يبدأ بزيارة سورية لكن مباحثاته اقتصرت على عناصر معروفة بعدائها لسياسة عدم الإنحياز التي تتبعها سورية " أما إذا كان غرض زيارته تطمين جارات سورية ، فإننا نؤكد أنه لا يمكن أن يخطر ببال سورية القيام باعتداء على دولة عربية يربطها بها ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك وكلاهما يستبعد القيام بالعدوان من جانب أية دولة عربية ضد دولة عربية أخرى " . النص في صحيفة الصرخة عدد ٨٣٥ ، في ٦ أيلول ١٩٥٧.

(٣) – F. o/ 371/ 128225/ Sec Rep No70, From British Embassy , Beirut, Sep 3, 1957 – p.1 .

ما يترتب عن ذلك من مخاطر على سياسة الغرب في الشرق وإن حكومة الولايات المتحدة اتخذت قرارها بإيقاف هذه المسيرة وهي تعتقد أن العلاج الملح يجب أن يقع على عاتق جيران سورية المباشرين وأن من المهم أن يكون أي عمل ضمن إطار الأمم المتحدة ، وأن حكومة الولايات المتحدة تتحضر لتقديم دعم كامل لأي عمل من شأنه أن يوصل إلى تغيير النظام السوري " وقال هندرسون " أنه قد اتفق والمجتمعون على وجوب القيام بعمل مشترك قبل أن تصبح سورية معسكراً روسياً ومنطقة لإرساء النفوذ الشيوعي في الشرق الأوسط " وهو يرى " أنه إذا ما سمحت حكومة الولايات المتحدة ، بسبب ترددها ، أن يصبح الشرق الأوسط شيوعياً كما حدث في الشرق الأقصى فإن الغرب على طريق الضياع وأن كل عملٍ ناجح ينبغي أن يكون ضمن شرعية الأمم المتحدة وأن يدعم بالتضامن الغربي وباتفاق انكلو– أمريكي على كل النقاط " [1] . وقد كشفت الحكومة العراقية وقائع ما جرى في هذا اللقاء إبان محاكمة مختار بابان (وزير الخارجية العراقية) الذي ادعى أنه حصل على معلوماته من بعض الملاحظات التي كتبها رئيس الأركان العراقي ومفادها : أن هندرسون بعد أن دعاهم إلى القيام بعمل ما ضد النظام السوري قد نبّه من أي مسعىً لقيام اتحاد بين العراق وسورية ، أقله في الوقت الحاضر وقال : " إن باستطاعة أمريكا منع تدخل إسرائيل إذا ما رفعت اصبعاً واحداً في وجهها ، وأنه يجب تنبيه عبد الناصر إلى خطورة التطورات الأخيرة في سورية " [2] . في الواقع إن قرار الخارجية الأمريكية بضرورة التشاور مع القاهرة حول الوضع السوري قد نُفِذَ في ٢٩ آب ، في المقابلة التي جرت بين السفير الأمريكي في مصر ، (R. Hare) ، والرئيس عبد الناصر ، وفي هذا اللقاء الذي دام ساعة و ٤٥ دقيقة ، أكد عبد الناصر للسفير أنه على اطلاع تام بالوضع السوري وهو ليس بالخطورة التي تراها حكومته ، وأن اندفاع بعض القادة السوريين نحو موسكو هو نتيجة خوفهم المتصاعد ليس على أمن سورية وسلامتها فحسب بل على مكاسبهم الشخصية أيضاً . ولما سأل هير عن الطريقة التي يجب اتباعها لتخليص سورية من سيطرة الشيوعيين ، قال ناصر " إن الشعب السوري

٥

---

[1] - F. o/ 371/ 128225/ Sec Rep No 760, From Chyper to F. o/ 2 Sep 1957 , p. 1- 2 -

[2] - راجع ، محكمة الشعب ، الجزء الرابع ، ص ٢٩٣ – ٢٥٤ .

غير معادٍ للأمريكان لكنه قد يتصرف بعنفٍ أمام أية محاولةٍ للضغط عليه ، وعليه فمن الخطأ التحدث عن تحركات الأسطول وتزويد الدول المجاورة لسورية بالسلاح ، والتهديد التركي " وأكد ناصر : " أن السوريين اشتروا السلاح من الروس لأن الغرب رفض تزويدهم بالسلاح الذي كان يتدفق على إسرائيل وجيران سورية وأنه لا يوجد في سورية سوى ٥٠ خبيراً روسياً في قواعد مؤقتة ، وأن حاجة السوريين إلى التدرب في الإتحاد السوفياتي قد تقلصت بعدما أصبح بإمكانهم التدرب في مصر ، وقد ختم السفير هير انطباعه عن هذا اللقاء بالقول : " إن من المستحسن إطلاع عبد الناصر بوضوح عن وجهة نظر الولايات المتحدة حول التهديد الشيوعي لسورية " [١] .

أصداء جولة هندرسون في سورية وعلى الصعيد الدولي : عاد هندرسون إلى واشنطن في ٤ أيلول ، وقبل أن يدرس بدقة نتائج مهمته أعلن للصحافة خطورة الوضع في سورية وما يتهدد الدول المجاورة من تراكم السلاح السوفياتي فيها [٢] .

في سورية بدأت الأوضاع تتأزم ، وراحت تصريحات المسؤولين وتقارير الصحف تتحدث عن مؤامرة أمريكية جديدة أعدتها واشنطن بالاشتراك مع الدول الموقعة على حلف بغداد الذي أصبح أداة في أيدي السياسة الأمريكية . ودعت بعض الصحف إلى تنظيم المقاومة الشعبية لمواجهة المعتدين ، وأشارت أخرى إلى التحركات المشبوهة

---

(١) - كتب السفير الأمريكي في تقريره " إن ناصراً قد استغل المناسبة ليدافع عن موقف حكومته فقال أنه سيحصل على ما يكفيه من السلاح السوفياتي في مدة خمسة إلى ستة أعوام وبعد ذلك سيصبح الروس بلا فائدة ، والسلاح والتجهيزات السوفياتية قد وضعت على حدى خوفاً من أن يستعمل الروس هذا السلاح ضده ، وأنه سيسعى خلال ذلك إلى جعل مصر مكتفية ذاتياً بإنشاء مصانع للأسلحة في مصر .. وأعلن أن مبدأ ايزنهاور هو محاولة لعزله وتقليص دوره في المنطقة وأن الأميركان صرفوا ١٧٠ مليون دولار للحصول على دعم بلادٍ كانت دائماً إلى جانبهم وتساءل كيف تدفع حكومة واشنطن هذه المبالغ هي التي رفضت دفع ٥٤ مليون دولار كانت قد وعدت بها لبناء سد أسوان " ، راجع وقائع المقابلة في :

- F. o/ 371/ 128225/ Rep From Washington to F. o No471. Sep 4 , 1957 . p.1 - 2

(٢) - Newyork Times . Sep 5 , 1957 .

للأسطول الأمريكي في المياه التركية. وقد تتالت برقيات الدعم والتأييد للجيش والحكومة، وبثت يومياً في الإذاعة ونشرت في عشرات الصحف من كل مشرب ولون [1] ، وتتالت التجمعات الشعبية حيث راح الخطباء يدينون السياسة الأمريكية ويحثون الحكومة على تطهير الإدارة من الخونة في الداخل ، ويصفون مبعوث ايزنهاور بأنه الخبير البارع في إعداد الانقلابات وإثارة الكوارث [2] . كذلك قادت الصحف المصرية حملة " ضد السياسة الأمريكية ، فقد نشرت صحيفة (الشعب) القاهرية مقالة " تحت عنوان " سورية تعزلكم عن العالم إذا حاولتم عزلها " ورد فيه " أصبح من الواضح للسيد هندرسون أن أي تدخل عسكري ضد سورية ستقابله الدول العربية بالتضامن وستقابله مصر بإغلاق القناة الأمر الذي سيقضي آلياً على ما بقي للغرب في الشرق الأوسط . وأن العمل لعزلة سورية خطة فاشلة من حيث أن موقع سورية الجغرافي يُتيح لها التحكم باقتصاديات الدول العربية المجاورة لها والمؤيدة للغرب فهي تستطيع أن توقف انتاج حقول كركوك وتوقف تدفق ثلثي البترول السعودي إلى أسواقه وأن تعزل الأردن عن بيروت الميناء الرئيس لتجارة المملكة وأن تخنق لبنان باغلاق حدودها [3] ونشرت صحيفة (الأهرام) مقابلة مع الرئيس عبد الناصر قال فيها : " إن امكانيات مصر الإقتصادية والعسكرية تحت تصرف سورية ، " وإن السياسة الأمريكية ليست ضد سورية بل ضد القومية العربية ، وهدفها التخفيف عن إسرائيل وتحويل أنظار العرب نحو أهداف أخرى ، وإن أمريكا حرقت ملايين الدولارات لتطبيق مشروع ايزنهاور ولجأت إلى تخويف الملوك والرؤوساء العرب من الخطر الشيوعي لتحويلهم عن خطر إسرائيل " إنها تريد القومية العربية لا سورية وحدها " [4] . وكان من الطبيعي أن تثير جولة هندرسون ريبة القوميين العرب في العراق حيث أعلنوا " أن عدم زيارته سورية للتعرف على حقيقة ما يجرى يؤكد أن همه انصرف إلى تدبير مؤامرة لعزل سورية والضغط عليها من قبل جيرانها " كذلك

---

(1) – راجع الصحف السورية الصادرة بين ١ إلى ٤ أيلول : خاصة ، الرأي العام ، عدد ٣ أيلول ١٩٥٧، الصرخة ، عدد ٢ و ٤ أيلول ١٩٥٧ ، صوت العرب ، عدد الأول من أيلول ١٩٥٧ .

(2) – الرأي العام ، عدد ٢٧٥ ، ٦ أيلول ١٩٥٧ .

(3) – راجع عددها الصادر في ٢٨ آب ١٩٥٧ .

(4) – الرأي العام ، دمشق ، ٩ أيلول ١٩٥٧ .

أثارت جولة هندرسون رد فعل في الأردن إذ نسف القوميون في ٣ آب مكتب المعلومات الأمريكي في عمان [١] ، بينما راح المسؤولون اللبنانيون يدافعون عن سياسة الحكومة اللبنانية وعن حسنات مبدأ ايزنهاور ، فقد هاجم شارل مالك ، وزير الخارجية اللبنانية ، سياسة سورية ومصر الرافضة لمبدأ ايزنهاور قائلاً : " إن قبول لبنان مبدأ ايزنهاور لا يمس استقلاله ولا يقيده بأي التزام ، بل كان ينطبق عليه مبدأ الانعزال لو سار على سياسة سورية ومصر " [٢] ، وبنفس المنطق دافع شمعون عن سياسة الحكومة أمام مجلس النواب ، فردّ وزير الخارجية السوري بتصريح انتقد فيه هذا التوجه قال " إن سياسة الموالاة للغرب التي سارت عليها الحكومة اللبنانية قد أضرت بالوحدة الوطنية في لبنان وجعلته عاجزاً عن المساهمة الإيجابية في تسوية المسائل العربية " [٣] .

في ٣ أيلول تدخل السوفيات في القضية السورية ، وذلك من خلال مذكرة تحذير إلى القوى الغربية الثلاث بعدم التدخل في قضايا الشرق الأوسط وبخاصة سورية [٤] . وبذلك تحولت الأزمة السورية – الأمريكية إلى أزمة سوفياتية – أمريكية في إطار الحرب الباردة .

مع أن السوريين عدّوا المذكرة السوفياتية ضمانة فعّالة من قبل الصديق الأكبر للعرب، إلا أنها لم تخفف من حدة الهيجان التي أثارتها تصريحات هندرسون ، التي وجدوا فيها دعوة صريحة للاعتداء المسلح على سورية ، وتتالت الأحداث متسارعة ففي ٧ أيلول صدر بيان عن الخارجية الأمريكية جاء فيه : " إن بعض المسؤولين العرب قد أبدوا للسيد هندرسون قلقهم من تغلغل النفوذ الشيوعي في سورية " وأشار البيان إلى " أن

---

(١) – راجع ما كتبه بهذا الصدد مراسل صحيفة التايمز اللندنية في ٤ أيلول نقلاً عن مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، خارجية ، حافظة رقم ٢/ قسم تقارير الصحف / والمجلات الغربية وثيقة رقم خ/١٠/٤٦ ، تاريخ ٥٧/٩/٤ .

(٢) – صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٢٩ آب ١٩٥٧ ، وصوت العرب ، دمشق ، عدد ٩٩٠ ، الأول من أيلول ١٩٥٧ .

(٣) – صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩٧٢ ، ٣ أيلول ١٩٥٧ .

(٤) – - The Times , London , September 4 , 1957 .

راجع أيضاً : صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩٧٤ ، ٥ أيلول ١٩٥٧ .

كميات كبيرة من الأسلحة السوفياتية تتكدس في سورية دون مبرر دفاعي " ثم تحدث عن " حوادث حدودية ، وعن الدعاية والأعمال الهدامة التي تهدف إلى الإطاحة بالحكومات الدستورية المجاورة لسورية " وأشار البيان إلى عزم الرئيس ايزنهاور على تطبيق مضمون القرار الخاص بمبدأه والذي أباح إرسال المعدات الدفاعية والمساعدات الاقتصادية إلى دول المنطقة " .. وأخيراً أعرب البيان عن الأمل في أن يعمد الشعب السوري إلى التخفيف من حدة القلق الذي سببته الأحداث الأخيرة " [1] . ومن ثم بدأت شحنات الأسلحة الأمريكية تحط في تركيا ولبنان ، وأقيم جسر جوي حمل السلاح إلى الأردن والعراق [2] ، ولم يتأخر السوفيات عن الرد في ٨ أيلول علّقت إذاعة موسكو على بيان الخارجية الأمريكية " بأنه تدخل في الشؤون الداخلية لبلدان الشرق الأوسط وسيؤدي إلى زيادة التوتر في المنطقة ، وأن الأمريكيين لن ينفكوا عن حبك الدسائس لإكراه سورية على التراجع عن سياستها المستقلة" [3] .

كانت واشنطن قد قررت ممارسة الضغط العسكري على سورية ، كخطوة أولى لدفع العناصر المعادية للنظام إلى القيام بتحرك داخلي لتغيير مسار سياسة البلاد ، وعليه منذ عودة هندرسون إلى واشنطن بدأت تركيا بحشد ٥٠ ألف جندي على حدودها الجنوبية[4] وفي ٩ أيلول صرح ناطق عسكري سوري " أمس اقتربت خمس قطع بحرية حربية أمريكية من الشاطئ السوري بشكل يتضمن تحدياً سافراً ولا يتفق مع قواعد البروتوكول الدولي المتعارف عليها ، كما حلقت اليوم في سماء اللاذقية طائرتان مجهولتا الهوية ، إننا نريد بإعلاننا هذا أن نُطلع الرأي العام العالمي على الوسائل التي يتبعها الاستعمار للنيل من استقلال بلدٍ حر وعضوٍ في الأمم المتحدة وإكراهه على التخلي عن

---

(١) – النص بالانكليزية في Newyork times September 4 . 1957 وبالعربية في صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩٧٧ ، ١٠ أيلول ١٩٥٧ .

(٢) – الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩٧٨ ، ١١ أيلول ١٩٥٧ .

(٣) – صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩٧٧ ، ١٠ أيلول ١٩٥٧ .

(٤) – - Dwight D. Eisenhawer . the White House Years II, Waging peace . London 1966 , p.203 .

حريته " [1] . ومع أن البيان تحدث عن صمود سورية واستعدادها لمقاومة هذه الاستفزازات بأعصاب باردة إلا أنه في الواقع ، كانت مشاعر الخوف والقلق مهيمنة على كل المستويات ، واستغلت القوى اليسارية تلك المشاعر بمهارة فائقة وراحت صحفها تتحدث عن خطة لانقلاب عسكري ، وعن قرب حدوث هجوم مباشر تحضر له الولايات المتحدة بالتآمر مع البلاد العربية التي يحكمها خونة مأجورون للغرب [2] وعنونت صفحاتها الأولى نبأ رسالة التهديد التي وجهها رئيس وزراء الإتحاد السوفياتي إلى نظيره التركي وتصريحات وزير خارجيته السيد غروميكو حول التحضيرات العسكرية المعدة ضد سورية [3] وقد استقبل السوريون بترحاب تلك المواقف ، فأعلن العسلي رئيس الوزراء "أن الإتحاد السوفياتي يستحق عرفان سورية بجميله " وعلق البيطار وزير الخارجية " بأن سورية لن تكون وحدها في ردّ العدوان لأن معركتها معركة القومية العربية والحرية في العالم " [4] . هذه الاستفزازات دفعت بالسرّاج والبزري إلى التوجه إلى القاهرة طلباً لأية مساعدة تقدمها القيادة المشتركة إذا ما تعرضت سورية لهجوم إسرائيل أو تركي . وفي اللقاء الذي تم في ١٢ أيلول مع ناصر وعامر وعد ناصر بإرسال المدافع ومضادات الطائرات إلى سورية [5] . وعلى الرغم من تراجع واشنطن عن بعض موقفها وذلك في ١٠ أيلول تاريخ صدور تصريحات عن وزارة الخارجية بأن أمريكا لن تتدخل عسكرياً في سورية وأن سورية ليست شيوعية ولا مبرر لتطبيق مبدأ

---

(١) – النص في صحيفة الرأي العام ، م . ن ، ص ١ .

(٢) – البعث ، عدد ٩ أيلول ١٩٥٧ ، الفيحاء ، عدد ٢٧ أيلول ، الصرخة ، عدد ٢٨ أيلول .

(٣) – في ٩ أيلول وجّه بولغانين رسالة حول تمركز القوى التركية على الحدود السورية إلى السيد عدنان مندريس تضمنت تحذيراً من التحضيرات الكبرى المعدة ضد سورية ومسألة وصول الأسلحة الأمريكية بهدف الهجوم المسلح على سورية ، وفي ١٠ أيلول أعلن غروميكو " أن الولايات المتحدة تحث تركيا على القيام بدور الشرطي في الشرق الأوسط " راجع النص في :
- Orient, Documents, No4, 1957, p.292 - 293 .

(٤) – الرأي العام ، دمشق ، عدد ٩٧٧ ، ١٠ أيلول ١٩٥٧ .

(٥) – كتبت صحيفة الأخبار أن هذا المؤتمر بحث في إمكانية وحدة القوات المسلحة السورية المصرية ، وفيه وضعت خطط الدفاع عن سورية" ، راجع عددها الصادر في دمشق رقم ٤٥١٩ في ٣ أيلول .

ايزنهاور على الوضع هناك[1] وصدور تصريحات عن المسؤولين الأتراك بأنهم لا ينوون القيام بأي عدوان على سورية ، فإن حدة الأزمة استمرت بالتصاعد ، واستمرت الطائرات التركية تخترق الأجواء السورية واستمرت تركيا تمركز جنودها وتحرك آلياتها الثقيلة وتمهد الأرض عند الحدود السورية . وقد أعرب المسؤولون السوريون عن قلقهم من هذه الحشود ووجهت الحكومة مذكرة احتجاج بتاريخ ١٩٥٧/٩/٨ ردت عليها أنقرة في ٩/١٧/ بما يفيد بأنها مستمرة في تنفيذ سياستها المقررة وأنها تراقب فقط تطور الأوضاع في سورية ، وليس لديها نية العدوان [٢] .

اتخذت الأزمة السورية – التركية أبعاداً جديدة ، وذلك عند افتتاح جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة . ففي ١٩ أيلول اثار فوستر دالس الوضع عندما أعرب عن خشيته في أن تستخدم الدول التي تتلقى السلاح السوفياتي هذا السلاح للهجوم على دول أخرى وأصر على أن تركيا مهددة ، متجاهلاً الحشود التركية المكثفة التي يقابلها من الجانب السوري جموع السكان الآمنة [٣] وفي ٢٠ منه ردّ غروميكو منددا بمؤامرات الامبرياليين " و " الضغوط السياسية والاقتصادية على سورية " وأدان مبدأ ايزنهاور – دالس " كأداة سياسية استعمارية موجهة لادخال الشرق الأوسط في الأحلاف العدائية واستغلال ثرواته وتحويله إلى بؤرة دائمة للمنازعات العسكرية " ثم قال : " لقد اختيرت

---

(١) – صحيفة الأخبار ، عدد ٤٥٧١ ، ١٢ أيلول ، . Newyork times, Sep 11 , 1957

(٢) – راجع نص بيان وزير الخارجية بالوكالة خليل كلاس حول الأحداث السورية التركية في مذكرات مجلس النواب مجلد رقم ٣ للعام ٥٧/٥٦ ، ص ٤٩ – ٥٢ . ومن الجدير ذكره أن بعض الصحف السورية أشارت إلى انعقاد اجتماع في قضاء كلس التركي في ٥٧/١٠/٧ بين الجانبين التركي والسوري لحل المشاكل المعلقة بين البلدين ، راجع : الأخبار ، دمشق ، عدد ٤٥٢٤ ، ١٩ أيلول ١٩٥٧ .

(٣) – كانت تلك التصريحات رداً على التحذيرات التي أطلقها بولغانين من " أن النزاع المسلح على سورية لن يقتصر على هذه المنطقة " ثم تلاها تحريك الإتحاد السوفياتي جيوشه شمال الحدود التركية .

راجع : - Newyork times, Sep 14, 1957.

راجع للتوسع :

- Marcel Colombe, "Apres Suez , le Moyen Orient entre Washington et Moscou" dans Orient, Paris No4 , 1957 , p.188 - 189 .

سورية لتكون هدفاً استعمارياً وها هي تتعرض الآن لضغط سياسي وعسكري وتحاك المؤامرات ضد حكومتها " ، وفي ٢١ منه أكد وزير الخارجية السورية أمام هيئة الأمم أن بلاده تتعرض للضغط العسكري والسياسي والاقتصادي لجرها إلى الوقوع تحت السيطرة الأمريكية وقدم مذكرة حول الحشود التركية على طول الحدود السورية [١] .
وفي ٢٢ منه دخلت مرفأ اللاذقية بارجتان من الأسطول السوفياتي وسط تهليل سورية شعباً ومسؤولين . ومن ثم راحت الوحدات العسكرية السورية تتحرك وسط وشمال البلاد وتحدثت الصحف عن قدوم فصائل عسكرية أمريكية إلى الإسكندرونة ونقلت عن بودابيست نبأ حشد السوفيات على حدودهم الجنوبية ٥٥ فرقة تضم مليون رجل مسلم يتكلم العربية ، وأسهبت في التعرض " للخونة السوريين الذين يعملون برعاية أمريكية وتحت المظلة التركية لتشكيل حكومة في المنفى لتكون أداة للغرب ضد بلادهم " [٢] .

ومع أن الحكومة السورية قد أعلنت منذ الأول من تشرين الأول التعبئة العامة وحالة الطوارئ ، وعن تنظيم المقاومة الشعبية ، إلا أن الأزمة خفت حدتها منذ زيارة الملك سعود دمشق (من ٢٥ إلى ٢٨ أيلول) ويبدو أن واشنطن تركت المجال مفتوحاً أمام تحرك عربي لحل الأزمة وهذا ما يحدو بنا إلى إلقاء الضوء على :

موقف الحكومات العربية من الأزمة السورية : أربكت هذه الأزمة الحكومات العربية المؤيدة للغرب وخاصة تلك التي ادعت بأنها مهددة من قبل النظام السوري ، وحيث أنه لم يكن بمقدور هذه الحكومات تحديد هذا التهديد أو إثباته أمام الرأي

---

[١] – حول وقائع هذه الجلسات ، راجع ، صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ١٠٠٧ و ١٠٠٨ في ٢١ أيلول وعدد ١٠٠٨ في ٢٢ أيلول ١٩٥٧ ، وراجع النصوص بالفرنسية في :
- Orient , Paris , Documents , No 4, 1957 , p.294 .

[٢] – تحت عنوان : " حكومة الخونة في أنقرة " تحدثت صحيفة الصرخة عن وصول الشيشكلي إلى تركيا ولقائه السوريين الملتجأين إليها . وأن الدولة السورية الجديدة ستكون برئاسة الشيشكلي وستشكل وزارة برئاسة حسني البرازي تضم مخائيل إليان ، وفيصل العسلي ، وفرزت المملوك وبدوي الجبل وحسن الأطرش وفيض الأتاسي وإبراهيم الحسيني وسيتعين محمد الصفا لرئاسة الأركان . راجع عددها رقم ٨٤٠ في ٢٣ أيلول ١٩٥٧ .

العام ، عمَّ القلق في عمان وبيروت وبغداد من جراء السياسة الإعلامية التي انتهجتها مصر وسورية والتي هدفت ليس فقط إلى التعرض العنيف للغرب الامبريالي بل أكثر إلى إحراج قادة هذه الدول وإظهارهم كخونة جاهزين لتحويل بلادهم إلى قاعدة للعمليات العسكرية ضد شقيقتهم سورية [1] وعليه لم تستطع أية دولة أن تبادر بأي عمل أكثر من الأمل بقيام الآخرين بعمل ما للإطاحة بالنظام السوري وتخليصهم من ضغط الشعور الجماهيري القومي المتأجج [2] .

كان الملك سعود في موقع آخر ، موقع العاهل حامل لواء القومية العربية الذي قدّم دائماً البراهين على تفهمه لمصالح الأمة العربية ، وصاحب النفوذ العتيد في الأوساط السياسية السورية ، وإليه أوكل الأمريكان مهمة سد الثغرة بين واشنطن ودمشق ... تماماً عندما بدأت الأزمة تهز أعصاب السوريين على كل المستويات .

كان سعود مقتنعاً بأن مبدأ ايزنهاور غير قابل للتنفيذ لا بل قد يدفع بسورية أكثر من السابق نحو المعسكر السوفياتي ، وبالتالي انطلقت دبلوماسيته بالسعي لئلا يتحول الصراع الأمريكي – السوري لصالح الشيوعية .

بدأ عاهل الصحراء تحركاته النشطة بزيارة أوروبا في ٧ أيلول وكأنه أراد أن يحمل على الاعتقاد أن توجهه هذا يتضمن نقداً لسياسة الخارجية الأمريكية [3] ثم تحول لإقناع القادة العرب المعادين للسياسة السورية للتخفيف من التصاقهم بما يجري في واشنطن وأنقرة . ويلاحظ أنه منذ الأسبوع الثاني من أيلول خفت حدة الحملة الإعلامية على الأردن ولبنان في بعض الصحف السورية [4] كما راح المسؤولون في لبنان

---

(١) – صحيفة الصرخة ، عدد ٨٣٩ و ٨٤٠ في ٢٢ و ٢٣ أيلول . صوت العرب : عدد ١٠٠٩ ، ٢٣ أيلول ، الأخبار عدد ٤٥٢٤/ ٩ أيلول ، صحيفة الجمهورية ، القاهرة ، عدد ٢١ أيلول ، وقد أشارت هذه الصحيفة إلى اجتماع شارل مالك مع غولدا مائيير لبحث الموقف في الشرق الأوسط ، الأهرام ، عدد ٢٠ أيلول ١٩٥٧ . و٢٣ أيلول ١٩٥٧ ، و ٢٧ أيلول ١٩٥٧ .

(٢) – - F. o/ 371/ 134381/ Annual Report on Syria in 1957 No 161. Beirut, Feb 6, 1958 , p. 8 .

(٣) – - M. Colombe . Apres Suez .. . p.193 .

(٤) – تحدثت بعض الصحف عن احتمال زيارة هندرسون سورية في جولته الثانية . وعن مباحثات بناءة بين شارل مالك وصلاح الطرزي أمين عام وزارة الخارجية السورية . راجع : الصرخة ، عدد

والأردن والعراق يصرحون بأن الوضـع فـي دمشـق ليس مقلقاً ، وأنهم متضـامنون مـع سوريــة التــي ستجدهــم دائمــاً إلــى جانبهــا إذا مــا أصبحت ضحيــة اعتــداء تركــي أو اسرائيلي [١] .

في ٢٥ أيلول وصـل الملـك سـعود إلـى دمشـق ليعلـن " أنـه وشـعبه وجيشـه مـع سورية قلباً وقالباً في المعركة حتى النهاية " [٢] بينما كان ولي عهده الأمير فيصــل يبحـث قضايا الشرق الأوسط مع دالس ويعلن من واشـنطن " بطـلان المزاعـم القائلـة أن سـورية تشكل خطراً على الدول المجاورة " [٣] .

– أمضى سعود ثلاثة أيام في سورية أجرى خلالها مباحثات مكثفـة مـع القوتلـي والمسؤولين السوريين تناولت حملة الضغط على سـورية والحشـود التركيـة ، ومنـاورات الأسطول السادس ، والعلاقات السورية السوفياتية والسورية العربيــة [٤] ، واقـترح سـعود على القوتلي إمكانية إزالة سوء التفاهم بين دمشق وواشنطن إذا ما أوقفت سـورية عمليـة التطهير ضد العناصر اليمنية في الجيـش وحملـة العداء للغـرب ، وأعلمـه أن كـل الـدول العربية ترحب بكل جهد لإعادة اللحمة العربية وتقوم بمسعى جاد لتبديد الغيوم مـن سـماء العلاقات السورية الأمريكية [٥] وللتدليل على صـدق التضـامن العربـي زار علـي جـودت الأيوبــي رئيـس وزراء العـراق دمشـق وشــارك فــي المباحثــات الجاريــة بيـن القوتلــي وسعود [٦] ومن واشـنطن صـدر تصريـح حـول اسـتعداد دالـس للقـاء نظـيره السـوري فــي

---

٨٣٥ ، ١٩٥٧/٩/١٢ . الأخبار ، عدد ٤٥١٩ ، عدد ١٣ أيلول ١٩٥٧ ، الفيحاء ، عدد ٢٢٠٧ ، ١٧ أيلول ١٩٥٧ .

(١) – الحياة ، بيروت ، عدد ١٧ أيلول و٢٢ أيلول ٢٧ أيلول ١٩٥٧ .

(٢) – الفيحاء ، دمشق ٢٢١٥ ، ٢٦ أيلول ١٩٥٧ ، الأخبار ، عدد ٤٥٣٠ ، ٢٧ /١٩٥٧/٩ .

(٣) – الفيحاء ، عدد ٢٢١٦ ، ٢٧ أيلول ١٩٥٧ .

(٤) – الأخبار ، عدد ٤٥٣٠ ، ٢٦ أيلول ١٩٥٧ .

(٥) – الحياة ، بيروت ، عدد ٢٩ أيلول ١٩٥٧ .

(٦) – كان علي جودت الأيوبي قد زار بيروت بعد زيارتـه لتركيا ورفـض التعليق علـى الوضـع السوري . ومن بيروت توجه إلى بغداد ثم إلى دمشق من ٢٨ أيلول راجع : الحياة ، بيروت ، عدد ٣٠ أيلول ١٩٥٧ . الفيحاء ، عدد ٢٧ و ٢٩ أيلول ١٩٥٧ .

نيويورك على هامش اجتماع هيئة الأمم المتحدة [١] وفي دمشق هلل الكثيرون لهذا التحول علناً أم سراً وراحوا يتحدثون عن قرب انعقاد مؤتمر يضم القادة السوريين والعراقيين والسعوديين واللبنانيين لدراسة الخلافات العربية وإزالة سوء التفاهم بين سورية والولايات المتحدة وعن اللقاء المرتقب بين دالس والبيطار [٢] . وقد اغتنم سعود كل مناسبة لإنجاح مسعاه فلم يتردد ممثله في الأمم المتحدة عن الدفاع عن سورية وإدانة السياسة الأمريكية لا بل ذهب سعود إلى أبعد من ذلك عندما نشر مذكرة أنكر فيها قبوله بمبدأ ايزنهاور [٣] ، وبدت تلك السياسة المتفهمة قريبة من هدفها ، أقله على الصعيد الإقليمي [٤] ومع ذلك فإن محاولة سعود ولدت ميتة ، فالمصريون كانوا لها بالمرصاد . ففي ١٣ تشرين الأول أنزل عبد الناصر ثلاثة آلاف جندي مصري في مرفأ اللاذقية ، وراحت بالتالي تلك الوحدات تتحرك نحو الحدود التركية وهلل السوريون لوصولها " كحادثة تاريخية كبرى " [٥] وما لبثت حدة الأزمة أن خفت على الصعيد الدولي وخلال أقل من شهر همدت العاصفة في الأجواء السورية .

نهاية الأزمة السورية – الأمريكية : بينما كانت الدول الغربية تعمل حثيثاً لحل النزاع السوري – الأمريكي خارج أروقة الأمم المتحدة ، أعاد فشل مباحثات دالس – غروميكو في ٥ تشرين الأول الأمور إلى حدتها ، ففي ٧ منه أعلن خروتشيف في مقابلة مع مراسل صحيفة نيويورك تايمز أنه يلقي مسؤولية التوتر القائم في الشرق

---

(١) – Newyork times , Sep 30 , 1957 .

(٢) – صحيفة الفيحاء ، دمشق ، عدد ٢٨ أيلول ١٩٥٧ ، صحيفة الشعب ، دمشق ، عدد ٢٩ أيلول ١٩٥٧.

(٣) – صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٢ تشرين الأول ١٩٥٧ .

(٤) – لقد أقرّ الرئيس ايزنهاور في ٣ تشرين الأول بأن الوضع السوري أخذ بالتحسن نسبياً وأن الدول العربية التي كانت تشعر بالخطر من ما يجري في سورية قد زال عنها هذا الشعور .
- Newyork times , Oct 4 , 1957 .

(٥) – نقلاً عن تصريح أدلى به أكرم الحوراني راجع : صحيفة النهار ، بيروت ، عدد ١٥ تشرين الأول ١٩٥٧ .

الأوسط على عاتق الولايات المتحدة [١] فردّ عليه دالس بعنف في ١١ منه ، وتتالت المباراة في الأيام التالية ففي ١٤ تشرين الأول وجه خروتشيف مذكرة إلى الأحزاب الاشتراكية في النروج والدانمارك وفرنسا وإيطاليا وإلى حزب العمال البريطاني جاء فيها: " إن سورية هذه الدولة الصغيرة الديمقراطية المسالمة معرضة الآن إلى التهديد بالاعتداء العسكري عليها .. فقد حشدت القوى الأجنبية على حدودها ، وليس بعيداً عن شواطئها تمركزت بارجات الأسطول السادس ومن الولايات المتحدة صدرت تصريحات لمسؤولين سياسيين وعسكريين مفعمة بالتحدي والتهديد ومثلها عن رجال الدولة التركية المغامرين والمتطلعين إلى إعادة تركيا السابقة وحكمها للبلاد العربية وتحت رعاية السلطات التركية اجتمع المهاجرون السوريون الرجعيون يحدوهم الأمل في أن ينالوا دوراً في "حكومة الإلعوبة " ، وأصبح الوضع السياسي في الشرق الأدنى يلوح بقيام حرب غير واضحة المعالم قد تؤثر على العالم كله . ان مسألة مصير سورية الصغيرة قد أضحت تؤثر على مصير كل الشعوب المحبة للسلام وقد يتسع الصراع العسكري على سورية حتى يصل إلى أبعد بكثير عن حدودها ... إن سورية لن تترك وحيدة ، وكما هو معلوم فإن الحكومة المصرية قد هرعت للتو لتقدم دعماً غير محدود إذا ما تعرضت سورية لأي اعتداء كما أن عدداً من الدول العربية قد أعربت عن دعمها لاستقلال سورية ، وإلى جانب سورية تقف الشعوب المحبة للسلام ومن بينها شعب الإتحاد السوفياتي الذي لن يقف مكتوف الأيدي أمام التحديات العسكرية التي تتحضر في المناطق المجاورة لحدوده الجنوبية .. إن الإتحاد السوفياتي قد اقترح على الدول العظمى حل مشاكل الشرق الأدنى بالطرق السلمية إلا أن الدول الغربية لم تظهر أية رغبة في العمل على التخفيف من حدة التوتر في الشرق الأوسط .. لقد أصبح الوضع هناك في خطر لا يحتمل أية مهلة أو مجاملة ويجب كشف النشاطات الإجرامية والخطط المجنونة لمجرمي الحرب " [٢] .

---

(١) - Newyork times , Oct 8 , 1957 .

(٢) - نص الرسالة وما جرى من مباحثات بين زعيم المعارضة في بريطانيا والسيد خروتشيف في:
- F. o/ 371/ 128241/ Top Secret No 4 / 35 / From H. Macmillan to Dullas .
London Oct 15 , 1957 , p. 1- 4 .

في ١٦ تشرين الأول وتحت ضغط العناصر اليسارية ، قدمت سورية شكواها أمام هيئة الأمم المتحدة ضد التهديد التركي للأمن والسلام وطالبت بإنشاء لجنة تقصي الحقائق للنظر في الوضع على حدودها مع تركيا [١] ، وفي اليوم نفسه وجّهت الحكومة السوفياتية مذكرة إلى هيئة الأمم حول الوضع القلق في الشرق الأوسط والذي يطرح احتمال قيام صراع دولي مسلح . فرد دالس للتو أنه في حال تعرض تركيا لأي اعتداء مسلح فإن الولايات المتحدة لن تعتبر أرض الإتحاد السوفياتي محرمة . وفي دمشق وُضع الجيش في ١٦ – ١٧ منه في حال تأهبٍ قصوى ، وحفرت الخنادق في المدن الكبرى وتضاعفت النداءات للالتحاق بالمقاومة الشعبية، وفي ظل هيمنة هذا المناخ اللاهب ، وفي ٢١ منه أعلنت الإذاعة السعودية أن الملك يسعى للتوسط في النزاع بين سورية وتركيا وأن الدولتين وافقتا على هذا المسعى ، وللتو ردّت الإذاعة السورية معلنة رفض سورية لهذه الوساطة [٢] ، وفي هيئة الأمم عُلقت مناقشات الشكوى السورية لإفساح المجال أمام التوسط السعودي ، ومع أن المسؤولين السوريين أصرّوا علناً على الرفض لا بل أدان البعض ، بتأثير من المصريين ، دور السعودية المشبوه [٣] ، مع ذلك فإن الواسطة

---

[١] – " كانت سورية قد قدمت في ١٩٥٧/١٠/٨ مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة تلفت فيها نظر الأعضاء إلى الوضع القائم على الحدود السورية التركية . ولما لم تأبه الحكومة التركية بمضمون المذكرة قدمت سورية شكواها للجمعية العامة هادفة الحفاظ على استقلاليا وسيادتها وسلامة أراضيها بالإضافة إلى رغبتها في صياغة السلم العالمي " : راجع بيان وكيل وزارة الخارجية السورية أمام مجلس النواب في جلسة ١٩ تشرين الأول ١٩٥٧ من مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٣ للعام ٥٦/٥٧ ، ص ٥٢ .

[٢] – كان القوتلي وأنصاره مندفعين لانجاح المسعى السعودي وقد أشارت إذاعة الرياض إلى أن القوتلي بعث برسالة إلى الملك سعود يقول فيها " لقد قبلنا باقتناع تام بمساعيك " راجع :

- Newyork Times , 19/10/1957 .

[٣] – في ٢٦ تشرين الأول أعلنت الإذاعة السورية أن سعوداً سحب عرضه وبعد يومين أعاد الملك تأكيداته واستمرت هذه المهازل أكثر من أسبوع . وهكذا لم تستطع الوساطة السعودية أن تصبح ورقة رابحة في أيدي المحافظين السوريين الذين اضطروا إلى رفضها علناً تحت ضغط الجماعة المؤيدة لمصر راجع :

- G. Torrey , Syrian Politics , p. 371 - 372 .

وهكذا فشلت جهود سعود ومعها الآمال في أن مبدأ ايزنهاور سيرى النور ذات يوم في ما

السعودية حالت دون العمل بالشكوى السورية ، إذ بعد عدة جلسات استمرت حتى ٣٠ منه أعلنت الأمم المتحدة أنها لن تفعل شيئاً تجاه الشكوى السورية ، وبالتالي وضعت القضية على الرف بهدوء ، وأسدل الستار عن الأزمة تدريجاً وفي نهاية تشرين الثاني سحبت تركيا فرقها ولم تعد مثارة قط مسألة النزاع التركي – السوري ، كما انتهى الضغط الأمريكي فجأة ، وذلك عندما وجدت واشنطن حلاً جديداً للوضع السوري : " ولما أصبح واضحاً ، كتب السفير البريطاني في تقريره السنوي عن سورية ، أن التدخل العسكري في الظرف الراهن غير عملي إطلاقاً .. فإن أفضل ما يمكن التعويل عليه هو وحدة سورية ومصر التي ستكون علاجاً ناجعاً لتقليص نفوذ أنصار الشيوعية في الداخل، وعليه يجب شدّ أزر حزب البعث الذي يدعم الموقف المصري لصالح إضعاف نفوذ الشيوعيين السوريين .. وأمام ذلك على موسكو أن تقرر إما التضحية بالحزب الشيوعي السوري أو بسياستها في الشرق الأوسط كصديقة للعرب " [(١)] .

في ٧ تشرين الثاني التقى صلاح الدين البيطار بصفته الشخصية مع ممثل الولايات المتحدة في الأمم المتحدة (H. C. Lodge) ، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية (W. Rountrey) وعلى أثر هذا اللقاء صرح البيطار بأن لا مصلحة لسورية بمعاكسة الولايات المتحدة " وفي طريق عودته إلى دمشق ترافق مع رئيس الحزب الإشتراكي الأمريكي (N. Thomas) الذي راح يلقي المحاضرات في دمشق وتحت رعاية حزب البعث والتي عبّر فيها عن التعاطف الأمريكي مع حركة الإشتراكية العربية المعادية للشيوعية [(٢)] . انذاك كانت خطوط الانفصال البعثي الشيوعي قد ارتسمت وتعبدت طريق الوحدة مع مصر .

وراء الاطلنطي وقدمت مصر برهاناً آخر بأنها لن تسمح بإبعاد سورية عن معسكرها " راجع :

- M. Colombe, l'Egypte et le Nationalisme arabe , p. 132 .

(١) – F. o/ 371/ 134381/ Annual Political Report on Syria in 1957 , Confi No 16, Beirut . Feb 6 . 1958 , p. 7 .

(٢) – راجع حول هذه النقطة مذكرات خالد العظم ، ج٣ ، ص٩٦ – ٩٧ :

- T. Petran , Syria .. . p. 124 , 125 .

ج – سورية من الأزمة الخارجية إلى الوحدة مع مصر :

منذ أن تركت واشنطن حلّ المسألة السورية لمنفذين آخرين ، انتهت العاصفة وإن خلفت وراءها هؤاءً فاسداً هيمن في أجواء سورية ، حيث عمت الفوضى وازداد التمزق في صفوف السياسين وقادة الجيش على السواء ، وساد بين فئات الشعب خوف وقلق ، وظهرت الحاجة لوضع حدٍ لنظام متفسخ وضعيف ، وكان الحل الهروب من اللاستقرار في دمشق إلى استقرار القاهرة ومن الخوف من الشيوعية إلى عبد الناصر المتصلب في عدائه لها ومن وحدة الكيان السوري إلى الوحدة العربية ، فلنتتبع أدناه الأحداث التي مرت بسورية منذ خريف ١٩٥٧ حتى الأول من شباط تاريخ إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة .

انهيار تحالف قوى اليسار السوري : منذ أن تلقت التشكيلات السياسية التقليدية الضربة القاصمة في منتصف آب أصبحت سورية تحكم بنظام تحالف سياسي عسكري تجسد بثلاث فئات حزب البعث ، جماعة خالد العظم والحزب الشيوعي ، ومع ما كان بين هذه القوى من تنافس حاد ، فقد جمعت بينها المعارضة العنيفة للدول العربية الموالية للغرب والتخطيط للإطاحة بأنصارها في الداخل . وقد أتاح التحالف بين البعث والحزب الشيوعي للشيوعين السوريين تثبيت أقدامهم في المؤسسة العسكرية وفي إطار جبهة التجمع القومي في حين استعان البعث بالشيوعيين والعظم للتخلص من حزب الشعب وأنصاره ولما خزى هؤلاء وجردوا من سلاحهم انتهى في نظر البعث ذلك الرابط الذي جمع بينهم وبين الشيوعيين [١] .

---

(١) – كان عفلق والبيطار معارضين منذ الأساس لأي شكل من أشكال التعاون مع الشيوعيين وقد بدأ عفلق بمهاجمة الشيوعين في بيانات صحيفية منذ شباط ١٩٥٧ ، ومع ذلك استمر التعاون بين الحزبين . وفي تموز ظهر خلاف بين عفلق والبيطار من جهة والحوراني من جهة أخرى حول مسألة التعاون مع الشيوعيين ولم يكن الحوراني راغباً آنذاك بوضع حدٍ لهذا التحالف ، فانصاع عفلق والبيطار أمام صلابة الحوراني وخوفاً من اتساع التصدع داخل الحزب : راجع حول أزمة تموز :

- N. M. Kaylani , the Rise of the Syrian Ba'th 1940 - 1958 , p. 21 - 22 .

كان العظم وحلفاؤه الشيوعيون يريدون استمرارية جبهة التجمع القومي كقوة سياسية قادرة على مقاومة مبدأ ايزنهاور وتنفيذ سياسة موسكو بدعم الحياديين والحكومات الحيادية ، إلا أن حزب البعث أقلقه تطور النفوذ الشيوعي نتيجة الأزمة التركية – السورية ، وذلك التحالف بين العظم والشيوعيين الذي تمتن لدرجة أصبح معها العظم بكامله أداة تعمل لصالحهم، قرر إنهاء دور جبهة التجمع [١] . " وكان آخر عمل سياسي موحد قامت به الجبهة انتخاب الحوراني رئيساً لمجلس النواب في ١٤ تشرين الأول [٢]، وبذلك أصبح الحوراني مؤهلاً للترشيح لرئاسة الجمهورية اعتماداً على قوة حزبه والمناصرين له داخل الجيش ، ولما وصل البعث رسمياً إلى أوج قوته كان عليه لتدعيم نصره تحييد دور عدوه المهيب العظم – بكداش .

حدث الانفصال عندما رفض البعث خوض انتخابات المجالس البلدية التي تقرر إجراؤها في ١٥ تشرين الثاني [٣] وكان حزب الشعب إدراكاً منه أن أية انتخابات ستظهر مدى انهيار شعبيته ، قد أعلن أنه لن يشارك في انتخابات ما لم يمنح الوقت الكافي للتحضير لها كذلك اعترض على الانتخابات الجناح المحافظ من الحزب الوطني الذي كان يعاني صعوبات في إطار تنظيم قوائم مرشحيه وراح المحافظون ينشرون البيانات المعربة عن شكوكهم في ملائمة الظرف لتلك الانتخابات ، وكانت اللجنة السياسية لجبهة التجمع القومي قد قررت بالإجماع إجراء الانتخابات في موعدها المحدد كما تقرر تنظيم برنامج عمل فعال لخوضها إلا أن حزب البعث اتخذ قراراً بعدم خوض انتخابات المجالس البلدية في جبهة واحدة مع الحزب الشيوعي مدعياً أن هذا التحالف سيكون ضاراً بسورية من منظار الدعاية الغربية حول تشيعها ثم سحب مرشحيه وانخرط في صفوف حزب الشعب والمجموعات اليمينية الأخرى المطالبة بتأجيل الانتخابات إلى أمد

---

(١) – F. o/ 371/ Annual Political Report on Syria in 1957 , No. 16 , Beirut Feb 6 , 1958, p.4

(٢) – مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٣ للعام ٥٦/٥٧ ، جلسة ٩ تشرين الثاني ١٩٥٧ ، ص ٣٢٥ .

(٣) – صحيفة الفيحاء ، دمشق ، عدد ١٥ تشرين الأول ١٩٥٧ .

غير محدد [1] ، وتوصل البعث إلى إحراز أول نصر له على تحالف العظم – بكداش وذلك عندما وافقت الحكومة في ١٤ تشرين الثاني على التأجيل لانسحاب الأحزاب الأساسية من المعركة [2] ومع أهمية هذا الإنجاز إلا أن الجناح المؤيد للسوفيات استمر يقوى ويثبت أقدامه فها هو العظم يحظى بالإضافة إلى منصبه كوزير للدفاع بالوكالة بمنصب وزير المالية ثم منصب نائب رئيس الوزراء بمرسوم رئاسي صادر في ٩ كانون الأول . ومنذ ذلك التاريخ اتخذ البعث قراره بدفن جبهة التحالف القومي ، والتوجه نحو الاتحاد مع مصر ، وراح يكثف دعواته إلى هذا الاتحاد وفي نفس الوقت شنت الصحف البعثية الحملة تلو الأخرى متهمة الشيوعيين بأنهم أعداء القومية العربية . وراح تحالف البعث – السرّاج يخطط للاطاحة بصلاح البزري آمر منظمة المقاومة الشعبية لتقليص نفوذ أخيه عفيف وهاجم مصطفى حمدون الشيوعيين علناً ، وتعرضت الحملة الدعائية البعثية لخالد العظم فانتقدت معالجته للاتفاقية الاقتصادية العسكرية مع السوفيات والتشيكيين وأدانت محاولاته تحويل أنظار الشعب من السعي إلى الإتحاد مع مصر إلى الدعاية للاتفاقيات التي عقدها مع الكتلة الشيوعية [3] وراح الحوراني والبيطار ينشران

---

(١) – كتب العظم : " إن الحوراني والبيطار راحا يطالبان الحكومة بالتأجيل وقد حاول العسلي التوصل إلى مخرج فاقترح إجراء الانتخابات في المدن الكبرى وتأجيلها في الصغرى .. وقبل أقطاب التجمع بهذا الحل إلاّ أن البعث رفض الاقتراح واستمر يطالب بالتأجيل الكامل " ، راجع مذكراته ج ٣، ص٩٤. وحسب العظم فإن محمود رياض قد عمل على دفع البعث لاتخاذ هذا القرار وأنه قد تقرب من رشدي الكيخيا . وأكد له أن الاتحاد سيقضي على التجمع القومي وسيبعد الجيش عن السياسة . وأن رشدي حاول معرفة مدى تأثير المصريين في سورية عندما أعلن مقاطعة حزبه لانتخابات المجالس البلدية ووقف حزب البعث إلى جانبه استجابة لخطط محمود رياض بالتقرب من الشعبيين والاخوان المسلمين لضمان إجماع سوري على الوحدة . م . ن ص ٩٤ – ٩٥ .

(٢) – صحيفة الصرخة ، عدد ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٧ . وحول ما دار من جدال بشأن الانتخابات البلدية راجع : مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٣ للعام ٥٦/٥٧ ، ص ٣٢٣ – ٣٢٥ .

(٣) – - G. Torrey , the Ba, th - Ideology and practice, M.E.J , Vol 23, 1969, p. 445 - 470, p. 456 .

وحول السياسة التي مارسها البعث مع الشيوعين راجع ما كتبه ، الياس مرقس : تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٩١ – ٩٢ .

الإشاعات بأن ثمة مؤامرة أعدها العظم وبكداش والبزري لقلب النظام واستلام زمامه بالتحالف مع الإتحاد السوفياتي ، وأن العظم سيحمل جحيم الشيوعية إلى سورية . وبالمقابل راح الفريق الآخر يستعد لتنظيم حزب جديد برئاسة خالد العظم ، " حزب تقدمي بمبادئ موازية لحزب البعث قادر على ضم فئات من جميع الطبقات الاجتماعية ، ويتمتع بدعم نواب الكتلة الديمقراطية وبعض المستقلين [1] ، وهذا الحزب سيحظى أيضاً بإمكانيات الحزب الشيوعي من التنظيم الدعائي والقوة داخل الجيش والنقابات ، وسيكون جاهزاً لمواجهة البعث في الانتخابات العامة لعام ١٩٥٨ ، ولما كان البعث غير واثق من قدرته على الحسم في الداخل ، شدّد من إندفاعه نحو مصر ، وكثّف تحركاته داخل الجيش لتنفيذ الوحدة . " وفي الواقع ، كتب السفير البريطاني في بيروت ، عندما كانوا يتحدثون عن حزب خالد العظم كان مشروع الاتحاد مع مصر ، قد قطع من وراء الكواليس أشواطاً أكبر بكثير مما اعتقد الشيوعيون ، وكان عمل البعث والناصريين قد أصبح مؤكداً ، وتوصل الفريقان إلى التخطيط لإنجاز تفوق أهميته من وجهة نظر البعث كل انجازات الشيوعيين وأنصارهم في سورية .. عملاً سيضعهم في الموقع الأقوى في السنة القادمة ويحقق جزءاً من أحلامهم في وحدة الأمة العربية " [2] .

الخطوات نحو الوحدة : في نهاية عام ١٩٥٧ انعقد الرأي داخل سورية أكثر من خارجها على أن الشيوعيين أصبحوا قوة نافذة وأن البلاد على حافة أن تصبح دولة شيوعية ، هل كان هذا خطأ ، أم سوء فهم ، أم نتيجة إيحاء ، فإنه هو الذي دفع

---

[1] – كتب العظم أن الدافع إلى تشكيل هذا الحزب هو أن حزب البعث كان يفكر في تقديم مشروع قانون يمنع غير المنتسبين إلى حزب سياسي معترف به من التقدم رسمياً لدخول الانتخابات العامة . وكان الهدف منه ، حسب العظم ، إبعاده وجماعته عن مجلس النواب لضمان سيطرتهم على الحكم .. قال العظم أخذ الرفاق يلحون عليّ لتأليف حزب يجمع فئة مختارة من الشباب يجمع بين التقدمية والتطور الإجتماعي دون التعرض للملكية الخاصة . وكان المؤسسون الأوائل وزراء ونواب مثل : جورج شلهوب ، رئيف الملقي ، عبد اللطيف اليونس ، جمال الشامات، هاني الريس ، .. راجع مذكراته ، ج٣ ، ص١٢٠ – ١٢١ .

[2] – F. o/ 371/ Annual Political Report on Syria in 1957 , p.4 - 5 .

بشريحة واسعة وغير متجانسة من الفعاليات السورية إلى الترحيب بالوحدة مع مصر .
ومثلما كانت الجماهير السورية بعيدة عن حركات الانقلابات والانقلابات المضادة كانت أيضاً بعيدة عن عملية الوحدة . في ١٨ تشرين الأول استقبلت دمشق ٤٠ نائباً مصرياً جاؤوا تلبية لدعوة من مجلس النواب السوري للمشاركة في جلسة برلمانية وترأس تلك الجلسة محمد أنور السادات وجلس النواب المصريون في صفوف النواب السوريين وألقيت الخطب الحماسية واتخذ المجتمعون قراراً بالطلب إلى الحكومتين السورية والمصرية اتخاذ خطوات فورية وجادة للتوصل إلى اتحاد فيدرالي بين القطرين [١] ومع أن ذلك " القرار التاريخي" نص بوضوح على الفيدرالية إلا أن أجهزة الإعلام المصرية تحدثت عن الوحدة الشاملة [٢] التي تبناها صلاح الدين البيطار [٣] واستمر عفلق والحوراني يُتابعان فكرة الاتحاد .

بدأت المفاوضات الفعلية لقيام إتحاد أو وحدة بين مصر وسورية ، مطلع العام ١٩٥٨، وعلى الرغم من تلك التمهيدات البرلمانية السالفة الذكر ، فإن المفاوضات جرت ضمن إطار صغير من النخبة العسكرية ومع أن صلاح الدين البيطار لعب فيها دوراً بارزاً إلا أن العمل الحاسم قام به ضباط القيادة السوريون من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وهم الذين تولوا الوصاية عن السياسيين وعن الشعب وأنجزوا الوحدة .

---

[١] – وقائع تلك الجلسة في مذكرات مجلس النواب ، مجلد رقم ٣ ، للعام ١٩٥٦/٥٧ ، ص ٣٦٨ – ٣٧٦ .

[٢] – صحيفة الجمهورية ، القاهرة ، عدد ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٧ . وفي ٢٣ كانون الأول غادر وفد سوري إلى القاهرة لحضور مؤتمر التضامن الآسيوي وضم الوفد إحسان الجابري ، معروف الدواليبي ، علي بوظو ، ظافر القاسمي ، د. فاخر العاقل ، د. ناظم الموصلي ، حسين مريود ، أمل الجزائري ونهاد الغادري . وحسب ما كتبه هذا الأخيرفي : الكتاب الأسود في حقيقة عبد الناصر وموقفه من الوحدة والإشتراكية وقضية فلسطين، دمشق ١٩٦٢ ، ص ٢٦ – ٢٧ ، أن ناصراً عندما استقبل الوفد سأله نهاد(وهو صحفي)عن الاتحاد، فأجاب اتحاد إيه يا نهاد..إحنا عايزين وحدة شاملة.

[٣] – اتهم البيطار بأنه رسم مخطط الوحدة وأخفى ذلك عن حزبه . راجع : الكتاب الأسود ، ص٢٣٠ كذلك فعل العظم، راجع مذكراته ،ج٣، ص٩٦ونفس الفكرة وردت في كتاب
- T. Petran, Syria , p.124 .

إن من يتتبع ما ورد في مصادر مختلفة حول المفاوضات التي دارت في القاهرة [1] يصل إلى محصلة أكيدة وهي أنه لم يكن السوريون فريقاً يفاوض ويناقش ويحدد الأسس بهدوء وترو بل كانوا تحت تأثير ضغوط عظيمة لانجاز هدفهم بسرعة قصوى مما أتاح لعبد الناصر أن يفرض شروطه عليهم وأن يقبلوها بسهولة فائقة . وهذا يطرح أمامنا أهمية إلقاء الضوء على العوامل التي دفعت بالنخبة العسكرية السورية إلى وضع ذاتها في ظل حكم ستكون فيه خارج نطاق العمل الفاعل .

ضمَّ مجلس القيادة العسكري ٢٣ ضابطاً ممثلين للوحدات العسكرية الرئيسية وكان هؤلاء ينتسبون بأكثريتهم إلى هذا الحزب أو ذاك أو مرتبطين مع هذه الفئة أو تلك من القوى التي سيطرت على جبهة " التجمع القومي " ، ولما دفنت الجبهة وتشتت شمل السياسيين استفحل الانقسام داخل مجلس القيادة وقاد إلى مواجهة الضباط بعضهم بعضاً ، وأصبحت المؤسسة العسكرية تشهد باستمرار عصياناً أو تمرداً في المعسكرات والقطاعات وعجزت السلطة العليا عن تنفيذ الأوامر نظراً للتكتلات التي كانت تحمي هذا أو ذاك وتحول دون قيام تلك السلطة بواجباتها ووصل الأمر ، حسب المصادر المصرية، إلى أن الضباط الذين كانوا يتصدرون الجيش يقضون الليل بكامله في وحداتهم ليكونوا على أهبة التحرك في مواجهة أية مباغة من جماعة أخرى " هذا الوضع البالغ الخطورة والمهدد بحرب أهلية هو الذي دفع بالضباط السوريين نحو القاهرة حيث سيضع ناصر حداً لصراعاتهم الدامية" [2].وأشارت مصادر أخرى إلى أن هؤلاء العسكريين الذين

---

(١) - راجع : محمد حسنين هيكل ، ما الذي جرى في سورية ، ص ٣٥ - ٣٧ . و : الجمهورية العربية المتحدة ، محاضر جلسات مناقشة الوحدة ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص٩٥ - ٩٩ . و : صلاح نصر، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص١١٥ - ١٣٦ و أحمد عبد الكريم ، أضواء على تجربة الوحدة ، دمشق ١٩٦٢ ، ص ٩٢ - ١١٢ . عبد اللطيف البغدادي، مذكرات ، ج٢ ، القاهرة ، المكتب المصري الحديث ١٩٧٧ ، ج٢ ، ص ٣٠ - ٤٣ . خليل كلاس، سوريا المحطمة للاستعمار والديكتاتورية ، دمشق ، دار الاستقلال ١٩٦٢ ، ص ١ - ١٥ .

(٢) - راجع هيكل ص٢٣ و ٣٢ و٣٣ ، وخطاب جمال عبد الناصر الذي ألقاه في ٢٨ أيلول ١٩٦١ في مجموعة خطب وتصريحات الرئيس ، الجزء ١٠ خطاب رقم ٧٦٣ . والصحف المصرية الصادر في ١٩٦١/٩/٢٩ .

واجهوا في السابق كل محاولة للانقضاض على الاستقلال السوري كانوا تحت تأثير إيحاءات خارجية قوية بأن البلاد سائرة إلى الانهيار وأنها عرضة لاجتياح من قبل جيرانها الموالين للغرب وأنه يجري تهريب السلاح عبر الحدود السورية من دول حلف بغداد وأن الضغوط الأمريكية هدفها الجيش السوري وأن هناك احتمال قيام انقلاب عسكري شيوعي وأن الضمان الوحيد هو تلك الوحدة العاجلة مع مصر [١] .

كانت القاهرة تراقب بدقة تطور الأوضاع داخل المؤسسة العسكرية التي كانت القوة الفاعلة وراء واجهة سياسية ضعيفة ومهلهة اخترق المصريون فئاتها التقدمية والتقليدية على السواء [٢] ، وبدأ تحرك عبد الناصر في أوساط الضباط منذ منتصف كانون الأول عندما وصل إلى دمشق حافظ اسماعيل موفداً من قبل وزارة الحربية المصرية لوضع الترتيبات اللازمة لتوحيد الجيشين المصري والسوري . وقد كلفه عبد الناصر الاستماع إلى رأي كل عضو من مجلس القيادة بشأن الوحدة ، وركز اسماعيل في حديثه على ثلاثة أمور : اهتمامات الضباط السوريين بالشؤون السياسية ، الفروق الاقتصادية بين القطرين ، وهو وإن لم يتحدث عن الأحزاب في سورية بشكل مباشر إلا أنه نوّه إلى أن النظام في مصر ثوري ، وكأنه أراد الإيحاء إلى الضباط أن على سورية أن تتكيف مع النظام المصري إذا ما رغبت بالوحدة [٣] . وبعد هذا الاجتماع أخذ الجيش على عاتقه مهمة التفاوض مع القاهرة [٤] وبعد أن كان البحث جارياً حول اتحاد فيدرالي

---

(١) – بهذا الصدد كتب الغادري " كان ثمة تحريض من داخل الجيش لعب فيه السراج دوراً أساسياً، ومن خارج الجيش من عناصر سياسية مختلفة بعضها نظيف وبعضها عميل مرتبط " راجع كتابه : الكتاب الاسود ، ص ٢٩ ونزار عرابي ، ماذا يجري في سورية ولماذا فشلت تجربة الوحدة ، دمشق، دار الفكر ١٩٦٢ ، ص ٥٥ – ٥٨ .

E. Be'eri, Army officers, p.124, cf, Monte Palmer, the United Arab Republic : an Assessment of its failure" in Middle-East Journal, Vol 20, No1 Winter 1960, p.50 - 67, p.52 -54 .

(٢) – استفاض خالد العظم في الحديث عن التحركات التي قام بها المصريون للتقرب من حزب الشعب والفئات اليمينية ودفعها إلى القبول بالوحدة . لمن يريد التوسع عليه مراجعة مذكراته ، ج٣ ، ص١١٤ – ١١٨ و ١٢٤ و ١٦٨ .

(٣) – راجع : صلاح نصر ، عبد الناصر ، ص ١١٨ .

(٤) – كتب صلاح نصر أنه على أثر هذه الزيارة اتخذ مجلس القيادة قراراً بالاجماع نص على

قامت مزايدات بين الضباط وحولت القرارإلى وحدة تامة وفورية [1] مساء الحادي عشر من كانون الثاني عقد مجلس القيادة العسكري اجتماعاً طارئاً بدعوة من رئيس الأركان عفيف البزري لحل الخلافات بين الضباط . واتفق المجتمعون على أن الحل الوحيد للحال التي تردت إليها الأمور هو التوجه إلى القاهرة لإبرام الوحدة [2] .

وفي الساعة الواحدة فجر اليوم التالي توجه إلى القاهرة وفد من عشرين ضابطاً [3] برئاسة البزري للتباحث مع عبد الناصر بالقرار المتخذ وتركوا في دمشق السرّاج والنفوري وعبد الكريم لابلاغ رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس المجلس النيابي ووزير الدفاع بالمذكرة التي اتفق الـ٢٣ ضابطاً على صيغتها .. : بعد أن أشادت المذكرة بأمجاد العرب وإلى أن الوحدة بين مصر وسورية ضرورة قومية مستمدة من ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل مشترك بين أفراد الأمة الواحدة " ، تحدثت عن انتصار مصر عام ١٩٥٦ وسورية عام ١٩٥٧ على الحملة الاستعمارية – التركية ، " مما ربط بين قضايانا العربية والسلم العالمي .. ونظراً لاحتمال تغير الظروف وخاصة إذا ما تمكن الاستعمار من إنهاء مجازفاته بخوض حرب شاملة أو محلية بسبب تعرض مصالحه في

السير قدماً لتنفيذ الاتحاد مع مصر ، وأبلغ البزري هذا القرار إلى محمود رياض وعبد المحسن أبو النور لابلاغه إلى عبد الناصر ، وقام محمود رياض وأعلم البيطار بقرار الجيش فاستدعى البيطار النفوري وعبد الكريم وقال لهما : "الوحدة أمانة في أعناقكم أنتم وزملائكم وعليكم أن تثبتوا ذلك لعبد الناصر " راجع م . ن ، ص١٢١ – ١٢٢ .

[1] – منذ مطلع ١٩٥٨ راح حزب البعث يروج اشاعات مفادها أن البزري يعمل على تمييع الوحدة بالتعاون مع الحزب الشيوعي السوري ورداً على ذلك أقدم البزري حسب بعض المصادر إلى عقد هذا الاجتماع . راجع م . ن ، ص ١٢٣ ، وأحمد عبد الكريم ، أضواء على تجربة الوحدة ، ص٨٧ .

[2] – كتب هيكل.."هكذا، بالخوف، بالحيرة، بالشك، بالأمل وبالطموح ، اتفقت كلمتهم جميعاً – ٢٢ ضابطاً يحتلون ٢٢ كتلة في الجيش السوري ، على أن الوحدة هي الحل وهي المخرج وركبوا جميعاً طائرة جاءوا بها إلى القاهرة " راجع كتابه : ما الذي جرى في سوريا ، ص٣٢.

[3] – ضم الوفد : أكرم الديري ، أحمد هنيدي ، طعمة العودة الله ، بشير صادق ، مصطفى حمدون ، عبد الغني قنوت ، جمال الصوفي ، ياسين القرحاني ، حسين حدة ، جمال فيصل ، محمد النسر .. وهم إما بعثيون أو قوميون أو مستقلون وكلهم من السنّة الذين وقفوا وراء الوحدة في حين كان ضباط الأقليات من المؤيدين للاستقلال السوري .راجع :

- E. Be'eri, Army officers .. , p.337.

الوطن العربي إلى الزوال .. إننا ندعو إلى ضرورة الإسراع بإقرار البناء الأساسي للوحدة الشاملة مع مصر ... " وإن القيادة العامة للجيش شعوراً منها بمسؤولياتها القومية ودورها التاريخي تعلن أنها على أتم الاستعداد لتحمل الواجبات الدفاعية التي تقتضيها الوحدة الفورية وفي الوقت نفسه تحمل كل حكومة أو فئة تتهاون في تنفيذ هذه الوحدة خطورة ونتيجة عملها تجاه الشعب العربي بأسره وتجاه الأجيال العربية الصاعدة " [1] . هذه المذكرة التي تم تسليمها للسلطات المدنية العليا صباح اليوم التالي قد حملت في طياتها تهديداً خفياً وكانت أشبه ببيان انقلاب عسكري . فها هو الجيش يصنع الوحدة ويفرضها على السلطة المدنية تماماً كما صنع في السابق انقلاباته [2] .

سارعت حكومة العسلي ، إلى الاجتماع في القصر الجمهوري ، لدراسة الموضوع واستقر الرأي على إيفاد صلاح الدين البيطار وزير الخارجية إلى القاهرة ، لينقل إلى عبد الناصر رغبة الحكومة السورية بالوحدة ، وليفاوض معه حول الحد الأدنى من الاتحاد الذي تقبل به الحكومة المصرية ، ومع أن الحكومة السورية اعتبرت موقف الجيش هو موقفها إلا أنها لم تفوض البيطار رسمياً بالاتفاق مع مصر ، " خلافاً للبيان الذي جاء به ليكون أساساً للوحدة المقترحة " .

في القاهرة ، اجتمع وفد الضباط في اليوم الأول مع عبد الحكيم عامر في مكتبه وحدثوه بما جاؤوا من أجله ومساء اليوم التالي قابلوا عبد الناصر في منزله ، هذا وإن أكثرية النقاط التي جرت مناقشتها في هذا الاجتماع وما تلاه قد أمدّنا بها محمد حسنين هيكل الصديق الحميم للرئيس ناصر ورئيس تحرير الأهرام وحسب هيكل : " في الاجتماع الأول ، الذي كان وسيظل من أهم صفحات التاريخ العربي المعاصر " وصفوا

---

(١) – نص المذكرة في : أحمد عبد الكريم ، أضواء على تجربة الوحدة ، ص٩٢ – ٩٣ وفي مذكرات خالد العظم ، ج٣ ، ص١٢٣ – ١٢٥ .

(٢) – عندما سلّم النفوري وأحمد عبد الكريم المذكرة إلى القوتلي قال لهما : " أهذا انقلاب عسكري " راجع صلاح نصر ، عبد الناصر ، ص ١٢٦ . أما العظم فقد قال للنفوري : " لماذا لم تطلعوا الحكومة على قراركم قبل الذهاب إلى القاهرة " وقال في نفسه " هذا آخر انقلاب يقوم به الجيش . فإما أن يقبل ناصر الاقتراح فتزول سورية من الوجود ، أو يرفضه فيحتل الجيش دوائر الدولة ويبعد الحكومة والمجلس معاً " . راجع : مذكراته ، ج٣ ، ص ١٢٦ .

– أي الضباط – حالة الفرقة بينهم – حالة الطوارئ الدائمة في التكنات ، حالة سورية الضائعة بين أحزابها وبين ضغط حلف بغداد من الخارج والداخل .. وتحدثوا عن أسلحة حلف بغداد التي يتم تهريبها عبر الحدود وتحدثوا عن نشاط خالد بكداش وعن حي الأكراد الذي حوله إلى قلعة مسلحة لا يجسر على الاقتراب منها غريب ، تحدثوا عن الشخصيات السورية المتهالكة بعضها يمد يده للرياض وبعضها يترك جيوبه لبغداد " وقد رفض عبد الناصر اعتبار هذه الأسباب قوة دافعة للوحدة عندئذ ذكره الضباط السوريون بالقرارات البرلمانية واندفاع الشعب نحو الوحدة ، ومازال عبد الناصر يرفض ، وقال للضباط أنه مع اعترافه بأن الجيش هو الذي يمسك عنان السلطة فإنهم لا يمثلون حكومة سورية الدستورية ، فجاءوا بالبيطار ، وفي فجر يوم ١٧ شباط اجتمع ناصر وعامر والضباط والبيطار وفي هذا الاجتماع عرض ناصر شروطه لقبول الوحدة وهي : ١ – استفتاء شعبي عام في سورية ومصر ، ٢ – حل الأحزاب ، ٣ – انسحاب الجيش من السياسة ، قال هيكل ، في الظاهر لم يكن الاستفتاء الشعبي موضع سؤال وكان واضحاً أن الشرطين الأخيرين لمسا الأوتار الحساسة في الحياة السياسية السورية " . وبعد فترة توقف قصيرة أرسلوا باستدعاء السرّاج الذي أجاب : إن تيار الوحدة متدفق ولا يمكن ايقافه " ، واجتمعوا ثالثة بعبد الناصر ، وكان لا يزال مصراً على شروطه ، وعادوا إلى دمشق وهم مقتنعون أن الوحدة أمر محتم مهما كانت شروط الرئيس جمال عبد الناصر واختصر هيكل تقريره حول عملية قيام الوحدة بهذه العبارة " إن التيار الشعبي وأوضاع سورية الداخلية والخارجية ، وما بينهم هم أنفسهم تجعل الوحدة أمراً محتماً مهما كانت شروط الرئيس عبد الناصر" [١] .

إن وصف هيكل يبدو صحيحاً خاصة بما يتعلق بالضغوط والانقسامات التي حثت النخبة العسكرية والسياسية على القبول بشروط عبد الناصر [٢] إلا أن هناك ظلالاً من الشك حول ذلك الدور الجماهيري الضاغط الذي عبر عنه هيكل قائلاً : " كان الالحاح

---

(١) – هيكل ، مالذي جرى .. ص ٣٣ – ٣٩ .

(٢) – فنّد نزار عرابي في كتابه ، ماذا يجري في سورية ، ما عرضه هيكل حول تجربة الوحدة فقرة فقرة ، لمن يهمه الموضوع يمكن مراجعة ما كتبه حول عملية المفاوضات في : ص٤٤ – ٥٨ .

الشعبي السوري يكاد يقتحم كل غرفة من غرف الاجتماعات " إن مثل هذا الدعم الجماهيري كان في الأغلب من صنع القادة السوريين ، وهو ليس أكثر من إذعان وإقرار بعجزهم وتشتتهم أمام إمكانيات عبد الناصر الهائلة [١] ، ومما لاشك فيه أن هؤلاء القادة الذين سعوا إلى نوع من إتحاد أو وحدة مع مصر ، أرادوا ، بكل فئاتهم ، الاحتفاظ بقدر من الاستقلال الذاتي إلا أن عبد الناصراً أرادها وحدة اندماجية توفر له القدرة على السيطرة على سورية [٢] وقد أتاح له إحجامه السابق ، مقابل اندفاع السوريين ، فرض شروطه في اللحظة الأخيرة حيث لم يعد بإمكان السوريين الانسحاب لا أدبياً ولا أخلاقياً .

ولادة الجمهورية العربية المتحدة : في ٢٢ كانون الثاني عاد الضباط إلى دمشق وتركوا البيطار في القاهرة لوضع الصيغة النهائية لمشروع الاتفاق ، ولما أراد عبد الناصر أن يتخذ إعلان الوحدة مظهراً دستورياً . بدأت حكومة العسلي في ٢٥ منه دراسة محضر الاتفاق في اجتماعات مكثفة جرت في القصر الجمهوري بحضور القوتلي والحوراني والبزري والضباط القادة ، ولم يشارك هؤلاء بالمناقشات ، " بل كان وجودهم لاثبات دعمهم وللضغط على من تسول له نفسه من الوزراء الاعتراض " . وقد بارك المجتمعون المشروع فوراً [٣] باستثناء العظم الذي طالب أن تتاح له فرصة دراسته ، وبذلك تأجل الإعلان عن الموافقة حتى اليوم التالي عندما قدم العظم ملاحظاته حول المواضيع التالية : نظام الحكم الرئاسي المخالف للنظام الديمقراطي النيابي الذي تدرجت سورية بالوصول إليه ، ٢ – الاستفتاء الشعبي على انه أسلوب يستعمله غالباً من يرغب في الحكم الديكتاتوري ، ٣ – تفويض رئيس الدولة وضع دستور مؤقت حتى يحين وضع الدستور الدائم وإهمال النص لكيفية التصديق على الدستورين ، ٤ – مسألة "الاتحاد القومي الذي سيلغي الأحزاب ويجمع الأمة في منظمة سياسية واحدة . كان الرد على هذه

---

(١) – - Monte Palmer , the United Arab Republic , p.53 .

(٢) – راجع : عبد اللطيف البغدادي ، مذكرات ، ج٢ ، ص ٣٨ .

(٣) – راجع نص صيغة الاتفاق ، في م . ن ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

الملاحظات : " إن العمل ثوري وليس فقهياً " [١] . ومهما يكن ، ففي ٢٨ منه أعلن البيطار أن التحضيرات من أجل الوحدة قد انتهت وضاعت محاولات العظم أدراج الرياح، ولم تعط الفرصة لنواب الأمة لدراسة مشروع يطيح بكيان البلاد .

وبعد ، لابد من وقفة أمام ظاهرة البزري التي بقيت أمراً متروكاً للاجتهاد ، فمن المعروف أنه كان يفضل اتحاداً فيدرالياً وفجأة تصدر تيار الوحدة الاندماجية ، واندفع في إلحاحه في طلبها ، فهل كان اندفاعه ، حسب المصادر المصرية ، على أمل أن عبد الناصر سيرفضها لأنه سبق وأعرب له عن ذلك مما سيقوي موقع الحزب الشيوعي في سورية [٢] " لأنه وعد في أن يكون على رأس حكم ذاتي داخل دولة الوحدة " [٣] وقد برر البزري تصرفه ، عندما استقال من منصبه ، فقال أمام الصحافة اللبنانية " إن عبد الناصر أعطانا ضمانات أكيدة بأن وقف النشاط الحزبي سيكون لفترة مؤقتة وأنه لن يكون هناك تمييز بين فئات جبهة التجمع القومي ، كما لن تكون سيادة لمصر على سورية إقتصادياً وبأنه كان يعتقد أن الوحدة ستقوي كلا البلدين ضد الامبريالية وأنه خدع بتأكيدات ناصر حول طبيعة الوحدة ولم يبال بنصيحة بكداش والعظم وأصدقاء آخرين نصحوه بالتصدي لنظام لا يقوم على أساسي ديمقراطي " [٤] .

أما حزب البعث ، الذي وافق على الوحدة الاندماجية مخالفاً دعواته السابقة إلى اتحاد فيدرالي ، كما وافق على حل نفسه والذوبان في الاتحاد القومي ، يحدوه الأمل في انه سيكون المحرك الأول لهذا التجمع الذي أوجده جمال عبد الناصر ، قال عفلق بهذا الصدد " ستحل كل الأحزاب رسمياً لكننا سنكون موجودين في الحزب الواحد الجديد الذي لن يستطيع أن يحيا ويستمر إلا بمبادئ حزب البعث " [٥] كما تجاهل قادة البعث مبادئ

---

(١) – حول وقائع هذه الاجتماعات راجع ما كتبه العظم بالتفصيل في مذكراته ، ج٣ ، ص ١٢٧ – ١٤١ .

(٢) – راجع هيكل ، مالذي جرى في سوريا ، ص٣٢ ، ص٧٩ . وأيضاً : البغدادي ، مذكرات ، ج٢ ، ص٣٧ – ٣٨ .

(٣) – - E. Be'eri Army officers p.137.

(٤) – النص في
- Orient. No10. 1959. Document , No7. p.205.

(٥) – للتوسع حول آراء عفلق راجع المقابلة التي أجراها مراسل صحيفة الأوريان البيروتية في

حزبهم وقبلوا التضحية باستقلال سورية بشكل عرضي وغير دستوري ، معتقدين أن عبد الناصر قادر على وضع مبادئهم في إطارها التنفيذي وأن الحزب سيستمر بالنشاط والعمل كحزب حاكم داخل إطار الوحدة [١]. أخيراً إن من المؤكد أن تلك ، لم تكن نظرة ناصر عشية الوحدة ولم يصدر عنه أي تصريح بهذا المعنى ، ومن المؤكد أيضاً أنه استخدم بمهارة مبادئ حزب البعث لتحقيق الحلم الذي عرضه في كتابه فلسفة الثورة [٢] .

أما الحزب الشيوعي السوري ، فقدساير الفكرة الرائجة حول وحدة مصر وسورية ، ولما كان يتطلع إلى تثبيت أقدامه حيث حفر بجد واجتهاد . قامت صحفه تدعو بحماسة فائقة إلى هذه الفكرة ووصل مدى المبالغة إلى حد فاق صحف البعث ذاتها ، وبينما نادى الطرفان باتحاد فيدرالي [٣] ، تراجع حزب البعث وقبل بالوحدة الاندماجية وإلغاء الأحزاب ، وكشف الشيوعيون بسرعة معارضتهم للوحدة ، فأعلن بكداش في ٢٩ كانون الثاني أن حزبه ليس شرعياً ليحل نفسه ، ولن يفعل ذلك إطلاقاً في ظل الدولة الجديدة [٤] ثم غادر إلى الدول الإشتراكية بحجة المعالجة الطبية ولم يحضر جلسة مجلس النواب السوري الذي وافق فيها النواب على انتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية .

في دمشق ، تقرر ، تنفيذاً لبنود الاتفاق ، أن يسافر في ٣١ كانون الثاني الوفد السوري إلى القاهرة ، الذي ضم رئيس الجمهورية وغالبية أعضاء الحكومة ورئيس الأركان ، وبقي في البلاد الحوراني والسرّاج . وفي الأول من شباط عُقد في قصر القبة

عددها الصادر في ٢٥ شباط ١٩٥٨ . وراجع كتاب عفلق ، معركة المصير الواحد ، ص ١٩٥ .

(١) – هذا النمط من التفكير عبر عنه عفلق بالقول " إن ناصراً غير مرتبط بمبدأ عقائدي فلسفي بل يستمد قوته من القوة المادية التي تدعمه ، وهو متوافق مع تطلعاتنا في وحدة الدول العربية " وإن مهمته تنفيذ ثورة شعب على الاستعباد والقمع .. إنه يتجاوب بشكل كامل مع المبادئ التي رفع لواءها حزب البعث ، راجع :

- L'Orient, Beyrouth , 25 Fevrier , 1958 .

(٢) – - S. Jargy, le Declin d'un Parti, Orient, No11 , 1959 , p.25 .

(٣) – في ٥٨/١/١٣ ، أي اليوم الذي سافر فيه الوفد العسكري إلى القاهرة أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري عن دعمها لقيام إتحاد فيدرالي مع مصر ، وأكدت في بيانها أن ذلك الاتحاد يجب أن يقوم على أساس ديمقراطي : راجع نصه في صحيفة النور ، دمشق ، عدد ١٩٥٧/١/١٣ .

(٤) – النور ، عدد١٩٥٧/١/٢٩ .

في القاهرة اجتماع بين المسؤولين السوريين والمصريين دام ثلاث ساعات للتداول في الصيغة النهائية للدستور المؤقت واستهل الاجتماع بكلمة ألقاها القوتلي ثم ناصر وتبارى الاثنان في مدح مآثر العرب وضرورة وحدة الأمة ، " ثم وزع على الحاضرين صورة الدستور المؤقت لتبيان الرأي فيه .. وكان ناصر يتقبل ما يرد من أوجه نظر مخالفة لرأيه بروح سمحة فيناقش بهدوء وبلهجة رقيقة والبسمة تعلو شفتيه .. قال العظم : " كان على السوريين الاستفادة من هذا الجو الودي ليعبروا عما يريدون دون خوف أو وجل " [١] .

وبعد أن اتفقوا على صيغة الدستور والاجراءات الدستورية لقيام الوحدة [٢] توجه المجتمعون – وسط هتافات جماهير القاهرة بالوحدة وبناصر والقوتلي – إلى دار رئاسة الجمهورية (قصر شويكار سابقاً) حيث وقع المجتمعون وثيقة إعلان الجمهورية العربية المتحدة في الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم [٣] ثم أمسك ناصر بيد العسلي ودعاه إلى تلاوة الوثيقة أمام آلاف الجماهير المحتشدة في باحة القصر : في جلسة تاريخية .... " يعلن المجتمعون اتفاقهم على أن يكون النظام في الجمهورية العربية ديمقراطياً رئاسياً يتولى السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسؤولين أمامه كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد ويكون لهذه الجمهورية علم واحد يظلل شعباً واحداً وجيشاً واحداً في وحدة يتساوى فيها أبناؤها في الحقوق والواجبات ... وسيتقدم كل من فخامة الرئيسين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر بيان إلى الشعب يُلقى

---

(١) – راجع : مذكراته ، ج٣ ، ص ١٤٤ – ١٥١ .

(٢) – راجع نص " الدستور المؤقت للدولة العربية في المصدر نفسه ، ص ١٤٥ – ١٤٨ . وهو مختلف في بعض نقاطه عن الدستور الذي سيطبق في سورية منذ ٢ آذار ١٩٥٨ . راجع نصه في المصدر نفسه ، ص ١٧٧ – ١٨٢ .

(٣) – وقع الوثيقة عن الجانب المصري : عبد الناصر ، عبد اللطيف البغدادي ، زكريا محي الدين، أنور السادات ، حسين الشافقي ، الفريق عبد الحكيم عامر ، كمال الدين حسين ، نور الدين طراف ، فتحي رضوان ، محمود فوزي ، وعلي صبري والسفير في سورية محمود رياض . وعن الجانب السوري: القوتلي ، صبري العسلي ، خالد العظم ، حامد الخوجا ، فاخر الكيالي ، مأمون الكزبري ، أسعد هارون ، صلاح الدين البيطار ، خليل كلاس ، صالح عقيل ، اللواء عفيف البزري ، وسفير سورية في القاهرة عبد الرحمن العظم . راجع نص الوثيقة في : عبد الوهاب السمان ، بين قطرين ، دمشق ، مطبعة الأنشاء عام ١٩٥٨ ص ١٥١ – ١٥٥ .

أمام مجلس النواب السوري ومجلس الأمة المصري يوم الأربعاء في ٥ شباط ١٩٥٨ .. يشرحان أسس الوحدة التي تقدم عليها دولة العرب الفتية . كما يستدعى الشعب في مصر وسوريا إلى استفتاء خلال ثلاثين يوماً على أسس الوحدة وشخص الرئيس .... " والمجتمعون يؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل عربي يشترك معها في وحدة أو اتحاد يعزز سيادة العروبة ويحفظ كيانها ... "

وهكذا حقق عبد الناصر نصر العروبة وانتصارها العظيم ، إن عظمة الحدث لا يمكن تجاهلها ، هاهما دولتان تتحدان بملء إرادتهما وبمبادرة الاصغر .. إن ملايين العرب نظرت إلى الحدث على أنه تحقيق لحلم عظيم سيبعث في كل أرجاء العالم العربي الأمل بأن هذه الدولة ستكون النواة لوحدة عربية شاملة .

× × ×

مع إطلالة عام ١٩٥٨ سقط النظام البرلماني الحر في سورية بعد تجربة دامت أربعة أعوام وصلت البلاد في نهايتها إلى حافة الإنهيار فبحثت عن مخرج من المستنقع الذي كانت تتخبط فيه فكان نظام الوحدة مع مصر الذي أنهى الكيان السوري المستقل وخصوصياته . ما يمكن استنتاجه بعد عرضنا لهذه المرحلة هو التالي :

– كما حدث في المرحلة الأولى من تاريخ سورية المستقلة . فشل النظام البرلماني في إيصال البلاد إلى الإستقرار والتطور ، والسبب أن لعبة الديمقراطية الغربية لا تلائم مجتمعاً مقسماً ومتباين النزعات كما هو واقع المجتمع السوري .

– استخدمت الديمقراطية تجمعاتٌ سياسيةٌ كان الطابع النفعي السمة المميزة لشخصياتهم وخلفية قراراتهم . وعليه بدلاً من العمل مجتمعين لصالح البلاد دخلوا في سلسلة من التحالفات السريعة والمتبدلة هدفها التوصل إلى الهيمنة السياسية . مما أوصل إلى تفاقم حدة الإنقسامات داخل السلطة المدنية والمؤسسة العسكرية على السواء .

– النتيجة الواضحة للعبة الديمقراطية في سورية هي الإنتصار السريع للقوى الوحدوية وبخاصة حزب البعث ، الذي استطاع ، بعد أن ركّز نفوذه داخل الجيش كقوةٍ قادرة وحدها على الهيمنة وتعطيل عمل المؤسسات المدنية ، ان يحجّم دور الأحزاب التقليدية وأن يوجّه سياسة سورية نحو مصر وأن يصل فيما بعد إلى السلطة .

- والنتيجة النهائية لتجربة الديمقراطية في سورية هي تحول البلاد إلى حلبة مفتوحة وجاهزة للضغوط الخارجية : عسكرية ، اقتصادية ، اعلامية ، التي جعلت السوريين يشعرون بأنهم مهددون بمشاريع الغرب من جهة والنفوذ الشيوعي من جهة أخرى ، وذلك في ظل تنامي شعور قومي جارف باتجاه مصر عبد الناصر حامل لواء وحدة الدول العربية . ولما تعمّق احساس السوريين بأن بلادهم وحدة سياسية مصطنعة ومهتزة الأسس اندفعوا إلى تحقيق أول حلم عربي وغرسوا شوكة ذهبية في جسد الإستقلال السوري ونالت مصر ما بذرته في التربة السورية منذ عام ١٩٥٥ .

× × ×

× ×

×

القسم الرابع

سورية

ما بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٣

عصر

الوحدة والانفصال

الفصـــل الأول

=============

" سورية إقليم في الجمهورية العربية المتحدة "

٥ شباط ١٩٥٨ - ٢٨ أيلول ١٩٦١

تمهيـــــد :

في الخامس من شباط ، أقر مجلس النـواب السـوري ، وثيقـة إعـلان الجمهوريـة العربية المتحدة ، وألقى شكري القوتلي ، رئيـس الجمهوريـة السـورية ، فـي هـذه الجلسـة خطاباً استعرض فيه جهاد الأمـة العربيـة وصراعهـا ضـد الاسـتعمار ، وأكـد أن مصـالح سورية تقوم على التلاحم المصيري مع مصر الثورة وأن دولة الوحدة ستقوم علـى أسـس الحرية والعدالة والحياد [١] . فـي ٢١ شـباط جـرى الاسـتفتاء العـام حـول دولـة الوحـدة وانتخـاب ناصر رئيساً لها وأشارت النتائج الرسـمية إلـى أن ٩٩،٢٥ مـن أصحـاب الحـق فـي الاقتـراع من السوريين قد قاموا بواجبهـم وأن ٩٩،٨ مـن المقتـرعين صوتـوا لصـالح الوحدة [٢] .

---

(١) - راجع النص الكامل في : عبد الوهاب السمان ، بين قطرين ، ص ١٦١ - ١٧٣ ، وفي نفس اليوم (٥ شباط) تلا عبد الناصر أمام مجلس الأمة المصري بيانه حول الوحدة وقـال " إن السـاعة التـي تطلع إليها أجدادنا وعمل من أجلها أبناؤنا قد دقت أجراسها .. لقد بزغ أمل جديد في أفق هذا الشرق إن دولة كبرى تنبثق من قلبه .. ليست دخيلة ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية ، دولـة تحمـي ولا تهـدد تصـون ولا تبـدد ، لا تتحـزب لا تتعصـب لا تتجـرف ولا تنحـاز " راجـع : المصـدر نفسـه ، ص١٧٤ - ١٨٤ .

(٢) - راجع : الجمهورية العربية المتحدة ، الجريدة الرسمية ، عدد /١/ تاريخ ١٩٥٦/٣/١٣ ، ص١٩ .

وبعد هذا الاقتراع الساحق ، أصبح للقومية العربية كيان سياسي متجسد بوحدة تامة بين شريكين غير متكافئين وبين قطرين آفرو أسيويين يفصلهما البحر وإسرائيل ، وتحققت الخطوة الأولى من أحلام السوريين في تحطيم تلك الحدود التي أقامها الاستعمار الغربي .

في ٢٤ شباط ، استقبلت دمشق الرئيس ناصر بحشود هائلة ووسط عاصفة من الهتافات بحياة القائد البطل موحد الأمة . وفي ٢٧ منه توجه صانعو الوحدة إلى ضريح صلاح الدين الأيوبي وأرادوا بذلك " إحياء تقاليد البيعة والتأكيد على أن الأمة كلها قد أجمعت على بيعة ناصر زعيماً للجماعة الإسلامية " ومثلما قاد صلاح الدين الأمة إلى النصر سيقود ناصر العالم العربي إلى النصر وإزالة العدو ، دولة إسرائيل ، من الوجود [1] ، وأمام هذا الضريح تعهد ناصر بتحقيق الوحدة الشاملة ومن على شرفة القصر الجمهوري أعلن : " أن المد الذي اجتاح سورية سيجتاحُ كل الدول العربية وأن رياح التغيير التي هبت من دمشق ستهب على العالم العربي كله لأن الوحدة حقيقة تاريخية قائمة تتجاوز كل الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهي قائمة عاجلاً أم آجلاً مهما كانت التضحيات " [2] . وبعد ولادة الوحدة سنستعرض في هذا الفصل الملامح الأساسية لتاريخ سورية في ظلها . متوخين إبراز ما بدا لنا من مجريات ساهمت في تحريك الأحداث وعرض وجهات النظر المتعددة والمتباينة حول عدة قضايا لا يزال الغموض يكتنفها مع دراسة الأوضاع الداخلية والمؤثرات الخارجية وتحديد دورهما في تطور الأحداث .

التنظيمات الأولية لدولة الوحدة :

كان لابد لهذا الحلم كي يتحقق ، وتصبح الدولة الجديدة نواة لدولة عربية شاملة ، من بناء دستوري ومؤسسات ديمقراطية ونظام قادر على احتواء الفروق التاريخية العميقة

---

(١) - S. Jargy, "la Syrie, Province de la Republique arabe unie", dans orient, No 8,- 1958, p.17-18.

(٢) - راجع نص الخطاب في صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ٢٨ شباط ١٩٥٨ .

بين الاقليمين وتخطيها . ومما لاشك فيه أن جاذبية الناصرية وحماسة السوريين وتنظيم حزب البعث قد أسهمت كلها في دعم دولة الوحدة وإطلاقها على الأقل في عامها الأول ، غير أن الخلل بدأ منذ أن رُسمت في الأشهر الأولى الخطوط الكبرى لجهاز الحكم في الدولة الجديدة فلنستعرضه خطوة خطوة . وقبل البدء بذلك لابدّ لنا من التنويه بالنقاط التالية :

– إن اندفاع السوريين نحو إقامة وحدة مع مصر ، وضعف إحساسهم بالهوية السورية قد جعلا من سورية ميداناً واسعاً لتغيّرات جوهرية ومتتالية في طبيعة الحكم وأسلوب ممارسته .

– إن قيام دولة الوحدة على ذلك النمط غير المألوف، وعلى أيدي حفنة من العسكريين ودون تحضير أو دراسة ، قد أكد منذ الأيام الأولى هيمنة الشريك الأكبر على الأصغر . وكان الخطأ الفادح في محاولة المصريين تطبيق النظام المركزي القائم في مصر على سورية ، والهدف من ذلك إقامة دولة اندماجية ، متجاهلين أو جاهلين خصائص المجتمع السوري ، والفروق السياسية والاجتماعية والجغرافية القائمة بين القطرين [١] .

نُظم البناء السياسي لتكون سورية الإقليم الشمالي ومصر الإقليم الجنوبي في دولة الوحدة ، وتحولت دمشق التي عاشت في الحقبة السابقة حياة مفعمة بالنشاط ومتميزة عن

---

(١) – المؤلفات التي تناولت تاريخ سورية في عصر الوحدة عديدة نذكر منها : أحمد عبد الكريم ، أضواء على تجربة الوحدة (دمشق ١٩٦٢) . صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، (بيروت ١٩٧٦) ، محمد حسنين هيكل ، مالذي جرى في سوريا (القاهرة ١٩٦٢) ، نزار عرابي ، ماذا يجري في سورية ، ولماذا فشلت تجربة الوحدة (دمشق ١٩٦٢) . عوني عبد المحسن فرسخ ، الوحدة في التجربة ، دراسة تحليلية لوحدة ١٩٥٨ ، (بيروت ١٩٨٠). صلاح الدين المنجد ، سورية ومصر ، بين الوحدة والانفصال ، وثائق ونصوص (بيروت ١٩٦٢). بدر الدين السباعي ، المرحلة الانتقالية في سورية ، عهد الوحدة، ١٩٥٨–١٩٦١، (بيروت ١٩٧٥)، نهاد الغادري، الكتاب الأسود في حقيقة عبد الناصر وموقفه من الوحدة والحرية والاشتراكية وقضية فلسطين (دمشق ١٩٦٢) .

- Carle Robert Frost, "the United Arab Republic, 1958 - 1961, A Study in Arab Nationalism and unity" (univ of Denver 1966)

بالإضافة إلى المقالات المنشورة في المجلات التاريخية التي سنشير إليها لاحقاً .

محيطها ، تحولت دمشق البؤرة التي شعت منها أفكار القومية والتحرر ، إلى محافظة مثل الإسكندرية وحلب ، ورحلت عنها البعثات الدبلوماسية إلى القاهرة عاصمة الدولة الجديدة .

جسَّد اعلان الدستور المؤقت في ٥ آذار وتركيبة النظام في ٦ منه الهيمنة المصرية على سورية ونهاية دعائم الديمقراطية التي عاشتها سورية في النظام السابق [١] .

منح الدستور رئيس الجمهورية صلاحيات واسعة ، إذ ترك له مهمة تعيين أعضاء مجلس الأمة المناط بهم السلطة التشريعية على أن يكون نصفهم على الأقل من بين أعضاء مجلس النواب السوري والأمة المصري ، وبذلك أصبح رئيس الجمهورية مشرِّعاً غير مباشر بواسطة نواب معينين من قبله ، وأجاز له الدستور حق إصدار القوانين في غياب المجلس واشترط لإلغائها اتفاق ثلثي أعضائه (مادة ٥ و ٥١) ، ومنح الرئيس حق إعلان حال الطوارئ دون الرجوع إلى المجلس (مادة ٥٧) وسلط يده على هذه المؤسسة التشريعية من حيث حقه بدعوتها إلى الانعقاد وفض اجتماعاتها وحلّها وتشكيل أخرى بديلة (مادة ١٧ و ١٨) وهكذا أصبح الرئيس يحكم دون أي قيد تشريعي . ولم تشر نصوص الدستور إلى واضعه ولا إلى من أقره بعد مناقشته ولا إلى ضرورة عرضه على الاستفتاء الشعبي ، ولا إلى مدة العمل به ولا إلى السلطة التي ستتولى إصدار الدستور الدائم ، وبذلك توضحت منذ البداية معالم النظام الفردي الذي جعل من عبد الناصر صاحب السلطان الواسع على سورية كما كان الحال في مصر .

في ٦ آذار تشكلت أول حكومة في دولة الوحدة [٢] ، وزودت سورية بمجلس تنفيذي ضمّ الوزراء السوريين التالية أسماؤهم : عبد الوهاب حومد العدلية ، فخري الكيالي المالية ، خليل كلاّس الاقتصاد ، حسن جبارة التخطيط ، ومن الضباط : عبد الحميد السرّاج الداخلية ، مصطفى حمدون الشؤون الاجتماعية ، أحمد عبد الكريم الشؤون

---

(١) – راجع نص الدستور في : الجمهورية العربية المتحدة ، الجريدة الرسمية ، عدد ٨ ، عام ١٩٥٨ ، ص١٦ – ١٨ .

(٢) – الوثائق المتعلقة بمراحل تشكل الجمهورية العربية المتحدة موجودة بكاملها في :
- Orient, Paris, No 5, 1958 , p.181 - 200 .

البلدية والقروية ، أمين النفوري المواصلات [١] . " وكان هذا المجلس نوعاً من حكومة ذاتية على نسق نظام شبه فيدرالي يتجاوب مع أماني السوريين ، إلا أن عمله قد أعيق بسبب أن مهامه كانت غير محدّدة وارتبطت بالتعليمات الصادرة عن القاهرة [٢] .

هذا التنظيم شبه الفيدرالي المعزز بالانفصال الأرضي بين الإقليمين قد أوجب إقامة حكومة مركزية نال السوريون فيها ثلاثة مقاعد من أصل ١٤ : صبري العسلي وأكرم الحوراني نائبان للرئيس ، وصلاح الدين البيطار وزير دولة ولم تكن مهام هؤلاء واضحة بل كانوا تحت تصرف الرئيس ليس أكثر ، وحظي المصريون بالحقائب الوزارية الهامّة ، وتركزت صلاحيات الدفاع في أيدي الوزير المصري عبد الحكيم عامر .

وتتالت عملية المركزة لتظهر جلياً أن القاهرة لن ترضى إلاّ أن تكون الجهة المسيطرة على الدولة الجديدة ، فقد تعيَّن محمود رياض مستشاراً خاصاً للرئيس في قضايا الإقليم الشمالي ، وفي هذا دلالة ، ليس على حذر ناصر من الوزراء السوريين فحسب ، بل أيضاً إلى رغبته في الالتفاف حولهم بإقامة احتكاك مباشر ومصري صرف بين دمشق والقاهرة [٣] . ومنذ الأيام الأولى للوحدة ، بدأت تفدُ إلى سورية أفواجٌ من المصريين للعمل كمستشارين في الحكومة المحلية وخاصة في وزارتي الصحة والتربية . وتأكدت الميول نحو جعل سورية مقاطعة تدور في فلك القاهرة في عملية بسط اليد على المؤسسة العسكرية ، فانطلاقاً من وعي المصريين بأن الجيش السوري هو وحده القوة

---

(١) – راجع مرسوم التعيينات الوزارية في الجمهورية العربية المتحدة ، الجريدة الرسمية ، عدد ٨ عام ١٩٥٨ ، ص٢٠ . وقد أدخل المصريون وزارات جديدة إلى سورية على النسق المصري وهي : التخطيط والشؤون البلدية والقروية والشؤون الاجتماعية . وقد صدر فيما بعد قرار تعين بموجبه العسلي رئيساً للمجلس التشريعي ، الذي لم يكن أكثر من لجنة تنشر القرارات الصادرة عن القاهرة ، وتعيين الحوراني رئيساً للمجلس التنفيذي وبهذه الصفة مارس البعث صلاحيات واسعة في سورية . راجع :
- S. Jargy, la Syrie .. , p. 26 .

(٢) – F. o/ 371/ 141896/ "Nasser's Problems in Syria" Report From British Embassy, Beirut 26/2/1959, p. 1 - 5 , p. 1 .

(٣) – أطلق عليه السوريون إسم " المندوب السامي " . ولما ترددت النغمة كثيراً صدرت الأوامر بعودته إلى القاهرة . راجع : هيكل ، مالذي جرى .. ، ص٧٦ .

القادرة على تحطيم الكيان الجديد ، وبالتالي كانت أول المهام التي باشروا بها تصفية "مجلس القيادة العسكرية " وفي هذا السياق عرض عامر على الضباط أما التفرغ للسياسة أو للعمل العسكري ، وبينما دخل بعض القادة في الوزارة اختار الباقون الجيش ثم قام عامر ، بصفته قائداً عاماً للقوات المسلحة بإصدار نشرة تضمنت ترقية اللواء عفيف البزري إلى رتبة فريق وتعيينه قائداً للجيش الأول (السوري) . واللواء جمال فيصل نائباً للقائد ، والعميد المصري عبد المحسن أبو النور معاوناً للقائد . كما تضمنت النشرة نقل بعض ضباط "مجلس القيادة " إلى القاهرة وتعيين بعض المصريين في رئاسة الأركان منهم أحمد زكي عبد الحميد وأسندت إليه شعبة التنظيم والإدارة [١] وقد تضمنت النشرة تسريح ٩٤ ضابطاً ، وقيل أن البعث كان وراء هذه الأسماء من ذوي الاتجاهات اليمينية [٢] ومن ثم تنافس الشيوعيون والبعثيون في تقديم قوائم الضباط المتهمين بالشيوعية أو بالبعثية بهدف التخلص منهم . وتتالت في سياق سريع عمليات التطهير والنقل والتغييرات ودمج قطاعات الجيش لفرض النظام المصري بكامله في كل الدوائر والقطاعات [٣] ومثلت تنحية البزري المبكرة عن قيادة الجيش الأول في ٢٣ آذار فاتحة لتصفية باقي التكتلات العسكرية – السياسية ، وقيل أن السبب هو اعتراضه على تطهير عامر للضباط اليساريين أو حسب بعض المصادر ، لأنه قام بحركة تنقلات في

---

[١] – وبموجب التعيينات الجديدة تولى أكرم الديري شعبة العمليات ، جادو عز الدين قيادة الجبهة ، جاسم علوان لواء المشاة ، طعمة العودة الله سلاح المدرعات وجمال الصوفي سلاح البحرية . راجع حول التغييرات داخل المؤسسة العسكرية المصادر التالية : أحمد عبد الكريم ، أضواء ، ص ١٣٠ – ١٣٤ . صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص ١٣٩ – ١٤١ . عوني عبد المحسن فرسخ الوحدة في التجربة ، ص ٢٦٦ – ٢٧٦ . مجدي حماد ، العسكريون العرب وقضية الوحدة ، ص٣٨٩ – ٣٩٦ .

[٢] – راجع : أحمد عبد الكريم ، أضواء على تجربة الوحدة ، ص ١٣٢ ، هيكل ، مالذي جرى، ص٨٠ .

[٣] – بهذا الصدد كتب عفيف البزري : " لقد استحالت أعمال التنسيق التي قامت بها لجان مشتركة لدمج الجيشين إلى أعمال تمصير الجيش السوري ، وكانت تلك اللجان قد فشلت قبل الوحدة في التوصل إلى أية نتيجة ايجابية لرفض المصريين قبول أي اقتراح سوري وبعد الوحدة كانت الأوامر القادمة من القاهرة تحسم الخلاف بفرض النظام المصري مائة بالمائة " راجع كتابه ، الناصرية ، ص٣١٤ .

الجيش وضع بموجبها مجموعة من الضباط الشيوعيين من أنصاره في عدد من المراكز الحساسة . ولما صدر من القاهرة قرار بوقف هذه التنقلات وتسريح بعض الضباط الشيوعيين اندفع البزري إلى تقديم استقالته وتقرر في القاهرة قبولها للتو [١] . كشفت قضية البزري عن تصميم القاهرة لانهاء دور القوى السياسية داخل الجيش وأن النظام الجديد لن يسمح بأن يفرض قادة الجيش السوري وصايتهم على قرارات الدولة . وقد وصف أحمد عبد الكريم هذا الواقع بالقول : "كانت حالة البزري بمثابة سياسة لعزل الجيش عن الشعب وتصفية العناصر القومية فيه " [٢] .

تمثل الاستثناء المميز الذي مُنح للاقليم الشمالي في إطار التنظيمات الأولية ، في ذلك الموقع الهام الذي ناله حزب البعث والسرّاج الذي تمتع بسلطات فعلية وأشرف من خلال منصبه كوزير للداخلية على قوات الأمن وخاصة على " المكتب الثاني " الذي تحول إلى "المكتب الخاص " وربط بالسرّاج مباشرة [٣] ، أما بالنسبة لحزب البعث ، الذي يدين له عبد الناصر بالكثير ، فقد توجب عليه أن يتعامل معه باحترام كامل ، وعليه نال البعثيون حصة الأسد في الحكم : وزارة في الحكومة المركزية ووزارتين في المجلس التنفيذي ورئاسة هذا المجلس ، ومارس البعث سلطة حقيقية بعد حل الأحزاب الأخرى وإقامة الاتحاد القومي حزب الدولة الواحد الذي ستندمج في قالبه كل التنظيمات السياسية القديمة [٤] وفي هذا التشكيل السياسي حل البعث محل الأحزاب التقليدية وسعى بإلحاح

---

(١) – حول قضية البزري راجع : هيكل ، مالذي جرى ، ص ٧٩ – ٨٠ ، أحمد عبد الكريم ، أضواء ، ص ١٣٢ و

- T. Petran , Syria , p.129 . E. Be'eri, Army officers , p.136 .

(٢) – راجع كتابه ، أضواء ، ص ١٣٣ .

(٣) – راجع : هيكل ، مالذي جرى ، ص١٠٣ – ١١٦ ، و

- Ed Saab , la Syrie , p. 98 - 99 . cf. S. Jargy , la Syrie province.. , p.26 .

(٤) – نص البند ٧٢ من الدستور المؤقت على : " أن يكون المواطنون اتحاداً قومياً للعمل على تحقيق الأهداف القومية ولحث الجهد لبناء الأمة بناءً سليماً .. " ولقد ولدت الفكرة من ايدولوجية الثورة المصرية وضمن إطار القومية العربية التي تبنتها القاهرة عام ١٩٥٦ ، وهو نوع من حزب واحد تأسس في مصر في ٧ تشرين الثاني ١٩٥٧ بمرسوم رئاسي وحل محل " هيئة التحرير" التي تأسست في ٥٣/١/٢٣ لتجميع أبناء الوطن في إطار سياسي جديد . راجع : محمد عبد الحكم دياب ، الثورة

للتوصل إلى مركز مهيمن داخل الاتحاد ، ودبر استمرارية وجوده بتعقل وقاوم كل محاولة لتقييد نشاطه ، وحافظ على شخصيته وبدأ يلغي منافسيه في المراكز والمناصب الادارية وفي التنظيمات النقابية والاتحادات مؤسساً في سورية ما أسماه المصريون "مزرعة حزب البعث" [١] وفي الحقيقة أظهر البعث رغبة جامحة في الاستفادة قدر الامكان من تلك الوحدة التي كان له الدور الفاعل في قيامها،إلا أن قادته لم يفهموا طبيعة النظام بسبب غموض العلاقة التي نشأت بينهم وبين الناصريين عشية الوحدة ، ولم يدركوا إلا متأخراً أن النظام الذي أقامه ناصرولن يكون فيه وجود لأي كيان سياسي آخر [٢] .

في الأشهر الأولى للوحدة ، بدا واضحاً أن حسابات البعث كانت سليمة ، فقد بقي عفلق على رأس حزبه ، واستمر تنظيم البعث قائماً وفاعلاً خارج سورية ، ونال البعثيون المراكز الهامة في الإقليم الشمالي ، وعلى الرغم من هذا الرداء الظاهري ، فإن ناصراً لم يترك للبعث الحرية في إدارة سورية ، ولا مهمة تنظيم " الاتحاد القومي " الذي اعتقد قادته أنه سيكون امتداداً لحزبهم ، وبدأت قوة هذا الحزب تضعف بشكل منسق ومدروس، إلى أن انتهت ، أمجاده ، اثر ظهور أحداث جديدة على مسرح الشرق الأوسط ، لتحل محل سلطته ودوره دولة المخابرات الصارمة .

الجمهورية العربية المتحدة أمام العالم الخارجي :

في الوقت الذي كانت فيه دمشق والقاهرة تتحضران لإعلان وحدة دولتيهما ، كان المجلس الأعلى لدول حلف بغداد منعقداً في أنقـرة (من ٢٦ إلى ٣١ كانون الثاني) وقد ألقى حدث قرب إعلان الوحدة بظلاله على المباحثات السياسية التي جرت بين مندوبي دول الحلف ووزير الخارجية الأمريكية ، وحسب محاضر الجلسات السرية تخصص يوما ٢٧ و ٢٨ منه لمناقشة التقارير الواردة حول الوحدة المرتقبة والاطلاع

العربية المعاصرة ، الأبعاد الفكرية والتنظيمية ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٧٨ ، ص٢٧١ – ٢٨١ .

(١) – راجع : خطاب جمال عبد الناصر في الأهرام ، عدد ٢٣ تموز ١٩٦٣ . ومحاضر جلسات مباحثات الوحدة . (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣) ، ص٩٦ ، ١٠٣ .

(٢) – I. Rabinovich, Syria Under the Ba'th, p.16 - 17 . cf. S. Jargy, "le Declin d'un Parti" Orient, No11, 1959 . p.30 - 31 .

على آراء المجتمعين حول الحدث [1] ، ونجد من المفيد استعراض بعض تلك الآراء والقرارات السرّية المتخذة لكونها تكشف أن دولة الوحدة كانت من وجهة نظر محيطها والقوى الغربية ، امتداداً لا يمكن القبول باستمراريته . في الإجتماع الأول ، افتتح نوري السعيد الكلام قائلاً : " إن الشعب السوري لم يمنح حرية الاختيار وإلاّ لاختار الوحدة مع العراق ، وأن ناصراً سعى إلى الوحدة لكونه بحاجة إلى حدث ضخم يرضي به شعبه ، وحصل على دعم العناصر البعثية اعتقاداً منها أنه سيخلص سورية من الشيوعيين ، وهذا خطأ لأن الروس لصالح الوحدة " ثم سأل السعيد أعضاء المجلس إذا كانوا مستعدين لمساندة العراق إذا أراد استغلال الحدث لاستعادة المناطق الشمالية الشرقية من ولاية الموصل التي ألحقت بسورية " فردِ وزيرا خارجية تركيا وباكستان بأن على العراق أن يتخذ مبادرة أخرى هي الوحدة مع الأردن ثمَّ مع السعودية أو بدونها" وتدخل وزير الخارجية البريطاني فاستعرض الحلول الثلاثة التي كان شارل مالك قد اقترحها على السفير البريطاني للرد على الوحدة وهي : إما مواجهتها بالقوة ،أو التعامل معها، أو العمل تدريجاً على تمزيقها [2] " وهو الأفضل ، قال (J. Bowker) ، "ويحتاج نجاحه اتخاذ الخطوات التالية : اتحاد بين العراق والأردن والسعودية ، تشجيع المعارضة داخل سورية، تركيز الإعلام على إظهار أن الوحدة صفقة خاسرة أضاع فيها الشعب السوري سيادته واستقلاله " . ثم استعرض (Dullas) سياسة حكومته قائلاً " إننا نوافقكم الرأي بأن وحدة سورية ومصر تشكل خطراً على مصالح الغرب ، وإذا وقفنا متفرجين أمامها فإنها ستتسع لتضم في وقت قصير الأردن ولبنان ثم السعودية وأخيراً العراق الذي سيصبح جزءاً من دولة ناصر إسمياً وتحت السيطرة السوفياتية فعلياً ، لذا من الواضح

---

[1] – تفاصيل هذه المباحثات في وثائق وزارة الخارجية البريطانية التالية أرقامها

- F. o/ 371/ 134386/ Top Secret No195 / 28/1/1958, p.1 - 3. Report No 357, 29/1/1958/ p.1-2 and 134388 top Secret No 87 G/29/1/1958, p.1 - 3 . and 134399, Report of "Egyptian - Syrian Union" No115/ in p. M. January 28 , p.1 - 4 .

[2] – أقلقت أنباء الوحدة الحكومة اللبنانية ، واتصل شارل مالك بسفيري واشنطن ولندن لمعرفة مدى الدعم الذي سيقدم للبنان بمواجهة ما رآه مالك " محاولة السوريين والمصريين إثارة الوضع الأمني بحيث لن تستطع أية حكومة مقاومة الضغوط العسكرية والسياسية " راجع :

- F. o/ 371/ 134386/ Report No 781 Beirut 27 January 1958 .

أن علينا معارضة الوحدة ، إلا أنه علينا ألاّ نفعل ذلك حتى يصبح بالإمكان الإطاحة بها، وعليه فإن سياسة حكومة الولايات المتحدة هي : ١- لن تتخذ بذاتها أية مبادرة للتدخل ٢ - كل مبادرة يجب أن تصدر عن دولة عربية ٣- ستكون حكومتي جاهزة لدعمها وإذا لم توجد دولة عربية جاهزة للعمل فلن يكون هناك أي دور للولايات المتحدة ". عندئذ أعلن وزير الخارجية البريطاني أن حكومته تعتمد السياسة نفسها [١] وطالب السعيد منحه أسبوعاً أو إثنين للتوصل إلى قرار ، ورأى المجتمعون أنها مدة طويلة وقرروا الحسم في اليوم التالي .

في اللقاء الذي جرى صباح ٢٩ كانون الثاني في السفارة العراقية في أنقرة ، أعاد السيد دالس التأكيد أمام أعضاء البعثة العراقية على موقف حكومته المعارض للوحدة سواء كان الشيوعيون مؤيدين لها أم معارضين ، وعلى دعمها لأي عمل تتخذه أية دولة عربية ، وقال أنه يرى أن نوري هو الأكثر قدرة على التصرف ، فرد نوري قائلاً : " إننا نعتقد بأن على الولايات المتحدة أن تحاول إيجاد حل للمسألة الفلسطينية وإحياء لجنة الصلح " فرد دالس قائلاً : " إن هناك صعوبات في هذا الصدد ، وإن ذلك ليس جواباً عن وحدة سورية ومصر" [٢] عندئذ سأله فاضل الجمالي " هل حكومة الولايات المتحدة جاهزة لتعطي للعرب ما قررته الأمم المتحدة عام ١٩٤٩ " فأجاب الوزير الأمريكي " إن حكومتي لن تقدم مثل هذه الضمانات لأن خطة ١٩٤٩ أصبحت خارج الزمن وأن أفضل ما يمكن التعويل عليه قيام مباحثات منفردة مع كل دولة على حدة على نفس النمط الذي اعتمد في مشكلة Trieste " . وقد عارض دالس بشدة اقتراح نوري السعيد باستغلال الاعلان عن دولة الوحدة لضم أجزاء من سورية إلى العراق ، لأن هذا ، سيقوي التحالف

---

[١] - برر السير J. Bowker هذه السياسة بالقول : " بما أن الروس ليسوا في المسألة بشكل علني وواضح فإن واشنطن لا تريد التدخل لاعطاء السوفيات مبرراً للتدخل " راجع :

- F. o/ 371/ 134386. Report No195, 28/1/1958, p.3 .

[٢] - فند دالس هذه الصعوبات ومنها أن فرنسا العضو في اللجنة لن تكون مقبولة الآن عند العرب نظراً لصلاتها مع إسرائيل وبالتالي فإن إحياء لجنة الصلح يتطلب قيام الأمم المتحدة بتغيير أعضاء اللجنة وهذا يستغرق وقتاً وسيكون بدون فائدة ووعد بصدور تصريح عن حكومته مؤيد لايجاد حل سريع للمسألة الفلسطينية " راجع :

- F.O/ 371/ 134388/ Secret Report No 876/ 29/1/1958 . p.1 .

السوري – المصري ويخلق فرصة ملائمة لاحتمال تدخل السوفيات ، كذلك رفض البريطانيون الفكرة لأن " أي تدخل عسكري عراقي يجب أن يكون بناءً على طلب من حكومة سورية [1] .

في الاجتماع المغلق لأعضاء دول الحلف كانت آراء دالس هي الفاصلة ، حيث تقرر ١– رفض أي عمل عراقي عسكري فوري ٢– التأكيد على ضرورة قيام عمل عربي مشترك ٣– على حلف بغداد ألاّ يتخذ أية مبادرة بخصوص وحدة مصر وسورية وعلى دوله ألا تكشف عن مواقفها منها حتى تصبح العراق قادرة على تأمين تضامن الموقف العربي وأن تكون الفرصة مناسبة لتحريك قوى المعارضة السورية ٤– قرر المجلس حث العراق على إقامة اتحاد فيدرالي مع الأردن والسعودية وألا يسمح للمنازعات بين الأسر الملكية أن تحول دون ذلك . وإذا كانت هذه المقررات السرية قد نصت على السعي لتحطيم الوحدة فإن البيان المعلن في ٣١ كانون الثاني لم يتضمن أية إشارة معادية أو مؤيدة للوحدة المقترحة [2] .

بينما رشفت مصر كأس النصر في الأول من شباط ، أعلن في ١٤ منه قيام الاتحاد العربي بين العراق والأردن [3] ، وقد فاق حدث إعلان الوحدة الحدث التالي أهمية بكثير ، فالاتحاد بين العرشين الهاشميين قد قوى تحالفاً كان قائماً في حين كسر اندماج سورية مع مصر التوازن القائم في المنطقة لصالح مصر وعلى حساب الأسرة الهاشمية التي تحتم عليها مقاومة السيل الجارف القادم من دمشق بكل الوسائل المتاحة .

---

(١) – - F.O,371 / 134386/ Secret Report No357/ From F. O. to Ankara /19/1 , p.1 .

(٢) – في الواقع ، أرادت الولايات المتحدة إيجاد تسوية ملائمة مع عبد الناصر ، لتأمين استقرار الوضع في الشرق الأوسط وإيجاد حل للمسألة الفلسطينية ، ويبدو أن الإدارة الأمريكية قد توافقت مع وكالة الاستخبارات الأمريكية بما يخص التعامل مع الرئيس عبد الناصر راجع ما كتبه :
- Miles Copeland, the Game of Nations , p.176 - 186 .

(٣) – احتفظ العراق والأردن بشخصيتها الدولية ونظام الحكم ، ويكون ملك العراق رئيساً للاتحاد وفي حال غيابه تعود الرئاسة إلى ملك الأردن ويكون مقر الحكومة الجديدة في بغداد ستة أشهر ومثلها في عمان وتناط السلطة التشريعية بمجلس الاتحاد المؤلف من ٤٠ عضواً مناصفة بين الدولتين . يتولى رئيسه مهام الملكيين في أثناء غيابهما . راجع دستور الإتحاد في : صحيفة الرأي العام ، دمشق ، عدد ١١٣٤ ، ٢١ آذار ، ص١ – ٥ .

منذ مطلع آذار بدأت أجهزة الإعلام في كلتا الدولتين حملاتها الشرسة ، وتبودلت فيها عبارات الاتهام الجارحة ، وبينما وصفت بغداد وعمان الوحدة بأنها تسلط مصري على مقومات سورية ، وخيانة للشعب العربي ، وأن قادة دمشق والقاهرة عملاء للصهاينة والشيوعية، [١] ردت دولة الوحدة على أعداء النظام الجديد بعنف أشد ، فهم ليسوا "أكثر من عملاء للأجانب وخدم للامبرياليين وخونة للعروبة وسيلقون حتماً مصيراً أسود " هذا ما قاله ناصر في خطاب ألقاه في ٢٠ آذار في ساحة الشهداء بدمشق وكرر نفس التعابير في ساحة الجمهورية في القاهرة وزاد عليها "أن الهاشميين يتحملون وحدهم مسؤولية ضياع فلسطين" [٢]. هدفت هذه الحملة الإعلامية إلى جذب الدول العربية إلى هذا المعسكر أو ذاك ، ولم يكن الصراع بين فريقين متعادلين لأن قضية الهاشميين كانت من الماضي باهتة وذابلة مثل الماضي الذي أفقدها تألقها ، أما دولة الوحدة فهي ذات بريق جديد ولون جديد وطابع أخّاذ " وبالفعل أحرزت هذه الدولة أول نجاحاتها ، ففي ٨ آذار وعلى الرغم من ضغوط السعودية ، وقع ولي العهد الإمام بدر سيف الإسلام اتفاقية دخول اليمن في اتحاد فيدرالي مع الجمهورية العربية المتحدة [٣] ، وبقيت لبنان والسعودية ، ففي ٢٦ شباط وصل وزيرا خارجية بغداد وعمان إلى الرياض لإقناع حكومتها بالانضمام إلى الاتحاد الهاشمي ، وكان الملك سعود يرى " أنه ليس من الحكمة اتخاذ أية خطوة معارضة للوحدة السورية المصرية " لأنها تعبير عن آمال العرب ، وأنه يأمل أن تؤدي الوحدة إلى ازدهار مصر وسورية معاً والا ينتج عنها ما يسيء إلى الدول العربية الأخرى " [٤] ومع ذلك فإن خطوة العراق باتجاه السعودية ، قد دفعت بعبد الناصر

---

(١) – للتوسع راجع : الوثائق في :

- Orient, No6 , 2eme trimestre , 1958 , p.68 - 69 .

(٢) – راجع : الرأي العام ، عدد ١١٣٣ ، ٢٠ آذار ، ص ٣ – ٥ ، الأهرام ، عدد ٢١ نيسان ١٩٥٨ ، ص١ و ٥ .

(٣) – للتوسع حول ظروف قبول ناصر بإقامة اتحاد فيدرالي مع اليمن ، ودور القوتلي في ذلك ، عليه مراجعة ما كتبه هيكل في كتابه ، مالذي جرى في سوريا ، النجوم" ، ص١٨٩ – ١٩٨ .

(٤) – هذا ما قاله الملك سعود في رده على رسالة الرئيس ايزنهاور حول الوحدة ، وقد حمل الشيخ يوسف ياسين الرسالة إلى السفير الأمريكي في الرياض وقال له " إن الوحدة أصبحت أمراً واقعاً ، وأن من الضروري الانتظار وترقب ما سيحدث " راجع :

إلى اتخاذ مبادرة سريعة ، كانت على شكل خطاب في غاية العنف ألقاه في دمشق في ٥ آذار اتهم فيه العاهل السعودي بتدبير مؤامرة ضد سورية ومصر لصالح الامبريالية ، وفي نفس اليوم أكد السرّاج قصة المؤامرة وبأن سعوداً خصص ٢٢ مليون ل. س للحؤول دون قيام الوحدة واغتيال عبد الناصر [١] وللتو أعلنت الرياض أنها لن تنضم إلى المعسكر العراقي بل ستلزم الحياد بين الكتلتين ، ولم يكن ذلك كافياً في نظر قادة الوحدة ، وعليه شنت القاهرة ودمشق حملة إعلامية مسعورة على سعود أثارت ثورة في بلاط الرياض : ففي ٢٣ آذار ، ونتيجة قرار مجلس الأسرة الحاكمة ، أُجبر سعود على التخلي عن سلطاته لأخيه فيصل المؤيد للناصرية ، وهكذا تجسد اعتراف السعودية بالهيمنة المصرية على سورية ، والتزامها الحياد والعزلة في صحاريها الواسعة [٢] . وسارت دولة الوحدة في طريق مجدها ، إذ لم يكتف قادتها بالنجاح الذي أحرزوه في السعودية بل أرادوا نصراً آخر في الجار الأقرب إلى الإقليم الشمالي ، في لبنان ، الذي طالما تطلع دُعاة القومية إلى ضمه إلى سورية ، وجاءت الوحدة لتقوي تلك الآمال ، بالاضافة إلى أن التحالف المعروف وغير المعلن بين بغداد والحكومة اللبنانية ، قد أقلق قادة الوحدة وتوجب عليهم العمل لإدخال لبنان في الوحدة أو على الأقل ضمان حياده كي لا تصبح سورية محاطة بالأعداء من كل جانب . هذا وإن الشعبية المنقطعة النظير التي تمتع بها عبد الناصر في أوساط الرأي العام اللبناني وتركيبة المجتمع اللبناني ووضع الحكومة المتقلقل ، قد منح قادة الوحدة وسطاً سهلاً وممهداً لخططهم [٣] .

- F. o/ 371/ 134388/ No 84 / 11/1/1958 .

(١) – حول هذه القضية التي أثارت ضجة كبيرة راجع وجهة نظر المصريين في كتاب هيكل ، ماالذي جرى في سوريا ، ص١٠٦ ، ١٢٦ – ١٢٧ . وقد تحدث العظم في مذكراته عن أن السرّاج سعى إلى توريط الملك سعود بالعملية ، ج٣ ، ص١٧٤ – ١٧٥ .

(٢) – تسلم فيصل رئاسة الدولة والخارجية والمالية والداخلية والجيش ، وأبقى مستشاري سعود في مجلس الوزراء ، وحسب صحيفة الرأي العام الدمشقية "فإن هذه الحركة نشأت نتيجة قيام منظمة ثوار في المنطقة الشرقية مؤيدة للناصرية وراحت توزع ألوف النشرات التي فضحت فيها مؤامرة سعود على دولة الوحدة وتعامله مع الأمريكان " راجع العدد ١١٣٧ ، في ٢٦ آذار ١٩٥٨ .

(٣) – للتوسع راجع :

- Francis Nour, "Particularisme Libanaise" dans Orient, No7 . 1958 , p.29 -42.
cf. S. Jargy, "Realites Libanaises" . Orient No9, 1959 , p.40 – 47 .

كان لبنان ، منذ قبوله بمبدأ ايزنهاور ، قد أصبح فريسة أزمة داخلية خطرة ، وقد ترافقت مع التحركات السرية لعناصر المخابرات السورية ، حملة صحفية في دمشق والقاهرة راحت تزكي الأحقاد وتثير الكراهية بين عائلات لبنان وزمره ، وتحرّض على النظام ، وجاءت رغبة شمعون في تعديل الدستور لتجديد ولايته لتثير معارضة قوية ليس بين المسلمين فحسب بل بين قطاع من المسيحيين أيضاً ، ومنذ شهر شباط شاعت الاغتيالات ، وانتشرت آلاف الصور لناصر وشمعون وفي نهاية آذار قامت تظاهرات عنيفة في صور وصيدا وتحول إقليم الشوف في مطلع نيسان إلى مرسح لأعمال الفوضى والتخريب ، واتّهمت دمشق الحكومة اللبنانية بتدبير هذه الأعمال لتبرير الاستعانة بالأجنبي ، وارتفعت فيها الأصوات الداعية إلى مواجهة تحركات " النظام اللبناني التآمري المشبوه " [1] .

في النصف الثاني من شهر نيسان ، أحرزت دولة الوحدة نصراً معتبراً على الصعيد الدولي ، فعلى أثر زيارة ناصر إلى موسكو ، نالت دولته اعتراف الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي بسياسة الحياد الإيجابي للجمهورية العربية المتحدة ، واتفاقيات مع السوفيات لبناء السد العالي والتنمية الاقتصادية كما أعلن في واشنطن عن رفع الحظر عن الممتلكات المصرية المجمدة منذ أزمة السويس وعن امكانية منح مصر مساعدات مالية ، وبدأت بالتالي القروض الأمريكية تغطي العجز في ميزانية الجمهورية العربية المتحدة [2]. إلا أن الأحداث التي اندلعت في لبنان في الثامن من أيار [3] قد أوقفت مؤقتاً

---

[1] – راجع صحيفة الرأي العام ، عدد ١١٥٠، ١٠ نيسان ١٩٥٨ ، الأخبار ، دمشق ، عدد ٤٣٣، ١٥ نيسان ١٩٥٨ .

[2] – حول نتائج هذه الزيارة راجع :

- H. Carrere d'Encausse, la Politique Sovietique ... p. 104 - 106 , cf. Orient , Documents , No 6, 1958 , p. 157 - 178 .

[3] – المعلومات حول أحداث لبنان مستقاة من المصادر التالية : الصحف اللبنانية والدمشقية الصادرة ما بين شباط حتى أيلول ١٩٥٨ ، ايفلاند ولبركراين ، حبال من رمل ، قدم فيه وصفاً مفصلاً للأحداث في الصفحات ٤٩٥ – ٥٥٦ و ٥٦٥ – ٥٥٦ .

- cf. D. W. Eisenhower , the White house years. 2 tomes. Newyork 1965. T. II, p. 190 - 202, cf. M. Kerr. the Arab cold War (1958 - 1964) op. cit, p.260 - 261 . cf. M. colombe, Orient Arabe et non-engagement , 2 vols , Paris 1973 , vol 11, p.103 - 110 , et ses articles dans Orient No6 , p.7 - 22 , et No7 , p.7 - 20 , et No8 , p.7 - 16 .

التقارب بين القاهرة وواشنطن ، ففي ذلك اليوم، استفاق لبنان على نبأ اغتيال الصحفي نسيب المتني في ظروف غامضة [1] ولم تمض أيام حتى تحول الحادث إلى ثوره مسلحة اشتعلت في طرابلس وبيروت ثم في كل لبنان ، وانقسم اللبنانيون ما بين أنصار لشمعون وأنصار لعبد الناصر ، وتحول زعماء المعارضة إلى قادة زمر وعصابات ، وكادت تتحول الأزمة السياسية إلى ثورة طائفية لولا وقوف البطريرك المعوشي في صف المعارضة ، ومع أن الرئيس شمعون تراجع عن فكرة تجديد ولايته ، إلا أن الثوار أصرّوا على استقالته للتو وتشكيل حكومة اتحاد وطني برئاسة شخصية حيادية، وتأزم الوضع عندما اتهم شمعون حكومة الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل علناً في لبنان وتهريب السلاح والعناصر والمعدات عبر الحدود ، ثم أغلقت الدولة مراكز الحدود وطردت ١٢ ألف سوري من لبنان .

في ١٤ أيار وصف الرئيس ايزنهاور أحداث لبنان بأنها " من إيحاء شيوعي تنفّذها الجمهورية العربية المتحدة لإثارة حرب أهلية " [2] وأعلن السفير الأمريكي في بيروت أن "حكومته مصممة على مساعدة الحكومة اللبنانية للحفاظ على الأمن الداخلي" [3] بينما أكد ناصر بعد عودته من موسكو ، أن الأزمة اللبنانية داخلية وليس في نيته مسّ استقلال بلدٍ عزيز عليه، وأنه يجب حل الخلاف ودياً ، وقد عدل عن سفرته المقررة إلى دمشق كي لا يُفسر وجوده هناك بأنه تدخل في الأزمة اللبنانية [4] .

---

[1] – نقلاً عن نهاد الغادري أنه " بتاريخ ٦ أيار عقد السرّاج اجتماعاً في مكتبه حضره عبدو حكيم وعبدالجواد كبارة وأكرم الصفدي وتم فيه التخطيط لعملية الاغتيال ، وقد اختار السرّاج المتني لأنه ماروني من المعارضة .. وكان السفير المصري عبد الحميد غالب قد اقترح أن تكون الضحية من المسلمين كي يتهم شمعون بمقتله ، ولتأخذ الثورة طابعاً طائفياً وإلا لن يكون لها عمق جماهيري " راجع الكتاب الأسود ، ص ٥٧ – ٥٩ . أما المخابرات الأمريكية فقد نسبت العملية إلى عملاء السوفيات وذلك استناداً إلى تقارير الشرطة التي عرضها شمعون على العملاء في بيروت . راجع : ولبركراين ، حبال من رمل ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .

[2] – - Newyork Times, May 14 . 1958 .

[3] – الحياة ، بيروت ، عدد ١٤ أيار ١٩٥٨ .

[4] – الأهرام ، القاهرة ، عدد ١٦ أيار ١٩٥٨ .

إلا أن ما كان يجري في سورية ، كان دحضاً قاطعاً لذلك الاعتدال الذي أعرب عنه رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، ففي كل المدن السورية افتتحت مراكز للتبرع لصالح الثوار اللبنانيين ولضحايا الثورة ، وباسم العروبة وتحرير لبنان من الخونة تتالت التظاهرات ، بينما راحت الصحف تصب الزيت في النار متهمة الحكومة اللبنانية بتلقي الأسلحة من إسرائيل وتحدثت عن وصول طائرات عراقية إلى بيروت محملة بالفرق النظامية ، وعن لقاء سري جرى في الزرقاء (الأردن) في ٢٤ أيار بين نوري السعيد والحسين وشمعون ، وناشدت بعض الصحف الحكومة بالتدخل إلى جانب الشعب العربي في لبنان في كفاحه ضد الإمبريالية وعملائها وكانت مناسبة لبعض الصحف للتذكير بأن لبنان جزء من الأمة العربية وأن على الحكومة استعادة الأراضي التي انتزعها الإستعمار الإفرنسي من سورية [١] .

ولما أصبح كيان لبنان ريشة في مهب الريح ، سارعت كل من بريطانيا وتركيا والعراق إلى تقديم الدعم لحكومته ، وزودت واشنطن أنصار النظام بالأسلحة ، وعندما حذر الإتحاد السوفياتي القوى الغربية من مغبة التدخل في لبنان (١٨ أيار) ، أحالت حكومة سامي الصلح في ٢٢ منه شكواها ضد الجمهورية العربية المتحدة إلى الجامعة العربية ومجلس الأمن الدولي [٢] ، وكانت واشنطن والقاهرة قد اتفقتا على اختيار اللواء

---

(١) – راجع الصحف السورية ، الرأي العام ، الحداد من ١٥ – ٣٠ ايار ، الأخبار ، عدد ٢٣ أيار و٢٦ أيار ، وبردى ، عدد ١٨ أيار ١٩٥٨ .

(٢) – اجتمع مجلس الجامعة العربية من (٣١ أيار إلى ٦ حزيران) في بنغازي ولم يتوصل إلى قرار حاسم اذ تقرر : – إحلال جو الوئام بين الدول الأعضاء بكل الوسائل والطلب من لبنان سحب شكواه – دعوة اللبنانيين إلى التوقف عن إثارة الاضطرابات ، واتخاذ الاجراءات لحل الخلافات الداخلية بالطرق الدستورية – إرسال وفد من قبل الجامعة لتهدئة الأوضاع . راجع النص في :

Orient, No6 , Juin 1958, p.18.

وقد قرر مجلس الأمن إرسال مراقبين إلى الحدود بين الدولتين ، ولم يكن هذا القرار هاماً بسبب صعوبة حراسة ٣٠٠ كم٢ من الحدود المشتركة سيقوم بها بضعة مراقبين . راجع نص القرار النهائي لجلساته من ١٥ إلى ٢٢ تموز في المصدر نفسه ، ص١٩ . ومن الجدير ذكره أن موسكو أيدت موقف الجمهورية العربية المتحدة بينما لم يظهر مندوب الولايات المتحدة الحماس المفترض تجاه خلفائه اللبنانيين كما وأن واشنطن أرادت أن تصل إلى تفاهم مع عبد الناصر . للتوسع راجع :

- M . Colombe , Orient Arabe, Vol 4, p.106, cf. D. W. Eisenhower, the White ..

فؤاد شهاب خلفاً لشمعون ، إلا أن ثورة العراق (١٤ تموز) دفعت بالانكلو-ساكسون إلى التدخل مباشرة لانقاذ لبنان والأردن ، ففي ١٥ منه أنزلت الولايات المتحدة فرقة المارينز على الشواطئ اللبنانية وبعد يومين هبط لواءان من المظليين البريطانيين في مطارات الأردن ، وقد عدت القاهرة وبغداد هذا التدخل موجهاً ضدهما ، وأصدرت موسكو بياناً طالبت فيه واشنطن بسحب الفرق الأمريكية من لبنان ثم آخر أدانت فيه التدخل البريطاني في الأردن وحذرت تركيا من أي عمل عدائي ضد سورية والعراق ، ثم حشدت قواتها على الحدود مع تركيا وإيران واتخذت الأزمة أبعاداً دولية خطرة . وفي ١٦ تموز وصل (R. Murphy) إلى بيروت موفداً من الرئيس ايزنهاور لإيجاد حل للمسألة اللبنانية وأحيلت القضية إلى جمعية الأمم المتحدة التي افتتحت جلساتها في ٨ آب وبعد عشرين يوماً من المناقشات طالبت بعثة عربية بإحالة القضية إلى جامعة الدول العربية ولقي هذا الإقتراح قبول الأكثرية . وفي هذا الإطار كانت جولة الأمين العام للأمم المتحدة داغ همرشولد في الشرق الأوسط ، في هذه الأثناء كانت الثورة العراقية قد ثبتت سيطرتها ، وكان على بريطانيا أن تنسى النهاية المأساوية لحلفائها ، وكان على الملك حسين الاكتفاء بالحماية المقدمة له وإعلان انحلال الإتحاد الهاشمي ، وبعد أن اعترفت واشنطن بالنظام العراقي الجديد ، وتوصلت إلى تفاهم تام مع عبد الناصر انتخب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية في ٣١ تموز وفي ٢٢ أيلول تسلم مقاليد الحكم من كميل شمعون، وفي ٢٣ منه انسحبت القوات الأجنبية من لبنان والأردن [١] ، وانحنى عبد الناصر بلباقة أمام مبدأ لا غالب ولا مغلوب مستلهماً النصر الأعظم من ثورة العراق . وأصبح على حكومة لبنان ، منذ ذلك التاريخ ، أن تتعامل مع المعسكر الناصري باستقلال أقل بكثير من ذلك الذي سار عليه شمعون .

, T. 11, p.192

(١) - حول هذه الأزمة راجع :

- R. S. Miller . Dag Hammarskgold, and crisis diplomacy, Newyork 1961, p.170 - 178, cf. R. Murphy, Diplomat among Warriors , Newyork 1966, p.439 - 466, cf. M. Colombe, Orient Arab . - Vol 11. p.108 - 110 , cf. D. W. Eisenhower , the white house years, T. 11, p.200 - 202

انعكاسات ثورة العراق على أوضاع الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة :

فجر الرابع من تموز ١٩٥٨ ، أطاح انقلاب عسكري بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم بالنظام القائم في العراق ، وتفجرت ثورة شعبية دموية ، فقتل الملك وجميع أفراد أسرته . وجرَّت الجماهير جثة نوري السعيد ممثلاً بها في شوارع بغداد [١] .

بدت دولة الوحدة ، صباح ذلك اليوم الذي سقط فيه ألد أعداء الناصرية ، السيدة المطاعة في العالم العربي ، والوعاء الذي ستذوب فيه دول هذا العالم ، لقد انفتح أمامها طريق النصر واسعاً ممهداً .

بدت ثورة العراق في ساعاتها الأولى مؤيدة للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة وما عتمت أن خابت آمال المصريين في أن يصبح العراق الإقليم الثالث في دولة الوحدة ، وبين عشية وضحاها تحول العراق من حليف إلى منافس مقلق ، فقد كشف النظام الجديد عن هويته وتوجهاته عندما أبعد دعاة الوحدة عن الساحة ولما حاول الوحدويون العراقيون دفع قاسم إلى الوحدة تطلع إلى دعم الحزب الشيوعي العراقي المعادي للوحدة [٢] وتلاشى حلم التلاقي من النيل إلى الفرات ، لصالح القطرية ، وعاد العراق الجديد ليشكل تحدياً ليس فقط لزعامة ناصر بل أكثر بكثير ، لوجود الجمهورية العربية المتحدة ذاتها . فبغداد الجديدة ، لم تعد بغداد الهاشميين المثقلين بوزر ولائهم

---

(١) – عديدة المؤلفات التي تناولت هذه الثورة . وفي عملنا هذا استخدمنا المصادر التالية :

- Emile Delestre, "la Republique arabe Unie face a l'Irak et au communisme" dans, Orient, No9 , 1959, p.19 - 23 . cf. Francois Laurent, "Perspectives Irakiennes . Orient, No7,1958, p.17 - 26 , cf. G clin, "Situation de l'Irak" Orient No8,1958, p.33 - 42 . cf. Elie Kedourie "Reflexion sur l'Histoire du Royaume d'Irak" dans Orient No11, 1959, p.70 - 78 . cf. Walter Laqueur . "l'Irak est-il une democratie Populaire" dans "Preuves" mai 1959, No99 . p.50 - 52. cf. B. vernier . l'Irak d'aujourd'hui , Paris 1963 , p.148 160 .

(٢) – منع رشيد عالي الكيلاني بطل ثورة ١٩٤١ من دخول العراق في أول أيلول لأنه ألقى في ١٨ تموز خطاباً دعا فيه إلى دمج كامل بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وبعد أن سُمح له امتنع عن الإدلاء بأي تصريح بهذا المعنى ، وقد رفضت أكثرية الأحزاب العراقية الزعامة الناصرية ، باستثناء حزب البعث ، ولما وقف عبد السلام عارف نائب رئيس مجلس الثورة ووزير الداخلية يدعو إلى الوحدة أمام الجماهير . عُزل في ١٣ أيلول من منصبه في القيادة العسكرية مع احتفاظه بمناصبه الأخرى وكان من هذا إشارة واضحة لرفض كل الميول الناصرية في الأوساط العسكرية راجع :

- F. Laurent. Perspectives Irakiennes , p.20 - 21 .

للغرب ، بل بغداد المتحررة ، الجاذبة للسوريين ، وربما منطلقهم للتخلص من السيطرة المصرية والعودة إلى الانتماء لدولتهم ، تماماً كما فعلت لبنان والأردن والعراق عندما وضعت سيادتها واستقلالها فوق تلك القومية التي بشرت بها دمشق والقاهرة . وفي الواقع إن فشل عبد الناصر في العراق مهَّد لسقوط الوحدة وخلق مناخاً لصالح الإقليمية في كل أجواء العالم العربي .

وبعدما أضاع نسر صلاح الدين الأيوبي جناحيه ، شدد المصريون قبضتهم على سورية درءاً لارتدادها ، واتخذت القاهرة منذ شهر أيلول قرار تمصير سورية ففي ٤ منه صدر قانون العلاقات الزراعية وفي ٢٧ منه قانون الاصلاح الزراعي وتحديد الملكية واتخذ كلاهما السمات العامة المطبقة في مصر دون مراعاة الفروق البارزة في الحقل الزراعي بين الاقليمين ، وفي ٢٨ منه أُلغي النظام القبلي الذي أعطى بعض المميزات للقبائل البدوية السورية [١] . " لم يكن منطلق تلك الاجراءات اجتماعياً اقتصادياً هدفه تقليص حدة الفوارق بين طبقات الشعب وتسريع عملية الدمج بين الاقليمين ، بل كان سياسياً هدف إلى إضعاف سلطة كبار الملاكين وزعماء القبائل المتمركزين خاصة على الحدود مع العراق " [٢] . وكان الإجراء الأكثر دلالة على ارتياب المصريين من طبيعة الروابط بين العراق وسورية ، المراسيم الوزارية الصادرة في ٧ تشرين الثاني التي دعمت المركزية وأخضعت سورية بدرجة أعلى من السابق لاشراف القاهرة ، فقد فقد السوريون بموجبها ما كان قد أعطى لهم من سلطة في اتخاذ القرار ، وأصبح أعضاء المجلس التنفيذي مرتبطين مباشرة بالقاهرة وحتى السرّاج نفسه ، رغم بقائه في منصبه ، وضع تحت إشراف زكريا محي الدين وزير الداخلية في الحكومة المركزية التي دخلها وزراء سوريون هم : فاخر الكيالي (وزير دولة) ، صلاح الدين البيطار (وزير الثقافة

---

[١] – حول نص القانونين والتعليق عليهما : راجع بدر الدين السباعي ، المرحلة الانتقالية في سورية ، ص ٦٤ – ٩٤ ، ١٠٦ – ١٢٨ ، راجع أيضاً :

- Bernard Orgels, Contribution a l'etude des problemes agricoles de la Syrie, Bruxelles 1962. p. 45 - 46 .

[٢] – - F. o/ 371/ 141896/ "Nasser's Problems in Syria" Report From British Embassy in Beirut, 26/2/1959, p.4 .

والإرشاد القومي) أمين النفوري (المواصلات) أحمد عبد الكريم (الشؤون البلدية والقروية) [1] بشير العظمة (وزارة الصحة) [2] .

وكي لا تبقى في سورية عينٌ تتطلع إلى بغداد ، قبل المصريون استقالة صبري العسلي زعيم الحزب الوطني عن منصبه كنائب لرئيس الجمهورية ، وقد اتخذت هذه التنحية مغزىً خاصاً ، إذ حدثت بعدما أصبح العسلي هدفاً لغمزات الصحف المصرية التي راحت تنشر تفاصيل تآمره مع النظام الهاشمي نهاية عام ١٩٥٤ مما كشفت عنه بغداد في إطار محاكمة الزعيم العراقي فاضل الجمالي [3] ، والقرار الأكثر جرأة هو إقصاء أكرم الحوراني عن حكم الإقليم الشمالي ، ففي ١٨ تشرين الأول ، نص بلاغ موجز صادر عن القاهرة على انتقال صلاحياته في رئاسة المجلس التنفيذي إلى المهندس نور الدين كحالة ، وتعيينه وزيراً للعدل في الحكومة المركزية " لأن الفكر الاستقلالي

---

(١) – كان النفوري مسلماً سنياً من النبك وهو من الضباط القلائل الذين ترقوا من مدرسة ضباط الصف في عهد الزعيم إلى رتبة ملازم ثم نقيب وتولى في الخمسينيات إمرة اللواء الثاني ثم انضم إلى حركة الشيشكلي وكان مثقفاً ومتحفظاً ، إلا أن ولاءه السابق للغرب ثم للعظم قد دفع المصريين إلى الحذر منه . أما أحمد عبد الكريم الذي نشر كتاباً عن الوحدة ، فهو مسلم سني من حوران كانت آراؤه شبيهة بآراء النفوري . هذا وإن إبعاد هذين الضابطين عن سورية أنهى أي دور حاسم لهما داخل الجيش . راجع :

- E. Be'eri , Army officers , p.133 .

(٢) – ضمت التشكيلة الجديدة للمجلس التنفيذي السوري أربعة ضباط وجاءت على الشكل التالي : مصطفى حمدون وزيراً للاصلاح الزراعي ، طعمة العودالله للشؤون البلدية والقروية ، عبد الغني قنوت الشؤون الاجتماعية والعمل ، عبد الحميد السرّاج الداخلية . ومن المدنيين ، نهاد القاسم العدلية ، أمجد الطرابلسي التربية والتعليم ، عبد الوهاب حومد المالية ، خليل كلاس الاقتصاد ، رياض المالكي الثقافة والإرشاد القومي ، محمد العالم المواصلات ، شوكت القنواتي الصحة ، وجيه السمّان الصناعة، أحمد الحاج يونس الزراعة . راجع : الجمهورية العربية المتحدة ، الجريدة الرسمية ، عدد ١٧ ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢ – ٢٣ .

(٣) – منذ قيام ثورة العراق بدأت تسري الإشاعات حول العسلي وحسب هيكل ، فإنه كان يعبر الحدود كل ليلة إلى لبنان وينتقد تجربة الوحدة ، وأذاعت بغداد أنه قبض ١٥ ألف دينار من الحكومة العراقية للإطاحة بالشيشكلي ، قدم استقالته في ٦ تشرين الأول وقبلت للتو ، راجع التفاصيل في : كتاب حسنين هيكل ، مالذي جرى ، ص٧٧ – ٧٩ ، ١٨٤ – ١٨٥ .

الذي كشف عنه زعيم البعث يتعارض مع أهداف السياسة المصرية " [1] ، وفي نفس الوقت وضعت القاهرة قيوداً على أجهزة الإعلام السورية التي أصبحت "مثل حصان جامح جسمه في سورية ولجامه مشدود إلى القاهرة ، فبعد أن رُبطت مديرية الإعلام مباشرة بالقاهرة ، صدر في ٢٣ تشرين الثاني قانون الصحافة الذي أعطى كل مالك صحيفة الحق بالتوقف عن العمل لقاء تعويض مالي . وانزاح بالتالي عن الساحة تسعُ عشرةَ صحيفةٍ من أصل خمس وعشرين ، وعُيِّن مراقبون مصريون على الصحف الصادرة لحجب كل نقد للسياسة الداخلية [2] " ولذلك أصبحت الشكوى والانتقادات تسري من خلال الشائعات والهمس ، وتحولت حماسة الأيام الأولى إلى خيبة أمل مريرة تأججت بفعل الأزمة الاقتصادية التي لاحت في الآفاق السورية من جراء الجفاف القاسي الذي حل في البلاد وأحدث أضراراً بالغة في موسم الحنطة الذي تعول عليه سورية للحصول على حاجاتها من العملة الصعبة ، وتأثرت أيضاً غلال زراعية أخرى مثل القطن الذي أصاب الكساد سوقه ولم تكن جودة موسمه كما كان متوقعاً لها [3] ، وبالتالي تراجع الدخل القومي بمعدل الثلث في نهاية العام ١٩٥٨ ، وتأثر رجال الأعمال من القيود المفروضة على التجارة والتي بدت سياسة طويلة الأمد لحصر الاستثمارات لصالح الاستهلاك المباشر ، وبدأت بالتالي عملية تهريب الأموال خارج البلاد واتسعت بعد الانهيار الذي

---

(١) - - S. Jargy, la Syrie , p.28 .

(٢) - هذا ما كتبه وزير الثقافة والإرشاد انذاك ، رياض المالكي في ذكريات ، ص٢٤٠- ٢٤٢ ، ٢٥٠ - ٢٦٥ ، ٢٦٨ - ٢٧٣ . وفي ١١ كانون الأول تمت الموافقة على تقديم التعويضات للصحف التي قبلت تصفية أعمالها ، وسيطرت الدولة على توجهات الصحف الباقية . راجع :

- F. o/ 371/ 141896/ "Nasser's Problems .. , p.3 .

(٣) - حول الأوضاع الاقتصادية في العام الأول للوحدة بالمقارنة مع العام السابق الذي تميز بالرخاء الاقتصادي راجع :

- F. A. O, Mediterranian Development Project , "United Arab Rebublic , (Syrian Region), Rome 59/8/6040/ (1959) cf. F. o/371/141898/ Syria , Economic Report for 1958 , From Beirut, No15, Feb 10 / 1959 , p.1 - 5 .

عانت منه العملة السورية إثر الإعلان في القاهرة في ٢٣ تشرين الأول : " بأن توحيد النقدين السوري والمصري سيتم في تموز ١٩٥٩ " (١) .

بعد مضي تسعة أشهر على حماسة الأيام الأولى ، كشفت المقاومة السورية عن وجهها وكانت آنذاك وقفاً على بعض الجماعات السياسية التي شكلت (لوبيّات) وتحركت سراً وبحذر جعل السلطات عاجزة عن مواجهتها " (٢) ، في حين قاد الحزب الشيوعي السوري معارضة علنية للنظام ، فقد اتخذ خالد بكداش المبادرة إدراكاً منه برغبة ناصر القوية بإنهاء دور الشيوعيين في سورية ، ومنذ رحيله غداة الوحدة ، بدأ بمهاجمة النظام الجديد من إذاعات بعض الدول الشيوعية (٣) وفي غيابه بقي الحزب بلا نشاط ، واستمرت الصحيفة الناطقة باسمه (النور) بالصدور ، لكنها استنكفت عن التعبير عن وجهات نظرها في الشؤون الخارجية ، أنذاك لم يكن ناصر قد كشف بوضوح عن حذره من موسكو وعدائه للشيوعيين السوريين ، وبعد قيام الثورة العراقية ، ونتيجة الدور البارز الذي لعبه الحزب الشيوعي في تصفية النظام الملكي ، استطاع أن يفرض نفسه على السلطة في بغداد ، والتي كانت جاهزة للتقارب مع السوفيات في الحقل الخارجي ، ومع أن موسكو لزمت الصمت لدن قيام الوحدة إلا أنها أظهرت بعد ثورة العراق عداءً قوياً لمشروع وحدة العراق والجمهورية العربية المتحدة ، وأيدت توجهات الزعيم قاسم ،

---

(١) - Muhammed S. Nabulsi , "Problems of integrating the monetary Systems of Egypt and Syria ander the U.A. R regime" in Middle-East Economic Papers, Beirut, 1964, p.75 .

(٢) - F. o/ 371/ 141896/ "Nasser's Problems .." , p.4 .

(٣) - افتتحت الأزمة بين الشيوعيين وقادة الجمهورية العربية المتحدة في شباط ، فقد عارضت اللجان المركزية للحزبين الشيوعيين السوري واللبناني الوحدة الاندماجية ومسألة حل الأحزاب وشددت على الأسس الديمقراطية للنظام الوحدوي ، وقد تبنت هذا الموقف كل الأحزاب الشيوعية العربية ، ولمن يريد التوسع يراجع :الياس مرقص ، تاريخ الأحزاب الشيوعية (بيروت ١٩٦٤) ص١٥٧ وما يلي، وأيضاً :

- M. Kerr, the Arab Cold War , p . 7 - 21 , cf . M . Colombe , Orient Arabe , T.11, p.126, cf, K. Begadch, "la crise et les Problemes du Proche-Orient", dans la Nouvelle Revue Internationale, Sep. 1958, p.131 - 134 .

وبالتالي شكلت مع الحزب الشيوعي العراقي حاجزاً أمام المد الناصري في الشرق الأوسط [1] .

في بداية تشرين الثاني ، ومع عودة بكداش إلى سورية ، استأنف الحزب الشيوعي نشاطه المعارض ، ففي ٥ كانون الأول نشر بكداش بياناً طالب فيه بأن يكون لسورية حكومة مستقلة من خلال اتحاد فيدرالي مع مصر ، وبإعادة الحريات للصحافة ، والشرعيّة للتنظيمات الحزبية ، ووجوب قيام انتخابات برلمانية حرة [2] . هذه التحديات خلفت صدىً لدى الرأي العام السوري ، لكنها كانت بعيدة عن تشكيل مقاومة جدية ضد نظام الوحدة ، إلا أن تزامنها مع تقلص شعبية عبد الناصر، واتساع التزمر ، ووجود امكانيات لتوحيد سورية والعراق بإيحاء شيوعي ، وفشل الانقلاب الذي تزعمه رشيد عالي الكيلاني للاطاحة بحكومة بغداد [3] ، كل هذا أكد على الحاجة الملحة للعمل ضد الشيوعيين ، وبالتالي جعلت القاهرة من نفسها متراساً لصد المد الشيوعي في الشرق الأوسط .

في مطلع كانون الأول غيَّرت أجهزة الإعلام القاهرية لهجتها ، فتحدثت عن خطر الشيوعية على قضية القومية العربية والإسلام ، ثم هاجمت الشيوعية على أنها "حليفة الصهيونية وعدوة الأمة العربية " وادعت أن الولايات المتحدة تلعب لعبة السوفيات

---

(١) – منذ ربيع عام ١٩٥٨ راح عبد الناصر يؤكد على مفهوم جديد للحياد العربي قائم على احلال التوازن بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، في حين شدد السوفيات على الطابع العدائي للامبريالية واعتبروا أن مثل هذا الحياد هو عداءٌ ليس للامبريالية بل للاتحاد السوفياتي أيضاً ، راجع البحث تحت عنوان " السوفيات والوحدة " في :

- H. Carrere d'Encausse , la Politique Sovietique au Moyen-Orient , p.117 - 125

(٢) – راجع نص البيان في صحيفة الأخبار ، بيروت ، عدد ١٩٥٩/١٢/٦ .

(٣) – نظم الناصريون المؤامرة في نهاية كانون الأول ١٩٥٨ واكتشفت بسهولة ، وقد عزاها الشيوعيون إلى المخابرات الأمريكية ، وأثاروا ضجة حولها ، وراحوا يلحون على ضرورة تدخل الاتحاد السوفياتي ضد الامبرياليين ، إلا أن انقلاب رشيد عالي كان بتدبير من المخابرات المصرية .

حول هذه القضية راجع الوثائق المنشورة بالافرنسية في :

- Orient - No9 , 1959 , Documents , p.127- 128, cf. F. o/ 371/ 141896 ,"Nasser's Problems", p.3 .

وتؤيد السياسة الإنفصالية للزعيم قاسم [١] ، وهكذا بين ليلة وضحاها ، حملت مصر لواء العداء للشيوعية ، وانتقل إرث نوري السعيد إلى عبد الناصر . وكانت خطوته الأولى في هذا الإتجاه في خطاب رنان ألقاه في ميدان بور سعيد ، في ٢٣ كانون الأول ، يوم عيد النصر ، حذر فيه من انقسام العالم العربي ، وندد بموقف الاتحاد السوفياتي من العرب إبان حرب السويس ، وشنّ هجوماً صاعقاً على الشيوعيين العرب والسوريين منهم بخاصة ، فهم " أعداء الوحدة والقومية العربية " [٢] . كانت النتائج المباشرة لهذا الخطاب، رحيل بكداش عن سورية واعتقال ٢٠٠ شيوعي سوري وإغلاق الصحف المناصرة للشيوعيين ، وقد شملت الاعتقالات كلا الاقليمين ، وكانت فاتحة عهد أقصي فيه عددٌ من الضباط عن الجيش وزُج بالكثير منهم في السجون ، وتحت شعار محاربة النشاط الشيوعي اتسعت حملة الإرهاب لتشمل كل من عارض النظام . وازداد بالتالي عدد ضحايا الحملة ضد الشيوعية .

علق السفير البريطاني على أحداث عشية نهاية العام ١٩٥٨ قائلاً : " إن عمل ناصر ضد الشيوعيين السوريين ، كان أقل عنفاً من صداه ، ومن العبث التصديق ، أنه لم يكن باستطاعته اعتقال بكداش ، كما أن المعتقلين قد أطلق سراحهم بعد أن تعهدوا بأن يسلكوا سلوكاً سليماً ، ولقد خدمت هذه الحملة في إظهار أن الشيوعية معادية للوحدة وللدين . إلا أنه من المشكوك فيه أن تكون قد استأصلت كل احتمالات حدوث اضطرابات في سورية .. وما هو أكيد أن ناصراً قد بدأ يخسر تحكم قبضته بتلك الثمرة التي أمسك بها بسهولة " [٣] .

---

(١) – راجع الوثائق في :
- Orient , No8 , 1958, Documents , p. 100 - 102 .

(٢) – راجع نص الخطاب في صحيفة الأهرام ، القاهرة ، عدد ٥٨/١٢/٢٤ .

(٣) – - F. o/ 371/ 141896/ "Nasser's Problems in Syria .." , p.5 .

ثورة الموصل ونتائجها

كشفت ملاحقة الشيوعيين على أراضــي الجمهورية العربية المتحدة عن اللون الجديد للسياسة الناصرية والتـي بجهلها الأسباب العميقة التي جعلت عراق اليوم مثل عراق الأمس ، حريصاً على استقلاله ، متشبثاً بهويته ، عزت ذلك إلى ضغط الحزب الشيوعي ودعم موسكو لنظام قاسم [1] ، وبدأت بالتالي التحضيرات للإطاحة بهذا النظام في دمشق والقاهرة وأفرزت الثورة التي قامت في الموصل فجر الثامن من آذار .

منذ مطلع العام ، تدرجت الحملة الإعلامية من حملة على الشيوعيين إلى حملة على الحكومة العراقية ، التي سمحت " لأعداء القومية والإسلام بإقامة دولة داخل الدولة ، وتركت لهم حرية ممارسة جرائمهم ونشر الدمار والإرهاب في العراق ، وبمواجهة تلك الحملة ، أبرز العراق نفسه كمدافع عن قومية متحررة ومتنورة ومعادية للرجعية والديكتاتورية والممثلة الحقيقية للقومية العربية ، وأن للعراق دوراً هو " تحرير العالم العربي من الديكتاتورية الناصرية ، ورسالة هي " الكفاح ضد مدعي العروبة ، " ورفع العبء الناصري عن عاتق الأمة العربية " [2] .

---

[1] – أوضحت موسكو ، من خلال التصريحات التي ألقاها رئيس مجلس السوفيات الأعلى في المؤتمر ال٢١ للحزب الشيوعي السوفياتي المنعقد في موسكو من ١/٢٧ إلى ١٩٥٩/٢/٢٥ أنها لن تقبل بعد الآن من أية حكومة عربية اضطهاد الأحزاب الشيوعية المحلية ، وأكد خروتشيف على دعم الكرملن لكل الحكومات العربية دون تخصيص دولة الوحدة خوفاً من أن يؤدي الانفصال عن القاهرة إلى ارتماء ناصر من أحضان الغرب ، وكانت كلمات ممثلي الأحزاب الشيوعية العربية (العراق ، الأردن ، لبنان وسورية) أكثر تحديداً فقد أدانوا الحملة التي تقودها القاهرة ضد الشيوعيين ودعوا إلى دعم حكومة العراق . راجع نص الكلمات التي ألقيت في :

- "l'Orient Arabe au XXI congres du parti communiste sovietique" Orient, No9, 1959, Documents, p.123 - 128 .

[2] – رداً على الخطب التي ألقاها ناصر ، أعلن عبد الكريم قاسم في ٧ كانون الثاني أن العراق هو موطن العروبة الحقيقي وأكد في ٢ آذار " أن العراق يحمل راية نضال العرب لمواجهة تحديات الامبريالية" وبدأت الصحف العراقية منذ مطلع شباط هجماتها على الجمهورية العربية المتحدة . راجع : صحيفة البلاد ، بغداد في ٨ كانون الثاني و ٣ آذار ١٩٥٩ ، وخاصة مقالات صحيفة اتحاد الشعب ،

منذ شباط ١٩٥٩ ، وصلت المعركة الداخلية في العراق بين الوحدويين والمتصدين للوحدة ذروتها وبرز ذلك في التغييرات الوزارية التي أزاحت عن السلطة الناصريين والبعثيين وأثارت استياءً لدى أنصارهم ، وأصبح الوضع مهيأً للانفجار نتيجة نقمة الملاكين من قرار تطبيق قانون الاصلاح الزراعي ، وتململ الضباط من جماعة عبد السلام عارف بعد صدور حكم الإعلام بحقه [١] آنذاك قررت القاهرة دعم انقلاب عسكري للإطاحة بالحكومة العراقية ، ودخل عملاؤها في مفاوضات مع المهاجرين العراقيين في لندن وجنيف وبيروت بينما كان الضباط العراقيون يخططون مع السرّاج وعملائه للعملية وذلك خلال الجولة الشهيرة التي قام بها عبد الناصر في سورية برفقة الجنرال تيتو .

اتفق المتآمرون على اختيار الموصل مركزاً للثورة ، لقربها من الحدود السورية واتصالها بسورية عبر خط حديدي ، ولكونها تحت هيمنة طبقة من الاقطاعيين وزعماء المشايخ والبرجوازيين المحافظين ، ومنطقة استيطان قبائل الشمَّر الدائمة التنقل عبر الحدود السورية العراقية ، والجاهزة للعمل مع المخابرات السورية ، وقد اختار السرّاج المقدم حيدر الكزبري لمساعدة قائد منطقة الجزيرة الزعيم أمين الحافظ لتسليح وتدريب عناصر من هذه القبائل ، ولنقل شحنات الأسلحة إلى التنظيمات العسكرية المؤيدة للانقلاب والتي تزعمها العقيد عبد الوهاب الشواف ومعه الضباط المنتمون إلى العائلات القديمة مالكة الأرض [٢] .

بغداد ، عدد ٢ و ١٦ شباط وعدد ٢ آذار ١٩٥٩ .

(١) - كان عارف قد جُرد من منصبه في الحكومة وتعيَّن سفيراً في ألمانيا الاتحادية ، ومن ثم اعتقل بتهمة التآمر على النظام . للتوسع راجع :

- B. Vernier, l'Irak d'aujourd'hui , (Paris 1963) p.150 .

(٢) - كان الزعيم قاسم على اطلاع على الحركة فقد أبلغ الجيش الشعبي بأن أحداثاً خطرة تتحضر واستدعى العقيد الشواف إلى بغداد محاولاً إدخاله في صفه ، وأظهر له مدى جنون المخطط الذي ينوي تنفيذه مع القاهرة وأنه لن يؤدي إلاّ إلى انقسام العراق ، لكن الشواف لم يأخذ بالنصيحة بل توجه إلى الموصل وفي ٥ آذار وضع قاسم قواته العسكرية في حالة تأهب قصوى . راجع :

- Michel, Montserrat, "l'Affaire Mossoul" <u>Orient</u>, No9, 1959, p.26 - 27 .

وأقام السوريون محطة إذاعة سرية في قرية خرابو السورية لتذاع منهـا البيانـات المعادية للنظام والمعدة سابقاً في دمشق لتغطية أخبار الثورة [١] .

ليل ٧ – ٨ آذار كانت الحدود المفتوحة مع سورية مسرحاً لتدفـق الأسـلحة وفـي الفجر اندلعت الثورة بعدما أدلى العقيد الشواف ببيـان معادٍ لحكومـة بغـداد وانتحـل لنفسـه صفة رئيس دولة ورفع علم الجمهوريـة العربيـة المتحـدة علـى قلعـة المدينـة وادعـى بأنـه يحظى بثقة الجيش [٢] واستطاع الثوار السيطرة على المدينة في سـاعات الصبـاح الأولـى إلا أن الطائرات الست التي اعتمد عليها الشواف لضرب بغداد لم تنفذ العمليـة فـي حيـن ضرب الطيارون المؤيدون لقاسم مراكز الثـوار وأوقفـوا تقـدم مقـاتلي الشـمَّر ، وباسـتثناء فريق صغير ، تخلى أكثرية الضباط عن تأييد الشواف وأصـدرت الدولـة مرسـوماً بعزلـه ومنح ١٠ آلاف دينار لمن يقتله .وفي ليل ٨–٩، بينما كانت إذاعة الموصـل تبـث بيانـات النصر ، اجتاحت قـوى المقاومـة الشـعبية والقبـائل الكرديـة مدينـة الموصـل حيـث دارت مذابح رهيبة ، وقتل الشواف وأعدم أكـثر مـن ٥٠ ضابطـاً ولوحـق الفـارون إلـى سـورية وأعدمـوا [٣] وسـحقت الثـورة بعـد ٤٨ سـاعة مـن قيامهـا وذلـك بفضـل الفلاحيـن الأكـراد والعمال العرب والجنود وضباط الصف [٤] .

---

[١] – حول ثورة الموصل راجع المصادر التالية : م . ن ، ص٢٣ – ٣٠ والمقالات الآتيـة :

- "Soulevement militaire a Mossoul" dans, Orient ,No9, 1959, p.145 - 160, cf, B. Vernier, l'Irak d'aujourd'hui , p.156 - 162 . cf. P. Rondot . "Quelques aspects de l'Affaire Mossoul" dams (l'Afrique et l'Asie) No46, p.39 - 43 .

وصحيفـة الأهرام ، الاعداد من ١٠ – ٢٣ آذار ، المساء ، دمشق ، الاعداد من ١٨٩٨ حتى ١٩٠٣ ، ١٣ و١٥ و ٢٠ و ٢٣ و ٢٥ آذار ، صوت العرب ، دمشق ، الاعـداد مـن ١٢٢ حتـى ١٣١ فـي ١٠ و١٣ و ١٤ و ١٧ و ٢٠ آذار ١٩٥٩ . والغـادري ، الكتـاب الأسـود ، ص ٤٢ – ٥٣ .

[٢] – راجع نص البيان في الأهرام ، القاهرة ، عدد ٩ آذار ١٩٥٩ .

[٣] – قبل معرفة مصير ثورة الموصل ، بث عبد الوهاب الخطيب (ضابط في المخابرات السورية) بياناً باسم العراقيين عبارة عن نداء من الشواف إلى ٢٨ ضابطاً من أنصاره ، وكان ذلـك الخيـط الـذي كشف عن أسماء عناصر المؤامرة وتم اعتقالهم واعدامهم: منهم رفعت الحـاج سـري، نـاظم الطبقجلـي، محمد عزيز ، يوسـف كشـمولا ، محمـود حيـدران ، راجـع مـا كتبـه أحـد العـاملين انـذاك فـي الإذاعـة السورية، نهاد الغادري ، الكتاب الأسود ، ص ٤٦ – ٥٣ .

[٤] – جسدت ثورة الموصل انتصار القوى الشعبية ليس فقط علـى البرجوازيـة العقاريـة والتجاريـة

ثبّتت ثورة الموصل الانفصال الكامل بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، فقد اتهمت بغداد القاهرة بتدبير المؤامرة ، وطردت عشرة موظفين في سفارة الجمهورية العربية المتحدة وأغلقت وكالة الشرق الأوسط للأنباء في بغداد ، وسارت التظاهرات في شوارع المدن العراقية تنادي بالقضاء على فلول النظام الملكي من الخونة والعملاء والمتآمرين على استقلال البلاد ، ودعت إلى تسليح السكان وتطهير الجيش واعتقال المعارضين والانسحاب من حلف بغداد . وكان رد قادة الجمهورية العربية المتحدة أعنف بكثير ، فقد تتالت التظاهرات في دمشق ، وراح ناصر ، الموجود في سورية منذ ٢٢ شباط يثير الجماهير بخطاباته العنيفة ضد حكام بغداد ، عملاء الغرب والشيوعيين الذين وضعوا العراق تحت حكم " إرهابي سفاك دماء " [١] وراح المتظاهرون يرددون الآيات القرآنية ويدعون إلى إنقاذ الإسلام من " اليهود والشيوعية والخوارج الجدد " ومن على مآذن جوامع دمشق والقاهرة ، راح رجال الدين الجاهزون دائماً لطاعة السلطة ، يدعون إلى الجهاد ضد الشيوعية الملحدة . قال شيخ الأزهر محمد شلتوت " انزعوا الحجاب الأسود الذي وضعته الشيوعية عن أعينكم حتى تستطيعون أن تروا وجه الله . إن الأزهر يناديكم باسم الدين ، فهبّوا كرجل واحد ، وأعلنوا كلمة المسلمين لحماية دينكم من الخطر الدائم " [٢] .

في الشمال بل أيضاً على الجيش النظامي الذي لم يكن له دور في اخماد الثورة وبالتالي لم يعد وحده الداعم للنظام ، هذا وقد اعتقل بعد الثورة أكثرية ضباط العهد القديم وقدم ٢٠٠ منهم لمحكمة المهداوي وعزل الباقون عن مناصبهم ، راجع : صحيفة اتحاد الشعب ، ١٥ آذار ١٩٥٩ والأهرام، عدد ٢١ و ٢٣ آذار ١٩٥٩ ، وحول اثر حركة الموصل على تغيير تركيبة الجيش العراقي ، راجع:

- M. Montserrat, l'Affaire Mossoul, p.30.

(١) – راجع الكلمة التي ألقاها ناصر أمام جماهير دمشق في ١١ و١٢ آذار في صحيفة الأهرام عدد ١٢ و١٣ منه ، والكلمة التي ألقاها بعد الإنتهاء من مراسم تشييع أحد الضباط العراقيين (محمد سعيد شهاب) في المصدر نفسه عدده ، ١ آذار ، وكلمة أخرى وجهها إلى ضباط الجيش الأول ، وكلمة أمام الوفد اللبناني الذي كان يزور دمشق انذاك في نفس المصدر عدد ١٥ و ١٦ آذار ١٩٥٩ .

(٢) – راجع صحيفة المساء ، دمشق ، عدد ١٩٠٣ ، ٢٥ آذار ١٩٥٩ .

في ١٦ آذار بينما كانت القاهرة تشهد مسيرة صامتة من نصف مليون شخص حداداً على أرواح شهداء الموصل [١] ، حيَّت حكومة الكرملن انتصار العراق وانتقدت مواقف عبد الناصر الجديدة وبعد يوم أدان خروتشيف مطامع ناصر ونصحه بالتوقف عن التدخل في شؤون العراق [٢] .

إن الفشل الذي مني به عبد الناصر في العراق أدّى إلى تغيير سياسته تجاه الحكومات العربية اليمينية ، وبينما استمرت أجهزة إعلامه في حملتها على حكام الرياض وعمان ، راح ناصر يسعى سراً إلى التقارب من أعداء الأمس ، وقد تلقى هؤلاء توجهاته الجديدة بحذر وبرودة ، إذ اعتبرت حكومتا الرياض وعمان هذه السياسة نتيجة فشله في ضم العراق إلى دولته ، وأن هدف محاولته الضغط على العراق وتدعيم عزلته عن محيطه ، ومع أن سعوداً والحسين كانا قلقين جداً من ازدياد النفوذ الشيوعي في بغداد بعد ثورة الموصل [٣] إلا أنهما رغبا في الاستفادة قدر الإمكان من المصاعب التي كان يعاني منها عبد الناصر ، وانتظرا حتى تنتهي تلك الحملة الإعلامية على الحكام العرب حلفاء الامبريالية ، وأن يتراجع عبد الناصر عن حلمه الوحدوي ، وعليه ففي اجتماع مجلس

---

(١) – راجع نص الخطاب الذي ألقاه المشير عامر في المتظاهرين في صحيفة الأهرام ، القاهرة ، عدد ١٧ آذار ١٩٥٩ .

(٢) – حول هذه النقطة راجع الكلمة التي ألقاها خروتشيف عند التوقيع على الاتفاقية الاقتصادية مع الوفد العراقي في :

- Orient. No9, 1959. p.151 , 152 .

– وللتوسع حول واقع المؤتمر الصحفي الذي عقده خروتشيف في ١٩ آذار . راجع . م . ن. ص١٥٨ ، ومن الجدير ذكره أن السياسة السوفياتية تجاه عبد الناصر قد تلاقت مع سياسة الحكومة الأمريكية التي رفضت بدورها زعامة عبد الناصر على العالم العربي ووحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة . لمزيد من التوسع يمكن مراجعة :

M. Kerr, the Arab Cold War, p.230 - 233 . cf. M. Colombe, Orient Arab , T . II p . I20 .

(٣) – نظراً للدور البارز الذي لعبه الشيوعيون في إخماد ثورة الموصل أصبح المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي يملي بيانات الحكومة ، وتقدم الحزب للقبض على السلطة بسرعة بارزة ، واستطاع السيطرة على النظام حتى تموز ١٩٥٩ . للتوسع راجع :

- H. C. d'Encausse, la Politique Sovietique , p.129 - 140 .

جامعة الدول العربية في بيروت رفض مندوبا الدولتين الموافقة على اقتراح مندوب الجمهورية العربية المتحدة بادانة العراق وإخراجه من جامعة الدول العربية [١] ، واستمرت القاهرة في تحركاتها الدبلوماسية اتجاه عمان والرياض ، فأعادت فتح الحدود بين سورية والأردن ومعها العلاقات الدبلوماسية مع عمان ، وفي آخر آب لبّى الملك سعود دعوة عبد الناصر إلى زيارة القاهرة [٢] كذلك حاول عبد الناصر حل خلافاته مع تونس وقام بمحاولات للتقرب من الخرطوم [٣] .

سجّل تحالف عبد الناصر مع الأنظمة التي حكم عليها سابقاً بالتخلف والرجعية ، تراجعه عن سياسته التقدميّة وعن فكرة حتميّة المدّ الوحدوي . وانتهت بالتالي أحلام السوريين في أن يصبحوا جزءاً من دولة عربية واحدة ، وبقيت سورية خاضعة للشريك الأكبر ضمن نطاق جمهورية عربية متحدة . هذا وقد حاول البعث ، بعد اخفاق ثورة الموصل ، الضغط على عبد الناصر لإعادة عناصر الحزب إلى المراكز الحساسة ، وضرب خصومهم السياسيين والعسكريين ، وتنفيذ سياستهم في الإقليم الشمالي ، إلا أنهم أخفقوا في توجهاتهم ، وتلك كانت بداية تصدع التحالف البعثي – الناصري .

انتخابات الاتحاد القومي وتصدع التحالف البعثي – الناصري [٤]

رداً على اتهامات العراق لنظام الجمهورية العربية المتحدة بالديكتاتورية . انشغل عبد الناصر في التحضير لإصلاحات جذرية ، ولأول مرة منذ قيام الوحدة ، عقدت

---

(١) – صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٦ نيسان ١٩٥٩ .

(٢) – زار سعود القاهرة من ٣١ آب حتى ٣ أيلول ، وصدر إثر الزيارة بيان مشترك أكد فيه الزعيمان على المبادئ المشتركة لحكومتيهما الصادرة في ١٢ آذار ١٩٥٦ راجع نصه في : صحيفة دمشق ، دمشق ، عدد ٢٠٢٨ ، ٣ أيلول ١٩٥٩ .

(٣) – حول السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة بعد اخفاق ثورة الموصل راجع مقال :
- M. Colombe, "la Nouvelle Politique arabe de la Republique arabe unie", dans Orient, No11, 1959, p.13 -19 . cf. M. Kerr, the Arab .. , p.138 .

(٤) – حول هذين الحدثين المترابطين راجع ما يلي :
- S. Jargy "la Syrie a la veille d'une nouvelle experience" dans Orient No.10, 1959, p.19 - 30 et "le Declin d'un Parti" , No11, p.21 - 40 , p .29 - 40 . cf. M. Kerr, the Arab cold War, p.14 - 34 . cf. I. Rabinovich . Syria under the Ba'th, p.17 - 18 .

الحكومة المركزية جلساتها بحضور كامل أعضائها ، وصدرت عن هذه الاجتماعات سلسلة من الإصلاحات منها ما يتعلق بالميدان الإقتصادي وأهمها الإعلان في ١٨ أيار ١٩٥٩ عن إجراء انتخابات "الإتحاد القومي" في كلا الاقليمين في ٨ تموز وتشكيل " مجلس الأمة " في مدة أقصاها شهر تشرين الأول " [١] .

" من هذا الاقتراع العام سينبثق تنظيم سياسي وإداري جديد سيكون الدعامة الأساسية لبناء دولة الوحدة والمصدر الموجه لجميع السلطات والوسيلة لإقامة مجتمع إشتراكي ديمقراطي تعاوني ، والهيكل الأساس للمؤسسات السياسية والإدارية في دولة الوحدة " [٢] . "وسيساهم هذا النظام في ملء الفراغ العقائدي الذي يعاني منه الشرق العربي ، فهو نظام فريد بحلة جديدة ، غير مستورد ولا مستوحى من الخارج ويتجاوب مع أماني الأمة العربية وينبثق من تقاليدها الأصلية [٣] " .

مما لاشك فيه أن قادة الجمهورية العربية المتحدة قد بحثوا عن حل للخروج من التنظيمات المؤقتة القائمة منذ ١٨ شهراً ، إلا أن هدف المبادرة قد تجاوز أولويات التنظيم الداخلي إلى ما هو ملح جداً وضروري ، إلى مسألة دمج سورية ومصر والتي أبرزتها

---

[١] – راجع صحيفة الوحدة ، دمشق ، عدد ٢٠ أيار ١٩٥٩ .

[٢] – راجع تحت عنوان " الاتحاد القومي " المقتطفات المترجمة إلى الافرنسية وخاصة تلك المنقولة عن لسان أنور السادات والصحف المصرية في :

- Orient, "Document" , No8, 1959 , p.157 - 165 .

[٣] – في ٢٢ تموز ١٩٥٩ ألقى ناصر خطاباً في المؤتمر الشعبي الذي أقامه الاتحاد القومي في مصر قال فيه : "الاتحاد القومي معنى واضح لنا كلنا .. إحنا دخلنا تجربة الأحزاب وشفنا الأحزاب الرجعية هي جسر البلد للخضوع للاستعمار . وبعدين بيطلع حزب شيوعي بيتصل بالاحزاب الشيوعية ياخذ منها المساعدة وعليه ونظراً للحرب الباردة التي قايمة النهارده بين الدول الكبرى وميدانها الدول الصغرى لايمكن نرجع ثاني لعملية السياسة الحزبية ويجب أن تتحد البلد في الاتحاد القومي وتعمل كوحدة واحدة ولافيش حد فيها بيتصل بجهات أجنبية وبدأت دعاية مسمومة . قالوا دي فاشية وحزب واحد في صحف الشيوعيين في العراق ولبنان .. وهات يا حملة على الاتحاد القومي . إحنا عملنا تجربة جديدة لسه ما حصلت في التاريخ . لأننا مُش عاوزين مجموعة من الناس تحتكر العمل السياسي، ولا أحزاب تتصل ببره وتجيب فلوس .. " راجع النص كاملاً في : خطب الرئيس جمال عبد الناصر في احتفالات العيد السابع للثورة ، (دار القاهرة للطباعة ١٩٥٩) ص٣ – ٧٩ .

أولويات الأحداث العربية والعالمية ، بعد أن دخل الصراع مع العراق المتهم بالتحالف مع الشيوعيين لخلق " هلال خصيب أحمر " في إطار خطر جداً .

كان الإعلان عن الاستفتاء العام يعني سورية بالذات ، حيث أن حركة المعارضة المنهجية لنظام الوحدة ، التي التزم بها اليسار السوري المتطرف ، قد اتسعت لتكشف عن ظاهرة جديدة ، تمثلت في البيان الذي نشره الفريق عفيف البزري في ١٠ أيار ١٩٥٩ وتضمن تحليلاً دقيقاً ونقداً صائباً لأوضاع الإقليم الشمالي ، وقد اشتكى قائد الجيش السوري السابق من ركود الاقتصاد السوري ، ومن افتقار البلاد إلى حياة سياسية طبيعية، ومن الفراغ الذي خلفه انحلال الأحزاب . ودعا إلى تنظيم انتخابات برلمانية ، وإقامة حكومتين ، إلى جانب الحكومة المركزية ، تتمتعان بصلاحيات كاملة ، واقترح وضع الحكومة السورية تحت رئاسة القوتلي وبمشاركة العظم وغيره من السياسيين الوطنيين [١] .

مع أن هذه الانتقادات صادرة عن متهم بالشيوعية ، ومن الطبيعي أن يتبنى موقفاً كهذا ، إلا أن عمله هذا قد مسَّ عصباً حساساً لدى قادة الجمهورية العربية المتحدة دفعهم إلى الإسراع بالإعلان عن انتخابات " الاتحاد القومي " .

وكانت مسألة خلق هذا الإتحاد ، الذي نصت عليه المادة ٧٢ من الدستور المؤقت، قد اصطدمت بمعارضة قادة البعث الذين اعتبروا أن لا ضرورة له في سورية طالما أن حزبهم قائم وفاعل . وكانت تلك القضية مثار خلاف حاد بينهم وبين المصريين حاول أنور السادات جاهداً حلّها خلال زياراته المتكررة إلى دمشق ، وفضل عبد الناصر الصبر والانتظار ، إلى أن بدا له بأن الاستياء من نظام الوحدة موجه بخاصة نحو البعثيين ، فقرر وضع حدّ لعنادهم وتشبثهم ، وعليه يمكننا اعتبار غاية تلك الانتخابات، ولو بشكل جزئي ، تحطيم حزب البعث [٢] .

---

(١) – نص المنشور في :
- Orient, No10 , 1959, Document , No7 , p.205 .

(٢) – S. Jargy, le Declin d'un parti . op. cit. p.30 - 32 . cf. I. Rabinovich, Syria under the Ba'th, p.17 .

في تموز وضع منهاج الاقتراع العام لعضوية الاتحاد القومـي ، وتضمـن تشـكيل لجان القرى وأحياء المدن كمرحلة أولـى مـن خمسـة مراحـل لانتخـاب " مجلـس الاتحـاد القومـي " فهذه اللجـان المنتخبـة ستنتخب بدورهـا لجـان المنـاطق وهـي سـتنتخب لجـان المحافظات ، ولجان المحافظات أعضـاء المؤتمـر العـام للاتحـاد القومـي " ومنـه سيتشـكل مجلس الأمة على أن يكون نصفه أعضــاء سابقين فـي مجلـس النـواب السـوري ومجلـس الأمة المصـري [١] .

– رافق الإعلان عن هذه الانتخابات دعايـة واسـعة ومكثفـة فـي أجهـزة الاعـلام السورية والمصرية ، أبرزت الحدث على أنه حدث سيفتح أمام الجماهير عصر الرفاهيـة والازدهار [٢] بينما اعتبرت الصحف اللبنانية الناطقة باسم اليسار هذه الانتخابات " خدعـة لإلهاء الشعب في معركة وهمية " [٣] في حين عـدَّ المراقبـون الغربيـون هـذا الحـدث بأنـه تجربة نافعة لسورية المحرومة من أي تمثيل منذ عام ونصف ستزودها ببناء سياسي يتيح لها التعبير عن ذاتها في إطار "إتحاد قومي " سينبثق عنه " مجلس أمة " تتخذ سـورية فيـه شخصية سياسية [٤] . وقد عرّف القياديون المصريون " الاتحاد القومي " بأنه تجمع شعبي ستذوب في داخله كل الميـول والطبقـات الاجتماعيـة وسـيكون حـزب الأمـة الواحـد الـذي يعمل لتقوية النظام ويكون رمزه وامتداداً له وذوباناً فيه " [٥] ، ومن هذا المنطلق لا يمكـن للسلطات الحاكمة أن تكون حيادية فعلاً في هذه الانتخابات التي سينبثق عنها تنظيم موجـه أساسـاً لإضفـاء الطـابع الشـعبي علـى الحكـم ، ومـع ذلـك فـإن الطريقـة التـي جـرت فيهـا الانتخابات في الاقليم الشمالي قد كشفت عن التغيير المفـاجئ للسـلطة تجـاه حـزب البعـث

---

(١) – Orient, No10 , 1959, Document No8, p.206. -

(٢) – صحيفة دمشق ، دمشق ، عـدد ١٣ حزيـران ١٩٥٩ ، الوحـدة ، دمشـق ، عـدد ٢٠ حزيـران ١٩٥٩ ، الأهرام ، عدد ١٩ حزيران ١٩٥٩ .

(٣) – صحيفة الأخبار ، بيروت ، ٧ حزيران ١٩٥٩ .

(٤) – The Times, London, May22 . 1959 , cf. S. Jargy, "la Syrie a la veille d'une Nouvelle experience" , op. cit. p.25 - 26 . -

(٥) – تلك هي تصريحات أنور السادات في ١٩٥٨/١٢/٢٥ والتي أكد فيها " أن قوة النظام ورمـزه هو جمال عبد الناصر الذي يجسد بشخصه الاتحاد القومي " راجع :
- Orient, Document , No8 , 1959 , p.162 .

العربي الاشتراكي ، فللتخلص من ذلك الحزب الذي أقام دولة داخل الدولة ، وتصرف وكأن أوامر القاهرة لا تخصه ، ولمعالجة التناقض القائم بين حكم النخبة العسكرية في مصر والحكم المزدوج بعث ضباط في سورية تصرف عبد الناصر بمهارة فائقة ، إذ ترك للسوريين مهمة استبعاد حزب البعث عن السلطة ، بأن سمح أن يجري الاقتراع العام في سورية في جو من الحرية لم يطبق قط في مصر [1] وكلّف ممثليه بإجراء مباحثات مع الشخصيات السياسية التقليدية ورجال الأعمال وتشجيعهم على تحسين أوضاعهم وعلى حرية تنظيم تحالفات معادية للبعث [2] .

استفاد السوريون إلى حد بعيد ، من تلك الأجواء التي اعتقدوا أنهم خسروها ، وجرت انتخابات ٨ تموز في جو حماسي مناقض للخمول الخانع للجماهير المصرية ، وتشكلت قوائم تحالفية من الأحزاب التقليدية والفئات المحافظة لاعاقة وصول مرشحي حزب البعث إلى عضوية " الاتحاد القومي " كما نُظّمت تظاهرات معادية للبعث في عدة مدن سورية . وكان من المفترض أن ينال هذا الحزب حصة الأسد في هذه الانتخابات إلا أنه ظهر جلياً أن السلطة تمنعت عن دعمه ، لا بل اتهم بعض البعثيين السرّاج والمصريين بالعمل ضدهم [3] عندئذ قاطع الحزب الانتخابات جزئياً وسحب بعض

---

(١) – في ٢٨ أيار صدر في مصر قرار بإنشاء لجنة تنفيذية لوضع أسس تنظيم هيئة الناخبين وذلك بعدم إباحة عضوية الاتحاد لعملاء الاستعمار والرجعيين، أي أن التنظيم يجب أن يقام على أساس الانتقاء وليس الاستفتاء العام ، راجع : عصمت سيف الدولة ، " تطور مفهوم الديمقراطية من الثورة إلى عبد الناصر إلى الناصرية " في : الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٣ ، ص١٣٣ – ١٧٢ ، ص ١٣٦ – ١٣٩ . هذه اللجنة ألغيت في سورية حيث سُمح للجميع بالترشيح وإن وضعت بعض القيود ضد الذين مارسوا نشاطاً معادياً للنظام. راجع : د. جلال يحيى ، الثورة والتنظيم السياسي ، (القاهرة ١٩٦٦) ص ٣١٥ – ٣١٨ .

(٢) – حول هذه النقطة راجع : كلاس ، سورية المحطّمة ، ص ٥ ، والمالكي ، ذكريات ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ . وقد تحدثت بعض الصحف اللبنانية أن عبد الناصر قد قابل القوتلي وقادة حزب الشعب وخالد العظم ، وأن كل هذه الشخصيات قد وافقت على التحالف مع سياسة الدولة ، باستثناء ناظم القدسي ، وذلك لدحر حزب البعث ، راجع : الأخبار ، بيروت ، عدد ١٢ حزيران ١٩٥٩ .

(٣) – روّجت أجهزة المخابرات إبان الحملة الانتخابية ، إشاعات حول البعثيين منها : أن ناصراً سيمنع أكرم الحوراني من العودة إلى سورية كي لا يعمل على التأثير على مجرى الانتخابات لصالح

مرشحيه من بعض الدوائر ، ونال أخيراً ٢٥٠ مقعداً من أصل ٩٤٤٥ مخصصة للإقليم الشمالي أي ٢٪ مقابل ١٥٪ من مقاعد البرلمان السوري لعام ١٩٥٤ [١] ، ولا حاجة للقول أن كل القادة البعثيين المشاركين في السلطة قد انتخبوا بأكثرية ساحقة : الحوراني ، البيطار ، كلاّس ، حمدون .. الخ ومع ذلك فإن ذلك لم يكن كافياً قط لتغطية الفشل المشين الذي مُنيَ به هذا الحزب .

علقت القاهرة آمالاً كبيرة على هذه الانتخابات التي ثبتت أنصار النظام في السلطة ، وكانت خسارة حزب البعث الجزئية من جملة الأشياء المحسوبة والمرغوبة جداً من قبل عبد الناصر الذي ضاق ذرعاً من ادعاءات قادة البعث بأنهم زودوه بعقيدة متكاملة ، ومن شهيتهم المفرطة للسلطة ، ومن محاولاتهم حثّه على إعلان الحرب على إسرائيل ، تلك الحرب التي لم يكن يرغبها بأي ثمن لانشغاله بنشر نفوذه في العالم العربي [٢] .

حزبه، وأنه ترك للسرّاج ، المتصارع على السلطة مع قادة البعث ، اليد الطولى في توجيه الانتخابات بشكل يحول دون الإبقاء على التفوق القائم حالياً لحزب البعث في الإقليم الشمالي . راجع : رياض المالكي، ذكريات على درب الكفاح ، ص٢٩٣ ، ٢٩٦ . صلاح نصر ، عبد الناصر .. ، ص١٩١ ، ١٩٢ – ١٩٥ ، ١٩٦ . و

- S. Jargy, "la Syrie a la veille d'une Nouvelle experience" , p.29 .

– وفي الخطاب الذي ألقاه عبد الناصر في القاهرة في ٢٢ تموز ١٩٥٩ قال " في سورية تركنا الكل يدخلوا في الاتحاد القومي ، وسيكون استمرارية للحزبية هناك " قال:" إحنا تخلصنا من الحزبية منذ سبع سنين ، في سورية الكل يقعدوا في النوادي ويقولوا إن حزب الشعب عنده ... ولا مش فاهم إيه... وإحنا دخلنا المعركة ضد البعث .. برضه كلام لتفريق أبناء الصف الواحد" . راجع : كتاب خطب الرئيس جمال عبد الناصر في احتفالات العيد السابع للثورة ، ص ٦٨ .

(١) – صحيفة الوحدة ، دمشق ، عدد ١٠ تموز ١٩٥٩ ، الحياة ، بيروت ، عدد ١٢ تموز ١٩٥٩ .

(٢) – أثيرت شكوك حول ردِ فعل القاهرة الملتبس عندما بدأت اسرائيل بتحويل مجرى نهر الأردن إلى النجف ، وتشكلت لجنة فنية عربية لوضع خطة اقتسام مياه النهر ، وقد رفض ناصر اتخاذ أية مبادرة بهذا الخصوص ، ولما طرحت القضية على مجلس الوزراء المركزي في القاهرة في تشرين الأول ١٩٥٩ ، أحيل الموضوع إلى لجنة برئاسة عبد اللطيف البغدادي وعضوية الحوراني والبيطار وعلي صبري ومحمود رياض وعبد الكريم الشرباصي . وقد حاول البغدادي أن يحرف مهمة اللجنة إلى دراسة إمكانية إدخال الري من نهر الأردن إلى سورية . وعندما احتج الحوراني اضطر البغدادي

بعد هذه الأزمة ، ازداد انشقاق حزب البعث ، ففي المؤتمر القومي الاستثنائي الذي انعقد في لبنان بين ٢٧ آب والأول من أيلول ، وضم ممثلين عن منظمات حزب البعث في العراق ولبنان والأردن والخليج العربي ، تناقش فيه المؤتمرون بعنف ، وأدان بعضهم قرار القيادة بحل فرع الحزب في سورية ، بينما طالب آخرون بحل كل فروع الحزب لصالح الناصرية ، واتخذ السوريون موقفاً ما بين "الانحناء" و "الانكفاء" وليس " الانفصال " عن عبد الناصر ، وأخيراً جاءت قرارات المؤتمر لصالح الموقف المعتدل [1]. ومنذ ذلك التاريخ ، خسر البعث ، وجهه المتألق في العالم العربي ، ولم يعد بإمكانه الإدعاء بأنه الحامل الوحيد للواء القومية العربية ، إذ سلبت منه الناصرية تلك

إلى طرح القضية الأساسية ، وفي مؤتمر الجامعة العربية الاستثنائي الذي انعقد في القاهرة من ٨ شباط ١٩٦٠ ، ٢٩ منه ولم تشارك فيه العراق وتونس ، قد خصص للقضيتين الفلسطينية والجزائرية تناولت قراراته مسألة تحويل مجرى الأردن والعمل على إيقافها . عندئذ اتجهت اسرائيل إلى ضخ مياه بحيرة طبرية دون تحويل مجرى الأردن ، حول تفاصيل تلك القضية ، والتهم التي وجهها السوريون لعبد الناصر بشأنها ، كما بشأن تسليم شرم الشيخ وفتح قناة السويس لعبور السفن اليهودية راجع : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة " مجموعة " الجامعة العربية " قسم " مؤتمر شتورة " وثيقة رقم ٨ تاريخ ١٩٦٢/٨/٢٢ و " بيان الحوراني " الذي اتهم فيه عبد الناصر بالتواطؤ مع الامريكان لحمل اسرائيل على تغيير خطة عملها . في صحيفة ، صوت العرب، دمشق ، عدد ٢٣٢٩ ، تاريخ ٦ حزيران ١٩٦٢ . وراجع : البزري ، الناصرية ، ص ١٢٧ - ١٤١ .

(1) - وافق المؤتمر على قرار القيادة القطرية بحل فرع الحزب في الجمهورية العربية المتحدة ، ودعا إلى توسيع أطر التعاون مع دولة الوحدة . وقرر تجميد نشاط أمين سر فرع الأردن ، عبد الله الريماوي المؤيد للناصرية ، وتجريده عن مسؤولياته وتحويله للتحقيق أمام القيادة القومية . راجع حول هذا المؤتمر : صحيفة البعث ، عدد ٢ أيلول ١٩٥٩ ، الحياة ، بيروت ، عدد ٦ و ٩ أيلول ١٩٥٩ ، الأخبار ، بيروت ، عدد ٢٠ ايلول ١٩٥٩ ، صحيفة دمشق ، عدد ٢٠٢٨ ، ٣ أيلول ١٩٥٩ ولمزيد من المعلومات راجع :

- S. Jargy, le Declin , p.33 - 37 . cf. I. Rabinovich, Syria under the Ba'th, p.22 .
ونضال حزب البعث ، ج٤ ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٢ - ١١٢ .

- ومن الجدير ذكره أن عبد الله الريماوي شكل حزباً مؤيداً للناصرية يحمل إسم حزب البعث . ولمن يريد التوسع حول وجهة نظر الريماوي يمكنه مراجعة كتابه ، المنطق التقدمي لحركة القومية العربية الحديثة ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٢٩ - ١٣٢ ، ١٥٤ .

الشعارات البرّاقة ، وأصبح عبد الناصر زعيم الأمة الأوحد .. وفي سورية ، انتهت امتيازات ممارسة السلطة التي تمتع بها الحزب منذ قيام الوحدة ، وأخذ " الإتحاد القومي " مكانه ، ومن خلاله عاد إلى المرسح السياسي بعض قادة حزبي الشعب الوطني ، والاخوان المسلمين وحتى أنصار الشيشكلي وقدامى البرلمانيين وبعض الضباط المتقاعدين وزعماء القبائل البدوية .

ان تقليص دور البعث السياسي كان سلاحاً ذا حدين ، فالرئيس عبد الناصر الذي اعتقد أو تظاهر بالاعتقاد بأن استياء السوريين من نظام الوحدة مردّه إلى أسلوب ممارسة البعثيين للسلطة [١] ، وذلك لم يكن صحيحاً تماماً ، فالرأي العام السوري لم يكن غبياً إلى درجة الاعتقاد بأن مصائب سورية قد أتت لكون حزب البعث هو المتحكم بشؤونها ، "وفي الحقيقة حقد السوريون على البعث لدوره في قيام تلك الوحدة التي هي وحدها المسؤولة عن مصائب السوريين ، وإن نظام الوحدة هو الذي رفضه السوريون في انتخابات " الاتحاد القومي " وذلك عبر رفضهم لممثلي البعث [٢] "وربما كان ناصر مدركاً ذلك تماماً ، وأراد أن يدعم نظامه على حساب البعث ، ولما كان يعلم أن الدعم الذي سيناله من الأحزاب والفئات التقليدية لن يكون كافياً ، لذا قرر فرض الإشراف المصري الكامل على سورية " [٣] .

---

[١] – غالباً ما وجه المصريون اللوم إلى سياسة البعثيين ، لمحاولاتهم الاستئثار بالسلطة وإلغاء دور الآخرين بحجة أنهم رجعيون أو شيوعيون ، ولتكثيف نشاطهم داخل الجيش الأول ، ووصل الأمر بالحوراني إلى التدخل صراحة في تنقلات الجيش . وقال المصريون أن بطاقة الحزب أصبحت جوازاً للدخول في وظائف الدولة والترقي ، وتحدثوا عن صراعهم مع السرّاج ومحاولاتهم إزاحته . وقالوا إن الطرح القومي الذي تبناه البعث كان من منظور قطري بحت ، فقد أرادوا المناورة ليصبحوا في سورية مقابل " مجلس الثورة في مصر " ، لمن يرغب الاضطلاع على هذه الآراء يمكنه مراجعة هيكل ، ماالذي جرى ، تحت عنوان " حكاية حزب البعث في تجربة الوحدة " ، ص٨٧ – ١٠٠ ، ومحاضر جلسات مباحثات الوحدة (القاهرة ١٩٦٣) ، ص٢٥٦ – ٢٦٠ ، ٢٧١ – ٢٧٥ . ونصر: عبد الناصر .. ، ص١٨٧ – ١٨٩ .

[٢] – - I. Rabinovich, Syria . p.18 .

[٣] – - M. Colombe. "la Mission du Marechal Egyptien Abdal Hakim Amer" dans . Orient. No19, 1959, p.27 - 35 , p.29 .

تفككت عرى العلاقات بين عبد الناصر والبعثيين بسرعة فائقة ، ففي آب قامت القاهرة بحركة تنقلات داخل الجيش الأول تناولت الضباط البعثيين وذلك ضمن عملية إحلال التوازن داخل الجيش لغير صالح البعث [1] . في ١٤ أيلول قبلت القاهرة استقالة الوزير البعثي رياض المالكي [2] ، ولما توضحت معالم السياسة الجديدة ، قام الحوراني بعدة محاولات لاقناع عبد الناصر بالتخلي عن سياسته واقترح عليه اتحاداً فيدرالياً بدلاً من الوحدة الاندماجية ، فكان ردّه إرسال المشير عامر في ١٢ تشرين الأول على رأس فريق من الضباط لإعادة تنظيم الجيش وفي ٢١ منه إصدار مرسوم تولي عامر صلاحيات رئيس الجمهورية في الإقليم الشمالي ، ولما اقتنع قادة البعث تماماً أن عبد الناصر لن يتخلى عن السيادة المطلقة على سورية، بدؤوا بمقاطعة الجلسات الوزارية وانتهوا بتقديم استقالاتهم . وكان مصطفى حمدون أول المستقيلين [3] ولحقه عبد الغني قنوت على الفور وتضامن معهما صلاح الدين البيطار وأكرم الحوراني [4] وأخيراً خليل كلاس ، وقبل الرئيس الاستقالات الخمس في ١٩٥٩/١٢/٣٠ و١٩٦٠/١/٣ ، وبذلك انطوى دور البعث في حياة دولة الوحدة ومعه الحلم الذي راود قادته في القيام بدور فاعل لتحقيق وحدة الأمة العربية الشاملة .

---

(١) - نصر ، عبد الناصر وتجربة الثورة ، ص١٨٧ .

(٢) - كان المالكي قد قدم مذكرة إلى وزارة الدولة لشؤون الرئاسة تتضمن مسألة حرياتالصحافة : ومعيا استقالته ، ومن ثم صدر قرار إعفاء المالكي من منصبه كوزير عجز عن الانسجام مع أساليب الحكم . راجع : ذكريات المالكي ، ص ٢٩٨ .

(٣) - حسب هيكل كان حمدون يطبق قانون الاصلاح الزراعي بوحي من شهوة الانتقام ، وقد اعترض عامر على ذلك الأسلوب ، وشكل لجنة خماسية لتطبق الاصلاح الزراعي تحت إشراف الوزير حمدون عندئذ قدم استقالته في ١٩٥٩/١٢/٢٣ ، راجع كتابه ، مالذي جرى ، ص٩٧ - ٩٨ . وراجع حول هذه القضية : نصر ، عبد الناصر ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٤) - رفض عبد الناصر في " مباحثات الوحدة الثلاثية " أن يرد أسباب هذه الاستقالات إلى خلافات مذهبية وإنما إلى دوافع شخصية ، ولما أشار البيطار إلى أنهم كانوا قد قرروا تقديمها قبل عام رد عليه الرئيس ناصر ، ذلك يوم طالبتم أن تحكم الجمهورية العربية المتحدة من قبل لجنة تضم ثلاثة مصريين وثلاثة بعثيين : عفلق والبيطار وحوراني ولم أوافق . راجع محاضر جلسات هذه المباحث، ص٢٥٦ - ٢٧٣ . وقد أوردها هيكل في كتابه مالذي جرى ، ص٩١ - ٩٢ .

لم يكن مقبولاً أن يكسر عبد الناصر التوازن السياسي الذي قامت عليه دولة الوحدة ، لأنه بذلك قطع أوصال البناة الأكثر ايماناً بالوحدة بين السوريين ، وكانت نتيجته الفشل في اتخاذ حلفاء آخرين يعتمد عليهم كقواعد يعبّر من خلالها السوريون عن ذاتهم إذ لم يتطور " الاتحاد القومي " ليصبح مؤسسة سياسية ذات فعالية ، كذلك فشل الـ ٢٠٠ نائباً الممثلين للإقليم الشمالي في مجلس الأمة في أخذ دور هام داخل تلك المؤسسة ، ومن المفيد أن نردد هنا ما كتبه الباحث الافرنسي Simon Jargy في ٣٠ أيلول ١٩٥٩ في مقاله "le Declin d'un parti" "هل سيكون انهيار المشاركة البعثية – الناصرية سبباً في انهيار دولة الوحدة، وهل سيتخذ البعث جانب التقليديين في المعارضة السرية التي قد تسقط نظام عبد الناصر الذي كان جاهلاً بما يعلمه التاريخ من دروس " [١] .

وفي الواقع ، منذ ذلك التاريخ ، انشق حزب البعث بعمق ، فقد تحول بعض البعثيين إلى معارضين غير نشطين لنظام الوحدة ، وبقي بعضهم يتعامل مع النظام ، في حين اعتزل آخرون السياسة ، واتجه آخرون نحو الماركسية . وقامت بعض الخلايا السرية وحافظت على كيان الحزب ومنها انبثقت " اللجنة العسكرية " في مصر وهي التي لعبت الدور الفاعل في انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ [٢] .

---

[١] – Orient, No11, 1959, p.40 .

[٢] – راجع : مؤلفات الكتاب البعثيين : منيف الرزاز ، التجربة المرة ، ص ٨٧ – ٨٨ ، سامي الجندي ، البعث ، ص ٨٥ . محمد عمران ، تجربتي ، ص ١٨ – ١٩ . جلال السيد ، حزب البعث العربي ، ص١٦٨ – ١٧٤ . وباتريك سيل ، الأسد ، ص١١٠ – ١٢٠ و :

- I. Rabinovich . Syria under .. . p.8, 24, 25, cf. Martin Seymour . the Dynamics of Power in Syria Since break with Egypt in Middle-Eastern studies , Vol VI 1970. No1, p.35 -47 . p.37 et Suiv cf. E. Be'eri. Army .. . p.334 - 342 .

الإقليم السوري تحت الاشراف المصري المباشر

يعد تعيين عبد الحكيم عامر نائباً لرئيس الجمهورية في الإقليم الشمالي من أبرز الأحداث التي قامت في سورية في ظل نظام الوحدة ، فقد زود مرسوم ٢١ تشرين الأول المشير عامر بسلطات واسعة لاعداد برنامج دمج إقليمي الجمهورية وتنفيذه ، ووضع الخطط لتنمية الاقتصاد السوري ضمن الميزانية المحددة ، والاشراف على التنظيمات الادارية والشؤون العامة ، كما وضع المرسوم المجلس التنفيذي تحت سلطة عامر وجعل كل قرار يتخذه الوزراء التنفيذيون يحتاج إلى إقرار المشير [١] . وهكذا انتزع المرسوم السلطات التي وضعت سابقاً تحت أيدي السوريين وأصبحت سورية تحت حكم المشير المصري الذي أطلق عليه السوريون لقب " نائب الملك " [٢] .

إن هذه السياسية التي اعتمدها عبد الناصر تدل على تفاقم المعارضة الداخلية على الرغم من تلك الضجة الاعلامية والبرامج المكثفة في أجهزة إعلام نظام الوحدة ، كما تدل أن القاهرة قد حسمت أمرها بجعل الوحدة وحدة اندماجية حقيقية ، وعليه وللحؤول دون بروز تحديات علنية للنظام وكي لا يجد اليسار المتطرف والنظام العراقي مرتكزاً لهما على الأرض [٣] ، كان لابد من التضحية بشكاوى السوريين من عدم المشاركة في اتخاذ القرار ، وحتى تبقى سورية تحت الهيمنة المصرية ، وحتى يبقى عبد الناصر ممسكاً بزمام العالم العربي " يجب أن تحكم دمشق ، كما قال (M. Colombe) كما تحكم الاسكندرية وسارت العملية وتكاثفت مع قدوم عامر موجات العسكريين

---

(١) – نص المرسوم في صحيفة الاهرام ، القاهرة ، عدد ٢٢ تشرين الأول ١٩٥٩ .

(٢) – راجع : هيكل ، مالذي جرى ، ص٧٦ .

(٣) – بعد وصول عامر إلى سورية بيومين أعلن في بغداد عن فشل مؤامرة لاغتيال العقيد قاسم ، ووجهت الصحف العراقية أصابع الاتهام إلى المشير المصري ، راجع صحيفة البلاد ، بغداد ، عدد ١٥ و ١٦ تشرين الثاني ، وقد أنكر المشير عامر هذه التهمة في مؤتمر صحفي في ٢٩ تشرين الأول . راجع صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ١٩٥٩/١٠/٣٠ .

والموظفين والخبراء والفنيين لينظموا ويديروا ويشرعوا ويربطوا خطوة تلو الأخرى العالم السوري بالعالم المصري .. " [1] .

قاد المشير عامر الشؤون السورية من تشرين الأول ١٩٥٩ حتى أيلول ١٩٦٠ ، وعمل جاهداً لكسب ثقة السوريين ، فأظهر نفسه كمسؤول قادر على تأسيس قاعدة شعبية لتعزيز النظام ، وحاول إحياء جو الحماسة الذي عمَّ البلاد فجر الوحدة فردد في خطبه التعابير الرنانة المعروفة حول القومية العربية ولمَّ شمل الأمة ، كما شدد على الديمقراطية والاشتراكية التعاونية ، ورداً على أعداء الوحدة قال : " إن هذه الدولة صامدة لا يمكن فصل جناحيها طالما يجرى نهرا بردى والنيل " [2] ، وأسس عامر ، منذ وصوله إلى دمشق ، مكتباً للشكاوى والمظالم " لإتاحة الفرصة لكل مواطن للتعبير عن تظلمه إلى السلطة وكلف هذا المكتب بدراسة الشكاوى واتخاذ الاجراءات اللازمة بصددها في الوزارات والإدارات العامة [3] "، وبذلك وضع عامر نفسه على احتكاك مباشر مع الشعب وأصبح الملجأ الأخير لتنفيذ العدالة ، وتقرب عامر من الطبقة الوسطة من تجار المدن ورجال الأعمال ، أملاً بتحريك عجلة الاقتصاد السوري الراكدة ، فأعلن ، في سياق مؤتمر صحفي ، أنه لا يجد من الضروري دمج اقتصاد الاقليمين حالياً بل من المفضل تقوية كليهما على حدة ، وأضاف " إن مسألة توحيد العملة ليست ذات فائدة بارزة " [4] . وقد استقبلت غرف الصناعة والتجارة في سورية هذا التصريح بترحاب فائق ، نظراً لما أثارته مسألة توحيد العملة من سخط عام [5] . وقدم المشير تنازلات لرجال الأعمال الذين

---

(١) - M. Colombe, la Mission du marechal Egyptien .., p.31 .

(٢) – راجع نص الخطاب الذي ألقاه في اللاذقية عشية وصوله في : صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ١٣ تشرين الأول ١٩٥٩ .

(٣) – حول مهام هذا المكتب ، راجع المرسوم الذي أصدره المشير في ٥ تشرين الثاني المتعلق بتنظيم المكاتب الجديدة في صحيفة الوحدة ، دمشق ، عدد ٦ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

(٤) – راجع وقائع المؤتمر الصحفي الذي أجراه المشير مع مندوب المجلة الأمريكية "Christian science monitor" ، في صحيفة صوت العرب ، عدد ١٩٥٩/١٠/٣٠.

(٥) – نشرت الصحف السورية عشرات البرقيات ورسائل الدعم التي تلقاها المشير من كل حدب وصوب ، وخاصة زيارة وفد غرف التجارة والصناعة إلى مكتب المشير للاعراب عن شكرهم . راجع: صحيفة الأيام، عدد ٣ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

كانوا يشكون من الزيادة المفرطة في التعرفة الجمركية . فانقص رسوم الاستيراد من ٢٠ إلى ١٥٪ على مختلف السلع الغذائية ، ومن ٥٠ إلى ٣٠٪ على الكماليات [١] .

وفي الأسبوع الأول من تشرين الثاني باشر عامر في تنظيم مكاتبه . فاسس مكتبه الخاص وربط به مكتب الشكاوى المشار إليه آنفاً ، ومكتباً للشؤون الاقتصادية مكلفاً حل المشاكل الاقتصادية ودراسة كل قانون له صفة اقتصادية ورفعه إلى المجلس التشريعي لإقراره، ومكتب الشؤون العامة المكلف بالقضايا القانونية والخدماتية والإشراف على الإعلام من صحافة وإذاعة [٢] ، وفي ٣٠ كانون الأول أصدر عامر مرسوماً بتسمية لجنة من أربعة وزراء تنفيذيين لمساعدته على تنظيم " الاتحاد القومي " [٣] .

بحث عامر ، منذ أن شارف التحالف البعثي الناصري على نهايته ، عن الدعم لدى الأحزاب السورية الأخرى ، وأظهر أنه سيكون حكماً حيادياً بين كل الفئات السياسية ، فتقرب من قدامى السياسيين ، وعرض على ممثلي الأحزاب الوطني والشعب والأخوان المسلمين التعاون معه لتنفيذ التوجه السياسي الجديد [٤] . إلاّ أن تلك التشكيلات القديمة لم تعد تملك سابق رصيدها الشعبي ، ولم تسجل انتخابات "الاتحاد القومي" عودتها إلى مكانتها القديمة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن زعماء تلك التنظيمات لم يجدوا من الملائم التراجع عن المعارضة السرّية التي لم ينقطعوا عن ممارستها منذ منتصف عام

---

(١) – الأيام عدد ٢ و ١١ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

(٢) – راجع : صحيفة الوحدة ، دمشق عدد ٦ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

(٣) – ضمت هذه اللجنة : السرّاج وزير (الداخلية) حاجي يونس (الزراعة) طعمة العودة الله (الشؤون البلدية والقروية) أمجد الطرابلسي (التربية والتعليم) راجع م . ن ، عدد ٣١ كانون الأول ١٩٥٩ .

(٤) – راجع صحيفة الأخبار ، بيروت ، عدد ٣ تشرين الثاني ١٩٥٩ . وقد حذر منشور صادر عن الحزب الشيوعي المتعاونين مع عامر من مغبة عمليهم قال " لقد رغب عامر في التعاون مع عملاء الامبريالية والرجعيين العرب ، وهدفه جعليهم مسؤولين عن الوضع الاقتصادي المأساوي وعن الانحراف السياسي والرعب الأسود والوحشي المخيم على البلاد .. إنّ من يقبل ان يكرّس نفسه لخدمة مصالح بنك مصر والديكتاتور، سيصطدم بارادة الشعب الذي سيحاكمه بقسوة "، النص نقلاً عن الترجمة الافرنسية للمنشور في :

- Orient . No13, 1960, Document, No6, p.147 - 152, p.150 .

١٩٥٨ ، وهكذا فشلت محاولة العسكري المصري الاستعاضة عن حزب البعث بحلفاء جدد ، ولما كان من الضروري الاعتماد على يد سورية قوية وثابتة ، فقد كانت تلك اليد يدُ السرّاج ، الزراعُ الأيمن الذي اعتمد عليه عامر للإمساك بسورية ، والأداة الطيّعة لتنفيذ السياسة المقررة من القاهرة .

تصدى السرّاج ، الذي عُيّن أميناً عاماً للإتحاد القومي [١] ، لتنفيذ المهمة التي جاء من أجلها عامر إلى سورية ، فهو الذي عمل على انسحاب الأحزاب من الساحة السياسية ، وهو الذي دعا السوريين إلى العمل السياسي في إطار "الاتحاد القومي" ، وحثّهم على السير وراء رئيسهم جمال عبد الناصر ، رجل العناية الالهية ، القادر وحده على إخراج الاقتصاد السوري من عثرته وعلى إقامة مجتمع تسوده العدالة والمساواة والحرية [٢] .

وتصدّى السرّاج لمواجهة أية معارضة وذلك باعتماد النظام القمعي في وجه شعب يشكو ويتذمر ، ولإجل ذلك وضع المشير عامر تحت إمرة السرّاج ١٢ ألف عميل استخبارات، كما اعتمد على شبكة من الضباط المصريين الذين تجاوزوه غالباً وأشرفوا على أعماله سراً ، وذلك من خلال مكتب " الاستخبارات العسكرية " ومكتب " الاستخبارات العامة " ومما تفرع عنهما ، كما زود زكريا محي الدين ، وزير الداخلية المركزي ، أجهزة الاستخبارات العاملة في سورية بخبراء ألمان ممن خدموا في جهازي الـ S.S. والغستابوفي النظام الألماني النازي، وأصبحت الدولة من أعلاها إلى أدناها في قبضة أجهزة الأمن .

في ١٤ شباط زار الرئيس عبد الناصر الإقليم الشمالي للاحتفال مع السوريين بالعيد الثاني لقيام الوحدة [٣] ، ولاقى في جولته على المحافظات استقبالاً جماهيرياً حاشداً،

---

(١) – راجع نص مرسوم تعيينه في ١٩٦٠/١/١٤ في صحيفة الوحدة ، دمشق ، عدد ١٩٦٠/١/١٥.

(٢) – راجع بهذا الصدد الخطب التي ألقاها السرّاج في الجماهير عشية الاحتفال بعيد الوحدة الثاني، في كتاب " ٢٢ شباط لقاء وانتصار " إعداد محمد أبو القاسم ، دمشق ١٩٦٠ ، ص٢٢ – ٢٣ ، ٣٤ – ٣٦ ، ٤٥ – ٤٦ ، ٢٤١ – ٢٥١ .

(٣) – أفردت مجلة Orient في عددها ١٣ للعام ١٩٦٠ بعض مقالات من الصحف العربية

وفي جو من الحماسة المتقدة ألقى الرئيس حوالي ٥٠ خطاباً وكلمة ، أكد فيها أن هذه الجمهورية هي حصن القومية العربية وركيزتها " ، وندد بعنف بأعداء الوحدة : الاستعمار والامبريالية وعملائهم ، والشيوعيين العرب الذين تنكروا لقوميتهم ، والانتهازيين والرجعيين ، وهاجم رئيس جمهورية العراق ، عبد الكريم قاسم " لأنه يحاول دائماً افتعال الخلاف ليحوّل العروبة إلى إقليمية " واتهمه بأنه يتاجر بقضية فلسطين كما فعل نوري السعيد سابقاً ودعاه "إلى إرسال جيشه ليحرر فلسطين مع أفراد جيش جمهوريتنا " ، ثم هاجم الدولة العبرية وأكد أنه سيحرر الأرض المغتصبة ويعيد الحقوق إلى شعبها ، كما ندد بمواقف الولايات المتحدة المؤيدة لإسرائيل ونـدد " بالأصوات التي ارتفعت في لندن وواشنطن للعودة إلى الإعلان الثلاثي ٢٥ أيار ١٩٥٠ " [١] وأخيراً وعد السوريين بأن " راية القومية العربية سترتفع حتماً مهما كان الطريق شاقاً " وأن " دولة الوحدة ستنتصر على أعدائها وستحقق الوحدة العربية الشاملة " .

في ١٨ آذار غادر الرئيس الإقليم الشمالي إلى القاهرة ، وكان قد أصدر صباح هذا اليوم قراراً بتعديل وزاري جديد شمل سبعة وزراء سوريين جدد ، احتل أربعة منهم الوزارات الشاغرة نتيجة استقالات العناصر البعثية ، وتولى الثلاثة الآخرون وزارات مستحدثة هي : الأوقاف ، التموين ، وزارة دولة لشؤون رئاسة الجمهورية . وتميز التشكيل الوزاري الجديد بغلبة العناصر العسكرية ممن كانوا أعضاء في المجلس العسكري السوري القديم وهم : العقيد أكرم الديري ، الذي حل محل عبد الغني قنوت في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وتولى العقيد أحمد هنيدي وزارة الاصلاح الزراعي محل مصطفى حمدون ، والعقيد جادو عزالدين وزير دولة لشؤون رئاسة الجمهورية ، والعقيد جمال الصوفي وزارة التموين وبذلك ازداد التمثيل العسكري في المجلس التنفيذي

المخصصة لمناسبة مرور عامين على قيام الوحدة ، بعضها مجّد منجزات الوحدة ، وأخرى تحفظت ، وثالثة هاجمت وانتقدت . لمن يريد الاطلاع يمكنه مراجعة الوثائق المدروجة تحت عنوان :

- "La Seconde anniversaire de la R.A.U" p.137 - 152 .

[١] - نشرت خطب الرئيس ناصر مع كلمات الوفد الرسمي المرافق له في كتاب " ٢٢ شباط لقاء وانتصار" ، راجع الصفحات : ٨ - ١٩ ، ٢٧ - ٣٣ ، ٣٨ - ٤٢ ، ٤٨ - ٦١ . وخاصة خطابه الأخير في مؤتمر الاتحاد القومي للإقليم الشمالي بدمشق ، ص٢١٤ - ٢٤٠ .

السوري بشكل مطرّد ، كما ضمت الوزارة المحلية بعض العناصر ذات الميول الحزبية مثل محمد العالم وزير المواصلات وعبد الوهاب حومد وزير الخزانة (حزب الشعب) وشوكت القنواتي وزارة الصحة (الحزب الوطني) [1] .

وبعدما تم الاستغناء عن الضباط البعثيين ، ومن ضمن الخطة العامة لتصفية الضباط السياسيين ، المشكوك بولائهم المطلق ، سرت في ربيع عام ١٩٦٠ اشاعات حول استقالة الضابطين في الوزارة المركزية أمين النفوري وأحمد عبد الكريم ، وفي مطلع أيار نشرت استقالتهما رسمياً [2] وكان كلاهما في خط سياسي واحد ، وبعد الوحدة انجذبا إلى البعث دون الالتزام به ، وكان يظن أن لهما روابط مع الغرب وربما لهذا السبب ، أو لعلاقاتهما الوثيقة مع البعث ، أو للاثنين معاً ، قرر عبد الناصر الاستغناء عنهما [3] وفي التعديل الوزاري بتاريخ ٢٠ أيلول ، حل طعمة العودة الله محل أحمد عبد الكريم ومحمد العالم محل أمين النفوري .

---

(١) – أسماء أعضاء الحكومة المحلية بعد قرار ١٨ آذار : نور الدين كحالة (رئيساً ووزيراً للتخطيط والأشغال العامة بالوكالة) ، نهاد القاسم (العدلية) ، السرّاج (الداخلية) ، محمد العالم (المواصلات) عبد الوهاب حومد (الخزانة) ، أحمد حاجي يونس (الزراعة) ، شوكت القنواتي (الصحة) وجيه السمّان (الصناعة) ثابت العريسي (الثقافة والارشاد القومي) مكان البعثي رياض المالكي ، وحسني الصواف محل كلاس في وزارة (الاقتصاد) الديري (العمل والشؤون الاجتماعية)، جادو عزالدين (وزير دولة لشؤون رئاسة الجمهورية) ، أحمد هنيدي (الاصلاح الزراعي) ، جمال الصوفي (التموين) يوسف مزاحم (الأوقاف) أمجد الطرابلسي (التربية والتعليم) طعمة العودة الله (الشؤون البلدية والقروية) ، الضباط في الوزارة هم : السرّاج ، الديري ، عزالدين ، هنيدي ، الصوفي ، العودة الله . راجع :

- Orient, No13, 1960/ Chroniques (Syrie) p.178 - 179 .

(٢) – صحيفة الوحدة ، دمشق ، عدد ٤ أيار ١٩٦٠ .

(٣) – G. Torrey , the Military in Middle-East , p . 66 . cf . E . Be'eri . Army officers , p.137 .

وقد ذكر صلاح نصر أن " أمين النفوري كان مسلكه معادياً للقاهرة ، إذ اتصل بعبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بعد ثورة العراق محذرا من إقامة وحدة مع مصر " ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص١٨١ .

في منتصف آذار اكتمل تركيب الاتحاد القومي في الإقليم الشمالي ، وذلك بعد أجواء انتخابات لجان الوحدات الأساسية ، ووحدات المناطق ثم المحافظات والمدن [(١)] وفي ٢٢ آذار نشر السرّاج بصفته أميناً عاماً للإتحاد القومي مسودة المنهاج الداخلي للاتحاد [(٢)] ، وعلى الرغم من مساعي السلطة لتسليم المرشحين ، الذين لا غبار على ولائهم ، المراكز القيادية إلا أن القوى السياسية السورية القديمة استطاعت التغلغل داخله وأوصلت ممثلين عنها إلى تلك المراكز ، واستكانت في مسلكها داخله ولم تحاول اتخاذ أية مواقف معادية للخط الذي انتهجه ، ومن الجدير ذكره أن السرّاج عمد إلى تشكيل قيادات من الإتحاد القومي غير تلك المنتخبة أو معينة رسمياً ، أي تنظيم سري تحت إشرافه الخاص ، " وذلك بإيحاء من عبد الناصر بهدف تكوين كادر سري يصلح لتولي القيادات بعد فترة ، وسيكون أكثر ولاء من الأعضاء المنتخبين أو المعينين " [(٣)] .

كان " الاتحاد القومي " في سورية ، خليطاً غير متجانس ، وتجمعاً لقوى سياسية متباينة المشارب ، وعناصر طائفية متنوعة ، وملاكي أراضٍ ورجال أعمال وزعماء عشائر بدوية وضباط وموظفين مدنيين ، وقد عملت هذه الفئات ، حسب رأي عبد الناصر، على تحطيم الوحدة ، من خلال الاتحاد " الذي كان من المفترض أن يصبح دعامة للنظام ، إلا أن العناصر الرجعية والاقطاعية عملت من داخله على تحطيم الثورة وجعلته أداة لطعنها " [(٤)] . وفي التاسع من تموز انعقد في القاهرة المؤتمر العام للإتحاد القومي لكلا الاقليمين ، وألقى عبد الناصر أمام أعضائه خطاباً شدّد فيه على أن الشعوب العربية أصبحت القوة الفاعلة في الواقع العربي ، وهي قادرة على أن تعيد كتابة تاريخها ورسم خريطة أرضها [(٥)] . هذا وقد اختار عبد الناصر ٦٠٠ عضو

---

(١) – راجع المراسيم التي أصدرها المشير عامر لتنظيم انتخابات اللجان التنفيذية في الاقليم الشمالي والصادرة من ١٩٥٩/١٢/٣٠ حتى ١٩٦٠/٢/١٠ في :
- Orient , chroniques (Syrie) No13, 1960, p.179 - 180 .

(٢) – تضمنت مسودة المنهاج ٧١ بنداً ، وتُركت مهلة شهرين كي يقدم أعضاء اللجان التنفيذية ملاحظاتهم حولها . راجع النص الكامل في صحيفة الوحدة ، دمشق ، ٦٠/٣/٢٢ .

(٣) – صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٤) – راجع نص الخطاب في صحيفة الأهرام ، ١٧ تشرين الأول ١٩٦١ .

(٥) – راجع النص في ، مصلحة الاستعلامات ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥ – ٤٨ .

اتحادي ليشكلوا مجلس الأمة للجمهورية العربية المتحدة ، ٤٠٠ مصري و ٢٠٠ سوري، وكان من بين الأعضاء السوريين ٤٦ نائباً سابقاً في البرلمان السوري ، وفي ٢١ تموز افتتح مجلس الأمة أول جلساته وانتخب أنور السادات رئيساً وفؤاد جلال (مصري) وراتب الحسامي (سوري) من أعضاء حزب الشعب سابقاً نائبي رئيس .

إنّ هذا المجلس الذي تشكل بقرار من رئاسة الجمهورية انحصرت مهامه في حشد الرأي العام وراء النظام ، بينما راحت التشريعات الهامة تصدر من خارجه ومن أعلاه ، وحتى أنه لم يسأل قط الموافقة عليها ، ولم يكن في الواقع سوى واجهة شرعية هزلية ومهلهلة لتغطية نظام الحكم الرئاسي الفردي السلطوي .

تآكل شعبية نظام الوحدة في سورية

فشل المشير عامر في تقليص حدة التناقضات بين السوريين والمصريين ، وفشل أكثر في التخفيف من الاستياء العام ، لا بل ازدادت الأمور حدة مدة إشرافه على الشؤون السورية ، حيث شهد الإقليم إضرابات عمالية ، ومظاهرات طلابية ، وتمرد في أجهزة الأمن ، وصراع في صفوف الضباط ، وتزمر شامل من الأوضاع الاقتصادية ، وكانت أسباب استياء السوريين عديدة ومتنوعة سنستعرضها أدناه [(١)] :

أ) – ترافقت مساعي القاهرة للتسريع في عملية الدمج مع تدفق آلاف المصريين إلى سورية لملء المناصب في الإدارات العامة والقضاء والتعليم والأمن والجيش ، وقد

---

(١) – المعلومات حول هذه الفقرة مستقاة من المصادر الآتية : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة الجامعة العربية ، قسم تقارير مؤتمر شتورة ، حافظة رقم /٣/ وثيقة رقم ٥/ في ٦٢/٨/٢٢ ورقم ٦٢/٨/٢٣/٧/ ورقم ٦٢/٨/٢٤/١٠ . ومن البحث الميداني الذي أعده :

- Monte Palmer , "the United Arab Republic : an Assessment of its Failure , p . 50 - 60 cf. F. o/ 371/ 157837, confidential Report about" Implications of Syria's Secession" From Bureau of intelligence and Research, Oct12, 1961, p.1 - 11 , p.2 - 3 .

وراجع مؤلفات السوريين مثل : كلاس ، سورية ، محطمة الاستعمار والامبريالية ، وأمين النفوري، عبد الناصر بدأ في دمشق وانتهى في شتورة، (دمشق ١٩٦٢) وأحمد عبد الكريم ، أضواء على تجربة الوحدة (دمشق) ١٩٦٢، بالاضافة الى الصحف السورية الصادرة بعد الانفصال.

احتل المصريون المراكز الهامة التي كان أفراد النخبة السورية يعتبرونها حقاً من حقوقهم، مثلاً في وزارة الصناعة كان سبعة من أصل ١٣ موظفاً كبيراً من المصريين ، وفي وزارة النفط أربعة مصريين من أصل ستة موظفين كبار ، كما عمل في سورية من ٣٠ إلى ٤٠ قاضياً مصرياً ، هذا عدا عن آلاف الفنيين الذين شغلوا المؤسسات والقطاعات الصناعية وإذا كان من المقبول وجود هؤلاء الفنيين نظراً لحاجة سورية إلى خبراتهم فلم يكن كذلك وجود هذا العدد من الحقوقيين نظراً للعدد الكبير من الطلبة السوريين الذين كانوا يتخرجون كل عام من كلية الحقوق بدمشق ، وإذا كان من الصحيح القول أن عدد المصريين العاملين في المراكز الادارية لم يكن مفرطاً إلى حد كبير ، إلا أن هذا المد البشري قد فاق حاجة البلاد ، خاصة لكون الحكومة التنفيذية قد تشكلت أساساً لتناط بها شؤون الإقليم الشمالي (حكومة ذاتية) التي يجب أن يتولاها سوريون تماماً كما كان الجهاز التنفيذي المصري حصراً على المصريين . واشتكى السوريون من تجاهل المصريين اوامر رؤوسائهم السوريين المباشرين ، وتجاوزها غالباً بإحالة القضايا المعلقة مباشرة إلى القاهرة ، وبأن المصريين يكتمون أسرار العمل عنهم ويتصرفون بتشامخ أعطى انطباعاً بأن الوحدة " ليست سوى تسلطٍ مصريٍ على سورية " . هذا ولم تتطور آلية عمل الحكومة إلى مستوى قادر على امتصاص النقمة ، فقد أضعفت المركزية العمل الإداري الضعيف أصلاً ، وكانت القضايا ذات الطبيعة الاقليمية تُرسل إلى القاهرة لاقرارها ، وانعدم التنسيق بين المصريين ونظرائهم السوريين وأوصل ذلك إلى وضع البلاد بكاملها تحت سيطرة العاملين في مكاتب المشير عامر وسرت الفوضى الادارية وهيمنت وأصبح الوزراء لا يعلمون من أين يبدأون ، والمحافظون يتلقون الأوامر من الضباط ، وانتشرت الشكاوى من كل دائرة وفي كل قضاء ، وفي هذا الجو المثقل بالريبة والشكوك سرت وسادت الإشاعات حول مزيد من إجراءات الدمج ، وحول تحديات المصريين ومحاولاتهم التفريق بين السوريين ، ووفرت تلك الإشاعات أرضاً خصبة للشك بأن الوحدة أصبحت شكلاً من أشكال الغزو [1] .

---

(١) – ورد في تقرير صادر عن وزارة الخارجية الامريكية حول سورية ما يلي " إن تذمر السوريين من السيطرة المصرية على شؤون سورية الداخلية أصبح عاماً وواسعاً ، وبينما كانت شعبية

ب) – وما هو أكثر دلالة وأثراً اتساع المشاعر المعادية للوحدة داخل طبقة الضباط السوريين الذين أحسوا بالمرارة والسخط من أسلوب ممارسة المصريين السلطة واستمرت تلك المشاعر تنمو وتتفاقم حتى قادت إلى نهاية الوحدة .

عملت القاهرة ، منذ بداية الوحدة ، على احلال التوازن في الجيش السوري لصالح الضباط غير الحزبيين ، وقد أشرنا سابقاً إلى أن عملية تصفية الحزبيين قد تناولت الشيوعيين وأنصارهم ومن ضمن هذه الموجة الأولى تم إقصاء ٧٥ ضابطاً فلسطينياً أدخلوا إلى الجيش بعد الحرب الفلسطينية كخطوة أولى لإعداد جيش فلسطيني [١] . وسارت خطة تصفية الضباط السياسيين إلى الأمام ، فتناولت البعثيين أيضاً حيث أبعد ضباطهم إلى مراكز إدارية أو للعمل في السلك الدبلوماسي أو إلى مصر ضمن إطار حركة النقل المتبادلة بين الإقليمين ، وبعد انفجار الصراع البعثي – الناصري تمت إزاحة البعثيين فزُجَّ المتطرفون منهم في السجون وأحيل بعضهم إلى التقاعد ونفي آخرون وبأعداد كبيرة إلى مصر [٢] ، وازدادت يوماً بعد يوم أعداد الضباط السوريين المبعدين بطرق مختلفة : تطهير ، نقل إلى وزارة الخارجية وإدارات الجيش ، إحالة على التقاعد ، إبعاد إلى القاهرة ، واتسعت أطرها لتشمل ضباطاً من كل الاتجاهات والمشارب ، وضباطاً مستقلين اصطدموا مع المصريين أو مع السرّاج وزمره أو كانوا مناصرين لحزب البعث ، وقد كان هؤلاء على الأغلب ، ضباطاً أكفاء لا شائبة عليهم وقد أشارت وثائق مؤتمر شتورة أنه طرد من الجيش السوري إبان الوحدة أكثر من ١١٠٠ ضابط

ناصر وجاذبيته الشخصية مستمرة وربما على مستوى عالٍ فإن سياسته القائمة على اخضاع سورية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً للسلطات المصرية أصبحت مكروهة ومدانة بشكل واسع "

- F. o/ 371/ 157837/ Report From Wash. D.C. to F. o/ 12/10/1962. p.3 - 6 .

[١] – قيل أن إزاحة الضباط الفلسطينيين كانت خطوة متلازمة مع إزاحة الضباط الشيوعيين حيث اعتبرهم المصريون من جماعة عفيف البزري لأنه أزال التمايز بينهم وبين السوريين . راجع :

- Petran, Syria, p.146 - 147 .

[٢] – عن وقائع المؤتمر الصحفي الذي عقده رئيس الأركان السوري عبد الكريم زهر الدين في ٢ تشرين الثاني ١٩٦١ المنشور في كتاب صلاح الدين المنجد ، سورية ومصر ، وثائق ونصوص ، ص١١١ – ١١٤.

ونقل ٣٠٠٠ ضابط صف و ٨٠٠ ضابط إلى مصر ، ولم يمارس هؤلاء المبعدون أي عمل في مراكزهم الجديدة سوى قراءة الصحف أو التسكع في شوارع القاهرة [١] .

وتلازمت عملية تصفية أو تنحية الضباط السوريين مع حركة انتداب للضباط المصريين لملء الفراغ الذي حلّ نتيجة التسريح أو الإبعاد ، وبلغ عدد هؤلاء حسب المصادر السورية أكثر من ٢٣٠٠ ضابط ، ولم يكن هؤلاء البديل الصالح في أي حال من الأحوال . من حيث أن عملية انتدابهم قد خضعت لاعتبارات شخصية [٢] ، وقد تقاضى المصريون راتباً شهرياً قدره ٨٠٠ ل.س كتعويض بالاضافة إلى راتبهم الأصلي ورفع نظام الوحدة المعاش التقاعدي ، لارضاء الضباط السوريين المنحالين إلى التقاعد ، إلى درجة أصبح الانتداب والتقاعد عبئاً ثقيلاً على ميزانية الإقليم الشمالي .

شغل الضباط المصريون المراكز الحساسة في القيادة العامة وسيطروا على المراكز القيادية في الوحدات أو وضعوا فيها أنصارهم بحيث أصبح الجيش الأول بكامله تحت السيطرة المصرية [٣] ، وقد تحدث ضباط سوريون في عدة مناسبات عن وضع

---

(١) – عن الناطق الرسمي باسم الجيش في مؤتمر شتورة ، أمين النفوري ، وثيقة رقم ٢٩ تاريخ ٢٣ آب / ٦٢ وثائق دولة ، مجموعة الجامعة العربية ، قسم تقارير مؤتمر شتورة ، حافظة رقم /٣/ ، ص ١ – ٥ . ونشرت التقرير صحيفة الأيام ، دمشق ، عدد ٢٨ آب ١٩٦٢ .

هذا وقد اعتبر بعض هؤلاء الضباط أن هذا النقل مجرد نفي وفضل بعضهم الموت على الانتقال إلى القاهرة راجع : كلاس ، سورية .. ص ٦١ ، وكان هؤلاء الضباط يتلاقون ويتناقشون حول أسباب نفيهم . ومنهم بعض البعثيين الذين أسسوا في القاهرة عام ١٩٥٩ " اللجنة العسكرية " التي ضمت في البدء خمسة ضباط هم : محمد عمران ، صلاح جديد ، حافظ الأسد ، عبد الكريم الجندي وأحمد المير واتسعت فيما بعد لتشمل ١٥ ضابطا هم : عثمان كنعان ، سليمان حداد ، سليم حاطوم ، حسين ملحم ، موسى الزعبي ، مصطفى الحاج علي ، أحمد سويدان ، أمين الحافظ ، حسين ملحم ، محمد رباح الطويل ، وقد أصبح هؤلاء نواة الحكم السوري بعد ثورة ٨ آذار.

- N. Van Dam, the Struggle , p.59, Note No51, p.59 .

(٢) – راجع وثائق مؤتمر شتورة ، م . ن ، وثيقة رقم ٢٩ تاريخ ٢٣ آب ١٩٦٢ ، ص٢ في حين ذكرت المصادر المصرية أن عدد الضباط المصريين المنتدبين للعمل في الجيش الأول لم يتجاوز ٨٠٠ ضابطا : راجع هيكل ، مالذي جرى ، ص٧٥ ، وفرسخ ، الوحدة في التجربة، ص٢٧٦.

(٣) – من أبرز الضباط المصريين الذين عملوا في سورية أبان الوحدة نذكر : العميد عبد المحسن

الجيش السوري إبان الوحدة وعكسوا في تصريحاتهم المشاعر التي سادت لدى طبقة الضباط السوريين ، قال اللواء عبد الكريم زهر الدين : "لقد ذهب ضباطنا الشباب إلى الإقليم الجنوبي متحمسين تملأ نفوسهم المشاعر القومية الصادقة وماذا أرسلوا بالمقابل من مصر .. ضباطاً تخصصوا في الجاسوسية وجاؤوا سورية بعقلية رجل المخابرات ، وراحوا ينتشرون مثل الاخطبوط في جميع المؤسسات ويغرسون وجودهم في كل قطاع لقد جعلوا أنفسهم سادة البلد في كل أمر من الأمور " ... " إن الحكم والنظام يتطلبان تقيداً حازماً بالرتبة والتنظمات العسكرية في العمل وفي التعيينات وفي إقامة العلاقات لكن هؤلاء لم يقيموا اعتباراً لكل ذلك ، فبدلاً من الاتصال بقيادة الجيش العليا أو ضباطهم الأعلى رتبة ، كانوا يتصلون بضباطهم مباشرة متجاهلين الرتب وكون هؤلاء أقل رتبة من آمريهم السوريين ، ولما كانت الشكاوى حول انتهاك المصريين للمقامات العسكرية ترفع إلى المسؤولين كان السوريون يتهمون بالإقليمية " [1] .

واتهم السوريون الضباط المصريين بالتجسس على رفاقهم السوريين وأنه كان في حوزتهم أجهزة إرسال تتيح لهم الاتصال مباشرة مع القاهرة ، وأن بعضهم كانت له حسابات مصرفية كبيرة في دمشق ، وأن كبار الضباط من مجموعة عامر العسكرية قد قامت بتهريب الحشيش عبر البريد العسكري ، وتورطت بعمليات تجارية غير مشروعة ، واتهم بعض الضباط بارتكاب المخازي والاعتداء والتغرير بالفتيات السوريات ، كما اشتكى السوريون من نقل كلية الطيران في حلب وقسم من الكلية العسكرية بحمص إلى مصر ، وبأن كلية الطيران التي كانت تخرج كل عام من ٢٠ إلى ٣٠ ضابطاً طياراً لم تخرج خلال سنوات الوحدة سوى خمسة سوريين أنهوا دورتهم في مصر [2] .

أبو النور ، نائب قائد الجيش ، واسندت إلى أحمد زكي شعبة التنظيم والادارة في الأركان والعميد أحمد علوي اتيط به رئاسة كاتم أسرار المقدم نوال سعيد تعيّن معاوناً لرئيس شعبة الامداد والتموين ، راجع : نصر ، عبد الناصر ، ص١٤١ و ٢٣٩ - ٢٤١ .

(١) – نقلاً عن تصريحه المنشور في كتاب : صلاح الدين المنجد ، سورية ومصر ، ص١١٢ ، ٢٣٤ .

(٢) – راجع بالاضافة إلى وثائق مؤتمر شتورة ، من الرقم ١ حتى ١٠ في ١٩٦٢/٨/٣ حتى ١٩٦٢/٨/٢٧ الصحف السورية الصادرة من أول تشرين الأول حتى ١٦ تشرين الثاني ١٩٦١ . وخليل

قد تكون هناك مبالغات في كل ما ألقي من تهم ، مع العلم أن المصريين لم يقدموا من الأدلة ما يدحضها ، إلا أنه من المؤكد أن سلوك الضباط المصريين قد خلق فجوة عميقة بينهم وبين السوريين ، وولد جواً من التنافر عبَّر عن ذاته من خلال صدامات عنيفة قتل فيها عدد من الجنود السوريين والمصريين [١] . تراكم الشعور بالضيم لدى السوريين [٢] إلى حد أن السيادة المصرية أعادت إلى الأذهان عصر الانتداب الافرنسي وشبّه السوريون أساليب المصريين بأساليب الأمبرياليين ، واعتبروا أن بلادهم أصبحت تحت حكم عسكري مصري ، وهذا مما يفسر موقف التأييد أو الحياد الذي وقفه غالبية ضباط الجيش المطلقة من حركة الانفصال .

ج) – في قوة النظام الفردي تكمن بذور ضعفه ، فتركيز السلطة بشكل كبير في أيدي قلة ، وكبح كل محاولة للنقد والتعبير ، قاد إلى فشل حكومة القاهرة في تقدير مدى تردي الأوضاع في سورية ، وفي هذا الإطار لابد لنا من استعراض حياة السوريين في ظل حكم أجهزة أمن الجمهورية العربية المتحدة .

قدم الناطق الرسمي باسم الوفد السوري لمؤتمر شتورة صورة عن الأوضاع . قال د. أسعد محاسن : " لقد سحق عبد الناصر الشعب ، فسلط حملاته على القيادات الشعبية .. وراح يزرع عيونه وأرصاده بين صفوفها تعمل فيها تخريباً وإفسادا .. وبموجب قانون الطوارئ ، أعطى لمن يفوضهم من زلمه وجلاديه صلاحية التوقيف والمصادرة بأمر شفهي أو كتابي ولآماد غير محددة ، وجعل الدولة في قبضة البوليس والمباحث والمخابرات ، وبذلك أصبح جهاز الأمن الحاكم المطلق الذي لا يُسأل عما يفعل فكان أن تسلط هذا الجهاز الإرهابي على حريات الناس وكراماتهم وأموالهم وحتى

كلاس ، سورية محطمة ، ص٦١ – ٦٦ .

(١) – راجع حول هذه الحوادث ، نصر ، عبد الناصر ، ص٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٢) – قال اللواء راشد قطيني إبان مباحثات الوحدة الثلاثية " كان كل واحد من هؤلاء الضباط يتصرف وكأنه عبد الناصر أو ممثله الشخصي " وأنه مرسل من القاهرة بمهمة سرية خاصة " . راجع محاضر جلسات الوحدة ، ص٢٠ ، قال العقيد زياد الحريري " لقد شعرنا بأننا وضعنا في مركز أدنى ولم نعرف لماذا " راجع منيف الرزاز ، التجربة المرّة ، ص٨٧ – ٨٨ .

أعراضهم في كثير من الأحيان ، وساق المواطنين بالجملة إلى السجون والمعتقلات لأتفه الأسباب وأوهن الذرائع والحجج وأقام في كل مدينة ومنطقة أقبية للتعذيب .. وهناك كان يكهرب الأدميون ويشوون ويسلخون وتُقلع أظافرهم وتطفأ السجائر في أعينهم وأمور أخرى تأباها الكرامة الإنسانية ولا تقرها حتى ولا شرائع العصابات .. لقد ذهب ضحية هذه السياسة عشرات العشرات من المواطنين فصمتت الدولة عليهم وأخفت معالم جرائمهم ، مات شريف الدروبي في حمص تحت سياط الجلادين ، ومات بيير شدارفيان في أقبية التعذيب في حماه ومات فرج الله الحلو تحت وطأة التعذيب في سجن المزة [١] . وهكذا زرع عبد الناصر البلاد بالخوف الشديد وأقام الرقابة على الناس وتسلل بأجهزته إلى مراسلات الأفراد ومخابراتهم الهاتفية وحتى إلى مجالسهم العائلية فلم يعد المواطن بأمن لأخيه أو لزوجته أو لابنه وغدت سورية سجناً رهيباً مظلماً " [٢] .

سواء ما قاله د. محاسن دقيقاً أم مبالغاً به فقد أصبح متداولاً على صفحات الجرائد وأجهزة الإعلام السورية بعد الانفصال ، وكان يدور همساً في عصر الوحدة ، حيث راجت الاشاعات حول ممارسات عملاء المخابرات والمباحث من حوادث قتل وسرقات وفرض أتاوات على التجار وبث الفرقة بين المواطنين .. وأجهزة المخابرات هذه كانت تُموّن من ميزانية سرية لتقيم ما دعاه الرئيس الأسبق شكري القوتلي " نظام الطغيان والقمع الذي مارسته الأقلية المصونة تجاه الأكثرية الخونة " [٣] .

---

(١) – تفاصيل قصص الرعب الذي عاشته سورية خلال الوحدة يمكن الاطلاع عليها في كتاب : نهاد الغادري ، الكتاب الأسود في حقيقة عبد الناصر ، ص٩٠ – ١٠٢. وقد اتخذت قصة فرج الله الحلو اللبناني أبعاداً كبيرة في الصحف اللبنانية والسورية ، حتى أن عبد الناصر نفى وجوده في الإقليم الشمالي ذلك لأنه كان قد تم تذويبه بالأسيد ، راجع : م . ن ، ص ٩٣ – ٩٦ ، وصحيفة صوت العرب ، عدد ٢٠٩٩ ، ٦ حزيران١٩٦١، وعدد ٢١٠٤ في ١١حزيران ١٩٦١ .

(٢) – وثائق دولة ، مجموعة الجامعة العربية ، قسم جلسات مؤتمر شتورة ، وثيقة رقم ٨/ تا٦٢/٨/٢٢ ، ص٨ – ٩ .

(٣) – صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢٢٤٣ ، ٢٣ تشرين الأول ١٩٦١ .

لم تكن تلك الحال التي وصلت إليها الأمور من صنع المصريين فقط [1] فقد كانت أربع شبكات أمن تحت القيادة المباشرة لعبد الحميد السرّاج والأربع الباقية مرتبطة بمكتب رئاسة الجمهورية في القاهرة [2] وقد عزا قطاع من السوريين ومن المصريين مسؤولية ما جرى في سورية إلى عبد الحميد السراج [3] ، الذي أمسك منذ قيام الوحدة بجهازي المخابرات والمباحث وأدخل إليها بعض العناصر ذات الانتماء أو التعاطف الحزبي من بعثيين وحزبيين تقليديين وحتى من الشيوعيين ، والعدد الأكبر كان من العناصر الانتهازية المرتبطة به مباشرة [4] . وبالاضافة إلى ذلك سيطر السرّاج بصفته وزيراً للداخلية على أجهزة الأمن التابعة لهذه الوزارة، وأسند إليه عبد الناصر الإشراف

---

(١) - لقد بالغ السوريون في إطلاق الشائعات حول أجهزة مخابرات المصريين إلى حد مضحك ومنافٍ للعقل . قالت صحيفة الأيام في عددها الصادر في ٢ تشرين الأول أنه في مكتب العقيد سامي فكري توجد آلة ضخمة لتسجيل جميع الاتصالات الهاتفية التي يقوم بها الضباط السوريون وكلفة الجهاز ١٠٠,٠٠٠دولاراً ، وقد اعتاد سامي فكري أن يصدر مراسيم طرد الضباط السوريين ونقلهم على ضوء هذه الاتصالات الهاتفية . وتحدثت صوت العرب عن أعمال عدلي حشاد ضابط مخابرات مصري في سورية والذي كانت سلطته أكبر سلطة في الحكم . راجع عددها في ٢ حزيران ١٩٦٢ وقال د. أسعد محاسن بعد أن تحدث بإسهاب عن كيف تمت عملية اذابة فرج الله الحلو . " وللحق والتاريخ لابد من الاعتراف أن عبد الناصر كان مزمعاً في أواخر أيام حكمه في سورية على انهاء هذه المهازل حين أقر استيراد أفران كهربائية فنيه راقية يشوى فيها الادميون على أحدث الأساليب - وانها وصلت فعلاً ميناء اللاذقية " راجع ، وثائق دولة ، مجموعة الجامعة العربية ، قسم " جلسات مؤتمر شتوره ، وثيقة رقم ٨/تا /٦٢/٨/٢٢ ، ص ٩ .

(٢) - د. سليمان مدني ، أيام عبد الحميد السرّاج ، مطبعة الحمامي ، دمشق ١٩٩٧ ، وراجع :
- T. Petran, Syrie , p . 147 . cf. Ed Saab , la Syrie , p . 99 - 100 . cf. C. Palazzoli . la Syrie , p.175, 178.

(٣) - هيكل ، مالذي جرى ، ص١٠٦ - ١١١ ، صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص١٩٥ - ١٩٨ .

(٤) - كتب صلاح نصر : "قام السرّاج بتعيين مروان السباعي وعبد الوهاب الخطيب من الشيوعيين وبرهان أدهم من الرجعيين وعدد من البعثيين .. وحرص على أن يجرّم العناصر المسؤولة في هذه الأجهزة كنوع من السيطرة لتبقى صنيعته وتحت طاعته . مثلاً استطاع أن يستقطب ولاء عبد الوهاب الخطيب بعد أن ورطه في عمليات تصفية لعناصر شيوعية مثل فرج الله الحلو " وكذلك فعل مع عبده حكيم وفوزي شعيبي . راجع كتابه ، م . ن ، ص١٩٥ - ١٩٦ .

على مديرية الدعاية والأنباء بدلاً من وزير الثقافة والإرشاد وبذلك أصبح السرّاج بعد أن تسلم أمانة سر الاتحاد القومي ممسكاً بالأجهزة الأمنية والسياسية والإعلامية .

فجرت هذه السلطات الخلاف بين السرّاج وعامر ، وبدأ السرّاج يشجع عناصره على انتقاد سياسة المشير والتشهير بأساليب عمل رؤوساء مكاتبه ، وسرت إشاعات أن المشير يسعى إلى تقليص صلاحيات السّراج والاقتصاص من أعوانه وأنه يحاول التدخل في الاتحاد القومي لوضع مناصريه في المراكز القيادية ، ولما أصبح الخلاف بين السرّاج وعامر معروفاً تماماً في دمشق كما في القاهرة استدعى عبد الناصر في آب ١٩٦٠ السرّاج وعامر والوزراء السوريين العسكريين إلى الاسكندرية وبعد عدة اجتماعات مطولة اعترض خلالها الوزراء السوريون على تركيز السلطة في أيدي شخص واحد وطالبوا بتوزيع السلطات المعطاة للسرّاج لئلا تنتهي الأمور إلى فردية الحكم في الاقليم السوري [١] ، ولما كان عبد الناصر على دراية تامة باتساع النقمة السورية واعتقد أن بقاء الوحدة يقتضي إحكام القبضة أكثر فأكثر ومواجهة كل معارضة بضغوط أكبر وأكبر، قرر سحب عامر من سورية ، وأصدر في ٢٠ أيلول مراسيم التعديل الوزاري الجديد الذي أصبح بموجبه السرّاج رئيساً للمجلس التنفيذي ووزير دولة بالاضافة إلى مناصبه السابقة [٢] وكان في ذلك اقرارٌ من سيادة الرئيس بأن سورية لا تحكم إلا بالقمع والإرهاب. وفي ظل حكم كهذا عاش الاقليم الشمالي عامه الثالث في ظل الجمهورية العربية المتحدة .

---

(١) – حول هذا الاجتماع الذي دام ثلاثة أيام متواصلة في منزل عبد الناصر في المعمورة وفيه أيّد الضباط السوريون : الديري ، والصوفي ، وعزالدين ، وعودة الله ، وهنيدي المشير عامر في صراعه مع السرّاج وحسب صلاح نصر كاد عبد الناصر يلبي رأي الأكثرية ويقلص من سلطة السرّاج إلا أن وصول خبر مصرع هزّاع الحجالي واحتمال أن تقوم الأردن بالصاق التهمة بأجهزة الأمن السورية قد دفعه إلى تعزيز موقع السرّاج وسلطته . راجع للتوسع : كتابه ، عبد الناصر ، ص٢٠١ – ٢٠٦ ، و٢١٣ – ٢١٧ ، وهيكل ، مالذي جرى ، ص١١٣ – ١١٦ .

(٢) – قضى قرار ٢٠ أيلول ١٩٦٠ بتعيين السرّاج رئيساً للمجلس التنفيذي بدلاً من نورالدين كحالة الذي تعين نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً مركزياً للتخطيط ، راجع النص في صحيفة الأهرام ، عدد ٢١ أيلول ١٩٦٠ ، صحيفة الوحدة ، دمشق ، عدد ٢١ أيلول ١٩٦٠ .

رأى بعض المراقبين أن منح السرّاج تلك السلطات نصرٌ شخصي له في صراعه مع المشير عامر ، بينما عدّها آخرون أسلوباً لإرضاء السوريين وامتصاص نقمتهم وإحياء آمالهمن بنظام الوحدة [1] . ومهما يكن ، فقد كان عبد الناصر واثقاً جداً من اخلاص السرّاج ، وأن اختياره كبديل عن عامر ، مردّه ، قبل كل شيء ، إلى استعداد السرّاج المطلق لخدمته ، وعليه فضل الرئيس أن يكون ممثلاً عنه عسكريٌ من حماه لا يستند إلى قوة شعبية بدلاً من عسكري مصري [2] .

هذه الصورة القاتمة للوضع السوري في ظل دولة الوحدة يجب ألا تحجب عن الأنظار الاصلاحات ذات الطابع الاقتصادي – الاجتماعي التي تصدرت سياسة دولة الوحدة ، والتي ساهمت في كسر القشرة المتحجرة للنظام القديم ، وكانت من العوامل التي ساهمت في انسحاب سورية من دولة الوحدة . فلنتفحص أدناه هذه الاصلاحات وأثرها على الأوضاع الاقتصادية السورية .

– في الحقل الزراعي :

تصدّى الاجراءان التشريعيان : قانون العلاقات الزراعية ، وقانون الاصلاح الزراعي لتنظيم الحياة الزراعية السورية ، وقد هدف الأول إلى " استثمار الأراضي بصورة صالحة وإقامة علاقات اجتماعية عادلة بين المواطنين وذلك بتنظيم العلاقات الزراعية بين أصحاب الأرض والمزارعين والعمال " [3] . ويعدّ هذا القانون خطوة

---

(١) – الحياة ، بيروت ، عدد ٢٢ أيلول ١٩٦٠ ، الأخبار ، بيروت ، عدد ٢٣ و ٢٥ أيلول ١٩٦٠، النهار بيروت ، عدد ٢٢ أيلول ١٩٦٠ .

(٢) – - E. Be'eri, Army officers.. , p.138 .

(٣) – منذ شهر آب ١٩٥٨ ، بدأت تتوالى المراسيم لتنشيط الزراعة ، ففي ٢٣ منه صدرت المراسيم التالية : إنشاء المصرف الزراعي ، تأسيس الغرف الزراعية ، إقامة مهرجان القطن ، تنظيم تربية الماعز .. واستكملت بقانونين العلاقات الزراعية والاصلاح الزراعي . راجع للتوسع : بدر الدين السباعي . المرحلة الانتقالية ، ص٨٨ – ١٠٥ ، وراجع :

- Bernard Orgels, Contribution a l'etude des Problemes agricoles de la Syrie (Bruxelles 1962), p.44 - 48 .

تقدمية في أحكامه التي تناولت شروط عمل الفلاحين المحاصصين والعمال الزراعيين وحددت حصة مالك الأرض من المحاصيل حسب طبيعتها بما لا يزيد عن ٢٠٪ من الانتاج الإجمالي في الأراضي البعلية و٣٣٪ في المروية ، وأتاح القانون المجال للتعديل أو التكيف حسب نوع المحاصيل والتجهيزات التي يزود بها المالك مستأجر الأرض ، ونص القانون على تحديد العلاقات بين المالك والعمال الزراعيين وفق عقد مكتوب يعطي صاحب الأرض حق إلغائه مع دفع التعويض ، وحظر القانون على العمال ربط أنفسهم بعقد عمل مدى الحياة على قاعدة (العبودية) . كما تناول الأجور والعطل الرسمية وجعل ساعات العمل ٦٠ ساعة أسبوعياً ، وأخذ على عاتقه معالجة بعض الخدمات الصحية والسكنية وسمح القانون بتشكيل النقابات على أن توضع تحت إشراف الحكومة (مادة ٣٢)، وحظرت (الفقرة ب من المادة ١٧) على النقابات العمل في السياسية أو المشاركة في اجتماعات أو تظاهرات ذات طابع سياسي وبذلك أصبحت النقابات ملحقة بالسلطة وغير متمتعة بالاستقلال الضامن لحرية العمل النقابي . كما حظرت المادة ١٦٠ الاضراب عن العمل ، ومنعت تحت طائلة العقوبات القانونية النقابات من الدعوة إلى الاضراب .

لما كان البعث مسيطراً على وزارتي العمل والشؤون الاجتماعية عند صدور هذا القانون فقد قام بمحاولات جدية لتنفيذ بنوده . إلا أن مشرعه كان همه الظهور بمظهر المعطاء وبرسم الحدود التي لا ينبغي تخطيها وفي مقدمتها العمل السياسي ، وعليه لم يسمح عبد الناصر للعمال الزراعيين بتشكيل النقابات [1] ومما لاشك فيه أن القانون قد حدَّ من بعض الامتيازات التي تمتعت بها الطبقات المسيطرة على الأرض سابقاً إلا أنه لم يأت بأحكام شاملة لمختلف أنواع العلاقات الزراعية ووجد في نصوصه بعض الغموض والثغرات التي " أتاحت للمالكين فرص متابعة مظالمهم ضد الفلاحين .. من طرد المستأجرين واسترداد الأراضي ، واستغلال الحق الذي أولاه لهم القانون في استثمار أرضهم لتهجير الفلاحين وتشريدهم أو الضغط عليهم كي يهجروا أرضهم .. ومن المالكين من حاول التلاعب بنظام الدورة الزراعية. ومنهم من قطع المياه عن الأرض

---

(1) - E. Garzouzi , "Land Refom in Syria" in M.E.J. vol XVII (1963) p.70 - 96 , p.81 .-

وأقام دعوى الفسخ لعدم سقاية الفلاح مزروعاته .. وثمة آخرون أرغموا المزارعين على توقيع صكوك فسخ رضائية متعاونين مع السلطة لاخراجهم من الأرض إلى غير ذلك من الأساليب حتى جعلوا الفلاح يفضل العودة إلى نظام الاقطاع رغم مآسيه ومظالمه .. وبذلك فقد القانون الغاية التي وجد من أجلها " [1] .

يعد قانون الاصلاح الزراعي أخطر ما عرفه نظام الأرض في سورية من تغييرات ، فقد مس ، رغم طابعه المعتدل ، القوة الاقتصادية لكبار المالكين ومعها الدعامة الأساسية لنفوذهم السياسي ، كما وجه طعنة إلى مبدأ الملكية الخاصة التي بقيت دون مساس في سورية حتى تاريخ صدوره . تضمن هذا القانون الصادر في ١٩٥٨/٩/٢٧ بابين وثلاثة وثلاثين بنداً [2] اختص الباب الأول في بحث تحديد الملكية الزراعية وتوزيعها والثاني في جمعيات التعاون الزراعي على أراضي الاصلاح الزراعي .

جعل القانون الحد الأقصى للملكية ٨٠ هكتاراً في الأراضي المروية والمشجرة و٣٠٠ هكتاراً في الأراضي البعلية ، وإضافة إلى ذلك نص القانون على حق المالك في التنازل لزوجته وأولاده عن مساحة ١٠ هكتارات في الأراضي المروية مسح في البعلية على ألا يتجاوز مجموع المساحة المتنازل عنها ٤٠ هكتاراً في الأراضي المروية و١٦٠ في البعلية وما زاد عن ذلك تستولي عليه الدولة خلال خمس سنوات .

حصرت وزارة الزراعة السورية عدد المالكين الذين شملهم القانون بـ ٣٢٤٧ مالك يشكلون ٦٪ من السكان الريفيين ويملكون ٢،٠٠٤ مليون هكتار بما يعادل ٣٥٪ من مساحة الأراضي الزراعية ، وقد جردهم الاصلاح في ١،٣٨٦٣٢١ هكتار أي حوالي ١٨٪ من كامل الأراضي المزروعة [3] . ونص القانون على أن انتزاع الملكية يجري

---

[1] - راجع قرارات مؤتمر اتحاد الفلاحين الأول المنعقد في دمشق في ٢٠ - ١٩٦٥/٩/٤ . نقلاً عن بدرالدين السباعي ، المرحلة الانتقالية ، ص ١٠٥ .

[2] - راجع نص القانون رقم ١٦١ في كتاب بدرالدين السباعي ، م . ن ، ص١٠٦ - ١٠٩ .

[3] - راجع : الجمهورية العربية السورية : منشورات وزارة التخطيط لعام ١٩٦٢ ، ص١٩ - ٢١، دمشق ، تموز١٩٦٣ . ومنشورات المكتب المركزي للاحصاء ، ص١١٣ ، دمشق ١٩٦٨ . وراجع كتاب منير الشريف ، قصة الأرض في سورية ، ص١٠٦ - ١٠٩ جدول رقم واحد ،

لقاء تعويض تدفعه الدولة على شكل سندات بفائدة قدرها ١،٥٪ وتوزع الأراضي المستولى عليها في كل قرية على الفلاحين بحيث يكون لكل واحد ملكية لا تزيد عن ٨ هكتارات في الأراضي المروية والمشجرة و٣٠ هكتاراً في البعلية . وأوجب القانون على المالك الجديد دفع ثمن الأرض التي آلت إليه . وتأسست بموجب المواد ١٥ و ١٦ من القانون مؤسسة الاصلاح الزراعي التي تولت تنفيذ أحكام القانون وحصر أملاك الدولة ومنع التعدي عليها .

بحث القانون في بابه الثاني ، في جمعيات التعاون الزراعي ، وقضت النصوص تشكيل جمعية تعاونية تضم من آلت إليهم الأرض في كل قرية ، وتقوم الجمعية بتأمين السلف الزراعية طبقاً لحاجات الأرض ومدّ المزارع بما يلزمه من البذور والسماد والماشية والآلات ، وتنظيم الزراعة واستغلال الأرض على خير وجه والقيام بتسويق المحصول . ويشرف على الجمعيات موظف تختاره مؤسسة الإصلاح الزراعي ، ويمكن لهذه الجمعيات تأسيس اتحادات تعاونية حسب النصوص القانونية النافذة .

لم يكن قانون الاصلاح الزراعي ، المبني على غرار نظيره المصري ، مناسباً للأنماط الزراعية القائمة في سورية حيث سادت الزراعة الانتشارية (استغلال مساحات واسعة بأقل جهد وكلفة) على عكس الزراعة الكثيفة والمركزة في وادي النيل ، كما وجد في القانون ثغرات اقتصادية جوهرية تمثلت في التركيز على أن حل مشكلة الأرض يقوم على تجزئتها إلى ملكيات صغيرة دون مراعاة الفروق الهائلة في قيمة الأرض وظروفها الانتاجية في سورية ذاتها . وكما لم يفرق القانون بين الأراضي المروية بأساليب الري المتنوعة وبين تلك المروية طبيعياً ، ولا بين المراعي والأراضي التي لا تتلقى أمطاراً كافية . وحصر الأراضي بنوعين بعلية ومروية مما أدى إلى عدم الانصاف أحياناً وإلى الظلم في كثير من الأحيان [١] . وقد اعترض الملاكون السوريون على كون الملكية المعطاة لهم حسب القانون لا تنتج سوى ربع الدخل الذي تنتجه مثيلتها في مصر في

ص١٠٧ وجدول رقم ٢ ، ص١٠٨ صادر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٦١ ، و :

- S. Dabbagh,"Agrarian reform in Syria" in Middle-East economic Papers, A.U.B. 1963, p.1 - 20 .

(١) – منير الشريف ، قصة الأرض في سورية ، ص١٠٦ .

أفضل الحالات ، كما أن مساحة الأرض المخصصة للفلاحين المستفيدين من القانون لم تكن في أغلبية الأراضي البعلية أساساً يعتمد عليه لتأمين متطلبات الحياة [١] .

سار تطبيق القانون ببطء خاصة بعد أن تولى المشير عامر السلطة العليا في سورية وأحدث هذا التباطؤ فترة عدم استقرار توقف خلالها أصحاب الأراضي عن استغلال الأرض وتأمين الاعتمادات المالية اللازمة لذلك ، حتى أن بعضهم تنازل عن الأرض خشية تأميم التجهيزات والمعدات الموجودة عليها ، وبعضهم قام بفك تجهيزات الري محولاً أرضه إلى بعلية ، وعليه انخفضت مساحة الأرض المروية إلى ٤٧٦ ألف هكتار عام ١٩٥٩ بعد أن كانت ٥٩٥ ألف هكتار عام ١٩٥٨ [٢] .

منذ بداية تنفيذ بنود القانون (تشرين الأول ١٩٥٨) حتى (تشرين الأول ١٩٦١) وزعت الدولة على حوالي ٦٠ ألف أسرة فلاحية ٥٣٪ من الأراضي التي كان مقرراً الاستيلاء عليها [٣] ونالت هذه الأسر أراضي غير مرويّة ومن نوعية انتاجية متدنية ، وافتقد هؤلاء الفلاحون إلى الموارد المالية لاستثمار الأرض ولم يحصلوا على المساعدات من الحكومة التي كانت تفتقر إلى النقد والتجهيزات والكوادر الفنية اللازمة [٤] كما وقع على الفلاحين عبء نفقات لجان الإصلاح ولما كان على كل فلاح مستفيد أن يدفع كامل المبلغ حتى يحصل بعد أربعين عاماً على سند الملكية ، لم يتكون لديه قط شعور بالملكية

---

(١) - - T. Petran. Syria , p.136 , 137 .

(٢) - المجموعة الإحصائية السنوية لعام ١٩٦١ ، وزارة الزراعة - دمشق ١٩٦١ ، ص٢٣ .

(٣) - بلغت مساحة الأراضي المستولي عليها زمن الوحدة ٨٢٣ ألف هكتار بالاضافة إلى مليون ونصف هكتاراً من أراضي الدولة ووزعت على قرابة ١٥٠ ألف أسرة فلاحية شكّلت كل هذه الأسر أقل من ثلث الأسر الفلاحية السورية ، راجع م . ن ، المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦٢ ، ص١٩، ومنير الشريف ، قصة الأرض ، ص١٠٧ - ١١٠ .

(٤) - لعبت مسألة تغيير نمط التمويل الزراعي دورها في اضعاف مفعول قانون الاصلاح الزراعي، فقد أحبط هذا القانون دور الاستثمار الخاص في الزراعة وجعل للمصرف الزراعي دوراً أولياً في التمويل ورفع رأس ماله إلى ١٠٠ مليون ليرة سورية ومع ذلك لم ينجح في أن يلعب ذلك الدور البناء للاستثمار الخاص " راجع :

- F. o/ 371/ 141896/ "Syria : Annual Economic report for 1958". Report , No15, Feb 10. 1959 , p.1 - 2 .

والأمان ، وظهر مع الزمن أن بعض الفلاحين لم يستطيعوا دفع قيمة الأقساط ولا كانوا يملكون وسائل استثمار الأرض لذا أرجعوا ما أخذوه إلى مالكها السابق لقاء أجر متواضع وعادوا إلى نظام المحاصصة السابق [١] .

إن اتجاه القانون نحو إقامة علاقات إنتاجية إشتراكية بإحداث تعاونيات زراعية تضم المستفيدين من الاصلاح وصغار الملاكين ، قد اصطدم بشخصية الفلاح السوري الفردية وبانعدام تقاليد التعاون في إطار العمل الزراعي وبالافتقار إلى الكوادر الفنية اللازمة ، وعليه فإن قلة قليلة من التعاونيات قد عملت بكفاءة وقدمت فوائد ملموسة للمنتسبين إليها بينما كانت الأكثرية تعاونيات خدمات لم تحصل قط على الدعم والتشجيع الكافيين لاستمراريتها [٢] .

طُبق قانون الاصلاح الزراعي في ظرف مناخي عصيب جداً ، انعكست نتائجه السلبية على الانتاج الزراعي والحيواني وما ارتبط بهما من صناعات مما فتح المجال واسعاً للاعتقاد بأن القانون قد ساهم في تدني مستوى الاقتصاد السوري بشكل بارز ، وفي الواقع إن القوانين الاصلاحية قد نفذت في بيئة عانت مدة ثلاث سنوات من الجفاف فتدنى الدخل الزراعي العام إلى ٦٠٪ وإنتاج الحبوب في سنة الوحدة الأولى إلى أقل من نصف مستواه لعام ١٩٥٧ [٣] وجف الكلأ وعانت الماشية من الجوع والعطش ولم تفعل الحكومة سوى القليل لمساعدة الفلاحين الفقراء الذين تحملوا وطأة الكارثة الطبيعية ، هذا وأن حالات من المجاعة قد دفعت بعشرات الآلاف من الفلاحين إلى مغادرة المناطق التي

---

(١) - - E. Garzouzi, "Land Reform in Syria" , p.95 .

(٢) - د. بدر الدين السباعي ، المرحلة الانتقالية في سورية ، ص ١١٩ – ١٢٢ وَ :
- T. Petran, Syria , p.137 .

(٣) - - F. o/ 371/ 141896/ Syria : Annual Economic.. , p.2 .

وحسب هذا التقرير قدرت الخسارة العامة في الإنتاج لعام ١٩٥٩ بحوالي ٣٠٠ مليون ل.س. ومن المفيد ذكره أن معدل محصول القمح كان ٦٨ كغ في الدونم عام ١٩٥٧ ، و٩٠ كغ عام ١٩٥٩ ووصل إلى ٣٥ كغ عام ١٩٥٩ و٤٣ كغ عام ١٩٦٠ و٣٦ كغ عام ١٩٦٠ ، وانحدر محصول الشعير إلى أكثر من ذلك بسبب الجفاف . راجع

- Economic development in the Middle-East (1959 - 1961) , Newyork, 1962, p.100 - 108 .

نفذ فيها الاصلاح بحثاً عن الطعام والعمل في المدن أو في لبنان ، ومما لاشك فيه أن هذه الظروف البيئية لم تكن من فعل المصريين لكنها كانت مناوئة لعملية الوحدة وشكلت عاملاً إضافياً لخيبة أمل السوريين من النظام ومن قوانينه .

- في ميدان التخطيط والتنمية :

كانت دولة الوحدة مرحلة جيدة في مسيرة حركة التنمية في سورية . فقد بذلت الحكومة جهوداً حثيثة لتنفيذ برنامج إنمائي كان رجال الدولة السوريون قد أنزلوه إلى مرتبة ثانوية منذ أزمة السويس . وقد تم وضع عدة اقتراحات وخطط لحل المعضلة الاقتصادية التي شكلت واحدة من أهم المعضلات التي واجهها ناصر في سورية وشعر بالحاجة الملحة لاتخاذ اجراءات فعالة لحلها :

في ربيع العام ١٩٥٨ وضعت الحكومة خطة خمسية لتطوير الزراعة وتضمنت الخطة برنامجاً مكثفاً للري واستصلاح الأراضي لتوسيع رقعة الأراضي المروية وتوزيعها على الفلاحين الذين لا أرض لهم ، كما تم في نفس المدة وضع خطط على مستوى محدود للتعاون في المضمار الزراعي بين سورية ومصر ، إلا أن أكثر الاقتراحات أهمية هي خطة العشر سنوات للتنمية الاقتصادية للأعوام (١٩٥٨-١٩٦٨) التي رصدت لها الحكومة مبلغ ٢١٨٦ مليون ل. س للنهوض بمشاريع ضخمة للتحكم بمياه الأنهار التي ستؤمن ري مساحات واسعة وتزيد إنتاج الطاقة الكهربائية . كما لحظت الخطة إعداد شبكة من السكك الحديدية والطرق بين المناطق الزراعية الرئيسة في شمال شرق سورية وبين مرفأ اللاذقية ، كما وضعت الخطة برنامجاً شاملاً لترميم الطرق التي هي قيد الاستعمال ، وتضمنت بناء مطار دولي في دمشق يتجاوب مع اتساع الحركة الجوية بين القاهرة ودمشق [١] . وبقيت الاتفاقيات الاقتصادية التي وضعتها سورية كدولة مستقلة سارية المفعول بعد الوحدة ، هذا وإذا كانت سورية ، كدولة ذات شخصية مستقلة، لم تدخل في اتفاقيات اقتصادية جديدة إلا أنها استفادت من تلك التي عقدتها دولة الوحدة

---

(١) - F.AO.Mediterraniian development project.U.A.R.Syrian Region(Rome/59) p.62

مع الاتحاد السوفياتي وألمانيا الغربية واليابان وعدة دول شرقية وغربية ، وكانت موسكو قد أخذت على عاتقها ، منذ اتفاقية ١٩٥٧ مسؤولية الدراسات التقنية والمالية الأولية لمشروع سد الفرات وسلمت دراسة شاملة للمشروع في ١٢ مجلداً عام ١٩٦٠ ، كما تعهدت موسكو بتقديم ما يعادل ٥٣٥ مليون ل. س . من كلفة الخطة العشرية على شكل معدات ومساعدات تقنية ، وبعدما توترت العلاقات بين موسكو والقاهرة أمنت القاهرة مساعدة ألمانيا الغربية لبناء السد وتبدلت الخطة بعد حركة الانفصال [١] .

باشرت الحكومة مطلع العام ١٩٥٩ بإقامة عدة مشاريع إنمائيّة منها سد الرستن ، سد المزيرب ، سد تحويل العشارنة ، سد محردة ، ومسح شامل لشبكة السكك الحديدية ، بناء سكة حديد القامشلي – اللاذقية ، استصلاح أراضي الغاب [٢] . وعلى الرغم من هذه الجهود المبذولة لتنمية القطاع الزراعي ، فقد خاف السوريون من أن تكون القاهرة تحضر لاستيطان مليون فلاح مصري وتمليكهم الأراضي في شمال شرقي سورية ، وقد نفت المصادر المصرية تلك الشائعات التي كانت تبث من محطة إذاعة مصر الحرة ، (بث إفرنسي) حول مثل هذه التدابير [٣] إلا أنه في الواقع كانت تلك الخطط متداولة وأثارت عدة مناقشات غير رسمية ففي آذار ١٩٥٨ صدرت نشرة عن بنك مصر ، صاحب التأثير الواسع على سياسة الدولة ، أكدت أن الزراعة يجب أن تبقى القطاع الاقتصادي الرئيسي في الإقليم الشمالي وأنه يجب نقل فلاحين من الإقليم الجنوبي إلى الشمالي للتخفيف من الضغط السكاني والعمل على استغلال الأراضي السورية بشكل كامل [٤] .

ووضعت الدولة خطة الخمس سنوات للتنمية الصناعية في الإقليم الشمالي للأعوام ١٩٦٠ – ١٩٦٥ وقدرت كلفتها بمبلغ ٥٦٠ مليون ل.س. موزعة على عدة

---

(١) – تفاصيل المساعدات والقروض والاتفاقيات مع الدول الأجنبية في كتاب بدر الدين السباعي ، المرحلة الانتقالية في سورية ، نقلاً عن الجريدة الرسمية ، ص٢٤٥ – ٢٩٨ .

(٢) – F. A. O, Mediterranian development Project , p.68 .

(٣) – راجع : هيكل ، ما الذي جرى .. ص ٤٩ . وقد اتهم صلاح نصر البعث في الترويج لتلك الاشاعات ، راجع كتابه : عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص١٨٥ .

(٤) – T. Petran, Syria.. , p.138. cf. Monte Palmer, the United Arab .. , p.65 .

مشروعات صناعية للنهوض بأعباء تطور صناعات النفط والصناعات المعدنية والتحويلية الموسعة حديثاً، وقد لحظت الخطة أن يتم تمويلها بالتعاون مع المؤسسات المالية التجارية الخاصة بنسبة ٥٠٪ وعليه سعت الحكومة للحصول على أقصى حد من الثقة المطلوبة لتشجيع استثمار الرأسمال الخاص فأقامت في ١٩٥٨/١٠/٨ مصرفاً صناعياً برأسمال قدره ١٢،٥م. ل.س. وهو عبارة عن شركة مساهمة تتمتع بضمان الدولة وتعمل تحت اشراف وزارة الاقتصاد والتجارة وتؤمن القروض لتوسيع الصناعات القائمة وإحداث صناعات جديدة [١] .

إذا أردنا أن نحكم بمنطق التخطيط الاقتصادي السليم ، فإن من الصحيح القول أن تلك المشاريع الواسعة ، التي استحوزت مؤقتاً على خيال الشعب ، قد وظفت مبالغ ضخمة تفوق بكثير طاقات سورية التقنية والنقدية ، وكانت التكاليف أعلى بكثير من التقديرات ، كما أن التوقعات بأن خطط التنمية ستحظى بدعم القطاع الخاص لم تتجسد على الأرض ، بل بدت بالنسبة للمراقب الاقتصادي المتواجد على الساحة خيالية وبعيدة عن الواقع [٢] . ومما لاشك فيه أن برنامج التنمية قد أحرز تقدماً في عدة مشاريع خاصة في حقل الري واستصلاح الأراضي وتطوير بعض الصناعات ، إلا أن الرأي العام السوري كان على دراية تامة بضغط التخضم المالي الذي ساهم هذا البرنامج بازدياده وبمدى أثره السلبي على الاقتصاد .

- الصناعة ، التجارة والنقد

ادعى رجال الاقتصاد السوريون أن نظام الوحدة هدف إلى جعل سورية مستعمرة اقتصادية مصرية : منطقة متخصصة بانتاج المؤن الزراعية ، وسوقاً لتصريف الانتاج الصناعي المصري الأقل كلفة من مثيله السوري بسبب وفرة اليد العاملة المصرية

---

(١) – الجريدة الرسمية ، الاقليم الشمالي ، عدد ١٠/١٠/١٩٥٨ ، ص٣٥ .

(٢) – - Monte Palmer , "the United Arab.." , p.68 - 64 .

ورخص أجورها قياساً بسورية [1] . إن الميزان التجاري لا يؤكد قط صحة هذه المزاعم [2] ، ومع ذلك فإن مثل هذه الأفكار عمت وانتشرت في دوائر رجال الأعمال والقوى الاقتصادية المصرية ؛ وإذا لم تنفذ على أرض الواقع فذلك بسبب قصر مدة الوحدة والأزمة الاقتصادية التي مرت بها سورية حينذاك [3] . على الصعيد الصناعي ، خطت الدولة خطوات ايجابية لتطوير هذا القطاع ، فأقامت لأول مرة في سورية وزارة للصناعة (مرسوم ٧ تشرين الأول ١٩٥٨) ، وأحدثت هيئات عامة ذات شخصية اعتبارية مستقلة ومرتبطة بوزير الصناعة منها : المصرف الصناعي المشار إليه آنفاً والذي دخل في كل ميادين الاقتصاد وفي كافة أرجاء البلاد ، والمؤسسة الاقتصادية المحدثة في ١٣ آذار ١٩٦٠ والتي منحت صلاحيات واسعة سمحت لها بالمساهمة في صورة فعالة في الاقتصاد السوري ؛ فقد أعطى للمنظمة حق إقامة عقود مع الحكومات الأجنبية والمؤسسات الدولية وشراء أية مؤسسة تجارية وصناعية سورية وعقد اتفاقيات إقراض الشركات [4] ولم تكن مهمة هذه المؤسسة مزاحمة القطاع الخاص بل كانت مدعوة إلى توسيع نشاطه وجذبه للمشاركة في فروع اقتصادية جديدة ، إلا أنها عندما حاولت التغلغل في الميدان الذي يسيطر عليه الرأسمال السوري الخاص اصطدمت بمقاومة القوى المالية والاقتصادية السورية [5] .

ومن مصر ، استوردت سورية بعض أساليب التمويل ، مثل إلزام المصارف والمؤسسات بشراء سندات الخزينة لتمويل المشروعات ، والإكثار من اللجوء إلى

---

(1) - مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، مجموعة الجامعة العربية ، قسم تقارير مؤتمر شتورة ، حافظة رقم /٣/ وثيقة رقم /٦/ " تقرير خليل كلاس " في ١٩٦٢/٨/٢٢ .

(2) - - Economic development in the Middle, East, p.79 - 81, 160 .

(3) - - Monte Palmer, "the United Arab Republic", p.61 .

نقلاً عن مقابلة أجراها مع أحد كبار الرأسماليين السوريين (لم يذكر اسمه) في بيروت ، آذار ١٩٦٣.

(4) - راجع : نص مرسوم تشكلها في ، الجريدة الرسمية ، الاقليم الشمالي ، عدد ٣٠ آذار ١٩٦٠.

(5) - راجع : فيكتوروف ، اقتصاد سورية الحديثة ، مشكلاته وآفاقه ، منشورات دار البعث ، ص٤٣ - ٤٤ . نقلاً عن رفعت الأسد ، التطور الاقتصادي ، ص٢٦٧ - ٢٦٨ .

المصرف المركزي لاصدار العملة ، التسهيلات لاستيراد الآلات والقيود على السلع المستوردة ، الاتفاق على مشاريع الطرق لتوسيع السوق المحلية ، وقد كان من الممكن لهذه الاجراءات الايجابية أن تساهم في تطور الصناعة السورية ، لكن النتائج لم تكن كذلك ، حيث لاقت هذه الصناعة منافسة الصناعة المصرية الأكثر تمركزاً وتطوراً ، وتبين بعد مدة وجيزة على قيام الوحدة ، أن الاقتصادين السوري والمصري لا يمكن أن يكونا متكاملين بل متنافسين ، وقد استغل الرأسمال المصري العام والخاص الشريك الأضعف حتى نهاية الوحدة تقريباً . لقد تأثرت بشكل خاص صناعة النسيج ، وضعفت صناعة الأحذية اليدوية عندما واجهت مثيلتها الآلية في مصر ، كما حال ضعف الثقة بالاقتصاد السوري دون تطور الاستثمار الخاص في ميدان الصناعة ، ومع هذا لم يكن الأمر بالمطلق ففي عامي ٥٨ و ٥٩ أقيمت مصانع جديدة للاسمنت في حلب وحمص ومصنع للنسيج في دمشق كما نمت الصناعات النفطية ، بعد اكتشاف آبار كراتشوك [١] وبعض الصناعات التي لم تلاق منافسة مع الصناعات المصرية ، وتلك هي التي اختصت بها سورية منذ القديم مثل الدامسكو والاغاباني (القماش المطرز والمقصب) . كما وجدت سوقاً رائجة لها في مصر أقمشة الأثاث والستائر ، وتدل المعطيات الاحصائية أن الانتاج الصناعي السوري نما في الأعوام ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ نمواً ملحوظاً [٢] ثم بدأ بالتراجع على إثر السياسة الاقتصادية التي انتهجتها القاهرة مطلع عام

---

(١) – في تموز ١٩٥٩ بدأت مصفاة حمص تعطي انتاجها ، وقامت الحكومة بانشاء مستودعات لتخزين النفط في كل أرجاء البلاد بعد أن حرمت سورية من التزود من المصافي اللبنانية إبان الثورة في لبنان وإغلاق الحدود بين الدولتين فاستوردت الحكومة النفط من مصر واستمر الأمر كذلك حتى بعد إعادة فتح الحدود مع لبنان .

- F.o /371/141898 / "Syria Annual Economic Report for 1958", No15 , Beirut ,Feb10. 1959, p.3.

(٢) – حول تطور القوى المنتجة الصناعية في سورية قبل الوحدة وأثناءها راجع : بدر الدين السباعي ، المرحلة الانتقالية ، ص١٤٩ – ٢٢٤ . وذلك استناداً إلى الحصر الصناعي الذي أجري في آب وأيلول عام ١٩٦٠ وحسب الجريدة الرسمية وملحقاتها . نجد الآتي :

–	١٩٥٦	١٩٥٩	١٩٦٠
الانتاج الصناعي	١٠٠ مليون ل.س.	١٢٧ مليون ل.س.	١٤٤ مليون ل.س.

١٩٦١ ، والتي خلفت نتائج مدمـرة على المشاريـع الاقتصادية وسوف نتحدث عنها في حينـه .

فرض قيام الوحدة في محيط معادٍ لها التضحية بالمصالح الاقتصادية الضرورية لصالح الاعتبارات السياسية ومن أبرزها : اغلاق الحدود مع لبنان ، ثم مع الأردن فالسعودية فالعراق ، وهكذا أضرّت حروب القاهرة الباردة مع هذه الدول بانماط الاقتصاد السوري فأعاقت تدفق انتاج سورية الزراعي والصناعي إلى أسواقه التقليدية : وعليه ففي العام ١٩٦٠ تقلصت الصادرات السورية الرسمية إلى العراق بنسبة ٩٠٪ وإلى السعودية والأردن بنسبة ٥٢٪ عما كانت عليه العام ١٩٥٦ (١) ، وقد استمر التبادل بين سورية وجيرانها قائماً عبر القنوات اللاشرعية وعوضت تجارة التهريب هذه جزءاً من خسارة التجارة الخارجية الرسمية إلا أنها أضرت بالاقتصاد الوطني إذ أصبحت أيضاً طريقاً لهروب الرأسمال السوري إلى الخارج الذي بدأ منذ نهاية ١٩٥٨ وازداد باضطراد طيلة سنوات الوحدة (٢) ، مما دفع بالحكومة، حفاظاً على مقدرات البلاد المالية ، إلى فرض قيود دقيقة على تداول العملة الأجنبية ، وعلى سفر السوريين إلى الخارج وقادت تلك القيود إلى مزيد من المقاومة ، وتوسعت بالتالي الهجرة اللاشرعية لتشمل الأموال وأصحابها وأيضاً رجال العلم المؤهلين ، وهكذا ضاعت الجهود المبذولة لبناء قاعدة اقتصادية صلبة تدعم نظام الوحدة . ومقابل تدني صادرات سورية إلى

الرساميل الصناعية للقطاع الخاص

١٠٠ مليون ل.س.	١٣٩ مليون ل.س.	١٥٣ مليون ل.س.

رساميل الشركات المساهمة

١٠٠ مليون ل.س.	١٥٤ مليون ل.س.	١٨٥ مليون ل.س.

راجع الجمهورية العربية المتحدة ، الإقليم الشمالي ، المكتب المركزي للاحصاء ، دمشق ١٩٦٠ ، ص٥٤ .

(١) - - "Perspectives Economiques Regionales"dans : "Etudes mensuelles sur l'economie et la finance de la Syrie et des pays arabes" (E.F.S.P.A). Novembre 1961, No47 .

(٢) - قادت توقعات الرأسماليين السوريين بأن قيوداً ستفرض على حركة الرأسمال فبدأوا بتهريب أموالهم وقدر عام ١٩٦١ أن ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مليون ل.س. قد خرجت من البلاد راجع :
- Monte Palmer "the United Arab republic . p.61 .

منافذها الطبيعية ، اتسعت تجارتها مع مصر بشكل ملحوظ قياساً بما كانت عليه قبل الوحدة ، وشكلت المواد الخام القسم الأكبر من الصادرات السورية إلى مصر [1] . هذا ولم تفتح الأسواق التجارية المصرية أمام السوريين إلا نصف فتحة ، لأنها كانت محمية بشبكة صلبة من المعوقات من كل نوع : مثلاً فرضت القاهرة تعريفة جمركية على البضائع السورية من ١،٥ إلى ١،٩٪ من قيمتها ، وكانت هذه البضائع خاضعة للرسوم والضرائب والإجازات المفروضة على مثيلتها المصنعة في مصر ، ومن الجدير ذكره أن بعض رجال الأعمال السوريين قد أسسوا مراكز لهم في القاهرة والإسكندرية ، ولم تصل هذه التحركات إلى مستوى متقدم . منذ نهاية عام ١٩٥٨ ، أصبح واضحاً أن سورية لن يكون لها فائض تجاري ، فبينما وصلت الصادرات السورية عام ١٩٥٧ إلى ٥٤٨ مليون ل.س. تقلصت تدريجياً خلال سنوات الوحدة حتى تدنت إلى نحو ٣٩٥ مليون ل.س. عام ١٩٦١ [2] وبالمقابل ارتفعت نسبة الواردات المالية الخارجية لمصر خلال سنوات الوحدة، وذلك نتيجة اتساع حجم الصادرات المصرية إلى سورية التي تكونت بشكل رئيسي من المنتجات الصناعية ، وخاصة النسيجية ، ودخلت الأسواق السورية حرة من القيود والرسوم الجمركية والضرائب ، وكذلك نافست هذه الصناعات البضائع السورية ليس في الأسواق المحلية فحسب ، بل في الأسواق العربية أيضاً عندما كانت تزال من أمامها القيود السياسية [3] .

---

(١) – في أوائل عام ١٩٦١ ، أصدرت وزارة التخطيط المركزية دراسة حول الإمكانيات التجارية السورية – المصرية وتوصلت إلى أنه يجب أن تُشكل المواد الغذائية والمواد الخام ٨٠٪ من الصادرات السورية إلى مصر بينما تشكل المواد المصنعة ٧٥٪ من صادرات مصر إلى سورية . راجع :

- Adel Akel, "Economic Stabilization in Syria" in E.F.S.P.A. No47, November 1961 .

(٢) – الجمهورية العربية السورية ، المكتب المركزي للاحصاء ، دمشق ، احصاء عام ١٩٦٢ ، ص١١١.

(٣) – في العام ١٩٦١ بلغ العجز في الميزان التجاري السوري ذروته فوصل إلى ٣٩٧ مليون ل.س. وأصبح هذا الميزان خاسراً لأول مرة في تاريخ سورية الحديث مع الدول العربية ، حيث بلغ التصدير ١٣٨ مليون ل.س أي أقل مما كان عليه عام ١٩٥٣ حيث بلغ ١٤٣ مليون ل.س. راجع : رفعت الأسد ، التطور الاقتصادي والاجتماعي ، ص٢٠٨ – ٢١٢.

هكذا وقد أمنت مصر في سورية سوقاً تتحكم بها تماماً حيث أوجبت تنظيمات القاهرة أن تستورد سورية بعض السلع مثل : الحديد والفولاذ ، والآلات الزراعية أو الصناعية وبعض المواد الكيماوية وخيوط الغزل وقطع التبديل اما من مصر أو عن طريقها وهكذا أصبح الرأسمال المصري العام أو الخاص يفرض الرسوم والعملات ويحدد الأسعار في سورية [1] . وانحرافاً عن سياسة سورية الاقتصادية التقليدية الحرة فرضت القاهرة سيطرة صارمة على التجارة الخارجية : ارتفاعاً في الرسوم الجمركية ، قيوداً على التسويق ، تحكماً في استيراد البضائع الكمالية ، ومع الزمن ازدادت تلك القيود وانخفض معها حجم الواردات حتى اقتصر على الأساسيات [2] وارتفعت بالتالي أسعار السلع مما ساهم في تقليص التأييد الشعبي المعول عليه لدعم نظام الوحدة .

– تعكس القضايا النقدية مدى تردي الأوضاع الاقتصادية في سورية ، ففي ظل الوحدة حافظ الإقليم الشمالي على نظامه وعلى احتياطيه من الذهب والعملات الصعبة في المصرف المركزي ، اذ استجاب ناصر لرغبات السوريين الذين سعوا حثيثاً للإبقاء على العملة السورية منفصلة عن المصرية لأنهم عدّوا إجراءات الدمج مضرة بالمصالح الاقتصادية السورية ، وقد أدى تقلص واردات التصدير مقابل ارتفاع نفقات ميزانية الإقليم العامة إلى انخفاض في قيمة النقد السوري ، ولما تراكم العجز في الميزانية لجأت الحكومة إلى المصرف المركزي لا لتغطية مشاريع الاستثمار بل لتغطية النفقات الجارية وتقلص بالتالي احتياطي العملات الصعبة من ٤٨٣ إلى ٤٢٩ مليون ل.س. ما بين شباط

ومن الجدير ذكره أنه مطلع عام ١٩٦٠ عادت العلاقات بين القاهرة والرياض وفي أيار ١٩٦١ عادت مع الأردن راجع ، صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢٠٨٢ ، ١٠ أيار ١٩٦٠ .

(1) – سرت إشاعات في سورية حول صفقة حديد معدة من مصر ، وقيل أن الأسعار المصرية كانت ضعف شحنات الحديد المستوردة من بلجيكا . وعندما وصل الحديد تبين أنه من إنتاج بلجيكي أعادوا تصديره إلى سورية من مصر لكسب الفرق في الأسعار ، راجع : كلاس ، سورية محطمة .. ص٣٤ – ٣٧ .

(2) – يتهم كلاّس مصر بأنها اجبرت سورية على بيع قطنها إلى فرنسا وألمانيا الغربية بناء على ترتيب قامت به السلطات في القاهرة حيث اشترى مكتب القطن المصري القطن السوري بالعملة المصرية المتداولة وباعه إلى هاتين الدولتين بالعملة الصعبة وهكذا زود القطن السوري الخزينة المصرية بالعملات الصعبة . راجع : م . ن . ، ص٢٧ .

وكانون الأول عام ١٩٥٧ أي بمعدل ١٠٪ في أقل من عام [(١)] وازدادت النسبة عاماً بعد عام ، كما تدنت تغطية العملة المتداولة بنسبة ١٩،٦٪ عام ١٩٦١ مقابل ٤٧٪ عام ١٩٥٣، وباستنفاد احتياطي سورية من النقد الأجنبي ضعفت قدرة الحكومة على شراء المواد الضرورية من الخارج وتعطلت بالتالي الأشغال العامة وأعمال التنمية [(٢)] .

هبط دخل الفرد القومي خلال سنوات الوحدة إلى أكثر من ٢٢٪ وتراجعت الصادرات والواردات إلى نسبة ٢٥٪ . وأدى التضخم المالي إلى تآكل القوة الشرائية للعملة المتداولة ، واتسع عدد المعارضين للنظام من كل طبقة وبيئة ، فردت الحكومة بالإعلان عن إجراءات أكثر صرامة ففي ٥ شباط صدر قرار جمهوري يقضي بترتيبات نقدية جديدة في الإقليم الشمالي أخضعت عملية الصرف لمراقبة السلطات المختصة مباشرة ومنعت أي شخص من حمل نقود سورية أو مصرية أو أجنبية أو حوالات أو أرباح أسهم أو عقود مالية أو عملات ذهبية تفوق قيمتها المائة ل.س. كما أخضع القرار عمليات التحويل النقدي لمراقبة مكتب القطع ونص على منع المصارف في الإقليم السوري من بيع أية كمية من العملة الموجودة لديها إلا ضمن شروط تحددها وزارة الاقتصاد والتجارة وهكذا فرضت القاهرة سيطرة الحكومة على هذا القطاع وألغت كل الأسس التي قام عليها النظام المالي السوري ، وقد اتخذ هذا القرار دون استشارة السلطات المالية السورية . وكان بمثابة إنذار باقتراب قرار توحيد النقد ، وكان يعني أكثر من ذلك ، كان يعني تبعية سورية إقتصادياً لمصر .

---

(١) - - F. o/ 371/ 141898/ "Syria Economic Report , p.3 .

(٢) - حول قضايا النقد السوري إبان الوحدة راجع ما يلي :

- M. S. Nabulsi "Problems of integrating the monetary system of Egypt and Syria under U. A. R. regime" in (M. E. E. P.) , A. U. B. 1964 p.70 - 75 , cf. Chafik Akhras, "force et faiblesse de la livre syrienne" dans (E. F. S. P. A) No 56, Aout 1962 , p.55 - 60 .

- القوانيـن الإشتـراكيــة :

تعد المراسيم الاشتراعية الاشتراكية الصادرة في تموز ١٩٦١ انعطافاً هاماً في العلاقات الانتاجية في إقليمي الجمهورية العربية المتحدة ، ومنطلقاً أساسياً لسياسة اجتماعية تقدمية ، وضربة قوية للرأسمال الوطني والأجنبي[١] .

في ٧/١٩ أصدر عبد الناصر قراراً جمهورياً يقضي بأن يكون للعمال في كل شركة مساهمة أو مؤسسة عامة في إقليمي الجمهورية ٢٥٪ من الأرباح الصافية إلى جانب أجورهم وأصدر في نفس اليوم قراراً ثانياً نص على أن يكون للعاملين في كل شركة مساهمة أو مؤسسة عامة عضوان في مجلس الإدارة واحدٌ للعمال والثاني للمستخدمين ثم قراراً ثالثاً خصص نسبة ٥٪ من أرباح الشركات للخدمات العامة والإسكان و١٠٪ لخدمات اجتماعية مركزية للموظفين والعمال ، وفي ٧/٢٠ صدر

---

(١) - مطلع الستينات اتخذت حكومة القاهرة خطوات باتجاه الاشتراكية . ففي ١٩٦٠/٢/١١ صدر مرسوم جمهوري بنقل ملكية بنك مصر إلى الدولة وقرار آخر مشابه يخص البنك الأهلي . وكان بنك مصر بشركاته المتعددة يمثل قوة اقتصادية كبيرة منحته الدولة حق الاشراف على فروع الحياة الاقتصادية ليس في مصر فحسب بل في سورية أيضاً في حين لم تمنح المصارف السورية حق العمل في مصر . وقد فتح بنك مصر احدى عشر فرعاً له في سورية ووسع نشاطاته في مناطق الجزيرة وموّل جزءاً كبيراً من محاصيل القطن السوري . أما البنك الأهلي فقد كان مؤسسة خاصة وعامة وهو وإن لم يستثمر رؤوس أموال في سورية إلا أنه كان يخطط السياسة النقدية والمالية للدولة وعن هذا الطريق سيطر على الرأسمال السوري . راجع نص المرسومين في : الجريدة الرسمية ، الإقليم الجنوبي ، القاهرة عدد ٢/١٢ ، ١٩٦٠ ص١٧٦ - ١٧٧ . وفي ١٩٦٠/١١/٢٥ صدر قرار بتعريب المصارف في إقليمي الجمهورية بحيث يكون ٧٠٪ من اسهمها مملوكة من قبل المتمتعين بالجنسية العربية (سوريين ومصريين) وفي ٨ آذار ١٩٦١ صدر قرار بوجوب مساهمة المؤسسة الاقتصادية في رأسمال كل بنك بما لا يقل عن ٣٥٪ وهكذا أعطى تعريب المصارف هذه المؤسسة حق الاشراف على أية مؤسسة تجارية أو صناعية في سورية . راجع النص في الجريدة الرسمية ، الاقليم الشمالي ، دمشق ، عدد ١٩٦٠/١١/٣٠ ، ص٣٠ وعدد ١٩٦١/٣/١٦ ، ص١٨ للتوسع حول هذا الموضوع راجع :

- Charles Issawi, l'Egypte in revolution . London 1963, p.78 - 85 .

المرسوم رقم ١١٧ القاضي بانتقال ملكية جميع البنوك وشركات التأمين وبعض الشركات الصناعية الكبرى إلى الدولة وتحويل أسهمها إلى سندات إسمية على الخزينة لمدة ١٥ عاماً بفائدة ٤٪ واعتبرت قيمة السند حسب آخر سعر له في بورصة القاهرة وحدد الملحق المرفق بالمرسوم أسماء ٤٨ شركة في الإقليم الجنوبي وثلاث شركات في الشمالي خاضعة لاحكامه . ونص المرسوم رقم ١١٨ في نفس التاريخ على تأميم ٨٢ شركة مصرية و١٢ شركة سورية تساهم الدولة بـ ٥٠٪ من رؤوس أموالها وتحولت أسهمها إلى سندات اسمية على الخزينة لمدة ١٥ عاماً بفائدة ٤٪ وأخيراً وضع المرسوم ١١٩ سقفاً للأسهم في ١٤٣ شركة صناعية مساهمة مصرية و١٢ شركة سورية فحظر على أي شخص أن يمتلك من أسهم الشركات ما تزيد قيمته عن ١٠ آلاف جنيه مصري تعادل ١٠٠ ألف ل.س. على أن تؤول ملكية الأسهم الزائدة إلى الدولة وحدد مرسوم صادر في نفس اليوم قيمة الأسهم على غرار المرسومين السابقين [١] .

تبنت هذه المراسيم إشراف الدولة ومشاركتها في كل قطاعات الاقتصاد ، وقد لعبت في سورية دوراً متبايناً تماماً عن دورها في مصر ، ذلك لأن التأميم ، مع أنه شمل مؤسسات مصرية أكثر إلى حد بعيد من تلك التي شملها في سورية ، إلاّ أنه مسّ في سورية مصالح الطبقة الوسطى الوطنية في حين توجهت اجراءات التأميم في مصر نحو تمصير الاقتصاد ، أي نقل ملكية المؤسسات الصناعية والتجارية والمالية من أيدي الأجانب إلى أيدي الشعب المصري ، حيث أنه في العام ١٩٦١ كان قطاع مهم من المؤسسات المصرفية وشركات الضمان وتجارة الجملة ما يزال في أيدي الأقليات والأجانب وقد أظهرت الإحصاءات أن حصة المصريين من الأسهم المؤممة كانت أقل من النصف ومن ضمن هذه النسبة شكل السوريون واللبنانيون ٢٢٪ من المالكين [٢] . أما في سورية فقد كانت غالبية قطاعات الاقتصاد الرئيسية تدار من قبل الرأسماليين

---

(١) - نص هذه المراسيم مع ملحقاتها والجداول بأسماء الشركات المؤممة في كتاب بدر الدين السباعي ، المرحلة الانتقالية ، ص٣٢٦ - ٣٣٦ .

(٢) - كان من بين ١٠٠٧ أسماء مالكي أسهم بأكثر من عشرة آلاف جنيه في ال ١٤٨ شركة تأممت ٥٥٪ مصريين والباقون يحملون جنسيات أجنبية أو كانوا من السوريين . راجع :

- Charles Isawi, l'Egypte .. op. cit, p.89 - 90 .

السوريين الذين انطلقوا منذ الخمسينات بزخم اقتصادي كبير . وعليه فسرت قوانين تموز ١٩٦١ على انها تمصير للرأسمالين الأجنبي والسوري معاً .

كشفت مدة تطبيق إجراءات التأميم القصيرة المدى سلبياتها في سورية . فعدا عن أنها طبقت في زمنٍ لم يبق فيه سوى نفر من المرتزقة والمنتفعين يقفون إلى جانب الوحدة، فقد شلّ التأميم في الظروف التي جاء فيه كما في الأسلوب الذي طُبق فيه ، حركة الصناعة والتجارة ، وأصاب الاقتصاد بركود خطير ، وقد تصدت لمقاومته الطبقة البرجوازية مباشرة فجمدت نشاطاتها وسارعت في تهريب رؤوس أموالها لاستثمارها في البلاد العربية أو في افريقيا ، ولم يكن لضباط الجيش الشباب الذين عُينوا مدراء للمصانع والمؤسسات الانتاجية الأخرى أية خبرة في الأعمال التي كلفوا بها فارتفعت تكاليف الانتاج ، وتراجع معدل الاستثمار وانسحب المقاولون السوريون من ٣٣ مشروعاً إنمائياً كان يؤمن إعالة ٢٠ ألف عامل وتكدست البضائع في المستودعات وازدادت البطالة وتدنت القيمة الشرائية إلى أكثر من ٢٠٪ تقريباً [١] .

– أجمع الدارسون على أن قوانين التأميم لعبت دوراً مركزياً في التمهيد للانقلاب الانفصالي ، وأنه كان على عبد الناصر أن يتصرف بحذر أكبر عندما شن هجومه المباشر والصاعق على البرجوازية السورية ، تلك الطبقة التي كانت تتمتع بقوة سياسية معتبرة وبتمثيل بارز داخل الضباط ، فردت عليه بعنف وأوصلت صراعها ضد نظامه إلى القمة [٢] وبالمقابل لم تحظ تلك المراسيم المبشرة بعهد اشتراكي برضى الطبقة العمالية التي كانت تعاني من تلك الحرب التي شنها نظام الوحدة

---

[١] – إن ٣٣ شركة صناعية وتجارية المؤممة في سورية كانت قد استوفت من المساهمين من أصل رأسمالها البالغ ٦٤ مليون ل.س. ٢٣ مليون ل.س. فقط ولما جاء التأميم توقف المساهمون عن الدفع، راجع :

T. Petran , Syria.. p.139 .

[٢] – I Rabinovich, Syria under the Ba'th, p.19 , cf. T. Petran. Syria .. p.140 - 141, cf. E. Be'eri , Army officers p.140 - 141, cf. C. Palazzoli, la Syrie, le reve et la Rupture, p.175 - 176 . cf. Monte Palmer , the United Arab Republic, p. 66 - 67 .

صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص٢٢١ – ٢٢٢ . رفعت الأسد ، التطور الاقتصادي، ص١٣٢ – ١٣٤ ، ٢٦٩ – ٢٧٢ .

منذ قيامه لفرض هيمنته الكاملة على التنظيمات العمالية ، ولاخضاع الحركة النقابية لسيطرة الاتحاد القومي [1] . وأخيراً إن من المؤكد أن السياسة الاقتصادية الجديدة قد أثارت شكاوى عارمة وشكوكاً على كل المستويات إذ عدّها قطاع كبير من السوريين خطوة نحو تمصير سورية وإذابتها .

– إن هذه القوانين الإصلاحية ، التي لم تمنح الوقت الكافي لتجني ثمارها ، قد ساهمت في بروز قوى جديدة لن تستطيع أية حكومة في المستقبل تجاوزها ، هذه القوى ، من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين ، وإن لم يظهر دورها في أحداث إنقلاب ٢٨ أيلول ، إلا أن ردود فعلها تجاه أي مسّ بمكتسباتها سيخلف أثراً بارزاً على وقائع التاريخ السوري اللاحقة .

× × ×
× ×
×

---

[1] – أثار قانون العمل الموحد رقم ٩١ الصادر في نيسان ١٩٥٩ ، موجة استياء عظيمة لدى طبقة العمال من حيث أنه حظّر على النقابات المشاركة في أي عمل أو نشاط سياسي وقد عبّر هذا الاستياء عن ذاته مطلع عام ١٩٦٠ في مؤتمر عقد في دمشق في ١٥ كانون الثاني ، وضم ممثلين عن ٣٠٠ نقابة ورفع المؤتمرون عريضة إلى عبد الناصر تطالب بإعادة حقوق إتحاد العمال وبحق الاضراب وإنهاء الطرد من العمل والتخلص من سيطرة الاتحاد القومي وزيادة ١٠٪ على الأجور . وقد ألقت الدولة القبض على غالبية المشاركين فاستقالت اللجنة التنفيذية لاتحاد العمال احتجاجاً على هذا العمل . راجع نص قانون العمل الجديد والمكاسب التي منحتها للعمال بالمقارنة مع قانون العمل السوري رقم ٢٧٩ لعام ١٩٤٦ في : بدر الدين السباعي : المرحلة الانتقالية ، ص٣٠٠ – ٣١٤ ، وحول الحركة العمالية في ظل الوحدة راجع :

- Petran, Syria .. , p.140 - 143 .

أحداث الساعات الأخيرة في دولة الوحدة

كانت مراسيم اللامركزية الإدارية القطرة الأخيرة التي أفاضت الكأس ، ففي ١٥ آب أعلن من القاهرة عن إعادة تنظيم البنية الإدارية للجمهورية العربية المتحدة [١] ، وفي ١٦ منه صدر مرسوم جمهوري يقضي بإلغاء المجلسين التنفيذيين المصري والسوري وتشكيل حكومة واحدة لإقليمي الجمهورية تكون القاهرة مقراً لها [٢] ، وفي ١٨ منه صدر مرسوم ثالث نص على وجوب تطبيق النظام اللامركزي الإداري ، المطبق في مصر منذ العام ١٩٦٠ ، في سورية بالسرعة القصوى ، وبموجبه قسمت سورية إلى عدة مناطق إدارية (محافظات) لكل منطقة مركزها الخاص وميزانيتها الخاصة وضرائبها الخاصة ومجلس إدارتها الذي يضم أعضاءَ معينين ومنتخبين ، وحاكمها الخاص المعيَّن مباشرة من قبل رئيس الجمهورية ، وستدار مناطق الحكم المحلي هذه على شكل تركيب هرمي قاعدته مجالس الاتحاد القومي وقمته رئاسة الجمهورية [٣] .

أنهت هذه المراسيم آخر دور لسورية مستقلة ، وأكملت عملية إلحاقها وضمها ، وإحكام الإشراف السياسي المصري عليها ، وقد كبرت مرارة السوريين ، وهم يرون كيف تجرد بلادهم من شخصيتها وخصوصياتها ، " وأحسوا أن شكلاً من أشكال الاستعمار ينبثق من هذا النظام الإداري بتقسيماته المشابهة لتلك التي اختبروها في عهد

---

[١] – تحدث صلاح نصر عن اجتماعات عقدها عبد الناصر مع الوزراء العسكريين السوريين وفيها اقترح عليهم فكرة تشكيل حكومة واحدة للاقليمين وطلب منهم دراسة الاقتراح في دمشق والردّ عليه . وكان أكرم الديري معارضاً وتعاطف معه في البدء جمال الصوفي وطعمة العودة الله وأحمد هنيدي ولم يشارك السرّاج في اجتماعات دمشق وإن كان على اضطلاع بما يجري فيها ، وفي٤ آب اجتمع هؤلاء الوزراء بحضور السرّاج مع عبد الناصر في الاسكندرية وتوصل إلى اقناع الجميع بالموافقة ماعدا أكرم الديري . للتوسع راجع : كتابه ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص٢٢٣ – ٢٢٨ .

[٢] – ضمت الوزارة الجديدة الموحدة ، وزيرين لكل حقيبة أحدهما سوري والثاني مصري ، واستأثر المصريون بوزارات الحربية والخارجية والإعلام والعدل والاصلاح الزراعي والإسكان . راجع : الاهرام ، القاهرة عدد ١٧ آب ١٩٦١ .

[٣] – صحيفة الوحدة ، دمشق ، عدد ١٩ و٢٠ آب ١٩٦١ .

الانتداب الافرنسي ، وكلاهما هدفتا إلى تسهيل حكم سورية واخضاعها " [1] وإذا كان من المتعذر تحديد الأهمية النسبية للعوامل المتعددة والمتباينة التي تضافرت وقادت إلى نهاية الوحدة إلا أن التقارب الزمني بين صدور هذه المراسيم وبين انقلاب ٢٨ أيلول يظهر بوضوح دور تلك المراسيم في تهيئة المناخ لانسحاب سورية من الوحدة .

في ٢٥ آب حاول عبد الناصر تقليص حدة الهيمنة المصرية فأعلن أن دمشق ستكون مقراً للحكومة الجديدة من شباط حتى أيار من كل سنة ، واعتقد أن بإمكانه تصحيح الأوضاع بكف يد السرّاج ودوائر الأمن عن حكم سورية . كان السرّاج آخر من بقي في الصف ، ففي الحكومة الموحدة الجديدة عُين نائباً بين نواب الرئيس السبعة مع حقيبة وزارة الداخلية ، وكان السرّاج أكثر القادة السوريين حماسة لتوحيد حكومة الإقليمين اعتقاداً منه أن طبيعة الوضع القلق في سورية ، منذ صدور المراسيم الاشتراكية، ستجبر ناصراً على تركه حرّ التصرف فيها إلا أن ناصراً وجد بأن خدمات السرّاج لم تعد ضرورية فكلف عامراً بإدارة سورية وهكذا شُلت يدُ السرّاج فعاد إلى دمشق وإليها سارع خصمه عامر لإحكام قبضته على سورية دون نجاح يذكر .

تحرك السرّاج خلال شهر أيلول لإجبار ناصر على إعادته إلى سورية . وراحت العناصر التابعة له من رجال المخابرات وأعضاء الإتحاد القومي ، وبعض أعضاء النقابات تنظم تظاهرات وتجمعات احتجاجاً على إبعاده عن سورية ، فردّ عامر بحل أجهزة مخابرات السرّاج وختمها بالشمع الأحمر ونقل ضباطها إلى الإقليم الجنوبي ، وتشكيل جهاز مخابرات جديد بقيادة العقيد راشد قطيني ، كما قام عامر بإرسال وحدات أغلقت مقر الإتحاد القومي بدمشق ، وأصدر أمراً بإلقاء القبض على ضباط الأمن المتمردين بتحريض من السرّاج على تنفيذ أوامر القيادة القاضية بنقلهم إلى القاهرة [2] ولما وصل الخلاف بين عامر والسرّاج إلى نقطة الأوج استدعيا في ٢١ منه إلى القاهرة لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر وفي ٢٦ منه نشرت الصحف نبأ قبول استقالة

---

(١) - M. Colombe, "Particularismes et Nationalisme arabes a la lumiere du coup d'Etat Syrien" dans Orient No20 , 1961, p.15 - 18 , p.17 .

(٢) - مزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث في كتاب صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة، ص٢٢٩ - ٢٣٢ . وأيضاً في كتاب هيكل ، مالذي جرى .. ص١١٤ - ١١٥ .

السرّاج [1] وبعد يومين قام الجيش السوري بانقلابه لا دفاعاً عن السرّاج بل للتخلص من الوجود المصري بكامله .

كانت الأجواء في أوساط الجيش وقوى الأمن مضطربة جداً عشية انقلاب ٢٨ أيلول فقد سبقت الحركة باسبوع أحداث متلاحقة هيأت ومهدت لنجاح الانتفاضة فقد أصدرت القاهرة لائحة بنقل ثلاثة آلاف ضابط صف إلى مصر على مراحل . ونشرة تتضمن إحالة ١٤٠ ضابطاً من مختلف الرتب على المعاش أو إلى الإدارة المحلية واستبدالهم بضباط مصريين ، كما سارعت بنقل الفرقة الثالثة إلى الإقليم الشمالي خوفاً من قيام تحركات معادية للوحدة داخل الجيش بتنظيم من البعث أو من الوزراء العسكريين [2] إلا أن اهتمام المصريين انصب على السرّاج وردود فعله المحتملة ، حيث كان من المتوقع أن ينفذ حركة ضد الوحدة عقب عودته من القاهرة ، وقد اتخذ عامر وأجهزة مخابراته تدابير حاسمة لقمع حركة السراج ، فصادروا من مستودعات مباحثه ما يقدر بعشرة أطنان من المتفجرات والأسلحة ، وتم استنفار اللوائين ٧٠ و٧٢ المتمركزين حول دمشق وقسمت المدينة إلى مربعات ووزعت على القطاعات المخصصة لحرب الشوارع ، ووصلت إلى سورية نجدات من ضباط وعناصر صاعقة قدر عددهم بـ ٨٥ فضلاً عن جهوزية كتائب المظليين للتحرك بسرعة قصوى ومن المؤكد إن المصريين بتركيزهم على السرّاج قد أتاحوا الفرصة للطرف الثالث للتحرك ومفاجأتهم ... لقد كانت المفاجأة صاعقة .

---

[1] – صحيفة الأهرام ، القاهرة ، عدد ٢٦ أيلول ١٩٦١ ، صوت العرب ، دمشق عدد ٢١٦٣ ، ٢٧ أيلول ١٩٦١ .

[2] – هذه التحركات هي : ١- اعترف السرّاج يوم اعتقاله بأن ناصراً كان يتوقع قيام البعثيين بحركة داخل الجيش ، ٢- حركة زياد الحريري (بطل انقلاب ٨ آذار ، الذي كان يحضر لحركة في شهر أيلول لم تنفذ ، ٣- حركة الوزراء العسكريين (هنيدي – طعمه – جادو – والديري) وهدفها تصفيته السراج وحكم سورية حكماً عسكرياً ولم تنفذ بسبب انتداب المقدم عبد الله الشيخ إلى الكويت وإبعاده عن قيادة مدرسة المدرعات في القابون . راجع وثائق محكمة الأمن القومي بدمشق ، دعوى جريمة الانفصال (من ١٠ تموز حتى ١٤ كانون الأول ١٩٦٣) . ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار ، وكيل الدفاع عن العميد موفق عصاصة ، نقلاً عن اعترافات السرّاج يوم اعتقاله المستند محفوظ في القيادة العسكرية حول (حركة السرّاج) .

انتفاضة ٢٨ أيلول ١٩٦١ :

من قلب الجيش السوري الذي صنع الوحدة قامت الانتفاضة التي أطاحت بها [١].

اتفق عدة قادة ضباط كانوا يشغلون مراكز حساسة في الجيش السوري ، ويتمتعون بثقة المصريين [٢] ، على تنفيذ حركة لقلب الأوضاع القائمة في الاقليم الشمالي ، وتصدر قيادة الانقلاب خمسة ضباط هم : المقدم عبد الكريم النحلاوي الذي كان يشغل المنصب الثاني لشؤون الضباط في مكتب القائد العام ، والضباط الطيار العميد موفق عصاصة قائد سلاح الطيران السوري ، والمقدم مهيب الهندي رئيس أركان لواء قطنا أقوى ألوية الجيش الأول وأفضلها تجهيزاً ومعاونه الرائد هشام عبد ربه ، والمقدم حيدر الكزبري قائد حرس البادية والعميد عبد الغني دهمان آمر موقع مدينة دمشق .

خلال شهر أيلول كان الضباط يحضرون للخطة [٣] واتفقوا على الترتيبات النهائية في ٢٧ منه ، وفجر الساعة ٣،٣٠ من اليوم التالي دخل دمشق رتل مسلحٌ من

---

(١) – المعلومات عن هذا الحدث مستقاة من المصادر التالية : وثائق محكمة الأمن القومي المشار إليها سابقا . وقد نشر د. سليمان مدني بعض وقائع هذه المحاكمة في كتاب : محاكمة رجال الانفصال ، (دمشق ، دار دانية ١٩٩٦) ، وعن كتاب اللواء عبد الكريم زهر الدين ، مذكراتي عن فترة الانفصال في سورية ما بين ٢٨ أيلول ١٩٦١ و ٨ آذار ١٩٦٣ (بيروت ١٩٦٨) ، ص٢- ٦٠ وأيضاً ، هيكل مالذي جرى في سورية ، ص١١٩ ، ١٣١ . صلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الثورة ، ص٢٥١ – ٢٧٢ ، مطبع السمّان ، وطن وعسكر ، ص ٢١ – ٤٧ . وراجع :

- E. Be.eri. Army officers, p.142 - 145 .

(٢) – خلال الوحدة عهد بالقيادات العسكرية العليا في المناطق السورية ، بشكل بارز إلى ضباط دمشقيين من السنة وهؤلاء وصلوا إلى أعلى قمة السلطة تحت زعامة النحلاوي الذي استطاع من خلال منصبه استقطاب الضباط الذين كانوا يشغلون مواقع استراتيجية هامة وقد خطط للانقلاب مع عدد من الضباط الدمشقيين وعليه كان انقلاب ٢٨ أيلول " عملاً دمشقياً " ، راجع : زهر الدين ، م . ن ، ص٢٢ – ٢٤ .

- Cf. N. van Dam , the Struggle , p.41 - 43 .

(٣) – أشار هيكل في كتابه (ماالذي جرى في سوريا) إلى أن الضباط الذين نفذوا الانقلاب كانوا على اتصال منذ العام ١٩٦٠ بالحكومة الأردنية وأن حيدر الكزبري قد تلقى أموالاً من رجال أعمال أردنيين لتمويل الانقلاب ، وكان على اتصال مباشر مع الملك حسين . راجع ص ١٢٠ – ١٢٨ .

قطنا وفرقة حرس الصحراء ، والتقيا مع حامية مواقعها العسكرية وخلال نصف ساعة استطاع الثوار السيطرة على محطة الإذاعة ودار المشير عامر حيث واجهوا مقاومة العناصر المتمركزة باتجاه الأركان ثم أحكموا الطوق على مبنى القيادة العسكرية وحاصروا معسكراً للفدائيين الفلسطينيين، ثم احتلوا مبنى قيادة الشرطة العسكرية ، وسيطروا على كافة المراكز الحساسة في المدينة ، في وقت نجح فيه العميد عصاصة في وضع جميع الطيارين المصريين على الأرض وشل حركة الطيران . ومن ثم تمركز ضباط الانقلاب أمام مبنى القيادة العسكرية المحاصر بالدبابات والفرق المتمردة وكان المشير عامر وقد سارع في التوجه إلى مبنى الأركان عندما تلقى أنباء عن تحركات ونشاطات غير عادية وإلى هذا المبنى اقتاد الثوار الفريق جمال فيصل ونائبه اللواء المصري أنور القاضي وكبار الضباط المصريين بعد أن تم لهم إلقاء القبض عليهم دون مقاومة تذكر [1] .

صبيحة يوم ٢٨ أيلول استهلت إذاعة دمشق برامجها بالموسيقى العسكرية وبثت البلاغ رقم واحد وجاء فيه " صباح هذا اليوم قام جيشكم حفاظاً على أرض الوطن وسلامته وحريته بحركة لإزالة الفساد والطغيان وهذه الحركة هدفها تصحيح الأوضاع غير الشرعية لقد طرقنا كل باب للإصلاح ولم نجد وسيلة للتحرر إلاّ القوة " [2] . هذا ولم تكشف البيانات العسكرية المتتالية ما إذا كان الضباط الثوار قد قرروا الانفصال التام عن مصر أم التصحيح الهادف إلى قيام نظام استقلال ذاتي عسكري وسياسي داخل إطار الوحدة ، ومن الملاحظ أن " القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة " [3] التي بثت

---

(١) — قبل أن يتم القبض على أنور القاضي كان لديه الوقت لاعطاء الأوامر لرائد مصري في اللواء المدفعي في قطنا للاسراع إلى العاصمة وقمع الانتفاضة ، وقد أصدر العقيد جاسم علوان آمر اللواء ٧١ آمراً بالتحرك إلى دمشق بعدما علم أن هناك إطلاق نار على كتيبة الفدائيين (٦٨) المحاصرة من قبل عناصر من اللواء المتمركز في قطنا ، وبعد أن تمكن من الاتصال بضابط مناوب كان موضوع الانقلاب قد نُفذ . راجع قرار الاتهام الصادر عن النائب شفيق اسماعيل في كتاب المدني ، محاكمة رجال الانفصال ، ص٢٣ – ٥٠ .

(٢) — راجع نص هذا البيان وكل البيانات التي تلته في المصدر نفسه ، ص ٩ – ٢٥ .

(٣) — هذا ما أطلقه الثوار على المجلس العسكري الذي شكلوه والذي صدرت البيانات باسمه .

البيانات باسميا قد أحجمت عن الاشارة إلى تحرير سورية من الديكتاتورية والفساد بل اكتفت بالقول " بأن الطغمة المتحكمة خانت الأمانة وضربت الوحدة " ، كما لم يرد فيها أي ذكر لسورية أو للجمهورية العربية المتحدة ، بل قالت " سيجري العمل على دعم الوحدة المقدسة بين الاقطار الشقيقة على أسس متينة من التعاون والمساواة والحرية والرخاء " . وإن من المؤكد أنه لو كانت نية الثوار المطالبة بالحكم الذاتي ضمن دولة الوحدة جليَّةً انذاك لما رضخ لها عبد الناصر . وقد ظهر جلياً في الخطاب الذي ألقاه في التاسعة من صباح ذلك اليوم [1] كم كانت صدمته عميقة ، وكم كان بعيداً عن القبول بأية مساومة على أمل أن يفشل الانقلاب ، ومدركاً أن أي تراجع تحت ضغط الثورة قد يهز نظامه في مصر وهو أمرٌ أسوأ بكثير من خسارة سورية [2] . إلا أن موقف عامر تجاه الأحداث كان مختلفاً تماماً ، فما رآه على الأرض جعله يدرك أن من المستحيل انقاذ سورية دون تنازلات معينة للضباط الثوار فلنستعرض ما حدث في دمشق صبيحة ذلك اليوم .

في الساعة الثامنة أعلن الضباط المحاصرون لمبنى الأركان أنهم يرغبون بالتفاوض مع عامر وفيصل والوزراء الضباط الذين تم اعتقالهم ونقلهم داخل المبنى ومن ثم عرض النحلاوي وعصاصة مطاليب الثوار وهي : ١- اعادة الضباط السوريين إلى سورية والمصريين إلى مصر ٢- تشكيل قيادة عسكرية جديدة ٤- ترحيل الوزراء العسكريين إلى القاهرة ٥- اعادة النظر بالوحدة وجعلها اتحاداً . وقد رضخ المشير واتفق مع الضابطين على إذاعة بلاغ بانهاء الحركة على أن يذيع المشير بياناً يعلن فيه وحدة الجيش والشعب وعودة الأمور إلى مجراها الطبيعي ، فكان البيان رقم (٩) الذي أعلنت فيه " القيادة العربية الثورية " انها لا تنوي المسَّ بما احرزته القومية العربية من

---

[1] - قال ناصر " أشعر بالاسى والأسف وأنا أتحدث اليكم هذا الصباح لأني لأول مرة أشعر بالوحدة تتأثر بتحرك قوة من الجيش الأول في قطنا وتذيع البيانات وتتكلم عن الوحدة ... إن أعلامنا القوية لن تنكس فالشعب العربي لن يقبل أن تنتكس ثورته ... " راجع النص في كتاب ، صلاح نصر ، عبد الناصر .. ، ص٢٧٣ ٩ ٢٧٩ .

[2] - حول رد فعل ناصر تجاه الحدث راجع التقرير التالي :

- F. o/ 371/ 157837/ sec Report From state - RD. Wash. , D. C. dated 4 Dec 1961, p.1 - 11, p.6 - 7 .

انتصارات .. وانها عرضت قضايا الجيش على المشير وتفهمها واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها لصالح وحدة الجمهورية العربية المتحدة [1] . أعقب صدور هذا البلاغ خلل وبلبلة في صفوف الجيش ، وهدد بعض الضباط بقصف القيادة على رؤوس من فيها إذا عملوا بمقتضى البلاغ رقم (٩) بينما قام البعض الآخر بتظاهرات تأييداً للوحدة وأعادوا تعليق صور عبد الناصر بعد إنزالها كما رفض المشير عامر إصدار البلاغ المتفق عليه بحجة أن المطاليب المقدمة تتضمن بنوداً عسكرية وسياسية يحتاج إقرارها إلى مرسوم جمهوري ، عندئذ فتح خط لاسلكي مع القاهرة وكان واضحاً أن عبد الناصر يرفض التسوية وفي الساعة الثانية ردّ الرئيس باصدار قرارات تقضي بتجريد الضباط الخمسة من رتبهم العسكرية وأن لا مساومة ولا انصاف حلول مع المتمردين [2] عندئذ قام ضباط الانتفاضة بترحيل عامر وجمال فيصل إلى القاهرة ، وكان قد سبقهم إليها الوزراء العسكريون وبعض الضباط المصريين ، وأصدروا في الساعة ٣،١٥ البلاغ رقم /١٠/ الذي ألغى مضمون سابقه [3] واتفقوا على تشكيل قيادة عسكرية جديدة وتعيين اللواء عبد الكريم زهر الدين قائداً للجيش [4] ، ثم استعرض الضباط أسماء بعض السياسيين

---

[1] – أشار السمان إلى أن الأمور عادت إلى مسارها السليم وتشكلت قيادة عسكرية جديدة من السوريين فقط ضمت اللواء فليب صوايا رئيساً لأركان الجيش الأول والعقيدجاسم علوان رئيساً لشعبة العمليات والعقيد حسين القاضي رئيساً لشعبة التنظيم والادارة ، والعقيد راشد قطيني رئيساً لشعبة المخابرات وهذه القيادة اقترحها ضباط الحركة ووافق عليها المشير . راجع كتابه ، وطن وعسكر، ص٣٢ .

[2] – راجع نص البيان الصادر عن رئاسة الجمهورية في : وثائق محكمة الأمن القومي ، ملفات الاستاذ المحامي هاني البيطار .

[3] – " إن القيادة الثورية العربية للقوات المسلحة تعلن للشعب أنها لدى اتصالها بالمشير عبد الحكيم عامر وعدها بالقضاء على الانتهازيين والمخربين مما دعاها إلى إذاعة بلاغها رقم /٩/ ولكن ما لبث المشير أن نكث بوعده وعليه حرصاً من القيادة على انتصارات الشعب العربي والقومية العربية تعلن للشعب اعتبار بلاغها رقم /٩/ لاغيا وأنها وضعت يدها على كافة الأمور .. والحركة للشعب وإلى الشعب "راجع النص في كتاب المدني ، محاكمة ، .. ص١٦ – ١٧ .

[4] – اللواء عبد الكريم زهر الدين درزي بعمر الـ٤٨ ، لم يكن له دور بارز في الجيش عمل لسنوات عدة مديراً لمصلحة المهمات ثم رئيساً لهيئة الإمداد والتموين في زمن الوحدة . وقيل أن تعيينه

لتشكيل وزارة مدنية ووقع الاختيار على الدكتور مأمون الكزبري ، وفي الساعة السابعة والنصف من يوم٢٩ أيلول صدر البلاغ رقم ١٧ الذي تضمن العبارات التقليدية المعروفة في كل الانقلابات العسكرية السورية .. "تعلن القيادة الثورية العربية وفاءً منها بالعهد الذي قطعته على نفسها بأن توكل أمور البلاد السياسية والإدارية إلى أبناء الشعب المختصين قامت بتكاليف د. مأمون الكزبري ليشكل وزارة توطئة لاعادة الأوضاع الدستورية إلى البلاد " [١] . وهكذا أصبح الانفصال نهائياً ودفع عبد الناصر ثمناً باهظاً لعناده ، إنه خسارة سورية . وفي الواقع عندما وصل رده المتعنت كان التأييد للانتفاضة قد عمَّ وانتشر في جميع أنحاء سورية ، وراحت الإذاعة تبث برقيات التأييد الواردة من كل قطاعات الجيش . ومن كل فئات الشعب من نقابات وغرف تجارية وصناعية ومؤسسات إدارية وسياسية وعمال وفلاحين .. . الخ وقامت التظاهرات الشعبية في سائر المدن السورية ، وراح السادة العلماء يلقون الخطب التي تشجب عهد الطغيان وبدت سورية وكأنها تحررت من عبء احتلال ثقيل ، ومع ذلك لم تنته أحداث هذا اليوم الطويل، فانطلاقاً من الانباء الواردة حول التزام قائد موقع حلب اللواء حكمت الدايه وآمر موقع اللاذقية الزعيم كاظم زيتونه المحافظة على الجمهورية العربية المتحدة باقليميها الشمالي والجنوبي برئاسة جمال عبد الناصر ، وقيام موقع حلب بشجب حركة دمشق [٢]، استعدت القاهرة لقمع الانتفاضة ، واتخذ عبد الناصر قراراً بإرسال لواء المظليين إلى منطقة اللاذقية لتعزيز حاميتها ريثما تصلها القوات المحمولة بحراً والتي تلقت الأوامر

كان لتهدئة مخاوف الدروز بعد تعيين الكزبري ، رئيس حركة التحرير الشيشكلية رئيساً للوزراء ، أو بسبب الانقسامات بين جماعة الضباط تحت قيادة النحلاوي ، مما أجبر النحلاوي على وضع قائد للأركان من غير الضباط الدمشقيين أو لاعتقاد النحلاوي أن من السهل عليه السيطرة والتحكم به . راجع : مذكرات زهر الدين ، ص٦٦ ومزيد من التفاصيل حول شخصية زهر الدين وعوامل اختياره راجع بتحفظ ما كتبه مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص٣٨ – ٤٠ .

[١] – الجماعة الوحيدة التي تظاهرت لصالح الوحدة في دمشق كانت جماعة الفدائيين الفلسطينيين وقد أصدرت القيادة العسكرية البلاغ رقم ٢١ الذي تحدث بوضوح عن الأجانب الذين شاركوا بالتظاهرات وصدور الأوامر بالقاء القبض عليهم ونفيهم . راجع ملفات هاني البيطار حول " دعوى الإنفصال " .

[٢] – حول هذه الأحداث راجع ، زهر الدين .. مذكراتي ، ص٢٢ – ٢٥ .

بالتحرك مساء ٢٨ أيلول وكان قوامها فرقة مدرعة وفرقة مشاة [١] وهبطت الدفعة الأولى لوحدات المظليين بقيادة المقدم جلال هريدي وهدفه مطار حميميم (الشهيد باسل الأسد حالياً) ثم ميناء اللاذقية تمهيداً لعبور الوحدات المصرية ، وتم امداده بمليون ل.س. ولما وصل لم يعد هناك أدنى شك بأن شمال سورية ومنطقة اللاذقية قد أصبحتا بأيدي ضباط الانتفاضة ، عندئذ ألغى عبد الناصر خططه العسكرية ولم يتلق هريدي الأوامر الجديدة ، فهبط منتصف ذلك الليل مع مجموعة مؤلفة من ٢٣ ضابطاً و ١٥٠ ضابط صف وجندي وقد وجد هؤلاء أنفسهم مطوقين بفرق سورية فاستسلموا وتمَّ ترحيلهم إلى مصر بعد شهرين [٢] .

– وبنجاح انقلاب ٢٨ أيلول سقطت أول تجربةٍ وحدوية في العالم العربي وخلّفت وراءها حقيقتين : السورية والمصرية .

أبرزت دولة الوحدة قوة الخصائص الإقليمية وحيويتها ، والنتيجة التي يمكن استخلاصها من هذه التجربة هي أن : "خلق دولة عربية موحدّة يجب ألاّ يقوم على نفس الأسس التي قامت عليها الجمهورية العربية المتحدة وعليه فإن انفصال سورية عن مصر قد ألغى تماماً فكرة عبد الناصر حول شكل الوحدة وأسسها وأصبح على العرب اعتماد أشكال سياسية مرنة تحترم الحقائق الإقليمية القائمة على أرض كل قطر عربي " [٣] .

---

(١) – أشار صلاح نصر إلى أن هذا القرار قد اتخذه الرئيس عبد الناصر منفرداً وتحت مؤثرات عاطفية إنفصالية ناجمة عن حرصة على إبقاء سورية بأي ثمن ، راجع : كتابه ، عبد الناصر وتجربة الوحدة ، ص٢٦٩ – ٢٧٠ ، وقد أشار عبد اللطيف البغدادي في مذكراته إلى أن عبد الناصر عدل عن قراره لانه لم يكن واثقاً من قدرة قواته المسلحة على القيام بهذه المهمة ، راجع ، ج٢ ، (القاهرة ١٩٧٧) ص١١٨ .

(٢) – المعلومات حول هذه القضية اطلعنا عليها من التقرير الخطي الذي أعده جلال هريدي وأوضح فيه ملابسات تلك العملية وهو محفوظ في اضبارة " دعوى الانفصال " من ملفات الاستاذ المحامي هاني البيطار . ويمكن مراجعة ما كتبه عبد المحسن أبو النور عن عملية المظليين في مجلة آخر ساعة ، القاهرة / عدد ٢٧٨٥/ ٩ أيار ١٩٨٨ .

(٣) – F.O,371, 15787, Confidential Report, Oct 2, 1961, p.9 - 11 .

وإذا ما ولّد اخفاق نظام الوحدة ارتياباً عاماً حول مفهوم الوحدة العربية فإنه لم يدمّر نهائياً ذلك المفهوم بل سلط الضوء على المشاكل العملية التي قد تترتب عن هذا التنظيم .

وتبقى مسألة إعادة السوريين النظر في كيان دولتهم هي أكثر النتائج بروزاً لتجربة الوحدة . فهذه التجربة قد قوّت لدى السوريين الإحساس بالهوية السورية . هذا الإحساس الذي كان ضعيفاً متلبداً بأوهام كبيرة قد ساد وثبت وجوده بعد الإنفصال .

وإذا ما عمّقت تجربة الوحدة الإحساس بالهوية السورية فقد زادت من خطورة الإنقسامات الداخلية . لأن دولة الوحدة قد خلقت في سورية آلية عمل قوية لصالحها . وعليه ، فعلى أرض سورية سيتجابه الوحدويون والإنفصاليون في حرب شرسة ستترك بصماتها على أحداث المرحلة اللاحقة .

وأخيراً .. أضعف نظام الوحدة الإطار السياسي والتركيب الإداري للدولة السورية ، ودمّر اقتصادها ، وزعزع ثقتها بالمستقبل . وكانت سورية تحتاج إلى الوقت لاستعادة الحريات الديمقراطية لكن حرب القاهرة الباردة لن تمنح النظام الانفصالي الفرصة لبناء ديمقراطية سليمة .

× × ×

× ×

×

الفصـــل الثـانـي

============

عهـدُ الانفصـال ونـهايـة عصـر

٢٨ أيلول ١٩٦١ – ٨ آذار ١٩٦٣

تمهيـــــد :

بعد مضي ثلاثة أيام على قيام انتفاضـة ٢٨ أيلـول ، استعادت سـورية استقلالها ورفـع العلم السوري مكان علم الوحدة ، وعاد النشيد السوري يُعْزَف من محطة الإذاعة ، وأطلـق علـى سـورية إسـم الجمهوريـة العربيـة السـورية تـأكيداً لانتمائهـا القومـي ، وبعـد شهرين استعادت هذه الدولة مؤسساتها ، فتشكلت وزارة وضعت دسـتوراً مؤقتـاً للبـلاد ، وقام مجلس برلماني منبثق عن الاقـتراع العـام ، وعـادت الحيـاة الديمقراطيـة والحريـات السياسية إلى الظـهور مجـدداً ، واسـتعادت الأحـزاب السياسية المقموعـة دورهـا وراحـت تنظم نشاطـاتها .

شَبُهت ملامح هذه المرحلة بملامح سورية عام ١٩٥٤ عندما أطاح الجيش بنظـام الشيشكلي ، وأعاد الحكم للمدنيين ، ومثلما حدث آنذاك قام النظام الجديد على تحالف قـادة انقلاب ١٩٥٨ العسكريين مـع طبقـة السياسـيين المدنييـن التقليدييـن ، وعـاد إلـى المسـرح السياسي نفس الرجال ، ونفس التكتـلات السياسـية ، ونفس الانقسـامات مـن اليميـن إلـى اليسـار [١] .

اعتقد قادة النظام الجديد أن بالإمكان إعادة ربط الماضي بالحـاضر ، فـاصطدموا بمعالم جديدة حملت منذ البداية بذور سقوط هذا النظام وهي التالية :

---

[١] – راجع ما كتبه بهذا الصدد :

- Simon Jargy, "la Syrie d'Hier et d'aujourd'hui" dans Orient, No20, Sept 1962 , p.67, 76 .

فشل النظام في إقامة علاقة طبيعية مع مصر ، ومحاولات ناصر الدؤوبة اسقاطه بمساعدة قوى داخلية .

انفتاح الساحة السورية من جديد أمام الصراع بين الفرقاء السوريين حول مسألة الوحدة وفشل النظام في توجيه سياسية سورية العربية بعيداً عن الضغوط المصرية مما جعلها ثانية حقلاً للصراعات العربية – العربية .

استعادة العسكريين دورهم السياسي ، وصراعهم مع المدنيين ، وتشابك المصالح داخل كل فئة من فئات التحالف المدني – العسكري الذي قام عليه النظام .

اتخاذ النظام صبغة رجعية معادية للمطالب الشعبية ، ومحاولاته تخطي المكاسب الفلاحية والعمالية التي أقرها النظام الوحدوي .

لنتبع أدناه أحداث تلك المرحلة التي اصطلح على تسميتها " بعصر الانفصال" .

– الطريق إلى النظام الدستوري البرلماني: ١٩٦١/٩/٣٠-١٩٦٢/٣/٢٨

بعد مضي أربع وعشرين ساعة على استعادة السوريين اشرافهم على بلادهم ، تشكلت أول وزارة في دولة الانفصال . مساء يوم ٦١/٩/٢٩ أصدر مأمون الكزبري الذي وقع اختيار القيادة العسكرية عليه لاستلام السلطة المرسوم الاشتراعي رقم واحد القاضي بتشكيل وزارة انتقالية من عشرة وزراء ، هيمن عليها السياسيون التقليديون من كبار الملاكين ورجال الأعمال وبعض المهنيين [١] . وقد تمتعت تلك الوزارة بدعم الفئة

[١] – تشكلت الوزارة على النحو التالي : د. مأمون الكزبري للرئاسة والخارجية والدفاع ، د. ليون زمريا للمالية والتموين ، د. فرحان الجندلي للصحة والإسعاف ، د. عدنان القوتلي للداخلية ، د. عزة النص للتربية والتعليم والإرشاد القومي ، د. عوض بركات للاقتصاد والصناعة ، المهندس أيمن ناصيف للزراعة والاصلاح الزراعي ، الأستاذ المحامي أحمد سلطان للعدلية والأوقاف ، المهندس عبد الرحمن حورية للأشغال العامة والمواصلات ، د. نعمان أزهري للتخطيط والشؤون البلدية والقروية، الأستاذ فؤاد العادل للشؤون الإنمائية والعمل. راجع: سليمان المدني: محاكمة.. ص٢٠ .

المحافظة من ضباط الجيش (صانعة الانقلاب) التي سيطرت على مقاليد الجيش ، وبدعم القوى السياسية والاجتماعية المتطلعة إلى استعادة الاستقلال السوري .

اتجهت جهود النظام الجديد نحو إحراز قدر من الشعبية ونيل ثقة الجماهير ، وعليه تجنبت الحكومة في بيانها الوزاري المسّ بالاجراءات الاقتصادية – الاجتماعية التي قامت في النظام السابق ، وحسب النوايا المعلنة فإن برنامج الإصلاح الزراعي سيصان وسيتطور لصالح الفلاح وسيستمر العمل بالقوانين الاشتراكية لا بل ستدعم بإجراءات جديدة لصالح العمال وأعلنت الحكومة أنها مؤقتة وأن السلطة ستنتقل خلال أربعة أشهر إلى حكومة منبثقة عن الانتخابات العامة ، ووعدت أنها ستكرس نفسها لاعادة الحريات السياسية ، حرية الصحافة والتعبير ، وإلغاء العمل بقوانين الطوارئ ، وأخيراً أكدت تمسكها بالوحدة العربية وبأنها تفتح ذراعيها للدخول في أي شكل من أشكال الوحدة مع أية دولة عربية دون تمييز [١] . ولمواجهة التركة الثقيلة التي خلفها نظام الوحدة ، كان يلزم قادة سورية الجدد تخطي عقبتين أساسيتين ، الحرب الباردة التي شنتها أجهزة القاهرة ، وعودة الجيش إلى مسرح السياسة .

– لم تمنح القاهرة السلطة السورية الوقت الكافي لاسترداد أنفاسها ولملمة جراحها ، فعلى الرغم من أن عبد الناصر أوقف بقراره الشخصي العمليات العسكرية وأعلن أنه لن تكون الحرب العسكرية وسيلة لتدعيم الوحدة ولا الحرب الأهلية بديلة عنها لا بل اعترف في خطابه يوم ٥ تشرين الأول ١٩٦١ بانفصال سورية عندما قال : " انه ليس من المحتم ان تبقى سورية قطعة من الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن من المحتم أن تبقى سورية ... " فإنه عجز عن مواجهة النكسة الكبرى في حياته السياسية ، فتجاهل العوامل الحقيقية التي أدت إلى الاطاحة بدولة الوحدة وراح يعزو ذلك إلى مؤامرة نفذتها العناصر الرجعية بمساعدة القوى الامبريالية وعملائها [٢] واتهمت أجهزة اعلامه الأردن

---

(١) – راجع: بيان الحكومة في صوت العرب ، دمشق، عدد ٥ و ٧ و ١٩٦١/١٠/١١ . وراجع :
- F. o/ 371/ 157837/ Confidential report to departement of State , Oct 12/1961/ p.5 - 6 .

(٢) – قال عبد الناصر في خطابه في ٦١/٩/٣٠ " ان الرجعية في سورية وأعوان الاستعمار استطاعوا أن يأخذوا رأي حسين في دمشق ، وكل ما حول الحركة يكشف الحركة .. فرح اسرائيل ، تهليل الاذاعات الاستعمارية ، اعلان ايران استعدادها الاعتراف بالحكومة ... " راجع : نصر ، عبد

بالتورط كلياً بحركة الانفصال والسعودية بتقديم المساعدات للضباط لتنفيذ انقلابهم ، ثم قطعت القاهرة علاقاتها مع الأردن وأعلنت فصم ارتباطها مع اليمن [1] وبدأت حربها الباردة على نظام الانفصال وراحت تتعامل مع سورية وكأنها مقاطعة عاصية على السلطة المركزية ، وبدأت أجهزة الإعلام المصرية حرباً دعائية عاصفة وبلا هوادة ضد حكام سورية الرجعيين ، عملاء الامبريالية ، المتآمرين على الشعب العربي وخونة أهدافه [2] وعملت شبكة من العملاء المصريين داخل سورية على إبقاء النظام تحت ضغط مستمر ، وكان الناصريون ما يزالون يشغلون مراكز هامة في صفوف الجيش وقوى الأمن ودوائر الحكومة والنقابات ولم تؤثر عمليات التطهير الجزئي وغير المنظم التي نفذها قادة الانفصال في الجيش ودوائر الأمن على مراكز هؤلاء [3] وعليه مع خطوات الحكم الأولى وجد في سورية آلية عمل جبارة لصالح مصر قادتها شخصيات سياسية وعسكرية ، وتقوت بتدفق العملاء والأموال والأسلحة من حدود لبنان المفتوحة ، فأرهقت النظام ، وأضعفت الثقة فيه ، وهدرت امكانياته ، ووضعته في حال دفاع عن النفس بدلاً من انشغاله في التخلص من ذلك العبء الثقيل الذي خلفته الوحدة في سورية .

– أعادت انتفاضة ٢٨ أيلول الدور الذي حجبه ناصر عن العسكريين بشأن مشاركتهم في السلطة ، وعاد الضباط السوريون يرون أنفسهم قادة البلاد والمتحكمين الوحيدين في

الناصر ، ص٢٨٧ . ولمزيد من التفاصيل حول وجهة نظر الأوساط السياسية الرسمية المصرية بصدد هذه النقطة يمكن مراجعة ما كتبه هيكل في ماالذي جرى في سوريا ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ .

(١) – "كان الزعماء العرب حذرين في هذا الظرف الدقيق من فتح جبهة مع ناصر ، وباستثناء الأردن التي جاهرت للتو بتأييد الحركة الانفصالية ، فإن الكويت والسعودية كانتا تحتاجان إلى دعم ناصر ضد تطلعات قاسم ، وعليه لم تعترفا بالنظام السوري حتى اعترف به ناصر نفسه . وحتى قاسم فعل نفس الشيء . أما لبنان فوقف موقف الحياد التام ، ولم تكن اليمن ولا مراكش في موقع يتيح لهما التصفيق لخطوة سورية ولو أرادتا ذلك " راجع :

- F. o/ 371/ 157837/ Report of 12 Oct 1961, op. cit, p.3 .

(٢) – راجع حول هذه الحرب الدعائية النفسية ما كتبه نزار عرابي ، ماذا يجرى في سورية ولماذا فشلت تجربة الوحدة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٢ . Passim

(٣) – زهر الدين ، مذكراتي ، ص٦٠ – ٦٢ . Passim

مصيرها . ظاهرياً أعلن المجلس العسكري الأعلى [1] انسحابه من السياسة ، وفعلياً بدا واضحاً كم هي كبيرة قدرة القادة الضباط على فرض وجهات نظرهم على السياسيين وتوجيههم ، إلا أن افتقار أعضاء المجلس العسكري إلى قيادة فعالة ، وتباين آراء أعضائه العقائدية ، وتضارب مطامعهم الشخصية ، دفعت بهم إلى دعم قيام نظام مدني وتوجيهه من وراء الستار [2] .

تحرك القادة الضباط بسرعة لتثبيت سلطتهم ، ففي الرابع من تشرين الأول شكلوا ما عُرف " بالمجلس القومي " الذي تمثل فيه المدنيون برئيس الوزراء وخمسة من وزرائه وضمن العسكريون لأنفسهم في داخله أغلبية مطلقة منحتهم حق صياغة الخطوط العريضة لسياسة الدولة العامة . وقامت تلك السياسة ، وإلى حد بعيد ، على نفس النمط الذي كان قائماً في عهد الوحدة : سيطرة فعّالة لقوات الأمن ، الإبقاء على قوانين الطوارئ ، تحظير الأحزاب السياسية ، تشكيل جيش شعبي لدعم مبادئ الثورة ، تنكر لحرية الصحافة ، رفض مشاركة العمال في النشاط السياسي ، رفض إعادة الذين طهروا في العهد السابق إلى مراكزهم المدنية والعسكرية ، إجراءات إشتراكية جديدة مثل : الإعلان عن منح العمال نصف أجورهم أيام الجمعة والعطل ، إعفاء الفلاحين المستأجرين لأراضي الدولة أو لتلك التي شملها الإصلاح الزراعي من دفع الأجور عن فصل شتاء عامي ١٩٦٠ – ١٩٦١ ، تأجيل المصرف الزراعي دفع الديون المستحقة على الفلاحين وصغار المزارعين [3] .

وبما أن العمل العسكري الذي نفذه ضباط انتفاضة ٢٨ أيلول قد ربطهم بالنظام الذي أطاحوا به ، وعليه ، ولتبرير شرعية تدخلهم في السياسة ، كان عليهم تجنب الارث

---

[1] – ضم مجلس القيادة العسكري : رئيس الأركان زهر الدين والعمداء : فيصل سري الحسيني ، عبد الغني دهمان ، موفق عصاصة ، زهير عقيل ، نور الله حج ابراهيم ، والعقداء : محمد منصور ، وعبد الكريم النحلاوي والمقدم حيدر الكزبري ، راجع : زهر الدين ، مذكراتي ، ص٦٦ ، وراجع مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص١٠٥ – ١٠٦ .

[2] – زهر الدين ، مذكراتي ، ص٦٦ – ١٤٧ ، ١٥٠ – ١٥٢ ، السمان ، وطن وعسكر، ص٦٢.

[3] – - T. Petran Syria, p.152, cf. S. Jargy, "la Syrie d'Hier et d'Aujourd'hui", Orient No20, 1962, p.67 - 76, p.70 .

الذي خلفه الحكم الناصري ، أي الابتعاد عن الديكتاتورية وإقامة الديمقراطية ، وتجنب الأخطاء على الصعيدين الداخلي والخارجي حرصاً على ألا تستغلها القاهرة للعودة ذات يوم إلى سورية . وقد حددت القيادة العسكرية خط سيرها بعد بضعة أيام على قيام الانقلاب : البقاء في الظل ومراقبة عمل السياسيين عن كثب ، وتوجيههم لما فيه صالح البلاد ، والجهوزية الدائمة للتدخل أمام أي خطر يلوح في الأفق [1] ، واعتقد القادة الضباط أن بإمكانهم إقامة نظام سياسي جديد يحقق ثورة داخلية ، وذلك بتجنب الحكم الرئاسي على نمط الشيشكلي وعبد الناصر الذي أوصلت تجربته إلى الديكتاتورية ، ونظام التعددية الحزبية الذي سيقسّم البلاد إلى زمر وأحزاب وبالتالي العودة إلى الصراعات السياسية التي قادت سورية إلى أحضان مصر . وقد أعلنت الأركان أن النظام الصحيح هو " الديمقراطية التي لا تصل إلى حد الفوضى ولا تتصلب إلى حد الاستبداد والديكتاتورية " [2] وبما أن الاتحاد القومي ، هو الحزب الواحد ، ورمز النظام الساقط فقد أعلن حله بمرسوم صادر في الأول من تشرين الأول ١٩٦١ [3] ، ولم يُرخص للأحزاب القديمة بالعمل لأنها كانت مثالاً للديمقراطية الفوضوية ، وفي التاسع من تشرين الثاني استدعت الأركان العامة للجيش فريقاً من السياسيين السوريين إلى اجتماع يعقد في نادي الضباط للاتفاق على ميثاق وطني يتعهد الجميع باحترام بنوده حتى الانتخابات التشريعية. وقد حضر الاجتماع سبعون ممثلاً عن الأحزاب والفئات السياسية ، وجرى خلاف حول مسألة السياسة الإشتراكية ، وانتهى النقاش بميثاق تضمنت صيغته النهائية أربع نقاط أساسية : الأولى كرست مبدأ الوحدة الشاملة والقائمة على أسس دستورية تحترم الحقائق

---

(١) – في ٢/١٠/٦١ صدر تصريح عن القيادة العسكرية العليا محدداً مهمتها كالتالي : " إن هذه الحركة الثورية ، هي حركة شعبية هدفها الحفاظ على كرامة الشعب والجيش وهي ليست رأسمالية ولا رجعية ولا امبريالية .. بل حركة تعكس مطالب الشعب في الدفاع عن القومية العربية ومبادئها المقدسة وتعمل على قيام وحدة بين الدول العربية الراغبة بذلك ، وتطبق اشتراكية سليمة على أسس غير مرتجلة ، وديمقراطية حقيقية بعيدة عن الفوضوية والاستبداد والديكتاتورية " راجع صحيفة الوحدة الكبرى ، دمشق ، عدد ٣/١٠/١٨٦١ .

(٢) – صوت العرب ، دمشق ، عدد ٣/١٠/١٩٦١ .

(٣) – م ٠ ن ، عدد ٢ /١٩٦١/١٠ .

الذاتية لكل دولة وكرست الثانية أسس تدعيم الاشتراكية والعدالة الاجتماعية وتطرقت الثالثة إلى الإصلاح الزراعي وضرورة تنظيمه في إطار الاشتراكية العربية . أما الرابعة فتضمنت مبادئ النظام البرلماني الدستوري الذي ستعتمده سورية [١] . ثم تحرك الضباط خطوة أخرى نحو استعادة سورية نظامها البرلماني ، ففي ٦١/١١/١٢ تم نشر مشروع دستور مؤقت مؤلف من ثمانية بنود تنص على أن سورية جمهورية ديمقراطية برلمانية ، وأنها دولة مستقلة ذات سيادة وهي جزء من الوطن العربي ، وأن المجلس النيابي الذي سيتشكل بالاقتراع العام سينتخب رئيساً للجمهورية وسيحضر خلال ستة أشهر مسودة دستور دائم للبلاد وحتى يتم ذلك فإن الوزارة ستمارس صلاحياتها وفقاً لأحكام دستور ٥ أيلول ١٩٥٠ [٢] . ثم حددت الوزارة الأول من كانون الأول موعداً للإستفتاء على الدستور والانتخابات التشريعية التي ستجري على أساس شخصي لا حزبي [٣] .

وقبل حلول موعد الانتخابات ، بدأت الخلافات بين أعضاء مجلس القيادة العليا تطفو على السطح . وبسرعة تم الاستغناء عن حلفاء الأمس ، وذلك عندما اتخذ مجلس النحلاوي العسكري قراراً بالقاء القبض على المقدم حيدر الكزبري بتهمة الخيانة والتآمر وقبض الأموال من ملك الأردن ، وأودع السجن بحيلة ، وبعد استجوابه تبيَّن أنه برئ من التهم المنسوبة إليه فأفرج عنه وسرح من الجيش [٤] . وقد كشفت تلك السابقة عما هو

---

(١) — نص الميثاق بالافرنسية في :

- Orient , "Documents" No 21. Ier trimestre 1962 / p.145 - 147 .

(٢) — راجع النص في الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية ،عدد١٤، ص١٠ ونصه بالافرنسية في

- Orient, Op. cit , p.148 .

(٣) — صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢١٠٥ ، تاريخ ١٩٦١/١١/١٦ .

(٤) — كان أساس التهم ، رسالة كتبها طلب فهد طليعة قائد كتيبة المدرعات الملكية الأولى إلى حيدر الكزبري يعلن فيها دعمه للحركة واستعداده لتقديم العون . وقد كانت تلك الرسالة مزورة ومصدرها ليس عمان بل شعبة المخابرات السورية التي لفقت التهم على المقدم الكزبري . راجع : ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار ، في دعوى الانفصال ، مطالعة النائب العام فريد عقيل . وقيل أن السبب في تنحية الكزبري هو رغبة النحلاوي في الاستئثار بالسلطة ولم يعترض أحد من ضباط المجلس على قرار النحلاوي راجع : زهر الدين ، مذكراتي ، ص ١٤٦ .

آت، في المستقبل القريب ، عندما ستهب رياح الجيش لتحطم السلطة البرلمانية ومعها حكم البرجوازية السورية المستعاد .

في ٣١ تشرين الثاني، وتحت ضغط الجيش قدمت حكومة الكزبري استقالتها [١] وتشكلت وزارة حيادية برئاسة عزة النص للاشراف على عملية الانتخابات العامة [٢] .

انتخابات الأول من كانون الأول وافرازاتها السياسية : أراد قادة المجلس العسكري وضع الجيش بمنأى عن تدخل السياسين وتجنّب عودة الصراعات بين الزمر والأحزاب السياسية ، وكما أشرنا سابقاً ، استبعدوا العودة إلى نظام الحزب الواحد، ولما كان من المستحيل تجريد التشكيلات السياسية من مواقعها وقواعدها ، تغاضى قادة الأركان عن قيام الأحزاب بتنظيم تشكيلاتها واستعادة قواها بشكل أو بآخر لخوض المعركة الانتخابية ، على أمل أن تؤدي نتائجها إلى قيام حزبين واحد سيمسك بالسلطة والآخر سيقوم بدور المعارضة البناءة . وتتشكل حكومة من الفنيين قادرة على التخلص من ضغط السياسيين [٣] . مثل هذا النظام سيجنب سورية العودة إلى مساوئ وتجاوزات برلمانية الماضي، ويضفي تألقاً على النظام الديمقراطي ، ويمنح البلاد الاستقرار اللازم .

---

(١) – بقي مأمون الكزبري في السلطة شهراً و ٢١ يوماً ، واستطاع النهوض بأعباء الحكم في فترة انتقالية عصيبة . وقد تم عزله بعد اعتقال نسيبه حيدر ، وحسب العظم فان السبب يرجع إلى إعلانه عن مشروع وحدة عربية فخاف الضباط أن يكون هدف الكزبري ترتيب علاقات تقارب مع الأردن والسعودية . راجع مذكرات العظم ، ج٣ ، ص٢١٧ . وحول قضية عزله راجع ، زهر الدين ، مذكراتي ، ص١٤٧ .

(٢) – تولى عزة النص رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية والدفاع ، فتح الله آسيون في وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والصناعة ، أحمد سلطان وزارة العدلية والأوقاف العامة ، نعمان الأزهري المالية والتموين والاقتصاد ، مصطفى البارودي وزير دولة للاعلام ووزارة الشؤون البلدية والقروية، أحمد السمان وزارة التربية والتعليم والارشاد القومي . راجع : مذكرات المجلس التأسيسي، مجلد رقم /١/ للعام ١٩٦١ – ١٩٦٢ ، ص٢١ .

(٣) – - M. Colombe, "la Republique Arabe Syrienne a la lumiere du coup d'Etat du 28 Mars" dans, Orient, No21, 1962 , p.11 - 17 . p.13 - 14 .

صباح الأول من كانون الأول ، وفي ظل ظروف استثنائية ، ومع استمرار العمل بقانون الطوارئ وحظر الأحزاب [١] ، وتحت ضغط فريق من الضباط القادة ، ووسط حملة عاصفة من إذاعات القاهرة تحث السوريين على مقاطعة الانتخابات جرت المعركة الانتخابية واستمرت ثلاثة أيام ، وقد تأثر مسارها بإفرازات عهد الوحدة وبذلك النظام الانتخابي الذي كان قائماً منذ ١٢ عاماً .

دخلت القوى اليسارية المعركة الانتخابية مشتتة وضعيفة جداً كان الحزب الشيوعي منهكاً بسبب الاضطهاد الشديد الذي عانى منه في العهد المصري والذي أوصل إلى ارتداد أعداد كبيرة عنه ، بينما قبع الآخرون في السجون ، ومع أن هذا الحزب قد أعلن في ١٠/٣/ ترحيبه بالانتفاضة ، وحاولت موسكو جاهدة بعد اعترافها بالنظام السوري في ١٠/٧/ ، الضغط على دمشق ليحظى هذا الحزب بحرية العمل ، فان قادة الانفصال تصرفوا بحذر شديد تجاه اليسار المتطرف ، فقد مُنع خالد بكداش من المشاركة في الحياة السياسية وأبعد من مطار دمشق ، ولم يتم اطلاق سراح السجناء الشيوعيين حتى الرابع من كانون الثاني عام ١٩٦٢ [٢] وخاض حزب البعث الانتخابات مفككاً ، فكحزب وحدوي تقدمي ، وجد قادته أنفسهم ، بعد توطد نظام الانفصال ، يعانون كرباً لم يستطيعوا الإفلات منه تمثل في عدم قدرتهم على اتخاذ خط واحد وواضح من الحدث ،

---

(١) – وضعت الحكومة قيوداً على الحملة الانتخابية فحظرت الدعاية في الاذاعة والصحف ، ومنعت الأحزاب من توزيع مناشير باسمها . هذا وقد قام وزير الداخلية وذكّر السوريين بأن الأحزاب ما تزال منحلة ونشاطاتها ممنوعة . راجع : صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ١٩٦١/١١/٢٥ .

(٢) – في تقرير موجه إلى الخارجية الأمريكية حول وضع الحزب الشيوعي بعد الانفصال، الآتي : " تجنب النظام المس بالاجراءات الشعبية التي تشكلت في النظام السابق، وعليه استمر الحظر على الحزب الشيوعي قائماً .. وتجنبت موسكو تأييد النظام الجديد حرصاً على علاقاتها مع ناصر وما إن أعطى ناصر الضوء الأخضر حتى اعترف الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية بالنظام السوري ، وهذا التردد في موقف موسكو يعزى إلى طابع الحكومة المحافظ المعادي للشيوعية ، وقد رحبت بعض الصحف الشيوعية بنهاية الحكم الديكتاتوري بينما وصفت صحيفة الـ Pravda الحكام السوريين بأنهم برجوازيون . وكانت مسألة حظر العمل على الحزب لشيوعي هي أساس الخلاف بين الكتلة السوفياتية والنظام السوري وتم حلها نسبياً بعد اطلاق سراح السياسيين الشيوعيين المعتدلين "

- F. o/ 371/157837/ Report of Oct 12/1961, p.4, 8.

فها هو صلاح الدين البيطار من أوائل السياسيين الموقعين على وثيقة دعم الانفصال وإدانة نظام الوحدة [1] بينما قام عفلق وأعضاء القيادة القومية في بيروت بصياغة سياسة اتخذ فيها الحزب دور معارضة النظام الانفصالي والدعوة إلى الوحدة والاشتراكية [2] أما الحوراني فكان انفصالياً غير خجول وتأقلم مباشرة مع جماعته مع النظام واتجه للعمل نحو النضال من داخله لتحقيق برنامجه السياسي [3] . وجماعة أخرى من البعثيين بقيادة سامي صوفان ساءها توقيع الحوراني والبيطار على وثيقة الانفصال ، وعُرف هؤلاء فيما بعد باسم " الوحدويين الاشتراكيين " وقد وضعوا أنفسهم ، مع تحفظ كبير ، في خانة الناصريين . أما اللجنة العسكرية فقد حافظت على تنظيمها السري واستقلاليتها ، وقد دعم ضباطها الذين عادوا من مصر انسحاب سورية من دولة الوحدة ، وتعاونوا مع مجلس النحلاوي العسكري [4] .

أما القوى السياسية اليمينية من مستقلين أو أعضاء في الأحزاب التقليدية التي حافظت على مواقعها في ظل الوحدة ، على الرغم من الاجراءات الاقتصادية التي مست مصالحها ، ولما كان انقلاب ٢٨ أيلول من صنع تلك القوى ولصالحها ، فقد انفسح المجال واسعاً أمامها لوضع أنصارها في السلطة ، إن في المراكز الحكومية الهامة أو في صفوف الجيش وقوى الأمن . وخاضت تلك القوى المعركة الانتخابية متمتعة باحترام

---

(١) – ظهر يوم ٢/١٠/١٩٦١ اجتمع رجال السياسة السوريين في منزل أحمد الشرباتي بطلب من قادة الجيش لاصدار بيان واضح لتأييد الانفصال . وشارك في الاجتماع ممثلو عن الاحزاب اليمينية واليسارية ، ماعدا الاخوان المسلمين ، ووضع ١٦ سياسياً صيغة البيان النهائي ووقعه كل من البيطار والحوراني ، والعظم ، والعسلي ، أمين النفوري ، أحمد عبد الكريم ، أحمد قنبر ، رشاد جبري .. وغيرهم . راجع : العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص٢٠١ – ٢٠٥ ، ونص البيان في : مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص٦٥ .

(٢) – حول البيانات التي نشرتها القيادة القومية في بيروت ما بين ٥ إلى ١٤ تشرين الأول ، راجع نضال البعث، ج٦ ، بيروت١٩٦٥، ص١– ١٩.

(٣) – مزيد من التفاصيل حول مواقف قادة حزب البعث موجودة في كتاب :
- I. Rabinovich, Syria .. , p.31- 36 .

(٤) – راجع : سامي الجندي ، البعث ، ص٩٧ – ٩٩ ، وزهر الدين ، مذكراتي ، ص٦٦ . و
- I. Rabinovich , Syria.. , p.31 - 32 .

الرأي العام باعتبارها الداعية للاستقلال السوري وللنظام الديمقراطي . كان الاقبال على الانتخابات شديداً إذ وصلت النسبة إلى ٦٠٪ وهي أعلى نسبة عرفتها الانتخابات السورية السابقة ، وكانت نسبة الموافقين على الدستور ٩٧،٠٦٪ من المقترعين [١] .

ومع بعض الاختلافات الطفيفة ، فإن المجلس المنبثق عن هذه الانتخابات يشابه في تركيبه السياسي ذلك المجلس الذي تشكل في انتخابات ٢٤ أيلول ١٩٥٤ : شكل حزب الشعب أكبر الكتل البرلمانية (٣٣) مقعداً والحزب الوطني (٢١) مقعداً وحزب البعث (٢٢) مقعداً ، الكتلة الاسلامية (١٦) مقعداً ، والمستقلون (٧٦) مقعداً . ونال الحزب السوري القومي الاجتماعي مقعداً واحداً ومثله حركة التحرير الشيشكلية [٢] وكان المنتصرون الأوائل خالد العظم خصم الوحدة العتيد (٣٣،٣٢٦) صوتاً ، يليه معروف الدواليبي (٣٣،٣٢٦) صوتاً ، ومأمون الكزبري (٣١،٣،٥٣) صوتاً ، صبري العسلي (٢٠،٨٠٥) صوتاً وحظي أكرم الحوراني ب (١٩،٥٠٠) صوتاً وبنجاحٍ ساحق لكامل مرشحي لائحته بينما هزم صلاح الدين البيطار مع جميع المرشحين البعثيين من جناحه ، وادعى البيطار أن ثمة تزويراً وقع في أمانة العاصمة لصالح المرشحين المحافظين [٣] وأن الجيش تدخل لطردهم ولإبعادهم عن السلطة ، وساهمت الفئات الناصرية في فشل البعثيين لانهم عدوا البعث حزباً انفصالياً خان مبادئه ، وكان لهذا الفشل دور هام في قرار عفلق– البيطار– محاربة نظام الانفصال والتآمر عليه [٤] .

في المجلس الجديد ، تمتع اليمين بأكثرية راجحة وبتفوق بارز على خصومه ، وتجلى ذلك في جلسة الافتتاح في ١٩٦١/١٢/١٢ حيث صوّت ١١٤ نائباً لصالح مأمون الكزبري مرشح اليمين ونال البعثي السابق جلال السيد المدعوم من حزب البعث العربي

---

(١) – الجريدة الرسمية ، الجمهورية العربية السورية ، عدد ١٧ ، تاريخ ٦١/١٢/٦ ، ص ١٠٠ .

(٢) – راجع أسماء نواب هذا المجلس في مذكرات المجلس التأسيسي الجمهورية العربية السورية /مجلد رقم١/ للعام ١٩٦١ – ١٩٦٢ ، ص٣ .

(٣) – للتوسع راجع : الصحف السورية الصادرة ما بين ٤ إلى ٧ كانون الأول ١٩٦١ و
- S. Jargy, "la Syrie d'hier et d'aujourd'hui" , p.68 - 70 .

(٤) – - M. Seymour, "the Dynamics of power in Syria since-Break with Egypt" in Middle Eastern studies, Vol6 , 1970, p.35 - 47, p.36 - 37 .

الاشتراكي وكتلة خالد العظم ٤٧ صوتاً فقط [١] وحظي حزب الشعب بحصة الأسد ، إذ انتخب النواب أبرز زعمائه د. ناظم القدسي أول رئيس للجمهورية العربية السورية في جلسة ١٢/١٤/ بأغلبية ساحقة (١٥٣ مقترعاً من أصل ١٧٠) بعد أن سحب خالد العظم ترشيحه [٢] وكُلف د. معروف الدواليبي ، الشعبي المحافظ ، تشكيل الوزارة الجديدة .

- وزارة معروف الدواليبي (١٩٦١/١٢/٢٢- ١٩٦٢/٣/٢٥) :

في ظل تقاليدها الدستورية ، استأنفت سورية حياتها الديمقراطية ، وبدأ العمل الجاد لإعادة البناء وترميم ما تصدع .

بمباركة الجيش ، وبعد أزمة وزارية قصيرة ، شكل الدواليبي في ٦١/١٢/٢٢ حكومة ائتلاف يمينية هيمن على حقائبها حزب الشعب والجناح الحلبي من الحزب الوطني ، ومستقلون مناصرون لحزب الشعب أو مدعومون من الجيش [٣] وعلى الرغم

---

(١) - راجع مذكرات المجلس التأسيسي ، مجلد رقم واحد ، للعام ١٩٦١ - ١٩٦٢ ، ص ٥ - ٧ .

(٢) - اختارت القيادة العسكرية زعيم حزب الشعب ، رشدي الكيخيا لرئاسة الجمهورية وأرسلت موفق عصاصة وسهيل العشي لمفاوضته فاعتذر عن القبول ورشح د. ناظم القدسي ، راجع : زهر الدين ، مذكراتي ، ص١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) - تشكلت الوزارة على النحو الآتي : الدواليبي رئيساً ووزيراً للخارجية (من حلب ، شعبي) جلال السيد ، نائباً للرئيس ووزيراً للزراعة (من دير الزور ، بعثي سابق) ورشاد برمدا وزيراً للتربية والتعليم (من حلب ، شعبي) وعدنان القوتلي وزيراً للاقتصاد (من دمشق ، مستقل) رشيد الدقر وزير للمالية (من دشمق ، مستقل) محمد عابدين للعمل (دمشقي ، مستقل) فؤاد العادل للاعلام والإرشاد (دمشقي ، مستقل) عبد الرحمن هنيدي للصناعة (من دير الزور ، حركة التحرير) مصطفى الزرقا للعدلية والأوقاف (من حلب ، من الاخوان المسلمين) أحمد قنبر للداخلية (حلبي ، شعبي) بكري قباني للاصلاح الزراعي (من دمشق ، من الحزب الوطني) محمد الشواف للأشغال العامة ، شعبي من اللاذقية) سهيل الخوري الشؤون البلدية والقروية (من دمشق ، حزب وطني) محمود العظم للصحة (من دمشق ، مستقل) أحمد علي كامل للمواصلات (من اللاذقية ، مستقل) نعوم السيوفي التخطيط (من حلب ، مستقل) نقلاً عن : خالد العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص٢٣٠ .

من مساعي الدواليبي ، فقد رفض خالد العظم وأكرم الحوراني وصبري العسلي المشاركة في الوزارة ، وكانت تلك أول عثرات هذه الحكومة التي اتهمت غالباً بالعمل لصالح الطبقة البرجوازية التي تنتمي إليها بينما اهملت مصالح باقي قطاعات المجتمع .

في الثامن من كانون الثاني ١٩٦٢ تلا الدواليبي بيانه الوزاري الذي تضمن برنامج عمل متطور على مختلف الأصعدة [١] ولاقى قبولاً وترحيباً من قبل غالبية أعضاء المجلس ، في حين خلق الحوراني جواً ضاغطاً عندما تصدى وكتلته لمهاجمة البيان [٢] وراحت العناصر البعثية والناصرية تنظم التظاهرات والاضرابات وأعمال الشغب إبان جلسات المناقشة [٣] وفي ١٤ منه نالت الحكومة الثقة بأغلبية ١٣٣ صوتاً [٤] .

بدأ الدواليبي بيانه منوهاً بتجربة الوحدة قال " لن نردد الشكوى وفداحة الأخطار بل علينا أن نتخذ مما جرى درساً بليغاً .. " وأن سورية ستستمر في السعي للوحدة العربية متجنبة الأخطار التي أدت إلى الانفصال " ثم أكد : أن قضية فلسطين ستبقى الشغل الشاغل لسورية ، كما أعرب عن دعم سورية المطلق لشعب الجزائر ، وبأن الواجب يقضي بالتعاون مع الجامعة العربية حتى تصبح قادرة على تحقيق أماني العرب . وفي السياسة الخارجية فإن الحكومة ستلتزم بميثاق الأمم المتحدة وبمبدأ الحياد وستعمل على توثيق روابطها مع الدول الافرو أسيوية وخاصة مع الشعوب الاسلامية . ثم عرض البيان للسياسة الدفاعية فأكد أن الحكومة ستعمل جاهدة لتقوية الجيش وتوفير جو هادئ له بعيداً عن التيارات السياسية والمؤامرات الحزبية حتى يبقى جيش الشعب وحصن الوطن. شغل البرنامج الاقتصادي الحيز الأكبر من البيان ، فبعد أن نوّه بالأضرار التي لحقت

---

[١] — راجع نص البيان في : مذكرات المجلس التأسيسي ، ص٢٠ - ٢٩ .

[٢] — قال الحوراني إن ١٧٢ نائباً لا يبنون وطناً انما يبني الوطن كل ابنائه من عمال وفلاحين ومثقفين وموظفين ورجال الجيش وحجب مع جماعته الثقة عن الحكومة . وللتوسع راجع : م . ن ، ص٥٢ - ٦٣ .

[٣] — F. o/ 371/ 170593 / Annual Review of Syria covering the year 1962 , Confidential No 41, Jannuary 25 , 1963 , p.1 - 17, p.4 .

[٤] — مذكرات المجلس التأسيسي ، م . ن ، ص١٧١ .

بالاقتصاد السوري في العهد الناصري ، رأى وجوب السير وفق خطة للتنمية تتفق مع الامكانيات المالية الواقعية ، وعليه ستعمد إلى إعادة النظر في الخطة السابقة لتكون ملبية حاجات البلاد وغير مخلة بسلامة الوضع المالي والنقدي . وأعلن أن الحكومة متمسكة بمبادئ قانون الإصلاح الزراعي وستعمل على تقويم الاعوجاج ورفع الحيف عند تطبيقه ودراسة المآخذ على بعض أحكامه وهي ستعتمد النظام الاقتصادي الذي يقوم على احترام الملكية الفردية وتشجيع المبادرة الفردية وحمايتها وعليه ستعمد في قوانين التأميم إلى اتخاذ الإجراءات التي تضمن حقوق المواطنين بما لا يتعارض مع المصلحة العامة وهي ترى لهذا إلغاء قوانين التأميم الكلي والجزئي بشكلها الراهن " ومن ثم أعلن الدواليبي تبني الحكومة مبدأ الحرية الاقتصادية ، وإعادة حرية النقد ودعم الاحتياطي من القطع الأجنبي، والأخذ بمبدأ مواطنية رأس المال العربي والترحيب بالقروض والتسهيلات الأجنبية ، وستعتمد الحكومة نظاماً ضريبياً يتمشى مع مقتضيات العدالة الاجتماعية ، وستعمل على توفير العمل ورفع مستوى الفئات العاملة ورعاية المنظمات والنقابات العمالية وتشجيع الحركة التعاونية " وأبدى الدواليبي استعداده لاطلاق الحريات العامة بعد أن تتفاهم الحكومة والمجلس حول موعد إلغاء قوانين الطوارئ ، وأخيراً وجّه الشكر إلى جيش البلاد " الذي أعاد إلى سورية الحرية والحقوق الشرعية للسلطات الدستورية " [١] .

وقفت حكومة الدواليبي وجهاً لوجه أمام ركام من المشاكل الاقتصادية والتشريعية والحريات العامة والعلاقات الخارجية ، وكانت ظروف سورية تتطلب إصلاحاً جذرياً خاصة في الحقل الاقتصادي وأول الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة في هذا المضمار وأخطرها هي الإسراع المفرط في طريق التحرر ، ففي جلسة ٦٢/١/٢٩ طرحت أمام المجلس ثلاثة مشاريع قوانين الأول حول مسألة التأميم والثاني وضع المؤسسات المصرفية والثالث تعديل قانون الإصلاح الزراعي [٢] .

---

(١) راجع : مذكرات المجلس التأسيسي ، ص٢٩ .

(٢) – راجع نص هذه المشاريع في م . ن ، ص٢٣٨ – ٢٤٦ . إن هذه الإجراءات التي اتخذتها الحكومة كانت بتوصية من البنك الدولي لإعادة الثقة بالنظام مما يتيح عودة رؤوس الأموال التي هربت إبان الوحدة، أو ربما يكون البنك قد فرضها كشرط لمنح سورية قرضاً لتمويل مشاريع التنمية . راجع :
- F. o/ 371/ 170593/ Annual Review of Syria in 1962 , p.5 .

إن توجه الحكومة نحو إلغاء أو تعديل القوانين الاشتراكية التي وضعت في العهد المصري ، واعتمادها نظام الاقتصاد الحر كنظام ثبتت ملاءمته لبنية اقتصاد البلاد ، قد قاد سورية إلى هزات عنيفة ، فإذا ما كانت الأخطاء التي ارتكبت في العهد السابق مدانة من قبل قطاع واسع من السوريين ، إلا أن نظام الوحدة افتتح في سورية أشكالاً جديدة للعلاقات الاجتماعية – الاقتصادية خلفت صدى قوياً لدى الجماهير كما في أفكار القوميين العرب من سياسيين وضباط حيث سادت الايدولوجية الناصرية القائمة على ارتباط القومية العربية بالاشتراكية ، وعليه فإن عمل الحكومة قد مسّ ليس فقط مصالح العمال والفلاحين بل أيضاً مبادئ القوميين العرب الذين حكموا على النظام بأنه رجعي انفصالي [1] .

ناقش مجلس النواب السوري مشروع تنظيم أوضاع المنشآت الصناعية (التأميم) وسط أجواء حادة قادها الحوراني وجماعته بمواجهة اليمين صاحب الأغلبية ، وطالب بإحالة المشروع إلى لجنة الإقتصاد فتشكلت لجنة مثلت بأكثرية أعضائها الفعاليات الاقتصادية السورية ووضعت تقريرها النهائي لصالح الطبقة التي تنتمي إليها وطُرح على المناقشة فنال ١١٥ صوتاً مقابل ٢٧ وامتناع ١١ نائباً من التصويت [2] .

تضمن القانون الجديد فصلين : الأول خاص بتنظيم أوضاع الشركات غير المشمولة بالتأميم وفرض على كل شركة يزيد رأسمالها عن ٢،٥ م. ل. س ان تتخذ شكل شركة مساهمة وتطرح ما لا يقل عن ٦٠٪ من أسهمها على الاكتتاب ، وأن يكون للعمال والمستخدمين ٢٥٪ من الأرباح الصافية حسب المرسوم التشريعي الصادر في ٣ تموز ١٩٦١ ونصف إجرة يوم العطل وفقاً لاحكام المرسوم التشريعي الصادر في ١٩٦١/١١/٦ بالاضافة إلى ما يصيبهم من أرباح الأسهم التي سيتاح لهم تملكها ، وألغى الفصل الثاني بالكامل مراسيم تأميم الشركات ذوات الأرقام ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ (تموز ١٩٦١) وأعاد الأسهم إلى مالكيها السابقين على ألا تتجاوز ملكية المساهم الواحد ٧٪ من

---

(١) – I. Rabinovich , Syria .. , p.27 - 28 .

(٢) – أقرّ القانون الجديد في جلسة ١٥ شباط ١٩٦٢ . راجع : مذكرات المجلس التأسيسي ، ص٣٦٨ .

مجموع أسهم الشركات التي لا يتجاوز رأسمالها إلى٥ م. ل. س و٥٪ عن الشركات التي يزيد رأسمالها عن ذلك وفرض أن تلتزم الدولة بتسديد قيمة الأسهم الباقية ودفع التعويض لمالكيها وتخصص ٥٠٪ من الأسهم الزائدة لتباع للعمال والمستخدمين وتطرح الـ ٥٠٪ الأخرى للبيع [١] . وهكذا أجهز اليمين السوري على القوانين الاشتراكية التي اتخذت في ظل نظام الجمهورية العربية المتحدة وافتقد بعمله هذا إلى الحكمة والتعلم من دروس الماضي .

وفي منتصف شباط بدأ المجلس مناقشته مشروع " إعادة تنظيم القطاع المصرفي " وقد رأت الحكومةُ المحافظةَ على التأميم الجزئي للمصارف المؤممة في تموز ١٩٦١ إلا أن الفعاليات المالية والتجارية ضغطت لتجاوز موقف الحكومة ورفع التأميم عنها كلياً ، وطالبت تلك الفعاليات بإعطاء الحرية الكاملة للمصارف الوطنية الخاصة والسماح للمصارف الأجنبية باستعادة نشاطها تحت إشراف المصرف المركزي ومجلس النقد ، وجرى في البرلمان نقاش حول حرية عمل المصارف الجنبية وطالب بعض النواب بوجوب تملك المصارف السورية ٢٥٪ من أسهمها ، وجرّ هذا إلى تأجيل البت في هذا المشروع حتى آذار [٢] .

واحتدم الصراع عنيفاً في البرلمان ، عندما طرحت اللجنة المكلفة دراسة مشروع " تعديل قانون الاصلاح الزراعي ، تقريرها للمناقشة في جلسات حضرها الغالبية العظمى من النواب [٣] وقد طالب الاشتراكيون إقصار التعديل على مدة تسديد ثمن الأرض المستولى عليها وزيادة المساحات المسموح بامتلاكها في منطقة الجزيرة فقط بينما أراد النواب من كبار الملاكين المتضررين من الإصلاح يساندهم الرأسماليون تعديلاً يشمل زيادة مساحة الملكية ، وتسليم الأراضي غير المستولى عليها إلى أصحابها بدون فلاحين أو مستأجرين ، وتوزيع الدولة الأراضي على الفلاحين

---

(١) - راجع نص القانون الجديد في مذكرات المجلس التأسيسي ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ .

(٢) - راجع مذكرات المجلس التأسيسي ، ص٥٨٤ .

(٣) - قدمت اللجنة في أول تقرير لها مشروعاً لمصلحة المالكين المطلقة ، فرفضته الحكومة فعدلت اللجنة مشروعها وقدمت اخر أكثر تحفظاً . راجع : م . ن ، ص٣٤٤ وما يلي .

مجاناً على أن تتكفل بتسديد قيمتها للمالكين [1] وقد رأى الحوراني أن في ذلك قضاءً كاملاً على الإصلاح الزراعي وبالتالي اتسعت الهوة بينه وبين السياسيين التقليديين الذين وإن شاركهم شعورهم المعادي للناصرية إلا أنه لم يستطع وجماعته التأقلم مع سياستهم الاجتماعية والاقتصادية .

في ١٧ شباط أقرَّ المجلس القانون رقم/٣/ المعدل لقانون الاصلاح الزراعي بأغلبية (٩٢ صوتاً) ومخالفة ٣٠ واستنكاف سبعة نواب [2] .

نص التعديل على رفع سقف الملكية إلى حدٍ أنقص مساحة الأراضي التي يمكن مصادرتها بمقدار الثلثين وضاعف من مساحة الأراضي التي يمكن تملكها في الجزيرة وجبل العرب وشرقي الفرات وسمح لأولاد وزوجات المالكين ، مهما بلغ عددهم ، امتلاك مساحات من الأرض ، وحسَّن القانون الجديد شروط دفع التعويضات لمالكي الأرض المصادرة ، ونص على إعادة الأراضي التي صودرت سابقاً إلى مالكيها شاغرة شرط التعويض على الفلاح أو المستأجر بأراضي جديدة ، وعلى توزيع الأراضي مجاناً على الفلاحين على أن تتولى الدولة دفع التعويض للمالك [3] .

طيلة مدة مناقشة مشروع تعديل قانون الاصلاح الزراعي ، ضاعفت إذاعة صوت العرب من القاهرة هجومها على النظام : فهو انفصالي ورجعي وعميل الرأسمالية ومستلب حقوق الجماهير الكادحة ، وها هو يطبق نظام الاستغلال في المصانع والاقطاع

---

[1] – لمن يريد الاطلاع على مناقشات النواب يمكنه مراجعة مذكرات المجلس التأسيسي ، جلسات ١٣ و١٥ و١٧ شباط ١٩٦١ ، ص٣٦٠ – ٥٨٠ .

[2] – راجع نص القانون المعدل في : م . ن ، ص ٥٨٠ – ٥٨٤ . وكان النواب المخالفون هم : أحمد اسماعيل ، أحمد ضحية ، أحمد عبد الكريم ، أحمد نور اليوسفي، أكرم الحوراني ، الوليد عبد الرحمن ، أمين النفوري ، حسين مريود ، خالد سرحاني ، خليل جرجس دعاس ، خليل كلاس ، دحام الدندل ، راتب الحسامي ، صبحي طه ، عبد الغني قنوت ، عبد الله جسومة ، عبد الهادي عباس ، فهمي عاشوري ، محمد الأصغري ، محمد الحسن ، محمد ناصر ، محمد عصورة ، محمد علي عدي ، محمود الحكيم ، مصطفى حمدون ، مصطفى الكعكجي ، نايف جربوع، نواف عامر، هاني السباعي . راجع : م . ن ص ٥٨٠ .

[3] – راجع نص القانون رقم ٣ في : م . ن ، ص٥٨٠ – ٥٨٤ .

الأناني والمستبد في الأرياف ، وراحت تلك الاذاعة تصم كل عضو في الحكومة بتهم جائرة وتحث الجيش والجماهير على الانتفاضة [1] ، وقد ردت الجماهير السورية المستاءة من تعديل قانون الاصلاح الزراعي ، بتظاهرات احتجاج عنيفة في أكثرية المدن السورية وآتت حرب القاهرة الاعلامية ثمارها الأشهى في أوساط الجيش حيث استقبل بعض الضباط المتأثرين بافكار القومية العربية والاشتراكية أعمال الحكومة بتحفظ شديد ، في حين رأى فيها البعض الآخر ما يعرض استقرار النظام للخطر ، وكان هذا من العوامل التي حركت الضباط في ٢٨ آذار ضد الحكومة والمجلس معاً .

تضافرت سياسة الحكومة الاقتصادية الليبرالية مع فشلها في تحقيق أي تقارب أو هدنة بسيطة مع مصر لتعطي مصداقية لاتهامات القاهرة ، وبدأت الشكوك تحوم حول انها تعمل لصالح الطبقة البرجوازية التي تمثلها على حساب الطبقات الأخرى ، وفكرت الحكومة في تحسين صورتها وذلك باثارتها مسألة التهديد الاسرائيلي ، وراحت بالتالي تتهم إسرائيل بالعمل على تحويل مياه الأردن وقامت في آذار بحملة لتحريك الرأي العام العالمي ، وتوجهت نحو موسكو فكانت أول بعثة عسكرية - اقتصادية إلى الاتحاد السوفياتي بهدف تنظيم الجيش السوري وتجهيزه [2] ، وردت اسرائيل في ١٦ آذار بشن

---

[1] - من الجدير ذكره في هذا المضمار أن الحكومة السورية لم تحاول الرد على حملة القاهرة الاعلامية لأن الرئيس القدسي قد أمر بانهاء ميزلة تبادل التهم والشتائم راجع : زهر الدين ، مذكراتي، ص١٢٨ . إلا أنه على أثر الخطاب الصاعق الذي ألقاه عبد الناصر في ٢٤ شباط وفيه شبه الحكومة السورية بعدائها للشعب العربي بحكومة تل أبيب وتعرض للرئيس الدواليبي مستعيداً علاقاته مع الحكم الملكي في بغداد . فقام الدواليبي وحمل أمام المجلس حملة شعواء على عبد الناصر فاتهمه بالعداء للوحدة وبالتآمر على استقرار سورية وأثارت كلمته ضجة وبلبلة بين النواب . راجع : مذكرات المجلس النيابي ، م . ن ، ص٦٢٢ - ٦٢٩ .

[2] - غادر الوفد السوري برئاسة رشاد برمدا دمشق في ١٣ آذار وكانت تلك أول خطوة يتخذها النظام الانفصالي باتجاه الكتلة الشرقية وكانت سورية قد توجهت إلى دول الحلف الأطلسي لطلب المعونات الاقتصادية وقد رحبت دول هذا الحلف في اجتماعها في ٢٤ تشرين الأول بطلب الحكومة السورية ووعدت بتقديم السلاح والمعونة الاقتصادية راجع :

- F. o/ 371/ 157837/ U.K. delegation to NATO. Oct 26. 1961 .

وقد رحبت اسرائيل بتقديم الغرب معونات وسلاح لسورية كي لا تتوجه نحو السوفيات ويعود

هجوم عنيف على المركز السوري في المنطقة المجردة ، مما دفع بالحكومة السورية نحو مزيد من التقارب مع بغداد وهزت بذلك أسس سياسة التوازن التي اعتمدها نظام الانفصال في علاقاته مع الدول العربية .

انطلاقاً من الحرص على استقرار النظام الجديد ، اتجه مجلس القيادة العسكري والحكومة المؤقتة نحو إقامة علاقة توازن بين العواصم العربية وتجنب الخوض في الصراعات العربية – العربية التي قادت سورية إلى خسران استقلالها . تلك السياسة برزت في مشروع الفيدرالية العربية التي طرحتها الحكومة في ١١ تشرين الثاني ١٩٦١ والتي توجهت فيها إلى كل الدول العربية دون تمييز [١] وفي هذا السياق لم يتوان القادة العسكريون عن إقصاء المقدم حيدر الكزبري الذي مثل خطأ أم صوابا في أجهزة الإعلام المصرية على أنه عميل للملك حسين ، هذا وقد أصبحت علاقات سورية مع الأردن فاترة منذ أن اتهمت حكومته بأنها " أداة للامبرياليين " الذين كانوا وراء انقلاب القوميين السوريين في لبنان ليلة رأس السنة [٢] ومع ذلك ظلت مصر تعامل سورية كعدو ورفضت تسليم المعدات العسكرية التي تقدر قيمتها بـ ٢٠٠ مليون ل. س ولما فشلت محاولات النظام الانفصالي في التقرب من القاهرة كان عليه أن يفتش عن حلفاء جدد ، هذا الواقع بالاضافة إلى الصعوبات الاقتصادية دفع بحكومة الدواليبي نحو الجار الأقرب، نحو العراق ، وفي هذا الإطار وقعت سورية والعراق في ١٣ كانون الأول ١٩٦١ على اتفاق تعاون اقتصادي ومنه انتقلنا إلى التعاون العسكري ، ففي ١١ كانون الثاني ١٩٦٢

معه خطر النفوذ الشيوعي إلى سورية . راجع :

- F. o/ 37/ 157837/ Reports of 16 Oct 1961 .

(١) – راجع النص في :

- Orient . No20 , 1962 . Documents, p.77 .

(٢) – اتهمت مصر الأردن بضلوعه في التدبير لانقلاب القوميين ومنذ ذلك الوقت أصبحت علاقات سورية مع الأردن فاترة جداً ، وقد استمرت الشكوك السورية والعربية تحوم حول موقف الملك حسين ، الذي كان أول من أيد نظام الانفصال ، حول تطلعه كما فعل أسلافه إلى سورية على أنها منطقة خاصة بهم ، ومع ذلك لم يندفع كثيراً نحو التقارب مع سورية خوفاً من أن يصبح ثانية أول ضحية في مجرى انتقام عبد الناصر مع أنه كان يعتمد كثيرا على دعم القوى الغربية وكراهية اسرائيل لعبد الناصر، راجع :

- F. o/ 371/ 170593/ "Annual Review of Syria in 1962 , p. 3 .

قدم إلى دمشق وفد برئاسة وزير خارجية العراق وكان من بين أعضائه كبار الضباط العراقيين وبعد يومين من المباحثات تم الإعلان عن قيام تحالف بين الدولتين توج في الميدان العسكري بقدوم بعثة تضم ١٥٠ ضابطاً عراقياً إلى سورية [١] وفي ١٤ و ١٥ آذار اجتمع في منطقة الرطبة العراقية على الحدود مع سورية رئيس الجمهورية د. ناظم القدسي ورئيس وزراء العراق الزعيم اللواء عبد الكريم قاسم وصدر عن الاجتماع بيان مشترك نص على وجوب معالجة الصعوبات والمشاكل التي تعترض العلاقات بين دمشق وبغداد والأخطار التي تحيط بالعالم العربي ، ووجه البيان دعوة إلى الدول العربية كافة لعقد مؤتمر خلال ثلاثة أشهر لمعالجة الأوضاع العربية والتوصل إلى حلول لها . وأكد البيان رفض الدولتين للمشاريع التي تتطلع إليها جهات معينة مثل مشروع سورية الكبرى والهلال الخصيب ومشاريع إمارات الخليج ، وتقدم البيان باقتراحات لقيام اتفاقيات عسكرية واقتصادية وثقافية بين الدول العربية وإيجاد أداة سياسية فعّالة توجه السياسة الخارجية للدول الداخلة في اتفاق عسكري ، وختاماً توجه المؤتمرون إلى إخوانهم في أرجاء الدول العربية لوضع المصلحة العربية العليا فوق كل اعتبار وأن تكون تلك المبادرة عاملاً لاتحاد العرب وإعلاء شأنهم [٢] . وقد أشار الدواليبي في إطار عرضه لوقائع مؤتمر الرطبة : " إلى أن المباحثات تطرقت إلى امكانية عقد اتفاق وحدة مع العراق تكون نموذجاً لبقية الدول العربية إلا أن رغبتنا الصادقة في الاتفاق مع الجميع هي التي دفعتنا إلى الدعوة إلى مؤتمر عربي لبحث إمكانية الوحدة مع الجميع كل حسب رغبته وامكانياته " [٣] . إلا أنه كان من الواضح أن مؤتمر الرطبة قد انبثق عنه محور جديد على أنقاض محور دمشق – القاهرة القديم هو محور دمشق – بغداد وهدفه الحؤول دون سقوط سورية ثانية في الفلك المصري .

---

(١) – M. Colombe, "la Republique arabe Syrienne a la lumiere d'un coup d'Etat de 28 Mars" dans Orient No21, 1962, p.11 - 17 , p.16 .

(٢) – راجع النص في : مذكرات المجلس التأسيسي، مجلد رقم واحد للعام ١٩٦١/١٩٦٢ ، ص٢٧ –٢٩ .

(٣) – م . ن ، ص٢٦ – ٢٧ .

أثار التقارب مع العراق هزة داخل سورية فقد خاف رجال الجيش أن يؤدي هذا التقارب إلى قيام تحالف على شكل وحدة أو اتحاد ، خاصة وأن حكام اليوم لطالما تطلعوا إلى هذا الاتحاد الذي قد يجر إلى دخول فرق عراقية إلى الأراضي السورية بهدف الدفاع عن سورية ضد أي هجوم اسرائيلي محتمل ظاهرياً وفعلياً كبح جماح الجيش السوري ذاته [1] ، كذلك نظر الجيش إلى مشروع القدسي – قاسم على أنه سلاح ضد القاهرة التي تعتبر العراق الخطر الأساسي الذي يهدد مشاريعها في سورية وعليه ستواجهه بعنف شديد مما سيدفع بدوره حكومة الدواليبي إلى مزيد من التحالف مع العراق وبالتالي إلى عزلة سورية عن العالم العربي انطلاقاً من كون لبنان متردداً في عقد تحالف مع سورية ومن كون السعودية والأردن على خلاف مع العراق حول مسألة الكويت [2] وهكذا انهار رهان قادة انقلاب الانفصال على اقامة توازن بين العواصم العربية وعاد بالتالي الشبح المصري يهدد استقلال سورية ، وعليه منذ أن اندفعت حكومة الدواليبي باتجاه العراق فتحت ثغرة بينها وبين الأركان أصبح من الصعب ردمها .

تفجرت الأزمة بين الجيش والحكومة ، عندما ارتفعت أصوات النواب تطالب بإلغاء قوانين الطوارئ وإطلاق الحريات العامة ، وقاد حملة المطالبة بالديمقراطية أكرم الحوراني وخالد العظم ونالت دعماً قوياً لدى النواب الذين أرادوا بأكثريتهم التخلص من هيمنة الجيش على الحكم ، وأمام مطالب النواب الملحة سمح رئيس الوزراء بمناقشة هذه القضية في جلسة ٢٤ آذار حيث ارتفعت الأصوات مطالبة الحكومة إدراج مشروع تنظيم الحريات العامة سواء ما يتعلق منها بحرية الصحافة والفكر والنشر أو تلك التي تنظم الحركة السياسية والحزبية ، ونوه بعض النواب بضرورة وضع حد لتدخل الشعبة السياسية بشؤون الأفراد ، وجرى نقاش حاد بين الدواليبي وبعض النواب أكد في نهايته رئيس الوزراء أنه جاهز لتقديم استقالة حكومته ووضعها تحت تصرف المجلس التأسيسي حتى يتاح تشكيل حكومة اتحاد وطني قادرة على إلغاء قوانين الطوارئ وإعادة الحريات

---

(١) - F. o/ 371/ 170593/ Annual Review of Syria in 1962 , p.2 .

(٢) - M. Colombe, la Republic arabe Syrienne .. . p.16 - 17 .

العامة وتحمل المسؤولية في الظروف الاستثنائية التي تجتازها البلاد [1] . وفي ٢٥ آذار قدّم الدواليبي استقالة حكومته سراً ، وقوطعت المحاولات لتشكيل حكومة اتحاد وطني في ٢٨ آذار عندما أصبحت دمشق مسرحاً لانقلاب تصحيحي جديد قاده النحلاوي وجماعته ضد الحكومة والمجلس اللذين تشكلا نتيجة انقلابهم الأول .

انقلاب ٢٨ آذار وذيوله [2] : ليل ٢٧ – ٢٨ آذار عصفت رياح الجيش من جديد بالحياة الديمقراطية في انقلاب نفذه أبطال انقلاب الانفصال (النحلاوي وجماعته) وتلاه انقلاب مضاد في حمص وآخر في حلب ، وحتى ٣ نيسان تاريخ نهاية الأزمة عاشت سورية أياماً عصيبة وأحداثاً خطيرة ودامية أصبح خلالها المصير على شفير الهاوية .

صباح ٢٨ آذار أعلن قادة الانقلاب أن حركتهم تهدف إلى تصحيح مسار ثورة ٢٨ أيلول ، وتأكيداً لهذا بثت القيادة العسكرية العليا أول بيان تحت الرقم ٢٦ كلاحق لارقام البيانات التي أذيعت إبان انقلاب ٢٨ أيلول ١٩٦١ وفيه : " أنها تحقيقاً لرغبات الشعب وحفاظاً على مكاسبه وأمنه واستقراره وحرياته التي حققها الجيش في ثورة ٢٨ أيلول تعلن أن الجيش قد استلم زمام الأمور في البلاد .." وندد البيان بما أقدمت عليه حكومة الدواليبي من " تآمر واستغلال وسوء استعمال السلطة " وإن هدف الجيش إعادة

---

(١) – راجع وقائع هذه الجلسة في مذكرات المجلس التأسيسي ، ص٨٥ – ٩٥ .

(٢) – حول أحداث هذه الحقبة اعتمدنا المصادر والمراجع الآتية : وثائق محكمة أمن الدولة العليا الاستثنائية ، دمشق ، دعوى قضية حركة حلب (٣١/٣/٦٢ – ٣/٤/١٩٦٢) من ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار وكيل الدفاع عن جهة " الإدعاء الشخصي " . وزهر الدين ، مذكراتي ، ص٢١٠ – ٢٢٦، خالد العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص٢٦٦ – ٢٨١ . مطيع السمان، وطن وعسكر ، ١٢١ – ١٥٢ – الصحف السورية الدمشقية ، الصادرة ما بين ٣/٤/١٩٦٢ حتى ٢٠/٤/١٩٦٢ و :

- F . o / 371 / 170593 / Annual Review of Syria in 1962 . p.2 . cf . t. Petran Syria . p.156 - 158 . I . Ravinovich . Syria under the Ba'th . p.30 - 35 . E. Be'eri . Army officers . p.146 - 149 . cf. B. vernier . le Role politique de l'Armee en Syrie . "Reveu de la Politique etrangere" Paris 1965. No5. p.480 - 486. cf. M. Colombe . la Republique arabe Syrienne .. . p.11 - 17 .

الوحدة والإصلاح الزراعي والتأميم ، وتتالت البيانات حتى الرقم ٣١ وفيها أعلن عن : إغلاق الحدود البرية والبحرية والجوية ، حل المجلس التأسيسي ، استقالة رئيس الجمهورية ، استقالة الوزارة ، ثم المرسوم رقم واحد القاضي بتولي القيادة العامة للجيش مهام السلطتين التشريعية والتنفيذية ريثما يتم تشكيل حكومة انتقالية [١] .

وكان قد جرى في الساعات الأولى من فجر ذلك اليوم اعتقال رئيس الجمهورية وإيداعه المستشفى العسكري وسجن مائة شخصية سياسية واقتصادية في سجن المزة منهم رئيس مجلس الوزراء والوزراء ، ورئيس المجلس التأسيسي وبعض النواب وأعضاء الشركة الخماسية [٢] .

لا حاجة للقول أن الشعارات التي رفعها النحلاوي وجماعته كانت تخفي وراءها هدفاً أساسياً هو تمكين سيطرة الجيش على الحكم ومحاولة مصالحة القاهرة مع النظام العسكري الذي سيقوم على أنقاض النظام القديم .

كانت القاهرة متورطة في الانقلاب الذي أطاح بالحكم المدني ، فقد أرادت بكل الوسائل اسقاط حكومة الانفصاليين وانهاء التقارب العراقي – السوري ، ومهدت وسائل اعلامها الطريق أمام الانقلابيين الذين اعتقدوا أن أكثرية الشعب غير راضية عن الاتجاه الذي سارت عليه الحكومة وأن الفرصة سانحة للتحرك . وقد كشفت محاكمة المتورطين في قضية حلب أن خيوط المؤامرة بدأت عندما توجه وفد من الضباط السوريين إلى القاهرة للتفاوض بشأن استعادة المعدات العسكرية السورية ، وهناك ناقشوا مع عبد الناصر مأساة الوحدة وأعرب ناصر للضباط عن زهده باعادتها مع حرصه على تحرير الشعب السوري من السياسيين المستغلين وبأنه على استعداد لاقامة علاقات ودية مع حكومة عسكرية تقوم على أنقاض الحكم البرلماني . وقد نقل الضباط إلى النحلاوي ما سمعوه فقرر الإطاحة بالسياسيين وبسط سيطرته على الجيش والحكم معاً ، لكن ناصراً كان يريد إنهاء الحكم البرلماني تهيئة لحكم آخر غير حكم النحلاوي وزمرة ضباط

---

(١) – راجع نصوص هذه البيانات في كتاب ، مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص١٢٢ – ١٢٣ .

(٢) – تفاصيل عملية الاعتقال وبعض أسماء الشخصيات المعتقلة وأوضاعهم داخل السجن في كتاب مذكرات خالد العظم ، ج٣ ، ص٢٦٦ – ٢٧٥ .

الانفصال ، وعليه عمل على جبهة الناصريين والبعثيين ، وكان من المعروف أن حركة النحلاوي لن تستمر أكثر من ساعات [1] ، من حيث انها سارت في اتجاه خاطئ ، فعندما حطمت رموز الديمقراطية بهذه الطريقة الفظة ، أثارت غضب الجماهير السورية التي انطلقت للتو في تظاهرات شعبة في المدن الرئيسة كما هي الأقاليم النائية ، وراحت تنادي بعودة الديمقراطية ، ولعل اضخمها كانت تلك التي قامت في حمص تطالب باطلاق سراح القدسي والسياسيين المعتقلين [2] وقد كشفت تلك التظاهرات العفوية عن مدى تعلق الشعب السوري بالنظام الديمقراطي وشجبه تدخل الجيش في الحياة السياسية . أما على صعيد الجيش لم يكن النحلاوي أكثر من زعيم لزمرة من الضباط الدمشقيين [3] لا يملك سيطرة فعلية على الزمر العسكرية الأخرى التي وإن تعاونت وأيدت حركته في البدء إلا أنها ما عتمت أن انسحبت منها عندما سار في اتجاه مخالف لمنحاها . وجرّ هذا إلى تمرد وعصيان على القيادة العامة وانقسم الجيش إلى شيع وانعدمت روح الانضباط والنظام ، وأصبحت سورية مهددة بحرب أهلية مميتة .

كان الجيش السوري يضم اتجاهات مختلفة : فريق مخلص للوحدة قد ساءه انفصال سورية عن مصر ، فريق آخر أراد إزالة الغبن الذي فرضته القيادة العسكرية

---

(1) – راجع : وثائق محكمة أمن الدولة العليا ، مرافعة المحامي سليم عقيل ، وقرار المحكمة الصادر بتاريخ ١٧/١/٦٣ . وقد اتيم زهر الدين في مذكراته القاهرة بالتورط في الانقلابات الثلاثة ، راجع ص٢١٧ . وكذلك فعل خالد العظم في مذكراته ، ج٣ ، ص٢٨٢ ، وأشار مطيع السمان إلى أن الاتصالات مع القاهرة قام بها العميد زهير عقيل ، والعقيد محمد منصور والرائد ثائر الرفاعي وأن كلاً من د. فريد زين الدين ونهاد القاسم وجماعته وفريق من القوميين قد وضعوا خطة الانقلاب لإعادة الوحدة مع مصر . راجع كتابه وطن وعسكر ، ص١٢٣ – ١٢٤ . وقد كشفت مباحثات الوحدة الثلاثية التي جرت في القاهرة في آذار ونيسان عام ١٩٦٣ تورط الأتاسي والضباط الوحدويين في التحضير لانقلاب ضد حكومة القدسي – الدواليبي مع عدد من الزمر العسكرية بما فيها زمرة النحلاوي . راجع محاضر جلسات مباحثات الوحدة ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص١٢٦ .

(2) – Orient. Documents. No21. 1962 . p.202 .

(3) – باستثناء حيدر الكزبري فان قادة انقلاب ٢٨ آذار هم الذين قادوا انقلاب ٢٨ أيلول وهم (النحلاوي ، الدهمان ، عصاصة ، عبد ربه ، الهندي ، بسام العسلي ، عادل حج علي ، ممدوح حناوي) راجع، صحيفة الحياة ، بيروت ٣ نيسان ١٩٦٢ .

وذلك بالعودة إلى الجيش بعد أن طُردوا منه أو أُحيلوا إلى مراكز إدارية وكانت أغلبية أعضائه لا تؤيد عودة سورية إلى التبعية الناصرية ، وفريق ثالث من مختلف المناطق السورية ومن مختلف المشارب كان يتزمر من تصرفات الضباط الدمشقيين ومحاولتهم فرض سيطرتهم على الجيش [1] ، وقد شجع قادة هذه الزمر النحلاوي على القيام بحركته لأنهم شاركوه مشاعر الاستياء من حكومة القدسي – الدواليبي ، لكن لم يكن لدى أي فريق منهم أية رغبة في رؤية النحلاوي ينجح حتى يصبح الرجل الأقوى في الجيش السوري ، وعليه ما إن انتهى تحركه ضد النظام البرلماني حتى وجد نفسه وسط المستنقع .

ظهرت البوادر الأولى لورطة النحلاوي في حمص ، عندما قام العميد بدر الأعسر قائد المنطقة الوسطى وأعلن في ٣/٣١/ تمرده على القيادة العامة ، واعتمد الأعسر على ثلاثة قوى : الضباط الذين يريدون التخلص من تسلط الزمرة الدمشقية ، كفئة المسرحين ذوي الطابع الحزبي (بعثي – وحدوي) ، وفئة الناصريين ، وطالبت الحركة بابعاد النحلاوي وجماعته عن القيادة التي يوجهونها توجهاً إقليمياً [2] وإرجاع الضباط المسرحين وأضاف الناصريون إلى هذه المطالب مسألة إعادة النظر بالوحدة مع مصر .

---

[1] – حول هذه الانقسامات راجع : قرار محكمة أمن الدولة العليا الصادر في ٦٣/١/١٧ ، ص٣ – ٤ . وزهر الدين ، مذكراتي ، ص٢٨١ – ٢٨٢ . وراجع :

- I. Rabinovich, Syria , R. 30 - 32 , cf. T. Petran, Syria , p. 156 - 167. cf. E. Be'eri, Army officers, p.145 -146, cf. N. Van Dam, the Struggle p.42 - 43 .

[2] – إن الأحداث التي قامت في المؤسسة العسكرية السورية من ٢٨ آذار حتى ٣ نيسان قد أظهرت بوضوح إلى أي مدى أصبحت فرق الجيش السوري قائمة على أسس دمشقية وغير دمشقية حيث أنه منذ عيد الوحدة وحتى انقلاب ٢٩ آذار سيطر الضباط الدمشقيون على الوحدات الأساسية في حامية دمشق وباقي المناطق ، هذا ولم يخف ضباط الأرياف والمدن الريفية كراهيتهم واشمئزازهم من دمشق وسكانها وقد تواردت في حركة حلب كلمات من الثوار على هذا النمط " امشوا نحتل حلب .. يلعن أبو الشوام " راجع حول هذه النقطة : قرار محكمة أمن الدولة العليا ، ص٦ . زهر الدين ، مذكراتي ، ص٢١٦ – ٢١٥ ، ٣٧٢ .

قيدت قدرة النحلاوي على التعامل مع تمرد حمص بوجود حليف غير متعاون كلياً معه هو اللواء زهر الدين الذي كانت الزمرة قد اختارته كقائد للجيش لأنه درزي غير منتمٍ سياسياً وبالتالي غير قادر على اكتساب موقع قوي داخل الجيش [١] وسرعان ما تبين العكس ، وذلك عندما مكّنه موقعه كحيادي في أن يلعب دور الحكم بين الأجنحة المتصارعة ، فاتخذ المبادرة وأوفد لجنة من الضباط إلى بعض المدن السورية لاستطلاع آراء الضباط من مختلف القطاعات والتعرف على مطالبها وعادت اللجنة مساء يوم ٣/٣١ إلى دمشق حيث عقد في مبنى الأركان اجتماع حضره ستون ضابطاً واستقر الرأي على عقد مؤتمر في حمص الساعة السادسة مساء اليوم التالي [٢] .

في هذه الأثناء سعى الضباط الوحدويون والناصريون إلى تسلم قيادات عسكرية وكان يدير الحركة العقيد المسرح جاسم علوان الذي حضر إلى حمص مع رفاقه وشنوا هجوماً على اللواء المدرع وفشلوا في الاستيلاء عليه ، وراحت تتعالى في جوانب حمص صيحات ناصرية أيدتها بعض القطاعات العسكرية في حلب ، وعندما اتخذت حركة حمص هذا المنحى أعلن بدر الأعسر قبوله بمقترحات القيادة ، ولما فشلت العناصر الناصرية في جر حركة حمص وفق أهوائها توجه جاسم علوان إلى حلب حيث نفذ مع الضباط البعثيين والوحدويين حركة عصيان في الساعة الثانية من فجر يوم الأحد في ٦٢/٤/١ [٣] وتمكن الثوار من احتلال شعبة المخابرات ومبنى القيادة العسكرية ،

---

(١) – I. Rabinovich, Syria .. , p.32 - 33 .

(٢) – زهر الدين ، مذكراتي ، ص٢١٥ .

(٣) – (جاسم علوان) من دير الزور من أصل بدوي ، كانت القيادة المصرية تعتمد عليه إبان الوحدة وكان على صلة وثيقة بالضباط المصريين وتمتع بامتيازات خاصة انفرد فيها حتى عن كبار الضباط السوريين وبعد انقلاب ٢٨ أيلول أحيل إلى المعاش واستطاع أن يخلق تكتلا بين الضباط الذين نقلوا إلى وزارات أخرى ومن المتذمرين من المراكز التي يشغلونها . ومن أبرزهم : (الرائد حمد عبيد) (بعثي) الذي كان يشغل مركز التدريب الثاني في حلب وقد اعتمد علوان على امكانيته في تجهيز ٣ كتائب من القوى التي لديه والملازم الأول (محمد العلي ابراهيم) من سرية المغاوير، والملازم (محمد سعيد رباح) فلسطيني كان في مصر أثناء انتفاضة ٢٨ أيلول وسرح من الجيش . والملازم (عبد الله عمرايا) أمر سرية في كتبة المغاوير والنقيب (حسن شيوان) رئيس عمليات كتيبة المظلات ، وقد حكمت المحكمة على جاسم علوان بالأشغال الشاقة المؤبدة ، حمد عبيد اعتقال مدة عشر سنوات محمد

وسيطروا على مبنى الإذاعة والبريد والهاتف ومركز التدريب وانضمت بعض مواقع المدينة إلى الثوار وقتل أثناء تنفيذ العمليات أربعة من الضباط المناوئين واعتقل آخرون منهم قائد المنطقة الشمالية هشام ميداني ، وفي الفجر انزلوا العلم السوري عن مبنى القيادة ورفعوا علم الجمهورية العربية المتحدة ، وانتشرت عناصر من المظليين والمغاوير في أحياء حلب واستيقظ الناس على أصوات هتافاتهم " للزعيم البطل عبد الناصر " رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

هيمن على تمرد حلب الناصريون بزعامة جاسم علوان والبعثيون من أعضاء "اللجنة العسكرية " وكان أغلبهم خارج الجيش [1] وعناصر وحدوية بزعامة العقيد لؤي الأتاسي ، وقد كانت هذه المجموعات متورطة مع القاهرة في التحضير لانقلاب عسكري، وربما كان قرار النحلاوي بالتحرك نتيجة تأثره بإشاعة مفادها أن الخلايا الوحدوية والاشتراكية داخل الجيش تحضر لانقلاب عسكري [2] .

راحت إذاعة حلب من سراقب تبث باسم " الضباط الأحرار " بيانات حول عودة الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها وبرئاسة جمال عبد الناصر ، وتعيين جاسم علوان قائداً للجيش الأول وبصفته هذه أعاد علوان الضباط المسرحين إلى الجيش ووزع عليهم الأسلحة والبزات العسكرية ، ووصل إلى حلب العقيد لؤي الأتاسي ، قائد المنطقة الشرقية في دير الزور ، لتعزيز حركة حلب . وجرى تداول بين كبار ضباط الحركة حول المشاركة في مؤتمر حمص واتفقوا على توجيه العقيد عادل حاج مراد كممثل عن المنطقة

ابراهيم العلي إعدام لأنه قتل الرائد صفوت حللي والنقيب جميل قباني ، وعبد الله عمر أشغال شاقة ٣ سنوات . راجع : قرار محكمة أمن الدولة ، ص١٤١ – ١٤٩ .

(١) – من أعضاء " التنظيم العسكري " الذين شاركوا في تمرد حلب واتخذت المحكمة قرارا بإدانتهم نذكر: محمد عمران ، صلاح الدين جديد ، مصطفى عمران ، حافظ الأسد ، عبد الكريم الجندي ، أحمد المير ، مصطفى طلاس ، حسين ملحم ، حمد عبيد ، وليد حمدون ، أحمد عدنان دباغ ، رباح الشريف، راجع م . ن ، ص١ – ٥ . وحول التوسع الذي تم في اللجنة العسكرية بعد الانفصال وأثنائه راجع : محمد عمران ، تجربتي في الثورة ، ص١٨ ، ١٩ ، منيف الرزاز ، التجربة المرة ، ص٧٨ ، سامي الجندي ، البعث ، ص٨٥ و :

- N. Van Dam, the Struggle ... p.42 . en Note No51.

(٢) – زهر الدين ، مذكراتي ، ص٢١١٠ . سامي الجندي ، البعث ، ص ٨٨ .

الشمالية ، ولؤي الأتاسي عن الشرقية . وفي الموعد المحدد عقد في نادي ضباط موقع حمص مؤتمر عسكري ترأسه اللواء وديع مقعبري وحضره ثلاثة ألوية وعشرة عمداء وتسعة عشر عقيداً وأربعة مقدمين وثلاثة رواد ونقيب واحد ومثلت فيه القوى الفاعلة داخل المؤسسة العسكرية [١] . تبنى مؤتمر حمص عدة مقررات أهمها : ١- ابعاد المتسلطين على القيادة عن سورية وهم ضباط حركتي ٢٨ أيلول و٢٨ آذار (النحلاوي ، دهمان ، الهنيدي ، عبد ربه ، العسلي ، حج علي ، حناوي) ، ٢- تشكيل قيادة عسكرية جديدة ، ٣- بحث قضية الوحدة على أسس جديدة ، ٤- تشكيل حكومة جديدة ، ٥- إحالة قضية الضباط المحالين على التقاعد أو الذين أخرجوا من الجيش إلى لجنة خاصة من الضباط للنظر فيها ، ٦- العفو عن الذين شاركوا في حوادث ٦٢/٣/٣١ والتعويض على القتلى والجرحى .

هدمت تسوية حمص الموقع القوي الذي تمتع به الضباط الدمشقيون في ظل الوحدة والأشهر الستة الأولى من عصر الانفصال . وتجلى ذلك في التركيبة الجديدة للقيادة العسكرية العليا التي تشكلت في ٢ نيسان ، فبعد إبعاد الحناوي وجماعته تم التخلص من الضباط الدمشقيين الذين كانوا مسيطرين على الوحدات الاستراتيجية حول دمشق واحتفظ اللواء زهر الدين بمنصبه كقائد للجيش لينال في الوزارة الجديدة حقيبة وزارة الدفاع ، وثبت اللواء نايف كمال في رئاسة هيئة الأركان العامة واللواء وديع مقعبري في قيادة القوات الجوية ونال الدمشقي مطيع السمان منصب قائد قوى الأمن الداخلي [٢] .

---

(١) – مثل المؤتمر الزمر العسكرية للفرق السورية ، فمن بين الـ ٤١ ضابطاً حاضراً كان الضباط السنّة ممثلين بـ ٣٦ عضواً وحسب التقسيم الاقليمي كان ١٣ منهم من السنّة الدمشقيين وكانوا أقوى الفرق. ومثل المسيحيون بأربعة ضباط ٣ من اللاذقية واحد من حماه ، والعلويين بواحد من لواء اسكندرون. راجع :

- N. Van Dam , the Struggle . . . , p . 42 , N, No46 . cf. I. Rabinovich , Syria , p.32 - 33 .

(٢) – كان السمّان قد طالب في مؤتمر حمص بطرد ستة ضباط بدلاً من الضباط الدمشقيين بغض النظر إذا ما أخطأوا أم لا في احداث ٢٨ آذار راجع : زهر الدين ، مذكراتي ، ص٢١٦ . وعندما كلف السمان بقيادة قوى الأمن اعتقد أنهم يريدون اقصاءه عن الجيش لغاية ما ، إلا أنه قبل المنصب

أما بشأن مسألة الوحدة ، فقد أثبت مؤتمر حمص بشكل قاطع أنه لم يكن بين الضباط إجماع على إعادة الوحدة مع مصر وقد جددت القيادة العسكرية للقوات المسلحة في بيانها الصادر صباح ٢ نيسان دعوتها إلى الوحدة مع الدول العربية المتحررة وعلى رأسها مصر شرط أن تكون الوحدة ضمن شروط ملائمة ، وعليه درءاً لأخطار الماضي ولحفظ كيان سورية وكرامتها لابد من أن تخضع الوحدة لاستفتاء شعبي لأن ضباط الجيش ليسوا أوصياء على الشعب [١] .

إن البيان وإن اعترف بأن مصر رائدة العالم العربي ، فإن عباراته تضمنت تملقاً كاذباً ومتناقضاً عندما تجنب الإعلان عن وحدة فورية مع مصر مع إشادته بأهميتها ، " وأصبح واضحاً أمام الشعب السوري أن الضباط لا يريدون الوحدة بل حكم سورية فقط " [٢] .

خيبت تسوية حمص آمال الضباط الناصريين بتدمير نظام الانفصال فرفضوا قرارات المؤتمر وأعلنوا استمرار العصيان في حلب واتخذوها قاعدة انطلاق لاحتلال سورية كلها . في هذه المرة اتخذت قيادة الجيش السوري قراراً جماعياً بالقضاء على تمرد حلب الذي أنذر بحرب أهلية خطرة . في ٢ نيسان تأزم الموقف في دمشق وحلب معاً ، فقد عمت دمشق تظاهرات عنيفة وحمل الطلاب صور ناصر وعلم الوحدة فأطلق الجيش النار على المتظاهرين لتفريقهم وقتل عدداً منهم [٣] . وفي حلب قرر الثوار المواجهة وراحوا يسلحون " المقاومة الشعبية ، واستدعوا لواء مشاة الاحتياط (اللواء ٥٠) إلى الخدمة ووزعوا الأسلحة على المدنيين الموالين لعبد الناصر وأبرق جاسم علوان إلى السفارة المصرية في بيروت طالباً الدعم من رجال الصاعقة والمظليين والطيران ، كما أمر الرائد نوري كبا إعداد مطار حلب لاستقبال الطيّارات والمظليين المصريين ، عارض حلفاء الناصريين هذه المواقف واعتبروا أن المقاومة المسلحة غير مجدية [٤] لا

على مضض ، راجع : كتابه ، وطن وعسكر ، ص١٤١ – ١٤٢ .

(١) – راجع نص البيان في م . ن ، ص٢٢٢ .

(٢) – - F. o/ 371/ 170593/ Annual Review of Syria in 1962 , p.7 .

(٣) – صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٣ نيسان ١٩٦٢ .

(٤) – نذكر بهذا الصدد ، أن لؤي الأتاسي أمر بإغلاق الإذاعة في حلب والكف عن بث البيانات إلا

بل أن البعثيين قد اربكهم إصرار الناصريين على العودة الفورية للوحدة مع مصر [1] كما لم يكونوا مستعدين للجري وراء علوان بعد أن فشل الضباط الذين أعادهم علوان إلى الخدمة في فرض سيطرتهم على المواقع العسكرية ، وعليه كان من المفروض أن يتحرك البعثيون في بعض القطاعات مثل حوران والمنطقة الجنوبية والغربية ، إلا أن هذا لم يحدث [2] وبذلك حفرت أحداث ٢ – ٣ نيسان هوة عميقة بين الضباط البعثيين والناصريين ألقت الضوء على نوعية العلاقة التي نشأت بينهما بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ .

أعلنت المنطقة الوسطى والجنوبية والغربية والشرقية استنكارها لاستمرار التمرد في حلب ، وهددت دمشق بقصف حلب بالطيران وحركت اللواء المدرع الخامس باتجاه حلب ، وازدادت حرب البلاغات بين حلب ودمشق حدة ، وعندما حلقت الطيّارات فوق حلب ، ردّ "الضباط الأحرار" بتوجيه برقيات إلى القيادة العامة في القوات المسلحة في الاقليم الشمالي جاء فيها " تحاول طائرات الانفصاليين نسف محطة البث في سراقب لا يوجد لدينا طيران انجدونا" وفي أخرى : "نحن مسيطرون على الموقف تماماً ومطار حلب جاهز لاستقبال جميع أنواع الطائرات وأرضه آمنة ومحمية لاستقبال عناصر المظليين " [3] .

تذّر ناصر الظروف الدولية المحيطة بالمنطقة فأحجم عن التدخل ، وأذاعت القاهرة صباح ٣ نيسان أن الرئيس على استعداد لبذل كل جهد طاقته للمشاركة الايجابية في تجنيب سورية كل سوء يهددها [4] .

أن جاسم علوان توجه إلى الإذاعة وراح يبث البيانات باسمه ، ويحرض الضباط في القطاعات على مواصلة العصيان أو الانسحاب إلى جبال العلويين ومناطق دير الزور . راجع : قرار محكمة أمن الدولة في قضية حركة حلب ، ص١١ .

[1] – راجع : باتريك سيل ، الأسد ، الصراع على الشرق الأوسط ، دمشق ١٩٨٨ ، ص١١٨ .

[2] – راجع : الجندي ، البعث ، ص٩١ – ٩٥ ، منيف الرزاز ، التجربة المرة ، ص٨٦ .

[3] – محكمة أمن الدولة العليا ، قضية حلب ، مرافعة المحامي سليم عقيل عن الضباط الشهداء ، ص١١ .

[4] – ورد في الإذاعة التالي " استمع الرئيس جمال عبد الناصر بقلب ملئ بالأسى إلى الانباء التي

صباح الثلاثاء ٣/٤/ تحرك اللواء المدرع من حمص باتجاه حلب حيث استمر الثوار بالعصيان ونصبوا المدافع المضادة خارج المدينة وحركوا ، ثلاثين ناقلة جند على طول الطريق بين الكلية الأمريكية وخان العسلي ، ووزعوا الآليات على طول طريق اللواء ونصبوا المدافع الرشاشة على أسطح المنازل ، وفي داخل المدينة حمل المتمردون السلاح والذخيرة وحاولوا إثارة النعرات الطائفية والعنصرية فأطلقوا إشاعة مفادها أن ما يقرب من ٣ آلاف قطعة سلاح وزعت على المسيحيين لقتل المسلمين ، وإن الأرمن الطاشناق سيهاجمون المسلمين [١] وأخذت الجموع المتظاهرة تتجه نحو الأحياء المسيحية والأرمنية مستنفرة ومتحدية ، وراحت تهدد رجال الكنيسة بالذبح وجرت محاولة لمهاجمة احدى الكنائس وقمعت في مهدها [٢] وقيل أن القنصل الأمريكي في حلب شوهد مع بعض العاملين في القنصلية يوزع صور ناصر لإثارة المسلمين والمسيحيين على بعضهم البعض ، وأنه كان يتجول في أوقات منع التجول ويهتف للشرطة بقدوم تظاهرة باتجاه القنصلية ليشغل رجال الأمن عن مراقبة المتظاهرين [٣] .

أذيعت عن بدء عمليات جوية قامت بها طائرات سلاح الطيران السوري ضد الشعب السوري والجيش في المنطقة الشمالية " إن الرئيس يستعرض في هذه اللحظات صوت الواجب تجاه الشعب العربي العظيم في كل أنحاء سورية الذي يدعوه إلى أن يترقب التطورات المتوالية بسرعة خطيرة ، وهو يرى أن كل الجهود الوطنية يجب أن تتجه إلى تهدئة خطر الاحتمالات المقبلة التي تهدد الشعب السوري داخل وطنه " .. " إن الرئيس يعلن على أنه مستعد لأن يضع نفسه وفكره وأعصابه في خدمة كل جهد يحفظ سورية ويصون كل قطرة دم منها ". راجع نص البيان في صحيفة الأهرام ، القاهرة، عدد ٤ نيسان ١٩٦٢ .

[١] – حسب افادة المساعد عبد الحي (محضر ٣٧ و ١٠٦) أن الملازم محمد ابراهيم العلي أطلق إشاعات مفادها أن ما يقرب من ٣ آلاف قطعة سلاح وزعت على المسيحيين وأنه قال للمظليين هناك حوالي ٣ آلاف من الطاشناق الأرمن قد يهاجموننا فلا ترحموهم وارموهم دون هوادة . راجع قرار محكمة أمن الدولة العليا في قضية حلب ، ص١٦ .

[٢] – راجع : قرار محكمة أمن الدولة العليا ، ص١٤١ – ١٤٩ وفي نفس الملفات : دفاع المحامين هاني البيطار وسعيد عقيل .

[٣] – وردت في عدة مصارد سورية مثل هذه الاتهامات : راجع قرار الاتهام ، ص٣٧ وفي كتاب مطيع السمان ، وطن وعسكر ، ص١٣٤ ، وزهر الدين ، مذكراتي ، ص٢٣٨ .

جرت محاولة يائسة لمنع اللواء من دخول حلب ، وعندما عرف المتمردون أن لا سبيل للمقاومة ، خلع المتطرفون بذاتهم العسكرية ، وغادر جاسم علوان إلى لبنان سراً، وتسلم قيادة حلب العقيد لؤي الأتاسي الذي تولى المفاوضات مع القيادة العامة وفي الساعة السادسة من مساء ٣ نيسان أعلنت إذاعة دمشق أن الأوضاع عادت إلى طبيعتها في حلب وأن السلام عاد يرفرف في أرجاء سورية [١] .

أظهرت أحداث حركات التمرد إلى أي مدى أصبح الجيش السوري منقسماً على نفسه، ومفتقداً إلى أي نوع من الانضباط العسكري ، مما جعله غير قادر على سلوك طريق موحد ومجرداً مما يؤهله لاستلام حكم البلاد ، وكان لابد له من إيجاد تسوية مؤقتة مع الساسة المدنيين ، وعليه تم التفاهم مع القدسي، الذي استعاد مركزه ومهامة في ١٣ نيسان ، على : إطلاق سراح معتقلي ٢٨ آذار تدريجاً ، وعلى استقالة المجلس التأسيسي ، وعلى ممارسة الرئيس بصورة مؤقتة مع مجلس وزراء جديد السلطات التنفيذية والتشريعية لحين اجراء انتخابات جديدة [٢] . وعاد الجيش إلى ثكناته ظاهرياً لكنه أصبح في الواقع أكثر قوة بعد أن أدرك أن عليه أن يلجم المدنيين في تظاهرة عسكرية من وقت إلى آخر .

– سورية في ظل وزارة بشير العظمة(١٦ نيسان–١٧أيلول ١٩٦٢) :

شكل العظمة حكومة انتقالية ضمت اختصاصيين من مشارب سياسية متنوعة [٣] وقد منح رئيس الوزراء الجديد النظام الانفصالي طابعاً أكثر تقدمية من سلفه ، وعُرف

---

(١) – صحيفة الحياة ، بيروت ، عدد ٤ نيسان ١٩٦٢ .

(٢) – أصر الحوراني ورشاد برمدا وعدد من السياسيين والقادة العسكريين على الرئيس القدسي بأن يتعهد بعدم العودة إلى الوراء في قانون الاصلاح الزراعي والتأميم وإلغاء ما اتخذه النواب من تعديلات عليها وقع على كتاب العهد كل من القدسي وزهر الدين . راجع مذكرات زهر الدين ، ص٢٣٣ .

(٣) – تشكلت الوزارة على النحو التالي : رشاد برمدا نائباً للرئيس ووزيراً للتربية والتعليم وللزراعة بالوكالة . رياض الميداني وزيراً للشؤون البلدية والقروية . أحمد عبد الكريم للاصلاح الزراعي وللشؤون الاجتماعية والعمل بالوكالة . عدنان الأزهري للخارجية ، رشيد حميدان للعدلية

العظمة بأنه وحدوي معتدل وتقدمي الاتجاه ، شغل في عهد الوحدة منصب نقيب الأطباء.
ثم وزارة الصحة المركزية ، وكان من السياسيين الذين وقعوا على بيان الانفصال .

في ٢١ نيسان حدد العظمة في بيانه الوزاري سياسة حكومته وجاء البيان متلائماً مع الأهداف التي أرادها القادة الضباط : سياسة إصلاحية تقدمية على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي ، سياسة وحدوية مع التشديد على علاقات التقارب مع مصر بالذات ، وأكد العظمة أن برنامجاً حقيقياً سيوضع من أجل تحقيق هذه الأهداف [(١)] . اتخذت الحكومة عدة إجراءات يمكن إدراجها ضمن محاولاتها معالجة الوضع الاجتماعي – الإقتصادي والسياسي . فعلى الصعيد الاجتماعي الاقتصادي أصدرت مرسوماً يمنحها حق التشريع وبموجبه تشكلت عدة لجان لاعادة النظر في التشريعات التي أصدرها المجلس التأسيسي النيابي وأعلنت في ٢ أيار إلغاء التعديلات التي أقرها المجلس في عهد حكومة الدواليبي على قانون الإصلاح الزراعي لصالح الاقطاعيين وسنّ قانون زراعي جديد قائم بشكل واسع على ذلك القانون الذي وضع إبان الوحدة [(٢)] ثم وزعت الحكومة الأراضي على الفلاحين بسرعة وعلى نطاق واسع ، فقد حصلت في غضون شهر واحد ٦٠٦٥ أسرة فلاحية على سندات ملكية ٨٧٠٤٠ هكتاراً [(٣)] . ثم حاولت الحكومة التقرب أكثر من الخط الاشتراكي فسنّت في ١٨ أيار تشريعاً بتأميم جميع المصارف الأجنبية ومنح الدولة ٢٥٪ من حصة المصارف السورية ، وفي ٢١ منه أعلنت تأميم الشركة

وللأوقاف بالوكالة . عبد السلام العجيلي للثقافة والإرشاد . جورج خوري للمالية . صبحي كحالة للمواصلات والتخطيط بالوكالة . نهاد السباعي للإقتصاد . احسان الرفاعي للصحة . عبد الحليم قدور للداخلية . روبير الياس للأشغال ووزيراً للصناعة بالوكالة . عبد الله عبد الدايم للاعلام . عبد الكريم زهر الدين للدفاع . راجع : الجريدة الرسمية ، الجمهورية العربية السورية ، عدد ٤٧ ، تاريخ ١٨ نيسان ١٩٦٢ . وقد ضمت الوزارة وزيرين من مؤيدي الحوراني هما : عبد الكريم قدور وأحمد عبد الكريم . وواحد من أنصار عفلق – البيطار هو عبد الله عبد الدايم وواحد من الوحدويين هو عدنان الأزهري . راجع : صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢٣٧٢ ، ١٧ نيسان ١٩٦٢ .

(١) – راجع النص في ، صحيفة صوت العرب ، عدد ٢٣٧٥ ، ٢٢ نيسان ١٩٦٢ .

(٢) – للتوسع راجع :

-E. Garzouzi, "Land Reform in Syria" in M. E. J, Vol17, 1962, p.88 - 90 .

(٣) – الجريدة الرسمية ، الجمهورية العربية السورية ، عدد ٩٦ ، تاريخ ١٩٦٢/٥/٧ ، ص١٦٠ .

الخماسية للغزل والنسيج كبرى المؤسسات الصناعية السورية [١] ولم يلاق هذا الإجراء ترحيباً في أوساط الرأسماليين فقلص من حماستهم للاستثمار في سورية عما كان عليه عشية الانفصال مما أعاق نمو الصناعة [٢] ومع ذلك تحسّن الوضع الاقتصادي صيف ذلك العام بشكل ملحوظ بسبب جودة المواسم الزراعية ، وارتفاع حجم الصادرات ، وارتفاع كمية الودائع المصرفية إلى ٣٤١ م ل. س. واستعادة بعض النشاطات الاقتصادية حيويتها نتيجة إلغاء الحكومة الإشراف على تبادل النقد ، وعودة حرية التبادل التجاري وتحسن معدلاتها بنسبة ٦٪ واستقرارها ، وانخفاض الاعتمادات المصرفية التي تحصل عليها البنوك من الخارج لتمويل الاستيراد والتصدير بنسبة ٣٪ مما أعاد لسورية سمعتها في الأوساط المصرفية الخارجية [٣] .

حظيت التوجهات اليسارية لحكومة العظمة بتأييد عدد من الضباط المنجذبين عقائدياً إلى النظرية الاشتراكية الناصرية ، " ولما كانت تلك الحكومة لا تملك دعماً سياسياً معتبراً فقد وجدت نفسها مجبرة على عدم اعتراض رغبات الجيش مهما كانت ، وقد تجلى ذلك بوضوح في امتناعها عن اتخاذ أية خطوة نحو إصلاح دستوري ، في وقت مال السياسيون السوريون فيه نحو الجدل العقيم تاركين الحكومة والجيش يديران البلاد بحرية " [٤] .

اتسم النهج السياسي للحكومة السورية بالطابع التصالحي تجاه مصر ، وفي هذا السياق أصدر العظمة عدة بيانات كشفت عن رغبة دمشق في فتح صفحة جديدة مع القاهرة ، وكانت التعابير المستخدمة في بيان صادر في ٦ حزيران أقصى ما يمكن أن

---

(١) – لمزيد من التوسع راجع :
- C. O. C. No48, 1962, p.74 - 89 et No49, 1962, p.235 - 240 .

(٢) – انخفض عدد الشركات الصناعية من ٧٧ شركة في صيف عام ١٩٦١ إلى ٦٥ صيف العام التالي . ويمكن القول أن رجال الأعمال السوريين لم يستثمروا أموالاً جديدة بل عمدوا إلى زيادة انتاج المؤسسات القائمة الذي بلغ عام ١٩٦٢ ١٦٧ مليون ل. س. مقابل ١٥٥ عام ١٩٦١ . راجع : المكتب المركزي للاحصاء ، للأعوام ١٩٥٧ – ١٩٦٣ ، ص٢٧ .

(٣) – - Economic developments in Middle-East, Newyork 1964, p.26 .

(٤) – - F. o/ 371/ 170593/ Annual Review of Syria in 1962 , p.10 .

يصدر عن رئيس وزراء تشكلت وزارته ضمن هيكل النظام الانفصالي [١] . وبدا واضحاً أن برنامجاً حقيقياً سيعتمد في هذا الإطار إلا أن البيانات الإعلامية المصرية سدت الطريق أمام أي تحرك في هذا الإتجاه [٢] لابل ردت القاهرة على محاولات التقارب هذه بمزيد من البرامج العدائية في أجهزة أعلاميا كما في الصحف البيروتية الموالية لها [٣] ، وثانية عاشت سورية مؤامرة مصرية انطلقت خيوطها من السفارة المصرية في بيروت بالتعامل مع فئات مدنية من مختلف المشارب والتنظيمات من وحدويين وناصريين سوريين وفلسطنيين وبالاتفاق مع عسكريين متقاعدين ناصريين أو بعثيين شاركوا في أحداث تمرد حلب وكان عليهم العمل للإطاحة بدولة الانفصال لانقاذ أنفسهم من المحاكمة والسجن والعودة إلى الجيش [٤] . وبينما كانت المؤامرة المصرية على حكومة العظمة

---

(١) – أكثر هذه البيانات دلالة البيان الصادر في ٦ حزيران وفيه قال " إن حكومته تدعو إلى اتحاد قوي مع مصر يكون بمثابة العمود الفقري للوحدة العربية الشاملة " .. وقال : " إن التيارات التي تقسم سورية ثلاثة : الانفصالي، والذي يطالب بوحدة فورية لا تمهيد لها ولا دراسة ، والثالث هو الذي تأخذ به الحكومة الآن لأنها ترى أن إعادة الوحدة مع الشقيقة مصر ضرورة قومية "، راجع النص في : صحيفة صوت العرب ، عدد ٢٣٩٢ تاريخ ٧ حزيران ١٩٦٢ .

(٢) – ردت القاهرة على مساعي سورية فيما نشرته صحيفة الأهرام والذي ورد فيه : " إن حكومة القاهرة لا تنظر بعين الجد إلى مساعي الحكومة السورية لفتح باب المفاوضات لإعادة الوحدة " راجع عددها الصادر في ٢٣ أيار ١٩٦٢ .

(٣) – كانت المواقف المؤيدة للناصرية والمعادية لسورية تتصدر في الصحف البيروتية التالية : الأنوار والصياد لصاحبها سعيد فريحة ، صوت العروبة لعدنان الحكيم ، بيروت المساء لعبد الله المشنوق .

(٤) – في ٢١ حزيران تشكلت المحكمة العسكرية لمحاكمة ٢١ عسكرياً متهماً في الاشتراك بالمؤامرة وهم التالية أسماؤهم : جاسم علوان ، أكرم الصفدي ، أحمد المير ، محمد شنيدوي ، حسين زيدان ، عبد الكريم الجندي ، صلاح الدين محمد الضللي، محمد بن عارف قوشجي، مصطفى عبد القادر طلاس، أحمد عدنان دباغ، ثابت بن محمد بهجت، وليد بن راغب حمدون ، رئيف بن عادل علواني، محمد صالح عمران، رباح الشريف ، حسين ملحم ، عبد الغني ابراهيم ، عمر الشيخ ابراهيم ، صلاح الدين جديد، حافظ الأسد ، مصطفى عمران . راجع : محكمة أمن الدولة ، قضية حركة حلب ، ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار ، مصدر سابق .

تُحاك من وراء الستار والتخطيط لها يجري على قدم وساق أصبح الانشقاق بين جناحي حزب البعث كاملاً .

تصدع حزب البعث العربي الاشتراكي : ظهرت سياسة حزب البعث المعارضة لنظام الانفصال بشكل جلي في القرار الذي اتخذته القيادة القومية في ٢١ شباط ١٩٦٢ بمناسبة الذكرى الرابعة لقيام الوحدة بين مصر وسورية [١] وقد أراد عفلق بهذا الخيار المنهجي ابقاء الحزب ضمن دائرة الوحدويين وتجديد العلاقات مع القاهرة ، إلا أن هذا الخط كان معارضاً تماماً لمواقف الحوراني الذي راح يشن هجوماً حاداً على ناصر وسياسته [٢] كذلك لم يكن مقبولاً على كل مستويات المسؤولين الحزبيين الذين تحرروا من ارتباطهم بعفلق ومن تلك اللهفة القديمة لهذه الوحدة [٣] . هذه المواقف برزت في المؤتمر القومي الخامس المنعقد في حمص منتصف أيار لإعادة تنظيم الحزب في سورية ، ولم يدع الحوراني للمشاركة بأعمال المؤتمر ولا البعثيون الذين انضموا إلى عبد الناصر ولا الحزبيون السوريون الذين خالفوا أوامر عفلق وحاولوا إبقاء فروع الحزب قائمة في سورية . وانتهى المؤتمر باستعادة عفلق كرسي القيادة بمساعدة البعثيين العراقيين ، وأهم القرارات التي اتخذها : إعادة تنظيم الحزب في سورية على أسس جديدة ، واقصاء الذين يعارضون القيادة وتوجهاتها

---

(١) – راجع النص في : نضال البعث ، ج٦ ، ص٤٤ – ٦٠ .

(٢) – كان الحوراني عنيفاً في انتقاده لعبد الناصر فقد ألقى على عاتقه كل الأسباب التي أدت إلى الانفصال وطالب بقطع كل علاقة مع مصر . وهاجم مواقف ناصر من قضية فلسطين ، واتهمه بلعب دور نور السعيد الخائن للعروبة ، بينما راحت إذاعة صوت العرب توجه التهم إلى الحوراني بأنه يسعى إلى رئاسة الجمهورية وببيع شعبه في سبيلها ويرتمي في أحضان الرجعية لتحقيق مطلبه ، راجع خاصة : صحيفة صوت العرب ، عدد ٢٣٧٨ ، تاريخ ٦ ايار ١٩٦٢ و٢٤١٣ / ١ تموز ١٩٦٢ ، والنصر ، دمشق ١٢ و ١٤ ايار ١٩٦٢ .

(٣) – أفضل البحوث حول أوضاع حزب البعث في هذه الحقبة هي ما قدمه :
- I. Rabinovich, Syria .. , p.36 - 42 .

الوحدوية [١] . وتشكلت قيادة قطرية جديدة باشرت للتو عملها في بناء منظمة الحزب [٢].
أثارت هذه القرارات ردود فعل سريعة من قبل الحوراني والمعارضة الحزبية السورية التي عُرفت بلغة حزب البعث باسم " القطريين " لأن بعض أفرادها أنشؤوا تنظيماً قطرياً مستقلاً عن القيادة القومية بعد انفصال سورية عن الجمهورية العربية المتحدة [٣] .

تعاونت فئة من " القطريين " مع الحوراني المعادي للوحدة وعقد الطرفان مؤتمراً قطرياً في أيار – حزيران وفيه تم انتخاب قيادة قطرية من هذه الجماعة . وفي ١٥ حزيران خرج هؤلاء ببيان موقع باسم " حزب البعث الحقيقي " [٤] ، وفي ١٨ منه أعلن الحوراني إعادة تأسيس الحزب وأدان في تصريحه عفلق والبيطار [٥] وهكذا أصبح حزب البعث منقسماً في صيف ١٩٦٢ إلى عدة مجموعات : الحوراني ، القطريين ، حزب عفلق البيطار ، والوحدويين الاشتراكيين . ومنذ حزيران بدأ عفلق والبيطار يتعاملان مع القاهرة لقلب وجه سورية السياسي .

---

(١) – راجع : نضال البعث ، ج٦ ، نشرة داخلية حول المؤتمر القومي الخامس ، ص٨٦ – ٩٠ .

(٢) – م . ن ، ص ٨٩ – ٩٠ ، وراجع منيف الرزاز ، التجربة المرة ، ص١٠٩ .

(٣) – تمركز نشاط هؤلاء في مناطقهم الريفية : دير الزور واللاذقية وحوران وكانوا بقيادة حزبيين بارزين مثل فايز الجاسم ، يوسف الزعيّن ، منير العبد الله ، وابراهيم ماخوس وقد لعب هؤلاء القطريون دوراً بارزاً في جهاز الحزب المدني بفضل ارتباط بعضهم مع القادة العسكريين الذين امسكوا السلطة في سورية . راجع :

-I. Robinovich, Syria, op, cit, p.39 - 40 . cf. N. Van Dam, the Struggle , p.36 -37 , cf. M. Kerr, the Arab cold War, p.49 .

وراجع : مطاع الصفدي ، حزب البعث ، ص٢٩١ – ٢٩٤ ، ٣٢٧ – ٣٢٨ الجندي : البعث، ص٨٠ .

(٤) – النصر ، دمشق ، عدد ٢٥ حزيران ١٩٦٢ .

(٥) – صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢٤٠١ /١٨ حزيران ١٩٦٢ .

المؤامرة المصرية علـى سورية : كما أشرنا سابقاً ، كان على حكومة العظمة أن تواجه مخططات القاهرة الرامية إلى إعادة سورية إلى الحظيرة ، وبدأ التحرك التآمري مع وفد من اتحاد نقابات العمال السوريين المشارك في مؤتمر القوى الشعبية المنعقد في ٢١/٥/٦٢ في القاهرة ، حيث اتصل بعض أعضاء الوفد بالسرّاج [1] وموظفي المخابرات المصرية واتفقوا على اشعال الإضرابات والتظاهرات العمالية في سورية .

في ١٦ حزيران أصدرت اللجنة التنفيذية لاتحاد العمال ، المعينة في العهد المصري ، بياناً يدعو إلى وحدة فورية مع مصر ، وفي ١٥ منه رفضت الحكومة طلب اللجنة بعقد مؤتمر عمالي عام [2] . في ٣ تموز أصدر وزير العمل والشؤون الاجتماعية، المعيّن حديثاً [3] القانون رقم (٤٩) الذي اشترع اجراءات جديدة لانتخابات النقابات واتحاد النقابات مختلفة عن تلك التي كانت قائمة في عهد الوحدة ، وحظر القانون على النقابات كل نشاط سياسي ، وأصدر الوزير مرسوماً بعزل اللجنة التنفيذية لاتحاد العمال ، وآخر بحماية العامل من الطرد التعسفي [4] .

كانت تلك المراسيم القشة التي أشعلت النار في الهشيم ، في ٦ حزيران وعلى الرغم من حالة الطوارئ ، دعت اللجنة التنفيذية المقالة إلى الإضراب العام احتجاجاً على

---

(١) - في ٥ أيار هرب السرّاج من سجن المزة حيث كان معتقلاً منذ الانفصال ، ولما وصل إلى القاهرة استقبل بترحاب فائق ، راجع : الأهرام ، القاهرة ، عدد ٨ أيار ١٩٦٢. وقد أشار السمان إلى أن هروبه كان بالتواطؤ بين مدير الشرطة العسكرية واللواء زهر الدين ، راجع كتابه ، وطن وعسكر، ص١٨٤ - ١٨٥ .

(٢) - صحيفة الأخبار ، دمشق ، عدد ١٧ حزيران ١٩٦٢ .

(٣) - بعد استقالة الوزراء ، عبد الحليم قدور وعدنان الأزهري ونهاد السباعي وعبد الله عبد الدايم، تمّ في ٢٠ حزيران تعيين ستة وزراء جدد في المراكز الشاغرة والوزارات بالوكالة وهم : عزيز عبد الكريم ، احسان الرفاعي ، عمر شخاشيرو ، جمال الفرا ، عبد الوهاب العقاد ، رفعت زريق ، راجع : الجريدة الرسمية ، الجمهورية العربية السورية ، عدد ١٠١ ، ٢٣ حزيران ١٩٦٢ .

(٤) - نص القانون والمراسيم في الجريدة الرسمية ، عدد ٨/١١٢/ تموز ١٩٦٢ .

المراسيم الجديدة ، فاندلعت التظاهرات العمالية ونادت بسقوط حكومة الانفصال العميلة وعودة الوحدة ، واتسعت أعمال الشغب في الأيام التالية ، واندلعت في أجزاء مختلفة من المدن السورية أعمال العنف (متفجرات ، قنابل ، حرائق ، اعتداء على المتاجر) خاصة في محيط معامل النسيج الكبرى في حلب ودمشق ، وجرت صدامات بين العمال وقوى الأمن وسقط بعض القتلى والجرحى ، وتمكنت الحكومة في ١٦ حزيران من إنهاء الأزمة بعد اعتقال رؤوساء النقابات وقادة الشغب ، وبعد أن قرر العمال ألاّ يستمروا بالاضراب لإعادة الوحدة التي عانوا الكثير في ظلها [١] .

أنذر صراع العمال مع السلطة ، وتسرب الأموال والأسلحة والعملاء من لبنان [٢] ، وتحريض القاهرة على الثورة [٣] باقتراب موعد تنفيذ الانقلاب المعد في السفارة المصرية في بيروت ضد النظام السوري .

طيلة النصف الثاني من شهر تموز شهدت دمشق والمدن السورية الرئيسية يومياً أعمالاً ارهابية كإلقاء القنابل والمتفجرات التي حصدت العديد من الضحايا المدنيين [٤]

---

(١) – مزيد من المعلومات حول اضرابات العمال وما أثارته من موجة عنف في البلاد موجودة في الصحف السورية . ونشير إلى الأعداد الآتية في صحيفة صوت العرب : عدد ٢٤١٨/ ٨ تموز ، وعدد ٢٤١٩/ ١٠ تموز ، وعدد ٢٤٢٢/ ١٣ تموز وعدد ٢٤٢٦/١٦ تموز ١٩٦٢ وراجع ما كتبه مطيع السمان قائد قوى الأمن الداخلي آنذاك في سورية ، في كتابه ، وطن وعسكر ، ص١٩٢ – ١٩٨ .

(٢) – حول هذه النقطة يمكن مراجعة المؤتمر الصحفي الذي عقده اللواء عزيز عبد الكريم في دمشق في ٢٩ تموز وفيه كشف عن شبكات التخريب ونقل الأسلحة من القاهرة إلى الاسكندرية إلى لبنان فسورية . وقال "من المؤلم أن يكون المنفذون من السوريين والفلسطنيين والعراقيين اللاجئيين الذين استطاع السفير غالب تجنيدهم" . راجع وقائع المؤتمر في صحيفة صوت العرب ، عدد ٢٤٣٨ ، ٣١ تموز ١٩٦٢ .

(٣) – في ٢٨ حزيران قال المشير عامر : "إن الأوضاع في سورية يمكن معالجتها عن طريق الجيش فقط"، راجع صحيفة الأخبار ، دمشق ، عدد ٢ تموز ١٩٦٢ ورد عبد الناصر على سؤال أحد الصحفيين الافرنسيين حول الأوضاع في سورية بقوله " لن تبدأ هناك إلا عندما أهدئها أنا " راجع : صوت العرب ، عدد ٢٣٨٩ ، ٢ حزيران ١٩٦٢ .

(٤) – في ١٥ تموز انفجرت ثلاثة قنابل في حلب واعتقلت السلطات عدداً من الناصريين ، وعثرت على كميات كبيرة من الأسلحة ، واندلعت في مدينة حمص في ١٧ منه متفجرات عديدة ومن ٢٠ إلى

وتوترت إثر ذلك العلاقات مع لبنان إلى حد بعيد باعتباره أصبح جسراً للأعمال التخريبية والدعاية الناصرية وبدت السلطات اللبنانية غير قادرة على وضع حد للنشاطات المعادية للحكومة السورية رغم الضغوط السورية المستمرة [1] . وقد حولت هذه الحملة المصرية بكل وجوهها الرأي العام السوري عن الوحدة والناصرية ، وشنت كل الصحف السورية ، باستثناء صحيفة البعث [2] ، حملة عنيفة على عبد الناصر واتهمته بأبشع أنماط الديكتاتورية وحثت الحكومة على وضع حدٍ لعملائه العابثين بأمن البلاد وبإغلاق الحدود مع لبنان . أما القاهرة فقد ازدادت حرب التحريض في أجهزة إعلامها عنفاً وصخباً ، ولم يتوان الرئيس عبد الناصر قط في خطبه عن حث السوريين على الثورة ودعوتهم إلى الاقتتال : ففي الخطاب الذي ألقاه في ٢٣ تموز بمناسبة الاحتفال بالعيد السنوي للثورة المصرية تحدث عن سورية وكأنها ما تزال إقليماً في جمهوريته وأعلن أنه سيخوض معركة سورية على المكشوف [3] ، وكانت لهجته أعنف في الخطاب الذي ألقاه في الإسكندرية في ٢٦ منه ، حث فيه السوريين على الثورة ضد " الرجعية والانتهازية وتجار السياسة وأعوان الاستعمار" وقال " إننا مع الشعب السوري بأرواحنا ودمائنا وإننا

---

٢٤ منه اندلعت في أسواق دمشق الداخلية وفي الأحياء السكنية والحدائق العامة ، للتوسع راجع الصحف السورية الصادرة ما بين ١٥ – ٢٨ تموز ١٩٦٢ .

[1] – في ١٦ تموز اجتمع في بلودان وزيرا خارجية سورية ولبنان وخصص الاجتماع "لدراسة مشاكل الحدود المتكررة ومكافحة النشاطات المعادية لسورية التي تنطلق من لبنان " راجع : صحيفة صوت العرب ، عدد ٢٤٢٦/ ١٨ تموز ١٩٦٢ ، ووجهت بعض الصحف السورية كتاباً مفتوحاً إلى فليب تقلا وزير الخارجية اللبنانية يتساءل لماذا لم يتقدم إلى مسؤول لبناني بأية خطوة لتوطيد العلاقات مع سورية لماذا لا يطالبون بوحدة لبنان مع مصر بدلاً من وحدة مصر وسورية ، راجع : المصدر نفسه ، عدد ٢٤٢٥ / ١٧ تموز ١٩٦٢ .

[2] – خرجت صحيفة البعث في عددها رقم/٢/ الصادر في ٣٠ تموز لتحتل النغم النشاز في اللحن بين الصحف السورية . ففي الافتتاحية قال عفلق " إن ظاهرة اجماع الصحف على التنديد بالوحدة إن دلت على شيء فتدل على مدى الهوة التي تفصل بين الشعب والصحف ".. وقال عفلق " إن الإبقاء على الانفصال يستهدف العودة إلى الأوضاع التقليدية الرجعية بكاملها وكبت الحركة الثورية التقدمية في الوطن العربي " .

[3] – صحيفة الأخبار ، القاهرة ، عدد ٢٤ تموز ١٩٦٢ .

نترك الأمور له .. لكن ما يجري الآن في سورية لا يمكننا أن نغمض أعيننا عنه ونقول لا يعنينا .. إننا نشعر تجاه الشعب السوري بمسؤوليات كبرى وسنتحالف معه للقضاء على الرجعية والانتهازية " [١] . آنذاك كانت السلطات قد تمكنت من اجهاض المؤامرة ووضعت يدها على خيوطها وألقت القبض على عدد غير قليل من المتآمرين الذين كشفوا خطة الانقلاب وهي التالية [٢] : في ٦ تموز اتفق المتآمرون على استلام السلطة بانقلاب عسكري ليل ٢٨ و ٢٩ منه تشارك فيه عناصر عسكرية عاملة في وحدات الجيش وقوى الأمن والمخابرات العسكرية وعند ساعة التنفيذ يلتحق بهذه الوحدات عسكريون متقاعدون ومسرحون لقيادتها ويتم بالتالي احتلال مبنى الإذاعة والتلفزيون ومقر قيادة الجيش والسراي ، ثم بعد اعتقال القادة العسكريين والمسؤولين السياسين يتم الإعلان عن عودة الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها ونهاية عهد الانفصال ، وتشكيل حكومة مدنية من الناصريين والبعثيين برئاسة صلاح الدين البيطار [٣] .

في ٢٧ تموز اجتمع مجلس الأمن السوري بحضور رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزراء الداخلية والخارجية والمالية وقائد الجيش ورئيس الأركان ورؤوساء الشعب وفيه تقرر أن تتقدم سورية بشكواها ضد مصر إلى جامعة الدول العربية ، وفي اليوم التالي وجه العظمة بياناً إلى الأمة كشف فيه عن محاولة الانقلاب الناصرية وأدان سياسة مصر الإرهابية ضد سورية [٤] .

---

(١) – راجع صحيفة الأخبار ، القاهرة ، عدد ٢٧ تموز ، وراجع التعليق السوري على الخطاب في صحيفة صوت العرب عدد ٢٤٣٤، ٢٧ تموز ١٩٦٢ .

(٢) – لمن يريد الاطلاع على أسماء المعتقلين وطريقة اعتقالهم يمكنه مراجعة ما كتبه زهر الدين في مذكراته ، ص٣٨١ – ٣٩٢ وأيضاً السمان في كتابه ، وطن وعسكر ، ص٢٠٣ – ٢٠٩ . منهم على سبيل المثال : محمد عمران ، مناف الهنيدي ، عادل حج مراد ، عبد الكريم الجندي ، أنور حمادة . أما المتآمرون من داخل الجيش : فهم : يوسف مزاحم ، محمد مخلوف ، منيف الرفاعي ... الخ.

(٣) – قدمت هذه الوثائق إلى مؤتمر الجامعة العربية المنعقد في شتورة من ٢٢ – ٣٠ آب . ويمكن الاطلاع عليها في المصدر التالي : مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، وثائق دولة ، "مجموعة الجامعة العربية"، حافظة رقم ٣ ، وثائق رقم ١ إلى ١٠ تاريخ ٢٢ /٨ حتى ١٩٦٢/٨/٢٥ .

(٤) – راجع نص البيان في صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢٤٣٦ ، ٢٩ تموز ١٩٦٢ ، ص١ – ٦.

" جعل الكشف عن المؤامرة وكل دقائق السياسة المصرية الرأي العام السوري يتحد لأول مرة ، وهو أمر نادر جداً ، حول معارضة الوحدة مع مصر وبدا واضحاً أمام المراقب أنه لو رحل الانفصاليون وأضاعوا سلطتهم فإن احتمال عودة الوحدة قد ضاع إلى الأبد" (١) .

مؤتمر شتوره والحملة لإعادة الديمقراطية : في ٢٢ آب عقد مجلس جامعة الدول العربية في فندق في بلدة شتوره اللبنانية اجتماعاً طارئاً للنظر في الشكوى التي وجهتها سورية ضد جمال عبد الناصر متهمة إياه بالتدخل في شؤونها الداخلية والتحريض على أعمال التخريب وتنظيم حملة دعائية بقصد إثارة الفتن (٢) .

ضمّ الوفد السوري أسعد محاسن ، خليل كلاس ، أمين النفوري ، أديب الداوودي، وشارك إلى جانبه وفد من المحامين ورجال الإعلام ، وقد أتيحت لهذا الوفد الفرصة لتوزيع كتب ومقالات منشورة في دمشق تظهر مآسي عصر الوحدة والجرائم التي ارتكبت في ظلها . وقدم الوفد للمؤتمرين عدداً وافراً من الوثائق والمستندات التي تكشف تورط القاهرة في المؤامرة الأخيرة على سورية منها : محادثات مسجلة على أشرطة لاسلكية ووثائق مكتوبة تتضمن تعليمات من السفارة المصرية إلى عملائها وأخيراً اعترافات المتهمين (٣) .

---

(١) - F. o/ 371/ 170593/ Annual Review of Syria in 1962, p.12 .

(٢) - في ٣٠ تموز وصل أمين عام الجامعة العربية عبد الخالق حسونة إلى دمشق ، وحاول اقناع الرئيس القدسي بالعدول عن الشكوى ، إلا أن اكتشاف المؤامرة ضد الحكومة السورية حال دون ذلك. راجع : صحيفة صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢٢٤٣٨ ، ٣١ تموز ١٩٦٢ .

(٣) - نشرت سورية هذه الوثائق في كتاب حظرت الحكومة اللبنانية بطلب من حكومة القاهرة توزيعه . راجع وثيقة رقم ١/ تا ٢٢/٨/٦٢ من وثائق مؤتمر شتورة ، نشرة انباء الإذاعة السورية .

عرض المندوبون السوريون قضيتهم بعنف وتهجم شديدين ، وأثارت التعابير المستخدمة في خطبهم جواً عاصفاً ضد الناصرية ودعا هؤلاء الوفود العربية المشاركة إلى التوجه إلى سورية ليروا بأم أعينهم بطلان الاتهامات التي توجهها القاهرة كل يوم إلى الحكومة السورية والتي تظهر سورية وكأنها " سجن كبير " [1] ولم يلب أي وفد الدعوة ، كما لم يساند القضية السورية إلا الوفد الأردني في حين اكتفى مندبو الدول الأخرى بالصمت المطبق [2] ، أما الوفد المصري الذي ضم إلى جانب السفير غالب ، وزيرين سوريين سابقين أكرم الديري وجمال الصوفي ، فلم يقم بأي مسعى للرد على الاتهامات السورية بل اكتفى بالتشديد على مسألة عدم تمثيل حكومة العظمة للشعب السوري باعتبارها غير دستورية ، ولما ازداد ضغط السوريين ، وخشية أن يتخذ مجلس الجامعة قراراً واضحاً لصالح سورية، أعلن الوفد المصري في ٢٨ آب انسحاب الجمهورية العربية المتحدة من الجامعة العربية [3] . وفي ٣٠ منه أصدر المؤتمر بإجماع

---

[1] – راحت الأوصاف التي أطلقها الكلاس والنفوري والمحاسني على ناصر تتدفق كالسيل في خطبهم التي اتهموا فيها ناصراً بطعن العروبة لاقامة امبراطوريته الخاصة وبسكوته عن مواقف الولايات المتحدة مع صبه جماح بركانه على انكلترا وفرنسا ، وبأنه فتح قناة السويس أمام الوكالة اليهودية .. الخ . راجع : م . ن ، وثيقة رقم/٦ / تاريخ ٨/٢٢ ، وثيقة رقم /٧/ ٨/٢٣، وثيقة رقم /٨/ و ٩ نفس التاريخ .

[2] – أثناء انعقاد المؤتمر خصصت الصحف المصرية مكاناً واسعاً في اعمدتها للحدث . وانصب التهجم على الأردن والمملكة العربية السعودية . فتحت عنوان " اجتماع الأصفار " ، كتبت صحيفة الأخبار القاهرية : صفر + صفر + صفر = صفر مهما كان عدد الاصفار . انه اتفاق سعود والحسين والقدسي والنتيجة صفر راجع المقال في عددها في ٦٢/٨/٢٨ . وهاجمت الصحيفة نفسها في عددها الصادر في ٨/٢٩ . الجامعة العربية والأسس التي أقامها انطوني ايدن،عليها وشدد على ضرورة انسحاب مصر من جامعة عربية لا تضم سوى عملاء الاستعمار . لمزيد من التوسع حول انعكاس الحدث على الصحافة المصرية راجع المقالات المنشورة بالافرنسية في :

- Orient. No23 , 1962, Documents "les Evenements du Moyen Orient, dans la presse du Caire" . p.199 - 211 .

[3] – صرح السفير غالب عند إعلانه انسحاب دولته من مجلس الجامعة بما يلي : "لقد وجدت الجمهورية العربية المتحدة أن الجامعة بسبب وضعها المعاق وعدم قدرتها على ممارسة نفوذاً وضغطاً حيال الأنظمة الرجعية المتحالفة مع الامبريالية لا تستطيع إلا أن تكون آلة غير قادرة على انجاز ما هو

الآراء ومعارضة السوريين قراراً ملتبساً علق بموجبه الشكوى السورية نتيجة انسحاب الوفد المصري من الجلسات ، وقد عدت سورية ذلك نصراً لها "لأنها استطاعت أن تخلق من خلال مؤتمر شتورة جواً عاماً مفعماً بالعداء للنظام الديكتاتوري وللناصرية " [1] وانعكس ذلك إيجابياً على الصعيد الداخلي إذ تضامنت جميع القوى السياسية السورية في معركة لدعم الديمقراطية بمواجهة النزعة السلطوية العسكرية .

منذ مطلع حزيران قاد بعض الساسة السوريين من خارج الحكومة حملة لاعادة الشرعية الدستورية والحريات السياسية وفي سياق هذه الحملة سلّم نائب رئيس مجلس النواب رفيق بشور مذكرة إلى رئيس الجمهورية حملت توقيع ١١٠ نائباً احتوت هذه المطالب، وتابع النواب اجتماعاتهم فشكلوا في ١٨ حزيران لجنة سياسية كُلفت وضع خطة مستقبل سورية السياسي وقد وحدت هذه اللجنة التي ضمت (خالد العظم ومعروف الدواليبي ورشاد جبري وجلال السيد) جهودها مع كتلة الحوراني وتم وضع ميثاق مشترك نص على عدم شرعية حل البرلمان قبل مضي ١٨ شهراً على انتخابه (بموجب أحكام دستور ١٩٥٠) واقترحوا أن تكون الانطلاقة دعوة المجلس إلى الانعقاد واعتبار النصوص التي صدرت عن حكومة العظمة بشأن التأميم والاصلاح الزراعي نافذة ومقبولة ، وقد عارض الجيش هذه المقترحات وفشلت بالتالي جهود السياسيين للعودة إلى الشرعية [2] . ومع ذلك لاقت هذه الحملة أول ثمارها عندما نشرت حكومة العظمة مسودة قانون جديد للأحزاب وقضت نصوص المشروع الترخيص لكل حزب أو تنظيم سياسي لا يتعارض مع العروبة ، ولا يتبنى وسائل غير شرعية ، ولا يحمل شعارات دينية أو يدعو إلى قمع الحريات الفردية [3] . هذه القيود هدفت إلى تحظير العمل على الحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي ومنظمة الاخوان المسلمين ، وربما الحركة الناصرية . وقد تعرض هذا المشروع إلى انتقادات عنيفة في بعض الصحف السورية، وخاصة من قبل عصام العطار ، مرشد الاخوان المسلمين الذي شن حملة عاصفة على ما

بناءً لصالح حرية ووحدة ومستقبل العرب " . راجع ، صحيفة المساء ، القاهرة ، عدد ٣٠ آب ١٩٦٢.

(١) – خالد العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص٢٩٦ ، ص٤١٦ – ٤١٩ .

(٢) – راجع : صوت العرب ، دمشق ، عدد ٢٤٠٥ ، ٢٠ حزيران ١٩٦٢ .

(٣) – النص في صحيفة النصر ، دمشق ، عدد ٢٦ تموز ١٩٦٢ .

أسماه " حكومة الانفصال نحو الشيوعية " [1] مما دفع بالحكومة إلى سحب مشروع القانون .

على أثر مؤتمر شتوره ، تنامى في سورية التيار الديمقراطي ، وعاد السياسيون البرلمانيون يساندهم الرأي العام والصحافة يشددون على حاجة البلاد إلى المؤسسات الديمقراطية ، وازداد تضامنهم ، مقابل الانقسام البارز في صفوف قادة الجيش وراحوا يضغطون بإلحاح لإعادة الحياة البرلمانية إلى مجراها واستبدال حكومة العظمة بأخرى قائمة على أسس دستورية أعمق تعبد الطريق لعودة الحياة الديمقراطية الكاملة ، ولما لم يسمح الجيش بعودة المجلس التأسيسي المنحل إلى ممارسة مهماته ، اجتمع أكثرية النواب في منزل خالد العظم وبعد عدة مفاوضات تم التوصل إلى ترتيب يراعي السياسيين ورجال الجيش معاً ويحافظ على المظهر الخارجي للسلطة الدستورية ، ويقضي بدعوة المجلس التأسيسي إلى الاجتماع في منزل خالد العظم لتعديل الدستور في جلسة أو جلستين . وتناول التعديل : منح سلطة التشريع للحكومة ، أن يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعرض اسمه على المجلس حتى إذا نال الثقة عكف على تأليف الحكومة دون الرجوع ثانية إلى المجلس ، منح الحكومة حق حل مجلس النواب على أن تجرى الانتخابات خلال سنة واحدة من تاريخ الحل [2] وقد وافق الجيش على هذه الأسس بما أنه ، باستثناء هذين الاجتماعين في منزل العظم ، فإن المجلس التأسيسي المنحل في آذار لن يعود ثانية إلى السلطة .

في ١١ أيلول تم الاجتماع الأول وترأس الجلسة رفيق بشور [3] وغاب عنها ٣٩ نائباً، وفيها وافق النواب على اعتبار الدستور السوري الصادر في ٥ أيلول ١٩٥٠

---

(١) – صحيفة اللواء ، دمشق ، عدد ٢٨ تموز ١٩٦٢ ومن الجدير ذكره أن العطار تعاون مع الناصريين في حملة معادية للشيوعية وشن حرباً ضد جماعة أكرم الحوراني الذي كان يعتبر العطار ناصرياً يعمل في الخفاء ، وقد ثبت ذلك بعد انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ . راجع العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص٢٨٦ .

(٢) – للتوسع راجع : مذكرات خالد العظم ، ج٣ ، ص٢٩٦ – ٢٩٩ .

(٣) – كان من المفترض أن يترأس الجلسة مأمون الكزبري رئيس المجلس إلا أن رئيس الجمهورية مدفوعاً من قائد الجيش أصر على استبعاد الرئيس فحل محله نائب الرئيس . راجع : م . ن ،

دستور الجمهورية العربية السورية ، وأحيلت التعديلات إلى لجنة برلمانية ، وفي جلسة ١٣ أيلول أقرت التعديلات المطروحة ، وقدمت وزارة العظمة استقالتها ، ونال خالد العظم الذي اختاره القدسي لرئاسة الوزارة الثقة بأغلبية ساحقة [١] وانتهى بالتالي دور المجلس التأسيسي .

- وزارة العظم ونهاية حكم البرجوازية(١٧/٩/١٩٦٢-٨/٣/١٩٦٣):

وصف رئيس وزراء سورية الجديد بأنه أكثر الساسة السوريين استقلالية وتجربة وشعبية وقدرة على تأمين الاستقرار وإعادة الثقة بالدولة [٢] . وعد العظم في بيانه الوزاري ببناء وطن جديد قائم على الديمقراطية الصحيحة ، وأكد أنه متمسك بالتشريعات الخاصة بالإصلاح الزراعي والتأميم وحقوق العمال وأن حكومته ستسعى إلى إقامة وحدة عربية تراعى فيها حقوق الأفراد بالحرية والديمقراطية ومصالح الكيانات العربية القائمة . ولن ترتبط مع أية دولة عربية لا تتبنى الديمقراطية [٣] .

في ١٧ أيلول شكل العظم وزارة ائتلاف وطني تمثلت فيها التيارات السياسية اليمينية واليسارية (الاخوان المسلمون والاشتراكيون) وحزب الشعب والمستقلون وروعيت الناحية الفنية في توزيع الحقائب [٤] هذا وقد فشل العظم في اقناع زعماء

ص٢٩٩ .

(١) - وقائع هذين الاجتماعين مدونة في : مذكرات المجلس التأسيسي والنيابي ، مجلد رقم واحد ، للعام ١٩٦١ - ١٩٦٢ . جلسة استثنائية ، ص١ - ٣٧ . وقد نال العظم ١٥٦ صوتاً من أصل ١٥٧ حاضراً في جلسة ١٣ أيلول التي تغيب عنها١٥ نائباً من الناصريين راجع : نفس المصدر، ص٣٧ .

(٢) - - F. o/ 371/170593/ Annual Review of Syria in 1962 , p.8 .

(٣) - راجع نص البيان في : مذكرات المجلس التأسيسي والنيابي ، مجلد رقم واحد للعام ١٩٦١ - ١٩٦٢، جلسة استثنائية في ١٣ أيلول ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٤) - تألفت الوزارة من وزيرين اشتراكيين : (خليل كلاس للمالية وعبد الحليم قدور للاعلام) وبعثي واحد (منصور الأطرش للعمل والشؤون الاجتماعية) وقد استقال الأطرش منذ الجلسة الأولى بقرار من عفلق والبيطار ، ووزيرين من الاخوان المسلمين (نبيل الطويل للصحة وعمر الخطيب

الأحزاب المتصارعة بالمشاركة في الوزارة ، وقيل " من المؤكد أنهم أرادوا التنحي عن تحمل المسؤولية في حكومة نصف دستورية معتقدين أنهم بذلك سيحتفظون بحرية التحرك عندما ستعود الديمقراطية البرلمانية إلى الحياة " [١] .

تعرضت حكومة العظم منذ انطلاقتها ، إلى ضغوط متعددة أعاقت مسيرتها ، ففي الداخل تعمقت الانقسامات حتى داخل الوزارة وازدادت الفوضى ، وعجزت السلطة التنفيذية عن السيطرة على قوى الأمن ، وتكثف نشاط الناصريين والوحدويين المعادي للنظام ، وتعمق الصدع مع مصر ، واستمرت الدائرة الدعائية المصرية في مساعيها الدؤوبة لتدمير سورية . وقد توالت تلك الأحداث بعضها إثر بعض في المجرى العام لتلك الحقبة التي امتدت حتى الانقلاب العسكري في ٨ آذار ١٩٦٣ . وعلى الرغم من تلك الظروف الضاغطة فقد قامت حكومة العظم بمنجزات جديرة بالذكر فلنستعرضها أدناه :

في إطار العمل لإعادة الديمقراطية والاستقرار السياسي كانت المنجزات ضئيلة قياساً بالوعود ، إذ استمر العمل بقانون الطوارئ حتى نهاية العام ، وذلك بسبب معارضة الجيش والسياسيين اليمينيين وفي مقدمهم رئيس الجمهورية بحجة أن العناصر المعادية للنظام ستستغل الإلغاء لتنظم التظاهرات والاضرابات والأعمال التخريبية وهكذا جرت انتخابات اتحاد نقابات العمال في ظل الأحكام العرفية وشهدت قيام تحالف بين الاخوان

للتموين) ووزير من الجمعيات الاسلامية (مظهر العظمة للزراعة) وثلاثة وزراء من حزب الشعب (رشاد برمدا وزيراً للتربية والتعليم أسعد المحاسني للخارجية وفرحان الجندلي للبلديات والشؤون القروية) ووزير موال للاشتراكيين (أمين النفوري للاصلاح الزراعي) ووزير من الجيش (اللواء زهر الدين قائم بأعمال وزارة الدفاع) وعشرة وزراء حياديين هم (روبير الياس للأشغال العامة ، رفيق بشور للثقافة والارشاد . نهاد ابراهيم باشا للتخطيط ، نبيل الطويل للصحة ، عزيز عبد الكريم للداخلية ، صبحي كحالة للمواصلات ، عزت طرابلس للاقتصاد ، أسعد كوراني للعدلية والأوقاف ، جورج خوري للصناعة ، بشير العظمة نائباً للرئيس) . راجع مذكرات العظم ، ج٣ ، ص٣٠٥ – ٣٠٦ . وخصص العظم آخر مذكراته لاستعراض أحداث ما أسماه وزارتي الخامسة ، ص٣٠٣ – ٤٤٥ . وقد أشار في ص٣٠٧ – ٣٠٨ إلى أنه كتب هذا الجزء وهو لاجئ في السفارة التركية بدمشق وليس تحت متناول اليد إلا القليل من الوثائق العائدة لهذه الفترة وأنه اعتمد على الذاكرة في سرد الحوادث دون المستندات الرسمية .

(١) – F. o/ 371/ 170593/ Annual Report .. op. cit, p.9 .

المسلمين والناصريين مقابل تحالف الاشتراكيين مع الشيوعيين،وقد حقق الحلف الأول نصراً بيناً في انتخابات حمص وأقل من النصف في دمشق بينما حقق الاشتراكيون نتيجة جيدة في حلب واستطاع الشيوعيون إيصال مرشحيهم في هذه المدينة إما منفردين أو على لوائح ائتلافية ، وقد نال الناصريون من ٢٠ إلى ٢٥٪ من مقاعد اتحاد نقابات العمال السوريين وفي هذا دلالة على مدى نفوذهم في مراكز السلطة [١] وتجلى هذا النفوذ في نقابة المعلميين حيث تلقوا دعماً من الاخوان المسلمين وقد حرض الحليفان النقابة على الاضراب ما لم تستجب الحكومة إلى المطالب التي تقدمت بها النقابة غداة صدور مرسوم الوزارة [٢] . وحسب العظم كانت خطة الإضراب مرسومة وموعز بها من القاهرة لإثارة المشاكل في وجه الحكومة [٣] . في ٥ تشرين الأول تشكلت لجنة وزارية لدراسة مطالب المعلمين ووضعت تقريراً يقضي بأن تشمل زيادة الرواتب جميع موظفي الدولة وزيادة التعويض العائلي وجعله موحداً ، وقد رفض المعلمون قرار الحكومة وأعلنوا في ٨ كانون الأول الإضراب العام ، وقد نبذ الرأي العام عملهم ، وقامت الصحافة بحملات قاسية في وجه ما أسمته " التظاهرة الناصرية " [٤] وبعد أن تلمست النقابة موقف الحكومة المتصلب وانصياع حوالي نصف المدرسين لقرار الحكومة ، أعلنت في ١٢ كانون الأول نهاية الإضراب .

تقوى موقف الحكومة إثر حسن معالجتها لمسألة إضراب المعلمون ، وتجلى ذلك في إعادتها فتح ملف قضية إلغاء قوانين الطوارئ ففي٢٢ كانون الأول عقد مجلس الوزراء جلسة عدّل فيها قانون الطوارئ الصادر في عهد الوحدة وأصدر مرسوماً بإنهاء حالة الطوارئ في جميع أرجاء البلاد عدا الجبهة ومخافر الحدود على أن يتم العمل بذلك

---

(١) - - T. Petran, Syria .. , p.163, 164 .
وراجع : صحيفة صوت العرب ، عدد ٢٥٢٧ /١٢/١٠/١٩٦٢ .

(٢) - في ٢٧ أيلول نشرت النقابة بياناً بمطاليبها وهددت بإعلان الإضراب ، راجع : صحيفة المنار، دمشق ، عدد ١٩٦٢/٩/٢٧ .

(٣) - العظم ، مذكرات ، ج٣ ، ص٣٤١ .

(٤) - راجع الصحف السورية الصادرة في تلك المدة ، الرأي العام ، النصر ، دمشق ، اللواء ، الصرخة . وبخاصة الرأي العام ، الأعداد من ٢٥٤٧ حتى ٢٥٥٠ من ١٢/٩ حتى ١٩٦٢/١٢/١٣ .

في ١٩٦٣/١/١ [١] وهكذا عاد السوريون ليستمتعوا بالحريات السياسية ، وبدأ السياسيون يعيدون تنظيم الأحزاب القديمة ، ويخططون لتأسيس أحزاب جديدة وها هي الحكومة تعد بإصدار قانون جديد للأحزاب وبإجراء انتخابات عامة في نهاية تموز كحد أقصى [٢] إلا أن هذا كان سراباً ووهماً كبيرين فالنظام الانفصالي أصبح في الواقع في حال النزاع الأخير ، وقد كتب معلق حصيف حول ذلك التالي : Real Political Stability is hardly to be hoped for yet awhile ... there is still too great a tendency to doubt that Syria can take a hold on its own destiny istead of being at the mercy of Nasser and "emperialist designs" [٣]

مطلع العام الجديد ، بدأت حكومة العظم تخطو نحو نهايتها . ففي الثامن من كانون الثاني قام فريق من الضباط المنفيين بزعامة النحلاوي بمحاولة انقلاب فاشلة : في ١٩٦٢/١٢/٣١ صدر قرار بترقية قائد الجيش اللواء زهر الدين إلى رتبة فريق [٤] وفي ١٩٦٣/١/٣ أصدرت القيادة العليا للجيش سلسلة من الترقيات والتنقلات والعزل شملت عدداً من صغار الضباط من زمرة " الضباط الشوام " وقضت بنقل بعضهم إلى السلك الخارجي وعزل آخرين . وكان هؤلاء الضباط ما يزالون على ولائهم للنحلاوي المنفي منذ نيسان ، ولما وصل الخبر إلى النحلاوي عاد في ٨ منه فجأة إلى دمشق وبرفقته ثلاثة من أصحابه الضباط وهم : الهندي والرفاعي وعمر وكان وصولهم إشارة إلى تحرك ثلاثة نقباء عاملين في اللوائين ٢١ و٢٢ في معسكر قطنا وعدد من صغار الضباط في معسكرين (الكسوه والقابون) حول دمشق ، وقد استنفر هؤلاء قطعاتهم وجهزوها

---

(١) – الجريدة الرسمية ، الجمهورية العربية السورية ، مرسوم رقم ٣٢٧٦ ، في ١٩٦٢/١٢/٢٢ ، عدد١٧٣ ، تاريخ ١٩٦٣/١/٣ .

(٢) – صوت العرب ، دمشق ، عدد٢٥٥٤ /١٩٦٢/١٢/١٨ .

(٣) – F. o/ 371/ 170593/ Annual Report .. , p.17 .

"ان استقراراً سياسياً هو بالكاد مأمول به من الآن وإلى مدة منظورة، ولا يزال هناك أيضاً ميل كبير إلى شك بأن سورية قادرة على التحكم بمصيرها بدلاً من أن تكون تحت رحمة ناصر وخطط الامبريالية " .

(٤) – حول ذلك راجع : مذكرات زهر الدين ، ص٣٥١ ووجهة النظر المعاكسة في السمان : وطن وعسكر ، ص٢٥٥ .

للتحرك باتجاه دمشق ، وتقدموا بمطاليبهم إلى رئيس الجمهورية ورئيس الـوزراء وهـي : عزل قائد الجيش ، إعادة الضبـاط الأربعة المنفيين منذ ٢ نيسان إلى الخدمة ، وإعادة الضباط الذين نقلوا أخيراً إلى السـلك الخارجي إلى مراكزهم . وإصدار مرسوم يحرم على خالد بكداش العودة إلى سورية [١] .

تزامن هذا التمرد العسكري مـع صدامـات عنيفة فـي محيط جامعة دمشق بين الطلاب الاشتراكيين والشيوعيين من جهة وبين النـاصريين والاخوان المسلمين من جهة أخرى وتدخلت وحدة الطوارئ وتحول الصدام إلى خارج سور الجامعة وانتهى ببعض الاصابات والاعتقالات ، كما شهدت مدينة السلمية (في محافظـة حماه) هجوم الطـلاب الثانويين على دور الحكومة مما استدعى تدخل قوى الأمن وحدثت اصابات في صفوف الجماعتين ، كمـا انفجرت فـي ثانويـة حوران صراعات بين الطـلاب الحزبيين وبدت الحكومة عاجزة عن السيطرة على الموقف [٢] .

تأهبت الوحدات الموالية للقيادة لمجابهة تمرد جماعة النحلاوي ، وأغلقت الحدود مع لبنان والأردن مخافة حدوث تدخل خارجي ، ومساء يوم ١٣ كانون الثاني اجتمـع فـي القصر الجمهوري ممثلون عن الثـوار مـع الرئيس القدسي بحضـور العظم والحوراني والعطار وعزيز عبد الكريم ورشاد برمدا .. ومن العسكريين زهر الدين ونامق ومقعبري وآخرون واستمرت الجلسة حتى مطلع الفجر . وأخيراً اقتنع رجال النحلاوي أن مطاليبهم متعذرة وخف التوتر ظهر يوم ١٤ منه وكان على المتمردين مغادرة سورية كما فعلوا سابقاً وعين الضباط الأربعة سفراء في الخارج : النحلاوي في بون ، الهندي في براغ ، الرفاعي في لندن وعمر في برن . واعتقل الضباط الـ ٢٤ الذين تمردوا وهم فـي الخدمة وكـانوا مـن صغـار الرتـب ، مـن زمـرة الضبـاط الدمشقيين ، ثم أحيلوا إلـى المحاكمـة العسكرية وطردوا من الجيش [٣] .

---

(١) - زهر الدين ، مذكرات ، ص ٣٧١ .

(٢) - اتهم العظم حكومة القاهرة بتدبير هذه الاعمال تمهيدا لاسقاط الحكم في سورية وذلك بالاتفـاق مع القائمين على منظمة الاخوان المسلمين والمتعاونين مع عبد الحميد السراج الذيـن كـانوا يتلقـون منـه التعليمات ، راجع : مذكراته ، ج٣ ، ص٣٣٩ .

(٣) - علق مطيع السمان على ذلك بالقول " كان هذا القرار من أكبر القرارات التي اتخذتهـا القيـادة

لاحقاً لهذه الهزة تعرض النظام لهزات متتالية بدأت بتظاهرات وأعمال شغب في حلب وتتالت طيلة شهر كانون الثاني في معظم أرجاء البلاد ، وفقدت الحكومة بالتالي سيطرتها على قوى الأمن وأضاعت هيبتها ، وفي نهاية الشهر أصيب العظم بنوبة قلبية حادة وناب عنه أسعد كوراني ، ومن ثم تمزقت الحكومة مطلع شباط عندما انسحب منها الوزراء السياسيون الذين كانوا يعرفون كيف يقذفون بأنفسهم خارج سفينة تحترق ، في البدء برمدا ثم الوزراء الاشتراكيون : قدور ، كلاس ، النفوري ، فالاخوان المسلمون : الطويل والخطيب [1] . وعشية انقلاب العراق (٨ شباط) لم يعد في سورية نظام بالمعنى الفعلي للكلمة ، وأصبح كل شيء معداً لإنهاء حالة النزع الأخير .

ومن وراء هذا التصدع العميق في المؤسستين العسكرية والسياسية ، كانت منجزات حكومة العظم على الصعيد الاقتصادي لافتة للأنظار ، ففي ظلها استعاد الاقتصاد السوري بعض عافيته وسار في طريق النمو [2] .

بذلت الحكومة جهوداً حثيثة للحصول على المساعدات التقنية والمالية من الخارج، ففي ١٩ كانون الأول قدمت الولايات المتحدة للسوريين قرضاً بقيمة ١٤،٩ مليون دولار لبناء صوامع للحبوب كما منحت فرنسا سورية اعتمادات مالية ضخمة (٥٠ مليون دولار) وطويلة الأجل وعقدت الحكومة اتفاقيات مالية مع كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا ، وكانت مفاوضاتها مع جمهورية ألمانيا الاتحادية بشأن مشروع الفرات المثير للجدل ناجحة حيث أن حكومة بون ترددت في تنفيذ اتفاقيتها بشأن السد مع القاهرة

العسكرية إذ به أخليت الساحة أمام غيرهم الذين فعلوا فعلتهم " . راجع كتابه ، وطن وعسكر ، ص٢٦٢ . وللتوسع حول حركة النحلاوي ورفاقه راجع : م . ن ، ص٢٥٥ - ٢٦٢ . و : زهر الدين ، مذكراتي ، ص٣٧٠ - ٣٧٤ وصوت العرب ، دمشق ، من عدد ٦٣/١/١٠ إلى ٦٣/١/١٤ . الحياة ، بيروت ، من عدد ١٥ إلى ٦٣/١/١٧ . الجريدة ، بيروت ، عدد ٦٣/١/١٥ . النهار ، بيروت، عدد ٦٣/١/١٨ . و :

- E. Be'eri. Army officers , p.149 - 150 .

(١) – الجريدة الرسمية ، الجمهورية العربية السورية ، عدد ١٨٧ المراسم الصادر في ٦٣/٢/١٦ .

(٢) – المعلومات عن الاقتصاد السوري مستقاة من تقرير مفصل صادر عن السفارة البريطانية تحت الرقم التالي :

- F. o/ 371/ 170612/ "Syrian Arab Republic. Quarterly economic Report" , January - March 1963, p.1 - 6 .

في عام ١٩٦١ لأنها أرادت أن تحصل مقابل ذلك على امتياز استثمار نفط الجزيرة لصالح شركة كونكورديا الألمانية الغربية ، كما كانت تعوزها الثقة باستقرار سورية السياسي . وفي ٥ شباط ١٩٦٣ وقع الألمان الاتفاقية مع السوريين وتعهدوا فيها تقديم ٣٥٠ مليون مارك كقرض بفائدة ٣،٧٥٪ تدفع خلال ٢٠ عاماً ، كما وافقوا على التعاون مع الافرنسيين لتنفيذ المرحلة الأولى من السد ، وفي كانون الثاني عام ١٩٦٣ زارت بعثة اقتصادية سورية برئاسة وزير النقل بكين وفي ٢٦ منه وقعوا مع الصين اتفاقيات تجارية كما منحت الحكومة الصينية سورية مساعدات تقنية وقرضاً مالياً بقيمة ٧٠ مليون فرنك فرنسي بدون فائدة ، وفي نفس الشهر زارت بعثة سورية أخرى موسكو للتفاوض بشأن الاتفاق المنعقد في شباط ١٩٦٢ لبناء سكة حديدية تربط الساحل السوري بمناطق الانتاج الزراعي في الشمال وكان الروس يحاولون نسفه بالكامل ونفس الصعوبات واجهتها الحكومة مع شركة يابانية كانت قد وقعت معها عقداً لتنفيذ سكة حديد مع الحجاز عبر الأردن . وبعد أن افتتحت الخطوط الجوية السورية مواصلاتها مع أوروبا وقعت الحكومة عقداً مع شركة فرنسية لبناء مطار مدني جديد في دمشق [١] ويمكن القول أن حكومة العظم نجحت في تحويل نظرة الدول الخارجية من التخوف والوجل من الأوضاع السورية إلى التقارب والتفاهم فتزاحمت دول المعسكرين الشرقي والغربي لتقديم القروض والمساعدات التقنية والمالية لتنفيذ البرنامج الانمائي السوري .

في ظل حكومة العظم نما القطاع التجاري نمواً ملموساً فعلى أثر إلغاء الإشراف على التبادلات مع الخارج والقيود على التصدير ، ارتفعت الصادرات نهاية العام بنسبة ٥٥٪ والواردات ٢٠٪ عما كانت عليه في العام ١٩٦١ وتقلص العجز في الميزان التجاري بشكل بارز [٢] وذلك نتيجة القفزة النوعية في حقل الصادرات الزراعية الناجمة

---

(١) - F. o/ 371/ 170612/ "Syrian ..", p.2 .

(٢) - لوحة التجارة الخارجية السورية ما بين : ١٩٥٦ - ١٩٦٢

السنة	الصادرات	الواردات	الميزان التجاري
١٩٥٦	٥١٥ م . ل. س	٦٩٠ م . ل. س	- ١٧٥ م . ل. س
١٩٥٧	٥٧١ "	٦١٦ "	- ٦٨٠ "
١٩٥٨	٤٣٧ "	٧٥٥ "	- ٣١٩ "

عن الموسم الزراعي الذي لم تعرف له البلاد مثيلاً من قبل .

وقامت حكومة العظم بعدة إجراءات لإعادة الثقة للمستثمرين ، ووعد العظم باحترام حقوق العمال وبأن لن يكون هناك تأميم جديد ، وخلال أقل من شهر تحركت عجلة الصناعة وتلقت الحكومة أكثر من ٤٠ طلباً للحصول على تراخيص لتأسيس صناعات جديدة .

ويبقى أهم أعمال الحكومة ما نفذته في حقل الاصلاح الزراعي ، فقد أصدرت قرار باعفاء المستفيدين من ١٠٪ من الضريبة المفروضة عليهم ، وتخفيض ثمن الأرض المتوجب عليهم دفعه إلى النصف ، هذا وقد نظم وزير الاصلاح الزراعي أمين النفوري حليف الاشتراكيين حملة مكثفة لتسريع عملية نقل الأراضي إلى الفلاحين ووزع في عهده وعهد سلفه أحمد عبد الكريم خلال عشرة أشهر أكثر مما وزعته دولة الوحدة في ٣٦ شهراً [١] ومما كان يجب أن يوزع في عامين في ظل نظام البعث الاشتراكي الذي وصل إلى السلطة بعد انقلاب ٨ آذار .

الإنقلاب العسكري في ٨ آذار ١٩٦٣ : بعد اعتراف الولايات المتحدة بالجمهورية اليمنية ساد الاعتقاد في الدوائر السياسية السورية بأن واشنطن قد اختارت عبد الناصر ليكون الأداة لتنفيذ سياستها في الشرق الأوسط وبأن المساعدات الأمريكية المنهالة على مصر لبناء اقتصادها موجهة لتمويل جيش ناصر في اليمن ونشاطاته

١٩٥٩	٤٢٤ "	٦٩٤ "	– ٢٧٠ "
١٩٦٠	٤٠٥ "	٨٥٨ "	– ٤٥٣ "
١٩٦١	٣٩٥ "	٧١١ "	– ٣١٦ "
١٩٦٢	٦١٧ "	٨٦٢ "	– ٢٤٥ "

– راجع : F. O, 371. 170612, Syrian ... . p.3 - 4 . والمكتب المركزي للاحصاء ، الجمهورية العربية السورية ، الأعوام ١٩٥٣ – ١٩٦٣ ، ص ٨٦ .

[١] – المكتب المركزي للاحصاء ، الجمهورية العربية السورية ، إحصائيات ١٩٦٨ ، ص١١٣ .

العدوانية ضد النظام السوري [١] التي تكشفت في الأسبوع الأول من شهر شباط وأشعلت أزمة في العلاقات السورية اللبنانية ، فعلى أثر إلقاء السوريين القبض على متسللين يحملون قنابل من لبنان اجتاح الجيش السوري الحدود اللبنانية وخرب إذاعة سرية ناصرية كانت تبث من قرية عشابة الحدودية وبالتالي أقفلت الحدود مع لبنان من ٥ إلى ١٢ شباط [٢] .

وبين عشية وضحاها تحول العراق من حليف وداعم للنظام السوري إلى مصدر قلق وذعر ، ففي ٨ شباط أسقطت عناصر من الجيش العراقي نظام قاسم في انقلاب دموي وعُيّن عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية من قبل قادة الانقلاب الناصريين والبعثيين الذين شكلوا "المجلس الوطني لقيادة الثورة " ، وتألفت حكومة من البعثيين والناصريين أرسلت في ٢١ شباط وفداً إلى القاهرة للاحتفال بمناسبة قيام الجمهورية العربية المتحدة وهناك وضعت الخطط لتطويق النظام الانفصالي بشكل كامل [٣] فالنظام العراقي الجديد الذي لم يثبت بعد أقدامه أمام القوى الداخلية المعادية تحالف مع ناصر لمواجهتها ، وهذا ما يفسر الاستقبال البارد الذي مني به الوفد العسكري السوري الذي توجه إلى العراق للتهنئة بالثورة [٤] . وهكذا وجدت سورية نفسها ، غداة الانقلاب

---

(١) – عرض السفير السوري في لندن هذه الأفكار في مقابلة أجراها مع وزير الخارجية البريطانية وفيها شدد على أن الرئيس كنيدي يدعم ناصراً اعتقاداً منه أنه وحده قادر على التوصل إلى حل بشأن النزاع العربي – الإسرائيلي . التفاصيل في التقرير التالي :

- F. o/ 371/ 164394/ From F. o/ to Damascus embassy/ 17 Dec/ 1962 .

ونفس الأفكار طرحها نائب رئيس مجلس الوزراء د. بشير العظمة في مقابلة مع السفير البريطاني بعد عودته من نيويورك حيث ترأس البعثة السورية إلى الأمم المتحدة ، التفاصيل في التقرير التالي :

- F. o/ 371/ 164394/ sec Report No86 . 8 Dec . p.62 .

(٢) – التفاصيل في الصحف اللبنانية ، النهار والحياة والجريدة من ٩ إلى ١٣ شباط ، وفي الصحف السورية من ٦ إلى ١٢ شباط ١٩٦٣ .

(٣) – حول أحداث الثورة العراقية يمكن مراجعة الوثائق المنشورة في مجلة :

- Orient . No25, 1963, p.177 - 189 . cf. E. F. Pensore, "l'Irak en 1963/ ume annee de coups d'Etat" Orient . No28. 1963, p.17 - 36 .

(٤) – " أرسلت القيادة العسكرية وفدا إلى العراق برئاسة العميد محمد التل وعضوية نور الله حج

العراقي ، معزولة تماماً ، وارتفعت آمال الوحدويين السوريين ، بينما ازداد الانفصاليون ضعفاً وانقساماً [1] .

حث انقلاب العراق القادة السوريين على التحرك لتحصين النظام وسد الثغرات الأمنية فعلى الصعيد المدني تشكل حشد وطني ضم السياسيين ، ورجال الأعمال ، ورؤوساء النقابات، ورجال الدين ، ودعا الحشد إلى تدعيم الحكومة والاتحاد لمواجهة هذه التهديدات ، هذا وقد تجاهل الاشتراكيون المناشدة ورفضوا العودة إلى الحكم ، وعلى الصعيد العسكري ، طهَّرت القيادة العسكرية أكثر من مائة ضابط بعثي وناصري ، وأصدرت في ٢٢ شباط نشرة تضمنت تعيينات جديدة في صفوف الضباط إلا أن هذه السياسة التي نفذتها القيادة العسكرية دفعت ببعض الضباط الرئيسيين إلى التآمر مع الناصرين الذين بدوا وكأنهم أصبحوا الآن يمسكون مستقبل سورية السياسي بين أيديهم .

ثلاث مجموعات عسكرية حضرت لانقلاب الثامن من آذار [2] الأولى من المستقلين بقيادة العقيد زياد الحريري الذي كان أحد المبعدين عن منصبه كقائد للجبهة إلى ملحق عسكري في بغداد ، وقد رفض الحريري الانصياع لأوامر النقل وبدأ الاتصال مع زمرة الضباط الوحدويين التي أصبحت بعد انقلاب العراق في موقع أقوى بكثير عما كانت عليه غداة انقلاب ٢ نيسان ١٩٦٢ ، وقد ضمت هذه الزمرة مجموعتين : الناصريين بزعامة العقيد راشد قطيني رئيس شعبة المخابرات والعقيد محمد الصوفي قائد لواء المنطقة الوسطى . والبعثيين الذين كانوا قلة في الخدمة الفعلية في الجيش منهم : (سليم حاطوم ، عثمان كنعان ، سليمان حداد ومصطفى حاج علي) وقد أدرك هؤلاء ومن كانوا خارج الخدمة من البعثيين أن مصلحتهم تقتضي التنسيق مع الحزبيين

ابراهيم وعادل حج مراد وغيرهم . وقد رد هذا الوفد عند الحدود العراقية ولم تسمح له سلطات بغداد تخطيها وأعادته من حيث أتى ، بينما فتحت حدودها أمام وفد آخر ضم : "عفلق والبيطار والأطرش وغيرهم" راجع السمان ، وطن وعسكر ، ص٢٨٢ .

[1] – لقد اختار الحوراني الوقوف إلى جانب النظام التقدمي في العراق متجاهلاً التقارير الأمريكية الواسعة الانتشار بأن وكالة المخابرات الأمريكية كان لها يد مباشرة في الانقلاب العراقي " راجع :
- Petran . Syria, p.165 .

[2] – قدم زهر الدين في القسم الأخير من مذكراته تفاصيل دقيقة حول المؤامرة التي سبقت الانقلاب ، راجع الصفحات ٤٠٠ – ٤٢٦ .

السياسيين ، فالتفتوا إلى عفلق لكونه معارضاً صلباً للانفصال ، ولنفوذه البارز في بغداد بعد عودة البعث إليها .

لا يزال الغموض والتناقض في الروايات يكتنف المعطيات الخاصة بالتحضيرات السرية التي سبقت انقلاب ٨ آذار وأبطاله الرئيسيين [١] وقد كشفت الأحداث اللاحقة مسألة توزع الأدوار خلال الأيام العشرة الأخيرة من شهر شباط بين الضباط التالية أسماؤهم : زياد الحريري صاحب الدور الراجح في التحضير للانقلاب وتنفيذه بمشاركة حلفائه المستقلين وفي مقدمهم غسان حداد قائد الهجّانه . وحركت الحريري طموحاته الشخصية ، ومع أنه لم يكن يحمل أفكاراً سياسية واضحة ، لكنه كان يخشى عودة الوحدة مما وضعه في موقع أقرب إلى البعث منه إلى الناصريين ، وإن استمر في التعاون والتنسيق مع قطيني والصوفي لضمان نجاح الحركة . ولأجل هذا الهدف كان لابد من ضمان تعاون الضباط المسيطرين على الوحدات في شبكة المعسكرات المحيطة بدمشق منهم (نور الدين الكنج ومحمد الاوضة وأحمد خطاب) وقد وافق هؤلاء على المشاركة في العملية حين بدت لهم نهاية النظام قد أصبحت وشيكة . ولم تستطع القيادة العسكرية إثبات تورط الحريري في مؤامرة ضد النظام ، لذا اكتفت بالإسراع بتنفيذ قرار نقله إلى بغداد [٢] . وقد بدل المتآمرون توقيت العملية من ٥ إلى ٨ آذار للحصول على وقت إضافي للسيطرة على الوحدات العسكرية دون إراقة دماء . وفي اللحظة الأخيرة انسحب

---

(١) – حول ثورة الثامن من آذار راجع المصادر التالية : قصة الثورة في العراق وسورية . (بيروت ١٩٦٣) ص٥٠ وما يلي . و : زهر الدين ، مذكراتي ، ص٤٠٠ – ٤٢٦ . الجندي ، حزب البعث، ص١٠٥ – ١١٧ . باتريك سيل ، الأسد ، ص١٢٤ – ١٣٢ . سليمان مدني ، خفايا وأسرار ٨ آذار، دمشق ١٩٩٧ ، ص ٢١ – ٣٨ . وراجع مجموعة الوثائق المنشورة في :

- Orient, "les Documents sur les Revolutions D'Irak et de la Syrie" No25, 1963, p.181 -180

وراجع :

I. Rabinovich, Syria . p. 43 - 48 , cf. E. Be'eri, Army .. . p. 149 - 152 , cf. M. Kerr , the Arab . p. 58 - 60 , cf . M. Colombe , "Revolution, socialisme et Unite" dans. Orient No27, 1962, p.7 - 15 , cf. Ed Saab , la Syrie.. p.115 - 112 .

(٢) – زهر الدين ، مذكراتي .... ، ص٤٠٥ ، وقد اتهم السمان اللواء قطيني باخفاء المعلومات عن القيادة والتستر على المؤامرة . راجع كتابه ، وطن وعسكر ، ص٢٩٦ – ٢٩٧ .

الصوفي والقطيني من العملية خشية أن تكون السلطات قد أصبحت على علم بالحركة مما يجعل فرص نجاحها ضئيلة ، وتبين فيما بعد أنهما كانا يخططان لانقلاب على طريقتهما الخاصة وأرادا التملص من ارتباطهما بالحريري والبعث ظناً منهما أن علاقة الحريري مع البعث ستضعهما في مرتبة صغار الشركاء [1] ، عندئذ صمم الحريري على العمل منفرداً فانضما إليه من جديد وتم إعلام الضباط الآخرين وقيادة حزب البعث بخططهم [2].

فجر الثامن من آذار تقدمت القوات المتمردة باتجاه دمشق من ثلاثة محاور وكان أقواها لواء الجبهة ، بقيادة توفيق الشوا ، المجهز بالدبابات الثقيلة والمدافع المضادة للطيران حيث أن الثوار قد ركزوا بخاصة على القوى الجوية خشية أن يقوم قائدها ، اللواء موفق عصاصة ، بضرب الانقلابيين ، وقد فشلت مساعي عصاصة بتحريك سلاح الطيران إذا تمكن الطيارون البعثيون في مطار الضمير العسكري من السيطرة على القاعدة واعتقلوا قائدها الزعيم هيثم المهايني ومنعوا إقلاع طائرات الميغ [3] .

في الساعة الرابعة صباحاً ، وصلت القوى المتمردة إلى دمشق حيث كان الحريري وقطيني بانتظارها وبعد مقاومة بسيطة تم احتلال مبنى رئاسة الأركان العامة ، وسقطت بسهولة باقي المراكز الحساسة في المدينة بعدما انضم إلى ضباط الانقلاب الزعيم جميل فياض آمر موقع دمشق والمقدم عثمان الجيرودي آمر الشرطة العسكرية التي ألقت القبض على اللواء زهر الدين وقادة النظام السياسيين والعسكريين ووضعوا قيد الاعتقال بينما نجح العظم ، المتمرس بشؤون الإنقلابات وشجونها ، في الحصول على حق اللجوء السياسي في السفارة التركية المجاورة لمنزله ، وفي الساعة الرابعة إلا ربعاً بثت إذاعة دمشق البلاغ رقم واحد: " باسم الله والعروبة : منذ فجر التاريخ قامت سورية بدور رائد في النضال تحت راية العروبة .. إن سورية العربية وشعبها لم يعترفا

---

(1) – راجع : الجندي : البعث ، ص١١٢ .

(2) – راجع المقابلة التي أجراها ميشيل عفلق مع مراسل صحيفة Le Monde الإفرنسية وفيها تحدث عن دوره في التحضيرلثورتي شباط وآذار في العراق وسورية ، في عددها الصادر في٢١آذار ١٩٦٣.

(3) – حول هذه النقطة راجع المقابلة التي أجراها باتريك سيل مع الرئيس حافظ الأسد ، في كتابه ، الأسد الصراع على الشرق الأوسط ، ص١٣٢ .

قط بحدود إلا حدود الوطن العربي حتى أن النشيد السوري لا يحتوي كلمة سورية بل بيحل العروبة وكفاح الحرب البطولي " وبعد أن شجب البيان ما أسماه " كارثة الانفصال " قال : " يا شعب سورية العربي ... خلال عام ونصف عشت أصعب مرحلة في تاريخك .. وقد أدرك جيشك وضباطه الساهرون ما عانيته من صعوبات ، وسعت قيادته دائماً إلى تحقيق أماني الشعب . هذا الصباح قامت قيادة الجيش بانتفاضة ثورية وأمسكت بالسلطة " [1] . لم يذكر هذا البيان البعث ولا الاشتراكيين بل أشاد فقط بالجيش القوة الثورية التي أطاحت بالنظام وأكد على الوحدة العربية . وبعد ظهر ذلك اليوم تشكل المجلس الوطني لقيادة الثورة أعلى سلطة في الدولة وظهر حزب البعث على المسرح بعد أن أكمل الجيش عمله واستلم زمام السلطة .

× × ×

وهكذا كما كانت وحدة سورية ومصر ثورةً على واقع التجزئة التي أقامها الإستعمار الغربي بعد الحرب العالمية الأولى أثبت الإنفصال أن واقع التجزئة غير مؤقت وبأنه حاجز صلب أمام وحدة الأمة العربية .

تماماً كما كانت وحدة سورية ومصر فاتحة عهد جديد في المنطقة العربية كان عصر الإنفصال بداية حقبة جديدة فقدت فيها مصر كثيراً من نفوذها ولن يعيد إليها أي حدث آخر مجدها الغابر من العالم العربي .

- جهدت البرجوازية المدنية التقليدية ، خلال سبعة عشر شهراً ، لاستعادة الماضي بدعم من زمرة " الضباط الدمشقيين " لكن هذه الجهود كانت بلا مستقبل ، لتعارضها مع الحقائق التي تشكلت في السنوات السابقة ، إذ لم يكن باستطاعة الفريق السياسي القديم تصفية هيكلية الأسس الإقتصادية - الإجتماعية التي أقرتها الوحدة .

- كذلك باءت بالفشل آخر محاولة من جانب البرلمانيين السوريين لإعادة المؤسسات الديمقراطية ، لأن النظام الإنفصالي افتقد ، كما في الماضي ، إلى القواعد الأساسية لحكم ديمقراطي سليم مما جعله عاجزاً عن إيجاد التوافق الضروري لمواجهة

---

(1) - Orient , Document .. No25 , p.181 - 182 . -

الأزمات الداخلية التي تصدى لها الجيش وأحل نفسه محل السلطة المدنية التي خضعت لسلطانه وتناست الديمقراطية.

– كان عصر الإنفصال حقبة رمادية في تاريخ سورية المعاصر تميزت : بضعف السلطة التنفيذية ، صراع الأحزاب وتفككها ، إنقلابات متتالية ، تبدلات في القيادات العسكرية ، تحركات جماهرية عنيفة ، شلل في الجهاز الإداري .. كل هذا هيأ السبل لولادة شكلٍ جديد من السلطة مختلف تماماً عن تلك التحالفات الحزبية والشخصية التي طبعت الحياة السياسية السورية منذ الإستقلال . هذا الشكل تمثل بوصول حزب البعث إلى السلطة بأهدافه الواضحة ، باختراقه الحواجز الإجتماعية التقليدية ، بالدعم الذي تلقاه من المؤسسة العسكرية بتركيبتها القيادية الجديدة التي بدلت بعمق أسس الحياة السياسية السورية .

خاتمـــــة

==========

ومع انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣ انتهى عصر وبدأ آخر ، جديد في أسسه ومؤسساته ورجالاته ، ومعه حُسم الصراع على السلطة بين المدنيين والجيش لمصلحة الجيش ، وأثمرت البذرة التي زُرعت في التربة السورية في ٣٠ آذار ١٩٤٩ .

قدم تاريخ سورية في السنوات التي تناولتها هذه الدراسة صورة عاصفة لتاريخ مثقل باحداث سياسية معقدة وتحولات جذرية في الحياة الاقتصادية – الاجتماعية . فقد عبرت هذه الجمهورية الحديثة التكون من أزمة الانتداب الإفرنسي إلى أزمات داخلية وخارجية متتالية عاشت خلالها سورية حياة قلقة مزعزعة الأركان ، وخاضت تجارب عديدة للتوصل إلى الإستقرار وسلكت دروباً وعِرة لتحقيق سيادتها واستقلال قرارها .

ثلاث ظاهرات حددت مسار هذه الحقبة ، لعل أبرزها ظاهرة الانقسامات داخل المجتمع السوري ... هذا المجتمع قد افتقد الأسس والتقاليد التي تكوّن اللحمة بين أبناء الوطن الواحد ، إذ تشرب أبناؤه خلال تاريخ طويل ولاءات متعددة وسادت بينهم الانقسامات الدينية والمذهبية والعرقية والاقليمية ، وتشكلت بين الطبقات الاجتماعية فجوات عميقة وشروخ بارزة في الاتجاهات الفكرية . وكان من واجب النخبة السياسية السورية أن تتحدى طبيعة هذا المجتمع وتدمج فئاته داخل هذا الكيان السياسي ، إلا أن اتجاهات هذه الطبقة زادت من الفوضى والتشتت ، حيث ركز اتجاه منها على مسألة الدولة – الوطن على مستوى حدود الجمهورية السورية مقابل اتجاه آخر تجاهل هذه الحدود متطلعاً إلى هوية قومية عربية ، وأسهمت هذه الظاهرة في إبراز وتفعيل أخرى هي ظاهرة التدخل الخارجي في الشؤون السورية ... ولكون سورية تقع وسط منطقة حيوية ذات وزن اقتصادي واستراتيجي عالمي فقد تعرّض كيانها عدة مرات إلى خطر الذوبان بفعل أطماع القوى الامبريالية للاحتفاظ بنفوذها السياسي وهيمنتها الاقتصادية بمواجهة حركة التحرر العربية وخطر التدخل السوفياتي ، ومارست هذه القوى ضغوطاً سياسية واقتصادية لمواجهة مساعي السوريين للتحكم بحرية قرارهم ، كما عملت على

تأجيج الصراعات بين الكتل العربية المتنافسة على سيادة العالم العربية محولة سورية إلى لعبة سياسية تتقاذفها أمواج هذا المعسكر أم ذاك الأمر الذي أعاق تطورها السياسي ونموها الاقتصادي .

وتبقى ظاهرة بروز الجيش في حياة سورية السياسية الحدث الذي خلّف أعمق البصمات في تاريخها المعاصر ... إذ منذ أن انهار النظام البرلماني في ٣٠ آذار ١٩٤٩ لم تستطع أية قوة أن تعدل أو تبدل في سياسة الدولة دون تدخل الجيش الذي أصبح بيده وحده حل الأزمات التي فشل في حلها السياسيون المنقسمون بفعل مطامعهم الشخصية وصراعاتهم الطبقية والعقائدية ، هذا الجيش الذي أصبح " ضمير الأمة " و " حامل لواء التحديث " قد حولته الصراعات العقائدية وتعددية الأحزاب إلى كتل متنافسة عكست في تركيبها وتعددية ولاءاتها واقع الساسة المدنيين بخاصة والسكان السوريين بعامةٍ ، وبذلك أضافت ظاهرة تسيس الجيش عاملاً أسهم بفعالية في تمزيق الحياة السيسية السورية .

× × ×

× ×

شهد تاريخ سورية في هذه الحقبة ١٩٤٦ – ١٩٦٣ أربع مراحل متمايزة في نظامها ومؤسساتها وأحداثها : الأولى مرحلة الديمقراطية البرلمانية التي وضع أسسها الافرنسيون عشية الانتداب ورحلوا تاركين وراءهم كياناً سياسياً غير متطور ومؤسسات هشة فرضت على السوريين من فوق ومن الخارج . إن النخبة السياسية السورية التي قادت النضال الوطني أصبحت بعد الاستقلال القيمة على هذا النظام لكنها فشلت في تطبيقه كما في جعله مقبولاً ومفهوماً لدى السكان ، هذه النخبة بغالبية رجالها افتقدت التبصر والحكمة والخبرة ، وكانت الحارس الأمين على ماضٍ شبه إقطاعي مصمم على استمرارية سيطرته على السلطة والإقتصاد ، وظهرت بعد رحيل الافرنسيين منقسمة متنازعة على غلة الحكم وغير جاهزة لتحقيق التغير والتحديث ، ولا مستعدة لتخليص سورية من عللها التاريخية . لقد اهتز هذا النظام الديمقراطي بعمق عندما واجه أول الأزمات الخارجية " كارثة الحرب الفلسطينية " حيث ساد عقبها احباط عام وغليان شعبي ومشاعر معادية للنظام وللقيمين عليه ، ومهدت هذه الأجواء السبل لبداية عملية هدم النظام القديم واتخذت شكلاً عنيفاً عندما أسقط الجيش النظام وجعل نفسه أداة الاصلاح

والحداثة . وافتتح مرحلة جديدة هي مرحلة الاوتوقراطية العسكرية (آذار ١٩٤٩ – شباط ١٩٥٤) التي تميزت بكونها مرحلة التغييرات التي كسرت العمود الفقري للطبقة التقليدية المالكة والحاكمة وفسحت المجال أمام تطور الطبقة الوسطى وبروزها ، وكان وصول العسكريين إلى السلطة يلائم متطلبات الامبريالية التي توجهت لدعم نظام قوي وقادر على إزالة الآفات الاجتماعية وفرض سيطرة محكمة على الجماهير لتجنب انتفاضاتها والحد من اندفاعها .

شهدت سورية ، خلال ثلاثة أرباع العام ، ثلاثة انقلابات عسكرية جرَّت معها فوضى عارمة وكاد كيان البلاد السياسي الهش أن ينهار بالكامل ، ومن ثم دار صراع مميت على السلطة بين المدنيين والضباط أعقبه حكم الشيشكلي ، الذي ، على الرغم من طابعه الفردي ، حاول إعادة بناء المؤسسات السياسية الطبيعية ، إلا أن السوريين الذين اعتقدوا أن حل أزماتهم يكمن في حكم الجيش ماعتموا أن اكتشفوا خطأهم ، فثاروا في وجه الديكتاتورية ، معتمدين على الجيش ، وأطاحوا بحكم الشيشكلي ، مع بروز عوامل دولية وعربية فرضت هذا المصير ، وأعاد الجيش السلطة إلى المدنيين وانكفأ داخل ثكناته.

ومع قيام الأنظمة العسكرية وسقوطها ، قامت في سورية اصلاحات على مختلف الأصعدة وبخاصة في عهد الشيشكلي : فمن محاولاته تأكيد استقلال سورية ضمن محيطها العربي ، إلى التشديد على بناء وطن موحد من خلال توسيع سبل المواصلات والاتصالات وتوحيد نظام التعليم ، إلى السعي لتثبيت الحكم المركزي بتحطيم القوى النابذة ودمج الأقليات وزرع بذور الهوية السورية ، كما شملت تدابيره إصلاحات اقتصادية – اجتماعية أسهمت في تحديث البلاد ورخائها وكانت صمام أمان أمام القلق الاجتماعي المتنامي، ووضعت اللبنةَ الأولى في عملية ردم الثغرات بين طبقات السكان والتي اكتملت منتصف الستينات . ومع ذلك فإن مرحلة الديكتاتوريات العسكرية لم تحقق لسورية الاستقرار المنشود لا بل قوض السياسيون العسكريون أسس الدولة أكثر مما فعله السياسيون المدنيون وخلف حكمهم ندبات في المرحلة الثالثة ، مرحلة عودة الديمقراطية (شباط ١٩٥٤ – شباط ١٩٥٨) ، وفيها تمتعت سورية بنظام ديمقراطي برلماني تنافست داخله الأحزاب والطبقات بحرية وأمل الرأي العام العالمي أن تحقق سورية في ظله

الاستقرار والتطور وأن تكون منارة الحرية السياسية في محيطها العربي ، إلا أن ذلك لم يحدث قط ، لابل أوصلت تلك الديمقراطية إلى إغراق البلاد في خضم الفوضى والتمزق، وانتهت المرحلة بتخلي السوريين عن جمهوريتهم ونظامهم لمصلحة " جمهورية عربية متحدة " .

في هذه المرحلة نمت الأحزاب السياسية وحققت الراديكالية منها قفزة نوعية في نفوذها في أوساط الضباط حيث برزت صورة " الضابط العقائدي " ، وتشارك هؤلاء الضباط مع المدنيين في الحياة السياسية ، كان بعضهم منظماً في أحزاب أو متعاطفاً مع هذا أو ذاك من التيارات السياسية القائمة على الساحة . وبذلك أصبحت طبقة الضباط منقسمة إلى زمر سياسية متنافسة وعاجزة عن خلق إدارة عسكرية موحدة .

وفي هذه المرحلة ولد شكل جديد للسلطة تمثل في جهاز المخابرات وقد أسهم القيمون عليه في تأجيج الصراع على السلطة وفي إضعاف فاعلية المؤسسات المدنية الشرعية .

وفي هذه المرحلة أثارت صراعات القوى اليمينية واليسارية معاً أزمات داخلية أغرقت البلاد في الفوضى وتزامنت مع بروز فكرة الحياد وبداية النفوذ السوفياتي في الشرق العربي ومحاولات الغرب تنظيم مشاريع دفاع في المنطقة .. وفي ظل أجواء دولية واقليمية مشحونة عاشت سورية خلال عام ونصف في عزلة عصيبة وتعرضت للمؤامرات وأنواع شتى من الضغوط ، هذه البلاد مهد القومية العربية قد أثارتها بعد أزمة السويس ، اسطورة عبد الناصر ، فاعتقدت أن في الوحدة مع مصر العلاج لمشاكلها، فطار ضباطها القادة إلى القاهرة (معقل العروبة الجديد) مطالبين عبد الناصر بقبول الانضمام إلى دولته .. وكانت الخطوة الأولى في طريق تحقيق وحدة الأمة العربية ، ولادة الجمهورية العربية المتحدة . مرحلتا الوحدة مع مصر والانفصال عنها مرحلتان مترابطتان في تاريخ سورية مهما كانت كبيرة وعميقة الفروق بينهما ، وإذا ما كانت الوحدة تتويجاً لمرحلة أنهت المشاكل التي كانت تعاني سورية منها فإنها خلقت أخرى أشد تعقيداً ، فكان الانفصال ، وهو مرحلة حاولت فيها البرجوازية السورية إعادة عقارب الساعة إلى الوراء وفشلت ومن الفشل انبثق في سورية عصر جديد .

منذ قيام الوحدة شباط ١٩٥٨ وحتى سقوطها أيلول ١٩٦١ أضحت سورية ميداناً لتغييرات جوهرية ، ففي إطار عملية التوحيد خسرت سورية استقلالها وشخصيتها الدولية وأيضاً نظامها السياسي والاقتصادي ، وزودت بأنظمة جديدة دبجت في القاهرة ونفذت بأوامر منها ، وتقلص دور السوريين في مؤسسات دولة الوحدة الإقليمية والمركزية تدريجياً حتى انعدم في النهاية .

لقد هدف النظام الذي طبقه عبدالناصر في سورية إلى دمجها مع مصر بغض النظر عن الاختلافات الجوهرية في الواقع الاجتماعي – الاقتصادي بين الإقليمين ، وهذا ما خلق انطباعاً أولياً وعاماً بأن الوحدة سائرة في الطريق الخطأ . وانبثقت المعارضة الأولى للنظام من القياديين السوريين الذين نظروا إلى النظام على أنه نوع من امبريالية متسربلة برداء عربي ، وراحت هذه المعارضة تبني قواعدها بحذر وبطء إلى أن أصبح الاستياء ، من نظام فشل في بناء قواعد سياسية سليمة ، عاماً ، وجاءت الأزمة الاقتصادية لتفقد النظام كل دعم جماهيري ، آنذاك لجأ المصريون إلى اسلوب العنف للإبقاء على الوحدة ، وبذلك خلقوا مناخ الانقلاب ، فانهارت الوحدة تحت ضربات الجيش الذي صنعها (٢٨ أيلول ١٩٦١) والذي اعتقد المصريون المسيطرون على قياداته أنه سيكون حصنها ، وانسحبت سورية من الجمهورية العربية المتحدة ، وسقطت التجربة الوحدوية الأولى في العالم العربي المعاصر بانقلاب عسكري هيأت له طبيعة النظام والظروف التي أحاطت به . هذا وقد ساهمت مرحلة الوحدة في تقوية احساس السوريين بهوية الوطن السوري من جهة وعززت من جهة أخرى الانقسامات التي كانت قائمة في سورية ، وبرز ذلك في مرحلة الانفصال (٢٨ أيلول ١٩٦١ – ٨ آذار ١٩٦٣) التي قدمت لنا صوراً متنوعة عن طبيعة الحياة السياسية السورية . بعد الانفصال استعادت سورية استقلالها ونظامها الديمقراطي واستعادت معه كل مساوئه القديمة : تدخل الجيش في الشؤون السياسية ، الصراع بين الفئات السياسية ، تمزق الأحزاب وتشرذمها، توجه السلطة لمصلحة البرجوازية العليا والوسطى الممثلة لها .. وعادت سورية إلى عصر الفوضى من جديد ، انقلابات ، أعمال شغب تظاهرات طلابية وعمالية ، قلق اجتماعي ، جمود في البنية الإدارية . وقد فشلت الحكومات الثلاث التي تعاقبت على الحكم خلال عام ونصف في التوصل إلى إصلاح سريع كما فشلت في إقامة علاقات طبيعية مع مصر

وفشلت أكثر في تطبيع العلاقات مع المعادين للوحدة في أوساط السياسيين وصفوف الضباط ، وبدأ النظام يتصدع تحت ضربات الضباط ومؤامرات المصريين وحملات أجهزة إعلامهم الدؤوبة ، وتعمق الصدع لما هبت ريح عاتية في هذا الشراع الواهي ، إنه انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق الذي وضع نظام الانفصال في عزلة قاتلة ، وأوصد في وجهه كل المنافذ وأدخله ، في حال السبات المميت ليصبح لقمة سائغة في أيدي زمرة من الضباط المغامرين والوحدويين، وفي ٨ آذار نفذ هؤلاء حركة انقلاب أخذت على عاتقها السلطة وطرح النظام الجديد ، مثلما فعل النظام العراقي ، شعار البعث الثلاثي : وحدة ، حرية ، اشتراكية .

- افتتح قادة انقلاب ٨ آذار عهدهم بالتوجه إلى القاهرة لتصحيح أخطاء الماضي وتجنب أي تحرك يعيد دولة الوحدة بشكلها القديم ، وبعد عشرة أيام من المفاوضات تقرر إقامة اتحاد فيدرالي بين مصر وسورية والعراق نشر ميثاقه في ١٧ نيسان ولم يكن سوى حبر على الورق ، ومن ثم قررت دمشق وبغداد توحيد جيشهما كمقدمة لاتحاد الدولتين وانتهى المشروع بعد انقلاب ٢٨ آذار ١٩٦٤ في العراق ومعه حلم التقارب مع العراق تماماً كما حدث في عهدي الأسرة الهاشمية وعبد الكريم قاسم .

وبنهاية أحلام الوحدة انفتح الحكام السوريون على شعبهم ، وعادت سورية كما كانت في عصر الزعيم والشيشكلي حريصة على استقلالها وعلى تلك الأطر التي حددها الانتداب الافرنسي . وبذلك توصل الحكام الجدد إلى تأمين الدعم اللازم لنجاح التحالف بين حزب البعث والجيش .

هذا التحالف ثبت أقدامه بعدما تخلص من حلفاء الأمس ، زمرة الحريري والناصريين الذين طرحوا في ١٨ تموز ١٩٦٣ أوراقهم بتهور ونفذوا حركة مسلحة بهدف إعادة الوحدة مع مصر فاندحروا وأضاعوا فرصتهم إلى الأبد ، ومن ثم أمسك البعث بقوة بالسلطة مفتتحاً عصراً جديداً على ضفاف بردى .

هذا الحزب الذي وصل إلى السلطة على أكتاف الجيش ثم فشل في فرض وجهات نظره عليهم ، بالرغم من جهوده الحثيثة ، وكان لابدَّ له أن يخضع ويضع مصيره في أيدي الضباط ، ومع أنه استمر قائماً داخل السلطة المدنية إلا أنه فقد القيادة ،

وبقي الجيش ، كما كان، القوة الأقوى على الساحة السياسية ، وبقيت سورية في تلك الدائرة التي دخلت فيها منذ الانقلاب الأول .

على أن وصول البعث إلى السلطة ، وخلافاً للإنقلابات السابقة ، إنما كان ثورة سياسية قضت على النخبة السياسية والإقتصادية القديمة وأحلّت محلّها نخبة أخرى من العسكريين والمدنيين العقائديين فتحت السبل أمام الطبقات الإجتماعية الدنيا والوسطى لتحسين أوضاعها . وقد صاغ حزب البعث ، كحزب حاكم له أهدافه ومن ورائه قوة عسكرية تدعمه ، بنية مجتمع سياسي جديد في سورية .

تبقى مسألة الديمقراطية ، التي هي من الأهداف العقائدية المعلنة للنظام الجديد ، تماماً كما في السابق ، على الرغم من تباين الفلسفات السياسية بين نظام البعث والأنظمة السابقة ، ومن المؤكد أن مراحل عدة ستتوالى ردحاً من الزمن قبل أن تكتمل دورة التفاعل الإجتماعي والتكامل السياسي التي هي الأساس لبناء قاعدة صحيحة وصلبة لنظام ديمقراطي سليم .

وفي الختام نأمل أن نكون قد أوفينا الموضوع حقه ولعلّ هذه الدراسة التي لم يتناولها الباحثون من قبل يمثل هذا التوسع تكون مفيدة للدراسات اللاحقة وتقدم أجوبة وافية عن كل التساؤلات التي يطرحها المهتمون بهذه الحقبة الزمنية من تاريخ سورية .

x x x

x x

x

ملاحق

أولاً : من وثائق أرشيف مديرية الوثائق التاريخية بدمشق (وثائق دولة)

رقم(١) وزارة الداخلية . تقارير أمنية

الجمهورية السورية
وزارة الداخلية
مديرية الشرطة والامن العام

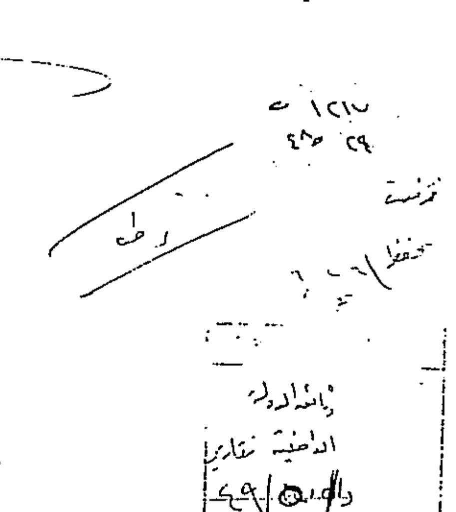
رقم ....خصوصي ٩٥
..........عمومي

الى مقام وزارة الداخليــــــة

ارفع لمقامكم الكريم نسخة عن تقرير مفتش الشرطة السيد ســــعيد التيمي المؤرخ في ٢٤ مايس ١٩٤٨ لافتا النظر الى بعض المقاطع المتعلقة بمديرية شرطة حلب وجزيرة ارواد .

اما النواحي الثانية التي عالجها التقرير وهي احوال وســـيرة موظفي الشرطة والامن والنقص الملحوظ بالاثاث والتجهيزات فانهـــا موضع اهتمام هذه المديرية ومعالجتها ودمتم .

دمشق في ٢٩/٥/١٩٤٨   عـ المدير العام للشرطة والامن



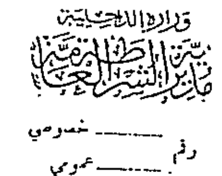
الجمهورية السورية
وزارة الداخلية
مديرية الشرطة العامة

الى مقام المديرية العامة للشرطة والامن

رقم ـــــــ خصوصي
ـــــــ عمومي

بناء على امر مقامكم فقد توجهت الى حلب في صبيحة الحادي عشر من شهر ايار الحالي لتفتيش دوائر الشرطة والامن العام فيها واجراء التحقيق عن سير العمل في مديرية الشرطة والتثبت مما يعزى لهذه الدائرة من تصرفات توصلتها في السماء بعد ان تفقدت الشرطة في حماه فالفيتها في حالة لا باس بها من حيث التنظيم والتنسيق وبالفعل فقد باشرت بالتفتيش بعد وصولي الى حلب ببرهة وجيزة فزرت الاقسام والاكواخ واطلعت على اعمالها وطريقة تصريف الامور واتصلت باشخاص عديدين من مختلف الاحزاب والهيآت الرسمية وغير الرسمية فعلمت بانهم قد اجمعوا على استيائهم من ادارة الشرطة في هذه المدينة وهم يذكرون طرائف وحوادث عديدة عن كيفية ادارة الشغل ويتذمرون من شخص مدير الشرطة وعدم لياقته لتسنم هذه الوظيفة الخطيرة ومن ثم اتصل بي ان اليهود في مدينة حلب يعاملون معاملة تبعث على الشك في نزاهة المسئولين من رجال الامن في الادارة ويستندون ذلك الى وجود منافع متبادلة بين الطرفين فقمت من فوري بالتحقيق عن ذلك وقد رفعت الى مقامكم تقريرا مفصلا عن ذلك ومنه يتضح مبلغ صحة ما عزي من هذه الاخبارات .

حقا انه ليس بدعاً ان يقال ان ادارة الشرطة في حلب تسير مسرعة الى اسوأ فقد لمست ذلك اثناء التفتيش الذي قمت به مؤخرا في هذه المدينة وقد اضحت الاعمال التي تتخذ في [illegible] جو يفوح [illegible] الالم في النفس ويبعث على الياس في تحسين الوضع والمضي به في طريق يطمئن اليه اولياء الامور فمدير الشرطة في حلب لا يتمتع باية سمعة طيبة من جميع الفئات والاحزاب وقد سمعت التذمر والاستياء من تصرفاته واعماله من مختلف الجهات والنزعات وقد برزت مداراته لليهود بشكل استجلب الشبهة في حسن النية التي يرمي اليها وقد سخر جميع الموظفين في الشعبة السياسية وغيرها في وجوب بذل العون واللجوء الى طرق ابواب هؤلاء اليهود واحدا فواحدا يطمئنهم عن وجوده وعدم امكان مسهم بالاذى من قبل افراد الشعب العربي حتى انه قد تجاوز هذا الحد بان صار يتمون بما يحتاجه من لباس من المتاجر اليهودية وحدها وصار يقضي ساعات فراغه التي تبدأ من الساعة ١٨ حتى الليل في مقهى الجميلية الكائن في الحي الذي يقطنه جله البارزين من هذه الطائفة مما استلفت انظار الاهلين والشخصيات البارزة من الشعب الحلبي وصاروا يؤولون ذلك شتى التأويلات والتخمينات وصاروا يتهمونه اتهامات لم اتثبت من صحتها اضف الى هذا وذاك انه كثيرا ما كان يمنح اجازات السفر رغم التقارير والمشروحات التي كانت تعرضها الشعبة السياسية وقد بلغت هذه الاجازات منذ بدء العام الحالي حتى منتهى شهر نيسان ما يربو على ٢٥٠ اجازة عاد منهم كما شاهدت ذلك من القائمة الموجودة في الشعبة السياسية ما يقرب من المئة والباقون لا ندري ماذا كانوا قد تسللوا الى الديار الفلسطينية لينضموا الى افراد الهاجاناه في محاربة العرب والتنكيل بهم كما لا يخلو ان يبقى بعضهم في لبنان والذي استرعى نظري ايضا ان التحارير التي كانت ترد الى افراد اليهود في حلب من فلسطين ما يؤيد وجود اليهود الحلبيين الذين تمكنوا من اجتياز الحدود اللبنانية والسورية الى فلسطين يعملون في المنظمات اليهودية ويطمئنون ابناء جلدتهم من انهم بالقرب

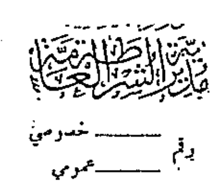


رقم ...... خصوصي
...... عمومي

ان يلتقوا بهم في الاراضي الفلسطينية ليساهموا في انشاء الدولة اليهودية ومع ذلك فلم ارى اي اجراء اتخذته مديرية الشرطة بحق هؤلاء اليهود بل انصرف موظفوا الشعبة السياسية الى تسطير التقارير تلو التقارير عن كيفية هرب اليهود الى فلسطين كأن يقال بان صموئيلا او داودا سلك الطريق الفلانية وبواسطتها استطاع ان يهرب من وجه موظفي الامن وهم اي موظفوا الشعبة السياسية يستندون في تقاريرهم ومعلوماتهم من اليهود انفسهم كما صرح لي ذلك الموظفون المولجون بمثل هذه المهام فاخذت اتندد باعمالهم واساليبهم التي لا تنطبق على منطق واسلوب التحقيق ولم اسمع بان هؤلاء الموظفين تمكنوا من القبض على المهربين او السماسرة الذين يهيئون السبل لهربهم مما يدل على عدم يقظة مدير الشرطة والتفاته الى مثل هذه الاعمال التي يقصد من ورائها التضليل وسوء التصرف ولقد شعر عطوفة المحافظ السيد عادل العظمه بهذا التساهل فامر بان لا تعطى اية اجازة الا بموافقته وقد ادى ذلك الى الوقوف في طريق من يبغي السفر تحت جناح الاعاذير والترهات التي كان يتذرع بها طالبوا السفر .

نعم ان من السياسة والمنطق ان ترعى الدولة مصالح اليهود السوريين في البلاد السورية وان يطمئن هؤلاء الى سلامتهم واعراضهم واموالهم فهو امر طبيعي لاغبار عليه ولكني لا ارى ان تنحط الكرامة العربية الى هذا الدرك الادنى من المذلة والخضوع فالادارة الحكيمة تحدونا جميعاً ان نؤمن هذه الغاية عن طريق آخر وهو بث رجال الامن في المناطق التي يقطنونها ومراقبة من تسول له نفسه الاعتداء عليهم فالدولة ملزمة بهم ما داموا يرضخون لتعاليمها ويسيرون في ركابها ويمضون في ارضائها كاي فرد من افراد الشعب السوري اما وقد تجلت لنا حقيقة هؤلاء اليهود من انهم لا يتركون الفرص تفلت من ايديهم فيكيدون للوطن وللعروبة ونحن غافلون مستهترون تابعون لا نلوي على شيء ولا نرعى مصالح الدولة ايضاً فموظفون هذه شانهم الاحرى الابتعاد عن مثل هذه المهام الجوهرية بالنسبة للسياسة التي تنهجها الدولة وعلى راسهم المنقذ الاكبر وحارسها الامين فخامة الرئيس الجليل ورجال حكومته الاشاوس .

ليس من الهين واليسير ان نلقي ~~مقادير~~ مقادير الامن لرجال لا يقدرون الظروف الوطنية حق قدرها فالمدير وموظفوا الشعبة السياسية وموظفوا الشرطة الاجرائية ما عدا اليسير منهم لم ياخذوا بناصية الامور بل سار كل منهم لعمل يستغربه ويستسيغه وليس من رجل يوجههم الوجهة التي تنير لهم سبل الاستقامة وتعين لهم الهدف الذي يهدفونه ان قليلاً من النباهة والادراك كافيان لرد هؤلاء الى الطريق السوي وطبيعي ان يكون هذا المرشد هو المدير الذي يفترض فيه كل المؤهلات والميزات والقدرة على تسيير الامور بالنسبة للوضع في منطقته فالمديرية العامة لا تستطيع ان ترسم له الخطط وتضع له النظم يتبعها فهو الذي يدرك ما يجب ان يتخطاه الموظفون في تسيير الامور وتكييفها مستلهماً من ذلك الظرف والبيئة فيعمل على تداركها بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن شيئاً من ذلك لم يتطرق اليه المدير الحالي .

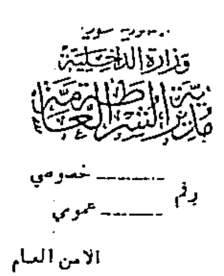


رقم ـــــــ خصوصي
ـــــــ عمومي

دوائر الشرطة

لقد تفقدت الشعب والاقسام والاكواخ في النهار والليل وبعد منتصف الليل واخذت ادقق في المعاملات والسجلات واستعرض رجال الشرطة والقيت عليهم النصح والارشادات الوطنية والادبية والمسلكية وحذرت من عدم القيام بالواجب المفروض على رجال الامن (شرطة ـ امن عام) وابنيت دقة الموقف وما يتطلبه من جهد وسهر ويقظة وما يترتب عليهم من واجبات في معاملة افراد الشعب وتعليمهم احترام القانون والنظام لان الشعب في حاجة الى من يرشده الشطر المستقيم ويرعى حقوقه ويعمل على نصرة المظلومين منهم وشرحت لهم الحياد الذى ينشده الفرد في تصريف المعاملات لان القوة الاجرائية هي التي اوكل اليها امر تنفيذ القوانين والانظمة والتعاليم فالمفروض فيهم الامانة وحسن المعاملة كما انني شجعت المجدين منهم والنشيطين وطمانتهم بان المديرية العامة تقدر هذه الناحية حق قدرها لتعمل على المكافاة وحسن الجزاء واوضحت اليهم بان المديرية العامة ما فتئت تسعى جهدها للترفيه عن افراد الشرطة وتعزيز مكانتهم والذود عن حقوقهم ولهذا فهي تنشد من وراء ذلك رفع مستوى هذه الادارة والسير بها في مراقي التقدم والعلى ولهذا فهي ما دامت تحرص على تحقيق ذلك نرغب الى افرادها ان يؤدوا الامانة حقها وان يتحلى كل فرد بصفات الرجولة الحقة والتي من روائها تمثل الشهامة والجراة على احقاق الحق ونوهت في النتيجة الى انه يتطلب من افراد الامن الابتعاد عن مناهل الرذيلة والتمسك باهداب النزاهة والعفة والاستقامة كي يحترمه الشعب ويطمئن الى حقوقه واموالـه واعراضه فيهرع الى مراجعة دوائر الامن وكله امل وثقة بانه سيلقى اهتماما ومؤيدا للوصول الى رفع الظلامة عنه واعادته الى حقوقه المهضومة .

وقد لمست اثناء وجودي في حلب اهتماما لاباس به واقترانا طيبا في تنفيذ الاوامر والتعاليم بيد انني لم يصرفني عن ذلك تقديم الملاحظات التي شاهدتها اثناء التفتيش وشرحت النقاط التي يجب تلافيها في مختلف الاعمال الموكولة الى دوائر الشرطة . كما انني لفت النظر الى وجوب الاهتمام بنظافة الثياب والملبس والمكان ونوهت الى النتائج التي يترتب عليها انفاذ ما ذكرت والذى لابد من ذكره في هذه المناسبة ان المراقبة والتفتيش جد لازمين كي يشعر الموظفون بان عين الرقابة تشرف عليهم وترتقب عملهم وهم من احوج الناس الى مدرب ومستشار يهرعون اليه في حل المعضلات التي تعترضهم ويلجاون اليه ايضا في حسم الخلافات التي تنشأ بينهم ومما لا ريب فيه ان الحزم في اقصاء غير الاكفاء وسيئ السلوك من الذين لم يؤثر فيهم النصح والارشاد ولا يتورعون عن الانغماس في ملذاتهم وشهواتهم وعدم الاعتداد بالنظم والتعليمات لهو من النتائج التي تعين على تحقيق الهدف الذى تنشده المديرية في اصلاح جهازها ويكون باعثا للنشاط والاعتبار عند الباقين فارجو والحالة كما تلت ان تقوم المديرية العامة بسرعة وتت هؤلاء وابعادهم عن دوائرها كي يسلم سائر الاعضاء



رقم ـــــــ خصوصي
ـــــــ عمومي

الامن العام

يشتغل دوائر الامن العام في مدينة حلب موظفون تنقصهم الخبرة المسلكية في انجاز المعاملات التي بين ايديهم اضيف الي ذلك ان سنهم وعدم خوضهم معارك الحياة هي الباعث الاول في عدم لياقتهم للاضطلاع باعباء العمل ولهذا انهم يحتاجون الي من ينصرف بكليته الي توجيههم وتقويم اعوجاجهم واصلاح شئونهم .

الاجانب .

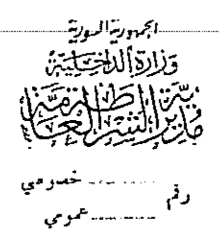
لم تفرز مديرية الشرطة في حلب احدا من الموظفين لمراقبة حركات الاجانب المقيمين في هذه المدينة والقادمين اليها فهم اي الاجانب ينطلقون في جميع انحاء المدينة ويتصلون بمن يريدون الاتصال بهم دون اية رقابة اوعين تتبعهم ولذلك فاعتقادي بالاجانب انهم يلقون مرتعا خصبا لاعمالهم التي قد تسيئ الي الوطن والي الامة العزيزة والذي استرعى انتباهي في هذه المناسبة ان البعض من اليهود يتقدمون بجوازات مزورة تشهد بانهم من التبعات الاجنبية وبانهم مسيحيون وقد علمت بان في بيروت مكتبا خاصا لتزوير امثال هؤلاء بالوثائق التي تبعد الشبهات عنهم ولذلك فانا ارى من اللازم جدا ان يطلب من الاجانب الذين يراجعون دوائر الامن العام بلزوم التصديق علي صحة جوازاتهم واوراقهم الثبوتية من القنصليات ذات العلاقة كي تطمئن الادارة نوعاما عن وضعهم وصفاتهم تتعمل ما يوجبه الواجب تجاههم واظن ان مقامكم يشاطرني الراى في هذه الناحية ذات الاهمية بمكان تقديرا كل خطر قد يصيب البلاد من جراء تسرب هؤلاء الي بلادنا السورية .

الاثاث والاعتمادات .

ان دوائر الشرطة في مدينة حلب مجهزة بالاثاث والمفروشات والمكاتب التي لاتلائم مع مكانة الادارة وهي بحاجة الي تبديل معظمها كما ان الادارة في حاجة ايضا الي الة كاتبة كي تستعين بها في انجاز معاملاتها الكبيرة . ولكن امر تحقيق ذلك يرتطم امام قلة المخصصات ولهذا فانني ارى من الواجب تدارك الاعتمادات الكافية لتامين هذه الجهة وكذلك تزويد دوائر الشرطة بعدد كاف من الدراجات العادية كي يتمكن الموظفون من الاستفادة منها في المهمات الرسمية المطلوبة .

الفنانات والفنانين .

لقد نصت الانظمة المرعية علي عدم جواز بقاء الفنانات والفنانين في البلاد السورية اكثر من ستة اشهر ولقد توضح لي بان هذه التعليمات غير مطبقة في مدينة حلب فالكثير منهم يتجاوز هذه المدة ولدى السؤال عن سبب ذلك افيدت بان لدى هؤلاء اقامات دائمة وانهم يزاولون اعمالهم كفنانين وفنانات ولذلك فالنظام المتعلق بالفنانين لاينطبق عليهم بل يتبعون الاحكام المتعلقة بالاجانب مع ان الواجب يقضي في مثل هذه الحالات ان تطبق بحقهم نظام الارتستات فارجو درس هذه الناحية واصدار التعليمات التي ترونها بهذا الصدد



رقم ...... خصوصي
...... عمومي

وعندما يريد الفنان او الفنانة تمديد الاقامة لاتحول طلباتهم الي الشعبة الاخلاقية كي تحقق عن سلوكهم في مدى الوقت الذى صرفوه في العمل بل تعمد شعبة الاجانب الي الاكتفاء بالطلب فتمدد الاقامة حسب الرغبة والميل فارجو العمل علي تلافي ذلك حفظا للاداب العامة والمصلحة الوطنية

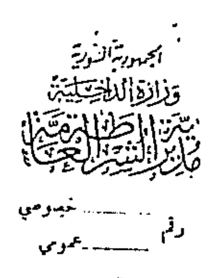
اللاذقية .

بعد ان انهيت مهمتي في مدينة حلب سافرت الي اللاذقية عن طريق جسر الشغور ولما وصلت اليها توجهت الي رئاسة الشرطة ففتشت معاملاتها واستعرضت رجال الشرطة فيها فتفقدت بزاتهم واسلحتهم وهندامهم والقيت عليهم كلمة نوهت فيها الي مايجب ان يكون عليه رجال الامن من صفات وميزات والي غير ذلك من الاسباب التي يتطلب منهم سلوكها في معاملة افراد الشعب وفيما بينهم ومن ثم تفقدت المخافر فوجدتها حسنة علي وجه الاجمال وفي اثناء ذلك اخبرت بان البعض من رجال الشرطة يرتشون من ارباب المصالح فقمت بالتحقيق واستطعت ان اقبض علي شرطي متلبس بهذا الجرم وقدمت لمقامكم تقريرا بشانه بعد ان كفت يده بناء علي امركم .

الامن العام .

وفي اليوم الثاني زرت شعبة الامن العام وفتشت معاملاتها وحققت عن رجالها فلم ترد لي – معلومات غير ماكنت ذكرتها في تقاريرى السابقة عن احوالهم .

اما ما يتعلق برئيس الشعبة وعلاقته برئيس الشرطة فيها فلم تكن مطمئنة بالدرجة المطلوبة اذ كل واحد منهما يريد ان يمارس صلاحيته الرسمية فرئيس الشرطة يعتبر نفسه بحكم القانون رئيسا للشرطة الاجرائية والامن العام ولهذا فهو يطلب ان يطلع علي جميع المعاملات والتقارير العائدة لشعبة الامن وكذلك فان رئيس شعبة الامن العام – لا يرى حاجة لاطلاعه علي دقائق الامور ويقول انه كرئيس مسئول عن الامن في هذه المنطقة فهو مضطر بحكم عمله الاتصال مباشرة بالمديرية العامة ومن ثم يخبره بما تم وهكذا فقد نشات الخلافات بين الطرفين ويدعي ان يلزم رئيس شعبة الامن بمراجعة وتقديم جميع المعاملات الي رئيس الشرطة وهما ينتظران اوامر صريحة من مقام المديرية العامة ليسارعليها ويعزو رئيس شعبة الامن الي عدم اطلاعه علي المعاملات هو عدم استطاعته تفهمها والالمام بها وهنالك امور سياسية خطيرة لايجد من المصلحة ان يعلم بها رئيس الشرطة بل يتصل بمقام – المحافظة والمديرية العامة مباشرة بشانها . ومن الحق ان يقال ان رئيس شعبة الامن في اللاذقية ملم في جميع – الشؤون العائدة لحقل الشعبة وله خبرة واسعة في شخصيات هذه المنطقة ونفسيتهم وماضيهم وعلاقاتهم بحيث انني علمت بان علاقاته مع التجار والبائعين لم تكن حسنة فلهم عليه ديون باهظة تربو علي ال ٦٠٠٠ ليرة سورية مضي عليها مايزيد علي الثلاث سنوات لم يؤد شيئا منها وهم يخشونه ولايجرؤون علي مقاضاته لدى الدوائر العدلية بالنظر لنفوذه العائلي والرسمي وقد اعترف لي هو بذلك وقال بان الضائقة المالية لم تساعده علي – تسديد هذه الديون ولكنه وعد بتسديدها في هذه السنة بعد انتهاء الموسم الزراعي وبعد ان بقيت يومين كاملين واتعبت العمل علي قدر المستطاع توجهت الي طرطوس ومنها الي ارواد لتفقد مخفرى الامن فيهما واضطررت للمبيت في طرطوس ريثما انجزت مهمتي .



رقم ...... خصوصي
٦ ...... عمومي

ارواد .

يقوم على ادارة الامن في هذه الجزيرة موظفان قديران وقد ابدى لي رئيس المخفر ضرورة تزويد جزيرة ارواد باللاسلكي وبقوة من الدرك تكفي على قدر الامكان الدفاع عند الاقتضاء فالدركيون الموجودون فيها لايتجاوز عددهم الثلاثة وليس لديهم من الاسلحة سوى البنادق فقط ومن الضروري ايضا تجهيز الدرك بمدفعية قوية تنصب في القلاع الموجودة في الجزيرة .

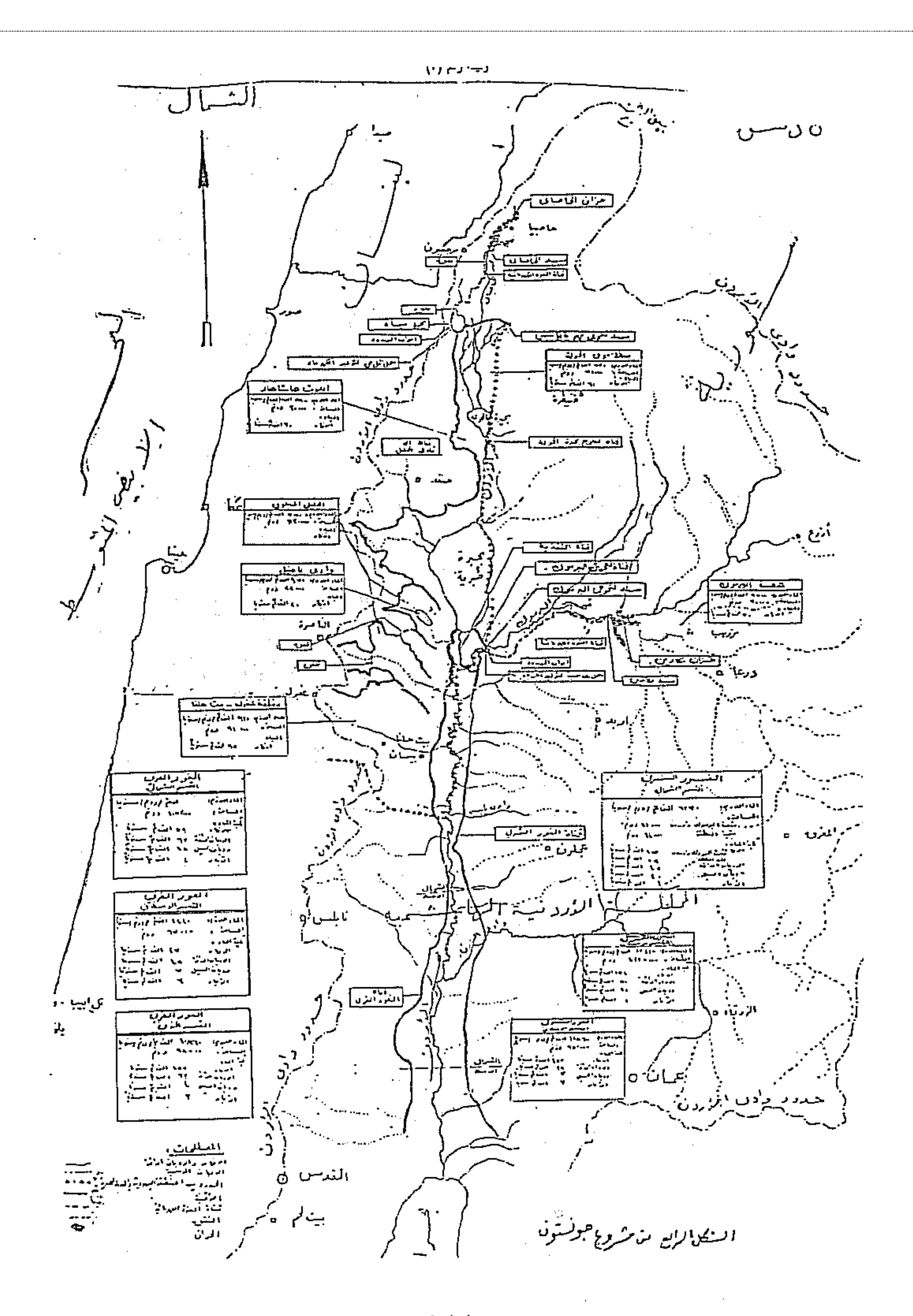
هذا وقد استطعنا ان نحصل على زورقين بخاريين وضعا تحت تصرف الامن العام للقيام بجولات تفتيشية على الساحل اللاذقي على انه من اللازم جدا ان يجهز هذان المركبان بالرشاشات والمدافع الكافية للاستفادة منها عند الاقتضاء وكذلك زيادة مرتب الامن ليقوم الموظفون بهذه المهمة بالاشتراك مع قوة الدرك في البحر فارجو سرعة تدارك ذلك لدرء كل خطر قد ينجم لاسمح الله على هذه المنطقة . ووجوب تزويد المركز بجهاز اشعة (بروجكتور) قوي للكشف على الزوارق والمراكب التي قد تتسلل الى الجزيره ليلا .

هذا ما رأيت عرضه لمقامكم بنتيجة تفتيش مدينتي حلب واللاذقية وارجو ان اكون قد وفقت للتحقيق رغباتكم مستلهما في ذلك المصلحة العامة واستنتاج الحقائق ودمتم محترمــــــــــــين .

المفتش .

[توقيع]

٢٤ مايس ١٩٤٨



الشكل الرابع من مشروع جونستون

From:- Lt-Col V.D.'O Harmar, RA

British Military Attache,
H.B.M.Legation,
DAMASCUS, Syria.

SECRET

MA/SEC/60

My dear Chris,

23 May, 1949.

Reference my MA/SEC/58 dated 21 May 49, forwarding the list of Zaim's requirements passed through the MEPL representative.

The armour and artillery on the list constitute, I think, what he wants for three first-line brigades, since he has told me that he intended each brigade to have an armoured battalion containing 57 AFVs and a field artillery battalion containing 24 guns. The crocodiles and medium guns would presumably be army troops. But I cannot understand why he should want 16 French 105-mm together with 70 American. Possibly he has succeeded in getting other artillery from France, since it appears that his credit with France on the signing of the Monetary Agreement is to be spent largely on arms, ammunition and equipment.

I imagine that the MEPL list will cost him, including transport, a minimum of £2,000,000 sterling. I understand that the credit resulting from the Franco-Syrian Monetary Agreement is £Syr 50,000,000, or about £5,000,000. Supposing that with the £2,000,000 through the MEPL he arms three brigades or nearly 12,000 men, and that with the French credit he provides arms for a further seven or eight brigades, say 28,000 men, he still has 160,000 men to arm in five years, since he has declared that he intends to have a potential army of 200,000, and it appears that he aims at producing it in about that time. If this really is his intention, it will surely place an intolerable burden on Syrian economy for the next five years, and nullify his good intentions in that field.

The reason he gives for expanding his army and buying arms so feverishly is defence against the USSR. But, although he is anti-Russian, that reason is mainly, I think, to enlist our sympathy. He may be preparing to conquer the Jews, but I think not. I feel that his policy is to make Syria secure from her immediate neighbours, and then, through her potential strength, to make her the leader of the Arab world.

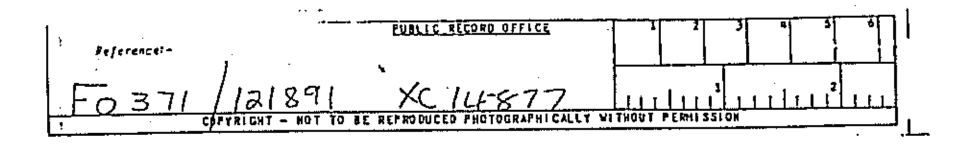
A propos of Malki and Keilani going on the French Staff Course (see my MA/SEC/57 dated 21 May), Zaim informs me that he intends to begin staff courses in Syria in about six months' time. When I asked him about instructors, he replied, "We shall find them". Presumably then the Military Mission, wherever it may come from, is to contain instructors for a staff course.

Please see Damascus despatch no 60 (10/152/49) of today's date. The Waqfs and Tapline are apparently also to be used for paying for Zaim's armaments. He seems to have put up his total army strength from 200,000 to 300,000, thus further increasing his financial commitment. The maximum term of service for conscripts with the colours still stands, as far as I know, at 15 months.

Major C.de B de Lisle, 11th H.,
The WAR OFFICE, MI 2(c).,
Whitehall,
LONDON, SW1.

Copy to:- Lt-Col W.D.Shaw,
(I) GHQ MELF.

SECRET



1053/60/56

SECRET

VY 1532/4

British Embassy,
DAMASCUS.

August 8, 1956.

Dear Michael,

You will have seen from my telegrams reporting the reactions of the Syrian press to the nationalisation of the Suez Canal that various voices have been raised in favour of sabotaging oil installations in the Arab countries in the event of drastic action being taken by the Western powers against Egypt.

2. Fierier spirits such as Akram Haurani have called for the blowing up of the pipeline. This is, of course, the sort of dramatic gesture which appeals to the Arab character and they do not seem to mind that they would be cutting off their nose to spite their face, since Syria would only be left with something like three weeks' stock of petrol.

3. The Egyptians, who would naturally be less affected by damage to the pipe-line, seem to be prepared to support this plan, and I am informed fairly reliably that an Egyptian officer has been designated to coordinate sabotage on the pipe-line.

4. My own guess would be, however, that the Syrian Government would prefer to stop the flow of oil by some such method as a strike which would leave the oil installations intact for future use. A motion to strike if force is used against Egypt has already been passed by the oil workers' union at Deir ez Zor. A Syrian trade union delegation which is due to go to Cairo on August 10 is also talking of action in similar terms. In addition the Secretary General of the Ministry for Foreign Affairs has told several people that he disapproved of Akram Hourani's utterances about sabotage to oil installations.

5. In this connexion some of the staff of I.P.C. here have asked me if you have considered cutting off the flow of oil from Iraq in advance of likely trouble. This would have two advantages. They feel that the Syrians would be less tempted to blow up an empty pipe-line: and the damage if any sabotage were done would be much less.

6. I am sending copies of this letter to Beirut, Bagdad, Cairo and the Political Office with the Middle East Forces.

Yours ever,

Robin

(R. McC. ANDREW)

R.M.Hadow Esq.,
Levant Department,
Foreign Office,
London, S.W.1.

SECRET

FROM FOREIGN OFFICE TO WASHINGTON

M.E. Secret.

Cypher/OTP

PRISEC

No.3316
August 23, 1957.

D.11.20 p.m. August 23, 1957.

IMMEDIATE
SECRET

Addressed to Washington telegram No.3316 of August 23,
Repeated for information to Ankara, Bagdad, Tel Aviv, Beirut, Amman, Istanbul

My telegram No.3314.

Following is text of my reply to Mr. Dulles.

Begins.

Dear Foster,

Thank you for your two messages about Syria. We are as concerned as you about the situation and I understand that the talks we have had with your people up to now show that our assessment of it does not differ from yours.

I certainly agree with the immediate steps that you are taking. I am asking our Ambassador at Ankara to get in touch with Loy Henderson on arrival and help him in any way possible. We have already urged caution on the Israelis and will continue to do so. We have had indications from the Israel Ambassador here that his Government would be happy to see us back up Jordan and the Lebanon in any way possible and that they are aware of the importance of restraint.

I think that the first thing that we must decide is whether we can afford to allow Syria to become a fully fledged Communist satellite. Of course, we do not want this, but on the analogy of Czechslovakia, a Communist victory in an Arab state might have the effect of aligning the other countries so that something like N.A.T.O. could grow up in the Middle East. This would not be an altogether satisfactory outcome but at least it would have some advantages.

On the other hand, there is the danger that Communist success in Syria would not be enough to awaken the other Arab states to their peril and would merely pave the way for a collapse throughout the Middle East. In addition, we cannot neglect the control which Syria has on our pipelines. But if we are agreed that we cannot afford to let Syria slip into the Communist camp, what are we to do to stop this?

/For the

SECRET

Foreign Office telegram No. 3315 to Washington

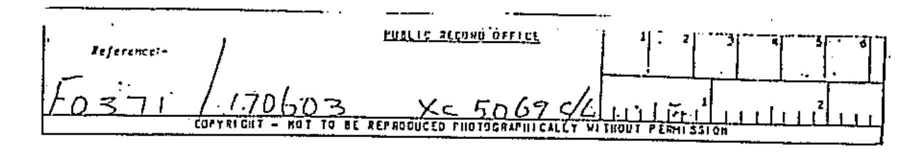
carried a threat to Syria's Moslem neighbours they should know that they would have our moral support in any defensive measures they might feel called upon to take.

Sincerely yours,

Foster."

[Copies sent to No. 10 Downing Street].

7777777



CONFIDENTIAL

The Syrian Revolution and its Consequences

The Lord Privy Seal has asked for an assessment of the situation in Syria. The situation is still confused and it is early to draw firm conclusions. The following, however, is our preliminary assessment.

2. Our reading of the situation prior to the revolution was that the country was very fragmented politically with no one group able to achieve a dominant position. There was a good deal of sympathy for Arab socialist ideas but a majority against reunion with Egypt. The Army, which is the decisive factor in the situation, mirrored the political divisions of the country. We thought it contained an appreciable pro-Nasser element and a smaller Ba'athist element, but neither looked like achieving a dominant position. The Americans rated more highly than we did the chances of a Ba'athist coup as a result of the wave of feeling started off by the Baghdad revolution.

3. The coup appears to have been carried out by Colonel Harriri who, together with the other two key military figures, is sympathetic to Nasser. The Egyptians have told us that these officers had no clear political plans and that after wanting to appoint a pro-Nasser Prime Minister they chose a Ba'athist. The Syrian Ambassador in London, who is well informed, believes that these officers though sympathetic to Nasser are motivated chiefly by personal ambition and are not committed to either the Ba'athist or the pro-Nasser elements. We do not yet know the composition of the National Revolutionary Council, which may be the lynchpin of the régime. But the Cabinet consists mostly

CONFIDENTIAL

of Ba'athists with some pro-U.A.R. Ministers and a few others. Although the officers who carried out the coup are probably the dominant partner, the Ba'athists have popular appeal at present and support from Iraq, while the pro-Nasser elements can mobilise some support both in the Army and among the masses. It is possible that a rivalry will develop between the Ba'ath and the pro-Nasser elements. But ~~for~~ the Egyptians have told us that they are content with a situation in which Damascus have as close relations with Baghdad as with Cairo.

4. The following are probably the main points to bear in mind in the new situation created by the Iraqi and Syrian revolutions:-

(a) Iraq is very fragmented politically and it remains to be seen whether the new Government will be able to maintain its position once the initial sense of euphoria following on the fall of Qasim has evaporated. The Ba'athists have the edge on the pro-Nasser elements in the Government and generally it seems unlikely that the latter can achieve a dominant position in Iraq;

(b) the political outlook is equally uncertain in Syria and the new Government may not prove a lasting one. Pro-Nasser elements are rather stronger than in Iraq but there is unlikely to be a reversion to union with Egypt;

(c) the two main poles of attraction in the Levant at present are the pro-Nasser elements and the Aflaq Ba'athists who are at present dominant in Iraq and influential in Syria. The Aflaq Ba'athists are Pan-Arabs and radicals. They are ready to co-operate with Nasser but do not want to be subservient to him;

(d) there is likely to be closer co-operation between the radical Arab régimes in Iraq, Syria, Egypt, Yemen and Algeria but, as the French put it, this will probably be on the basis of a "Moyen Orient des Patries";

/(e)

(e) for the time being Nasser seems ready not to try to elbow the Ba'athists out in Iraq or Syria. The present honeymoon period may be followed eventually by fierce competition, since it could be a serious matter for Nasser's prestige and influence if Ba'athist governments were to consolidate their hold on Iraq and Syria. But we must reckon with the likelihood that any rivalry will be preceded by a period of co-operation against conservative régimes;

(f) the Syrian revolution is likely to increase the pressure on Saudi Arabia where the situation is already fragile, and on Jordan. A few months ago, the internal situation in Jordan was satisfactory. There was some discontent and sympathy with Arab socialism, but the pressure was not great and rapid economic development was enough for many people. The wave of feeling started off by the revolutions in the Yemen, Iraq and Syria may now have a considerable effect on public opinion in Jordan. The Army, which is recruited chiefly from the Bedouin element, is on the whole loyal but there have been minor indications of disaffection and the situation will want watching;

(g) in the Persian Gulf the revolution may also have an unsettling effect. Nasser will not want Kuwait to pass under Iraqi control; nevertheless we cannot exclude the risk that the Ba'athists and the U.A.R. will co-operate against the Government of Kuwait. They are, however, unlikely to try an open attack and the subversive threat has not so far been considered an unmanageable one to deal with. The Amir should also be able to withstand political pressure, whether in the form of a propaganda campaign or of blandishments;

(h) the Kurds are a further complicating factor. The Government in Iraq are reported to have agreed in principle to give them a measure of autonomy, but it remains to be seen if an agreement can be hammered out. Kurdish demands, though falling short of independence, are far reaching and there is a limit to the concessions which the new Iraqi Government will make. If agreement is reached, it may have an unsettling effect on the Kurds in Iran, Turkey and Syria. Now that the Government in Baghdad is less friendly to them, the Russians may also be more active in stirring up the Kurds (the Persian communist station in Germany has already started on this);

(i) the Governments of Saudi Arabia, Jordan and Iran, ~~and~~, to the extent of their ability, the Israelis, may try by covert means to secure more favourable Governments in Iraq and Syria;

(j) the present wave in favour of Arab socialism may spend itself after a while, but the prospects of a comeback by conservative elements in Iraq or Syria are small.

5. It looks, therefore, as though we are in for a period of considerable fluidity, during which the likely combinations and permutations of Arab politics will be more difficult than ever to predict. It seems important, therefore, that we should avoid taking sides in inter-Arab quarrels and limit ourselves to the defence of our essential interests (protection of the Persian Gulf sheikhdoms and the avoidance of an international crisis over Jordan). We should also discourage the Saudi Arabians, Jordanians and Iranians from indulging in subversion in Iraq or Syria and encourage them instead to concentrate on providing good government at home, since this offers the best prospect of ensuring their survival.

/.....

مصادر الكتاب

==============

أولاً - باللغة العربية

أ - الوثائق غير المنشورة :

١ - أرشيف مديرية الوثائق التاريخية بدمشق ، متحف دمشق .

- " وثائق دولة " وتضم عدة مجموعات : " وثائق وزارة الخارجية " ، " وثائق وزارة الداخلية " ، " وثائق القوات المسلحة " ، " وثائق الجامعة العربية " ، " وثائق جبل العرب" ، وهي مصنفة إلى أقسام كل قسم يحمل رقم حافظته وعدد وثائقه وأمدها التاريخي .

- القسم البصري : وهو مجموعة صور فوتوغرافية مصنفة ضمن مجموعتين : "الشخصيات السياسية " و " المسيرات " ، وكل صورة تحمل رقمها وتاريخها .

٢ - وثائق محكمة أمن الدولة بدمشق : من ملفات الأستاذ المحامي هاني البيطار في القضايا السياسية الأمنية التالية : " اغتيال عدنان المالكي " ، " تمرد حلب " ، " المؤامرة الأميركية على سورية " ، " محاكمة قادة الانفصال " .

ب - الوثائق المنشورة :

١ - مذكرات المجلس النيابي ، الجمهورية السورية ، وزارة المعارف ، مديرية الآثار العامة، القسم الثالث من الجريدة الرسمية .

٢ - الجريدة الرسمية للجمهورية العربية السورية الصادرة يوم الخميس من كل أسبوع في دمشق جُمعت في مجلدات ضخمة وحفظت في مكتبة مديرية الوثائق التاريخية ، متحف دمشق .

٣ - المنشورات الصادرة عن وزارات الدولة ودوائرها : وهي :

منشورات المكتب المركزي للاحصاء (سنوية) :

- المجموعات الإحصائية للسكان : من عام ١٩٤٤ حتى ١٩٥٥ (دمشق ١٩٥٢ . من عام

١٩٥٢ - ١٩٥٦ . (دمشق ١٩٥٦) . من ١٩٥٧ - ١٩٦١ (دمشق ١٩٦٢) . من عام ١٩٦١ حتى ١٩٦٤ (دمشق ١٩٦٤) .

- مجموعة الدخل الفردي وأرقامه القياسية للأعوام ١٩٥٣ - ١٩٦٣ . (دمشق ١٩٦٣) .
- تركيب الانتاج والناتج المحلي الصناعي للأعوام ١٩٥٣ - ١٩٦٣.(دمشق ١٩٦٣)
- مؤشرات قطاع النقل والمواصلات في الجمهورية العربية السورية . عرض وتحليل دراسة اقتصادية . (دمشق آب ١٩٧٠) .
- الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي . نقلاً عن المكتب الإحصائي للأمم المتحدة (نيويورك ١٩٦١) . (دمشق ١٩٦٣) .

وزارة التخطيط :

الخطة الخمسية الأولى للتنمية الإقتصادية والإجتماعية ١٩٦٠ - ١٩٦٥ ، الجمهورية العربية المتحدة (الإقليم الشمالي) (دمشق ١٩٦٠) .

- مشروع خطة التنمية الإقتصادية والإجتماعية للسنة الأولى (دمشق ١٩٦١) .
- مشروع خطة التنمية الإقتصادية والإجتماعية للسنة الثانية (دمشق ١٩٦٢) .
- دور المصارف في التنمية الإقتصادية في سورية (دمشق نيسان ١٩٦٣) .

وزارة الإصلاح الزراعي :

- نشرات سنوية تغطي الأعوام (١٩٤٦ - ١٩٦٣) .
- قصة الأرض والإصلاح الزراعي (دمشق ١٩٦٣) .
- الإصلاح الزراعي في عهد الثورة (دمشق ١٩٦٣) .

وزارة الصناعة :

- وزارة الصناعة في عامها الأول . الجمهورية العربية المتحدة . الإقليم الشمالي (دمشق ١٩٦٠) .
- الإطار الصناعي للإقليم السوري ، الجمهورية العربية المتحدة (دمشق ١٩٦١) .

- الخطة الخمسية الأولى للتصنيع . الجمهورية العربية المتحدة . الإقليم الشمالي (دمشق ١٩٥٩) .

منشورات غرفة تجارة دمشق (شهرية) تغطي الأعوام ١٩٥٨ - ١٩٦٢ (دمشق ١٩٥٩) .
منشورات غرفة تجارة حلب (فصلية) تغطي الأعوام ١٩٦٠ - ١٩٦٣ (حلب ١٩٦٠) .

٤ - الصحافة السورية والعربية :

استخدمنا في هذه الدراسة الصحف المحفوظة في أرشيف مديرية الوثائق التاريخية ، متحف دمشق ، وهي مصنفة تحت عنوان " صحف سورية وعربية" ، ضمن مجموعات كل مجموعة تتضمن أعداد الصحف مرتبة حسب تاريخ صدورها . ولسد الثغرات راجعنا أرشيف الصحف والمجلات اللبنانية في مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت ومجموعات صحف سورية ولبنانية محفوظة في مكتبات خاصة . والملخص اليومي لما تنشره الصحافة العربية الصادر في بيروت تحت عنوان : "The Arab World" . وفيما يلي قائمة بأسماء الصحف المستخدمة في هذه الدراسة :

النقاد ، دمشق ، الأعداد (من ١٩٤٩ - ١٩٥٢) . الفيحاء ، دمشق ، أعداد (١٩٤٨- ١٩٥٨) . البناء ، الناطقة باسم الحزب السوري القومي الإجتماعي ، دمشق (١٩٤٩ - ١٩٥٥) . البعث صحيفة حزب البعث ، دمشق (١٩٤٩- ١٩٥٩) ، ١٩٦٢ - ١٩٦٣) . الإنقلاب ، دمشق (أعداد عام ١٩٤٩) . المنار ، صحيفة منظمة الإخوان المسلمين ، دمشق (١٩٥٠ - ١٩٥٧) ، (١٩٦١- ١٩٦٣) . الصرخة ، دمشق ، أعداد (١٩٥١-١٩٥٧) . النور ، دمشق ، ناطقة باسم الحزب الشيوعي السوري (١٩٥٧ - ١٩٥٨) . الإنشاء ، دمشق (أعداد عام ١٩٥٤) . بردى ، دمشق ، (١٩٤٩-١٩٥٧) . صحيفة دمشق ، دمشق (أعداد ١٩٥٧ - ١٩٦١) . السوري الجديد ، حزب شعب ، أعداد (١٩٥٠ - ١٩٥٤) . المساء ، دمشق ، أعداد (١٩٥٨ - ١٩٥٩) . الناظر ، حلب ، حزب الشعب ، أعداد (١٩٥٠ - ١٩٥٦) . القبس ، دمشق ، الحزب الوطني ، أعداد (١٩٤٧ - ١٩٥٨) . الأيام ، حزب وطني ، دمشق (١٩٤٩ - ١٩٥٣) ، (١٩٥٤ - ١٩٥٩) . اليوم ، دمشق (أعداد ١٩٥٣) . الشعب، دمشق صحيفة حزب الشعب ، (١٩٥١ - ١٩٥٧) . النواعير ، حماه (أعداد عام ١٩٥٢) . الأنباء ، دمشق ، أعداد (١٩٤٩ - ١٩٥٦) . الرأي العام ، دمشق (١٩٥٤ - ١٩٥٨) . الأخبار ، دمشق (١٩٥٣ - ١٩٥٨) . صوت العرب ، دمشق (١٩٦٠ - ١٩٦٣) . الوحدة ، دمشق (أعداد ١٩٦١) . ألف باء ، دمشق ، (١٩٤٧ - ١٩٥٧) . النضال ، دمشق (١٩٤٩ - ١٩٥٢) . النصر ، دمشق (١٩٥٠ - ١٩٥٦) . الكفاح ، دمشق (١٩٤٩ - ١٩٥٢) . الأحرار ، بيروت (١٩٥٠ - ١٩٥٤) . الحياة ، بيروت (١٩٥٤ - ١٩٦٢) . الجريدة ، بيروت (١٩٥٣ - ١٩٥٧) و (١٩٦٠ - ١٩٦٣) . بيروت المساء ،

بيروت (أعداد ١٩٤٩) . صدى لبنان بيروت (١٩٥٣) . العمل ، بيروت ، الناطقة باسم حزب الكتائب (١٩٥٥ - ١٩٥٩) . النهار ، بيروت (١٩٤٨ - ١٩٦٣) . الكفاح ، بيروت (١٩٦٠ - ١٩٦٣) . الأنوار ، بيروت (١٩٥٦ - ١٩٥٩) ، (١٩٦١ - ١٩٦٣) . الأهرام ، القاهرة (١٩٤٩ - ١٩٥٢) و (١٩٥٨ - ١٩٦٢) . الأخبار ، القاهرة (١٩٥٨ - ١٩٦١) الجمهورية ، القاهرة ، (أعداد ١٩٦٠) . الجمهورية ، بغداد (١٩٥٩ - ١٩٦٢) . البلاد ، بغداد (١٩٥٨ - ١٩٦٠) . إتحاد الشعب ، بغداد (١٩٥٨ - ١٩٦١) . المعلم العربي ، دمشق ، شهرية تربوية ، (أعداد ١٩٥١ - ١٩٥٦) . التربية ، حلب ، أسبوعية تربوية ، (أعداد ١٩٥٣ - ١٩٥٥) . الطليعة ، دمشق ، أسبوعية سياسية ، (أعداد ١٩٥٤ - ١٩٥٧) . المضحك المبكي ، دمشق ، اسبوعية سياسية (أعداد ١٩٥٦ - ١٩٦٣) . الصياد ، بيروت ، أسبوعية سياسية (أعداد ١٩٤٩ - ١٩٦٢) . الحوادث ، بيروت ، أسبوعية سياسية (١٩٦٢ - ١٩٦٣) .

ب - مراجع الكتاب

- **ابراهيم ، سعد الدين وآخرون** . مصر والعروبة وثورة يوليو (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٢) .
- **أبو راشد ، حنا** . جبل الدروز ، سلطان باشا الأطرش (مصر ١٩٢٠) حوران الدامية (مكان ؟ زمان ؟) .
- **أبو الفتح ، أحمد** ، جمال عبد الناصر . (بيروت ١٩٦٢) .
- **أبو منصور ، فضل الله** . أعاصير دمشق . (دمشق ١٩٥٠) .
- **إتنجر ، صموئيل** ، اليهود في البلاد الإسلامية . ترجمة جمال الرفاعي . سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩٧ (الكويت ١٩٩٥) .
- **الأحزاب السياسية في سورية** ، منشورات دار الرواد (دمشق . أيلول ١٩٥٤) .
- **الأرسوزي ، زكي** ، العبقرية العربية في لسانها . (دمشق ١٩٤٢) .
  - الأمة العربية . (دمشق ١٩٥٨) .
  - مشاكلنا القومية . (دمشق ١٩٥٨) .
  - المؤلفات الكاملة . (دمشق ١٩٩٥) .
- **الأسد ، حافظ** ، مجموعة خطب الفريق القائد حافظ الأسد . (دمشق ١٩٧١) .
- **الأسد ، رفعت علي** ، التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في القطر السوري بين الثورة الوطنية والثورة الطبقية ١٩٤٦ - ١٩٦٣ . (دمشق ١٩٧٣) .

- **الأطرش، فؤاد**، الدروز، مؤامرة وطريق وحقائق. (بيروت ١٩٧٢) .
- **إيفلاند، ولبركرين**، حبال من رمل. قصة إخفاق أمريكا في الشرق الأوسط. تعريب د. سهيل زكار (طلاسدار. دمشق ١٩٨٠) .
- **أيوب، سامي**، الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ١٩٢٢ - ١٩٥٨ (بيروت ١٩٥٩) .
- **الباشا، فاروق**، جوهر القومية العربية. (دمشق ١٩٧٢) .
- **بابيل، نصوح**، صحافة وسياسة. سورية في القرن العشرين. (لندن ١٩٨٦) .
- **البزاز، عبد الرحمن**، الإسلام والقومية العربية. (بغداد ١٩٥٢) .
- من روح الإسلام. (بغداد ١٩٥٩) .
- **البزري، عفيف**، الناصرية في جملة الاستعمار الحديث (دمشق ١٩٦٢) .
- **البراك، فاضل**، دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة ١٩٤١. (بغداد ١٩٧٩) .
- **بشور، أمل**، نظام الحكم في لبنان وسورية في ظل التنظيمات العثمانية (رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة اليسوعية (بيروت ١٩٨٢) .
- **بشور، حنا**، من ذكريات العقيد توفيق بشور. (دمشق ١٩٨٨) .
- **البغدادي، عبد اللطيف**، مذكرات. جزءان. (القاهرة ١٩٧٧) .
- **بكداش، خالد**، الشيوعية في سورية. (دمشق ١٩٤٦) .
- موقف الحزب الشيوعي السوري حول الانقلاب السوري الأخير. (دمشق ١٩٤٩) .
- دور سورية التاريخي في العالم العربي. (دمشق ١٩٥٥) .
- حول الوضع الاقتصادي في سورية. (دمشق ١٩٥٥) .
- **الانصاري، محمد جابر**، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠ - ١٩٧٠. (المجلس الوطني للثقافة والفنون سلسلة دار المعرفة. الكويت ١٩٨٠) .
- **البيطار، صلاح الدين**، السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق (بيروت ١٩٦٠) .
- **تاريخ أمة في حياة رجل**، ١٧ آب ١٩٤٣ - ١٩٤٧، أربع سنوات من العهد الوطني (أنشأه وجمع وثائقه وأصوله هيئة من الكتاب المؤرخين دمشق ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٧) .
- **التعريف بمحافظة السويدا**، (نشر عارف النكدي. دمشق ١٩٦٢) .
- **تقي الدين، سعيد**، لجنة كل مواطن خفير. محاضرة ألقيت في الخلية السعودية ٢٢ كانون الأول ١٩٥٥. (بيروت ١٩٥٥) .
- **تلحوق، وديع**، دولة إسرائيل. أيها العربي اعرف عدوك. (دمشق ١٩٥٠) .
- **توما، إميل**، ثورة ٢٣ تموز في عيدها الأول (حيفا ١٩٦٢) .

- **التويني ، غسّان** ، منطق القوة . أو فلسفة الانقلابات في الشرق العربي . (بيروت ١٩٥٤) .
- **الجامعة العربية** ، ميثاقها ونبذة تاريخية عنها . (القاهرة ١٩٤٧) .
- **جبور ، جورج** ، العروبة ومظاهر الانتماء الحزبي في الدساتير الراهنة للأقطار العربية . (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . دمشق ١٩٧٦) .
- **الجندي ، سامي** ، عرب ويهود . (بيروت ١٩٦٨) .
  - البعث . (بيروت ١٩٦٩) .
  - كسرة خبز . (بيروت ١٩٦٩) .
  - أتحدى وأتهم . (بيروت ١٩٧٠) .
  - سورية ، رائدة كفاح . (بيروت ١٩٧٠) .
- **الحافظ ، ياسين** ، في الفكر السياسي . (دمشق ١٩٦٣) .
- **حزب البعث العربي الاشتراكي ، القيادة القومية** ، بعض المنطلقات النظرية التي أقرّها المؤتمر القومي السادس في تشرين الأول ١٩٦٣ (دمشق ١٩٦٧) .
- **حزب البعث العربي الإشتراكي القطر السوري** ، القيادة القطرية ، أزمة الحزب وحركة ٢٣ شباط انعقاد المؤتمر القطري الأخير . (دمشق ١٩٦٦) .
- في التنظيمات والتربية الحزبية ، (بيروت ١٩٧١) .
- **الحصري ، ساطع** ، ما هي القومية . (بيروت ١٩٥٩) .
  - الإقليمية ، جذورها وبذورها . (بيروت ١٩٦٣) .
- **الحسن ، يوسف** ، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني . (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٠) .
- **الحصني ، محمد أديب تقي الدين** ، منتخبات التواريخ لدمشق . ٣ أجزاء . (دار الآفاق بيروت ١٩٧٩) .
- **الحفّار ، لطفي** ، ذكريات . (دمشق ١٩٥٤) .
- **الحفّار ، وجيه** ، الدستور والحكم . (دمشق ١٩٤٨) .
- **الحكيم ، حسن** ، مذكرات . صفحات من تاريخ سورية الحديثة ١٩٢٠ - ١٩٥٨ . جزءان (دمشق ج١ ، ١٩٦٥ ، ج٢ ، ١٩٦٦) .
  - الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي والانتداب الفرنسي ١٩١٥ - ١٩٤٦ . (بيروت دار صادر ١٩٧٤) .
  - صفحة من حياة الشهبندر . (مطبعة الجمعية الملكية ١٩٨٠) .

- **الحكيم ، يوسف** ، سورية والعهد الفيصلي . (بيروت ١٩٨٦) .
  - سورية والانتداب الفرنسي . (بيروت ١٩٨٣) .
- **حماد ، مجدي** ، العسكريون العرب وقضية الوحدة . (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٧) .
- **حمادي ، سعدون** ، دراسات في القومية العربية والوحدة . (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٤) .
- **حوراني ، أكرم** ، رأي أكرم الحوراني في الوحدة العربية (دمشق ١٩٦٢) .
- **حوراني ، ألبرت** . الفكر العربي في عصر النهضة . ترجمة كريم عزقول . (بيروت دار النهار ١٩٦٨) .
- **خدوري ، مجيد** ، الاتجاهات السياسية في العالم العربي . دور الافكار والمثل العليا في السياسة . (بيروت ، الدار المتحدة ١٩٧٢) .
  - العراق الجمهوري (بيروت ، الدار المتحدة ١٩٧٤) .
- **خطب الرئيس جمال عبد الناصر** في احتفالات العيد السابع للثورة (القاهرة ١٩٥٩) .
- **الخيّر ، هاني** ، أديب الشيشكلي صاحب الانقلاب الثالث في سورية : البداية والنهاية . (دمشق ١٩٩٥) .
- **دياب ، محمد عبد الكريم** ، الثورة العربية المعاصرة . الأبعاد الفكرية والتنظيمية . (بيروت دار المسيرة ١٩٧٨) .
- **الرزاز ، منيف** ، معالم الحياة العربية الجديدة . (بيروت ١٩٦٦) .
  - التجربة المرّة . (بيروت ١٩٦٧) .
- **الركابي ، فؤاد** ، على طريق الثورة . (القاهرة ١٩٦٢) .
  - الحل الأوحد . (القاهرة ١٩٦٣) .
- **رياض ، محمود** ، مذكرات محمود رياض ١٩٤٨ – ١٩٧٨ . البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط . (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨١) .
- **الريماوي ، عبد الله** ، المنطق التقدمي لحركة القومية العربية الحديثة . (القاهرة ١٩٦١) .
- **زريق ، قسطنطين** ، الوعي القومي . (بيروت ١٩٣٩) .
  - في معركة الحضارة . (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٦٤) .
- **زهر الدين ، اللواء عبد الكريم** ، مذكراتي عن فترة الانفصال في سورية ما بين ٢٨ أيلول و٨ آذار ١٩٦٣ . (بيروت ١٩٦٨) .
- **السادات ، أنور** ، قصة الوحدة العربية (القاهرة : دار الهلال ١٩٥٧) .

- **السباعي ، بدر الدين** ، المرحلة الانتقالية في سورية . عهد الوحدة ١٩٥٨ – ١٩٦١ . (بيروت ١٩٧٥) .
- الاقتصاد السوري . ١٩٥٠ – ١٩٥٨ . (دمشق ١٩٧٠) .
- **السريان وحرب الأيقونات** ، (منشورات مطرانية السريان حلب ١٩٨٠) .
- **السعيد ، نوري** ، استقلال العرب والوحدة . (بغداد ١٩٤٣) .
- الاتحاد السوري العراقي والضمان الاجتماعي . محاضرة طُبعت ونُشرت في ١٢ صفحة . (مطبعة الكاشف في بيروت ١٩٥٠) .
- **سلامة ، ابراهيم** ، البعث من المدارس إلى الثكنات . (ملف النهار رقم ٢٥ ، ١٨ آذار ١٩٦٩) .
- **سلامة عبيد** ، الثورة السورية الكبرى . (دمشق ١٩٧١) .
- **سلو ، الزعيم فوزي** ، البيان الأول من دولة الزعيم فوزي سلو إلى الشعب السوري عن أعمال العهد الجديد خلال ثلاثة أشهر . (نشر المديرية العامة للدعاية والنشر دمشق ٣ آذار ١٩٥٠) .
- **سعادة ، أنطون** ، نشوء الأمم . (بيروت ١٩٣٨) .
- التعاليم السورية القومية الاجتماعية . (بيروت ١٩٤٧) .
- الصراع الفكري في الأدب السوري . (بيروت ١٩٤٧) .
- المحاضرات العشر في الندوة الثقافية . (دمشق ١٩٤٨) .
- الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية . (منشورات عمدة الإذاعة في الحزب السوري القومي الاجتماعي . (بيروت ١٩٧٧) .
- **السمّان ، أحمد** ، اقتصاديات سورية . معهد الدراسات العربية . (القاهرة ١٩٥٥) .
- **السمّان ، عبد الوهاب** ، بين قطرين . (دمشق ، مطبعة الانشاء ١٩٥٨) .
- **السمّان ، مطيع** ، وطنٌ وعسكر . قبل أن تدفن الحقيقة في التراب . مذكرات ٢٨ أيلول ١٩٦١ – ٨ آذار ١٩٦٣ . (دمشق : بيسان للنشر والتوزيع ١٩٩٥) .
- **السيّد ، جلال** ، حزب البعث العربي . (بيروت ١٩٧٣) .
- حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزيقها . (بيروت ١٩٧٣) .
- **سيف الدولة ، عصمت** : " تطور مفهوم الديمقراطية من الثورة إلى عبد الناصر إلى الناصرية " في: الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي . (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٣) ص١٣٣ – ١٧٢ .
- **سيل ، باتريك** ، الصراع على سورية . دراسة للسياسات العربية بعد الحرب ١٩٤٥ – ١٩٥٨ . ترجمة سمير عبده ومحمد فلاحة (دمشق طلاسدار ١٩٨٣) .

- الأسد ، الصراع على الشرق الأوسط . ترجمة المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع . (لندن ١٩٨٨) .
- **الشاعر ، جمال** ، سياسي يتذكر . تجربة في العمل السياسي من عام ١٩٤٩ - ١٩٧٥ . (لندن ١٩٨٧) .
- **الشريف ، منير** ، المسلمون العلويون ، من هم ؟ وأين هم ؟ (دمشق ١٩٦٣) .
- قصة الأرض في سورية . منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي . مديرية التأليف والترجمة . سلسلة الثقافة الشعبية (٥) . (دمشق ١٩٦١) .
- **شفيق ، منير** ، في الوحدة والتجزئة . (بيروت : دار الطليعة ١٩٧٩) .
- **شميعي ، عبد المنعم** ، القوميون السوريون (بيروت ١٩٥٨) .
- **الصبّاغ ، صلاح الدين** ، الفرسان الأربعة في العراق . (دمشق ١٩٥٦) .
- **الصفدي ، مُطّاع** ، حزب البعث ، مأساة المولد ، مأساة النهاية . (بيروت ١٩٦٤) .
- نحو سورية حديثة . ملف النيار رقم ٦١ . (٦ آذار ١٩٧١) .
- **الصائغ ، فايز** ، الفكرة العربية في مصر . (بيروت ١٩٥٩) .
- **الصقّال ، فتح الله** ، من مذكرات أيام حسني الزعيم . (القاهرة ١٩٥٢) .
- **طربين ، أحمد** ، الوحدة العربية في تاريخ الشرق المعاصر ١٨٠٠ - ١٩٥٨ . (دمشق ١٩٦٦) .
- **طعمة ، رامز** : " ملكية الأرض والسلطة السياسية في دمشق ١٨٥٨ - ١٩٥٨ " . في مجلة دراسات تاريخية ، عدد ٥١ - ٤٣ - ٤٤ ، سنة ١٣ ١٩٩٢ . ص ٢٦١ - ٢٩١ .
- **طلاس ، مصطفى** ، مرآة حياتي . (دمشق طلاسدار ١٩٨٦) .
- **الطويل ، محمد أمين غالب** ، تاريخ العلويين . (بيروت ، دار الأندلس ١٩٦٦) .
- **عباس ، عبد الهادي** ، الأرض والاصلاح الزراعي في سورية . (دمشق ١٩٦٢) .
- **عبد الله ، الملك** ، مذكرات . (عمان ١٩٤٧) .
- " شرقي الأردن ، الكتاب الأردني الأبيض والوثائق القومية في وحدة سورية الطبيعية " مذكرة نشرت في (عمان ١٩٤٧) .
- **عبد الكريم ، أحمد** ، أضواء على تجربة الوحدة (دمشق ١٩٦٢) .
- **عبد الناصر ، جمال** ، فلسفة الثورة . (القاهرة ١٩٥٤) .
- الميثاق . قدمه الرئيس جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم ٢١ مايو ١٩٦٢ . (الجمهورية العربية المتحدة ، الدار القومية للطباعة والنشر في القاهرة ١٩٦٢) .

- **العجلاني ، منير** ، دفاع د. منير العجلاني أمام المحكمة العسكرية بدمشق . (دمشق ١٩٥٧) .
- **عرابي ، نزار** ، ماذا يجري في سورية ؟ ولماذا فشلت تجربة الوحدة . (دمشق ١٩٦٢) .
- **العظم ، خالد** ، مذكرات . ٣ أجزاء . (بيروت ١٩٧٣) .
- **عفلق ، ميشيل** ، في ذكرى الرسول العربي . (دمشق ١٩٤٣) .
  - **وصلاح الدين البيطار** . القومية العربية وموقفها من الشيوعية . نشر المكتب السياسي لحزب البعث . (دمشق ١٩٤٤) .
  - معركة المصير الواحد . (بيروت ١٩٥٩) .
  - في سبيل البعث . (بيروت ١٩٦٣) .
  - نقطة البداية . (بيروت ١٩٧١) .
- **عنداني ، توفيق** ، البعث في دروب النضال . (دمشق ١٩٦٥) .
- **العوف ، بشير** ، ٣٠ آذار . الإنقلاب السوري ودوافعه ومراميه وكيف تمّت أحداثه . (دمشق ١٩٤٩) .
- **العيثمي ، شبلي** ، حزب البعث العربي الإشتراكي . مرحلة الأربعينات التأسيسية ١٩٤٠ – ١٩٤٩ . (بيروت ١٩٧٥) .
  - الوحدة العربية من خلال التجربة . (بيروت ١٩٧١) .
- **العياشي ، غالب** ، الايضاحات السياسية وأسرار الإنتداب الفرنسي على سورية. (مكان ؟ زمان ؟).
- **الغادري ، نهاد** ، الكتاب الأسود في حقيقة عبد الناصر وموقفه من الوحدة الإشتراكية وقضية فلسطين . (دمشق ١٩٦٢) .
- **فرسخ ، عوني عبد المحسن** ، الوحدة في التجربة . دراسة تحليلية لوحدة ١٩٥٨ . (بيروت دار المسيرة ١٩٨٠) .
- **فنصه ، نذير** ، أيام حسني الزعيم ، ١٣٧ يوماً هزت سورية . (دمشق ١٩٩٣) .
- **الفيل ، أحمد** ، سورية الجديدة في الانقلابين الأول والثاني . (دمشق ١٩٤٩) .
- **قانون العقوبات السوري** الصادر بالمرسوم التشريعي رقم ١٤٧ في ٢٢ حزيران ١٩٤٩ والمطبق في أيلول ١٩٤٩ . (دمشق ، مكتبة النوري ١٩٤٩) .
- **قزحيا ، وليد** ، " الأسس الإجتماعية السياسية لنمو القومية المعاصرة في الشرق العربي " . المستقبل العربي . سنة ١ ، عدد ١٩٧٩/٣/٦ ، ص٦٣ – ٧٥ .
- **القس ، يوسف** ، كرّاس خاص حول عجائب سيدة المالكية . (نشر مجلس رعيّة المالكية ١٩٨٣) .

- قصة الثورة في العراق وسوريا ، (بغداد ١٩٦٣) .
- قضيّة الخلاف في الحزب الشيوعي السوري ، (بيروت ١٩٧٢) .
- القوتلي ، شكري ، مجموعة خطب . (دمشق ١٩٥٧) .
- كتب قومية ، " ٢٢ شباط لقاء وانتصار " مجموعة خطب إعداد محمد أبو القاسم . (دمشق ١٩٦٠) .
- كتب قومية ، " اتفاق الوحدة " القاهرة في ١٧ ابريل نيسان ١٩٦٣ . (الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣) .
- كحالة ، حبيب ، مذكرات نائب . (دمشق . زمان ؟) .
- كرد علي ، محمد ، المذكرات ، ٤ أجزاء . (دمشق ١٩٥٠ – ١٩٥١) .
- كلاّس ، خليل ، سورية المحطمة للاستعمار والديكتاتورية . (دمشق ١٩٦٢) .
  - أردناها وحدةً وأرادوها مزرعة . (دمشق ١٩٦٢) .
- لبكي ، جوزيف أنطون ، متصرفية جبل لبنان : مسائل وقضايا . ١٩٦١ – ١٩١٥ . (بيروت دار الكرامة ١٩٩٥) .
- لونغريغ ، ستيفي هاملي ، تاريخ سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي . ترجمة بيار عقل. (بيروت : دار الحقيقة ١٩٧٨) .
- المارديني ، زهير ، الأستاذ . قصة حياة ميشيل عفلق . (لندن ١٩٨٨) .
- المالكي ، رياض ، ذكريات على درب الكفاح والهزيمة . (دمشق ١٩٧٢) .
- محاضر جلسات مباحثات الوحدة : الجمهورية العربية المتحدة . (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣) .
- محكمة الشعب ، محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة . (بغداد ١٩٥٨ – ١٩٦٣) .
- مدني ، سليمان ، خفايا وأسرار ٨ آذار . (دمشق ١٩٩٧) .
  - محاكمة رجال الانفصال . (دمشق ١٩٩٦) .
  - ايام عبد الحميد السرّاج . (دمشق ١٩٩٧) .
- مدني ، محمد نمر ، عدنان المالكي ، ثلاث رصاصات في الملعب البلدي . (دمشق ١٩٩٦) .
- مطر ، جميل وعلي الدين هلال ، النظام الإقليمي العربي : دراسات في العلاقات السياسية العربية. (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٣) .
- المعلم ، وليد ، سورية ١٩١٨ – ١٩٥٨ . التحدي والمواجهة . (نيقوسيا ١٩٨٥) .
- مقدسي ، أنطوان ، سورية وتطورها الحديث ، مجلة آفاق سنة ٣ / عدد ٣ / آذار ١٩٧٤ .

- **من هو في سورية عام ١٩٤٩** ، نشر جورج فارس . (دمشق ١٩٤٩) .
- **من هو في سورية عام ١٩٥١** ، نشر جورج فارس . (دمشق ١٩٥١) .
- **من هو في العالم العربي** ، نشر جورج فارس ج - ١ . سورية (دمشق ١٩٥٧) .
- **المنجّد ، صلاح الدين** ، سورية مصر بين الوحدة والإنفصال . وثائق ونصوص . (بيروت ١٩٦٢) .
- **النجّار ، عبد الله** ، بنو معروف في جبل حوران . (دمشق ١٩٢٤) .
- **النجدي ، محمد سعيد** ، حصيلة الإنقلابات الثورية في بعض الأقطار العربية . (بيروت ١٩٦٦) .
- **النص الكامل لقرر الإتهام الصادر عن لجنة التحقيق العسكرية بمؤامرة الأسلحة** (نشر مكتب الوثائق العربية بدمشق : آذار ١٩٥٧) .
- **نصر ، صلاح** ، عبد الناصر وتجربة الوحدة . (بيروت : دار الوطن العربي ١٩٧٦) .
- **نصّور ، أديب** ، قبل فوات الأوان . (بيروت ١٩٥٥) .
- **نضال البعث** ، نشر بشير الداعوق . سلسلة من ١١ جزءاً صادرة عن دار الطليعة . (بيروت من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٧٤) .
- **النفوري ، أمين** ، عبد الناصر بدأ في دمشق وانتهى في شتوره . (دمشق ١٩٦٢) .
- **هلال ، علي الدين وآخرون** ، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي . (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٣) .
- **هلال ، محمد طالب** ، دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية الإجتماعية السياسية (مكان؟ زمان ؟) .
- هزيمة طاغية ، وثائق تاريخية ، نشر مكتب أنباء سورية (دمشق ١٩٥٤) .
- **هيكل ، محمد حسنين** ، ما الذي جرى في سوريا. (القاهرة : الدار القومية للنشر ١٩٦٢).
- **وزّان ، صلاح** ، الاقطاع الزراعي من التخلف إلى النمو الاشتراكي . (دمشق ١٩٦٧) .
- **يحيى ، جلال** ، الثورة والتنظيم السياسي . (القاهرة ١٩٦٦) .
  - العالم العربي الحديث : المشرق العربي في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين . (القاهرة : دار المعارف ١٩٦٧) .
- **اليونس ، عبد اللطيف** ، مذكرات . (دمشق ١٩٩٢) .
  - الاعمال الكاملة . (دمشق ١٩٩٦) .

ثانياً : باللغات الأجنبيـــة

أ - الوثــــــائق

- وثائق السجلات العامة لوزارة الخارجية البريطانية :

United Kingdom, public record office, Foreign office, Syria 371 .

ب - الوثائق المنشورة :

- Publication du centre de documentation et de synthese : "la situation politique en Syrie depuis la fin du regime chichakly" , Paris, Juillet 1955 .

- الوثائق المنشورة في الدوريات التاريخية :

- Cahiers de l'orient contemporain , Paris 1946 .

- Etude mensuelle sur l'economie et les Finances de la Syrie et des pays Arabes. Beyrouth et Damas (1958) .

- Middle Eastern Alfairs, Newyork (1950) ,

- Middle East Economic Papers, Beirut (1954),

- Middle East Forum, Beirut (1916) ,

- Middle East Journal, Washington (1947)

- Middle Eastern Studies, Washington (1970)

- Orient, Paris , 1957 .

Ouvrages et Articles - ج

Abu Jaber, Kamel.s, the Arab Ba'th socialist party : History, Ideology and Organization . (Syracuse), Newyork, 1966 .

- *Akel, Adel,* "Analysis of Syrian National income estimates (1953 - 1960)" In E.F.S.P.A. , No 42 , 1961, p. 73 -90 .

- "Economic stabilization in Syria". E.F.S.P.A, No 47 , 1961 , p.31 - 36 .

Akhras, Chafik, "force et faiblesse de la livre Syrienne", E.F.S.P.A, No 56 , 1962 , p.5 - 11 .

Al - Akhrass, Safouh , Revolution , change and modernization in the Arab world : a case from Syria (Damascus 1972) .

- Asfour, Edmond.y, Syria, development and monetary policy. (Cambridge 1969)

- Babikian, J M. , Civilization andeducation in Syria and Lebanon, (Beirut 1936)

- Baer, Gabriel, Population and society in the Arab east (London 1964) .

- Balance, Edgar,o., the Arab-Israeli war 1948 . (London 1958) .

Bagh, S. , l'Industrie a Damas entre 1928 et 1959 , Etude de georaphie economique (Damas 1961) .

Be'eri , Eliezer., Army officers in Arab politics and society . (Newyork and London, 1970) .

- Ben-Dor, G., Civilization of military regime in the Arab world . in Armed forces and sociology. Vol I, No3 (Newyork 1976) .

- Berger, Morroe., the Arab world today. (Newyork 1962) .
- "les Regimes militaires du moyen Orient", dans <u>Orient</u> , No5, 1960, p.21 - 68 .

Bertier, F., "l'Egypte et le pacte de Bagdad", dans <u>Politique Etrangere</u> No5, 1957, p.535 - 551.

- "Reflexion sur la Politique exterieure et interieure de l'Egypte", dans <u>Orient</u>, No9, 1959, p.31 - 41 .

- Birdwood, Lord, Nuri As-Said. (London 1989) .

- Blanc, H., "Druze, Particularism, modern aspect of an old problem", in <u>M.E.A.</u>, vol II , 1952 - p.292 - 395 .

Broude, B. and Lewis, B., Christians and Jews and the Ottoman Empire. Newyork 1980 .

- Bruneau, Andre., Traditions et politique de la france au Levant, Paris 1932 .

- Campbell, C.J. defence of the Middle-east. (Newyork 1960) .

- Carleton, Alford., "the Syrian coups d'etat of 1949" in M.E.J. , vol 4, 1950, p.1 - 11 .

- Clin, George. , "Situation de l'Irak", dans Orient No8 , 1958 , p.33 - 42 .

- Colombe Marcel., Orient arabe et non-engagement . 2vols (Paris 1973).

  - l'Evolution de l'Egypte, 1924 - 1950 . (Paris 1951) .

  - "Essais sur la politique Britannique dans l'Orient Arabe 1945 - 1951" . Orient, No2, 1957, p.53 - 69 .

  - "Apres Suez le Moyen Orient entre Washington et Moscou" Orient, No4, 1957, p.186 - 195 .

  - "l'Egypte et le nationalisme arabe, de la ligue des etats arabes a la Republique Arabe Unie, 1945 - 1958" Orient, No5 , 1958, p.113 - 134 .

  - "La Mission du Marechal egyptien Abdel-Hakim Amer" Orient, No9, 1959, p.27 - 35 .

  - "la Nouvelle politique arabe de la Republique Arabe Unie", dans Orient , No11, 1959, p.13 - 19 .

  - "la Republique Arabe Syrienne a la lumiere du coup d'etat du 28 mars" . Orient, No21, 1962, p.11 - 17 .

  - "Particularismes et Nationalisme arabes a la lumiere du coup l'etat" . Orient, No20, 1961, p.15 - 18 .

  - "Revolution, socialisme et Unite" Orient, No27 , p.7 - 15 .

  - "le Monde arabe au seuil de l'annee nouvelle".Orient, No28, 1963, p.7-15

- Copeland, Miles., the Game of Nations (London 1969) .

- Crow, Ralph., A study of political forces in syria based on a survey of the 1954 elections (unpublished, A.U.B. 1955) .

- Cuinet, vital., Syrie , Liban et Palestine , (Paris 1896) .

- Dabbagh, S., "Agrarian reform in Syria", in M.E.E.P, A.U.B. 1965, p.1 - 20 .

Dahbar, Amin, Organization des pouvoirs publics Syriens, (Beyrouth Nassar 1947) .

Dam, Nikolaos van., the Struggle for power in Syria , sectarianism, regionalism, and tribalism in politics 1961- 1978. (London 1979).

- Dan, Uriel., Iraq under Quassem. (Jerusalem 1969) .

Dawn, C. Ernest, "the Rise of arabism in Syria" in M.E.J, vol 16 , No4 , 1962 p.145 - 168 .

Delestre, Emile, "la Repulique arabe unie face a l'Irak et au communisme", dans Orient No9 , 1959, p.13 - 22 .

d'Encausse, H. Carrere, la Politique sovietique au Moyen Orient, 1955 - 1975. (Paris 1975) .

- "**Developments of the quarter**" in M.E.J., vols : 2 (1948), 3 (1949), 4 (1950), 5 (1951), 6 (1952), 7 (1953), 8 (1954), 9 (1955) , 10 (1956), 11 (1957), 19 (1958) .

Devlin, John F., the Ba'th party. A History From Origins to 1966 (Stanford 1976) .

Dewdney, J.C., "Syria : Patterns of population destribution", in J. I. Clark and W.B. Fischer, (eds), Population of the Middle East and North Africa, (Newyork 1972) p.130 - 142 .

- Ducruet, Jean, Les capitaux europeens du proche orient, (Paris 1964) .

- Eden, Sir Anthony , his Memoirs, Vol III, full circle (London 1960) .

- Eisenhower, D. W., the White house years, II vols (Newyork 1965) .

- Estier, Claude., l'Egypte en revolution . (Paris 1965) .

F. A.O., **Mediterranean development project** : United Arab Republic, (Syrian region) Country Report, (Rome 1959) .

- Yearbook of food and agricultural statistic . (Rome 1956) .
- State of food and agriculture in 1955, (Rome 1955) .

- Farra, A., l'Industrialisation en Syrie. (Geneve 1950) .

- Fernau, F.W., le Reveil du monde musulman. (Paris , Seuil 1963) .

Finer, S.E., the Man on horseback : the role of the military in politics. (London 1962) .

Fischer, Sidney Nettleton, (ed), the Military in the Middle east. (Colombus Ohio 1963) .

Franck , G. Peter., "Economic nationalism in the Middle east", in M.E.J., Vol 6 , 1952, p.440 - 450 .

Frost, Carle., the United Arab Republic 1958 - 1961, A Study in Arab Nationalism and Unity (Univ of Denver 1966) .

Galllman, W.J., Iraq under general Nuri, my recollections of Nuri Assaid 1954 - 1958 . (Baltimore 1964) .

- Garzouzi, E., "Land reform in Syria" in M.E.J, vol 17, 1963. p.70 - 96 .

- Haddad, G., Fifty years of modern Syria and Lebanon , (Beirut, 1950) .

- Revolutions , and Military rule in the Middle east : the Northern tier . (Newyork 1965) .

- Haim, Sylvia., Arab nationalism an anthology (Los Angeles 1964) .

- Hakim, George., "Land tenure reform", in M.E.E.P. (A.U.B 1955) .

Halpern, Manfred., the politics of social change in the Middle east and North Africa . (Princeton N.J. 1964) .

- "the Middle-East and North Africa" in Black and Thornton (ed) : Communism and revolution , (princeton N.J. 1964) .

- Hamide, A.B., La region d'Alep , Etude geographie rurale , (Paris 1959) .

- la ville d'Alep, Etude de geographie Urbaine, (Paris 1959) .

- Hansen, Bent., Economic development in Syria (Santa monica 1969) .

Helbaoui, Yussef, La Syrie mise en valeur d'un pays sous developpe (Paris 1956) .

Hilan, R., Culture et Developpement en Syrie et dans les pays retardes .(Paris 1969).

Himbusch, Raymond .A., "Local politics in Syria, Organization and mobilisation in four village cases", M.E.J., vol 30, No1, 1976. p.1 - 24 .

- Hitti, philip, K., the Origins of the Druze people and religion. (Newyork 1928) .

- History of Syria . (London 1951) .

- Hoskins, H.,the New Era of power politics, foreign policy, Ass (Newyork 1946)

- Hourani, Albert. H., Minorities in the Arab world (London 1947) .

- Syria and Lebanon, A political essay (London 1946) .
- A Vision of History, (Beirut 1961) .

Huiller l'. F. , le Moyen - Orient Contemporain, 1945 - 1958, (Paris , Syrey 1959) .

- Huntington Samuel p., the Soldier and the state (Cambridge Mass, 1957) .

- Hurewitz, J. C., the Middle east and the great powers. (Cambridge 1951).

- the Middle east dilemmas, the background of united states policy, (Newyork 1953) .

- Middle east politics : the military dimension . (Newyork, London 1969) .

- Hutchison , Elmo ., Violent truce, (Newyork 1956) .

International Bank for Reconstruction and Development : the economic development of Syria. (Baltimore 1955) .

- Ionides, M., Divide and Lose : the Arab revolt 1955 - 1958. (London 1960) .

- Issawi, Charles., Egypt in revolution . (London , 1963) .

Janowitz , Morris., The Military and the political development of new nations. (univ of Chicago 1964) .

- Armed forces and society in : Von Doorn (ed), the military profession and military regimes (the Hague Monton 1969) .

- Jargy , Simon., Syrie , l'Atlas des voyages (Paris 1962) .
- "La Syrie, province de la republique arabe Unie", Orient No8 , 1959, p.17 - 32 .
-"La Syrie a la veille d'une nouvelle experience, Ibid, No10, 1959, p.19-30
- "Realites Libanaises" Orient, No9 , 1959 , p. 40 - 47 .
- "de Bendoeng au Caire" Orient , No5 , 1958, p.59 - 71 .
- "le Declin d'un parti", Orient, No4, 1959, p.21 - 40 .
- "Quelques reflexions sur la conference des Etats non-alignes a Belgrade", Orient, No20 , 1961, p.19 - 25 .
- "La Syrie d'Hier et d'Aujourd'hui" , Orient, No20, 1962, p.67 - 76 .

- Jenner. M. Syria in view. (London 1986) .

Kaylani, Nabil M., "the Rise of Syrian Ba'th, 1940 - 1958 : Political success, party failure" in M.E.A, vol 3, 1962, p.3 - 23 .

Kedourie, Elie, "Panarabism and British policy" in Political quarterly, special number, the Middle-East 1957. p.137 - 148.

- "Reflexion sur l'histoire du Royaume d'Irak" dans Orient , No11, 1959, p. 70 - 78 .

- the Chatham house and other Middle eastern studies (London , 1970) .

- Arabic political memoirs and other Studies (London , 1974) .

Kelidar, A. R., "Religion and state in Syria", in Asian Affairs, vol 61 , part,I , 1974, p.16 - 22 .

Kerr, Malcolm, the Arab cold war 1958 - 1967. A study of Ideology in politics (London 1967) .

- Khadduri , Majid, Independent Iraq (London 1960) .

- "the Scheme of fertile crescent unity" in , the near east and the great powers . (ed), R. N. Fraye (Cambridge, Harvard ussiv press 1951) .

- "Constitutional development in Syria" in M.E.J., vol 5 , 1951, p.137 - 160 .

- Khalidi, Walid, From Haven to Conquest. (Beirut 1970) .

- "Political trend in fertile crescent" in the Middle-East in transition, (ed) W.Z. Laqueur, (London 1958) .

- Kirk, George., the Midle - East , 1940 - 1950 . (London 1954) .

- contemporary arab politics. (Newyork 1961) .
- "the Revolutionary current in Arab Asia" in peter Calvocorsi (ed), Survey of international Affairs, (London 1955) .

- "the Syrian crisis of 1957" in international Affairs vol 37, 1958, p.42- 65

- Lacouture, J. et s., l'Egypte en mouvement (Paris 1956) .

Lacouture Jean., 4 hommes et leurs peuples, sur pouvoir et sous-developpement (Paris 1969) .

- Nasser, (paris 1971) .

Laqueur , Walter, z., Communism and nationalism in the Middle-East. (Newyork 1956) .

- The Soviet union and the Middle-East . (London 1959) .

- Larteguy, Jean., Dieu, l'or et le sang. (Paris match 1980) .

- Laurent, Francois, "Perspectives Irakiennes", dans Orient No7, 1958, p.17-26

- "L'U.R.S.S. et le Moyen Orient", Orient, No2, 1957, p.53 - 69, No 3, 1957, p.15 - 30 .

- Lenczowski, George., the Middle East in world affairs, (Ithaca 1962) .

- Love, Kennet., Suez, the Twice-fought war. (Newyork 1969) .

Macintyre, Ronald R., "Syrian political Age differentials 1958 - 1966" , in M.E.J Vol 29 , No2 , 1975, p.207 - 213 .

- Makarem, Sami N., the Druze faith. (Newyork 1974) .
Ma,Oz, Moshe., - Ottoman Reform in Syria and Palestine 1840 - 1860. (Oxford 1960) .

- "Society and State in modern Syria" in Menahem Milsan (ed): Society and political structure in the Arab World , (Newyork 1973) .

- Attempts at Creating a political Community in modern Syria" in M.E.J . vol 26 , 1972, No9 , p.389 - 404 .

- Marlowe, John., Arab Nationalism and British imperialism. (London 1961) .

Montagne, R., "Quelques aspects du peuplement de la haute Djezire, dans le Bulletin d'etudes Orientales de L'I.F.E.A.D., t. 11, 1932 .

- Montserrat, Michel, "l'Affaire de Mossoul", dans Orient No9, 1959, p.23 - 30

Moussa, Munir M., Etude sociologique des "Alaouites ou Nusairis", these pour le Doctorat d'etat, 2 vols, (Paris 1958) .

- Murphy, Robert., Diplomat among warriors. (Newyork 1966) .

- Nabulsi, Muhammed., " problems of integrating the monetary system of Egypt and Syria under U.A.R regime" in : M.E.E.P. (A.U.B) . 1964, p.70 - 75 .

Nashabi, Hisham., the Political parties in syria, M A thesis (A.U.B) 1951 - 1952 .

Nouss, I., la population de la Republique Syrienne, etude demographique, these pour le Doctorat d'etat, (Paris 1951) .

Nour, Francis, "Particularisme Libanais. et nationalisme arabe" . Orient, No7, 1958, p.29 - 42 .

- Oliphant, L., the Land of Gilead. (Edinburgh 1880) .

Orgels, Bernard, Contribution a l'etude des problemes agricoles de la Syrie . (Bruxelles 1962) .

- Palazzoli, Claude., la Syrie , le Reve et la rupture.(Le sycomore 1977).
Palmer, Monte., "the United Arab republic : an Assessment of its failure" in M.E.J., vol 20 , No1, 1960 , p.50 - 67 .

- Pearse, Richard., three years in the Levant . (London 1949) .

- Pensore, F.E., "l'Irak en 1963, une annee de coup d'etat" dans Orient , No28 , 1963, p.17 - 36 .

- Petran, Tabitha, Syria. (London 1972) .

- Polk. W. R., the United states and the Arab world (Cambridge. 1965) .

- Proux, Marcel, Les tcherkesses, dans : la France Mediterraneenne et Africaine . (Paris 1939) .

- Rabbath, Ed., Unite Syrienne et devenir Arabe. (Paris 1936) .

- l'Evolution politique de la Syrie sous mandat. (Paris 1928) .

Rabinovich, Itamar., Syria under the Ba'th 1963 - 66 : the Army-Party symbiosis. (Jerusalem 1972) .

Rastier, Jaques., "A la Recherche du socialism Syrien", dans Orient, No4 , 1957, p.170 - 177 .

Raymond, A., la Syrie, du Royaume Arabe a l'independance, 1914 - 1946, in A. Raymond , (ed) la Syrie d'Aujourd'hui. (Paris 1980) .

- Riad, Hassan., l'Egypte Nasserienne. (Paris 1964) .

- Rodinson, M., Israel et Le Refus Arabe, 75 ans d'histoire. (Paris 1968) .

Rondot, pierre, - les Kurdes de Syrie. dans la France mediterraneenne et Africaine. (Paris 1939) .

- Le Destin du proche- Orient. (Paris 1959) .

- l'Islam et les musulmans d'aujourd'hui. (Paris, l'Orante 1968) .

- "Quelques aspects de l'Affaire Mossoul" . l'Afrique. l'Asie, No46, 1959, p.39 - 43 .

- "les Etats unis devant l'Orient d'aujourd'hui dans Orient 3 parties, No2 , 1957, p.1952, No3, 1957, p.31 - 71 , No4, 1957. p.63 - 109 .

- "Tendances particularistes et tendances unitaires en Syrie" Orient, No5, 1958, p.135 - 178 .

- "Quelques remarques sur le Ba'th" Orient, No31 , 1964, p.7 - 19 .

- "l'Islam, Nationalisme,Etat modern en Orient. Orient, No1,1957, p.9- 17

- Rustow. D.A., "the Politics of the Near east" in G.A. Almond and C.S. James., (eds) the politic of the development areas . (Princeton univ 1960) .

- Saab , Edouard, la Syrie ou la Revolution dans la Rancoeur . (Paris 1968) .

- Saab, Gabriel S., the Egyptian agrarian reform,1952-62 (London 1967)

- Sauvaget, Jean., Esquisse d'une histoire de la ville de Damas, (Paris 1935) .

- Alep : Essai sur le developpement d'une grande ville Syrienne , des origines au milieu de XIXe siecle, 2 vols (Paris 1941) .

- Seurat, Michel, les Populations , l'Etat et la societe dans la Syrie d'aujourd'hui . ed (C.N.R.S. Paris 1980) .

- Seymour, Martin, "the Dynamics of power in syria since the break with Egypt" in M.E.S., vol 6 , No1, 1970, p.35 - 47 .

Shawdran, Benjamin, the Middle-east oil and the great power . (Newyork 1955) .

- Jordan, a State of tension. (Newyork 1959) .

- the Power struggle in Iraq (Newyork 1960) .

Spain, James W., "Middle-east defence, a New approach" in M.E.J, vol8, 1954, p.242 - 256.

Stanffer, thomas, B. "Labor Unions Arab States", in M.E.J., Vol 6 , 1952, p.62 - 85 .

- Thoumin, R., Histoire de syrie. (Paris 1929) .

- Tibawi, A. L., A modern History of syria, (London 1969) .

- Tomeh, Ramez., Landownership and political power in Damascus 1858 - 1958 unpubl thesis (A.U.B 1977) .

- Torrey, Gordon H., Syrian politics and the military. (Colombus, Ohio 1964) .

- "the Ba'th , Ideology and practice", in M.E.J. vol. 23 , 1969, p.445 - 470

- "Aspects of the political in Syria", in G. lenczowski (ed), political elites in the Middle-East . (Washington 1975) .

United Nations , Dept of Economic and social affairs : "Economic development in the Middle-East., from 1945 to 1954" . (Newyork 1955) .

- "Economic development in the Middle-East from 1955 to 1957" . (Newyork 1958) .

- "Economic development in the Middle-East From 1959 to 1961". (Newyork 1962) .

- "Economic development in the Middle-East From 1961 to 1963" (Newyork 1964) .

- Viennot, Jean-Pierre, "le Ba'th entre la theorie et la pratique", Orient , No30 , 1964, p.13 - 27 .

- "le Role de ba'th dans la genese du nationalisme Arabe, quelques remarques sur sa position vis a vis de l'Islam", Orient, No36 , 1965, p.65 - 79.

- Warriner, Dorcen., Land Reform and development in the Middle-East , a Study of Egypt, Syria and Iraq. (London, Newyork 1957) .

- Land and poverty in the Middle-East . (London 1948) .

Waters, T.R., a Social political analysis of Syria, 1943 - 58 . unpubl thesis (A.U.B.1962) .

- Weulerse, Jaques., les pays des Alaouites (Tours 1940) .

- Paysans de Syrie et du proche orient . (Paris 7eme ed 1946) .

U.S. Army: Area handbook for Syria. dept of the Army pamphlet, (Washington D.C. 1964) .

United states in the Middle-East. dept of state, Sep 1956 - June 1957. (Washington D.C. 1957) .

- Valonges,Jean-Pierre, Vie et mort des chretiens d'Orient .(Fayard 1994)

Van Dusen, Michael H., "Political integration and Regionalism in Syria", in M.E.J vol 26, No2, 1972, p.123 - 136 .

- Vatikiotis, P.J., the Egyptian army in politic, (Indianauniv press 1961)

- Politics and the military in Jordan (London 1967) .

Vernier, Bernard, "le Role politique de l'armee en Syrie". dans Politique Etrangere, vol XXIX, 1965, p.458 - 511 .

- Armee et politique au moyen Orient (Paris 1966) .
- l'Irak d'aujourd'hui. (Paris 1963) .

Winder, Baylys ., "Syrian deputies and cabinet ministers 1919 - 1959", in M.E.J, vol 16 , 1962, No4 , p.407 - 429 vol 17, 1963, No1, p.35 - 54 .

- Yamak , Labib. Z., the Syrian social Notionalist party : an Ideological analysis. (cambridge , 1966) .

- Zein, Zein N., the struggle for Arab independence. (Beirut 1960) .

- Ziadeh, N.A., Syria and Lebanon. (London 1957) .

فهرست الأعلام

– ب –

– ت –

- غ -

- ف -

فهرست المحتويات

=============

من صفحة – إلى صفحة

القســـم الثالث

القســـم الرابع

